

الشرح الثاني للعلامة الجامي

على الرسالة التدمرية

تفريغ لمحاضرة المدخل الى التدمرية و يليه تفريغ لشرح (44 شريطا)

الطبعة الإلكترونية الأولى

2017-1438

الموقع الرسمي للكتاب : منتدى مجموعة زدني العلمية

www.alilmiya.blogspot.com

تفريغ و تنسيق :

أبو عبدالله العربي الجزائري

ملاحظة : حاولت قدر استطاعتي أن يكون تشكيل كلمات التفريغ موافق لكلام الشارح .

معلومات تهمك :

تحميلك هذا الكتاب من موقعه الرسمي يعني تأكدك بعدم تعرض نسختك للتعديل و
التحريف.

رابط الصفحة الرسمية للكتاب على موقع منتدى زدني العلمية :

www.alilmiya.blogspot.com/2017/05/aqidah-tadomria.html

ستجد في هذه الصفحة كل جديد استطيع جمعه من الكتب و التفريغات و البحوث
العلمية المتعلقة بالرسالة التدمرية , مع ما نستفيد منه من تعليقات الأعضاء بالمنتدى .

رابط تحميل الدروس الصوتية لهذا التفرغ :

www.cutt.us/IoTPY

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة¹

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } .
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } أما بعد:

مما شجعتني على كتابة هذا التفريغ هو المفهوم من أحد أسباب تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية للرسالة التدمرية حيث قال (فقد سألتني من تعينت إجابتهم أن أكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في بعض المجالس)² وهذا يدل على أن هؤلاء قد سمعوا من الشيخ ما قرره بهذه الرسالة في بعض دروسه ، و يدل أيضا على ذكاءهم و فطنتهم و شدة حرصهم على تقييد ما سمعوه من الشيخ في هذه المجالس لأنهم حرصوا كل الحرص على أن يُقَيَّدَ ذلك الكلام و لا يضيع ، و إلا فإن الكثير من العلم قد ضاع بسبب تفريط الطلاب ، كثير من دروس السلف و كثير من الكتب المؤلفة قد ضاعت و تلفت بسبب تفريط الطلاب و تفريط الناس

¹ قلت (أبو عبد الله العربي الجزائري) : هذه المقدمة هي مختصر لثقولات من بعض تفريغاتي لشرح مشايخ أهل السنة و الجماعة على الرسالة التدمرية .

² الرسالة التدمرية - تحقيق محمد بن عودة السعوي ، طبعة مكتبة العبيكان ، الطبعة السادسة 1421 هـ 2000 م .
الصفحة : 03 .

و عَدَم الإِهْتِمَامِ بِالمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا , وَ لِنَظَرِ أَخِي القَارِئِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الأَجْرِ بِالإِنْتِفَاعِ العَظِيمِ الَّذِي حَصَلَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَا الكِتَابِ وَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ (الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كِفَاعُهُ) , لِذَلِكَ يَنْبَغِي لِطَالِبِ العِلْمِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِتَقْيِيدِ المَسَائِلِ وَ كَذَلِكَ أَنْ يَحْرِصَ كُلَّ الحَرِصِ عَلَى أَلَّا يَضِيعَ العِلْمُ , فَإِذَا سَمِعَ فِي دَرَسٍ لِمَشَايخِ أَهْلِ السَّنَةِ وَ الجَمَاعَةِ فَإِنَّهُ يَحْرِصُ إِمَّا أَنْ يَطْلُبَ تَقْيِيدَ ذَلِكَ الكَلَامِ , أَوْ أَنْ يَحْرِصَ هُوَ أَنْ يُقَيِّدَ ذَلِكَ الكَلَامَ حَتَّى يُنْتَفَعَ بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ :

العلم صيد والكتابة قيده * قيد صيودك بالحبال الوثيقة .

و مِمَّا شَجَعَنِي عَلَى التَّفْرِيعِ أَيْضًا هِيَ القِيَمَةُ العِلْمِيَّةُ لِلرَّسَالَةِ التَّدْمِرِيَّةِ لِأَنَّهَا تَهْتَمُ بِمَسَائِلِ مُتَعَلِّقَةٍ بِأَصُولِ العَقِيدَةِ , فَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِمَسَمَّاهَا حَيْثُ أَرْسَلْتُ إِلَى تَدْمُرٍ وَ هِيَ تُدَمِّرُ العُقَايِدَ الفَاسِدَةَ , ففِيهَا البَيَانُ الشَّافِي الكَافِي لِكَسْرِ وَ دَقِّ غُنُقِ وَ مَسَائِلِ وَ رُؤُوسِ اعْتِقَادَاتِ الفِرَقِ الضَّالَّةِ .

الانسان اذا اعتقد العقيدة الصحيحة يحتاج الى الحماية , هذه الحماية المعنوية في المسائل العلمية لا بد أن تكون لمعرفة كيفية ردّ الشبهات الواردة على العقيدة السلفية , فإذا قرأ الانسان التدمرية بإذن الله -جل و علا- لا يقف أمامه أيُّ شُبْهَةٍ مِنْ شُبْهَاتِ أَهْلِ البِدْعِ , وَ هِيَ تَعْتَبِرُ مِنَ الكُتُبِ المُنْهَجِيَّةِ المَهْمَّةِ جَدًّا وَ لَا بَدَّ لِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ أَنْ يَدْرُسَهَا دِرَاسَةً مُنْهَجِيَّةً وَ لَا تَكْفِي مَرَّةً وَ لَا مَرَّتَيْنِ وَ لَا ثَلَاثَ , وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْخَ اعْتَنَى بِهَا عَنَاءً كَبِيرَةً فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّقْيِيدِ المُنْهَجِيِّ , وَ هَذَا مَا نَحْتَاجُهُ فِي وَقْتِنَا الحَاضِرِ وَ هُوَ مَا يُعْرِفُ أَوْ مَا يُسَمَّى بِالتَّأْصِيلِ .

كَذَلِكَ كُتِبَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ مِنَ المَهْمِ جَدًّا لِكُلِّ طَالِبِ العِلْمِ أَنْ يَعْتَنِيَ عَنَاءً كَبِيرَةً بِقِرَاءَةِ كُتُبِهِ وَ لَيْسَ ذَلِكَ تَعْصُبًا لِلشَّيْخِ وَ لَكِنْ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ , فَالشَّيْخُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ يَعْتَبِرُ عِلْمَ مَنْ أَعْلَامُ أَهْلِ السَّنَةِ وَ الجَمَاعَةِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ جَاءَ فِي وَقْتٍ وَ فِي عَصْرِ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بَعْضُنَا الحَاضِرِ مِنْ كَثْرَةِ التَّفَرُّقِ وَ الإِبْتِدَاعِ , وَ أَيْضًا فَإِنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ لِلشَّيْخِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي غَيْرِهِ مِنْ حَيْثُ اسْتَيْعَابُهُ لِأَصُولِ أَهْلِ السَّنَةِ وَ التَّصَوُّصِ الشَّرْعِيَّةِ وَ

لكلام الأئمة المتقدمين لأهل السنة و ذلك لأنه جاء في عهد متأخر , حيث أن كثير من العلوم الإسلامية قد أُصِّلت و أُلِّفت فيها المؤلفات و اتَّضحت بالتأصيل في كل العلوم الشرعية .

و الأمر الآخر و هو مُهم جدا أن ابن تيمية استوعب أقوال المخالفين و أقوال الفرق ثم بنى نقده لهذه الأقوال على الأصول الشرعية , و إلا فإننا نجد من بعض المتقدمين من شيعة أو معتزلة أو غيرهم أو حتى من بعض المنتسبين لأهل السنة من نقد المخالفين و لكن لا نجد مثل استيعاب ابن تيمية سواء في استيعاب أقوال المخالفين أو الإستيعاب للأصول الشرعية , و لهذا يُعتبر الشيخ ابن تيمية أهم أعلام أهل السنة و الجماعة و لذلك كُلٌّ من جاء بعده فهو في الحقيقة كان عالمة على الشيخ , فمن أَرَادَ في وقتنا الحاضر أن يفهم حقيقة منهج أهل السنة و الجماعة لابد له من العناية الكبيرة بقراءة كتب شيخ الاسلام ابن تيمية و من بعده ممن تأثر به كتلميذه ابن القيم رحمه -الله تعالى- .

إلا أن الكثير من الطلاب في قراءتهم للرسالة التدمرية يجدون صعوبة في فهم بعض المصطلحات , و هذا لسببين :

الأول: يجب على طالب العلم أن يهتم اهتماما بليغا بما يختاره من الكتب , فإن الإنتقاء سبيلُ الإرتقاء , فمثلاً لا يصح للإنسان أن يبتدأ بشرح كتاب التدمرية و لمّا يقرأ الرسالة الواسطية أو شرحاً للواسطية , لأن ذلك سيصعب عليه و ربما تُسَوَّلُ له شياطين الإنس و الجن ترك طلب العلم و لكن لو أنه مشى بالسلم العلمي فإنه يصل .

و لهذا أحب أن أنبه أنه ينبغي لطالب العلم إذا أَرَادَ أن يقرأ كتب شيخ الإسلام فيفهمها أن يتدرج على النحو الآتي و أنا أتكلّم في الكتب العقديّة , يعني الكتب المؤلفة لشيخ الاسلام ابن تيمية في باب الاعتقاد :

فأول ذلك عليه أن يبتدأ بالواسطية , و الرسالة الواسطية أرسلت إلى واسط و محتوى هذه الرسالة مجملُ اعتقاد أهل السنة و الجماعة ليس فقط في باب الأسماء و الصفات وإنما

مُجْمَلِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَ إِنْ كَانَ فِيهِ تَرْكِيزٌ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وَ كَانَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ هُوَ بَيَانُ وَسْطِيَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْإِعْتِقَادِ ، وَ هُوَ اسْمٌ عَلَى مُسَمًّى ، أُرْسِلَتْ إِلَى وَاسِطٍ وَ سُمِّيَتْ بِالْوَاسِطِيَّةِ وَ هِيَ عَقِيدَةُ لَبَيَانِ الْوَسْطِيَّةِ ، ثُمَّ إِذَا أَتَقَنَّ طَالِبُ الْعِلْمِ هَذَا الْكِتَابَ فَهَمًّا وَ دِرَآيَةً يَنْتَقِلُ إِلَى الْكِتَابِ الْآخِرِ الَّذِي أَلْفَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَ هُوَ "الْحَمَوِيَّةُ" وَ ذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُشْنَشْنُونَ وَ هَذِهِ هِيَ حَالُهُ أَهْلِ الْبِدْعِ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ دَلِيلًا فَيُرِيدُونَ أَنْ يُعَبِّرُوا عَلَى الْحَقِّ بِقِيلٍ وَ قَالَ فَيَقُولُونَ إِنَّ مَا فِي الْوَاسِطِيَّةِ هُوَ كَلَامُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ ، وَ كَذَلِكَ جَاءَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ الْحَمَوِيَّةُ كَاسْمِهَا أَيْضًا مُنَاسِبَةً لِمُسَمَّاها فَإِنَّ مُحْتَوَى الرِّسَالَةِ بَيَانُ أَنَّ الْعَقِيدَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْوَاسِطِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ مَفْهُومٌ مَنْقُولٌ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رِضْوَانُ -الله- عَلَيْهِمْ ، فَفِيهَا الْإِحْتِمَاءُ بِكَلَامِ السَّلَفِ لِلِاسْتِدْلَالِ فِي بَابِ الْإِعْتِقَادِ ، وَ حِمِيَّةٌ لِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي بَابِ الْإِعْتِقَادِ ، وَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَعَصَّبُ لِعَقِيدَةٍ مَبْنِيٍّ عَلَى الْمُنْطِقِ أَوْ الْقِيَاسِ أَوْ الذَّوْقِ أَوْ الْوُجْدِ ، وَ إِنَّمَا يَتَعَصَّبُ لِلْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ الَّتِي نُقِلَتْ عَنْ أَيْمَةِ السَّلَفِ وَ عَلَى رَأْسِهِمُ الصَّحَابَةُ وَ التَّابِعِينَ وَ مَنْ تَبِعَهُمْ حَتَّى الْإِئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَيْمَةِ السُّنَّةِ ، هَذِهِ خِلَاصَةُ تَرْكِيزِ كِتَابِ الْحَمَوِيَّةِ ، إِنَّمَا هِيَ نُقُولَاتٌ عَنْ أَيْمَةِ السَّلَفِ وَ مَوَاقِفُهُمْ فِي بَابِ الْإِعْتِقَادِ ، وَ إِذَا تَرَسَّخَ لَطَالِبُ الْعِلْمِ بِالْإِعْتِقَادِ وَ أَنَّ هَذَا هُوَ مَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ حِينَئِذٍ يَحْتَاجُ إِلَى الْأَمْرِ الثَّالِثِ وَ هُوَ كِتَابُنَا هَذَا "التَّدْمِيرِيَّةُ" ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْتَقِلُ إِلَى كِتَابِ "شرح الأصفهانية" وَ هُوَ الْكِتَابُ الرَّابِعُ وَ يُمكنُ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَ "نقض المنطق" فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ أَيْضًا ، ثُمَّ بَعْدَ "نقض المنطق" يَنْتَقِلُ إِلَى كِتَابِ "منهاج السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ" ، بَعْدَ ذَلِكَ يَنْتَقِلُ إِلَى الْكِتَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَلْفَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الرَّازِي "نقض منهاج التَّأْسِيسِ" يَعْنِي هَذَا كِتَابُ عَظِيمٍ وَ مِنْ أَفْضَلِ طَبْعَاتِهِ الطَّبْعَةُ الَّتِي أُخْرِجَتْ فِي مُجْمَعِ الْمَلِكِ فَهَد ، ثُمَّ يَبْدَأُ بِـ "درء تعارض العقل والنقل" وَ هُوَ الْكِتَابُ السَّابِعُ ، ثُمَّ يَبْدَأُ بِكِتَابِ "الصِّفَادِيَّةِ" فِي كَسْرِ الْأَصُولِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَ أَحْيَرًا "الرَّدُّ عَلَى الْمُنْطِقِيِّينَ" ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْتَقِلُ إِلَى "الجواب الصحيح" .

هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّدْرِجِ فِي الْكُتُبِ الْعَقْدِيَّةِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ -الله- تَعَالَى - ،

أما واقع دراسة الرسالة التدمرية في كليات المملكة العربية السعودية حفظها -الله تعالى- فقد كان طلبة العلم يدرسون التدمرية في المستويات الأولى بكليات الشريعة و لما صُعبت على أبناء هذا الجيل قدّموا شرح الطحاوية و أخرّوا التدمرية الى السنة الرابعة أو إلى المستوى السابع و الثامن في كليات الشريعة و أصول الدين .

و الواقع أنّ هذه العقيدة ليست صعبة لكن لما كان موضوعها في تأسيس الاعتقاد و الرد على المخالفين صارت الصعوبة من هذه الجهة , من جهة الردّ على المخالفين و عسوراتهم الكلامية و اصطلاحاتهم الفلسفية و أيضاً عباراتهم المنطقية , فلهذا استصعبها بعض الناس و إلاّ فهي سهلة .

و مما ينبغي التنبيه إليه حول الكتب المطبوعة في شرح الرسالة التدمرية أن كثير من المعلقين على هذه الرسالة يكون منهجهم سلفي و لله الحمد , و منهم من يُركّز في تعليلاته على تخريج الآيات و الأحاديث و مقارنة النسخ .

و أيضاً توجد بعض الشروح المطبوعة التي تُبعدك عن أصل الرسالة و لذلك يقع كثير من الطلاب في الإشكالات لأنّ الشرح أبعدّه , مثلاً يأتي له عبارة ما ثم يسقطه في كلام الشراح لهذه العبارة , فيبتعد الطالب عن أصل الرسالة التدمرية .

بل و قد تجدّ بعض الشراح من يكون منهجهم كلامي أشعري و يشرح الرسالة التدمرية ! .

بينما المهم لطالب العلم هو أن يستوعب الأصول الاعتقادية في هذه الرسالة و كذلك الإهتمام بالمصطلحات بعيدا عن الاستطراد في الشرح لأمر هي واضحة , و بعد استعاب طالب العلم لهذه الأصول و المصطلحات بإمكانه أن ينتقل الى كتاب فيه شرح موسّع .

و هذا الشرح الذي بين يديك أخي القارئ هو تفرّغ حُرّي لمجالس شرح فيها الشيخ

العلامة محمد أمان الجامي رحمه -الله تعالى- رسالة التدمرية في 44 مجلساً و قد أضفتُ إليه تَفْرِيعاً لمحاضرة منفصلة عن الشرح ألقاها الشيخ في الجامعة الإسلامية عنوانها “المدخل الى التدمرية” و قد جعلتها في أول صفحات التفریع , و هكذا تكونُ مُدَّة جميع هذه الدّروس الصوتية لهذا التّفریع (29 ساعة) .

و قد اتّبع في تفریعی لهذا الشرح كتابة كلّ كلمة يَقولها الشّارح ما لم تُكن خطأ ظاهراً لا شكّ فيه و إلاّ كتبتُ الكلمة على ظاهرها و لو كان فيها خطأ لغوياً سواءً في تشكيل الكلمة أو من حيث سياقها للنّص , و قد أجعلُ على بعض تلك الأخطاء تعليقات منيّ في أسفل الصّفحة أشرح فيها مقصود الشيخ إن كان سبق لسان من الشّارح أو نسيان أو من الخطأ الذي لا يسلم منه إنسان , و ما هذا إلاّ لأجل المحافظة على الأمانة العلمية في التّفریع , و رغم كلّ هذا تبقى مسألة قراءة التّفریعات بحاجة لطلاب علم لديهم على الأقل مبادئ في ذلك العلم الذي يهتمُّ به موضوع التّفریع , و إلاّ فلا بُدّ لطالب العلم المبتدئ من الرّجوع إلى سماع الدّروس الصوتية مع الاستعانة في نفس الوقت بالتّفریع و هذا سيكون له سبباً في سرعة الفهم أكثر و أفضل من سماع الدّروس الصوتية فقط خاصة إذا قام بطباعة هذا التّفریع على الورق , مع العلم أنّ هذا التّفریع لا يُعني عن الشّرح الصوتي الأصل .

و ممّا أنصح به القارئ أن تكون قراءته لهذا الكتاب قراءةً لتفریع و ليست قراءةً لكتاب مطبوعي اعتنى به مؤلّفه في ترتيب الأفكار و تعاون فيه محققون لُغويين بدار النّشر , و من كانت له خبرة بالتّفریع سيُدرِك قَصْدِي .

و اعلم أخي طالب العلم أنّ للشيخ الجامي رحمه -الله تعالى- سلسلة أخرى يشرح فيها الرّسالة التدمرية في (32 مجلساً) , و قد قام بتفریع تلك السلسلة حسب علمي فريق من طلاب العلم ممّن يُشرفون على موقعه الإلكتروني¹ .

و لكي نَعْم الفائدة فإنّي قد قمتُ بجمع صفحات ذلك التّفریع و تحويله إلى ملفٍ واحد

¹ رابط الموقع : <http://www.eljame.com/mktba/play.php?catsmktba=155>

بصيغة PDF ثم جعلته متوفرًا للتحميل على نفس الصفحة الرسمية لهذا الكتاب على مدونة منتدي زدني العلمية , كما أشكر بهذه المناسبة الأخ "أحمد المساوي" المشرّف العام على منتدي زدني العلمية لقبوله نشر هذا الكتاب على المنتدي .

و أخيراً أسأل الله -سبحانه و تعالى- بأسمائه الحسنى أن يُعينني على نفسي و أن يغفر لي ذنبي و تقصيري و جهلي , و أن يرزقني طاعته و تقواه , و أن يجعل هذا الكتاب سبباً في عتق رقبتي من النار يوم ألقاه , و أن يغفر لي و لوالديّ و أهلي و أن يجزي خير الجزاء كل من نشر هذا الكتاب أو أعان على قراءته بتأليفه و تهذيبه دون التعرض بالتفريط أو التحريف للفوائد العلمية بهذا الشرح , و آخرُ دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

و كتبه أخوكم :

أبو عبدالله العربي الجزائري

دولة الجزائر حفظها -الله تعالى-

في الجمعة 30 شعبان سنة 1438 هـ الموافق لـ 26 ماي 2017

للتواصل :

بريدي الإلكتروني : jamal14372016@gmail.com

صفحتي على الفايسبوك : www.facebook.com/escfobbb

مدخل إلى التدمرية

بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله رب العالمين الصلوة والسلام على نبينا محمد و
صحبهِ أجمعين , أما بعد , السلام عليكم ورحمة الله وبركاته , مكتبة الإبانة السمعية بجدة
تُقدِّمُ لَكُمْ "المدخل إلى التدمرية" أو "أصنافُ النَّاسِ حَوْلَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ" , مُحَاضَرَةٌ
أَلْفَاها بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَضِيلَةُ شَيْخِنَا الْعَلَامَةِ مُحَمَّدٍ أَمَانَ بْنِ عَلِي الْجَامِي الْمَدْرَسُ وَالْمَوْجَّه
بِالْحَرَمِ النَّبَوِيِّ , وَ بِمُوجِبِ فَهْرِست مَكْتَبَةِ الْإِبَانَةِ السَّمْعِيَّةِ بِجَدَّة فَإِنَّ رَقْمَ هَذَا الشَّرِيطِ هُوَ
2868/م46 وَ نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا الْإِعَانَةَ فِيمَا تَوَخَّيْنَا مِنَ الْإِبَانَةِ . أَمَّا الْآنَ فَتَتَرَكُكُمْ مَعَ مَادَّةِ
هَذَا الشَّرِيطِ .¹

الشيخ: ²أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن نبينا محمدا عبده و
رسوله صل -الله- عليه و على آله و صحبه و سلم تسليمًا كثيرًا و بعد , مُحَاضَرَةُ الْيَوْمِ
الْمَقْرُوضُ تَكُونُ لِفضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان رئيس بالدراسات العليا إلا أنه غاب و أَنَابَنِي
عَنْ نَفْسِهِ.³ وَ أَنَا حَضَرْتُ نِيَابَةً عَنِ الشَّيْخِ , , لست أدري هل أنتم مِنْ هَذِهِ
الْمَحَاضَرَةِ الْعَصْرِيَّةِ أَوْ غَيْرَ , عِنْدِي شَكٌّ وَ تَرَدُّدٌ فِي ذَلِكَ , وَ أَرْجُوا أَنْ أَجِدَ بَعْدَ نَهَايَةِ
الْمَحَاضَرَةِ بَعْضَ الْإِسْئَلَةِ عَلَى أَنَّكُمْ اسْتَفَدْتُمْ أَوْ أَنَّكُمْ تُحَاوِلُونَ أَوْ عَلَى الْأَقْلِ لِتُعْبَرُوا عَمَّا
لَدَيْكُمْ. أَسْئَلُهُ تَعَبَّرَ عَمَّا لَدَيْكُمْ حَوْلَ هَذِهِ الْمَحَاضَرَةِ , وَ إِذَا ضَاقَ الْوَقْتُ وَ لَمْ أَتِمَّكُمْ مِنَ
الْإِجَابَةِ عَلَى أَسْئَلَتِكُمْ فِي هَذِهِ الْمَحَاضَرَةِ فَسَوْفَ أَحَاوِلُ الْإِجَابَةَ عَلَيْهَا فِي الْمَحَاضَرَةِ الْقَادِمَةِ.
لأنَّهَا عِنْدِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ مِثْلَ هَذَا الْوَقْتِ .

¹ مقدمة مؤسسة انتاج الشريط

² عبارة (الشيخ:) التي غالبًا ما تكون في بداية السطر أقصد بها الشيخ محمد أمان الجامي رحمه -الله تعالى- .

³ علامة التَّقْطَعِ " . غالبًا ما تكون بَعْدَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ فِيهَا الشَّيْخُ عَنِ الْكَلَامِ لِأَمْرِ مَا أَثْنَاءَ الشَّرْحِ الصَّوْتِي , فَتَنْبَه ! .

هذه مُقدِّمة , وَ أَنَّ وَ كُنَّا بَدَأْنَا نَتَكَلَّمُ عَلَى الْأَصْلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ اللَّذَيْنِ أَصْلَهُمَا شيخ الإسلام في الرسالة التدمرية التي مَنْ فَهَمَهُمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْهَمَ أَيْنَ الْحَقُّ فِي هَذَا الْبَابِ , فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ . حَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ وَ يَتَصَوَّرَ أَقْسَامَ النَّاسِ لِهَذَا الْبَابِ الَّذِي كَانَ الْمَقْرُوضُ أَلَّا يَكُونَ فِيهِ إِلَّا الْقِسْمُ الْوَاحِدُ وَ لَكِنَّ الْمُقَدَّرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّ هَذِهِ النَّاسُ . أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا بُدَّ أَنْ تَفْتَرِقَ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ . وَ الْإِفْتِرَاقُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ هَذَا الْإِفْتِرَاقُ هُوَ هَذَا الْإِفْتِرَاقُ الَّذِي فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ , لِمَا يَعْتَقِدُ الْمُسْلِمُ نَحْوَ رَبِّهِ . أَمَّا الْإِخْتِلَافُ بِالْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ الْفَرَعِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَطْرُحُ الْاجْتِهَادِ . إِخْتِلَافُ طُلَّابِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ بِإِخْتِلَافِ جِهَاتِ النَّظَرِ وَ الْإِخْتِلَافِ فِي كَيْفِيَّةِ الْاسْتِدْلَالِ بِالْأَدِلَّةِ أَوْ عَدَمِ بُلُوغِ الْأَدِلَّةِ وَ عَدَمِ صِحَّةِ الْأَدِلَّةِ . إِخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يُعَدُّ مِنَ الْإِخْتِلَافِ فِي الدِّينِ , الْإِخْتِلَافُ الْمَذْمُومُ هُوَ الْإِخْتِلَافُ فِي الْعَقِيدَةِ , لِذَلِكَ النَّوعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ الَّذِي هُوَ الْإِخْتِلَافُ فِي الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ وَقَعَ حَتَّى بَيْنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا . إِخْتَلَفُوا مُجْتَهِدِينَ , وَ لَكِنَّ مِمَّا صَانَ اللَّهُ بِهِ عَقِيدَةَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَخْصُلْ قَطُّ إِخْتِلَافٌ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ وَ عُلَمَاءِ تَابِعِي التَّابِعِينَ فِي هَذَا الْبَابِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ إِلَّا مَا شَدَّ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ . بَعْدَ أَنْ ظَهَرَتْ الْفِتْنُ وَ دَخَلَ عِلْمُ الْكَلَامِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ وَ أَفْسَدَ عَلَى النَّاسِ عَقِيدَتَهُمْ . وَ عَاشَتِ النَّاسُ قُرُونًا وَ هُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَوْقِعَ الْحَقِّ لِأَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ الَّتِي نَدْرُسُهَا وَ نُحَاوِلُ الدِّفَاعَ عَنْهَا وَ أَلَفَ فِيهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ كُتُبًا دِفَاعِيَّةً . هَذِهِ الْعَقِيدَةُ أَصَابَتْهَا الْعُرْبَةُ . الْعُرْبَةُ الشَّدِيدَةُ الَّتِي لَا مَثِيلَ لَهَا فِي عَصْرِ الْعَبَّاسِيِّينَ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ عِلْمُ الْكَلَامِ وَ وَجَدَتْ لِلْكَلامِ دَوْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ يُعَدُّونَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ كَالْمَأْمُونِ وَ الْمُعْتَصِمِ وَ الْوَائِقِ بِاللَّهِ , لِذَلِكَ لَا تَسْتَغْرِبُ إِذَا انْتَشَرَتْ الْعَقِيدَةُ عَلَى طَرِيقَةِ الْخُلَفَاءِ لَا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ بَيْنَ الْعَالَمِ لِأَنَّ أَتْبَاعَ السَّلَفِ اضْطَهُدُوا جَدًّا فِي تِلْكَ الْحَقْبَةِ مِنَ الزَّمَنِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَيَّدَ -الله- لِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ مِنْ يُجَدِّدُهَا مِنْ وَقْتٍ لآخر وَ هَذَا الْوَقْتُ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ . الَّذِي أَنْتُمْ تَدْرُسُونَ فِيهِ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَ سَتَخْرَجُونَ فِي هَذِهِ الْجَامِعَةِ لَتَنْتَشِرُوا فِي الْعَالَمِ بِنَشْرِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ بِحَمْدِ اللَّهِ . وَقْتُ مِنْ أَرْهَى

عُصُورِ التَّجْدِيدِ فِي عَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ ، لِأَنَّ زُمَلَاءَكُمْ مِنَ الَّذِينَ تَخَرَّجُوا فِي هَذِهِ الْجَامِعَةِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْكُلِّيَّاتِ رَجَعُوا إِلَى أَوْطَانِهِمْ وَ أَنْشَأُوا مَدَارِسَ سَلَفِيَّةٍ وَ انْتَشَرَ الْمُنْهَجُ السَّلَفِيُّ فِي الْعَقِيدَةِ وَ السُّنَّةِ فِي الْعَالَمِ بِحَمْدِ اللَّهِ ، بِدُونِ جَعَجَعَةٍ وَ دُونَ أَنْ يُسْمَعَ لَهُمْ صَوْتُ ، الْأَصْوَاتِ وَ الدَّعَايَةِ لِغَيْرِنَا وَ لَكِنَّ الْعَمَلَ لَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ ، أَقُولُ هَذَا تَعْبِيرًا عَنِ الْوَاقِعِ لَا تَفَاؤُلًا وَ لَا دِعَايَةً لِذَلِكَ أَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ: أَوَّلًا عَنْ تَحْقِيقِهَا وَ غَرْبَلَتِهَا وَ عَنْ فَهْمِهَا فَهَمًّا صَحِيحًا ثُمَّ التَّمَسُّكِ بِهَا وَ الدَّعْوَةَ إِلَيْهَا ،

لِنَعُودَ إِلَى الْمُنْهَجِ: فِي مَا سَبَقَ تَحَدَّثْنَا عَنِ الْأَصْلِيِّ ، قُلْتُ مَنْ فَهِمَ الْأَصْلِيَّ ثُمَّ الْمَثَلِيَّ بَعْدَ الْأَصْلِيِّ سَهَّلَ عَلَيْهِ تَصَوُّرَ الْحَقِيقَةِ وَ الْحَقُّ أَيْنَ كَانَ وَ كَيْفَ ضَلَّ مَنْ ضَلَّ وَ عَرَفَ شُبُهَةَ الَّذِينَ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ وَ أَنَّ الَّذِينَ ضَلُّوا فِي الْعَالِبِ الْكَثِيرُ لَمْ يَتَعَمَّدُوا الضَّلَالَةَ وَ لَمْ يَتَعَمَّدُوا الْإِلْحَادَ وَ لَكِنْ بِقَصْدٍ حَسَنٍ ، بِنِيَّةِ التَّنْزِيهِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَخْطَأُوا طَرِيقَ التَّنْزِيهِ ، لِذَلِكَ هَذِهِ الْأَمْثَالُ فِي الْمَثَلِ الْأَوَّلِ.

الشيخ مناقشًا الطلاب : لا أدري في الكتاب مُرَّتَبَ كَمَا أَقُولُ الْآنَ أَمْ لَا ؟.

المَثَلُ الْأَوَّلُ عِنْدَمَا نَرَى قَوْمًا مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ يُؤْمِنُونَ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ وَ يُشَبِّتُونَ حَقِيقَةَ اللَّهِ وَ يُشَبِّتُونَ أَنَّهُ قَدِيمٌ وَ يُشَبِّتُونَ أَنَّهُ حَيٌّ لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ بِدَعْوَى أَنَّ إِبْتِاتِ الصِّفَاتِ يَتَعَارَضُ مَعَ التَّنْزِيهِ عَنِ التَّعَدُّدِ لِأَنَّ اللَّهَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا ، إِذَا أُثْبِتْنَا لَهُ الصِّفَاتِ عَلَى أَسَاسٍ أَنَّ الصِّفَاتِ هَذِهِ قَدِيمَةٌ أَثْبِتْنَا قُدَمَاءَ ، وَ إِنْ أُثْبِتْنَا هَا عَلَى أَسَاسٍ أَنَّهَا حَدِيثَةٌ جَعَلْنَا اللَّهَ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ ! ، هَذِهِ شُبُهَتُهُمْ ، شُبُهَةُ الْمُعْتَزَلَةِ وَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ عُلُوًّا مِنَ الْجَهْمِيَّةِ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ ، نَاقَشَ الشَّيْخُ هَذِهِ النُّقْطَةَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ كَالْكَلَامِ فِي الذَّاتِ - فَطَالَمَا تُؤْمِنُونَ بِالذَّاتِ يَلْزَمُكُمْ عَقْلًا أَنْ تُؤْمِنُوا بِالصِّفَاتِ عَلَى غِرَارِ إِيْمَانِكُمْ بِالذَّاتِ ، هَذَا بِالْإِخْتِصَارِ لِأَنَّ سَبَقَ أَنْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذِهِ النُّقْطَةِ .

أَمَّا الْأَصْلُ الثَّانِي بَحْدَ كَمَا هُوَ وَاقِعًا بَلِ الْكَثِيرُ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ تَدَّعِي

أَنَّهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ هُمْ الْأَشَاعِرَةُ وَ الْمَاتَرِيدِيَّةُ . يُؤْمِنَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى كَمَا يَلِيْقُ بِدُونِ تَشْبِيهِ وَ يُؤْمِنَانِ بِالصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ كَمَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- بِدُونِ تَشْبِيهِ أَوْ تَعْطِيلٍ وَ مَعَ ذَلِكَ زَعَمُوا أَنَّ مِنَ التَّنْزِيهِ أَلَّا يُوصَفَ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- إِلَّا بِالصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ هِيَ صِفَاتٌ دَاتِيَّةٌ أَمَّا الصِّفَاتُ الْحَرَكِيَّةُ سَوَاءٌ كَانَتْ دَاتِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً فَلَا تَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- , وَ الشَّيْخُ فِي مُنَاقَشَتِهِ لِهَذِهِ النُّقْطَةَ يَقُولُ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مُتِمَّاثَيْنِ تَنَافُضٌ إِذْ مَا ثَبَتَ لِأَحَدٍ الْمُثَلِّينِ ثَبَتَ لِالْآخَرِ. إِذَا آمَنْتُمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْحِكْمَةِ وَ الْعِزَّةِ وَ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِحَيْثُ وَ يَنْزِلُ وَ اسْتَوَى وَ قَدْ أَثْبَتُمْ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ كَالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْإِرَادَةِ وَ الْقُدْرَةِ , التَّفْرِيقُ بَيْنَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي جَمَعَهَا اللَّهُ -سبحانه و تعالى- فِي كِتَابِهِ أَوْ وَصَفَهُ بِهَا الْمَادُّونَ الَّذِي أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- بَلْ أَمَرَهُ أَنْ يُبَيِّنَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ وَ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ. هَذَا التَّفْرِيقُ انْتَقَظَ عَقْلًا لَا شَرْعًا فَقَطْ , أَمَّا شَرْعًا فَحَرَامٌ وَ أَمَّا عَقْلًا فَمُتَنَقِضٌ , فَزَعَمَتِ الْأَشْعَرِيَّةُ قَالُوا أَمَّا الصِّفَاتُ الَّتِي أَثْبَتْنَاهَا لَأَنَّا بَحَدُ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَحْدُثُ مِنْ وَفْتٍ لِآخَرٍ وَ هَذِهِ الْأَفْعَالُ الْحَدِيثَةُ الَّتِي تَتَجَدَّدُ مِنْ وَفْتٍ لِآخَرٍ تَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ فَبِذَلِكَ أَثْبَتْنَا الْقُدْرَةَ , إِنْتَهَى هَذِهِ النُّقْطَةَ وَ هِيَ مُهِمَّةٌ وَ جَلِيلَةٌ لَمْ أَعْرِضْ لَهَا قَبْلَ الْيَوْمِ وَ هِيَ مَوْجُودَةٌ عِنْدَكُمْ بِالْمَعْنَى فِي الْكِتَابِ , أَنَا أَقُولُهَا بِالْمَعْنَى لَا بِاللَّفْظِ كَمَا عِنْدَكُمْ بِالْكِتَابِ وَ هِيَ مُهِمَّةٌ - فَهَمُّهَا يُفِيدُكُمْ جِدًّا: يَقُولُونَ نُثَبِّتُ صِفَةَ الْقُدْرَةِ مَثَلًا لِلِاسْتِدْلَالِ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي تَتَجَدَّدُ لِإِحْيَاءِ وَ إِمَاتَةٍ وَ رَفْعٍ وَ خَفْظٍ وَ غَيْرِ ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا يَدُلُّ -هَذِهِ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَتَجَدَّدُ وَ هِيَ مُخْتَلِفَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ إِذَا نُثَبِّتُ صِفَةَ الْقُدْرَةِ بِهَذِهِ الْأَفْعَالِ , قَضِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ عِنْدَ السَّلَفِ وَ الْخَلَفِ , ثُمَّ التَّخْصِيصُ - التَّخْصِيصُ بِمَعْنَى يَعْنِي هَذَا عَالِمًا وَ ذَاكَ جَاهِلًا وَ جَعَلَ هَذَا مُوَفَّقًا وَ ذَاكَ غَيْرَ مُوَفَّقٍ وَ جَعَلَ هَذَا غَنِيًّا وَ ذَاكَ فَقِيرًا , هَذِهِ التَّخْصِيصَاتُ تَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ , نَقِفْ عِنْدَمَا قَالُوا "وَ إِلَّا هِيَ تَدُلُّ عَلَى أَكْثَرِ مِنَ الْإِرَادَةِ". هُمْ قَالُوا نَسْتَدِلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ بِالتَّخْصِيصِ . وَ بِالْعِبَارَةِ ثُمَّ رَاجِعِ الْكِتَابَ , نَسْتَدِلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ بِالتَّخْصِيصِ , لَا يُخَصِّصُ هَذَا التَّخْصِيصُ إِلَّا مَنْ لَهُ إِرَادَةٌ -قَضِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ- , ثُمَّ الْإِتْقَانُ وَ الْإِحْكَامُ.

الشيخ مناقشاً الطالب : رُبَّمَا تَقْرَؤُوا فِي النُّسخة "الأحكام حسب المطبعة . هي
"إحكام" ليس بأحكام .

وَ الإِحْكَامُ بِمَعْنَى الإِتِّقَانِ , وَ هَذَا الإِحْكَامُ الْبَدِيعُ فِي هَذَا الْكَوْنِ وَ هَذَا الإِتِّقَانُ الَّذِي
نُشَاهِدُهُ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ يَدُلُّ عَلَى مَا؟ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ , فِي حَدِّ فَهْمِهِمْ . فِي حُدُودِ فَهْمِهِمْ
يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ فَقَطْ وَ إِلَّا هُوَ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ وَ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ , هُمْ لَا
يُثَبِّتُونَ الْحِكْمَةَ ! , الْمَشْكِالَةُ : الإِشَاعِرَةُ لَا يُثَبِّتُونَ الْحِكْمَةَ لِأَفْعَالِ الرَّبِّ . يَقُولُونَ أَفْعَالُ اللَّهِ لَا
تُعَلَّلُ , سَمُوا الْحِكْمَةَ عِلَّةً ثُمَّ نَفَوْهَا ! , قَالَرُبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- حَكِيمٌ . مِنْ أَسْمَائِهِ أَنَّهُ
حَكِيمٌ , حَكِيمٌ فِي خَلْقِهِ , حَكِيمٌ فِي صُنْعِهِ , حَكِيمٌ فِي تَشْرِيعَاتِهِ , فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي كُلِّ
أَفْعَالِهِ فَهُوَ حَكِيمٌ , كَانَ الْمَقْرُوضُ أَنْ يَقُولُوا لَوْ وَفَّقُوا . وَ هَذَا إِذَا كَانَ هُوَ الإِتِّقَانُ يَدُلُّ عَلَى
الْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ مَعًا إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا عَلَى الْعِلْمِ , فَلْيَكُنْ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ , أَثَبَّتُوا بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ
الْعَقْلِيَّةِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَ : الْقُدْرَةُ وَ الْإِرَادَةُ وَ الْعِلْمُ , قَالُوا إِنَّ الْمُوصُوفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ
لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَيًّا فَأَثَبْتُوا صِفَةَ الْحَيَاةِ , وَ الْحَيُّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا فَأَثَبْتُوا
هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا بِهَذَا الْأَسْلُوبِ ! أَسْلُوبٌ فِيهِ تَكَلُّفٌ وَ تَعَبٌ , أَسْلُوبُ الْقُرْآنِ أَسْهَلُ مِنْ
هَذَا بِكَثِيرٍ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) أَثَبَّتُوا الصِّفَاتِ الَّتِي أَثَبَّتَهَا لِنَفْسِهِ كُلَّهَا
دُونَ أَنْ تُفَرَّقَ بَيْنَ الصِّفَاتِ الدَّائِيَّةِ أَوْ الْفِعْلِيَّةِ أَوْ الصِّفَاتِ الْحَبْرِيَّةِ أَوْ الْعَقْلِيَّةِ أَثَبَّتَهَا فِي ضَوْءِ
قَوْلِهِ -تَعَالَى- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) , (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) تَنْزِيهِ , لَيْسَ
هُنَاكَ تَنْزِيهِ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا التَّنْزِيهِ , تَنْزِيهِ تَضَمَّنَ الْإِثْبَاتَ حَيْثُ يَقُولُ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ
تَعَالَى- (وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) , هَكَذَا تَقُولُ الْأَشَاعِرَةُ- بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَثَبَّتْنَا الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ
أَمَّا الصِّفَاتِ فَلَا نُثَبِّتُهَا غَيْرَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ لِأَنَّا لَا نَجِدُ دَلِيلًا عَقْلِيًّا يُثَبِّتُ , يُقَالُ هُمْ
فِي الْمُنَاقَشَةِ: هَبْ إِنَّكُمْ لَمْ تَجِدُوا دَلِيلًا عَقْلِيًّا يُثَبِّتُ وَ هَلْ عَدَمَ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ الْمَعِينِ الَّذِي
يُعِينُ الصِّفَةَ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الصِّفَاتِ الْمَعِينَةِ؟ عَقْلًا لَا , عَدَمُ الدَّلِيلِ . لِمُجَرَّدِ عَدَمِ الدَّلِيلِ فِي

زَعَمَكُمْ تَنْفُوا صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ! لَا , بَلْ أَنْتُمْ تُطَالِبُونَ بِدَلِيلِ النَّفْيِ - كَمَا أَنَّ الْمُثَبِّتَ يُطَالِبُ بِدَلِيلِ الْإِتْبَاتِ كَذَلِكَ النَّافِي لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ دَلِيلٌ لِلنَّفْيِ , أَمَا بِدَعْوَى أَنَّنَا لَمْ نَجِدْ دَلِيلًا عَقْلِيًّا نُثَبِّتُ بِهِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ وَ لِدَلِيلِكَ نَنْفِيهَا - قَضِيَّةٌ غَيْرُ مُسَلِّمَةٍ عَقْلِيًّا - , لِأَنَّ النَّافِيَّ كَالْمُثَبِّتِ , كَمَا أَنَّكَ إِذَا أَثَبَّتَ صِفَةً مِنَ الصِّفَاتِ وَ قُلْتَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - دُوَ حِكْمَةٍ وَ عِزَّةٍ تُطَالِبُ بِدَلِيلٍ , لِأَنَّكَ أَثَبَّتَ , لَكِنْ لَوْ قَالَ مُدَّعِي إِيَّيَّيْ لَا أَثَبَّتَ الْمَحَبَّةَ لِأَنِّي لَا أَجِدُ دَلِيلًا عَقْلِيًّا يُثَبِّتُ لِلَّهِ الْمَحَبَّةَ - مَثَلًا , نَقُولُ لَهُ أَفَرَضَ أَنَّكَ لَمْ تَجِدْ دَلِيلًا يُثَبِّتُ هَذِهِ الصِّفَةَ الْمَعْيَنَةَ دَلِيلًا خَاصًّا تُثَبِّتُ بِهِ هَذِهِ الصِّفَةَ الْمَعْيَنَةَ وَ هَلْ لَدَيْكَ دَلِيلٌ لِلنَّفْيِ ؟ الْجَوَابُ : لَا , لَيْسَ لَدَيْهِ دَلِيلٌ , إِذَا الْمُقَدِّمَةُ غَيْرُ مُسَلِّمَةٍ وَ النَّتِيجَةُ مِنْ بَابِ أَوَّلَى , فَنَقُولُ لَهُ : كُلُّ مَنْ نَفَى شَيْئًا فَهُوَ مُطَالِبٌ بِالْأَدْلَى كَالَّذِي قَالَهُ بِهِ مَنْ يُثَبِّتُ شَيْئًا , هَذَا عِنْدَ مَنْ يَتَصَوَّرُ وَ يَفْهَمُ وَ لَهُ إِمَامٌ يَعْلَمُ الْكَلَامَ يَقْتَنِعُ بِهَذَا تَمَامًا , هَذَا جَوَابٌ أَوْ أَحَدُ الْجَوَابَيْنِ لِأَنَّ الشَّيْخَ عِنْدَكُمْ يَقُولُ : يُجَابُونَ مِنْ وَجْهَيْنِ , هَذَا الْوَجْهُ الْأَوَّلُ .

الوجه الثاني نقول له نستطيع أن نثبت هذه الصفات بمثل ما أثبتتم به الصفات العقلية مثلاً المحبة و الرحمة و البغض و الكراهة , هذه الصفات التي أولوها كلها بالإرادة يعني عند الأشاعرة بمعنى أن الله يحب أوليائه أي يريد إكرامه و إنعامه , و يكره أعداءه أي يريد انتقامه , الكراهة و البغض و المحبة , كل هذه الصفات أولوها بصفة واحدة و هي صفة الإرادة , فصفتها الإرادة في زعمهم في زعمهم إنما أثبتوها بدليل عقلي فلم يستندوا إلى الدليل النقلي لذلك ليس لديهم تفسير الإرادة , فتفسير الإرادة أمر ضروري أيها الشباب , معرفة تفسير الإرادة إلى إرادة كونية بمعنى المشيئة العامة و إرادة شرعية بمعنى المحبة و الرضى , من لم يقطع لهذا التفریق يتخبط إما ينفي ما أثبت الله أو يثبت ما نفى الله , أو دائماً يجده مرتبك متناقض , و الأشاعرة لم يلتفتوا إلى هذا التفسير و هو أمر مهم .

المهم فنحن نقول لهم في إمكاننا أن نثبت المحبة بالدليل العقلي كما أثبتتم أنتم الإرادة بالدليل العقلي , ذلك أن إنعام الله على أوليائه و إكرامه إياهم في الدنيا و الآخرة و قد يظهر لهم أحياناً كرامات خارقات للعادة دليل على محبة الله إياهم - أن الله يحبهم - هذا

الإِنْعَامَ وَ الإِحْسَانَ وَ هَذَا الإِكْرَامَ دَلِيلُ الْمَحَبَّةِ , إِذَا ثَبَتَ عِنْدَنَا دَلِيلٌ شَرْعِي -دَلِيلٌ سَمْعِي أَثْبَتَ الْمَحَبَّةَ - , إِذْ الطَّرِيقَةُ الْجَدَلِيَّةُ فِي النُّقْطَةِ الْأُولَى قُلْنَا إِنَّكُمْ لَمْ تَجِدُوا دَلِيلًا لِإثْبَاتِ الْمَحَبَّةِ وَ لَكِنَّكُمْ لَا تَمْلِكُونَ دَلِيلًا لِنَفْيِ الْمَحَبَّةِ وَ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ نَحْنُ عِنْدَنَا دَلِيلٌ شَرْعِي , فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الْوَجْهِ الثَّانِي لِلجَوَابِ اجْتَمَعَ لَدَيْنَا دَلِيلَانِ إِيْنَانِ , الدَّلِيلُ السَّمْعِي (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ) وَ الدَّلِيلُ الْعَقْلِي لِأَنَّ الْعَقْلَ دَلٌّ عَلَى أَنَّ إِكْرَامَ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ وَ إِنْْعَامَهُ عَلَيْهِمْ وَ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَوْلِيَائِهِ , اجْتَمَعَ لَدَيْنَا الدَّلِيلُ الْعَقْلِي وَ الدَّلِيلُ النَّقْلِي فِي صِفَةِ الْمَحَبَّةِ , الدَّلِيلُ الْعَقْلِي الَّذِي عَجَزَتْ عَنْهُ عُقُولُ الْأَشَاعِرَةِ , أَمَّا عُقُولُ السَّالِفِينَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُثَبِّتَ صِفَةَ الْمَحَبَّةِ بِالدَّلِيلِ الْعَقْلِي وَ النَّقْلِي مَعًا , هَذَا مَا يُحَاوِلُهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللهُ تَعَالَى- فِي التَّدْمِيرَةِ , بِمَا أَنَّنَا أَوَّلًا لَا نُسَلِّمُ لَهُمُ النَّفْيَ بِمُجَرَّدِ عَدَمِ الدَّلِيلِ -هَذِهِ أَوَّلًا- وَ ثَانِيًا: مُحَاوَلَةً لِثَبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِالدَّلِيلِ الْعَقْلِي كَمَا هِيَ ثَابِتَةٌ بِالدَّلِيلِ النَّقْلِي , بِهَذَا يُصْبِحُ لَدَيْنَا الدَّلِيلُ الْعَقْلِي وَ النَّقْلِي مَعًا لِإثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَ قِسْ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُهَا مِنْ الصِّفَاتِ , كَمَا أَنَّ تَعْذِيبُ اللَّهِ لِأَعْدَائِهِ أَحْيَانًا فِي الدُّنْيَا عَلَى أَيْدِي أَوْلِيَائِهِ كَأَن يَنْصُرَ أَوْلِيَائُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فَيَقْتُلُوهُمْ فَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ وَ تَعْذِيبُهُ إِيَّاهُمْ كَمَا أَخْبَرَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَ خُصُوصًا مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ عَلَى الْكُفْرِ لِيَبْقَى فِي السَّجْنِ الْمُؤَبَّدِ بِلَا نِهَايَةٍ دَلِيلٌ عَلَى الْكَرَاهَةِ -عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُهُمْ وَ يُبْغِضُهُمْ وَ هُوَ غَضْبَانٌ عَلَيْهِمْ- إِذْ لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ أَبَدًا أَنْ يُعَامِلَهُمْ بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ وَ هُوَ لَا يَكْرَهُهُمْ , إِذَا هُوَ يَكْرَهُهُمْ لِذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ لِتَصِفَ صِفَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ "مُحَمَّدٌ فَرَّقَ النَّاسَ" , هَذِهِ النُّقْطَةُ مُهِمَّةٌ -كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُحَاوِلُونَ- يَقُولُونَ الدِّينَ الْإِسْلَامِي يَجْمَعُ لَا يُفَرِّقُ ! هَذَا غَلَطٌ مَفْهُومٌ خَاطِئٌ , جَاءَ مُحَمَّدٌ لِيُفَرِّقَ النَّاسَ , كَلَامٌ صَعْبٌ لَمَّا تَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ , وَ الْإِسْلَامُ جَاءَ لِيُفَرِّقَ النَّاسَ -إِسْتَصْعَبُوا أَوْ لَمْ تَسْتَصْعَبُوا هَذَا الْوَاقِعَ- , فَرَّقَهُمْ إِلَى أَوْلِيَائِ اللَّهِ وَ أَوْلِيَائِ الشَّيْطَانِ , فَرَّقَهُمْ إِلَى حِزْبِ اللَّهِ وَ حِزْبِ الشَّيْطَانِ , إِنَّهُ مَوْجُودٌ بِالْقُرْآنِ أَوْ غَيْرِ مَوْجُودٌ؟ مُحَمَّدٌ فَرَّقَ النَّاسَ -يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ هَكَذَا- وَ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ. إِرَادَةُ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةُ -هُنَا لِنَفْهَمُوا مَعْنَى الْإِرَادَةِ- هَكَذَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَ فِي فَضَائِهِ وَ قَدَرِهِ وَ أَرَادَ اللَّهُ كَوْنًا أَنْ تَفَرَّقَ النَّاسُ بِبِعْتَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ

السلام "كُلُّكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى , قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ مَنْ يَأْبَى؟ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي
 دَخَلَ الْجَنَّةَ وَ مَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى " , إِفْتَرَفُوا أَمْ لَمْ يَفْتَرَفُوا؟ إِفْتَرَفُوا , وَ هَكَذَا هِيَ سُنَّةُ دَائِمَةٍ
 وَ بَاقِيَةٍ وَ زُبْمَا بَلِ الْوَاقِعُ أَنَّ غَيْرَ الشَّاكِرِينَ وَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ أَسَّسُوا لَهُمْ أَحْيَانًا دَوْلَةً وَ دَوْلَةً
 دَوْلَةً وَ يُضْطَهَدُوا الْمُتَمَسِّكُونَ حَتَّى وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ "بِالطَّائِفَةِ" (لَا تَزَالُ
 طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورَةٌ عَلَى الْحَقِّ) "طَائِفَةٌ" دَلِيلٌ عَلَى الْقَلَّةِ "قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ" قَلِيلٌ
 , وَ نَحْنُ كُلُّ الْوَحْدِ نَحْوُلُ - الْقَلَّةُ هَذِهِ قَلَّةٌ نَسَبِيَّةٌ - قَلَّةٌ نَسَبِيَّةٌ بِالنَّسَبَةِ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ
 النَّاسِ بِمَا فِيهِمُ الْكُفَّارُ وَ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَ مَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ , إِذَا كَانَ الْأَمْرُ لِمَادَا الْعَمَلِ وَ
 هَذَا الْكَدِّ؟ وَ هَذَا الْعَمَلُ لِنَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَ نَحْوُلُ أَنْ يُبْقِيَنَا رَبُّنَا فِي الطَّائِفَةِ النَّاجِيَةِ فِي الْفِرْقَةِ
 النَّاجِيَةِ ثُمَّ نَحْوُلُ أَنْ نَدْعُو غَيْرَنَا إِلَى هَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ , هَذَا هُوَ الْعَمَلُ كُلُّهُ , لَيْسَ هُنَاكَ
 شَيْءٌ آخَرَ , أَمَّا مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا عَلَى هُدًى - عَلَى إِيْمَانِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ
 رَضِيَ - اللَّهُ - عَنْهُ وَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ جَمِيعًا . لَا يَحْصُلُ هُنَاكَ إِفْتِرَاقٌ أَوْ طَوَائِفٌ أَوْ
 جَمَاعَاتٌ - يُحَاوِلُ الْمُسْتَحِيلُ - , يُحَاوِلُ يُحَاوِلُ هَذَا يُحَاوِلُ أَنْ يُعَيِّرَ سُنَّةَ اللَّهِ وَ لَنْ تَتَعَيَّرَ (وَ لَنْ
 تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) , الْإِنْسَانُ إِذَا تَصَوَّرَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ إِلَى كَثْرَةِ الْهَالِكِينَ فِيهِلِكَ , وَلَا يَنْظُرُ
 قَلَّةَ السَّالِكِينَ فَيَسْتَوْحِشُ , لَا تَنْظُرُ إِلَى كَثْرَةِ الْهَالِكِينَ فَتَهْلِكَ مَعَهُمْ وَ لَا تَنْظُرُ إِلَى قَلَّةِ
 السَّالِكِينَ فَتَسْتَوْحِشَ فَتَقُولُ مَا لِي وَ لِهَؤُلَاءِ إِلَّا أَنَا , أَنَا مَعَ النَّاسِ أَنَا مَعَ الْعَالَمِ مَعَ الْجُمْهُورِ!
 لَا , مَا لَكَ وَ لِلْجُمْهُورِ؟ إِعْرِفِ الْخَطَ . إِمْشِي مَعَ الْخَطِّ وَ لَوْ لَمْ تَجِدْ فِي الْمَوْصِلِ غَيْرَكَ -
 إِمْشِي فِيهِ , لِذَلِكَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ إِمْعَةً , بِمَعْنَى إِنْ
 صَلَحَ النَّاسُ صَلَحَ مَعَهُمْ وَ إِنْ فَسَدُوا فَسَدَ , لِمَادَا؟! لَوْ سُئِلَ: هَكَذَا النَّاسُ! -مَا شِينَ مَعَ
 النَّاسِ , لِأَنَّهُ أَحْسَنَ مِنَ النَّاسِ , أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِالْحُجَّاجِ بِعَوَامِ الْحُجَّاجِ فِي هَذِهِ الْأَعْوَامِ لَمَّا
 كَثُرَ عَدَدُ الْحُجَّاجِ . تَجِدُ الْحَاجَّ يَفْعَلُ فِعْلًا فَمَثَلًا مِنْ بَابِ الْمِثَالِ: تَجِدُهُ يُكَلِّفُ نَفْسَهُ لِيَصْعَدَ
 الْجَبَلَ وَ لِيَنْزِلَ وَ إِلَّا يَرَى أَنَّ حَاجَّهُ لَا يَتِمُّ! فَإِذَا قُلْتَ لَهُ لِمَادَا يَا حَاجَّ؟ يَقُولُ: لِأَنَّ النَّاسَ
 طَلَعُوا وَ نَزَلُوا. مَا تُشَوِّفُ النَّاسَ طَالِعِينَ نَازِلِينَ؟ النَّاسُ طَالِعِينَ نَازِلِينَ وَ أَنْتَ لَا بُدَّ تَطْلَعُ تَنْزِلُ؟
 نَعَمْ مَعَ النَّاسِ!! . هَذَا مَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ وَ عَقِيدَتِهِمْ. شَوْفُ الْمَشَائِخِ كَمْ

شَيْخٌ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْفُلَانِيَةِ سَيِّدِي فُلَانٌ سَيِّدِي فُلَانٌ كُلُّهُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ - أَنَا
أَحَالِفُهُمْ ؟ لَا!! مَعًا مَعَ الْمَشَايخ مَعَ الْجُمْهُور! إِنَّمَا يَدْرُسُ طَالِبُ الْعِلْمِ دِرَاسَةً مِثْلَ هَذِهِ
الدِّرَاسَةِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا لِيُخْرِجَ مِنْ هَذِهِ الْإِمْعَةِ ، لِيَكُونَ لَهُ شَخْصِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ فَاهِمَةٌ وَاعِيَةٌ الَّتِي
لَا يُؤَثِّرُ فِيهَا الْهَوَى ، لَا يَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ وَ لَكِنَّهُ يَعْرِفُ كَيْفَ يَمْشِي أَيْنَ يَضَعُ قَدَمَهُ.
لَذَلِكَ تَدْرُسُونَ ، أَحَدُ السَّائِلِينَ يَسْأَلُ يَقُولُ: الْأَشَاعِرَةُ لَا يُثْبِتُونَ إِلَّا سَبْعَ صِفَاتٍ وَمَعَ ذَلِكَ
وَجَدَ فِي بَعْضِ كُتُبِهِمْ أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ عِشْرُونَ صِفَةً ؟ الْأَشَاعِرَةُ عِنْدَهُمْ مَا يُسَمَّى بِخَمْسِينَ
عَقِيدَةً لَيْسَ بِعِشْرِينَ - خَمْسِينَ عَقِيدَةً ، خَمْسِينَ عَقِيدَةً مُقَرَّرَةً - كُلُّ كُتُبِهِمْ الْمُثُونُ وَ الشُّرُوحُ
حَوْلَ اثْبَاتِ خَمْسِينَ عَقِيدَةً ، بِمَعْنَى أَنَّ مَنْ عَرَفَ خَمْسِينَ عَقِيدَةً بِأَدِلَّتِهَا وَ أَضْدَادِهَا هُوَ
الْمُؤْمِنُ وَ إِلَّا فَلَا - لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، رَاجِعُوا إِيمَانَكُمْ عَلَى مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ ، تَحْفَظُونَ خَمْسِينَ
عَقِيدَةً بِأَضْدَادِهَا وَ أَدِلَّتِهَا أَمْ لَا ؟ فَهَذِهِ الصِّفَاتُ السَّبْعُ الَّتِي دَائِمًا يُكْرِّرُ النَّاسُ: لَا يُثْبِتُونَ إِلَّا
سَبْعَةَ صِفَاتٍ يُسَمُّونَ صِفَاتِ الْمَعَانِي ، خُذْ مِنْهَا سَبْعَ صِفَاتٍ تُسَمَّى الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ،
إِجْمَعْ سَبْعَةَ عَلَى سَبْعٍ ثُمَّ اقْطِفْ خَمْسَةَ صِفَاتٍ تُسَمَّى الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ ثُمَّ صِفَةً وَاحِدَةً تُسَمَّى
الصِّفَةُ النَّفْسِيَّةِ - مُسْتَحِيلُهُ الْوُجُودُ ، هَذِهِ الصِّفَاتُ بِأَضْدَادِهَا وَ الْجَائِزُ لِلَّهِ وَاحِدٌ وَ الصِّفَاتُ
الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ: أَرْبَعُ صِفَاتٍ وَ أَضْدَادُهَا أَرْبَعَةٌ - ثَمَانِيَّةٌ وَ الْجَائِزُ فِي حَقِّ
وَاحِدٍ - إِذَا جُمِعَتْ هَذِهِ خَمْسَةُ عَلَى خَمْسَةِ: خَمْسِينَ عَقِيدَةً¹ ، خَمْسِينَ عَقِيدَةً يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَهَا
بِأَدِلَّتِهَا وَ أَضْدَادِهَا وَ إِلَّا أَنْتَ لَسْتَ بِمُؤْمِنٍ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ، هَذَا الْكَلَامُ لَوْ لَا السُّؤَالُ مَا
تَعَرَّضْنَا لَهُ لِأَنِّي أَشَوِّشُ وَ لَكِنْ هَذَا مَا سَمِعْتُمْ رَاجِعُوا هَذِهِ الْمَكْتَبَةَ تَجِدُونَ فِيهَا "أَمَّ الْبَرَاهِينِ" وَ
"العقيدة السنوسية" وَ "حاشية البيجوري على الجوهرية" وَ "حاشية البيجوري على السنوسية"
مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ تَجِدُونَهُ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ وَ احْفَظُوهَا مِنْ بَابِ "عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ
لِاتَّقِيهِ-مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ وَقَعَ فِيهِ" فِيهَا حَقٌّ وَ فِيهَا بَاطِلٌ ، عَقِيدَةُ الْأَشَاعِرَةِ فِيهَا حَقٌّ وَ
فِيهَا بَاطِلٌ ، هَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ حَكَّمَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ -اللهُ تَعَالَى- أَنََّّهُمْ مِنْ

¹ (كَلَامُ الشَّيْخِ هُنَاكَ وَ مَا قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ وَاضِحًا فَمَنْ أَرَادَ مَزِيدَ تَأَكُّدٍ يُرَاجِعُ التَّوْقِيتَ 34:00 مِنَ الشَّرِيطِ)

أَقْرَبِ طَوَائِفِ أَهْلِ الْكَلَامِ إِلَى الْحَقِّ وَ الْكَلَامُ لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ وَ لَكِنْ فِي بَعْضِ الْأَيُّوَابِ وَ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ , لِأَنَّهُمْ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَسْوَأَ حَالاً مِنْ الْمُعْتَزَلَةِ لَيْسُوا أَحْسَنَ حَالاً مِنْهُمْ خُصُوصاً فِي صِفَةِ الْكَلَامِ وَ فِي صِفَةِ الْعُلُوِّ كَمَا تَعْلَمُونَ .

إِيه جَاءَ السُّؤَالُ الَّذِي كُنْتُ أَشِيرُ إِلَيْهِ يَقُولُ السَّائِلُ: أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ هُمْ الْأَشَاعِرَةُ وَ الصُّوفِيَّةُ وَ بِطَرِيقَتِهِمْ إِنْتَشَرَ الْإِسْلَامُ وَ هُمْ كَثِيرُونَ فِي الْعَالَمِ وَمَاذَا يَكُونُ الْجَوَابُ؟ لَعَلِّي أَجَبْتُ عَلَى السُّؤَالِ قَبْلَ أَنْ يُوجَّهَ وَ أُعِيدَ نَفْسَ الْجَوَابِ , هَذَا السُّؤَالُ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَوَامِ -قَدْ يَنْطَلِي عَلَى الْعَوَامِ- , لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لَكُمْ أَنْتُمْ طَلَبَةُ الْعِلْمِ يَنْبَغِي أَنْ تُذَكِّرُوا تَمَاماً إِنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي تُسَمَّى الْآنَ "الطَّرِيقَةُ الْأَشْعَرِيَّةُ" هِيَ الطَّرِيقَةُ الْكَلَابِيَّةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ قَبْلَ يُلْجَأُ إِلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ كَمَا صَرَّحَ هُوَ بَعْدَ رُجُوعِهِ , إِحْفَظُوا هَذِهِ النُّقْطَةَ تَمَاماً , نَحْنُ إِذَا سَمِينَا أَنْفُسَنَا "الْأَشْعَرِيَّةُ" نِسْبَةً إِلَى مَنْ؟ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ , إِذَا كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ عِنْدَمَا كَانَ ابْنُ كُلابٍ فَرَجَعَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَ أَعْلَنَ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ حَنْبَلٍ , إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ ابْنَ حَنْبَلٍ هُوَ الَّذِي اشتهَرَ بِالتَّمَسُّكِ بِالْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ وَ أُوذِيَ فِي سَبِيلِهَا فِي زَمَانِهِ , وَ إِلَّا الْأَئِمَّةَ كُلَّهُمْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَ هُوَ طَبْعاً مُتَأَخِّرٌ عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ الزَّمَنُ -هَذِهِ نَاحِيَةٌ- إِذَا كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بَعْدَ أَنْ عَاشَ مُعْتَزِلاً أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بُطْلَانُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْمُعْتَزَلَةُ فَرَجَعَ , فَوَقَفَ عِنْدَ ابْنِ كُلابٍ لِمَا رَأَى فِيهِ مِنَ الْقُرْبِ لِأَنَّهُ يُثَبِّتُ بَعْضَ الصِّفَاتِ -هَذِهِ الَّتِي الْآنَ تَحَدَّثُنَا عَنْهَا هِيَ كَلَابِيَّةٌ- ثُمَّ وَقَّعَهُ اللَّهُ وَ هَدَاهُ وَ وَاصَلَ سَيْرَهُ إِلَى أَنْ التَّحَقَّقَ بِرُكْبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ , إِذَا كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْعَقِيدَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْأَشْعَرِيَّةِ ثُمَّ وَجَدْنَا أَنَّ فَطَاحِلَ عُلَمَاءِ الْأَشَاعِرَةِ مِنْ أَتْبَاعِ أَبِي الْحَسَنِ كَالْجَوْنِيِّ الْأَبِّ وَ الْجَوْنِيِّ الْإِبْنِ يَعْنِي إِمَامَ الْحَرَمَيْنِ وَ وَالِدَ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَ الشَّهْرَسْتَانِي وَ الْعَزَالِي هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ نَدِمُوا فِي آخِرِ حَيَاتِهِمْ وَ بَقَوْ عَلَى مَا قَضَى فِيهَا أَعْمَارُهُمْ مِنْهُمْ مَنْ رَجَعَ رُجُوعاً صَرِيحاً إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَ هُوَ وَالِدُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ "الْجَوْنِيِّ الْأَبِّ" صَاحِبُ الرِّسَالَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي مَجْمُوعَةِ الْمُتُونِ الْمَنِيرِيَّةِ , أَمَّا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ "أَبُو الْمُعَالِي" فِي رِسَالَتِهِ النَّظَامِيَّةِ تَسَلَّمَ وَ ذَكَرَ أَنَّهُ يَخْتَارُ مَذْهَبَ السَّلَفِ , أَمَّا الْعَزَالِي فَقَدْ دَمَّ

الكلام في رسالته الصغيرة التي سمّاها "إلجام العوام عن علم الكلام" -موجودة عنكم هنا ,
 "إلجام العوام عن علم الكلام" و الغزالي أمره فيه إشكال لأن الغزالي حصل عنده اضطراب
 في كلّ فترة من فترات اضطرابه ألف كتباً , لمّا كان في الفلسفة ألف كتاباً لا يفهمه إلا
 الفلاسفة , و يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أحسن كتبه إحياء علوم الدين , بما فيه -مع ما
 فيه , إحياء علوم الدين أحسن كتاب ألفه , لكن بالنسبة لعلم الكلام أحسن منه إلجام
 العوام , أمّا إحياء علوم الدين من حيث كثرة العلم و السعة فصحيح , لكن فيه مطبات ,
 لا يستطيع أن يمشي فيها الإنسان إلا إذا كان ذا خبرة في السياقة .

قد قال الثاني يشبه شرحها. الزميل يتألم ببعض زملائه , الذين يدرسون العقيدة السلفية
 بهذه الجامعة ثم يعودون إلى بلادهم و هم لم يتأثروا بالعقيدة السلفية بل لا يجهلون أشاعرة و
 صوفية ؟. الجواب على هذا - بل ليس عندي جواب , ليس عندي جواب و لا عند
 الجامعة و لا عند رئيس الجامعة جواب , الجواب عند الله مقلب القلوب يهدي من يشاء و
 يضل من يشاء , الجامعة مهدت الطريق , هيئت الأسباب و أتت بالأساتذة و وزعت
 الكتب و سهلت الأسباب لتحصيل العلم و أنشأت مكاتب - وسائل لم تتوفر لمن كان
 قبلنا و بعد هذا كله إن بقي طالب واحد لا أقول طالب على ما جاء به من بلده من
 عقيدة أشعرية و صوفية ملحدة فرجع كما كان - لا يملك أحد الجواب على هذا إلا -الله-
 , فنسأل -الله تعالى- أن يهديه و يلهمنا و يياكم رشدنا .

الشيخ مناقشا الطلاب: و لما قلت لكم قدّموا الأسئلة أنتم أنكم لا تتقيّدوا
 بالوقت و لا أيّ شيء .

الشيخ يقرأ بعض الأسئلة: وجدت في كتاب التوحيد للأشاعرة أن المراد بإيش؟ أن المراد
 بغير... آه , أن المراد بغير المؤمن و غيرنا في الآخرة , يعني المراد بالمؤمن. في الدنيا لا يعرف
 المؤمن إلا عند الموت. الإيمان ما يُختتم له به , لهذا ما يقول بعض أهل العلم أو بعض علماء
 الكلام؟ , لا , هذا يدخل في باب الاستثناء , هل يجوز للإنسان أن يقول أنا مؤمن إن شاء

الله أَوْ لَا يَجُوزُ؟ هُنَا يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَشْنِي لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي بِمَا يُحْتَمُّ لَهُ ، هَذَا الْكَلَامُ غَلَطٌ ، الَّذِي عَلَيْهِ السَّلَفُ: الْإِنْسَانُ لَهُ أَنْ يَقُولَ أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ جَوَازًا لَا وَجُوبًا بِمَعْنَى لِأَنَّ يَفْعَ فِي تَرْكِيبَةِ النَّفْسِ ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ أَنَا مُؤْمِنٌ وَ سَكَتَ ، خَافَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ زَكَّى نَفْسَهُ لَهُ أَنْ يَقُولَ أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ لَهُ أَلَّا يَسْتَشْنِي -جَائِزٌ ، أَمَّا كَوْنُ الْمُؤْمِنِ لَا يُعْرِفُ فِي الدُّنْيَا! لَا. هَذَا غَلَطٌ ، اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- بَيَّنَّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَوَصَفَهُمْ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (إِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ أَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَصِفُ الْمُؤْمِنِينَ ، الْمُؤْمِنُ يُعْرِفُ بِصِفَاتِهِ وَ كَوْنُهُ يُقَالُ الْمُؤْمِنُ لَا يُعْرِفُ إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ وَ مَا خُتِمَ بِهِ. مَا خُتِمَ لَهُ بِهِ! هَذَا غَلَطٌ ، لَيْسَ طَرِيقَةُ الْأَشَاعِرَةِ وَ لَكِنْ دَخَلَتْ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ هَذِهِ الْفِكْرَةُ .

وَ طَالِبٌ يَقُولُ أَنَّهُ وَجَدَ فِي كُتُبِهِمْ فِي كِتَابِ أَنَّ الْأَشَاعِرَةَ لَا يُثْبِتُونَ صِفَةَ الْمَحَبَّةِ وَ الْبُغْضِ لِلَّهِ -تَعَالَى- وَ أَيْ وَجَدْتُ أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَهَا. يُثْبِتُونَهَا فِي كُلِّ كِتَابِهِمْ أَوْ فِي كُلِّ كُتُبِهِمْ عَلَى الْأَصَحِّ وَ لَكِنَّهُمْ تَأَوَّلُوا وَجْهَ -اللَّهُ- بِمَعْنَى الدَّائِثِ وَ الْيَدِ بِمَعْنَى الْقُوَّةِ خُرُوجًا مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَخْلُوقِينَ؟ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّكُمْ إِذَا تَمَّ الْوَقْتُ لَا تَتَقَيَّدُونَ بِالْفَائِدَةِ ، هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ وَ الْمَدْرَسُ يَتَكَلَّمُ طُلَّابٌ رَسْمِيَّوْنَ لَيْسُوا طُلَّابَ حَقِيقِيَّيْنَ ، الرِّسْمِيُّوْنَ فَلْيَخْرُجُوا لِأَنَّ الْوَقْتَ تَمَّ أَمَّا طُلَّابُ الْفَائِدَةِ فَلْيَتَأَخَّرُوا ، الطَّالِبُ هَذَا لَمْ يَفْهَمْ عَقِيدَةَ الْأَشَاعِرَةِ "مُسْكِينٌ" ، صَاحِبُ هَذِهِ الْوُرُقِ. الْأَشَاعِرَةُ يَا صَاحِبَةَ الْوُرُقِ لَا يُثْبِتُونَ الْمَحَبَّةَ وَ الْبُغْضَ وَ الْكَرَاهَةَ ، الْأَوَّلُ إِنَّهُمْ هَكَذَا ، بَعْدَ ذَلِكَ هَلْ يَنْفَعُونَ أَوْ يُؤْوِلُونَ؟ هَذَا بَحْثٌ آخَرٌ ، لَا يَنْفَعُونَ نَفِيًّا بَلْ يُؤْوِلُونَ وَ أَنَا قُلْتُ لَكُمْ قَبْلَ قَلِيلٍ: الْمَحَبَّةُ عِنْدَهُمْ إِرَادَةُ الْإِنْعَامِ وَ الْبُغْضُ إِرَادَةُ الْإِنْتِقَامِ ، قُلْتُ لَكُمْ يُحَوَّلُونَ كَثِيرًا مِنَ الصِّفَاتِ إِلَى صِفَةِ الْإِرَادَةِ وَ هَذَا غَلَطٌ ، أَمَّا كَوْنُ قَصْدِهِمْ أَنَّهُمْ لِأَنَّ يَفْعُوا فِي التَّشْبِيهِ ، هَذَا الْقَصْدُ كَذَلِكَ قُلْتُ أَوَّلَ مَا دَخَلْتُ: إِنَّ الَّذِينَ يَنْفَعُونَ أَوْ يُؤْوِلُونَ لَيْسَ قَصْدُهُمْ الْإِسَاءَةَ. قَصْدُهُمُ التَّنْزِيهِ وَ لَكِنَّهُمْ أَخْطَوْا طَرِيقَ التَّنْزِيهِ ، الْأَشَاعِرَةُ قَصْدُهُمُ التَّنْزِيهِ وَ لَكِنْ لَمْ يَعْرِفُوا كَيْفَ يُنْزَهُوْنَ ، التَّنْزِيهِ الصَّحِيحُ أَنْ تُثْبِتَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ ثُمَّ تَنْفِي عَنْهُ الْمِشَابَهَةَ عَلَى غِرَارِ قَوْلِهِ -تَعَالَى- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) كَانَ تَقُولُ لَهُ سَمِعَ

لَيْسَ كَأَسْمَاعِنَا , لَهُ بَصَرٌ لَيْسَ كَأَبْصَارِنَا , لَهُ مَحَبَّةٌ لَيْسَتْ كَمَحَبَّتِنَا وَ هَكَذَا , هَذَا هُوَ التَّنْزِيهُ
الصَّحِيحُ , إِنْهُمْ جَيِّدًا طَرِيقَةَ الْقَوْمِ , نَكْتَفِي بِهَذَا الْمِقْدَارِ لِأَلَّا نُخْرِجَ الطُّلَّابَ الرِّسْمِيِّينَ وَ
أَجِيبُ عَلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْأُسْبُوعِ الْقَادِمِ بِتَوْفِيقِ -اللَّهُ تَعَالَى- .

- أَيْهَا الْإِخْوَةُ إِنْتَهَتْ مَادَّةُ هَذَا الشَّرِيطِ , وَ حَيْثُ بَقِيَ فِيهِ مُتَسَعٌ فَنُكْمِلُهُ بِهَذِهِ الْمَادَّةِ

1 .

¹ الكلمة الختامية للمؤسسة المنتجة للشريط

الدرس رقم : 01

القارئ : ¹ بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله رب العالمين , و الصلّاة و السّلام على رسول الله و على آله وصحبه وبعد , قال شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- في التدمرية (بسم الله الرحمن الرحيم , وبه نستعين , قال الشيخ الإمام, العالم, العلامة, شيخ الإسلام, مفتي الأنام, أوحد عصره, وفريد دهره, ناصر السّنة, وقامع البدعة, تقي الدين, أبو العباس, أحمد بن الشيخ, الإمام, العلامة, شهاب الدين عبد الحليم بن الشيخ, الإمام, العلامة, شيخ الإسلام, مجد الدين, أبي البركات عبد السلام ابن تيمية الحرّاني رضي -الله- عنه وأرضاه: الحمد لله, نحمده ونستعينه, ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا, ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يضل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله, صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد: فقد سألتني من تعينت إجابتهم أن أكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في بعض المجالس, من الكلام في التوحيد والصفات, وفي الشرع والقدر, لمسيس الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين, وكثرة الاضطراب فيهما, فإنهما مع حاجة كل أحد إليهما, ومع أن أهل النظر والعلم, والإرادة والعبادة, لا بد أن يخطر لهم في ذلك من الخواطر والأقوال ما يحتاجون معه إلى بيان الهدى من الضلال, لا سيما مع كثرة من خاض في ذلك بالحق تارة, وبالباطل تارات, وما يعتري القلوب في ذلك من الشبهة التي توقعها في أنواع الضلالات).

الشيخ : الحمد لله رب العالمين و صلاة الله و سلامه و رحمته و بركاته على هذا النبي الكريم و الرسول الأمين نبينا محمد و على آله و أصحابه و أزواجه أمّهات المؤمنين و أهل

¹ عبارة (القارئ :) التي غالبًا ما تكون في بداية السّطر أقصدُ بها قارئ رسالة التدمرية بمجلس الشيخ رحمه -الله تعالى-

بيته الطيبين الطاهرين أما بعد فتواصل درسنا , فتواصل درسنا بتوفيق -الله تعالى- في مباحث الإيمان و هذا الكتاب الذي نبدأ فيه اليوم "الرسالة التدمرية" موضوعها التوفيق بين الشرع و القدر و أنه لا معارضة بين الشرع و القدر هذا خلاصة ما يُبحث في هذا الكتاب , و أما هذه الترجمة التي سمعتموها هي ليست من المؤلف قطعاً و إنما إما من بعض تلاميذه و احبابه أو من المحقق , و الترجمة كما سمعتم فيها الشناء على هذا الإمام تقي الدين ابن تيمية رحمه -الله تعالى- و هو ليس بحاجة إلى الترجمة , و قوله في آخر الترجمة رضي -الله- عنه و أرضاه قد يتوقف فيه بعض الناس لأن هذه العبارة في اصطلاح أهل العلم غالباً إنما هي للصحابة , الترضي للصحابة في الغالب الكثير عند أهل العلم و من دون الصحابة يُقال فيه رحمه -الله- , و بالصحابة و في الصحابة يُقال رضي -الله- عنه , و في الأنبياء كما هو معلوم "عليه الصلاة و السلام" , هذا اصطلاح و لكن هذا الاصطلاح لا يمنع طلب الرضى لمن دون الصحابة و طلب الرحمة للصحابة إذا هو مجرد اصطلاح لا يمنع استعمال ذلك في غير ما اصطُلب عليه .

ثم بدأ الشيخ رحمه -الله تعالى- كتابه بخطبة الحاجة و هي معروفة لدى الجميع لا تحتاج إلى الشرح , و بعد الخطبة قال الشيخ رحمه -الله تعالى- شيخ الإسلام ابن تيمية أما بعد فقد سألتني من تعينت إجابته. كل من سألَكَ و هو محتاج إلى ما سأل تتعين الإجابة على أهل العلم , ليس من تعينت إجابته قوم مخصوصون و لكنه يعني قوم بحاجة إلى معرفة موضوع هذا الكتاب , و الموضوع كما سمعتم الفرق بين القدر و الشرع , و أن قدر الله تعالى لا يُنافي الشرع والشرع لا يُعارض القدر و لا ينبغي للمسلم أن يُعارض القدر بشرع الله تعالى لأن القدر سرٌّ من أسرار الله لا يدرك و لا يُحاول كشفه , السرُّ قدر الله فلا نكشفه هكذا يقول على بن أبي طالب رضي -الله- عنه و غيره من الصحابة , المراد بالقدر علم الله السابق و كتابته السابق و القضاء و المشيئة العامة و تنفيذ ذلك على ما علمه و كتبه و قدره و قضى , هذه مراتب القدر و بالجملة يجب الإيمان بالقضاء و القدر , كما هو معلوم لدى الجميع , الإيمان بالقضاء و القدر ركن من أركان الإيمان و لكن ليس

معنى الإيمان بالقضاء والقدر الخوض في أسرار القدر بل أن يعلم العبد أن ما أصابه في علم الله و في كتابه السابق لا يخطئ و ما أخطأه هناك أي ما لم يكتب عليه و لم يعلم الله بأنه يصاب بذلك لا يصيبه , ما أصابه لا يخطئ و ما أخطأه لا يصيبه و ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن , هذا المقدار يكفي في باب القضاء والقدر أن يعلم العبد أن ما شاء الله كان أي وقع و حصل و تحقق و لا محالة . كان تأملاً , و ما لم يشأ لم يكن ما لم يشأ الله و لم يعلم وقوعه و لم يكتب و لم يكتب و لم يقدر لا يقع , و لا يقع في ملكه إلا ما يشاء من خير أو شر , هذا المقدار يكفي في باب الإيمان بالقضاء والقدر أما الخوض في ذلك : لما فعل هذا ؟ لما أغنى فلانا و أفقر فلاناً ؟ و رزق فلانا و أحرّم فلانا وغير ذلك هذه الأسئلة لا توجه , هذا السؤال و البحث عن حقيقة كنه القدر هذا الذي لا يجوز و هو سر القدر و الشرع واضح , العبد مطالب بالشرع , أي بامتنال المأمورات و اجتناب المنهيات , لأن الله خلقه و خلق له القدرة و خلق له الإرادة و خلق له الاختيار , يفعل ما يفعل بقدرة و إرادته و اختياره كل ذلك مخلوق لله . هو مخلوق لله و قدرته مخلوقة و إرادته مخلوقة و اختياره مخلوق لذلك ما يفعل العباد يضاف إليهم إضافة المسبب إلى السبب لأن العبد هو السبب و هو الفاعل , و تضاف هذه الأفعال إلى الله تعالى إضافة المخلوق إلى الخالق لأن الله خلقه و خلق له القدرة و مكّنه من العمل , هكذا تضاف الأعمال . إضافتين , و كل من الإضافتين إضافة حقيقية , هذا معنى التوفيق بين القضاء و بين الشر . بين القدر و بين الشرع , (فقد سألتني من تعينت إجابتهم أن أكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في بعض المجالس) من عادة الشيخ الإشتغال بالتدريس دائماً , أعماله تدريس و فتوى و جهاد و ليس من عادته رحمه الله - الخطب على المنابر , لم تجري له عادة بهذا و لكنه دائماً مع المجتمع يدرس و يفتي و إذا دعا داع الجهاد خرج و جاهد بنفسه كما حصل ذلك في أيام التتار , (ما سمعوه مني في بعض المجالس من الكلام في التوحيد والصفات، وفي الشرع والقدر) التوحيد توحيد العبادة و توحيد الربوبية حيث ذكر الصفات لأن أقسام التوحيد كما هو معلوم ثلاثة : توحيد العبادة و توحيد الربوبية و توحيد الأسماء و الصفات , قال ما ذكر

الصفات. إذا المراد بالتوحيد توحيد الربوبية و توحيد العبادة , و توحيد العبادة هو الأصل لأنه هو محل النزاع و توحيد الربوبية لم يكن محل نزاع قط بين الرسل و أممهم و بين الدعاة المصلحين و أقوامهم , بل توحيد الربوبية محل إجماع يؤمن به حتى الكفار , معنى توحيد الربوبية إفراد الله تعالى في ربوبيته و الإيمان بأنه وحده هو الخالق الرزق المعطي المانع النافع الضار , هذا المعنى يُسمى توحيد الربوبية. إفراد الله تعالى في ربوبيته أي بأفعاله و هو شيء يؤمن به كل مخلوق من كافر و مؤمن لم يكن محل نزاع قط و لكن التوحيد المهم الذي هو محل نزاع دائما و أبدا في ما مضى و في الوقت الحاضر هو توحيد العبادة. إفراد الله تعالى بأفعال العباد , إفراد الله تعالى بالدعاء و الإستغاثة و النذر و تقديم القربات كما أفردت بالصلاة و الصيام و الزكاة , ليست العبادة كما يتبادر إلى أذهان العوام هذه الشعائر المعلومة من صلاة و صيام و زكاة و حج بل العبادة أصلها غاية الدل مع غاية الحب. هذه حقيقة العبادة. غاية الدل مع غاية الحب , أن تتذلل لربك و تخضع له و تحبه أكثر من كل شيء. من قلبك محبة تُترجم عندما يتعارض هواك و أوامر الله حتى تستطيع أن تُقدم أوامر الله تعالى على هواك و أوامر غيره م, محبة لا تلتفت معها لا تلتفت معها إلى سواه في قلبك , هذه حقيقة العبادة تنبعث جميع أنواع العبادات من هذا المعنى الدعاء و الإستغاثة و الذكر و الرغبة و الرغبة كل ذلك. كل هذه الأنواع التي عددها أهل العلم تنبعث من المحبة الصادقة و الخضوع و التذلل الصادق لله سبحانه و تعالى .

الكلام الذي سَمِعَ. الكلام الذي سَمِعُوهُ منه في التوحيد و الصفات و الشرع و القدر (لمسيس الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين) تحقيق الشرع. تحقيق الكلام في الشرع و تحقيق الكلام في القدر و كثرة الإضطراب فيهما خصوصا في باب القدر كثرة الإضطراب , قدريّة تنفي القدر و جبرية يغلوّن في القدر و أهل السنة و الجماعة وسط بينهما , القدريّة من أقدم الطوائف التي ظهرت. ظهرت في عهد علي بن أبي طالب رضي -الله- عنه ثلاث طوائف أو ثلاث فرق : الخوارج و الشيعة و القدريّة , و تتابع بعد ذلك الفرق ليصدق قوله صلى -الله- عليه و سلم (إنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث و سبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة)

تَصَدِيقًا لِهَذَا الْخَبَرِ مِنْ عَهْدِ عَلِيٍّ رَضِيَ -الله- عَنْهُ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا كَثُرَتْ الْفِرَقُ ، وَ أَصُولُ هَذِهِ الْفِرَقِ لَا تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثٍ وَ سَبْعِينَ فِرْقَةً لِيَصْدُقَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ لَكِنْ كُلَّ فِرْقَةٍ تَتَفَرَّقُ وَ تَتَفَرِّعُ مِنْهَا فُرُوعٌ إِلَى عَشْرَةٍ إِلَى عَشْرَةٍ إِلَى عِشْرِينَ إِلَى أَكْثَرٍ إِلَى أَقَلٍّ حَتَّى تَسْتَغْرِبَ عِنْدَمَا تَقْرَأَ فِي كُتُبِ الْفِرَقِ وَ الْمِلَلِ وَ النَّحْلِ كَثْرَةَ هَذِهِ الْفِرَقِ مَعَ انْتِسَابِهَا كُلِّهَا إِلَى الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، لَا تَسْتَغْرِبُ ذَلِكَ لِأَنَّهَا فُرُوعٌ وَ لَكِنَّ الْأَصُولَ لَا تَزِيدُ عَلَى هَذَا الْعَدَدِ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ، وَ الْإِضْطِرَابُ كَثِيرٌ وَ مُسْتَمِرٌّ ، (فِيهِمَا) أَيِ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ (مَعَ حَاجَةٍ كُلِّ أَحَدٍ إِلَيْهِمَا، مَعَ أَنَّ أَهْلَ النَّظَرِ وَالْعِلْمِ، وَالْإِرَادَةِ وَالْعِبَادَةِ، لَا بَدَّ أَنْ يَخْطُرَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالْأَقْوَالِ) الَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِالنَّظَرِ وَ التَّفَكُّرِ وَ الْإِعْتِبَارِ ، وَ الَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِالْعِلْمِ وَ الَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِالْعِبَادَةِ وَ الْإِرَادَةِ. هَؤُلَاءِ فِرْقَةٌ ، أَوْ أَهْلُ الْإِرَادَةِ وَ الْعِبَادَةِ هُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ. مُمَكِّنٌ أَنْ يُجْعَلَ أَهْلُ النَّظَرِ وَ الْعِلْمِ أَيْضًا ، لِأَنَّ الْعَرَضَ النَّظَرُ. وَ رُبَّمَا إِذَا أُطْلِقَ أَهْلُ النَّظَرِ يُطْلَقَ عَلَى أَهْلِ الْمَعْقُولَاتِ ، وَ الْعِلْمِ عَلَى أَهْلِ الْمَنْقُولَاتِ ، أَوْ يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا ، وَ أَهْلُ الْإِرَادَةِ وَ الْعِبَادَةِ الْمُشْتَغِلُونَ بِعِبَادَةِ -اللهِ تَعَالَى- وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ أَوْقَاتِهِمْ بَيْنَ الْمَحَاسِبَةِ. مُحَاسِبَةِ النَّفْسِ وَ بَيْنَ الْعِبَادَةِ ، هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ لَا بَدَّ أَنْ يَخْطُرَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَ الْأَقْوَالِ إِمَّا خَوَاطِرَ شَيْطَانِيَّةٍ أَوْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَ اخْتِلَافٍ ، (مَا يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى بَيَانِ الْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ) الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ الْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ هُمْ الْعُلَمَاءُ لِأَنَّهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ. الْمُرَادُ بِالْعُلَمَاءِ الْعُلَمَاءُ بِالْعِلْمِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى رَسُولُ -الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ، أَنْوَاعُ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ لَكِنْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ. الْعِلْمُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي يُعَالِجُ هَذِهِ الْمَشَاكِلَ وَ يَحُلُّ الْمَشْكِلاتِ وَ يُطَمِّئُ الْعِبَادَ فِي السَّيْرِ عَلَى الْحُطِّ الْمُسْتَقِيمِ ، (مَا يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى بَيَانِ الْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، لَا سِوَمَا مَعَ كَثْرَةِ مَنْ خَاضَ فِي ذَلِكَ بِالْحَقِّ تَارَةً ، وَبِالْبَاطِلِ تَارَاتٍ) وَ إِنَّمَا قَالُوا بِالْبَاطِلِ تَارَاتٍ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْبَاطِلِ كَثُرُوا مِنْ يَوْمٍ أَنْ ظَهَرَتْ الْجَهْمِيَّةُ وَ الْمُعْتَزَلَةُ وَ أَيْدٍ مَا ذَهَبُوا الْمُعْتَزَلَةُ فِي عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ ثُمَّ كَثُرَتْ الْفِرَقُ كَالْأَشْعَرِيَّةِ وَ الْمَاتَرِيدِيَّةِ وَ وَحْدَةُ الْوُجُودِ وَ الْحَوْلِيَّةِ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ لَهُمْ أَقْوَالٌ وَ لَذَلِكَ قَالَ (لَا سِوَمَا مَعَ كَثْرَةِ مَنْ خَاضَ فِي ذَلِكَ بِالْحَقِّ)

أهل الحق و أهل العلم خاضوا بالحق لبيان الحق و لردّ الشبه و لا بدّ لهم من الخوض و كثرة الكلام في هذا الباب و خصوصاً بعدما ظهرت الفتن و الأهواء و أوقع الناس في الشك في باب القضاء و القدر لا بدّ من الخوض في ذلك و الكتابات , كتبت كتابات من أهل الحق هي عبارة عن الدّفاع. الدّفاع عن الشّرع و القدر و بمقابل ذلك كثرت أقوال أهل الباطل. أقوال المعتزلة. أقوال القدرية و أقوال الملاحدة من وحدة الوجود و الخوليين و غيرهم , هذا هو السرّ في قوله رحمه -الله- (وبالباطل تارات) , (وما يعتري القلوب في ذلك من الشبه التي توقعها في أنواع الضلالات). و بالفعل كثرت الشبه فأوقعت كثيراً من الناس في أنواع الضلالات و لا تزال هذه الشبه مستمرة و تورّد على القلوب فبدأت تظهر في كُتب تُكتب و تُدرس على شباب المسلمين في الجامعات الإسلامية الكثيرة المنتشرة في العالم , كُتب تحمل هذه الشبه , كُتب تحمل عقيدة الجبرية. كُتب تحمل عقيدة المعتزلة. كُتب تدعو إلى الوحدة و محاربة الإثنينية بدعوى إنّ الكون كلّهُ شَيْءٌ واحد لا فرق بين العبد و بين الرب و بين الخالق و المخلوق. الكلّ من عينٍ واحدٍ بل عينٌ واحدة , كثر هذا في باب التّصوّف و باب السلوك و كثر القول و الشبه القدرية و الجبرية إلى أن دخلت منطقتنا هذا , التي كانت محفوظة و لا تعرف هذه الشبه و لكنّها اليوم دخلت في بعض جامعاتنا و كليّاتنا إذ بدؤوا يُقرّرو بعضهم عقيدة الجبرية من حيث لا يشعرون الشباب. حيث يُقال لهم إنّ الفاعل الحقيقي هو الله و العبد لا يفعل. ليس له فعل , فنسبهُ الفعل إلى العبد نسبةً مجازية كما يُنسب إلى بعض الجمادات بعض الأعمال كأن تقول جالس أو سأل الوادي و نزل المطر لا فرق بين هذه النسبة و بين قولك صَلَّى المصلّي و صام الصائم , هكذا يُقرّر الآن في بعض الكليات و بعض الجامعات , هذه من الشبه , و في الواقع إنّ العبد فاعلٌ فعلاً حقيقياً مختارٌ في فعله و يعمل كلّ ما يعمل بإرادته و قدرته من خيرٍ أو شرّ لذلك إذا فعل الشرّ أخذ عليه و إذا فعل الخير يُثاب على ذلك , العبد فاعلٌ حقيقة و الله - سبحانه و تعالى - خالقه و خالق أفعاله , هذه الشبه و هي شبهة غامضة دخلت على بعض شبابنا فلينبهوا .

هذه الشبه من الأشياء التي أثارَت شيخ الإسلام ليكتب مثل هذا الكتاب لأنها بدأت

تَنَشَّرُ فِي وَقْتِهِ وَهُوَ ظَهَرَ فِي دِمَشْقَ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ وَ الثَّامِنِ بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَتْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَ عِلْمِ الْكَلَامِ وَ الْمُتَصَوِّفَةِ وَ الْمَلَاحِدَةِ اجْتَمَعُوا جَمِيعًا فَظَهَرَ فَجَاهَدَهُمْ جَمِيعًا وَ أَلْفَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ. لَهُ زُودٌ عَلَى الْمَنَاطِقَةِ وَ لَهُ رُدُودٌ عَلَى الْفَلَاسِيفَةِ وَ لَهُ زُودٌ عَلَى الصُّوفِيَةِ وَ لَهُ رُدُودٌ عَلَى عِلْمَاءِ الْكَلَامِ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ عَلَى الْإِشَاعِرَةِ وَالْجَهْمِيَةِ وَ غَيْرِهِمْ لِأَنَّ هَذِهِ الْفِرَقَ كُلَّهَا كَانَتْ مُجْتَمِعَةً فِي عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَ تَوَسَّعَ وُجُودُهَا وَ ظُهُورُهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ وَ هَذَا الْكِتَابُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَلْفَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِرَدِّ هَذِهِ الشُّبُهَةِ .

القارئ : قال رحمه الله - (فالكلّام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر، الدائر بين النفي والإثبات، والكلّام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة، الدائر بين الإرادة والمحبة، وبين الكراهة والبغض نفياً وإثباتاً ، والإنسان يجد في نفسه الفرق بين النفي والإثبات، والتصديق والتكذيب، وبين الحبّ والبغض، والحضّ والمنع، حتى إن الفرق بين هذا النوع وبين النوع الآخر معروف عند العامة والخاصة، معروف عند أصناف المتكلمين في العلم، كما ذكر ذلك الفقهاء في كتاب الأيمان، وكما ذكره المقسّمون للكلّام، من أهل النظر والنحو والبيان، فذكروا أن الكلّام نوعان: خبر وإنشاء، والخبر دائر بين النفي والإثبات، والإنشاء: أمر أو نهي أو إباحة.)

الشيخ : قال شيخ الإسلام رحمه الله - تعالى - (فالكلّام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر ، الدائر بين النفي والإثبات) و خصوصاً في توحيد العبادة الكلّام يشتمل على النفي و الإثبات و كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ نَفْسُهَا كَمَا تَرَوْنَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى النَّفْيِ وَ الْإِثْبَاتِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" نَفْيٌ وَ "إِلَّا اللَّهُ" إِثْبَاتٌ ، وَ إِنَّ شَيْئًا قُلْتُ إِنَّ الْكَلِمَةَ تَشْتَمِلُ عَلَى الْكُفْرِ وَ الْإِيمَانِ ، وَ التَّوْحِيدُ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ لَا بَدَّ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَ الْإِيمَانِ (فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) هَذِهِ الْآيَةُ خَيْرُ تَفْصِيلٍ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ، لَا تَجِدُ تَفْصِيلًا أَوْضَحَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ لِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" حَتَّى مِنْ حَيْثُ الْأَسْلُوبُ تَجِدُ تَقْدِيمَ الْكُفْرِ عَلَى الْإِيمَانِ ، لَا بَدَّ

أولا من الكفر بالطاغوت و الإيمان بالله , و لو آمن المرء بالله و وحدَهُ بالعبادة لكنّه لم يكفر بالطاغوت في أي نوع من أنواع العبادات , إمّا في شعائر العبادة كالدعاء و الإستغاثة و النذر أو في توحيد الحاكمية , و لو آمن العبد و وحدَ الله في توحيد العبادة في شعائر العبادة و لكن لم يوحد الله - سبحانه و تعالى - في حاكميته ما قبلَ منه توحيد العبادة بل لابدّ أن تكفر بالطاغوت الكفر الشامل في جميع الأبواب و تؤمن بالله الإيمان الكامل الذي لا يتجزء , و من يعبد الله وحده لا يستغيث إلا بالله لا يدعوا غير الله. نذرُ الله و التقرب إلى الله بأنواع العبادات المعروفة لكن يتحاكم إلى الطاغوت ما نفَعَهُ هذا الإيمان لابدّ من الكفر بالطاغوت في جميع الأبواب , أي من يتحاكم إلى غيرِ ما أنزل الله ما نفَعَهُ توحيد العبادة بل لابدّ من الكفر بالطاغوت في جميع الأبواب , هذا معنى باب التوحيد دائر بين النفي و الإثبات بل بين الكفر و الإيمان , لابدّ من الجمع بين الكفر و الإيمان كما هو ظاهر من هذه الآية و ظاهر من قولك "أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله" , و هذا النفي و الإثبات ليس خاصا بالجزء الأول من كلمة التوحيد بل يشمل الجزء الثاني أيضا "محمد رسول الله" ذلك بأن تجرّد الطاعة و المتابعة لرسول الله عليه الصلاة و السلام , بحيث لا تعبد الله إلا بما جاء به محمد رسول الله عليه الصلاة و السلام , لا تجعل معه موطعا آخر طاعة كطاعة رسول الله عليه الصلاة و السلام , فرسول الله له الطاعة المطلقة غير مقيّدة كما طاعة الله تعالى غير مقيّدة كذلك طاعة رسول الله عليه الصلاة و السلام غير مقيّدة , و طاعة غيره مقيّدة , هذه نقطة مهمّة يجب أن يفهم طلاب العلم طاعة رسول الله عليه الصّلاة و السلام طاعة مطلقة لذلك أن يطاع وحدَهُ الطاعة المطلقة لا يطاع معه أحد من خلق الله الطاعة المطلقة , يؤخذ ذلك من قوله تعالى (أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم) قال الله تعالى (و أطيعوا الرسول) أعادَ الفعلَ مع طاعة الرسول (أطيعوا الله) و لم يقل أطيعوا الله و رسوله في هذه الآية بالذات بل قال (أطيعوا الله و أطيعوا الرسول) إعادة الفعل يدلّ على أنّ طاعة رسول الله عليه الصّلاة و السلام طاعة مطلقة بمعنى إذا جاءك أمر من رسول الله عليه الصلاة و السلام أو همّي لا ينبغي أن تُوقِفَ الإمتثال على وجود ذلك في

الكتاب , لا تَبَحْثُ في كتاب -الله تعالى- إذا جاءكَ أمرٌ من رسول الله أو نهي من رسول الله عليه الصلاة والسلام لأنَّ الله شَهِدَ له (إنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) إذا أمرك بشيء أو نهاك عن شيء أو حرّم عليك شيء أو أوجب عليك شيء وَجَبَ الطَّاعَةُ الطَّاعَةُ المطلقة , لما حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ خيبرَ الحُمُرَ الأهلية أطاعَ الصّحابة أطاعوه طاعة مطلقة و إن لم يكن ذلك موجودا في كتاب الله , تحريمُ الحُمُرِ الأهلية ممّا جاءت به السنة وحدها , كذلك لما نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام من الجمع بين المرأة و خالتِها و بينَ المرأة و عمتِها أطاعوه و لا يزالوا المسلمون يُطيعونه و يُطبّقون ذلك , الله إمّا حرّم الجمع بين المرأة و بينَ المرأة و أختها , و أن تجتمعوا بين الأختين هذا الذي حرّم الله , و لكنّ الجمع بين المرأة و خالتِها و المرأة و عمتِها ممّا جاءت به السنة , له الطَّاعَةُ المطلقة هُنا كما أطعنا الله في تحريم الجمع بين الأختين , نُطيعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريم الجمع بين المرأة و خالتِها و عمتِها هذا مثال و الأمثلة كثيرة , كذلك في باب الأسماء و الصّفات وَرَدَت صِفات ثابتة بالسنة و لم يأتي ذكرها في الكتاب أساسا مُطلقا , يقول النبي صلى الله عليه وسلم (الله أشدّ فرحا بتوبة عبده المؤمن) أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه و سلم لرَبِّه الفَرْحَ بأنّه يَفْرَحُ و بأنّه يَعَجَبُ و بأنّه يَضْحَكُ , كلّ ذلك وَرَدَ في السنة دون الكتاب فَيَجِبُ الإثبات , فإذا جاءتِ الصّفات في السنة موافقة لما في الكتاب يُقَالُ هذه سُنّة موافقة و مُؤَيّدة فإذا جاءت الأحكام أو جاءتِ الصّفات في السنة وحدها يُقَالُ هذه سُنّة مُؤَسَّسة و مُوصَّلة , و إن جاءت السنة لتُبَيِّنَ ما أَجْمَلَ في الكتاب كأحكام الصلاة و الصيام و الحج و غير ذلك يُقَالُ إنّ هذه سُنّة مُفَسَّرة و مُبَيَّنة , هذه أقسامُ السنة في هذا الباب لذلك يَجِبُ أن يُطَاعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده الطَّاعَةُ المطلقة دون غيره من بني آدم , (و الكلام في الشرع و القَدَر من باب الطَّلَب و الإرادة الدَّائِر بين الإرادة و المحبة و بين الكراهة و البُغْض) مِنَ الإِيْمَان أن تَرْضَى بِقَدَرِ الله مَرّه و حُلُوّه و ألا تَكْرَهُ ذلك , يُقَابِلُ الرِّضَى و المحبة و الإستسلام الكراهة و البُغْض و ذلك كُفْر , كذلك في باب الشرع , الله -سبحانه و تعالى- عليم حكيم ما شَرَعَ التَّشْرِيعَات إلاّ لحكمة يَجِبُ أن تَرْضَى و تَقْبَلَ

شَرَعَ اللهُ - تعالى - كما تُحِبُّ و تَرْضَى تَقْبَلُ قَدَرَ اللهُ على حدٍّ سواءٍ و لا تُعَارِضُ قَدَرَ اللهُ
بشَرعِ اللهِ و لا تُخَاصِمُ اللهُ في قَدَرِهِ بِشَرعِهِ بَلْ تَرْضَى هذا و ذاك نَفِيًا و إثباتًا كما مثلنا إثباتًا
في وُجُوبِ المحبة و الرضى , و نَفِيًا في تحريم الكراهة و البغض , و يقول الشيخ (و الإنسان
يَجِدُ في نفسه الفرق بين النفي و الإثبات و بين التصديق و التكذيب) أي أمر فطري و
بديهي و لا يحتاج إلى الشرح , (و بين الحب و البغض و بين الحظ و المنع) حتى إنَّ الفرقَ
بين هذا النوع و بين النوع الآخر معروف عند العامة و الخاصة و معروف عند أصنافِ
المتكلمين في العلم كما دَكَرَ ذلك الفقهاء في كتابِ الإيمان و بالله التوفيق .

الدرس رقم : 02

القارئ : الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسوله الأمين و على من سار على نهجه و منواله إلى يوم الدين , قال المصنف رحمه -الله تعالى- (كما ذكر ذلك الفقهاء في كتاب الأيمان، وكما ذكره المقسمون للكلام، من أهل النظر والنحو والبيان، فذكروا أن الكلام نوعان: خبر وإنشاء، والخبر دائر بين النفي والإثبات، والإنشاء: أمر أو نهي أو إباحة).

وإذا كان كذلك فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال. ولا بد له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره، فيؤمن بخلق المتضمن كمال قدرته، وعموم مشيئته، ويثبت أمره المتضمن بيان ما يجب ويرضاه، من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيماناً خالياً من الزلل).

الشيخ : الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد , قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- (فالكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر، الدائر بين النفي والإثبات والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة، الدائر بين الإرادة والمحبة، وبين الكراهة والبغض نفياً وإثباتاً). يقول شيخ الإسلام رحمه الله - تعالى- إنَّ التَّوْحِيدَ كما قَسَمْنَا سابقاً إلى ثلاثة أقسام يُمكن تَقْسِيمُهُ إلى قسمين , القسم الأول التوحيد العلمي الخبري يَشْمَلُ هذا التَّوْحِيدَ توحيد الأسماء و الصِّفَات و توحيد الرِّبَوِيَّة و هذا هو أحدُ الأصلين الذَّيْنِ أشارَ إليهما شيخ الإسلام هنا بهذا التَّقْسِيمِ , التَّوْحِيدُ الثاني توحيد الطَّلَب و الإرادة و يُسمَّى التَّوْحِيدَ العَمَلِي و هو توحيدُ العبادة و توحيد الألوهية , هذه كلُّها ألقاب لهذا الإسم , يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى (الكلام في باب التوحيد) أي توحيد الرِّبَوِيَّة (والصفات من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات) أي بين التَّكْذِيب و التَّصْديق كما سيأتي الخبرُ من حيث هو . يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ و الكَذِبَ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ

المتكلم , فكلام الله تعالى و خبره و خبر رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يَحْتَمِلَانِ إِلَّا الصِّدْقَ باعتبار المتكلم , أما الخبر الذي هو مُقَابِلُ الإنشاء من حيث هو يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ و الكذب , أما الكلام في الشرع و القدر. الشرع المراد به هنا أو يَدْخُلُ في الشرع توحيد العبادة , و الكلام في الشرع و القدر من باب الطلب و الإرادة , أي هو توحيد الطلب و توحيد الإرادة و التوحيد العملي الدائر بين المحبة. بين الإرادة و المحبة , الإرادة و المحبة هنا بمعنى واحد , لأن الإرادة هنا الإرادة الدينية الشرعية , و بين الكراهة و البغض , فالله سبحانه و تعالى يُقَدِّرُ كُلَّ شَيْءٍ و يَشَاءُ و من مَقْدُورَاتِهِ ما يُحِبُّهُ الله و يَرْضَاهُ , و من مَقْدُورَاتِهِ ما يَكْرَهُهُ و يُبْغِضُهُ , و الإنسان يَجِدُ في نَفْسِهِ الفَرْقَ بَيْنَ النَّفْيِ و الإثبات أي بين الصِّدْقِ. بَيْنَ التَّصْدِيقِ و التَّكْذِيبِ , هنا العطف عطف تفسير , قوله بين النفي و الإثبات و التَّصْدِيقِ و التَّكْذِيبِ عطف تفسيري , و بين الحب و البغض و الحُضِّ و المنع يَشْعُرُ و يَجِدُ كُلُّ إِنْسَانٍ في نَفْسِهِ هذا المعنى حتَّى إِنَّ الفَرْقَ بَيْنَ هَذَا النَّوعِ الذي هو التَّوْحِيدُ العلمي و الْخَبَرِي و بَيْنَ النَّوعِ الْآخَرِ , التَّوْحِيدِ الْعَمَلِيِّ معروف عند العامة و الخاصة و عند أصناف المتكلمين , أنواع المتكلمين في العلم الذين تكلّموا في أنواع العلم , (كما ذَكَرَ ذلك الفقهاء في كتاب الإيمان) الأيمان بفتح الهمزة لا الإيمان (في كتاب الإيمان) ذَكَرُوا ذلك بمناسبة تقسيم اليمين إلى قِسْمَيْنِ , اليمين إذا حَلَفَ الإنسان على المُسْتَقْبَلِ و هو من بابِ الْخَبَرِ حَلَفَ على المُسْتَقْبَلِ أَنَّهُ لَيْسَ بِفَرَسٍ غَدًا أو أَقْسَمَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ دَارَ فُلَانٍ , هذه اليمين على المُسْتَقْبَلِ هي التي فيها الكفارة , و لو حَلَفَ على الماضي عَالِمًا بِكَذِبِهِ و هي اليمينُ الْعَمُوسُ لَا كَفَّارَةَ فِيهَا هذه اليمين كفارتها الإِسْتِغْفَارُ و التَّوْبَةُ , بهذه المناسبة قَسَمَ الفقهاء الكلام إلى إِنْشَاءٍ و خَبَرٍ , يُشِيرُ إلى هذا , و كما ذَكَرَهُ الْمُقْسِمُونَ للكلام من أَهْلِ النَّظَرِ و النَّحْوِ و الْبَيَانِ , كُلٌّ هَؤُلَاءِ يَقْسِمُونَ الْكَلَامَ إِلَى الْإِنْشَاءِ و إِلَى الْخَبَرِ , و يُعْرِفُونَ الْخَبَرَ كَمَا تَقَدَّمَ لَأَنَّهُ مَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ و الْكُذْبَ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الْمُتَكَلِّمِ أَيِ مِنْ حَيْثُ هُوَ , الْخَبَرُ مِنْ حَيْثُ هُوَ يَحْتَمِلُ. مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ و الْبَيَانِ كُلٌّ هَؤُلَاءِ يَقْسِمُونَ الْكَلَامَ إِلَى الْإِنْشَاءِ و إِلَى الْخَبَرِ و يُعْرِفُونَ الْخَبَرَ كَمَا تَقَدَّمَ بَأَنَّهُ مَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ و الْكُذْبَ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الْمُتَكَلِّمِ أَيِ مِنْ

حيث هو ، الخبر من حيث هو يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ و الكَذِبَ ، جَمِيعُ الَّذِينَ أَلْفَوْا و تَكَلَّمُوا فِي أَقْسَامِ الْعِلْمِ هَكَذَا عَرَفُوا و هَكَذَا قَسَمُوا الْكَلَامَ إِلَى خَيْرٍ و إِِنْشَاءٍ فَذَكَرُوا أَنَّ الْكَلَامَ نَوْعَانِ : خَيْرٍ و إِِنْشَاءٍ ، و الْخَيْرُ دَائِرٌ بَيْنَ النَّفْيِ و الْإِثْبَاتِ و كَمَا تَقَدَّمَ و بَيْنَ التَّصْدِيقِ و التَّكْذِيبِ لِيَكُونَ التَّصْدِيقُ و التَّكْذِيبُ عَطْفًا تَفْسِيرِيًّا لِلنَّفْيِ و الْإِثْبَاتِ ، و الْإِنْشَاءُ أَمْرٌ و نَهْيٌ أَوْ إِبَاحَةٌ و أَكْثَرُ مَنْ يَبْحَثُ هَذَا الْبَحْثَ الْأَصُولِيَّونَ كَمَا تَعْلَمُونَ ، نَعَمْ .

(وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ) إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقَدَّمَ فَلَا بَدَّ لِلْعَبْدِ أَنْ يُثَبِّتَ اللَّهُ مَا يَجِبُ إِثْبَاتُهُ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ و يَنْفِي عَنْهُ مَا يَجِبُ نَفْيُهُ عَنْهُ مِمَّا يُضَادُّ هَذِهِ الْحَالَ أَيْ مِمَّا يُضَادُّ الْكَمَالَ تَصْدِيقًا لَخَبَرِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ خَبَرَ اللَّهِ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا الصِّدْقَ بَلْ كُلُّهُ صِدْقٌ و لَا بَدَّ لَهُ فِي أَحْكَامِهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يُثَبِّتَ خَلْقَهُ و أَمْرَهُ ، يُثَبِّتُ . يُؤْمِنُ بِالْخَلْقِ و الْأَمْرِ فَيُؤْمِنُ بِخَلْقِهِ تَعَالَى الْمُتَضَمِّنِ كَمَالَ قُدْرَتِهِ و عُمُومِ مَشِئَتِهِ "اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" و بِكُلِّ شَيْءٍ يَشَاءُ ، أَيْ لَا يَقَعُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ و مَشِئَتِهِ ، يُؤْمِنُ بِعُمُومِ مَشِئَتِهِ و بِعُمُومِ قُدْرَتِهِ و بِعُمُومِ إِرَادَتِهِ ، الْإِرَادَةُ إِذَا ذُكِرَتْ هُنَا هِيَ الْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ بِمَعْنَى الْمَشِئَةِ ، لِيُؤْمِنَ بِأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ مِنْ خَيْرٍ و شَرٍّ و كُفْرٍ و إِيْمَانٍ ، فَمَشِئَةُ اللَّهِ تَعَالَى تَتَعَلَّقُ بِجَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ كَذَلِكَ قُدْرَتُهُ تَتَعَلَّقُ بِجَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ ، الْمُرَادُ بِالْمُمْكِنَاتِ . الْمُمْكِنَاتِ جَمْعُ مُمَكِّنٍ ، الْمُمْكِنُ يُعْبَرُ عَنْهُ أحيانًا الْجَائِزُ و هُوَ مَا عَدَا اللَّهَ ، مَا سِوَى اللَّهِ ، هَذَا الْكَوْنُ كُلُّهُ يُقَالُ لَهُ مُمَكِّنٌ و يُقَالُ لَهُ جَائِزٌ و هُوَ مَا وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ أَوْ مَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ ، كُلٌّ مَا وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يُقَالُ لَهُ جَائِزٌ و يُقَالُ لَهُ مُمَكِّنٌ و هُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَطْرَأُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ ، مَا يُخَالِفُ هَذَا أَوْ مَا يُخْرِجُ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ بِأَسْمَائِهِ و صِفَاتِهِ ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الْقُدْرَةَ تَتَعَلَّقُ بِجَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ و كَذَلِكَ يُقَالُ فِي الْمَشِئَةِ ، هُنَا بَحْثٌ قَدْ يَكُونُ دَقِيقًا لَكِنْ فَلْيُذَكِّرْ مِنْ بَابِ الْعِلْمِ ، قَدْ يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ و يُخْرَجُ . هَلْ تَتَعَلَّقُ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْوَاجِبَاتِ ؟ لَا ، الْمُرَادُ بِالْوَاجِبَاتِ ذَاتُ اللَّهِ تَعَالَى و أَسْمَاؤُهُ و صِفَاتُهُ ، لَا تَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالْمُمْكِنَاتِ الْحَادِثَةِ ، أَمَّا الْوَاجِبَاتِ فَلَا ، و هَلْ تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَحِيلَاتِ كَالشَّرِيكِ و الصَّاحِبَةِ و الْوَلَدِ و الْوَزِيرِ و الْمَعِينِ ؟ هَلْ تَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ ؟ لَا ، لِمَاذَا ؟ لِأَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ لَا تَقْتَضِي ذَلِكَ ، لَا لِأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَجَزَ عَنْ

إيجاد هذه الأشياء بل إقتضت حكمة الله تعالى ألا يوجد تلك الأشياء حتى أصبحت مستحيلاً و لا يطلّق عليه شيء لا تدخل في عموم قوله تعالى (إنه على كل شيء قدير) لأنّ المعدوم ليس بشيء , المستحيل معدوم , معدوم لا يوجد و لا يمكن وجوده لأن الله أراد ألا يوجد , ما أراد الله و حكمه و قضى و قدر أنه لا يوجد فلن يوجد , الشريك و الصاحبة و الولد و الوزير والمعين هذه الأشياء مستحيلة , و هذه المستحيلات معدومة و ليست بشيء , القدرة تتعلق بالشيء , أي بما هو ممكن كما تقدّم , فليفهم هذا و يسجل طلاب العلم عنده لأن الأسئلة هذه الأيām كثيرة , قد يسأل المرء مثل هذه الأسئلة فيخرج , فليكن معلوماً لدى طلاب العلم .

و يثبت العبد أمره سبحانه و تعالى المتضمن بيان ما يحبّه و يرضاه , الله سبحانه و تعالى لا يأمر إلا بما يحبّه و يرضاه . يشاؤه . و يقدر ما يحبّه و يرضاه و ما لا يحبّه و لا يرضاه , لكن لا يأمر إلا بما يحبّه و يرضاه , و لا يريد شرعاً و ديناً إلا ما يحبّه و يرضاه , لذلك الإرادة الدينية الشرعية ملتزمة للأمر , و هما متلازمان , من القول و العمل , و يؤمن بشرعه تعالى و قدره إيماناً خالياً من الزلل لآلاً يعارض الشرع بالقدر , و هذه مرّة القدر , من يعارض شرع الله بقدر الله , و يعارض قدر الله بشرع الله و ينصبّ العداء بين القدر و بين الشرع زلّ . زلت قدمه , بل يحب الإيمان بالشرع و القدر معا , هذه النقطة هي موضوع هذا الكتاب "التدمرية" كما سيأتي , و هذا يتضمّن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له , التوحيد . الإيمان بالقدر نظام التوحيد , الإيمان بالقدر نظام التوحيد لا ينتظم توحيدك و يسلم إلا بالإيمان بالقضاء و القدر , أما إذا كنت تُخاصم الله في قضائه و قدره , لماذا فعل كذا ؟ لماذا قدر كذا ؟ لماذا أغنى ؟ لماذا أفقر ؟ لماذا أحيا ؟ و لماذا أمات ؟ إلى غير ذلك , لا يستقيم توحيدك أبداً , إذا لابدّ من الجمع بين الإيمان بالشرع و الإيمان بالقدر , سبق أن قلنا يكفي للإيمان بالقدر شيء يسير وهو أن يعلم الجميع المتعلم و غير المتعلم . أن يعلم المرء أنّ ما أصابه لا يخطؤه و ما أخطأه لا يصيبه , و أنّه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن , يكفي للإيمان بالقدر هذا المقدار .

قال شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (و هو التوحيد في القصد و الإرادة و العمل) هذه ألقاب توحيد العبادة , و الأول يتضمن التوحيد في العلم و القول و هو يشمل توحيد الأسماء و الصفات و توحيد الربوبية , كما دلّ على ذلك سورة (قل هو الله أحد) سورة (قل هو الله أحد) وُصِفَتْ بِأَنَّهَا صِفَتْ الرَّحْمَنُ لِأَنَّهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى , تَتَضَمَّنُ تَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ , وَ دَلَّ عَلَى الْآخَرِ وَ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ سُورَةُ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) وَ هُمَا سُورَتَا الْإِحْلَاصِ , الْأُولَى فِي تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ الْآخَرَى فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ وَ بِهَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَقْرَأُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ , وَ رَكْعَتِي الطَّوَافِ , مَسْأَلَةٌ فِقْهِيَّةٌ اسْتَطَرَدَّهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- وَ هِيَ فَائِدَةٌ , نَعَمْ .

القارئ : و قال رحمه الله تعالى (فأما الأول، وهو التوحيد في الصفات، فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا، فثبت لله ما أثبتته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه , وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه - مع إثبات ما أثبتته من الصفات - من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وقال -الله تعالى- : {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} .

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال -تعالى- : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، ففي قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} رد للإلحاد والتعطيل.

الشيخ : الأول و هو التوحيد في الصفات , فأما الأول و هو التوحيد في الصفات فالأصل في هذا الباب أن يُوصَفَ الله بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ لَأَنَّهُ لَا يَصِفُ اللهُ أَعْلَمُ مِنَ اللهِ , فَخَبَّرُ اللهُ هُوَ الْخَبَرُ الْيَقِينِي , إِذَا وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ , وَ مَعَانِي الصِّفَاتِ مَعْرُوفَةٌ لِأَنَّ الصِّفَاتِ تُؤْخَذُ مِنَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ هَذَا كَلَامُ عَرَبِي , الْمَعَانِي مَعْرُوفَةٌ وَ الَّذِي لَا يُعْرَفُ الْكُنْهُ وَ الْكَيْفِيَّةُ وَ الْحَقِيقَةُ فَقَط , مَصْدَرُ صِفَاتٍ -الله تعالى- الكتاب و السُّنَّةُ , الْمَطْلُوبُ أَنْ يَعْلَمَ مَعَانِي الصِّفَاتِ وَ يُؤْمِنَ بِهَا وَ يُثَبِّتَهَا كَمَا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى , (و بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ نَفِيًا وَ إِثْبَاتًا) قَالَ رُسُلُهُ وَ لَمْ يَقُلْ رِسُولُهُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ مَحَلٌّ لِاتِّفَاقٍ بَيْنَ الرُّسُلِ , الْأَصُولُ . دِينُ الرُّسُلِ وَاحِدٌ كُلُّهُمْ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَ إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَرْعَةً وَ مِنْهَا جَا , لَكِنَّ الْأَصُولَ مَحَلٌّ لِاتِّفَاقٍ بِمَا فِي ذَلِكَ الْأَسْمَاءُ وَ الصِّفَاتِ , لِذَلِكَ الَّذِينَ يُنَازِعُونَ فِي هَذَا الْبَابِ إِمَّا بِالتَّأْوِيلِ وَ إِمَّا بِالنَّفْيِ وَ التَّعْطِيلِ يُخَالِفُونَ جَمِيعَ الرُّسُلِ , فَيُثَبِّتُ اللهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَ يُنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ , أَوْ يُثَبِّتُ الْعَبْدُ اللهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَ يَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ , وَ يُثَبِّتُ لَهُ مَا أَثْبَتَهُ لَهُ رِسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ يَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَى عَنْهُ الرِّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ كَمَا تَقَدَّمَ لِرِسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ الطَّاعَةُ الْمَطْلُوقَةُ , وَ قَدْ ثَبَّتَ بِالِاسْتِقْرَاءِ ثُبُوتُ كَثِيرٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بِالسُّنَّةِ وَ لَمْ يَأْتِ ذِكْرُهَا فِي الْكِتَابِ , ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ) سَلَفِ الْأُمَّةِ هُمُ الصَّحَابَةُ وَ التَّابِعُونَ , إِذَا أَطْلَقَ السَّلَفُ هُوَ كُلٌّ مَنْ سَلَفْنَا وَ سَبَقْنَا مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ , الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ هُمُ السَّلَفِيُّونَ , وَ أَمَّا السَّلَفُ هُمُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ , ثُمَّ مَنْ تَبِعَهُمْ سَلَفِي , الْيَاءُ لِلنَّسَبَةِ أَيْ مُنْتَسِبٌ إِلَى السَّلَفِ . إِلَى الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ مَهْمَا تَأَخَّرَ بِهِ الزَّمَنُ . طَالَمَا هُوَ سَائِرٌ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ مِنْهُجِ سَلَفِ الْأُمَّةِ يُقَالُ لَهُ سَلَفِي وَ يُقَالُ لَهُ أَثَرِي وَ يُقَالُ لَهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ . الْمَعْنَى وَاحِدٌ , وَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَ أَثَمَّتِهَا بِمَا فِي ذَلِكَ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ , الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ أَدْرَكَ الصَّحَابَةَ فَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ وَ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْأُئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ , هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ

المشهود لهم بالإمامة لم يختلفوا في هذا الباب أبدا لا هم ولا غيرهم من أئمة المسلمين ,
 أئمة المسلمين كثر و ليسوا هؤلاء الأربعة , ولكن الله بآرك في مذهب هؤلاء الأئمة الأربعة
 بأن وفق تلاميذهم فدوّنوا مذهبهم فعرفوا و إلا أئمة المسلمين أكثر من أربعين و من أراد أن
 يطّلع على أقوال أئمة المسلمين بدءا من عهد الصحابة إلى عهد القرن السابع فعليه أن
 يدرس الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام , كتاب فريد في باب جمع أقوال أئمة المسلمين
 بأقوال المسلمين من عهد الصحابة إلى وقته رحمه - الله تعالى - , بهذا تمتاز الفتوى الحموية
 على سائر مؤلفات شيخ الإسلام لأنه جمع فيه نقولا قد لا توجد في بعض المطولات و هي
 رسالة صغيرة , و ما أثبتته فاعلم. (و قد علم أن طريقة سلف الأمة و إئمتها إثبات ما أثبتته
 من الصفات من غير تكييف و لا تمثيل) من غير تكييف دون أن تسأل عنها بكيف ,
 التكييف يُفسّر بتفسيرين , التفسير الأول أن تسأل عن صفات الله تعالى و أسمائه بكيف ,
 هذا لا يجوز , إذا سمعت سمع الله و بصره و علمه و استواءه على عرشه و نزوله في آخر كل
 ليلة و مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء لا يجوز لك أن تقول كيف سمعه ؟ كيف بصره ؟
 كيف نزوله ؟ كيف استواءه ؟ كيف مجيئه ؟ لا يجوز هذا , لأن هذا تعرض لما لا علم لك و
 لا تستطيع أن تدرك. هذا علم استأثر الله به , الكيفية لا يسأل عنها , أو من غير تكييف
 دون أن تقول صفات الله تعالى على كيفية كذا و كذا , كل هذا لا يجوز , و لا تمثيل.
 التمثيل هو التشبيه , أي دون أن تُشبه صفات الله تعالى بصفات خلقه , كأن يقول قائل
 مثلا سمعه كسمعنا. نزوله كنزولنا. و استواءه كاستوائنا إلى آخره , هذا تمثيل و تشبيه , و قد
 أجمع سلف هذه الأمة بأن المشبهة كافر , من شبه الله بخلق أو شبه شيئا من صفاته بصفات
 خلقه فهو كافر , إذا السلامة أن تُسلم لله و لرسوله عليه الصلاة و السلام , لا سلامة إلا
 في التسليم , لا تتطرق في الإثبات أي لا تُبالغ في الإثبات إلى حد التشبيه و التمثيل , و لا
 تُبالغ في التنزيه إلى حد التعطيل و التحريف , السلامة في الوسط , أن تُسلم لله في خبر الله
 و تُسلم لرسوله عليه الصلاة و السلام في خبره بذلك تُسلم في دينك , (و من غير تحريف و
 لا تعطيل) التحريف تحريف الكلم , تحريف النصوص. نصوص الصفات كتابا و سنة إذا

عُرِضَتْ عَلَيْهِ النَّصُوصُ قَالَ مُرَادُ اللَّهِ تَعَالَى كَذَا وَ كَذَا , وَ لَا يَلِيقُ أَنْ تُثَبَّتَ هَذِهِ النَّصُوصُ عَلَى ظَاهِرِهَا , فَظَاهِرُهَا غَيْرُ مُرَادٍ , هَذَا قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ , إِذَا سَمِعَ أَنَّ اللَّهَ يَفْرَحُ وَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ وَ أَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ يَقُولُ هَذِهِ إِنْفِعَالَاتٌ نَفْسِيَّةٌ لَا تَلِيقُ بِاللَّهِ , إِذَا يَجِبُ أَنْ تُؤَوَّلَ هَذِهِ النَّصُوصُ , هَذَا التَّأْوِيلُ هُوَ التَّحْرِيفُ , أَوْ سَمِعَ قَوْلُهُ تَعَالَى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) قَالَ لَا. إِسْتَوَى لَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهِ بَلِ الْإِسْتَوَاءُ بِمَعْنَى الْمَلِكِ وَ السَّلْطَانِ وَ الْهِمْنَةِ إِلَى آخِرِهِ , كُلُّ هَذَا تَحْرِيفٌ وَ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ , وَ كَوْنُ الْعَبْدِ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي كِتَابِهِ آيَةً مُرَادُهَا أَوْ ظَاهِرُهَا غَيْرُ مُرَادٍ. مَا يَظْهَرُ مِنَ الْآيَةِ مِنْ وَضْعِ الْكَلِمَةِ غَيْرُ مُرَادٍ , وَ الْمُرَادُ خِلَافُ ذَلِكَ , وَ ذَلِكَ الْمُرَادُ الْمَدْعَى لَمْ يُبَيِّنْهُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ لَمْ يُبَيِّنْهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ أَنْتَ مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ مُرَادَ اللَّهِ ؟ مُرَادُ الْمُتَكَلِّمِ يُعْرَفُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ نَفْسُهُ , الْمُتَكَلِّمُ هُوَ الَّذِي يُفَسِّرُ كَلَامَهُ إِذَا كَانَ ظَاهِرُ كَلَامِهِ غَيْرُ مُرَادٍ. هُوَ الَّذِي يَقُولُ ظَاهِرُ كَلَامِي غَيْرُ مُرَادٍ مُرَادِي كَذَا وَ كَذَا , إِذَا كَانَ اللَّهُ أَخْبَرَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وَ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَأْتِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ (وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) يَأْتِي مُتَطَقِّلٌ فِي وَقْتٍ مُتَأَخَّرٍ بَعْدَ أَنْ مَضَتْ قُرُونٌ عَلَى هَذَا الْقُرْآنِ. تَلَاهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَ الصَّحَابَةِ حَفِظُوا وَ عَلَّمُوا التَّابِعِينَ , وَ التَّابِعِينَ حَفِظُوا. عَلَّمُوا تَابِعَ التَّابِعِينَ. هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ لَمْ يَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِ هَذِهِ النَّصُوصِ. نَصُوصُ الصِّفَاتِ , يَأْتِي مُتَطَقِّلٌ مُتَأَخَّرٌ بَعْدَ أَنْ تَأَثَّرَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَ الْفَلَسَفَةِ وَ الْمُنْطِقِ. فَيَقُولُ لَا. لَا نَقُولُ الْيَوْمَ كَمَا قَالَ مَالِكٌ فِي أَحَدِ تَابِعِ التَّابِعِينَ "الْإِسْتَوَاءُ مَعْلُومٌ وَ الْكَيْفُ مَجْهُولٌ وَ الْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَ السُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعٌ" يَقُولُ لَا يَسْعُنَا الْيَوْمَ أَنْ نَقُولَ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ لِأَنَّا دَرَسْنَا الْبَلَاغَةَ بِأَنْوَاعِهَا. الْبَيَانُ وَ الْمَعَانِي وَ الْبَدِيعُ وَ تَعَلَّمْنَا أَيْ تَعَلَّمْنَا مَا لَمْ يَعْلَمَهُ السَّلَفُ , إِذَا لَنَا أَنْ نَشُقَّ لَنَا طَرِيقًا فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ , هَذَا مَا يَرْمِي إِلَيْهِ بَعْضُ الدَّكَاتِرَةِ الْمُعَاصِرِينَ فِي مَوْلَفَاتِهِمُ الْيَوْمَ عِنْدَمَا يُصْرِّحُونَ أَنَّهُ لَا يَسْعُنَا الْيَوْمَ أَنْ نَقُولَ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ , كَأَنَّهُ يَقُولُ مَا يَسْعُنَا مَا وَسَّعَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلِينَ. لَا يَسْعُنَا ذَلِكَ وَ هَذَا مَعْنَاهُ مُخَالَفَةُ لَطَرِيقِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَاعُ سَبِيلِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ , لَا يَجُوزُ أَبَدًا مُخَالَفَةُ سَلَفٍ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي أَصُولِ الدِّينِ , الْإِخْتِلَافُ فِي الْفُرُوعِ. فِي الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ وَقَعَ حَتَّى بَيْنَ الصَّحَابَةِ

لأن الفروع الفقهية مطرح الإجتهد ما لم يكن هناك نص صحيح و صريح لأهل العلم أن يجتهدوا في فهم النصوص في باب الفروع أما الأصول فلا. الأصول ليست محل إجتهد و لا استحسنان و لا قياس , إنما التسليم فقط , (ومن غير تحريف و لا تعطيل) التعطيل يلزم من التحريف , من حرّف النصوص فقد عطّل. من حرّف بدعوى التأويل كما فعلت الأشاعرة في كثير من نصوص الصفات. أوجبوا التأويل , ففسّموا النصوص إلى قسمين : قسم لا يحتمل التأويل لا يؤهم التشبيه فيبقى , و قسم يؤهم التشبيه ! و هذا الإتهام نفسه خطأ , إساءة إلى كتاب الله , و كلّ نصّ أوهم التشبيه----- فوّض و رُم تنزيهاً , هذه القاعدة عندهم عند الأشاعرة , أي نصّ أوهم التشبيه تقف منه أحد الموقفين : أوله حتى لا يؤهم التشبيه أو فوّض و رُم التنزيه في المعنيين في المذهبين , إعتقاد أنه يوجد في كتاب الله و في سنة رسول الله عليه الصّلاة و السلام الثابتة ما يؤهم التشبيه بخلقه هذا نفسه خطأ , هذا التّصوّر تصوّر خاطئ , لو كان في كتاب الله آية تؤهم التشبيه ما كان القرآن بياناً و تبياناً لكل شيء , و لا كان هدى و شفاء و لكنّه إنّما أوتي القوم من سوء فهمهم و إلا نصوص الكتاب و السنة لا تؤهم التشبيه أبداً , (و كذلك ينقون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبتته من الصفات من غير إلحاد) الإلحاد هو الميل عن الحق , الميل عن الطريق , الميل عن الصواب , من حرّف و عطّل فقد ألحد , لا في أسمائه و لا آياته فإنّ الله تعالى ذمّ الذين يلحدون في أسمائه و آياته كما قال -تعالى- (و الله الأسماء الحسنة فادعوه بها) هذا هو التّوسّل بأسماء الله تعالى , لأنّ التّوسّل أنواع و هذا نوع من التّوسّل فلْيعلّم , ثم قال (و ذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) هذا وعيد شديد . ما أشدّه , (دعوا الذين يلحدون في أسمائه) دعوهم فلْيُلحدوا فلْيفعَلوا ما يشاؤون سيجزون ما كانوا يعملون , أبهم الجزاء , الإبهام من أنواع البلاغة , ما هو نوع الجزاء ؟ لم يُعيّن ولم يُبيّن ليبقى هكذا مبهمًا و هو أبلغ في باب الزجر و التّقريع , و قال في سورة فُصِّلَتْ (إنّ الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا) . لا يظنّوا إذا أمهلناهم و لم نُعاجِلْهم بالعقوبة لا يظنّوا أنّهم يخفون علينا لا , و نحن نعلم لا يخفون علينا , الواو هنا واو الجمع يُقال له ضمير العظيمة , كلّ

الضمائر تأتي في كتاب الله بصيغة الجمع , ليس المراد منها الكثرة. الله واحدٌ أحد و لكن المراد العظمة , يقال لها ضمائر العظمة (إنا أنزلنا) وكذلك هنا (لا يخفون علينا) علينا. كل هذه الضمائر يقال لها ضمير العظمة. تدل على عظمة الرب سبحانه و تعالى و في غير حق الله تعالى تدل على الكثرة , (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة) الذي لا يؤمن بآيات الله و لا يؤمن بخبر الله و خبر رسوله عليه الصلاة و السلام و لا يسلم لله و لرسوله هذا على خطر عظيم. هذا الذي يقال فيه (أفمن يلقى في النار خير) لماذا يلقى في النار ؟ لأنه لم يؤمن و لأنه لم يسلم , (أمن يأتي آمناً يوم القيامة) الذي أتى آمناً يوم القيامة هو الذي آمن بالله و بحبره و آمن برسوله عليه الصلاة و السلام و بحبر رسوله (إعملوا ما شئتم) هذا نوع آخر من التهديد , نسأل الله السلامة , (فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء و الصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه) أي طريقة سلف هذه الأمة تتضمن إثبات أسماء الله تعالى و الصفات معاً و لا يجوز التفريق بين الأسماء و الصفات , من يدعي أنه يثبت الأسماء و لا يثبت الصفات إثباتاً للصفات كلاً إثبات , لأن أسماء الله تعالى تدل داليتين : تدل على الذات باعتبار دلالتها على الذات. أسماء الله - تعالى - أعلام , إنتبه . أسماء الله تعالى كلها تدل داليتين إثنين : تدل على الذات باعتبار دلالتها على الذات فهي أعلام , و تدل على المعاني. معاني الأسماء هي الصفات باعتبار دلالتها على الصفات فهي أوصاف , إذا أسماء الله تعالى ليست أعلاماً جامدة كزبد و عمر , زيد لا يدل إلا على الذات المسمى بهذا الاسم ليس له معنى آخر هذا الاسم .

لكن إسم الله العليم يدل داليتين : يدل على الذات الموصوفة بالعلم و يدل على العلم معاً , السميع يدل على الذات الموصوفة بالسمع و يدل على السمع , لذلك طريقة المعتزلة الذين يدعون إثبات الأسماء دون الصفات طريقة باطلة , إذا لابد من الجمع بين الإيمان بالأسماء و الصفات معاً مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه. أي لا يبالغون في الإثبات حتى يصلوا إلى درجة التشبيه بأن يرغموا بأن الله خاطبنا بهذا الخطاب. السمع و البصر. لا نعقل من السمع و البصر إلا ما نعقل في المخلوق. إذا سمع كسمع المخلوق و بصره كبصر

المخلوق و علمه كعلم المخلوق ، هذا التشبيه هو الكفر كما قلنا ، هذه مبالغة في الإثبات ، يجب أن نقول له علم ليس كعلمنا ، له سمع ليس كسمعنا ، له بصير ليس كبصيرنا ، و هذا معقول ليس كلمات تُحكى ، هل علم الله كعلمنا ؟ حتى كل عاقل . حتى غير المتعلم يدرك ، علم الله تعالى علم قديم قدم ذاته ليس محدثاً ، علم الله تعالى محيط بجميع المعلومات ، علمنا محدث ، علمنا قاصر ، علمنا يطرؤ عليه النسيان و الغفلة و الجهل و أخيراً يزول ، فعلم الله تعالى علم قديم باقٍ ، محيط بجميع المعلومات لا يطرؤ عليه جهل أو نسيان أو غفلة أو دُھول ، علم كهذا لا يقال فيه كعلمنا و لا مشابهة بين علمنا و بين علم الله تعالى و لا مشاركة ، (و تنزيهاً بلا تعطيل) يُنزّهون الله -تعالى- عما لا يليق به تنزيهاً بلا تعطيل ، إذا أردت أن تعرف التنزيه أبلغ تنزيه إقرأ قوله تعالى (ليس كمثله شيء و هو السميع البصير) جمع بين التنزيه و بين الإثبات ، قال (ليس كمثله شيء) ليُرَدّ على المشبهة و الممثلة ، (و هو السميع البصير) ليُرَدّ بذلك على الإلحاد و التعطيل و التحريف ، و بالله التوفيق .

الدرس رقم : 03

القارئ : قال المصنف رحمه -الله تعالى- (والله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل، كما قال تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} ، قال أهل اللغة: (هل تعلم له سمياً) أي نظيراً يستحق مثل اسمه، ويقال مُسامياً يُساميه. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهاً، وقال تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} ، وقال تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} ، وقال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ • بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ

ب

• الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} ، وقال تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَّبِّكَ ابْنَاتٌ وَلَهُمُ الْبُنُونَ • أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ • أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ • وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ • مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ • أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ • فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ • سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} إلى قوله: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ، فسبح نفسه عما يصفه المفترون المشركون، وسلّم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من الإفك والشرك، وحمد نفسه إذ هو سبحانه المستحق للحمد بما له من الأسماء والصفات وبديع المخلوقات.)

الشيخ : الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و إمام المرسلين

نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين و بعد : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- في رسالته التدمرية (والله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل) بَعَثَ رَسَلَهُ جَمِيعًا لَيْسَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ فَقَطْ بِإِثْبَاتِ مَفْصَلٍ وَ نَفِي جُمْلٍ أَيْ غَالِبًا ، لَا بَدَّ مِنْ هَذَا الْقَيْدِ وَ إِلَّا قَدْ يَأْتِي النَّفْيُ مُفَصَّلًا أحيانًا ، بِإِثْبَاتِ مَفْصَلٍ وَ نَفِي جُمْلٍ غَالِبًا وَ إِنَّمَا فُصِّلَ الْإِثْبَاتُ لِأَنَّهُ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ وَ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ ، الْأَصْلُ الْإِثْبَاتُ ، إِثْبَاتُ كَمَالَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، (فَأَثْبَتُوا لَهُ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ) فَعُدَّتِ الصِّفَاتُ صِفَةً صِفَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ تَعْدَاذُ الْأَسْمَاءِ تَعْدَاذٌ لِلصِّفَاتِ ، إِذْ قَدْ تَقَدَّمَ بِأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى هَذِهِ الْكَثِيرَةُ الَّتِي سَرَدَهَا الشَّيْخُ وَ غَيْرُهَا لَيْسَتْ أَعْلَامًا مُجَرَّدَةً وَ لَكِنَّهَا تَدُلُّ دَلَالَتَيْنِ ، تَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ ، وَ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهَا عَلَى الذَّاتِ فَهِيَ أَعْلَامٌ ، وَ تَدُلُّ عَلَى الصِّفَاتِ ، وَ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهَا عَلَى الصِّفَاتِ فَهِيَ أَوْصَافٌ ، أَيْ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى أَعْلَامٌ وَ أَوْصَافٌ .

لِذَلِكَ قَالَ (فَأَثْبَتُوا لِلَّهِ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ ، وَ نَفَوْا عَنْهُ مَا لَا يَصْلَحُ لَهُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَ التَّمْثِيلِ) سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ فِي بَابِ الْعِبَادَةِ ، هَذَا شَامِلٌ ، النَّفْيُ الْمَحْمَلُ يَشْمَلُ نَفْيَ التَّمْثِيلِ وَ التَّشْبِيهِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ فِي بَابِ الْعِبَادَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى (فَاعْبُدِ اللَّهَ) {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} ، هَذَا مَحَلُّ الشَّاهِدِ (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) هَذَا نَفْيٌ جُمْلٍ ، (قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أَيْ نَظِيرًا يَسْتَحِقُّ مِثْلَ اسْمِهِ) وَ يَسْتَحِقُّ مِثْلَ عِبَادَتِهِ ، الْإِسْتِفْهَامُ إِنكَارِيٌّ أَيْ لَا تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا نَظِيرًا يَسْتَحِقُّ مِثْلَ اسْمِهِ وَ مِثْلَ عِبَادَتِهِ ، هَذَا وَجْهُ الْإِجْمَالِ ، (وَيُقَالُ مُسَامِيًّا يُسَامِيهِ). أَيْ يَشَاهِدُهُ ، (وهذا معنى ما يُروى عن ابن عباس رضي -الله- عنهما : هل تعلم له سميًّا أَيْ مِثْلًا أَوْ شَبِيهًا) شَامِلٌ لِلْبَابَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ ، (وَ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِحْلَاصِ {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}) هَلْ هَذَا إِجْمَالٌ ؟ إِجْمَالٌ فِي النَّفْيِ أَوْ تَفْصِيلٌ ؟ هَذَا تَفْصِيلٌ لَيْسَ بِإِجْمَالٍ ، مَا جَاءَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ النَّفْيِ تَفْصِيلٌ وَ لَيْسَ بِإِجْمَالٍ ، (وَقَالَ تَعَالَى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}) هَذَا إِجْمَالٌ ، (لَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) نُضْرَاءُ وَ شُرَكَاءُ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ فِي بَابِ الْعِبَادَةِ ، (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)

يُحِبُّونَهُمْ. يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّهِمْ اللَّهُ ، يُثَبِّتُ لَهُؤُلَاءِ مُحَبِّتَيْنِ : يُحِبُّونَ الْأَنْدَادَ وَ يُحِبُّونَ اللَّهَ ، مُحَبَّةٌ مَقْسُومَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَ الْأَنْدَادِ وَ الشُّرَكَاءِ ، لِذَلِكَ قَالَ (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) لِأَنَّ مُحَبَّتَهُمْ خَالِصَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَ لَيْسَتْ مَقْسُومَةً. لَا يُحِبُّونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ وَ إِنْ كَانَ يُحِبُّونَ فِي اللَّهِ. هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَ الْحُبِّ مَعَ اللَّهِ ، الْحُبُّ مَعَ اللَّهِ شِرْكٌ وَ شِرْكٌ أَكْبَرُ ، مَنْ أَحَبَّ غَيْرَ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ ، فَيَطْلُبُ مِنْهُ مَا لَا يُطْلَبُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَ يَسْتَعِثُّ بِهِ كَمَا يَسْتَعِثُّ بِاللَّهِ وَ يَخْضَعُ لَهُ وَ يَتَذَلَّلُ كَمَا يَتَذَلَّلُ اللَّهُ . هَذَا شِرْكٌ فِي بَابِ الْمَحَبَّةِ شِرْكٌ أَكْبَرُ ، أَمَّا الْحُبُّ فِي اللَّهِ فَمِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ وَ الْقُرْبَاتِ كَانَ تُحِبُّ الْمَرْءَ لَا تُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ. ظَنَنْتَ فِي شَخْصِ الصَّلَاحِ وَ الْإِسْتِقَامَةِ فَأَحْبَبْتَهُ اللَّهُ لَمْ تُحِبُّهُ إِلَّا لِكَوْنِهِ يُحِبُّ اللَّهُ. وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. هَذِهِ الْمَحَبَّةُ مَطْلُوبَةٌ وَ قُرْبَةٌ ، مَنْ أَحَبَّ شَخْصًا فِي اللَّهِ وَ تَبَادَلَتِ الْمَحَبَّةُ وَ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَ تَفَرَّقَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الَّذِينَ يُضِلُّهُمْ اللَّهُ يَوْمَ لَا ضِلَّ إِلَّا ضِلُّهُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ ، إِذَا لَا بَدَّ مِنَ التَّفَرِيقِ بَيْنَ الْمُحَبِّتَيْنِ ، وَ مَعْنَى آخِرِ اللَّائِيَةِ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) كَحُبِّ الْمُؤَحِّدِينَ اللَّهُ ، مُحَبَّتُهُمْ لِأَنْدَادِهِمْ تُشَبِّهُ مُحَبَّةَ الْمُؤَحِّدِينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) لِأَنَّ حُبَّهُمْ وَاقِعٌ مَوْقِعَةً ، أَحَبُّوا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَحَبَّةَ الْخَالِقِ الرَّازِقِ الْمُنْعِمِ الْمُتَفَضِّلِ ، فَمَحَبَّةٌ صَادِقَةٌ لِذَلِكَ أَشَدُّ ، (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ) إِخْتَرَعُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ ، (بَعِيرٍ عَلِيمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ) نَفْيٌ مُجْمَلٌ ، (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بِاعْتِبَارِ هَذَا قَدْ يُقَالُ إِنَّهُ دَخَلَ فِيهِ تَفْصِيلٌ. إِبْتِاثٌ مُفَصَّلٌ ، (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً) الْحَاجَةُ إِلَى الْوَلَدِ وَ إِلَى الصَّاحِبَةِ وَ إِلَى الشَّرِيكِ وَ إِلَى الْوَزِيرِ وَ الْمُعِينِ لِلْحَاجَةِ وَ الضَّعْفِ ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى هُوَ الْغَنِيُّ. الْغِنَى وَصِفٌ ذَاتِيٌّ لِلَّهِ ، الْغِنَى الْمَطْلُوقُ غِنَى ذَاتِيًّا لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى وَلَدٍ أَوْ صَاحِبَةٍ أَوْ وَزِيرٍ أَوْ مُعِينٍ ، كَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ كَيْفَ تَكُونُ لَهُ صَاحِبَةٌ وَ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ مُعِينٌ أَوْ وَزِيرٌ وَ هُوَ الْغَنِيُّ ، وَ إِنَّمَا يَحْتَاجُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى هَؤُلَاءِ لِضَعْفِهِمْ لِيَكْمُلَ لَهُمْ أَوْ يُقَرَّرَ لَهُمْ مِنَ الْكَمَالِ هَؤُلَاءِ ، أَمَّا الْغِنَى الْمَطْلُوقُ الَّذِي الْغِنَى وَصِفٌ ذَاتِيٌّ لَهُ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى هَؤُلَاءِ - سُبْحَانَهُ .

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا • الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) نفى مجمل .

(فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ • أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ • أَلَا
إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ • وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) كل هذا نفى مجمل ، (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ
عَلَى الْبَنِينَ • مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) تقولون على الله بغير علم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • أَمْ لَكُمْ
سُلْطَانٌ مُّبِينٌ • فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ
الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ • سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) إلى قوله:
{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }
سبح الله نفسه أي قدس و نزهة عما يصفه المفترون المشركون من الولد و الصاحبة و الشريك
و البند ، و سلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من الإفك والشرك ، ما قاله الأنبياء جميعاً
مُنزَّه من الإفك و الشرك و حمد نفسه سبحانه إذ هو سبحانه المستحق للحمد وحده و لا
يوجد من يحمده لذاته إلا الله و كل من يحمده و يشكره لا لذاته و لكن الذي الذي يحمده
لذاته المستحق للحمد و الثناء و التمجيد لذاته هو الله وحده (بما له من الأسماء و الصفات
و بديع المخلوقات) ليس لله شريك في كل ذلك و إنما يحب و يمدح و يثنى عليه و يشكر
غيره تبعاً لله ، لكونه يحب الله ، لكونه يطيع الله ، لكونه من أولياء الله ، حتى الرسل إنما
يُحِبُّونَ و يُطَاعُونَ لأنهم أولياء الله ، ليسوا لذواته. ليس ذلك لذواتهم ، نعم .

القارئ : قال رحمه -الله تعالى- (وأما الإثبات المفصل، فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ما
أنزله في محكم آياته، كقوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} الآية بكماها، وقوله:
{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} وقوله: {وَهُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} ، {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} ، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}
، {وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ} ، {وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ • ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ • فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ} ،
{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } ، وقوله: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } ، وقوله: { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } ، وقوله: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } ، وقوله: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } ، وقوله: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ } ، وقوله: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ } ، وقوله: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } ، وقوله: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } ، وقوله: { وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا } ، وقوله: { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } ، وقوله: { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } .

وقوله تعالى: { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ • هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ • هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } .

إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أسماء الرب تعالى وصفاته، فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل، فهذه طريقة الرسل صلى الله عليه وسلم أجمعين.

الشيخ : قال الشيخ رحمه الله تعالى - (وأما الإثبات المفصل، فإنه ذكر أو ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته) أي ذكر و ساق الشيخ هنا طائفة كبيرة من ذلك ، لا من باب الحصر و لكن من باب المثال ، لأن كمالات الله تعالى لا نهاية له ، فأسماء الله

تعالى لا تَنْحَصِرُ فِي عَدَدٍ مُعَيَّنٍ بَلْ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَ لَكِنْ ذُكِرَتْ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، وَ الْأَسْمَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ تَذُلُّ عَلَى الصِّفَاتِ ، هَذِهِ الْأَسْمَاءُ فِي مَا بَيْنَهَا مُتَبَايِنَةٌ أَيْ السَّمِيعُ غَيْرَ الْبَصِيرِ وَ الْعَلِيمُ غَيْرُ الْحَلِيمِ أَيْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى ، لِكُلِّ إِسْمٍ مَعْنًى ، بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ فِي مَا بَيْنَ النَّسَبَةِ مُبَايِنَةٌ وَ لَيْسَتْ مُتَّحِدَةٌ ، لَيْسَ مَعْنَى السَّمِيعُ هُوَ مَعْنَى الْبَصِيرِ وَ لَيْسَ مَعْنَى الْعَلِيمُ هُوَ مَعْنَى الْحَلِيمِ مِثْلًا ، وَ لَكِنْ بِاعْتِبَارِ الذَّاتِ فَهِيَ مُتَرَادِفَةٌ لِأَنَّ كُلَّهَا لِمُسَمًّى وَاحِدٍ ، أَسْمَاءٌ لِمُسَمًّى وَاحِدٍ. تُعْتَبَرُ أَسْمَاءٌ مُتَرَادِفَةٌ بِاعْتِبَارِ الذَّاتِ ، وَ كُلُّهَا ثَنَاءً وَ مَدْحٌ لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- تَذُلُّ عَلَى الْكَمَالِ لِأَنَّهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، هَكَذَا يَفْهَمُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الْمُثَلَّى فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَ فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ وَ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُ أَنَّ هَذِهِ النَّصُوصَ أَنَّ فِيهَا نَوْعٌ مِنَ الْجَفَافِ وَ أَنَّهَا لَا تُؤَدِّي الْعَرَضَ فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ ، هَؤُلَاءِ مُحَرِّمُونَ حُرْمُوا ذَوْقَ الْقُرْآنِ وَ لَا يَتَذَوَّقُ كَلَامَ اللَّهِ وَ لَا يَتَلَدَّدُ بِتِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَ يَسْرِدُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ إِلَّا مَنْ سَلِمَ لَهُ قَلْبُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ. مِنَ الزَّيْغِ وَ الْإِلْحَادِ وَ الْإِنْخِرَافِ ، وَ الْمُنْحَرِفُونَ يَرَوْنَ مِنَ الْعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ هِيَ الَّتِي تُدْرَسُ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ بِقَوَاعِدٍ وَ مُقَدِّمَاتٍ وَ نَتَائِجٍ ذُونَ ذِكْرِ لِلآيَاتِ وَ الْأَحَادِيثِ ، تِلْكَ الطَّرِيقَةُ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُمْ تَعَوَّدُوا عَلَيْهَا وَ تَعَوَّدُوهَا وَ لَا يَتَذَوَّقُونَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ -طَرِيقَةِ الرُّسُلِ- ، هُمْ يُعْتَبِرُونَ مُخَالَفِينَ لَطَرِيقَةِ الرُّسُلِ وَ لَيْسُوا عَلَى طَرِيقَةِ الرُّسُلِ ، نُشِيرُ هَذِهِ الْإِشَارَةَ لِأَنَّ الْكُتُبَ انْتَشَرَتْ. رُبَّمَا يَقْرَأُ بَعْضُ الشَّبَابِ الْعَقِيدَةَ الْأَشْعَرِيَّةَ الَّتِي بَدَأَتْ الْآنَ تَعُزُّوا هَذَا الْمَجْتَمَعَ الَّذِي كَانَ بَرِيئًا وَ بَعِيدًا مِنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ ، وَ كَثُرَتْ الْآنَ فِي الْمَكْتَبَاتِ بَعْضُ كُتُبِ الْأَشَاعِرَةِ : حَاشِيَةُ الْبَيْجُورِيِّ عَلَى السَّنُوسِيَّةِ تُبَاعُ ، وَ حَاشِيَةُ الْبَيْجُورِيِّ عَلَى جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ كَذَلِكَ ، وَ حَاشِيَةُ الدَّسُوقِيِّ عَلَى عَقِيدَةِ الْعَوَامِ وَ عَلَى أَمِّ الْبَرَاهِينِ كَذَلِكَ ، وَ أَمُّ الْبَرَاهِينِ نَفْسُهَا وَ هَذِهِ الْكُتُبُ كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْهَا غِيَابِيًّا ، فَإِذَا هِيَ الْيَوْمَ حَاضِرَةٌ فِي مَكْتَبَاتِنَا وَ فِي أَيْدِي شَبَابِنَا الَّذِينَ لَمْ يَتَشَبَّهُوا بَعْدُ مِنْ دِرَاسَةِ الْعَقِيدَةِ عَلَى مَنَهِجِ السَّلَفِ وَ رُبَّمَا تَقَعُ هَذِهِ الْكُتُبُ بِأَيْدِيهِمْ بِاسْمِ كُتُبِ الْعَقِيدَةِ فَيَنْخَدِعُونَ ، لِذَلِكَ نُنَبِّهُ هَذَا التَّنْبِيهِ فَلْيَنْتَبِهُوا ، فَالْكَتُبُ انْتَشَرَتْ وَ تِلْكَ الْكُتُبُ مُخَالِفَةٌ لَطَرِيقَةِ الرُّسُلِ هَذِهِ ، أَيْ أَخَذُوا

العقيدة من الكتاب و السنة هذه طريقة الرسل التي سار عليها سلفنا و لكن الطريقة التي سار عليها علماء الكلام التي من أجل الدفأ و بيان ما فيها من الإنحراف و الضلال ألفت هذه الكتب جاءت اليوم تنتشر ، فيصبح الآن وضعنا ذلك الوضع الذي ظهر فيه الإمام ابن تيمية و صدع بالحق و انتصر لمنهج السلف و دافع ، كتبه و كتب تلاميذه و كتب من قبله ككتب الإمام ابن حنبل كلها كتب دفاعية و إلا عقيدتنا كما ترون تؤخذ من الكتاب و السنة مباشرة و ليس عند سلفنا كتب مؤلفة تسمى كتب العقيدة أو كتب التوحيد ، و إنما بدأ التأليف من عصر العباسيين بعد أن دخل علم الكلام في الألهيات و أفسد على الناس العقيدة وشوش على الناس ، بدأ الأئمة يؤلفون كتباً دفاعية ككتاب الإمام أحمد في الرد على الجهمية و ما ألقه هذا الإمام ابن تيمية تلك الكتب العظيمة الواسعة التي ناقش فيها جميع الطوائف. كتب دفاعية وليست هي الأصل في العقيدة. الأصل في العقيدة الكتاب و السنة كما ترون ، فليفهم هذا جيداً و بالله التوفيق ، نعم .

القارئ : (وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب، ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والجهمية، والقرامطة الباطنية، ونحوهم فإنهم على ضد ذلك، يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحقُّقه في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالمتنعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات ، فعلاً تُتهم يسلبون عنه النقيضين، فيقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، لأنهم - بزعمهم - إذا وصفوه بالإثبات شبَّهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبَّهوه بالمعدومات، فسلبوا النقيضين، وهذا ممتنع في بدائه العقول، وحرِّفوا ما أنزل الله تعالى من الكتاب، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ووقعوا في شرٍّ مما فروا منه، فإنهم شبَّهوه بالمتنعات، إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من المتنعات.)

الشيخ : قال شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- بعد أن بيّن طريقة الرّسل في هذا الباب (وأما من زاع وحاد عن سبيلهم) عن سبيل الرّسل , سبيل الرّسل و منهج الرّسل ما سمعنا , ليس من منهج الرّسل و من طريقة الرّسل تلك الكتب الآن التي تنتشر , و يسميها المؤلفون "منهج الأنبياء" , فهي بعيدة من منهج الأنبياء , منهج الأنبياء هو هذا الذي سمعتموه , أخذ العقيدة من نصوص الكتاب و السنة , و لا يعجز أحد من أصحاب الأقلام أن يؤلف كتاباً فيسمي كتابه منهج الأنبياء أو منهج الرّسل أو طريقة الرّسل , ليس الشأن كل الشأن بالإسم , إنما الشأن بالمسمى , هل المسمى ينطبق عليه هذا الوصف أم لا ؟ بعض الكتب التي تحمل هذه الألقاب ثم تصف نصوص الكتاب و السنة بالحقاف ! بعيدة من منهج الرّسل و منهج الأنبياء فليعلم ذلك , بل هذه طريقة من زاع التي سوف نسمع , و أما من زاع و حاد عن سبيلهم من الكفار و المشركين و الذين أوتوا الكتاب و من دخل في هؤلاء من الصابئة و المتفلسفة و الجهمية في الأصل , المخالفون لطريقة الرّسل هم الكفار بجميع أنواعهم ثم دخل معهم من الصابئة طائفة , الصابئة ينقسمون إلى قسمين : مؤحدون و مشركون , المراد بالصابئة هنا الصابئة المشركون , (و المتفلسفة و الجهمية) الفلاسفة كلهم ليسوا على طريقة الرّسل و هم كالكفار مثل الصابئة , و كذلك الجهمية , الفلاسفة. الناس اليوم ينقسمون الفلاسفة إلى قسمين : فلاسفة يونانيون و فلاسفة الإسلاميون , و هذا التقسيم خطأ إلا إذا كان الغرض بيان الجنسيات , الجنسيات لا تقدم و لا تؤخر , و لكن لا فرق الفلاسفة الإسلاميين كابن سينا و الفارابي و الكندي الذي يعتز به بعض الكتاب في هذا الوقت و بين الأولين من الفلاسفة اليونانيين , لأن هؤلاء الإسلاميين إنما يذهبون مذهب الفلاسفة اليونانيين و هم يفضلون حكمهم يسمون علماءهم حكماء , يفضلون حكماءهم على الأنبياء , لا يؤمنون بالأنبياء و ما جاءت به الأنبياء , إذا التفرق بين الفلاسفة و تقسيمهم إلى إسلاميين و يونانيين تقسيم شكلي إذا كان الغرض بيان جنسياتهم فمسلّم , و إن كان الغرض بأنهم يختلفون في العقيدة لا عقيدتهم واحدة , الجهمية المراد

بالجهمية أتباع جهم بن صفوان و إن كان في ما بعد أتباع السلف توسعوا في إطلاق الجهمية على جميع النفاة حتى المؤولة , الجهمية المراد بالجهمية أتباع جهم بن صفوان إلا أن أتباع السلف توسعوا في إطلاق الجهمية حتى أطلقوا على النفاة و المؤولة بما فيهم الأشاعرة , إذا قيل فلان جهمي أي من النفاة أو من المؤولة و إلا في الأصل الجهمية أتباع جهم بن صفوان , جهم هذا أول ضلاله في باب الإيمان , حيث عرّف الإيمان بأنه المعرفة , الإيمان عنده مجرّد المعرفة , من عرف الله فهو مؤمن , سواء صدق أو لم يصدق , تكلم بكلمة التوحيد أو لم يتكلم , عمل أو لم يعمل , قال من عرف فهو مؤمن , فعنده فرعون مؤمن , و أبو جهل مؤمن , جميع الكفار لأنهم كلهم يعرفون الله و إنما كفروا به بعد المعرفة لذلك يقال إن جهما حكّم على نفسه بالكفر من حيث لا يشعر حيث قال "الكفر هو الجهل" و لا يوجد أجهل منه بالله , إذا حكّم على نفسه بأنه كافر , لذلك جهم و أتباعه على عقيدته الذين عرفوا الإيمان بهذا التعريف ثم وقعوا في الجبر , فهم جهمية و جبرية و مرجئة , هذه الجيمات كلها مجتمعة في جهم و أتباعه . هؤلاء كفار و لا يعدّون من طوائف المسلمين التي افرقت إلى ثلاث و سبعين فرقة , الجهمية غير داخلية في هذا العدد , كذلك غلاة الروافض غير داخلين في هذا العدد. خارجون , غلاة الروافض الذين كذبوا خبر رسول الله عليه الصلاة و السلام و حكموا بالنار على من بشرهم النبي صلى الله عليه و سلم بالجنة كأبي بكر و عمر حكموا عليهم أنهم صنمي أهل النار , فرسول الله عليه الصلاة و السلام قد بشرهما بالجنة . أول من بشرهم , الذين يعتقدون بأن هذا الكتاب الذي في أيدينا كتاب -الله- ناقص , و الذين يزعمون أو لا يؤمنون ببراءة الصديقة بنت الصديق عائشة رضي -الله- عنها , هؤلاء غلاة الروافض كفار غير داخلين في الطوائف المذكورة هم و الجهمية و من عداهم من الطوائف , أي من الشيعة العادية كالزيدية مثلاً و طوائف علماء الكلام كالمعتزلة و الأشاعرة و الماتريدية هؤلاء داخلون في الطوائف , في الطوائف المنتسبة و الفرق المنتسبة إلى الإسلام على تفاوت بينهم في بدعهم , فبدعهم قد تصل أحياناً ببعض أفرادهم إلى الكفر لكن بالجملة. هذه الطوائف تعدّ من الفرق الإسلامية الداخلة في هذا العدد المذكور في الحديث ,

أما الجهمية فعلاؤه الروافض بإجماع السلف غير داخلين في هذه الفرق ، (والقراطة الباطنية) القراطة الباطنية أو القراطة و الباطنية. يجوز ، لأن الباطنية فرق ، القراطة منهم ، و منهم الإسماعيلية ، و منهم النصيرية ، هؤلاء كلهم من الباطنية كل من يجعل لكل ظاهر باطنا و لكل تنزيل تأويلاً ، يؤولون حتى ظاهر الشريعة ، الشريعة نفسها مؤولة عند الباطنية من القراطة و الإسماعيلية و النصيرية و لا يلتفت إلى الغطاء السياسي الذي يعطي هذه الطوائف و يجعلها تسير مع المسلمين هذا باب آخر ، في حقيقتهم ليسوا بمسلمين و هم أبعد من الإسلام من الجهمية لأن هؤلاء حتى الشريعة: الصلاة مؤولة ، الصيام مؤول و الزكاة ، جميع هذه الأعمال مؤولة عندهم ليست على ظاهرها و من أراد معرفة التفاصيل يرجع الى كتب الفرق ، و نحوهم فإنهم على ضد ذلك ، هؤلاء على ضد طريقة الأنبياء ، يصفونه سبحانه و تعالى بالصفات السلبية ، الصفات السلبية كل صفة تقع في سياق النفي أو سياق النهي أو سياق الإستفهام الإنكاري ، طريقته التفصيل في السلب ، فلا يثبتون -الله تعالى- إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل ، وجود الله عندهم وجود ذهني ، وجود خيالي ذهني ، أما في الخارج. في خارج الذهن لا وجود لله -سبحانه و تعالى- عندهم ، يظهر ذلك من الأمثلة الآتية و إنما يرجع الوجود إلى وجود في الأذهان يمتنع تحقيقه في الأعيان أي في خارج الأذهان ، فقولهم غاية التعطيل و غاية التمثيل فإنهم إنما ألزم غاية التعطيل و غاية التمثيل لأنهم يمثلونه فيشبهونه بالممتنعات ، تشبيهه الله -تعالى- بالممتنعات أشنع من تشبيهه بالموجودات و بالممكّنات و هم يشبهونه بالممتنعات و المعدومات و الجمادات ، يختلّفون في ذلك ، من قال مثلاً ليس الله داخل العالم و لا خارج العالم و لا متصلاً بالعالم و لا منفصلاً عن العالم ! و هل يمكن أن يوصف العدم بأبلغ من هذا ؟! لو طلب من الإنسان أن يصف العدم ما هو العدم ؟ تقول العدم ما ليس داخلًا في هذا العالم و لا خارجاً منه و لا متصلاً و لا منفصلاً ، هذا عدم محض ، إذا وصفوا الله -سبحانه و تعالى- بهذا الوصف شبهوه بالمعدومات بل بالممتنعات كما سيأتي التفصيل ، و قد تأثرت الأشعرية بهذه القاعدة الجهمية أو بهذه القاعدة الباطنية فوصفوا الله -تعالى- في نفي العلو

و الإستواء بما يشبه هذا , و هذا الذي سوف أقوله موجود. هذه العقيدة موجودة في الكتب التي وصفتها في السنوسية التي شرحها البيجوري في حاشيته المعروفة بحاشية البيجوري حيث يقول صاحب المتن في السنوسية "ليس الله فوق العرش و لا تحت العرش و لا عن يمينه و لا عن يساره و لا خلفه و لا أمامه" كلام , إذا لم يكن الله - سبحانه و تعالى - فوق العرش نترك جميع السليبات أين يكون ؟ و هل هؤلاء آمنوا بالله ؟ لا , الإيمان بالله لا يتم حتى تؤمن بعُلوّه , الإيمان بعُلوّ الله - تعالى - من أوائل الإيمان بالله لذلك اختبر رسول الله صلى الله عليه و سلم من أراد أن يعرف إيمانها هل هي مؤمنة أم لا , اختبرها في صفة العلو قبل أن يختبرها في أي صفة من صفات الرب - تعالى - , لأنّ علو الله تعالى العلو غير. خلاف الإستواء كما سيأتي , علو الله تعالى صفة ذاتية من لم يؤمن بأنه عليّ على جميع المخلوقات بذاته ليس مختلطاً بخلقه و ليس في ذات الله شيء من مخلوقات الله و ليس الله داخلاً في أي شيء من مخلوقات الله بل هو بائن من جميع خلقه فوق جميع المخلوقات , من لم يؤمن هذا الإيمان لم يعرف ربه لذلك لما سئل أحد أئمة السلف : بما نعرف ربنا ؟ لعله ابن المبارك قال : نعرفه بأنه فوق سماواته مستوٍ على عرشه بائن من خلقه , هكذا نعرف الله , من لم يعرف الله في علوه لم يعرف الله , ماذا يقول من لم يؤمن بالعلو ؟ إما أنه يقول كما قال صاحب السنوسية ليس كذا ليس كذا , و هذا نفى محض , أو يقول إنه معنا بذاته مختلطاً بنا و هذا وصفه بالسفول , الوصف بالسفول نقص , وصف بالنقص , و من انتقص الله كافر , لذلك النافي للعلو كالمشبهة . عند سلف هذه الأمة كما أجمعوا على تكفير المشبهة يجمعون أيضاً على تكفير النافي لصفات الله تعالى و من أبلغ الصفات التي نفاها المتأخرون من علماء الخلف صفة العلو , أكثر اضطرابهم في صفة العلو ثم في صفة الكلام , هاتان الميزتان للأشاعرة المعاصرة , فليسمعوا , أكثر اضطراب الأشاعرة اليوم الموجودين الآن و كتبهم موجودة في صفة العلو و في صفة الإستواء و في صفة الكلام , أما العلو فقد نفو نفياً مطلقاً و كذلك الإستواء , العلو صفة ذاتية كما قلنا , أما الإستواء فصفة فعلية , الصفة الفعلية هي الصفات التي تتجدد حسب مشيئة الله - سبحانه و تعالى - , الإستواء تجدد لأن الله أخبر

عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
بَعْدَ ذَلِكَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ وَالْعَرْشُ مَخْلُوقٌ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ لَمْ يُخْبِرِ اللَّهُ بِأَنَّهُ خَصَّهُ بِالِاسْتِوَاءِ
الْخَاصِّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ، الْإِسْتِوَاءُ عُلُوٌّ خَاصٌّ ، عُلُوٌّ
خَاصٌّ بِالْعَرْشِ ، أَمَّا صِفَةُ الْعُلُوِّ فَعُلُوٌّ عَامٌّ مُطْلَقٌ أَيُّ عَالٍ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، كَيْفَ هُوَ
فِي عُلُوِّهِ وَكَيْفَ هُوَ فِي اسْتِوَائِهِ ؟ هَذَا عِلْمٌ اسْتَأْتَرَ اللَّهُ بِهِ وَ لَا يَجُوزُ السُّؤَالُ عَنْ كَيْفِيَّةِ
الِاسْتِوَاءِ وَ كَيْفِيَّةِ الْعُلُوِّ وَ كَيْفِيَّةِ الْفَرْخِ وَ كَيْفِيَّةِ الْمَجِيئِ وَ كَيْفِيَّةِ النَّزُولِ وَ كَيْفِيَّةِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ
عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ ، الصِّفَاتُ تُسَاقُ سَوَاقًا وَاحِدًا لَا فَرْقَ بَيْنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ وَالصِّفَاتِ الدَّائِيَّةِ
، إِذَا كَانَ الْعُلُوُّ صِفَةً دَائِيَّةً وَ الْإِسْتِوَاءُ صِفَةً فِعْلِيَّةً . وَ الْعِزُّ وَ الْمَحَبَّةُ وَ الرِّضَا وَ الْفَرْخُ
صِفَاتُ فِعْلِيَّةٌ ، ¹ زَعَمَتِ الْأَشَاعِرَةُ ، وَ أَمَّا الصِّفَاتُ الْأُخْرَى فَخَبَرِيَّةٌ تُؤَوَّلُ ، هَذَا مُلَخَّصٌ
عَقِيدَةُ الْأَشَاعِرَةِ ، الصِّفَاتُ الَّتِي تُسَمَّى بِالصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ هِيَ صِفَاتُ الْمَعَانِي فِي زَعْمِهِمْ
تُبَيَّنَتْ كَمَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، فَيُؤَافِقُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِهَا مُوَافَقَةً شَكْلِيَّةً أَيُّ لَا يُثْبِتُونَهَا
بِالْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَ لَكِنْ يُثْبِتُونَهَا بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةُ يُثْبِتُونَهَا بِالْأَدِلَّةِ
السَّمْعِيَّةِ وَ يَقُولُونَ إِنَّ الْعَقْلَ السَّلِيمَ لَا يُخَالِفُ النَّصَّ الصَّحِيحَ الصَّرِيحَ ، طَرِيقَةُ مُرِيحَةٍ لَا
تَكَلِّفَ فِيهَا ، وَ أَمَّا الْأَشَاعِرَةُ فَتَكَلَّفُوا جِدًّا أَكْثَرَ مِمَّا تَكَلَّفَ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الَّذِينَ بِالْعُلُوِّ فِي
النَّفْيِ كَالْمُعْتَرِلَةِ الَّذِينَ نَقَوْ الصِّفَاتَ وَ أَرَاخُوا خُصُومَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَلَوَّنُوا وَ أَمَّا الْأَشَاعِرَةُ
فَاتَّعَبُوا خُصُومَهُمْ وَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ بِالتَّلَوُّنِ بِإِثْبَاتِ بَعْضِ الصِّفَاتِ وَ تَأْوِيلِ بَعْضِهَا وَ الْقَوْلُ
فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ حَتَّى يَخْدَعُوا النَّاسَ ، وَ إِذَا اسْتَفْسَرَتْ إِذَا الْكَلَامُ عِنْدَهُمْ أَيُّ كَلَامُ
اللَّهِ الْكَلَامُ النَّفْسِي لَيْسَ بِهَذَا الْكَلَامِ اللَّفْظِي ، لِذَلِكَ نَقُولُ إِضْطِرَابُهُمْ فِي بَابِ الْعُلُوِّ وَ فِي
بَابِ صِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ وَ فِي صِفَةِ الْكَلَامِ أَشَدُّ مِنْ إِضْطِرَابِهِمْ وَ تَحْرِيفِهِمْ فِي الصِّفَاتِ الْأُخْرَى ،
فَلْيُعْلَمَ ذَلِكَ وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ ، وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِهِ وَ
صَحْبِهِ .

¹ تقطع للصوت بالشريط

الدرس رقم : 04

الشيخ : في المجالس السابقة سألتني سائل بالأسلوب الآتي و هو إنَّ المشركين أو الكفار لا يؤمنون بتوحيد الربوبية و بيّنّا إنَّ الحق و الصواب الذي نطق به الكتاب أنَّ جميع الكفار يؤمنون بتوحيد الربوبية (ولإن سألتهُم من خلق السماوات و الأرض ليقولنَّ الله) ثم فكّرت في هذا السؤال لعلَّ السائل فهم معني إيمانهم بتوحيد الربوبية أنَّ هذا الإيمان إيمان ينفعهم لعلَّ فهم هكذا و استعرب و قال كيف يقال إنهم يؤمنون بربوبية الله -تعالى- و هم يكفرون بالرسول ؟

لإزالة هذه الشبهة أعود إلى الجواب فأقول : الإيمان بربوبية الله -تعالى- لا يجدي و لا ينفع و لو آمنت بالنبوات و بالأمور الغيبية و آمنت بربوبية الله تعالى و اعتقدت جازماً بأنَّ الله وحده هو الخالق الرازق المعطي المانع النافع الضار , لكن لم تؤمن بتوحيد العبادة أي لم تُفرد الله -تعالى- بالعبادة. نُعيّر الأسلوب. لم يُفرد الله تعالى بالعبادة بل أشرك , يدعوا مع الله غير الله و استغاثته بغير الله و نذرته لغير الله و يجأر باسم غير الله و يلتجئ إلى غير الله و لا يذكر الله تعالى عند الشدة , هذا لا ينفعه إيمانه بأنَّ الله وحده هو الخالق الرازق إلى آخره , هذا معناه آمن بتوحيد الربوبية و كفر بتوحيد العبادة , التوحيد الذي ينفع أن تجمع بين الإيمان بربوبية الله تعالى و بين الإيمان بالألوهية مع الإيمان بالنبوات و بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم , و ما يقع فيه عوام و جهال المسلمين اليوم من الإشراك بالله تعالى عند الشدة على خلاف ما كان عليه المشركون الأولون الذين يؤخّدون الله تعالى إذا ركبوا الفلک و عند الشدة و على خلاف من ذلك يقع من كثير من المنتسبين إلى الإسلام الآن عندما يلجؤون إلى غير الله و هذا شرك أكبر , إمّا البحث هل يُعذرون بالجهل أو لا يُعذرون هذا بحث آخر , و لكن الحكم بالنسبة لمن لا يؤمنون بتوحيد العبادة أي يُناقضون¹

¹ (هنا انقطع الصوت ليستأنف من الدرس الثالث السابق) .

الدرس رقم : 05

القارئ : (وهؤلاء جميعهم يفرون من شيء فيقعون في نظيره وفي شر منه، مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات، ولو أمعنوا النظر لسوّوا بين التماثلات، وفرقوا بين المختلفات، كما تقتضيه المعقولات، ولكانوا من الذين أوتوا العلم الذين يرون أنّ ما أنزل إلى الرسول هو الحق من ربه ويهدي إلى صراط العزيز الحميد، ولكنهم من أهل المجهولات المشبهة بالمعقولات، يسفسطون في العقليات، ويقرمطون في السمعيات، وذلك أنه قد عُلم بضرورة العقل أنه لا بد من موجود قديم غني عما سواه، إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحیوان والمعدن والنبات، والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع، وقد عُلم بالاضطرار أن المحدث لا بد له من محدث، والممكن لا بد له من واجب، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق ولا هم الخالقون لأنفسهم تعين أن لهم خالقا خلقهم، وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو مُحْدَث ممكن، يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى «الوجود» أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصّه ووجود هذا يخصّه، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتقييد والتخصيص ولا في غيره، فلا يقول عاقل - إذا قيل: إن العرش شيء موجود وإن البعوض شيء موجود - إن هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى «الشيء» و«الوجود»، لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه، بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كلياً هو مسمى الاسم المطلق، وإذا قيل: هذا موجود وهذا موجود، فوجود كلّ منهما يخصّه لا يشركه فيه غيره، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما.

الشيخ : الحمد لله رب العالمين و الصلّاة و السّلام على أشرف المرسلين و خاتم النبيين
نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين , قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - و

هو يُناقش ضلال أصحاب المذاهب المنحرفة في باب العقيدة و هؤلاء جميعهم يفترون من شيء فيفتعون في نظيره ، الذين يصفون -الله سبحانه و تعالى- بالسُّلُوب أو يجمعوا بين التقيضين أو يثبتوا أسماء مجردة كالأعلام المحضة ، هؤلاء جميعاً يفترون من شيء في زعمهم أي من التشبيه و مُحاولين التنزيه فيفتعون في نظيره أي في تشبيه مثل التشبيه الذي فَرَّوا منه بل في شر منه ، قد يفترون من التشبيه بالموجود و يفتعون في التشبيه بالمعدوم و قد يفترون منهما جميعاً فيفتعون في التشبيه بالممتنعات مع ما يلزمهم من التحريف و التعطيل ، جمعوا بين السيئتين : تحريف النصوص و تعطيل معانيها ثم الوُفُوع في تشبيه الرب سبحانه و تعالى أحياناً بالجمادات و أحياناً بالمعدومات و أحياناً بالمستحيلات ، و لو أمعنوا النظر في النصوص و آمنوا بنصوص الكتاب و السنة و أمعنوا النظر فيها لَسَوَوْا بَيْنَ الْمُتَمَثِّلَاتِ و هي الممكنات ، الممكنات و المخلوقات و المحدثات بمعنى واحد ، هذه مُتَمَثِّلَات ، و فَرَّقُوا بَيْنَ الْمُخْتَلِفَاتِ بَيْنَ الْخَالِقِ و المخلوق إذ (ليس كمثله شيء و هو السميع البصير) كما تقتضيه المعقولات ، المعقولات السليمة تقتضي الاختلاف بين الخالق و المخلوق ، و لكأنوا من الذين أوثوا العلم الذين يرون أن ما أنزل إلى الرسول من عند الله -سبحانه و تعالى- هو الحق ، هو الحق ، مع معلوم ليرى للنصب ، رأى هنا بمعنى العلم ، ليست الأبصرية ، الذين يرون. يعلمون أن ما أنزل إلى الرسول هو الحق من ربه و يهدي إلى صراط العزيز الحميد الذي هو القرآن لأنه يهدي للتي هي أقوم ، و لكنهم من أهل المجهولات ليسوا من الذين يتبعون ما أنزل إلى الرسول صلى -الله- عليه و سلم و لكنهم من أهل المجهولات المشبهة بالمعقولات ، المجهولات التي في نظرهم تشبه المعقولات أو تشبه عندهم بالمعقولات ، مع العلم إنَّ العقل الصريح كما تقدّم غير مرّة لا يُخَالِفُ النصَّ الصريح ، (يُفسطون في العقلات) أي يموهون فيعطون في الأدلة العقلية ، السفسطة المغالطة و التّمويه و الخداع و المغالطة ، بالنسبة للأدلة العقلية يُضللون الناس بالسفسطة و يُقرمطون في السمعيات ، أي يذهبون طريقة القرامطة بأن يؤولوا النصوص و يجعلوا لكل ظاهر باطناً و لكل نص تأويلاً ، هذه طريقة القرامطة كما تقدّم ، و ذلك أنه قد علّم بالإضطرار أو قد علّم بضرورة العقل ،

الدليل الإضراري و الدليل الضروي بمعنى واحد , عليم بضروة العقل و بالإضرار أي إن العقل يضطر أن يقبل أنه لا بد من موجد قديم غني عما سواه , كل عاقل إذا سلم عقله من التشويش و من التلوث بآراء أهل الكلام يعلم كل عاقل و لو لم يكن متعلما يعلم أنه لا بد من موجد قديم , يدرك ذلك بالاستدلال بهذه الممكّنات و بهذه الحوادث التي تتجدد في كل لحظة , يدرك لا بد من موجد أي من خالق قديم لا أولية لإقدمه , سبق أن قلنا قديم ليس من أسماء الله و لكن من باب الإخبار يستعمل كل من قديم و مُريد و صانع و كل ما يؤدي معنى صحيحا لا يخالف النص من حيث المعنى , موجد قديم إذا لم يوصف بالقدم و الأزلية صار كالممكّنات , إذا عقلا موجد هذا الكون يجب أن يكون قديما , هو الأول الذي ليس قبله شيء , و يجب أن يكون غنيا لأن هذا الممكّن فقير , كل ما عدا الله فقير إلى الله في كل لحظة , الفقر وصف ذاتي للمخلوقات كما أنّ الغنى وصف ذاتي للخالق سبحانه , غني عما سواه , إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات. حدوث المخلوقات و الممكّنات التي تتجدد في كل لحظة كالحیوان و المعدن و النبات , هذا شيء مُشاهد و هذا الذي يتجدد و يحدث و يحدث و الحادث ممكّن ليس بواجب طالما تجدد و حدث بعد أن لم يكن إذا هو ممكّن و ليس بواجب , الممكّن ما يجوز وجوده و عدمه أو ما يحدثه غيره و يُعده غيره اسمه ممكّن و اسمه مُحَدَث و اسمه مخلوق , و الحادث ممكن ليس بواجب , ليس واجب الوجود لأنه وجد بعد أن لم يكن و لا مُتَمَتِّع , ليس بمُتَمَتِّع لو كان مُتَمَتِّعا لما وجد , إذا في الوجود ممكّن و مُتَمَتِّع و واجب , الواجب هو الله وحده - سبحانه و تعالى - بأسمائه و صفاته و المستحيل ما لا يجوز وجوده كالشريك و الصاحبة و الولد و الباقي مُحَدَث و ممكّن , و قد عليم بالإضرار أن المحدث يفتح الدال أي المخلوقة لا بد له من مُحَدَثٍ يكسر الدال أي لا بد له من خالق , عليم بالإضرار علما يستوي فيه الجاهل و العالم , إنّ المحدث. إنّ المخلوق الممكّن الذي وجد بعد أن لم يكن لا بد له من مُحَدَث , لا بد له من خالق خلقه , و الممكّن لا بد له من واحد , الممكّن يدل بإمكانيته هذه على أنه لا بد من واجب الوجود الذي أوجده , نأخذ ذلك من قوله تعالى (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) أَمْ خُلِقُوا مِنْ

غير شيء أم هم الخالقون ؟ لا هذا و لا ذاك , فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق و هذا مستحيل لأن المخلوق يدل على أن له خالق عقلاً و لا هم الخالقون لأنفسهم , مستحيل أيضاً أن يخلق المخلوق نفسه لأنه مخلوق كيف يخلق نفسه ؟!! تعين إذا أن هم خالقاً خلقهم وتعين أيضاً إن هذا الخالق مخالف لهم ليس مثلهم , لو كان مثلهم لما كان خالقاً لهم , بل هو مخالف لهم قوي غني قدير الأول الذي ليس قبله شيء و الآخر الذي ليس بعده شيء و الظاهر الذي ليس فوقه شيء و الباطل الذي ليس دونه شيء الذي بطن الأمور بعلمه , و إذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم و واجب . لو قيل و إذا كان من المعلوم بالضرورة أن أنه لا بد من قديم واجب و محدث ممكن لأن لفظة "ما" إن كان يتسامح فيها هي في الأصل لغير العاقل لكن تستعمل في العاقل و في غير العاقل و بالنسبة لله يقال عالم , و إذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم و ما هو واجب , ما هو قديم واجب بنفسه و ما هو محدث ممكن , الموجود إما قديم واجب بنفسه ليس بحاجة إلى من يحدثه بل هو المحدث و هو الخالق و هو الصانع , و ما هو محدث ممكن مخلوق وجد بعد أن لم يكن يقبل الوجود و العدم , جملة يقبل الوجود و العدم تفسير للممكن , تأخذوا تفسير ممكن من هنا , كل ما يقبل الوجود و العدم اسمه ممكن , فمعلوم أن هذا . أن واجب الوجود موجود و هذا الممكن الذي وجد بعد أن لم يكن موجود , اشتركا في اسم الوجود , هذا موجود و هذا موجود . الله الذي هو واجب الوجود موجود و المحدث الذي أحدثه هو سبحانه موجود و لا يلزم من إتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا , إذا كان الله موجوداً و ما خلقه من المخلوقات يوصف بأنه موجود لا يلزم من هذا . لا يلزم من إتفاقهما في مسمى الوجود , هذا موجود و هذا موجود أن يكون وجود هذا الذي هو واجب الوجود مثل وجود هذا الذي هو جائز الوجود الذي هو ممكن , بل وجود هذا . وجود الرب - سبحانه و تعالى - يخصص وجود ليس له أولية و ليس له آخرية , و وجود هذا يخصصه . وجود المحدث يخصصه , وجود حصل بعد أن لم يكن و لا يبقى و سوف يزول , و إتفاقهما إتفاق واجب الوجود و جائز الوجود في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى

ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص. إنَّشِبَهُ , إِتِّفَاقُهُمَا . إِتِّفَاقٌ وَاجِبُ الوجود و جائز الوجود في اسم عام الذي هو الوجود المطلق قَبْلَ أن يُضَافَ وجودُ الله إلى وَ وجودُ المخلوق إلى المخلوق يُقَالُ لَهُ إِسْمٌ عَامٌ وَ يُقَالُ لَهُ "المطلق الكلي" , الإِتِّفَاقُ بَيْنَ الخالق و بَيْنَ المخلوق في الاسم العام أي في الوجود العام قَبْلَ أن يُخَصَّصَ وجودُ الله بالله بالإضافة و قَبْلَ أن يُخَصَّصَ وجودُ المخلوق بالمخلوق بالإضافة , إِتِّفَاقُهُمَا في هذا الاسم العام لَا يَقْتَضِي تَمَثُّلُهُمَا تَشَابُهُمَا , لَا يَقْتَضِي عَقْلًا , (في مُسَمَّى ذلك الاسم) مُسَمَّى ذلك الاسم بَيْنَهُمَا إختلافٌ و أيَّ إختلافٍ لَأَنَّ مُسَمَّى وَاجِبِ الوجود هو الله - سبحانه و تعالى - هو القديم الذي لَيْسَ لِقَدَمِهِ أُولِيَّةٌ , مُسَمَّى الوجود الثاني مَوْجُودٌ وَجَدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ و سوف لا يدوم , لَا يَقْتَضِي تَمَثُّلُهُمَا أيَّ تَشَابُهُمَا في مُسَمَّى ذلك الاسم متى؟ عِنْدَ الإضافة و التقييد و التخصيص , الذي يُفَرِّقُ بَيْنَ وجودِ الربِّ - سبحانه و تعالى - و وجودِ المخلوق كذلك بَيْنَ عِلْمِ الخالق و عِلْمِ المخلوق و سَمْعِ الخالق و سَمْعِ المخلوق و غير ذلك من الصِّفَات "الإضافة" , أَهَمُّ شَيْءٍ الإضافة و قَبْلَ الإضافة لَيْسَ الوجودُ مُحْتَصًا بِأَحَدٍ و لَا العلمُ مُحْتَصًا بِأَحَدٍ و لَا السَّمْعُ مُحْتَصًا بِأَحَدٍ لَأَنَّ هذا الذي قَبْلَ الإضافة إِسْمُهُ "المعنى العام" أو "المطلق العام" أو "المطلق الكلي" لَا وَجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الذَّهْنِ , فِي خَارِجِ الذَّهْنِ لَا وَجُودَ للوجودِ المطلق و لَا للوجودِ للعلمِ المطلق و لَا للسَّمْعِ المطلقِ مَثَلًا , لَا وَجُودَ فِي الْخَارِجِ لِهَذِهِ المعاني , هَذِهِ مَعَانِي ذَهْنِيَّةٌ وَ لَا بَدَّ مِنْ الإِشْتِرَاكِ فِي هَذَا الْمَعْنَى الْعَامِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ أَيَّ فِي الْعِلْمِ الْمَطْلُوقِ قَبْلَ إِضَافَةِ عِلْمِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ , مَوْضُوعٌ دَقِيقٌ يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ , الْعِلْمُ قَبْلَ أَنْ يُضَافَ الْعِلْمُ إِلَى أَحَدٍ لَا إِلَى الْخَالِقِ وَ لَا إِلَى الْمَخْلُوقِ وَ قَبْلَ أَنْ يُضَافَ الوجودُ لَا إِلَى الْخَالِقِ وَ لَا إِلَى الْمَخْلُوقِ هَذَا الوجودُ وَ هَذَا الْعِلْمُ وَ هَذَا السَّمْعُ بِهَذَا الْمَعْنَى لَيْسَ مُحْتَصًا بِأَحَدٍ بَلْ لَا وَجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الذَّهْنِ , فِي خَارِجِ الذَّهْنِ لَا وَجُودَ لَهُ , الإِشْتِرَاكِ إِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَسْمَاءِ الْمَخْلُوقِ فِي هَذَا الْمَطْلُوقِ الْعَامِ وَ فِي هَذَا الْمَعْنَى الْعَامِ وَ لَكِنْ بَعْدَ إِضَافَةِ وجودِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَ عِلْمِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَ سَمْعِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ لَا إِشْتِرَاكَ أَبَدًا بِمَعْنَى عِلْمِ اللَّهِ مَثَلًا عِلْمُ قَدِيمٍ قَدَمَ الذَّاتِ وَ سَمْعُ اللَّهِ كَذَلِكَ , عِلْمُ قَدِيمٍ قَدَمَ الذَّاتِ لَيْسَ لَهُ أُولِيَّةٌ وَ عِلْمٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ

, عِلْمٌ لَا يَطْرُقُ عَلَيْهِ جَهْلٌ أَوْ نَسِيَانٌ أَوْ غَفْلَةٌ , وَ هَلْ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ يُشَارِكُ اللَّهَ فِي هَذَا الْعِلْمِ ؟!! فِي هَذَا

العلم الموصوف بالاحاطة و القدم و عدم طرؤ النسيان و الجهل و الغفلة ؟ لا أحد , إذاً هذا علم مختص بالله لا يشارك الله فيه أحد و قس على ذلك سائر الصفات , كذلك إذا قلت وجود زيد و علم زيد و سمع زيد و بصّر زيد مُستحيل أن يُشارك الرب - سبحانه و تعالى - زيداً في هذا العلم المختص , علم زيد لأن علم زيد حادث , زيد نفسه حادث و علمه حادث و علمه قاصر (و ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) علم لا يُحيط بالمعلومات , علم يطرأ عليه الجهل و الغفلة و النسيان مُستحيل أن يُشارك الرب - سبحانه و تعالى - خلقه في هذا العلم الموصوف بهذه الصفات و قس على العلم سائر الصفات , قال الشيخ رحمه الله تعالى - (و إتفاهُما في إسم عام لا يقتضي تماثلُهما في مسمى ذلك الإسم عند الإضافة و التقييد و التخصيص) هذه معنى واحد "التقييد و التخصيص" هذه معنى واحد التقييد و التخصيص بمعنى واحد (و لا في غيره) حتى في غير التخصيص و التقييد قد يفهم من السياق ما يفرق بين الصفتين , بين صفة الخالق و بين صفة المخلوق حتى قبل الإضافة , ذلك فلا يقول عاقل إذا قيل إن العرش شيء موجود و إن البعوض شيء موجود و إن الفيل شيء موجود و إن النملة شيء موجود لا يمكن أن يفهم العاقل أن مثل هذا. أن هذا مثل هذا , أن العرش مثل البعوض و أن الفيل مثل النملة لا يمكن أن يفهم هذا , لإتفاهُما في مسمى الشيء و الوجود , الإتفاق في مسمى الشيء و في مسمى الوجود لا يقتضي التماثل بين المسميات حتى في المخلوقات , العرش مخلوق ليس وجوده كوجود البعوض , الفيل مخلوق ليس وجوده كوجود النملة مثلاً و قس على ذلك , إذا كان في الإمكان الاختلاف بين وجود مخلوق و وجود مخلوق آخر كيف يتبادر إلى ذهن عاقل أن يكون وجود الخالق كوجود المخلوق ! إلا إذا مرض العقل بأن شوش عليه بشبهات .

قال الشيخ رحمه الله تعالى - (لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما) ليس في خارج الذهن شيء موجود غيرهما يشتركان فيه أي غير الشيء و غير الوجود , غيرهما غير الشيء و

غَيْرُ الوجودِ ، إِنَّمَا يَحْصُلُ الإِتِّفَاقُ فِي إِسْمِ الشَّيْءِ وَ فِي اسْمِ الوجودِ ، الوجودَ المطلقَ كَمَا تَقَدَّمَ لَا الوجودَ المحتَصَّ ، بَلِ الذَّهْنُ يَأْخُذُ مَعْنَى مُشْتَرَكًا كُلِّيًّا وَ مُسَمَّى الإِسْمِ المطلقِ ، مُسَمَّى الإِسْمِ المطلقِ إِذَا سَمِعَ الْعَاقِلُ هَذَا مَوْجُودٌ وَ هَذَا مَوْجُودٌ يَفْهَمُ وجودَ العرشِ أَنَّهُ غَيْرُ وجودِ البعوضِ مَثَلًا ، بَلِ الذَّهْنُ يَأْخُذُ مَعْنَى مُشْتَرَكًا كُلِّيًّا وَ هُوَ الَّذِي لَا وجودَ لَهُ إِلَّا فِي الذَّهْنِ هُوَ مُسَمَّى الإِسْمِ الوجودِ المطلقِ وَ هَذَا هُوَ مَحَلُّ الإِشْتِرَاكِ بَيْنَ الخَالِقِ وَ المَخْلُوقِ وَ بَيْنَ سَائِرِ المَخْلُوقَاتِ جَمِيعًا ، الْمُسَمَّى المطلقِ ، وَ إِذَا قِيلَ هَذَا مَوْجُودٌ ، اللَّهُ مَوْجُودٌ سُبْحَانَهُ وَ هَذَا مَوْجُودٌ وَ العَرْشُ مَوْجُودٌ وَ الكُرْسِيُّ مَوْجُودٌ ، فَوُجُودُ كُلِّ مِنْهُمْ يَخْصُهُ ، وجودُ اللَّهِ يَخْصُّ اللَّهَ ، وجودُ هُوَ وجودٌ وَاجِبٌ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ ، وَ وجودُ غيره وجودٌ ممكنٌ الَّذِي وَجَدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، لَا يَشْرُكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ ، لَا يَشْرُكُ المَخْلُوقُ فِي وجودِ الخَالِقِ وَ لَا يَشْرُكُ الخَالِقُ سُبْحَانَهُ فِي وجودِ المَخْلُوقِ لَأَنَّ¹ وَ لَا يَشْرُكُ الخَالِقُ سُبْحَانَهُ فِي وجودِ المَخْلُوقِ لَأَنَّ وجودَ المَخْلُوقِ وَقَعَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، مَعَ أَنَّ الإِسْمَ حَقِيقَةً فِي كُلِّ مِنْهُمَا ، الوجودُ وجودُ المَخْلُوقِ وجودٌ حَقِيقِي وَ وجودُ الخَالِقِ وجودٌ حَقِيقِي وَ لَكِنْ لَيْسَتْ الْحَقِيقَةُ كَالْحَقِيقَةِ ، عِلْمُ الخَالِقِ عِلْمٌ حَقِيقِي وَ عِلْمُ المَخْلُوقِ عِلْمٌ حَقِيقِي وَ لَكِنْ لَيْسَتْ الْحَقِيقَةُ كَالْحَقِيقَةِ وَ هَكَذَا فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ ، نَعَمْ .

القارئ : قال المصنّف رحمه -الله تعالى- (ولهذا سَمِيَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَ سَمِيَ صِفَاتُهُ بِأَسْمَاءٍ ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ مَخْتَصَةً بِهِ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ لَا يَشْرُكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ ، وَ سَمِيَ بَعْضُ مَخْلُوقَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ مَخْتَصَةٍ بِهِمْ مُضَافَةً إِلَيْهِمْ تَوَافَقَ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ إِذَا قُطِعَتْ عَنِ الإِضَافَةِ وَ التَّخْصِيسِ ، وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ اتِّفَاقِ الْأَسْمَاءِ وَ تَمَاطُلِ مَسْمَاهُمَا وَ اتِّحَادِهِ عِنْدَ الإِطْلَاقِ وَ التَّجْرِيدِ عَنِ الإِضَافَةِ وَ التَّخْصِيسِ ، لَا اتِّفَاقَهُمَا ، وَلَا تَمَاطُلَ الْمُسَمَّى عِنْدَ الإِضَافَةِ وَ التَّخْصِيسِ ، فَضْلًا عَنِ أَنْ يَتَّحِدَ مَسْمَاهُمَا عِنْدَ الإِضَافَةِ وَ التَّخْصِيسِ .)

¹ (إِنْقِطَاعٌ بِالصَّوْتِ)

الشيخ : و لهذا سَمِيَ الله نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ و سَمِيَ صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ فَكَانَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ مُحْتَصَةً بِاللَّهِ , أَسْمَاءُ اللَّهِ الَّتِي سَمِيَ بِهَا نَفْسَهُ و الَّتِي سَمِيَ بِهَا صِفَاتِهِ مُحْتَصَةً بِاللَّهِ -سبحانه و تعالى- إذا أَضِيفَتْ إِلَيْهِ لَا بَدَّ مِنْ هَذِهِ الْإِضَافَةِ , مَتَى تَكُونُ أَسْمَاءُ اللَّهِ مُحْتَصَةً بِهِ إِذَا أَضِيفَتْ , لَا يَشْرِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ بَعْدَ الْإِضَافَةِ , إِذَا قِيلَ عِلْمُ اللَّهِ وَجُودُ اللَّهِ نُزُولُ اللَّهِ بِحَيْثُ اللَّهُ لَا يَشْرِكُهُ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ أَحَدٌ غَيْرُهُ , وَجُودٌ خَاصٌّ بِهِ بِحَيْثُ خَاصٌّ بِهِ نُزُولٌ خَاصٌّ بِهِ يَلِيقُ بِهِ لَيْسَ كَنُزُولِ المَخْلُوقِ و لَا المَجِيئِ كَمَجِيئِ المَخْلُوقِ و لَا العِلْمِ كَعِلْمِ المَخْلُوقِ , و هذا الإختلاف حَصَلَ مِنْ الْإِضَافَةِ أَيْ تَخْصِصُ وَجُودِ اللَّهِ بِاللَّهِ و عِلْمِ اللَّهِ بِاللَّهِ و نُزُولِهِ بِهِ سُبْحَانَهُ وَ بِحَيْثِهِ إِنَّمَا حَصَلَ بِهَذَا التَّخْصِيسِ , أَيْ بِالْإِضَافَةِ , و لِهَذَا سَمِيَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ كَالْعَلِيمِ و الْحَلِيمِ و سَمِيَ صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ: العِلْمُ و الْحِلْمُ الْقُدْرَةُ , فَكَانَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ مُحْتَصَةً بِهِ سُبْحَانَهُ و تعالى إِذَا أَضِيفَتْ إِلَيْهِ بِهَذَا الْقَيْدِ , إِذَا أَضِيفَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ الْإِضَافَةِ لَا تَخْصِصَ لِأَنَّهُ الْمَطْلُوقُ الْكُلِّي كَمَا تَقَدَّمَ , لَا يَشْرِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ فِي الْإِسْمِ الْمُخْتَصِّ الَّذِي حَصَلَ الْإِخْتِصَاصُ لَهُ بِالْإِضَافَةِ و سَمِيَ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ مُحْتَصَةٍ بِهِمْ مُضَافَةً إِلَيْهِمْ (عُلَامٌ عَلِيمٌ) (عُلَامٌ حَلِيمٌ) وَصَفٌ مُخْتَصٌّ بِالمَخْلُوقِ , لَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ و لَا الْحِلْمُ كَالْحِلْمِ , و سَمِيَ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ مُحْتَصَةٍ بِهِمْ مُضَافَةً إِلَيْهِمْ لَيْسَ بِإِلْزَامٍ أَنْ تَكُونَ الْإِضَافَةُ الَّتِي يَحْصُلُ فِيهَا الْمُضَافُ و الْمُضَافُ إِلَيْهِ بَلْ مَنَسُوبَةٌ إِلَيْهِمْ سَوَاءٌ كَانَ بِالْإِضَافَةِ أَوْ بِأَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً وَ خَبَرًا. تُوَافِقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ إِذَا قُطِعَتْ عَنِ الْإِضَافَةِ و التَّخْصِيسِ , و سَمِيَ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ مُحْتَصَةٍ بِهِمْ مُضَافَةً إِلَيْهِمْ تُوَافِقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ إِذَا قُطِعَتْ عَنِ الْإِضَافَةِ و التَّخْصِيسِ , هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي سَمِيَ اللَّهُ بِهَا بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ تُوَافِقُ أَسْمَاءَ اللَّهِ -تعالى- , إِذَا. فِي الْمَعْنَى الْعَامِ قَبْلَ الْإِضَافَةِ إِذَا قُطِعَتْ عَنِ الْإِضَافَةِ و التَّخْصِيسِ , إِذَا قُطِعَتْ الْأَسْمَاءُ أَسْمَاءُ اللَّهِ و أَسْمَاءُ المَخْلُوقِ عَنِ الْإِضَافَةِ و التَّخْصِيسِ حَصَلَ الْإِتِّفَاقُ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ بَيْنَ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى و أَسْمَاءِ خَلْقِهِ , مَفْهُومٌ ؟ وَ لَمْ يَلْزَمْ مِنْ إِتِّفَاقِ الْإِسْمَيْنِ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ الَّذِي هُوَ الْمَعْنَى الذِّهْنِي لَمْ يَلْزَمْ مِنْ إِتِّفَاقِ الْإِسْمَيْنِ تَمَازُلُ مُسَمَّاهُمَا أَيْ تَشَابُهُ مُسَمَّاهُمَا بِدُونِ وَآوِ و إِتِّحَادُهُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ و التَّجْرِيدِ عَنِ الْإِضَافَةِ و التَّخْصِيسِ , لَا يَلْزَمْ مِنْ إِتِّفَاقِ الْإِسْمَيْنِ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ تَمَازُلُ مُسَمَّاهُمَا و إِتِّحَادُهُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ

و التجريد عن الإضافة و التخصيص ، لا إتفاق و لا تشابه بين المسميين إنما يحصل الإتفاق في المعنى العام إذا قُطِعَ الإسم عن الإضافة ، إلى هنا واضح ؟ .

أما من قوله (لا اتفاهما) إلى قوله (عن الإضافة و التخصيص) هذا فيه تكرار ، و لذلك احتلفت النسخ في هذه الجملة ، يمكن الإستغناء عن هذه الجملة كلياً ، نقرأ هكذا (و لم يلزم من اتفاق الإسمين تماثل مسماهما و اتحاده "إتحاد المسمى" عند الإطلاق و التجريد عن الإضافة و التخصيص فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة و التخصيص) لا يحصل الإتحاد أبداً لا في حال الإضافة و لا في حال عدم الإضافة ، لا يحصل الإتحاد بين المسميين و الإتفاق الذي حصل في المعنى العام عند القطع عن الإضافة لا يلزم منه تماثل المسميين و إتحاد المسميين ، ترد الصفات على ثلاث حالات لعل هذا يوضح ، ترد الصفات مضافةً إلى الله فتكون مختصةً بالله - سبحانه و تعالى - ، إذا وردت الصفات مضافةً : علم الله سمع الله نزل الله بحى الله تكون مختصةً به سبحانه و تعالى لا أحد يشارك الله في حقائق هذه الصفات و ترد الصفات مضافةً إلى العبد : علم زيد نزل زيد و استواء زيد على ذاته و على كرسية هذه تكون مختصةً بالعبد لا يشارك الله سبحانه و تعالى عبده في حقائق هذه الصفات لأنها جاءت مختصة ، ترد الصفات مطلقاً غير مضافة فهي لا وجود لها إلا في الذهن و ليست مختصةً بأحد ، إذا جاءت الصفات مطلقاً علم سمع نزل هذه المعاني المطلقة أو هذه الصفات المطلقة لا وجود لها إلا في الذهن ، ليست مختصةً بالله و لا مختصةً بالمخلوق ، هنا يحصل الإتفاق في المعنى العام في المطلق الكلي ، يزول هذا الإتفاق بالإضافة ، إذا أطلقت النزول و الجيى و السمع و البصر يسمى هذا المطلق الكلي أو المعنى العام هو محل الإشتراك أو محل الإتفاق و متى يزول هذا الإتفاق ؟ بالإضافة ، إن أضفت النزول إلى المخلوق صار مختصاً بالمخلوق مستحيل أن يشارك الله سبحانه و تعالى مخلوقه في الصفات المختصة بهم ، فإذا أضيف النزول إلى الله "ينزل ربنا" صار مختصاً مستحيل أن يشارك الله أحد من خلقه في خصائص نزوله ، هكذا ترد الصفات ، إذا عرفنا هذه الحالات الثلاثة زال الإشكال ، وروى الصفات مختصةً مضافةً إلى الله. وروى الصفات مختصةً و مضافةً

إلى المخلوق , وَ وُرُودُ الصِّفَاتِ مُطْلَقَةً , هذه الحالات الثلاثة تُوظِّحُ المَقَامَ تَمَامًا , نَعَمْ .

الشيخ مُحَاوِرًا أحد الطلاب: إذا لَمْ تَسْتَطِيعَ شَيْئًا فَدَعُهُ فَجَوِّزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ , وَاصِل .

القارئ : يَقُولُ المَصْنَفُ رحمه -الله تعالى- (فقد سَمَّى الله نفسه حَيًّا، فقال: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} وسمى بعض عباده حَيًّا، فقال: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} وليس هذا الحَيِّ مثل هذا الحَيِّ، لأن قوله {الحَيُّ} اسم لله مختص به، وقوله {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يَتَّفِقَانِ إذا أُطْلِقَا وَجَرَّدَا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج

الشيخ : مَوْجُودٌ عِنْدَكُمْ ؟ , نُسَخَّتَانِ أَيُّهُمَا أَصَحَّ عَرَبِيَّةً ؟ وَلَكِنْ لَيْسَ لِلْمُطْلَقِ مُسَمًى مَوْجُودًا وَ لَكِنْ لَيْسَ لِلْمُطْلَقِ مُسَمًى مَوْجُودٌ , أَيُّهُمَا الصَّحِيح ؟

الطالب : مَوْجُودٌ .

الشيخ : مُشْ أَصَحَّ , أَيُّهُمَا الصَّحِيح ؟

الطالب : مَوْجُودٌ .

الشيخ : لِمَاذَا ؟

الطالب :

الشيخ : ليس ما , الفعل ليس ماذا يعمل , إنما المعمول ليس .

الطالب :

الشيخ : و ليس للمطلق مسمى , مسمى منصوب أو مرفوع ؟

الطالب : وجود هذا ليس ...

الشيخ : موجود هذا المسمى ؟ و ليس للمطلق مسمى . إنتهى الكلام , و موجودا أو موجود صفة المسمى , مسمى ليش ... ؟

الطالب : إسم ليس .

الشيخ : آه ..

الطالب : إسم ليس .

الشيخ : و موجود تبع لمسمى , ما أعرب به المسمى يُعرب به موجود , "و ليس للمطلق مسمى موجودا في الخارج و لكن العقل . عفووا.. ما شرحنا , هذه الآيات التي ساقها المؤلف توضح المعاني التي شرحنا الآن هي كالمثلة , فقد سمى الله نفسه حيا فقال (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) الحي , و سمى بعض عباده حيا فقال (يُخرج الحي من الميت و يُخرج الميت من الحي) و ليس هذا الحي . الحي القيوم مثل هذا الحي . الحي الذي أخرجه الله من الميت ليس مثله , لأن حياة الحي القيوم حياة كاملة لا نقص فيها و ليس لها بداية و ليس

لَهَا نِهَآيَةٌ هَذِهِ الْحَيَاةُ. الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ وَ لَكِنَّ الْحَيَاةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي يَخْرُجُ مِنَ الْمَيِّتِ حَيَاةً وَجَدَتْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ . حَيَاةٌ مُحَدَّثَةٌ , كَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ الْحَيَاةُ كَيْفَ تَكُونُ الْحَيَاةُ ؟ فَرَقٌ عَظِيمٌ لَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا , هَذَا يُوْطَّحُ مَا تَقَدَّمَ , وَ لَيْسَ هَذَا الْحَيَاةُ مِثْلًا الْحَيَاةُ الْقَيُّومُ مِثْلُ هَذَا الْحَيَاةِ لِأَنَّ قَوْلَهُ الْحَيَاةُ إِسْمٌ لِلَّهِ مُخْتَصٌّ بِهِ لِأَنَّهُ قَالَ (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) الْإِخْتِصَاصُ قَدْ يَكُونُ بِالْإِضَافَةِ وَ قَدْ يَكُونُ بِالْوَصْفِ , الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِسْمٌ لِلَّهِ مُخْتَصٌّ بِهِ سُبْحَانَهُ , لَا أَحَدٌ يُشَارِكُ اللَّهَ فِي هَذَا. فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ , وَ قَوْلُهُ (يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ) إِسْمٌ لِلْحَيَاةِ الْمَخْلُوقِ مُخْتَصٌّ بِهِ , الْحَيَاةُ بِحَيَاةٍ مَخْلُوقَةٍ , الْحَيَاةُ الْمَخْلُوقَةُ لَا يُشَارِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَبْدَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْمَخْلُوقَةِ لِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ , خَلَقَ الْعَبْدَ وَ خَلَقَ لَهُ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْمَخْلُوقَةَ. وَ إِنَّمَا يَتَفَقَّانِ الْحَيُّ مَعَ الْحَيَاةِ , إِنَّمَا يَتَفَقَّانِ إِذَا أُطْلِقَا وَ إِنَّمَا يَتَفَقَّانِ إِذَا أُطْلِقَا , إِذَا أُطْلِقَ الْحَيُّ أَوْ إِذَا أُطْلِقَتِ الْحَيَاةُ وَ جُرِّدَا عَنِ التَّخْصِيصِ بَعْدَ الْإِضَافَةِ , وَ لَكِنْ لَيْسَ لِلْمَطْلُوقِ مُسَمًى مَوْجُودًا فِي الْخَارِجِ , الْمَطْلُوقُ الْكُلِّيُّ الْمَعْنَى الْعَامُ لَا وَجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ أَبَدًا وَ إِنَّمَا يَتَصَوَّرُهُ الذَّهْنُ تَصَوُّرًا وَجُودًا هَكَذَا وَاقِفٌ. لَيْسَ لِأَحَدٍ , عِلْمٌ وَاقِفٌ هَكَذَا وَحْدَهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ , هَلْ لَهُ وَجُودٌ ؟ لَا , إِنَّمَا فِي الذَّهْنِ فَقَطْ لَكِنْ فِي الْخَارِجِ لَا يُوْجَدُ عِلْمٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ بَلِ الْعِلْمُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِالْمَوْصُوفِ , وَ كَذَلِكَ الْحَيَاةُ وَ كَذَلِكَ السَّمْعُ وَ كَذَلِكَ النَّزُولُ وَ كَذَلِكَ الْجَبِيءُ , نَحْنُ عِنْدَنَا الصِّفَاتُ كُلُّهَا تُسَاقُ سَوَاقًا وَاحِدًا. الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ وَ الصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ وَ الصِّفَاتُ الْحَزَبِيَّةُ وَ الصِّفَاتُ الْعَقْلِيَّةُ كُلُّهَا تُسَاقُ سَوَاقًا وَاحِدًا , لَا تَفْرِيقَ بَيْنَ الصِّفَاتِ , وَ لَكِنَّ الْعَقْلَ يَفْهَمُ مِنَ الْمَطْلُوقِ قَدْرًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْمُسَمَّيْنِ , هَذَا تَصَوُّرٌ وَ عِنْدَ الْإِخْتِصَاصِ أَيْ بِالْإِضَافَةِ يُقَيَّدُ ذَلِكَ بِمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْخَالِقُ. يُقَيَّدُ الْعَقْلُ نَفْسَهُ أَوْ نَقُولُ يُقَيَّدُ ذَلِكَ بِمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْخَالِقُ عَنِ الْمَخْلُوقِ , وَ الْمَخْلُوقُ عَنِ الْخَالِقِ , هَذَا شَأْنٌ وَاضِحٌ . لَيْسَ بِالْوُجُودِ فَقَطْ بَلْ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ كَمَا مِثْلُنَا , وَ الْإِتِّفَاقُ الَّذِي يَحْضُرُ قَبْلَ الْإِخْتِصَاصِ لَا يَحْضُرُ , بَلْ أَمْرٌ لَا بَدَّ مِنْهُ , إِذْ لَا يُمَكِّنُ التَّصَوُّرُ إِلَّا بِهَذَا الْإِتِّفَاقِ الْمَطْلُوقِ الْعَامِ , ثُمَّ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَ بَيْنَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ أَضِفْ يَنْزِلُ رَبَّنَا أَوْ نُزُولُ رَبَّنَا , يَجِيئُ رَبَّنَا , يَجِيئُ رَبَّنَا , اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لَا أَحَدٌ يُشَارِكُ اللَّهَ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - .

الدرس رقم : 06

الشيخ : قال المؤلف رحمه -الله تعالى- (ولابد من هذا في جميع أسماء الله و صفاته) لابد من وقوع الإتفاق في الإسم العام و في المطلق الكلي ولابد من إضافة تُخصّص صفات الخالق بالخالق و صفات المخلوق بالمخلوق , هذه قاعدة لابد منها , (و لابد من هذا في جميع أسماء الله و صفاته) يفهم منها ما دلّ عليه الإسم بالمواطئة و الإتفاق. بمعنى واحد , المواطنة و الإتفاق بمعنى واحد , و هذا الإتفاق كما تقدّم إنّما يقع في الإسم العام. في المطلق العام و في المطلق الكلي المعنى واحد , (و ما دلّ عليه بالإضافة و الإختصاص) المانعة صفة للإضافة , المانع صفة للإختصاص , التّسختان صّحّحتان , (و ما دلّ عليه بالإضافة و الإختصاص المانع) الإختصاص المانع من مُشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه و تعالى , هذه إضافة مُهمّة جدّاً , و هذا التّقييد , و هذا الإختصاص بالإضافة أمرٌ مُهمٌ , لو لا ذلك لاختلط الأمر , وكذلك سَمّى الله نفسه عليماً حليماً سَمّى بعض عباده عليماً فقال (و بشروهُ بـغلامٍ عليمٍ) يعني إسحاق , و سَمّى آخرَ حليماً (فبشّرناه بـغلامٍ حليمٍ) يعني إسماعيل , ليس العليم كالعليم ليس العليم الذي هو الله سبحانه و تعالى كالعبد العليم الذي وصفهُ بأنّه عليم , لأنه ليس العلم كالعلم كما تقدّم , شرحنا خصائص علم الربّ سبحانه و شرحنا خصائص علم العبد , إذاً الله الذي من خصائص علمه الإحاطة بجميع المعلومات و قدّم ذلك العلم و بقاء ذلك العلم و عدم طُرُوء أيّ نقص على هذا العلم , هذا العليم الموصوف بهذا العلم ليس كالعليم الذي علمه قاصر و ناقص و حادث و زائل , و لا الحليم كالحليم إلى آخره , الآيات كلّها من هذا القبيل , و صلى الله و سلم و بارك على نبينا محمد و آله و صحبه .

القارئ : الحمد لله رب العالمين , و الصّلاة و السّلام على رسولهِ الأمين و على مَنْ سارَ على نهجِهِ و منوالِهِ إلى يوم الدّين , أمّا بعد , قال المصنّف رحمه -الله تعالى- (وكذلك

سمى صفاته بأسماء، وسمى صفات عباده بنظير ذلك، فقال: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} ، وقال: {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} ، وقال: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} ، وقال: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} ، وسمى صفة المخلوق علماً وقوة، فقال: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ، وقال: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} ، وقال: {فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} ، وقال: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} ، وقال: {وَيَرْدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} ، وقال: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} أي: بقوة، وقال {وَأَذْكُرُ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ} أي: ذا القوة، وليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

الشيخ: الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و خاتم النبيين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين , قال المؤلف رحمه -الله تعالى- (وكذلك سمي صفاته بأسماء، وسمى صفات عباده بنظير ذلك) من الأسماء , فَحَصَلَ الإِتِّفَاقُ فِي الإِسْمِ العام كما تقدّم , فقال -سبحانه- (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) أَضَافَ الْعِلْمَ إِلَى نَفْسِهِ , فهذه الإضافة كما تقدّم تُفِيدُ التَّخْصِصَ أو الإختصاص أي لَا يُشَارِكُ اللَّهُ أَحَدٌ فِي عِلْمِهِ المحيط بجميع المعلومات. الْعِلْمُ الْقَدِيمُ قَدَمَ الذَّاتِ , الْعِلْمُ الْبَاقِي بَقَاءَ الذَّاتِ , الْعِلْمُ الْكَامِلُ الَّذِي لَا يَطْرُقُ عَلَيْهِ أَيُّ نَقْصٍ , بَعْدَ هَذِهِ الإِضَافَةِ لَا يَحْصُلُ أَيُّ اشْتِرَاكِ بَيْنَ صِفَةِ الْخَالِقِ وَ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ , كَذَلِكَ قَوْلُهُ -تعالى- (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) وَ قَالَ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) وَ قَالَ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) الشَّاهِدُ ذِكْرُ الْقُوَّةِ وَ ذِكْرُ الْمَتِينِ أَيْضًا , (وسمى صفة المخلوق علماً وقوة، فقال: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}) مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ. أَثَبَّتَ الْعِلْمَ لِلْعِبَادِ. وَ إِنْ كَانَ هَذَا الْعِلْمُ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ عِلْمَ قَلِيلٍ وَ مَعَ قَلْتِهِ عِلْمٌ حَادِثٌ , رُزِقَ الْعَبْدُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا , وَ عِلْمُ الْعَبْدِ غَيْرُ مُحِيطٍ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ , عِلْمٌ نَاقِصٌ , غُرْضَةٌ لِلآفَاتِ مِنَ التَّسْيَانِ وَ الْجَهْلِ وَ الدَّهْوَهِ وَ أَخِيرًا لِلذَّهَابِ , بِهَذَا يُفَارِقُ عِلْمُ الْمَخْلُوقِ عِلْمَ الْخَالِقِ , أَيْ يُنَزَّهُ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- أَنْ يَشْرَكَ الْعَبْدُ أَوْ

يُشَارِكُ الْعَبْدَ فِي خَصَائِصِ عِلْمِ الْعَبْدِ ، وَ قَالَ تَعَالَى (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) إثبات العلم كالآية التي قَبْلَهَا ، (فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ) ، الآيات الثلاث كلها في إثبات العلم للمخلوق ، العِلْمُ بالمواصفات التي تَقَدَّمَتْ ، وَ قَالَ (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) هَذَا مَحَلُّ الشَّاهِدِ. ذِكْرُ الْقُوَّةِ ، (ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) وَ إِنَّ كَانَ فِي ذِكْرِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ أَيْضًا إِثْبَاتُ صِفَةِ الْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ وَ إِثْبَاتُ اسْمِهِ الْعَلِيمِ وَ الْقَدِيرِ ، لَكِن مَحَلُّ الشَّاهِدِ الَّذِي سَاقَ الْمُؤَلِّفُ مِنْ أَجْلِهِ الْآيَةَ ذِكْرُ الْقُوَّةِ أَيْ إِثْبَاتُ الْقُوَّةِ ، (وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) كَذَلِكَ ، (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) أَيْ: بِقُوَّةِ ، "أَيْدٍ" هُنَا لَيْسَ بِجَمْعٍ ، لَيْسَ جَمْعُ يَدٍ وَ إِنَّمَا هُوَ مُصَدَّرٌ ، مُصَدَّرُ هَذَا الرَّجُلِ يَمِيدُ أَيْدًا أَيْ قُوَّةً ، لِأَنَّ يُقَالُ إِنَّنَا أَوْلْنَا الْآيَةَ هُنَا وَ لَيْسَ هَذَا بِتَأْوِيلٍ ، لَا يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ "أَيْدٍ" هُنَا جَمْعُ يَدٍ ، وَ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، بَلْ "أَيْدٍ" هُنَا مُصَدَّرُ آدَا أَيْ: قُوَّةً ، وَ هَذَا تَفْسِيرُ لُغَوِيٍّ وَ لَيْسَ بِتَأْوِيلٍ ، التَّأْوِيلُ الْمَذْمُومُ هُوَ التَّحْرِيفُ ، أَمَّا التَّأْوِيلُ الَّذِي بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ وَ الْإِيضَاحِ ، وَ هَذَا هُوَ الثَّابِتُ فِي الْقُرْآنِ ، هَذِهِ لُغَةُ الْقُرْآنِ ، إِذَا ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى كَذَا وَ كَذَا أَيْ تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَ هَذَا شَيْءٌ ثَابِتٌ ، وَ لَكِنِ التَّأْوِيلُ الْمَذْمُومُ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى التَّحْرِيفِ كَتَفْسِيرِ اسْتَوَى بِاسْتَوَى ، وَ تَفْسِيرِ نُزُولِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بِنُزُولِ الْأَمْرِ أَوْ نُزُولِ مَلَكٍ. هَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الْمَذْمُومُ ، (وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) كَذَلِكَ مِثْلُ الَّذِي قَبْلَهُ ، (وَلَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ، وَلَا الْقُوَّةُ كَالْقُوَّةِ). إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ وَ أَنَّ هَذَا الْإِشْتِرَاكَ فِي الْإِسْمِ الْعَامِ لَا يَضُرُّ بَلْ لَا بَدَّ مِنْهُ ، وَ الْإِشْتِرَاكَ الْمُجْتَنَبُ الْإِشْتِرَاكَ بَعْدَ التَّخْصِيسِ ، صِفَاتِ اللَّهِ بِاللَّهِ وَ أَسْمَاءِ اللَّهِ بِاللَّهِ ، وَ بَعْدَ تَخْصِيسِ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ بِالْمَخْلُوقِ ، هَذَا الَّذِي لَا يَقَعُ فِيهِ الْإِشْتِرَاكَ .

(وكذلك وصف نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، فقال: {لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} الْعَبْدُ لَهُ مَشِيئَةٌ وَ لَهُ اخْتِيَارٌ وَ لَهُ قُدْرَةٌ ، لَيْسَ الْعَبْدُ بِمَجْبُورٍ عَلَى مَا يَفْعَلُ ، بَلْ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ بِمَشِيئَتِهِ وَ اخْتِيَارِهِ وَ إِرَادَتِهِ ، إِلَّا أَنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ لَيْسَتْ مُسْتَقِلَّةً. مَشِيئَةُ مَخْلُوقَةٍ قُدْرَةُ مَخْلُوقَةٍ وَ إِرَادَةُ مَخْلُوقَةٍ وَ اخْتِيَارُ مَخْلُوقٍ ، لَكِنَّهُ مُحَاطَبٌ بِهَذَا وَ مُكَلَّفٌ ، لِذَلِكَ يُأْخَذُ عَلَى مَا يَفْعَلُ إِنَّ شَرًّا وَ يُثَابُ عَلَى مَا يَفْعَلُ مِنَ الْخَيْرِ

, و هي مسألة القدر و مسألة الجبر يُنتبه لها , (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) أثبت المشيئة للعبد أو للعباد إلا أنه قيدها بأنها تابعة لمشيئة الله , إذ لا يقع في هذا الكون شيء إلا بمشيئة الله - تعالى - من إيمان و كفر و طاعة و معصية و بلاء و نعمة , كل ما يقع في هذا الكون يقع بمشيئة الله أي قد علم الله أن الشيء الفلاني يقع في المكان الفلاني في الزمن الفلاني و كتب ذلك في اللوح المحفوظ , و شاء أي قدر و قضى و نفذ ذلك , هذه مراتب القدر لابد من الإيمان بها لا فرق في ذلك بين الخير و الشر و بين ما يحبّه الله و ما لا يحبّه , الله - سبحانه و تعالى - يشاء فيقدر وقوع ما يحب و وقوع ما لا يحب و لكن لا يحب إلا الطاعة. إلا الإيمان و إلا الطاعة , المشيئة هنا هي التي تسمى في موضع آخر "الإرادة الكونية" أي الإرادة الكونية و المشيئة بمعنى واحد , أما الإرادة الدينية فهي بمعنى المحبة و الرضى , و الإرادة الكونية بمعنى المشيئة العامة , لابد من التفريق بين الإرادتين , و لذلك مبحث آخر .

(وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، فقال: {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}) -الله سبحانه و تعالى- يريد , تأتي الإرادة كما قلنا بمعنى المحبة , يريد بمعنى يحب , يريد بمعنى يشاء , إذا جاءت الإرادة في مرضاة الله - تعالى - هي بمعنى المحبة و الرضى , و إذا جاءت بمعنى المشيئة العامة هي الكونية , (فمن يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام و من يريد أن يضلّه يجعل صدره حرجاً ضيقاً كأنما يصعد في السماء) لا يقال هنا (و من يريد الله أن يضلّه) أي من يحب أن يضلّه ؟ لا , أي من يشاء , لأن الله يريد الضلال أي يشاء و يريد الكفر و يريد المعاصي و لكن لا يحبها , لكّ التفريق بين الإرادتين أمرٌ مهمٌ جداً في باب القضاء و القدر .

الدرس رقم : 07

القارئ : (ووصف نفسه بالمناداة والمناجاة، في قوله: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} ، وقوله: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} ، وقوله: {وَنَادَاهُمَا رُثُومًا} ووصف عبده بالمناداة والمناجاة، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} ، وقال: {إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ} ، وقال: {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} وليس المناداة كالمناداة، ولا المناجاة كالمناجاة ، ووصف نفسه بالتكليم في قوله: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} ، وقوله: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} ، وقوله: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ} ، ووصف عبده بالتكليم في مثل قوله: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ} ، وليس التكليم كالتكليم ، ووصف نفسه بالتنبئة، ووصف بعض الخلق بالتنبئة، فقال: {وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} وليس الإنباء كالإنباء ، ووصف نفسه بالتعليم، ووصف عبده بالتعليم، فقال: {الرَّحْمَنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} ، وقال: {تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ} ، وقال: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} وليس التعليم كالتعليم.)

الشيخ : الحمد لله رب العالمين و صلاة الله و سلامه و رحمته و بركاته على نبينا محمد الأمين و آله و أصحابه أجمعين و بعد ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- في رسالته التدمرية في بيان و إثبات أسماء و صفات الله تعالى على ما يليق به و أنّ الإشتراك في المعنى العام بين صفات الله تعالى و صفات خلقه لا يضر ، و الإشتراك الذي لا يقع هو في الصفات المختصة بالله تعالى بعد إختصاصها بالإضافة و في الصفات المختصة بالمخلوق بعد

اختصاصيها بالإضافة أيضًا , لذلك قَالَ رحمه الله (و وصف نفسه بالمناداة والمناجاة) أي بالنداء و النداء لَا يَكُونُ إِلَّا بِصَوْتٍ عَالٍ يُسْمَعُ , و لَيْسَ بِصَوْتٍ خَافِتٍ يَسْمَعُهُ الْمُخَاطَبُ فَقَطْ , بَلْ بِصَوْتٍ عَالٍ يَسْمَعُهُ كُلٌّ مِّنْ صَالِحِ السَّمَاعِ , و مَا يَسْمَعُهُ الْمُخَاطَبُ فَقَطْ هَذِهِ مُنَاجَاةٌ , قَالَ تَعَالَى (وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) فِي هَذِهِ الْآيَةِ جَمَعَ بَيْنَ الْمُنَادَاةِ وَ الْمُنَاجَاةِ , (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا) هَذِهِ الْآيَاتُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى يُنَادِي أَيْ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ , يُرِيدُ شَيْخُ الْإِسْلَامُ بِهَذَا إِثْبَاتَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ كَلَامٌ لَفْظِي لَهُ صَوْتُ وَ حَرْفٌ يُسْمَعُ , وَ الْمُخَاطَبُ يَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- , وَ عِنْدَمَا نَادَى مُوسَى وَ خَاطَبَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَ الْمِعْرَاجِ وَ كُلِّ مَنْ خَاطَبَهُ اللَّهُ وَ نَادَاهُ وَ كَلَّمَهُ. إِنَّمَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَ بِصَوْتِ اللَّهِ , هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُؤَكِّدَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ لِأَنَّهُ ظَهَرَ فِي وَقْتِ إِشْتَدَّتِ الْأَشَاعِرَةُ فِي إنْكَارِ الْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ زَاعِمِينَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَ لَا صَوْتٍ وَ إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ نَفْسِيٌّ لَا حَرْفَ لَهُ وَ لَا صَوْتَ , وَ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رحمه الله (ووصف عبده بالمناداة والمناجاة، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}) [يُنَادُونَكَ هَذَا مَحَلُّ الشَّاهِدِ , إِذَا النِّدَاءُ يَحْصُلُ مِنَ الْخَلْقِ وَ يَحْصُلُ مِنَ الْمَخْلُوقِ وَ لَكِنْ نِدَاءُ الْخَالِقِ خِلَافَ نِدَاءِ الْمَخْلُوقِ , وَ قَالَ (إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ) وَ قَالَ (إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) وَلَيْسَ الْمُنَادَاةُ كَالْمُنَادَاةِ لَيْسَ الْمُنَادَاةُ مِنَ اللَّهِ كَالْمُنَادَاةِ مِنَ الْمَخْلُوقِ , وَ لَا الْمُنَاجَاةُ مِنَ الْخَالِقِ كَالْمُنَاجَاةِ مِنَ الْمَخْلُوقِ , وَ سَبَقَ أَنْ قَرَّرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْإِشْتِرَاكَ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ الَّذِي يُسَمِّيهِ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ "المطلق الكلي" لَا يَضُرُّ. بَلْ شَيْءٌ لَا بُدَّ مِنْهُ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ مَا فُهِمَ الْخِطَابُ , إِنَّمَا يُفْهَمُ خِطَابُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بِإِثْبَاتِ هَذَا الْإِشْتِرَاكِ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ , لِذَلِكَ نُفَرِّقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ. بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ وَ الْإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ بَيْنَ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ بَعْدَ الْإِضَافَةِ , لِيَبْقَى الْإِشْتِرَاكُ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ وَ يَحْصُلُ الْإِخْتِصَاصُ بِالْإِضَافَةِ , وَ وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِالتَّكْلِيمِ بِأَنَّهُ يُكَلِّمُ فِي قَوْلِهِ (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) أَكَّدَ هَذَا التَّكْلِيمَ بِالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ الَّذِي هُوَ التَّكْلِيمُ , وَ كُلٌّ مِّنْ يَفْهَمُ اللَّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ إِذَا سَمِعَ فُلَانٌ قَتَلَ فُلَانًا , أَوْ قَتَلَ فُلَانٌ قَتَلَ فُلَانًا

قَتْلًا. يُفَرِّقُ بَيْنَ التَّعْبِيرَيْنِ , قَتَلَ يَحْتَمِلُ أَلَّا يَكُونَ قَتْلًا حَقِيقِيًّا وَرُبَّمَا ضَرْبًا كَادًا أَنْ يَكُونَ قَتْلًا , وَ إِذَا قَالَ قَتَلَ قَتْلًا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا إِزْهَاقَ الرُّوحِ , الْقَتْلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ مَعْنَى آخَرَ , وَ قَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) تَكْلِيمًا حَقِيقِيًّا , كَلَّمَهُ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - وَ سَمِعَ مُوسَى صَوْتَ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - , وَ فِي هَذَا رَدُّ كَمَا قُلْنَا عَلَى الزَّاعِمِينَ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَ لَا صَوْتٍ , وَ قَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) , حَاوَلَ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ وَ اقْتَرَحَ عَلَى بَعْضِ الْقُرَّاءِ أَنْ يَقْرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" هَكَذَا بِالنَّصْبِ "وَكَلَّمَ اللَّهُ" لِيَكُونَ الَّذِي كَلَّمَ هُوَ مُوسَى , فَاعِلُ الْكَلَامِ يَكُونُ مُوسَى بِنَصْبٍ لَفْظِ الْجَلَالَةِ وَ كَلَّمَ اللَّهُ أَيْ كَلَّمَ مُوسَى اللَّهُ , يَكُونُ الْمَعْنَى هَكَذَا , قَالَ لَهُ هَبْ أَنِّي قَرَأْتُ الْآيَةَ كَمَا زَعَمْتَ فَمَاذَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) هَلْ يَحْتَمِلُ غَيْرَ هَذَا ؟ لَا يَحْتَمِلُ , فَبُهِتَ الَّذِي زَعَمَ , وَ قَوْلُهُ تَعَالَى (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ) مَنْ خَاطَبَهُ اللَّهُ وَ كَلَّمَهُ وَ لَمْ يُكَلِّمْ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَ إِمَّا كَلَّمَ بَعْضَهُمْ , (ووصف عبده بالتكليم في مثل قوله: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ} هَذَا مَحَلُّ الشَّاهِدِ (فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ) {المخلوق يُكَلِّمُ مَخْلُوقًا مِثْلَهُ , فَالْخَالِقُ يُكَلِّمُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَ لَكِنْ لَيْسَ الْكَلَامُ كَالْكَلَامِ وَ لَا التَّكْلِيمُ كَالْتَّكْلِيمِ , (ووصف نفسه بالتنبئة، ووصف بعض الخلق أيضا بذلك ، فقال: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ} هَذَا مَحَلُّ الشَّاهِدِ (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا) مَرَّةً أُخْرَى (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) {نَبَّأَنِيَ. اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - هُوَ الَّذِي أَنْبَأَهُ أَيْ أَخْبَرَهُ , أَيْ يُسْتَعْمَلُ الْإِنْبَاءُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا يُسْتَعْمَلُ الْإِخْبَارُ , وَ لَيْسَ الْإِنْبَاءُ كَالْإِنْبَاءِ , وَ الْمَعْنَى وَاحِدٌ. الْإِنْبَاءُ وَ الْإِخْبَارُ مَعَ تَفْرِيقٍ دَقِيقٍ بَيْنَهُمَا (ووصف نفسه بالتعليم، ووصف عبده بالتعليم، فقال: {الرَّحْمَنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} , وقال: {تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ} {تُعَلِّمُونَ. أَنْتُمْ تُعَلِّمُونَ وَ اللَّهُ يُعَلِّمُ وَ الْمَخْلُوقُ يُعَلِّمُ , {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ { فَالْتَّيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يُعَلِّمُ (وليس التعليم كالتعليم).
لَيْسَ تَعْلِيمُ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ كَتَعْلِيمِ الْمَخْلُوقِ ، نَعَمْ .

القارئ : (وهكذا وصف نفسه بالغضب، في قوله: {وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ} ،
ووصف عبده بالغضب في قوله: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} وليس الغضب
كالغضب.

ووصف نفسه بأنه استوى على عرشه، فذكر في سبع آيات من كتابه أنه استوى على
العرش، ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره، في مثل قوله: {لَتَسْتَثْوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} ،
وقوله: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ} ، وقوله: {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ}
وليس الاستواء كالاستواء.

ووصف نفسه ببسط اليدين، فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} ، ووصف بعض خلقه ببسط اليد، في قوله:
{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} ، وليس اليد كاليد، ولا البسط
كالبسط، وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء والجود فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه، ولا جوده
كجودهم. ونظائر هذا كثيرة) .

الشيخ : قَالَ شيخ الإسلام رحمه الله - (وهكذا وصف نفسه بالغضب، في قوله:
{وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ} وَ وصف عبده بالغضب في قوله: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى
قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} وليس الغضب كالغضب.) وَ هَذِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي شَدَّدَتْ فِيهَا
الْأَشَاعِرَةُ وَ قَالُوا الْغَضَبُ غَلْيَانُ دَمِ الْقَلْبِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْإِنْتِقَامِ وَ مِثْلُ هَذَا أَوْ هَذَا الْمَعْنَى لَا
يَلِيْقُ بِاللَّهِ ، إِذَا الْمَرَادُ بِالْعَضَبِ إِرَادَةُ الْإِنْتِقَامِ ، فَسَرُّوا الْعَضَبَ بِإِرَادَةِ الْإِنْتِقَامِ ، فَزَعَمُوا أَنَّ
الْغَضَبَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، فَشَبَّهْتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَصَوَّرُوا فِي مَعْنَى صِفَةٍ مِنَ
صِفَاتِ الرَّبِّ الَّتِي أَوَّلُوهَا إِلَّا كَمَا يَتَصَوَّرُونَ فِي الْمَخْلُوقِ ، وَ هَذَا تَنَاقُضٌ مِنْهُمْ إِذَا كَانُوا قَدْ

تَصَوَّرُوا الْإِرَادَةَ الَّتِي تَلِيْقُ بِاللَّهِ ، فَأَثْبَتُوا لِلَّهِ إِرَادَةً وَ اثْبَتُوا لِلْمَخْلُوقِ إِرَادَةً. كَانَ يَسْعُهُمْ أَنْ يُثْبِتُوا
لِلَّهِ الْعُضْبَ كَمَا اثْبَتَ لِنَفْسِهِ وَ كَمَا اثْبَتَ لَهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ فِي حَدِيثِ
الشَّفَاعَةِ ، بَلِ الْإِنْبِيَاءُ جَمِيعًا مِنْ آدَمَ وَ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ، كُلُّهُمْ اثْبَتُوا
الْعُضْبَ لِلَّهِ تَعَالَى ، إِذْ يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عِنْدَمَا تَقْدِّمُوا لَهُمْ لِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ "قَدْ غَضِبَ
اللَّهُ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَ لَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ" هَذَا قَالَهُ الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا ، أَيْ
كُلِّ الَّذِينَ طُلِبَتْ مِنْهُمْ الشَّفَاعَةُ ، إِبْتِثَاتُ الْعُضْبِ مِنْهُجِ الرَّسُلِ وَ لَكِنْ غَضَبًا يَلِيْقُ بِاللَّهِ وَ لَا
يَنْبَغِي أَنْ يُفَسَّرَ أَوْ يُكَيَّفَ غَضَبُ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- بِكَيْفِيَةٍ كَمَا يُكَيَّفُ غَضَبُ
الْمَخْلُوقِ وَ هَذَا يُقَالُ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ ، وَ تَفْرِيقُ الْأَشَاعِرَةِ بَيْنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ
الْفِعْلِيَّةِ الدَّاتِيَّةِ وَ بَيْنَ الصِّفَاتِ الْحَبَرِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ تَفْرِيقٌ لَا مُبَرَّرَ لَهُ ، لِهَذَا تَنَاقَضُوا
أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، كَذَلِكَ (وصف نفسه بأنه استوى على عرشه، فذكر ذلك في سبع آيات
من كتابه أنه استوى على العرش) بَلْ عَطَفَ ذَلِكَ بِـ "ثُمَّ" الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّرَاحِي وَ التَّرْتِيبِ ،
فَأَحْبَزَ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَ هَذَا مِنْ
أَصْعَبِ التَّعْبِيرِ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ ، كَيْفَ يَسْتَوِي الْإِسْتِوَاءُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ. أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ؟ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ ، لَا يَسْعُ الْعِبَادُ إِلَّا تَصَدِيقَ خَبَرِ اللَّهِ ، نُوْمِنْ بِأَنَّ
الْعَرْشَ عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ. خَلَقَ اللَّهُ الْعَرْشَ وَ لَكِنْ لَمْ يُخْبِرِ الْعِبَادَ بِأَنَّهُ اسْتَوَى
عَلَيْهِ وَ خَصَّهُ بِهَذَا الْعُلُوِّ الْخَاصِّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ، لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا وَ لَا نَعْلَمُهَا ، لَا لِحَاجَةٍ إِلَى الْعَرْشِ ، بَلِ هُوَ الْعِزُّ غَنِيٌّ مُطْلَقًا ، لَيْسَ
بِحَاجَةٍ إِلَى الْعَرْشِ وَ لَا إِلَى مَا دُونَ الْعَرْشِ ، كَلَامٌ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ "كَانَ اللَّهُ وَ لَا
مَكَانَ ، فَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ" وَ عِنْدَمَا يُسَجِّعُ هَذَا الْكَلَامَ الرِّكَائِ
يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِشَيْءٍ جَدِيدٍ ، وَ هَذَا الْكَلَامُ لَا يَنْفَعُهُمْ لِأَنَّ أَهْلَ السَّنَةِ وَ الْجَمَاعَةَ لَمْ
يَقُولُوا يَوْمًا مَا بَانَ لِلَّهِ فِي مَكَانٍ يُحِيطُ بِهِ وَ إِنَّمَا إِيْمَانُ أَهْلِ السَّنَةِ وَ الْجَمَاعَةِ أَنَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ
الْأَمَاكِنِ. "اللَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي عُلوِّهِ قَبْلَ خَلْقِ الْعَرْشِ وَ بَعْدَ خَلْقِ الْعَرْشِ ، بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ وَ قَبْلَ
أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ" الْخَلْقُ كُلُّهُ مُحَدَّثٌ خُلِقَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، فَالرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى-

موصوف بالعلو مطلقاً ، دائماً و أبداً العلو صفة ذاتية لله تعالى ليس كالإستواء ، فليفرق طلاب العلم بين الإستواء و بين العلو ، الإستواء صفة فعل ، الصفة الفعلية تتجدد ، الإستواء تجدد أي الله أخبر أنه استوى على عرشه و خصه بالإستواء بعد أن خلق السماوات و الأرض و أما العلو صفة ذاتية دائماً و أبداً ، لم يزل الرب سبحانه و تعالى في علوه أبداً ، هذا ليس معنى ذلك أنه في مكان يحيط به ، إستعمال المكان في حق -الله تعالى- نفيًا و إثباتًا غير وارد و أهل السنة و الجماعة يلتزمون الألفاظ الشرعية في هذا الباب ، أي في باب الأسماء و الصفات ، لابد من الإلتزام بالألفاظ الشرعية ، الألفاظ الشرعية أن تقول "الله في السماء" "الله فوق العرش" "الله في العلو" إستعمال الفوقية. إستعمال العلو ، إستعمال أنه في السماء أو في العلو ، هذه الألفاظ الشرعية ، أما ذكر المكان "ليس في مكان" أو "هو في مكان" "ليس في جهة" أو "هو في جهة" "ليس متحيزًا" أو "كان متحيزًا" هذه الألفاظ محدثة مجملة تحتل المعنى الحق و المعنى الباطل ، و كل ما كان كذلك لا يستعمل في حق الله تعالى ، يستعمل في حق الله الألفاظ الواضحة الشرعية الواردة في الكتاب و السنة ، لذلك هذا الكلام وردني فيه سؤال عدة مرات هذه الأيام "كان الله و لا مكان" ، "كان" هنا تامة. صحيح الله موجود قبل أن يخلق المكان و لم يكن محتاجاً إلى مكان فهو على ما كان في غناه بعد أن خلق المكان ، كان الله و لا شيء غيره ، كان الله و لا شيء معه ، كان الله و لا شيء قبله لأنه الأول الذي ليس قبله شيء و هو الآخر الذي ليس بعده شيء و هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء و هو الباطل الذي ليس دونه شيء ، أي أحاط بكل شيء ، الخلق كله في قبضة الرب سبحانه و تعالى كخردلة في يد أحدنا ، الخردلة إذا كانت في كفك أنت محيطة بها من كل جهة ، فالله سبحانه و تعالى محيطة بخلقها و لذلك يستحيل عقلاً أن يكون في مكان ، و الأمكنة كلها محاطة بها ، فالخالق محيطة بالمخلوق ، المخلوق لا يحيط بالخالق أبداً ، هذه عقيدة أهل السنة و الجماعة واضحة لا لبس فيها .

(ووصف نفسه ببسط اليدين، فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُوءَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}) حاولت الأشاعرة تحريف صفة اليد في مثل

قوله تعالى (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) أَي إِذَا وَرَدَ ذِكْرُ الْيَدِ بِالْإِفْرَادِ ، حَرَّفُوا وَ فَسَّرُوا بِالْقُدْرَةِ أَحْيَانًا وَ بِالْقُوَّةِ أَحْيَانًا وَ لَكِنْ لَمَّا جَاءَتْ صِفَةُ الْيَدِ بِصِغَةِ الْمُثَنَّى (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ) بُهْتُوا. فَلَمْ يَسْتَطِعُوا التَّأْوِيلَ ، لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ أَحَدٌ لَا مِنْ السَّلَفِ وَ لَا مِنْ الْخَلَفِ بِأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- أَوْ بِأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ. بِأَنَّ اللَّهَ قُدْرَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ. بَلْ الْكُلُّ يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ بَاهِرَةٌ وَ لَمَّا سُمِّيَتِ الْيَدُ قَضَى ذَلِكَ عَلَى تَأْوِيلِ الْأَشَاعِرَةِ فَاسْكَنَتْهُمْ ، فَلْيَكُنْ هَذَا مَعْلُومًا عِنْدَمَا يُنَاقِشُونَكَ فِي الْيَدِ بِتَأْوِيلِهِمْ بِالْقُوَّةِ أَوْ بِالْقُدْرَةِ ، تَسْتَدِلُّ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ لَأَنَّهُمْ يُوَافِقُونَ أَهْلَ السَّنَةِ وَ الْجَمَاعَةَ بِأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ وَاحِدَةٌ بِهَذَا يَنْقَطِعُونَ .

(ووصف بعض خلقه ببسط اليد) بِبَسْطِ الْيَدَيْنِ (في قوله تعالى : {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} ، وليس اليد كاليد،) اللَّهُ يَدٌ تَلِيْقُ بِهِ لَيْسَتْ هِيَ الْقُدْرَةُ وَ لَيْسَتْ هِيَ الْقُوَّةُ وَ لَيْسَتْ هِيَ النِّعْمَةُ وَ لَكِنْ صِفَةُ مُسْتَقْلِلَةٍ غَيْرِ الْقُدْرَةِ ، وَ نِعْمَ اللَّهُ تَعَالَى لَا تُعَدُّ وَ لَا تُحْصَى وَ قُوَّةُ اللَّهِ قُوَّةٌ بَاهِرَةٌ وَاحِدَةٌ وَ قُدْرَةُ اللَّهِ كَذَلِكَ ، إِذَا اللَّهُ يَدٌ تَلِيْقُ بِهِ لَا كَأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ ، (ولا البسط كالבسط) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام (وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالْبَسْطِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ فَلَيْسَ إِعْطَاءُ اللَّهِ تَعَالَى كإِعْطَاءِ خَلْقِهِ) وَ لَا نِسْبَةَ يَيْنَ إِعْطَاءِ الْخَالِقِ وَ إِعْطَاءِ الْمَخْلُوقِ (ولا جوده كجودهم. ونظائر هذا كثيرة) جِدًّا ، نَعَمْ .

القارئ : قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى (فلا بد من إثبات ما أثبتته الله لنفسه، ونفي مماثلته لخلقه، فمن قال: ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام، ولا يحب ولا يرضى، ولا نادى ولا ناجى، ولا استوى - كان معطلا، جاحدا، ممثلا لله بالمعدومات والجمادات. ومن قال له علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحي، أو رضا كرضائي، أو يدان كيدي، أو استواء كاستوائي - كان مشبها، ممثلا لله بالحيوانات، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل ، ويتبين هذا بأصلين شريفيين، ومثلين مضروبين - والله المثل الأعلى - ، وبخاتمة جامعة.)

الشيخ : قَالَ شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- تَلَخِيصًا لِمَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهُ فَلَا بَدَّ إِذَا مِنْ
إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ , إِذْ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِتَصْدِيقِ خَبَرِ اللَّهِ وَ لَا يَصِفُ اللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ
اللَّهِ , إِذَا لَا بَدَّ مِنْ إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- بِدُونِ أَنْ تُحَاوَلَ الْكَيْفِيَّةُ وَ
الْحَقِيقَةُ وَ الْكُنْهَ. الْإِثْبَاتُ فَقَطْ , لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرَعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ , إِيْمَانُنَا
بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى إِيْمَانُ إِثْبَاتٍ وَ كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِيْمَانُنَا بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى إِيْمَانًا إِثْبَاتِيًّا لَا
تَكْثِيفَ , لَا بَدَّ مِنْ إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَ نَفْيِ مُمَائِلَتِهِ لِحَلْقِهِ , لِذَلِكَ قَالَ (فَمَنْ قَالَ:
ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام، ولا يجب ولا يرضى، ولا نادى ولا ناجى، ولا
استوى) الصِّفَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا , (كَانَ مُعْطَلًا، جَاهِدًا، مُمَثِّلًا لِلَّهِ بِالْمَعْدُومَاتِ
وَالْجُمَادَاتِ). فِي هَذَا تَشْتَرِكُ الْإِشَاعِرَةُ وَ الْمُعْتَزِلَةُ. "لَيْسَ لِلَّهِ عِلْمٌ" هَذِهِ عَقِيدَةُ الْمُعْتَزِلَةِ , "وَلَا
قُوَّةُ وَ لَا رَحْمَةٌ" "لَيْسَ لِلَّهِ عِلْمٌ وَ لَا قُوَّةُ" إِلَى هُنَا عَقِيدَةُ الْمُعْتَزِلَةِ , "وَ لَا رَحْمَةٌ" إِشْتَرَكَتْ
الْأَشَاعِرَةُ مَعَ الْمُعْتَزِلَةِ فِي نَفْيِ صِفَةِ الرَّحْمَةِ ! يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! الْإِنْسَانُ الضَّعِيفُ يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ
أَنْ يَرْحَمَهُ يَقُولُ "اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي" ثُمَّ يَقُولُ لَيْسَ لِلَّهِ رَحْمَةٌ ! كَيْفَ تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَرْحَمَكَ وَ أَنْتَ
تَصِفُهُ بِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِالرَّحْمَةِ¹. لِأَنَّ إِثْبَاتَ الْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ إِثْبَاتٌ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ فَإِثْبَاتُ ذَلِكَ
يُؤَدِّي إِلَى تَشْبِيهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ وَ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ وَ كُلُّ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْمُسْتَحِيلِ فَهُوَ مُسْتَحِيلٌ. إِذَا
الْكَلَامُ اللَّفْظِيُّ مُسْتَحِيلٌ ! , هَكَذَا يُقَرَّرُونَ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ الْبَاطِلَةَ , وَ هُمْ نَسَوُا أَوْ تَنَاسَوُا أَنَّ
بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ ثَبَتَ بِالشَّرْعِ بِكَلَامِ اللَّهِ وَ بِكَلَامِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ.
لَيْسَ لَهَا مَخَارِجُ الْحُرُوفِ , اللَّهُ قَادِرٌ أَنْ يُنْطِقَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ بِلَا. بِدُونِ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَخَارِجُ
الْحُرُوفِ (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَ تَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أَيْنَ
مَخَارِجُ الْحُرُوفِ لِأَرْجُلِ النَّاسِ وَ لِأَيْدِيِ النَّاسِ ؟ وَ أَيْنَ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ لِلْحَصَى وَ الطَّعَامِ عِنْدَمَا
سَبَّحَ ؟ أَيْنَ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ لِلْحَجَرِ الَّذِي كَانَ يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِمَكَّةَ ؟

¹ (كَأَنَّهُ انْقِطَاعٌ بِالصَّوْتِ)

جَمَادَات تَتَكَلَّم وَ يُسْمَعُ كَلَامُهَا وَ لَيْسَ لَهَا مَخَارِجُ الْحُرُوفِ , الَّذِي هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْطِقَ
بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ بِدُونِ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ. هَلْ هُوَ عَاجِزٌ بِأَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُكَلِّمَ وَ يُنَادِيَ
وَ لَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مَخَارِجَ الْحُرُوفِ ؟, هَذَا الَّذِي فَاتَهُمْ , الَّذِي جَعَلَهُمْ لَمْ يَنْتَبِهُوا لِهَذَا لِأَنَّهُمْ
مُقَلَّدَةٌ فِي عَقِيدَتِهِمْ , كُلُّ يُقَلَّدُ مَنْ قَبْلَهُ وَ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ نُصُوصِ الصِّفَاتِ إِلَّا مَا يَلِيقُ
بِالْمَخْلُوقِ , هَذَا مَا صَرَّحَ بِهِ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ وَالِدُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ الْجَوْنِيِّ الْأَبِ بَعْدَ مَا رَجَعَ أَعْلَنَ
بِأَنَّ شُيُوحَ الْأَشَاعِرَةِ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ نُصُوصِ الصِّفَاتِ إِلَّا مَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ , هَذَا الَّذِي وَقَفَ
أَمَامَهُمْ أَوْ بَيْنَهُمْ أَوْ بَيْنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ , فَهَدَاهُ اللَّهُ فَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ وَ كَتَبَ نَصِيحَةً إِلَى
شُيُوحِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى .

الدرس رقم : 08

الشيخ : الحمد لله رب العالمين و الصلّاة و السلام على أشرف المرسلين و خاتم النبيين
نبيّنا محمد و على آله و صحبه أجمعين , المناقشة هنا مع نفّاة الأسماء و الصفات معاً , إنّ
كَانَ الْمُخَاطَبُ مِنَ الْعُلَاةِ نُفَاةِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ قَالَ (وقال: لا أقول هو موجود ولا حي
ولا عليم ولا قدير، بل هذه الأسماء لمخلوقاته، أو هي مجاز) إذ هي مجاز هذه النسخة أصح.
نُسَخَتَانِ. بَدَل "أَوْ" "إِذْ" أَصَحَّ (إِذْ هِيَ مَجَاز) أَي لَأَنَّهَا مَجَازٌ , هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لِمَخْلُوقَاتِهِ , إِذْ
هِيَ مَجَازٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى , يَعْتَبِرُونَ الْأَسْمَاءَ وَ الصِّفَاتِ حَقِيقَةً فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ وَ مَجَازًا فِي
حَقِّ اللَّهِ ! , لَأَنَّ إِبْتِاثَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي زَعْمِهِمْ (يستلزم التشبيه بالموجود الحي العليم
القدير) لَأَنَّ الْمَخْلُوقَ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ , (قيل له: وكذلك إذا قلت:
ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير، كان ذلك تشبيها بالمعدومات، وذلك أقبح من
التشبيه بالموجودات.) هَكَذَا يَصِلُ الْمَخْلُوقُ إِذَا أَعْرَضَ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَ السَّنَةُ أَوْ عَمَّا
جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ بِالْجُمْلَةِ وَ اعْتَمَدَ عَلَى عَقْلِهِ يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ,
يَرَى بِأَنَّ وَصَفَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ فِيهِ تَشْبِيهُ بِالْمَخْلُوقاتِ فَيَقْعُ فِي تَشْبِيهِ اللَّهِ
تَعَالَى بِالْمَعْدُومَاتِ , يَنْفِي عَنْهُ الْوُجُودَ وَ الْحَيَاةَ وَ الْعِلْمَ وَ الْقُدْرَةَ حَتَّى يَشَبَّهُهُ بِالْمَعْدُومَاتِ .

(فإن قال: أنا أنفي النفي والإثبات.) لا أثبت و لا أنفي و طبعاً هذا كلام غير معقول ,
(قيل له: فيلزمك في هذه الحالة التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات) التَّقْيِضَانُ لَا
يَجْتَمِعَانِ وَ لَا يَرْتَفِعَانِ , بَلْ لَا بَدَّ مِنْ ارْتِفَاعِ أَحَدِهِمَا مَعَ بَقَاءِ الْآخَرِ (فإنه يمتنع أن يكون
الشيء موجوداً معدوماً) بَلْ عَقْلًا إِمَّا يَكُونُ مَوْجُودًا وَ إِمَّا يَكُونُ مَعْدُومًا (أو لا موجوداً ولا
معدوماً) وَ لَا مَعْنَى لِهَذَا إِمَّا هُوَ هَذَيَانِ , (و يمتنع أن يوصف الشيء باجتماع الوجود والعدم،
والحياة والموت، والعلم والجهل، أو يوصف بنفي الوجود والعدم) مَعًا يَرْفَعُهُمَا (ونفي الحياة
والموت، ونفي العلم والجهل.) هَذِهِ مِنَ الْمَمْتَنَعَاتِ عَقْلًا , إِعْتَرَضَ فَإِنْ قَالَ (إنما يمتنع نفي
النقيضين عما يكون قابلاً لهما) قَابِلًا لِلنَّقِيضَيْنِ (وهذان يتقابلان تقابل العدم والملئكة) الْعَدَمُ

و الملكة أمران أحدهما وجودي و الآخر عَدَمي بالنسبة لِمَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَقْبَلَ الإِصْطَافَ بِالْأَمْرِ
الْوَجُودِي كَالْبَصَرِ وَ السَّمْعِ , وَ الْأَمْرِ الْعَدَمِي كَالْعَمَى وَ الصَّمَمِ , فِي مِثْلِ هَذَا التَّقَابُلِ يُقَالُ
"تَقَابُلِ الْعَدَمِ وَ الْمَلَكَةِ" , إِنَّمَا هُوَ اصْطِلَاحٌ , (لا تقابل السلب والإيجاب) أي ليس هنا
السلب و الإيجاب و هذه أيضاً مُعَالِطَةٌ وَ عِلَلٌ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ (فإن الجدار لا يقال له: أعمى
ولا بصير، ولا حي ولا ميت، إذ ليس بقابل لهما.) فِي زَعْمِهِ بِأَنَّ الْجَمَادَاتِ لَا تُوصَفُ لَا
بِالْمَوْتِ وَ لَا بِالْحَيَاةِ , الْمَتَقَابِلَاتُ فِي الْعَالِبِ كُلِّهَا مِنْ بَابِ السَّلْبِ وَ الْإِجَابِ , الْمَتَقَابِلَاتُ
كَالآتِي. أَكْتُبُ الْبَيِّنَاتِ : "الْمُمَكِّنَاتُ الْمَتَقَابِلَاتُ وَ الْوُجُودُ نَا وَ الْعَدَمُ الصِّفَاتُ" , الْبَيِّنَاتُ الثَّانِي :
"أَزْمَنَةُ أَمَكِنَةٍ جِهَاتٍ كَذَا الْمُقَادِيرُ رَوَى الثَّقَاتُ" .

هَذِهِ هِيَ الْمَتَقَابِلَاتُ عَقْلًا. الْوُجُودُ وَ الْعَدَمُ تَقَابُلُهُمَا تَقَابُلُ السَّلْبِ وَ الْإِجَابِ أَيْ لَا
يَجْتَمِعَانِ , الصِّفَاتُ : الْعِلْمُ وَ الْحَيَاةُ تَقَابُلُ السَّلْبِ وَ الْإِجَابِ , الْأَزْمَنَةُ : لَيْلٌ وَ نَهَارٌ ,
شِتَاءٌ وَ صَيْفٌ , أَمَكِنَةٌ : جَبَلٌ وَ سَهْلٌ , جِهَاتٌ : فَوْقُ وَ تَحْتُ , الْمُقَادِيرُ : الْقَلِيلُ وَ الْكَثِيرُ وَ
الصَّغِيرُ وَ الْكَبِيرُ أَوْ , أَوْ الْعَادَاتُ ¹ , كُلُّهَا تَقَابُلُهَا تَقَابُلُ السَّلْبِ وَ الْإِجَابِ أَيْ مِنْ
النَّضِيضَيْنِ , وَ مَا ذَكَرَ مِنَ الْجَهْلِ وَ الْعِلْمِ وَ الْمَوْتِ وَ الْحَيَاةِ لَا يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْإِصْطِلَاحِ , وَ
ذَلِكَ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ فَيَلْزَمُ مِنْ رَفَعِ أَحَدِهِمَا ثُبُوتُ الْآخَرِ , (وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُهُ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ،
وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، فَهَذَا اصْطِلَاحٌ اصْطَلَحَتْ عَلَيْهِ الْمُتَفَلِّسَةُ الْمَشَاءُونَ) الْفَلَسَفَةُ وَ عُلَمَاءُ
الْكَلَامِ كَعَرِيهِمْ قَدْ يَخْتَلِفُونَ فِي اصْطِلَاحَاتِهِمْ , الْمُتَفَلِّسَةُ الْمَشَاءُونَ أَتْبَاعُ أُرسطو , قِيلَ لَهُمْ
مَشَاوُونَ لِأَنَّ أَسْتَاذَهُمْ كَانَ مِنْ فَلَاسَفَتِهِ يَرَى عِنْدَمَا يُلْقِي الدَّرْسَ أَنَّهُ يَتَمَشَّى فِي دَاخِلِ الْحَدِيقَةِ
وَ تَلَامِيذُهُ يَمْشُونَ حَوْلَهُ فَيَتَلَقَّوْنَ الْمَحَاضِرَاتِ وَ الْعُلُومَ مَشْيًا عَلَى الْأَقْدَامِ فَقِيلَ لَهُمْ مَشَاوُونَ ,
(وَالاصْطِلَاحَاتُ اللَّفْظِيَّةُ لَيْسَتْ دَلِيلًا عَلَى نَفْيِ الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ) الْحَقَائِقُ الْعَقْلِيَّةُ إِنَّ هَذِهِ
كُلُّهَا مِنْ الْمَتَقَابِلَاتِ بِالسَّلْبِ وَ الْإِجَابِ , وَ الْجَمَادَاتُ تُوصَفُ بِالْعِلْمِ وَ تُوصَفُ بِالْحَيَاةِ وَ
الْمَوْتِ (وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} بِمَا فِي

¹ (رَبَّمَا الشَّيْخُ يَقْصِدُ هُنَا: "أَوْ الْأَعْدَادُ")

ذَلِكُمُ الْأَصْنَامُ (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) وَصَفَ الْجَمَادَاتِ بِأَنَّهَا أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ (وَمَا يَشْعُرُونَ أَتَيَانَ يُبْعَثُونَ) إِذَا لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُعْبَدُوا , (فسمى الجماد ميتاً) هَذَا مَحَلُّ الشَّاهِدِ مِنَ الْآيَةِ (وهذا مشهور في لغة العرب وغيرهم). يَأْتِي لِهَذَا تَفْصِيلٌ مُفَصَّلٌ فِي كَلَامِ الشَّيْخِ مَعَ ذِكْرِ الشُّوَاهِدِ مِنَ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

(الوجه الثاني) فِي الْمِنَاقِشَةِ (وقيل لك، ثانياً: فما لا يقبل الاتِّصاف بالحياة والموت والعمى والبصر) يَعْنِي تَنْزِلًا عَلَى رَغْبَتِكَ (ونحو ذلك من المتقابلات) الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا (أَنْقَضُ مَا يَقْبَلُ ذَلِكَ) مَثَلًا (الأعمى الذي يقبل الاتِّصاف بالبصر أكمل من الجماد الذي لا يقبل واحداً منهما). أَيْ لَا سَمْعَ. أَيْ لَا الْبَصَرَ (فأنت فررت) بِدَعْوَى التَّنْزِيهِ مِنَ تَشْبِيهِ اللَّهِ تَعَالَى (بالحيوانات القابلة لصفات الكمال) وَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ أَيْضًا نَقْصًا وَ غَيْرَ لَائِقٍ بِاللَّهِ. لَكِنْ فَرَرْتَ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ (ووصفته بصفات الجمادات) أَكْثَرُ كُفْرًا وَ أَكْثَرُ امْتِنَاعًا عَقْلًا (التي لا تقبل ذلك). الَّذِي أَوْقَعَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ فِي زَعْمِهِمُ التَّنْزِيهِ وَ لَا يَتِمُّ التَّنْزِيهِ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ أَيْ مُشَارَكَةٌ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ , بَدَّؤُوا بِنَفْيِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا الْخَالِقُ وَ الْمَخْلُوقُ إِشْتِرَاكًا عَمَّا فِي الْمَعْنَى الْعَامِ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى تَشْبِيهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بِالْجَمَادَاتِ , وَ أَيْضًا , نَعَمْ .

الشَّيْخُ : السَّلْبُ وَ الْإِيجَابُ نَقِيضَانِ مَعْنَى , كِلَاهُمَا. عَدَمِيًّا , نَعَمْ , أَحَدُهُمَا وُجُودِي وَ الْآخَرُ عَدَمِي , نَعَمْ .

الْقَارِئُ : قَالَ (وأيضاً فما لا يقبل الوجود والعدم أعظم امتناعاً من القابل للوجود والعدم، بل ومن اجتماع الوجود والعدم، وفيهما جميعاً، فما نفيت عنه قَبُولُ الوجود والعدم كان أعظم امتناعاً مما نفيت عنه الوجود والعدم. وإذا كان هذا ممتنعاً في صرائح العقول فذلك أعظم امتناعاً، فجعلت الوجود الواجب الذي لا يقبل العدم هو أعظم الممتنعات. وهذا غاية التناقض والفساد , وهؤلاء الباطنية منهم من يصرح برفع النقيضين: الوجود

والعدم. وَرَفَعُهُمَا كَجَمْعِهِمَا. ومنهم من يقول: لا أثبت واحدًا منهما، وامتناعه عن إثبات أحدهما في نفس الأمر لا يمنع تحقق واحد منهما في نفس الأمر، وإنما هو كجهل الجاهل، وسكوت الساكت، الذي لا يعبر عن الحقائق .)

الشيخ : بَسْ بَسْ , و أَيْضًا مِنْ وُجُودِ الْمُنَاقَشَةِ (فما لا يقبل الوجود والعدم) مَعَا (أعظم امتناعًا) فِي الْعَقْلِ (من القابل للوجود والعدم , بل ومن اجتماع الوجود والعدم، ونفيهما جميعًا، فما نفيت عنه قَبُولُ الوجود والعدم كان أعظم امتناعًا) عَقْلًا أَيْ إِمْتِنَاعُ وُجُودِهِ (مما نفيت عنه الوجود والعدم). فِي الصُّورَةِ الْأُولَى الْقَبُولِيَّةِ , نَفْيُ الْقَبُولِ أَعْظَمُ إِمْتِنَاعًا مِنْ نَفْيِ الْوُجُودِ (وإذا كان هذا ممتنعًا) نَفْيُ الْقَبُولِ وَ نَفْيُ الْوُجُودِ مَعًا , إِذَا كَانَ هَذَا مُتَمِنَعًا (في صرائح العقول) لِأَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ كَمَا تَقَدَّمَ لَا يَكَادُ يُخَالِفُ النَّقْلَ الصَّحِيحَ , وَ النَّقْلُ الصَّحِيحُ أَثَبَتَ اللَّهُ -سبحانه وتعالى- صِفَاتِ الْكَمَالِ مَعَ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْمِشَارَكَةِ فِي الْمَطْلَقِ الْعَامِ (فذلك أعظم امتناعًا فَجَعَلَتِ الْوُجُودَ الْوَاجِبَ وَ هُوَ اللَّهُ) الْوُجُودَ الْوَاجِبَ هُوَ اللَّهُ , اللَّهُ يُقَالُ لَهُ الْوَاجِبُ وَ يُقَالُ لَهُ وَاجِبُ الْوُجُودِ (الذي لا يقبل العدم) هَذَا تَفْسِيرٌ لَوَاجِبِ الْوُجُودِ , وَاجِبُ الْوُجُودِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ وَ لَمْ يُسَبِّقْ بَعْدَمَ , جَعَلَتْهُ (هو أعظم الممتنعات , وهذا غاية التناقض والفساد).

(وهؤلاء الباطنية) الَّذِينَ سَلَكَوا هَذَا الْمَسْلَكَ هُمْ مَذَاهِبُ وَ قَدْ يَكُونُ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ إِخْتِلَافًا لَفْظِيًّا (منهم من يصرح برفع النقيضين:) أَيْ لَا وُجُودَ وَ لَا عَدَمَ , هَذَا رَفْعُ النَّقِیْضَیْنِ , وَ النَّقِیْضَانِ لَا يَرْتَفِعَانِ , إِمَّا الْوُجُودَ وَ إِمَّا الْعَدَمَ وَ رَفَعُهُمَا. رَفْعُ النَّقِیْضَیْنِ (كجمعهما). الْجَمْعُ بَيْنَ الْوُجُودِ وَ الْعَدَمِ وَصِفُ الشَّيْءِ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَ مَعْدُومٌ مُسْتَحِيلٌ , وَ رَفَعُهُمَا أَيْضًا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَ لَا مَعْدُومٌ مُسْتَحِيلٌ , (ومنهم من يقول: لا أثبت واحدًا منهما) أَيْ يَتَوَقَّفُ. لَا يُصَرِّحُ بِرَفْعِهِمَا وَ لَا بِجَمْعِهِمَا وَ لَكِنَّهُ يَتَوَقَّفُ , (وامتناعه عن إثبات أحدهما في نفس الأمر) أَيْ تَوَقُّفُهُ فِي ذَلِكَ (لا يمنع تحقق واحد منهما في نفس الأمر) إِمَّا امْتِنَاعُهُ مَثَلِ أَوْ شَبَهَ الشَّيْخِ هَذَا بِقَوْلِهِ (وإنما هو كجهل الجاهل , وسكوت الساكت) لَوْ زَعَمَ أَحَدُهُمْ , أَوْ

لَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ يَجْهَلُ وُجُودَ بَلَدٍ مُعَيَّنٍ أَوْ كِتَابٍ مُعَيَّنٍ أَيْ لَا يَعْلَمُ وُجُودَ الإسْكَندَرِيَّةِ مَثَلًا ، لَا يَنْفِي ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَدَ مَوْجُودٌ وَإِنَّمَا عِلْمُهُ ، عَدَمُ عِلْمِكَ لِلْمَعْلُومِ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ وُجُودِ ذَلِكَ الْمَعْلُومِ وَإِنَّمَا نَفَيْتَ هُنَا عِلْمَكَ وَ لَمْ تَنْفِي ذَلِكَ الشَّيْءَ الْمَعْلُومَ ، كَذَلِكَ إِذَا تَوَقَّفْتَ لَا أَنْفِي وَ لَا أَثْبِتُ ، إِنَّمَا نَفَيْتَ عِلْمَكَ فَقَطْ وَ لَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى عَدَمِ تَحَقُّقِ وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَذَلِكَ لَوْ تَبَايَحَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ وَ اخْتَلَفُوا فِي الْقِبْلَةِ مَثَلًا ، أَحَدُهُمَا أَشَارَ إِلَى الْيَمِينِ وَ الْآخَرُ إِلَى الْيَسَارِ وَ سَكَتَ الثَّالِثُ ، سُكُوتُ الثَّالِثِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا رَأْيَ لَهُ وَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَنْ إِبْدَاءِ رَأْيِهِ ، كَمَا أَنَّ سُكُوتَ السَّاكِتِ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الرَّأْيِ ، وَ جَهْلُ الْجَاهِلِ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ وُجُودِ ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي جَهِلَهُ ، كَذَلِكَ إِذَا تَوَقَّفَ هَؤُلَاءِ عَنِ الْإِثْبَاتِ وَ عَنِ النَّفْيِ وَ الْإِثْبَاتِ مَعًا لَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى عَدَمِ وُجُودِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ مَرَّةً أُخْرَى (وامتناعه عن إثبات أحدهما في نفس الأمر لا يمنع تحقق واحد منهما في نفس الأمر) لَوْ حُذِفَ كَلِمَةُ "فِي نَفْسِ الْأَمْرِ" فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى يَكُونُ أَوْضَحُ ، فَيَكُونُ هَكَذَا (وامتناعه عن إثبات أحدهما لا يمنع تحقق واحد منهما في نفس الأمر) أَيْ فِي الْحَقِيقَةِ وَ الْوَاقِعِ (وَإِنَّمَا هُوَ كَجَهْلِ الْجَاهِلِ) كَمَا مَثَلْنَا (وسكوت الساکت، الذي لا يعبر عن الحقائق). وَ إِنَّمَا يُعْبَرُ عَنْ جَهِلِهِ أَوْ عَدَمِ إِبْدَاءِ رَأْيِهِ فِي الصُّورَتَيْنِ ، فِي صُورَةِ الْجَهْلِ وَ فِي صُورَةِ السُّكُوتِ .

القارئ : (وإذا كان ما لا يقبل الوجود ولا العدم امتناعًا مما يُقدَّر قبوله لهما - مع نفيهما عنه - فما يُقدَّر لا يقبل الحياة ولا الموت، ولا العلم ولا الجهل، ولا القدرة ولا العجز، ولا الكلام ولا الخرس، ولا العمى ولا البصر، ولا السمع ولا الصمم، أقرب إلى المعدوم والممتنع مما يُقدَّر قابلاً لهما مع نفيهما عنه. وحينئذ فنفيهما مع كونه قابلاً لهما أقرب إلى الوجود والممكن، وما جاز لواجب الوجود قابلاً ، وجب له، لعدم توقف صفاته على غيره، فإذا جاز القبول وجب، وإذا جاز وجود المقبول وجب ، وقد بُسِطَ هذا في موضع آخر وبَيِّنَ وجوب اتصافه بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه).

الشيخ : لفظه "قابل" بين شرطتين , و ما جاز لواجب الوجود قابلاً , قابلاً تكون بين الشرطتين , (وإذا كان ما لا يقبل الوجود ولا العدم أعظم امتناعاً) كما تقدم (مما يُقدَّر قبوله لهما) قبوله للوجود و العدم (-مع نفيهما عنه -) يعني فعلاً معدوم لكن قابل (فما يُقدَّر لا يقبل الحياة ولا الموت , ولا العلم ولا الجهل، ولا القدرة ولا العجز، ولا الكلام ولا الحرّس، ولا العمى ولا البصر، ولا السمع ولا الصمم ، أقرب إلى المعدوم والممتنع مما يُقدَّر قابلاً لهما مع نفيهما عنه.) مجرّد التقدير (وحيث فنقيهما) الوجود و العدم مثلاً (مع كونه قابلاً لهما) ليس مُتَبَعاً عليه (أقرب إلى الوجود والممكن) ممّا لا يقبل ذلك , (وما جاز لواجب الوجود) و هو الله - سبحانه و تعالى - (قابلاً) بين شرطتين (وما جاز لواجب الوجود -قابلاً-) لا وجوداً بل قابلاً , يعني في اصطلاحهم (وجب له) فإذا قُدِّرَ جَوَّازُ ذَلِكَ لِوَاجِبِ الْوُجُودِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَاجِباً لَا جَائِزاً لِأَنَّ اللَّهَ فِي ذَاتِهِ وَاجِبُ الْوُجُودِ وَ مَا يَثْبُتُ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَاجِبُ الْوُجُودِ , كَمَا أَنَّ اللَّهَ وَاجِبُ الْوُجُودِ. سَمِعُهُ وَاجِبُ الْوُجُودِ وَ بَصَرُهُ وَاجِبُ الْوُجُودِ وَ عِلْمُهُ وَاجِبُ الْوُجُودِ , إِذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَاجِباً طَالَمَا وَاقِفْتُمْ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مَقْبُولٌ , وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُوداً فِي زَعْمِكُمْ , (وما جاز لواجب الوجود قابلاً، وجب له) لِمَاذَا ؟ (لعدم توقف صفاته على غيره) هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَاجِبِ وَ بَيْنَ الْمُمْكِنِ , الْمُمْكِنِ مَا يَتَوَقَّفُ وَجُودُهُ عَلَى غَيْرِهِ , مَا يَتَوَقَّفُ وَجُودُهُ عَلَى غَيْرِهِ يُقَالُ لَهُ جَائِزٌ وَ يُقَالُ لَهُ مُمَكِّنٌ , مَا لَا يَتَوَقَّفُ وَجُودُهُ عَلَى غَيْرِهِ فَهُوَ الْوَاجِبُ وَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ , (فإذا جاز القبول وجب) بِمَجَرَّدِ إِعْتِرَافِكُمْ جَوَّازَ الْقَبُولِ فِي الْوَاقِعِ وَاجِبٌ , إثبات وجود الله واجب و إثبات العلم واجب , معنى الوجوب هنا الواجب الذي لا يتوقف وجوده على غيره و الذي لم يسبق بعدم , هَذَا مَعْنَى الْوَاجِبِ هُنَا , وَاجِبٌ وَ جَائِزٌ , هَذَا اصطلاح غير الوجوب و الجواز عند الفقهاء أو عند غيرهم , وَاجِبُ الْوُجُودِ الَّذِي لَمْ يُسْبَقْ بِعَدَمٍ وَ لَا يَتَوَقَّفُ وَجُودُهُ عَلَى غَيْرِهِ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ , يُقَالُ لَهُ وَاجِبٌ وَ يُقَالُ لَهُ وَاجِبُ الْوُجُودِ وَ مَا عَدَا رَبَّ الْعَالَمِينَ يُقَالُ لَهُ مُمَكِّنٌ وَ يُقَالُ لَهُ جَائِزٌ , وَ مَعْنَى الْمُمْكِنِ الَّذِي يُمَكِّنُ وَ عَدَمُهُ , وَ

مَعْنَى الْجَائِزِ الَّذِي يَتَوَقَّفُ وُجُودُهُ وَ عَدَمُهُ عَلَى غَيْرِهِ , إِذَا جَائِزٌ وَ مُمَكِّنٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ , فَإِذَا جَازَ الْقَبُولُ أَيَّ أَثْنَاءِ الْمَنَاطَرَةِ وَافَقْتُمْ عَلَى الْقَبُولِ وَجِبَ , لِمَاذَا وَجِبَ ؟ لِمَا تَقَدَّمَ , لِأَنَّهُ لَا يَتَوَقَّفُ وُجُودُهُ عَلَى غَيْرِهِ وَ مَا لَا يَتَوَقَّفُ وُجُودُهُ عَلَى غَيْرِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ , (فَإِذَا جَازَ وُجُودُ الْقَبُولِ) إِذَا جَازَ وُجُودُ الْقَبُولِ وَجِبَ , كُلَّمَا تَوَافَقُوا عَلَى إِحْتِمَالِ الْقَبُولِ وَ عَلَى أَنَّهُ يَقْبَلُ الْوُجُودَ , فَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ تَنْطَبِقُ , أَيُّ لَا يَتَوَقَّفُ وُجُودُهُ عَلَى غَيْرِهِ , طَالَمَا وَافَقْتُمْ عَلَى الْقَبُولِ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ , هَذَا اصطلاحُ الْقَوْمِ , نَعَمْ , يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ (وقد بُسِطَ هذا في موضع آخر وبين وجوب اتصافه سبحانه و تعالى بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه). أَحَالَ الْمُحَقِّقُ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ مَرَاجِعٍ مِنْ كُتُبِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مِنْ ذَلِكَ بِمَجْمُوعِ الرِّسَائِلِ وَ الْمَسَائِلِ مَطْبَعَةُ الْمَنَارِ بِمِصْرَ الطَّبَعَةُ الْأُولَى , إِنْ كَانَ هَذَا الْكِتَابُ مَوْجُودٌ لَدَيْكُمْ فِي إِمكَانِكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا لِتَقْفُوا عَلَى الْبَسْطِ هُنَاكَ .

الدرس رقم : 09

الشيخ : (الوجه الثالث) في المناقشة (وقيل له أيضاً) لهذا الباطني المتفلسف (اتفاق المسمين في بعض الأسماء والصفات ليس هو التشبيه والتمثيل، الذي نفته الأدلة السمعية والعقلية) التشبيه و التمثيل الذي نفته الأدلة السمعية فوافقت الأدلة العقلية ليس هو مجرد الاتفاق ، ليس مجرد الاتفاق بين المسمين في بعض الأسماء و في بعض الصفات و هذا الموضوع قد بحث و إنما نفت الأدلة السمعية فوافقت الأدلة العقلية (ما يستلزم اشتراكهما فيما يختص به الخالق سبحانه مما يختص بوجوبه أو جوازه أو امتناعه) متى يأتي هذا الاختصاص بعد الإضافة ، أما الاسم المطلق و الوصف المطلق هذا محل الاشتراك ، المطلق الذي لم يوصف لا إلى الخالق و لا إلى المخلوق كما مثلنا غير مرة بالسمع المطلق و البصر المطلق و العلم المطلق ، أما بعد إضافة سمع الله إلى الله و بصر الله إلى الله و علم الله إلى الله لا اشتراك ، هذا الاشتراك هو الذي نفته الأدلة السمعية و وافقت الأدلة العقلية الصريحة السليمة التي بقيت على صراحته و سلامتها ، إشارة إلى أن العقل الصريح السليم لا يكاد يخالف النقل الصحيح ، إذا كان النقل صحيحاً ، كأن كان كتاباً أو سنة صحيحة و العقل صريح سليم لا يحصل التعارض أبداً ، و قد علمتم أن شيخ الإسلام ألف كتاباً مستقلاً في هذا الموضوع ، يقول (وإنما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما يختص به الخالق سبحانه) و عرفنا كيف يأتي الاختصاص بالإضافة (مما يختص بوجوبه) كاسمائيه و صفاته (أو جوازه أو امتناعه) ما هو الجائز في حق الله تعالى ؟ شيء واحد ؟ الإيجاد و الإعدام ، لا أحد يشارك الله في إيجاد الكون أو في إعدام الكون ، هذا يسمى في اصطلاح أهل الكلام "جائز" أي في حق الله تعالى إما أن تثبت الصفات الواجبة و هي جميع كمالات الله تعالى ، أو تثبت الممتنعات أضداد تلك الكمالات ، أضداد الصفات من الممتنعات ، أضداد الكمالات ممتنع : الشريك ممتنع و الصاحبة ممتنعة و الولد ممتنع و الوزير ممتنع و المعين ممتنع ، هذه ممتنعات ، أما "الجواز" أي ما يفعله الرب سبحانه و تعالى تفضلاً منه و إحساناً و ليس إلزاماً كالمنع و

العطاء و الإيجاد و الإعدام , (فلا يجوز أن يشركه فيه مخلوق) لا يُشارك الله تعالى مخلوق في واجباته و في الجائزات و في الممتنعات لأن هذه الممتنعات التي تُعدّ من كمالات الله تعالى بالنسبة للمخلوق قد تكون هذه الممتنعات من الكمالات : الولد و الصاحبة من الكمالات في المخلوق , لأن الله كَمَلَهُ بِذَلِكَ. الإنسان ضعيف لا يكمل إلا بوجود ما يكمله , الصاحبة تُكَمِّلُهُ و الولد كذلك و الشريك و المعين و هكذا تجد بعض الأشياء التي هي تُعتبر كَمَلاً في المخلوق و لكنها ناقصة و مُتَنِعٌ في الخالق سبحانه و تعالى لِغِنَاهِ , لِغِنَاهِ الْمُطْلَق , لأنه العَيُّ المطلق الذي لا يحتاج إلى شيء و كل شيء يحتاج إليه , فهو غني عن كل شيء سبحانه , (ولا يشركه مخلوق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى). و قد علمنا الخصائص صفات الكمال , فصفاة الله تعالى كلها كمال من خصائصه , متى تُعدّ هذه الصفات و يُطلق عليها أنها صفات الكمال ؟ إذا اختصت به بالإضافة , و قبل اختصاص الصفات بالله تعالى بالإضافة يُعتبر ذلك المطلق الكلي أو المعنى العام أو محل الاشتراك , كما يُنزه الرب - سبحانه و تعالى - أن يشرك المخلوق في خصائص صفات المخلوق , لصفات المخلوق خصائص : الخدوث , صفات المخلوق حادثة كما أن المخلوق حادث , صفات المخلوق ناقصة كما أن المخلوق ناقص , المخلوق لا يملك الإيجاد و الإعدام , المخلوق قد تكون هذه النواقص في حقه كَمَلاً كما قلنا , فالله سبحانه و تعالى مُنزه من أن يُشارك عبده مثلاً في علم العبد أي في خصائص علم العبد , إنتبه! خصائص علم العبد لا تُطلق , الله هو الذي أعطى العلم لعبده , العلم الذي أعطاه علم ناقص (وما أوتى من العلم إلا قليلاً) علم ناقص حادث و زائل , و كما قلنا غير مرة عرضة للنسيان و الجهل و الزوال , لا يُشارك الله سبحانه و تعالى عبده في هذا العلم الموصوف بهذه المواصفات و قس على ذلك سائر الصفات , إذا هنا يحصل عدم المشاركة بين الخالق و المخلوق و استحالة ذلك , أما قبل وجود الاختصاص بالإضافة في صفات الله و في صفات المخلوق هذا محل الاشتراك و أمر لا بد منه كما سيشرح الشيخ في المستقبل إن شاء الله , نعم .

القارئ : قَالَ (وَأَمَّا مَا نَفَيْتَهُ فَهُوَ ثَابِتٌ بِالْشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، وَتَسْمِيَتِكَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا وَتَجْسِيمًا تَمْوِيهِ عَلَى الْجَهَالِ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَعْنَى سَمَاءٍ مَسْمُومٌ بِهَذَا الْاسْمِ يَجِبُ نَفْيُهُ. وَلَوْ سَاغَ هَذَا لَكَانَ كُلُّ مَبْطُلٍ يُسَمَّى الْحَقُّ بِأَسْمَاءٍ يَنْفِرُ عَنْهَا بَعْضُ النَّاسِ، لِيَكْذِبَ النَّاسُ بِالْحَقِّ الْمَعْلُومِ بِالْسَّمْعِ وَالْعَقْلِ، وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَفْسَدَتِ الْمَلَاحِظَةُ عَلَى طَوَائِفٍ مِنَ النَّاسِ عُقُولَهُمْ وَدِينَهُمْ، حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ إِلَى أَعْظَمِ الْكُفْرِ وَالْجَهَالَةِ، وَأَبْلَغِ الْغِي وَالضَّلَالَةِ.)

الشيخ : قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَهُوَ يُنَاقِشُ الْفَلَاسِفَةَ الْبَاطِنِيَّينَ (وَأَمَّا مَا نَفَيْتَهُ فَهُوَ ثَابِتٌ بِالْشَّرْعِ وَالْعَقْلِ) أَيْ بِالْعَقْلِ الصَّرِيحِ السَّلِيمِ ، (وَ تَسْمِيَتِكَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا) كَتَسْمِيَةِ إِثْبَاتِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ (تَشْبِيهًا وَ تَجْسِيمًا تَمْوِيهِ عَلَى الْجَهَالِ) الَّذِينَ لَمْ يَدْرُسُوا مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَ يَتَّبِعُونَ كُلَّ نَاعِقٍ (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَعْنَى سَمَاءٍ مَسْمُومٌ بِهَذَا الْاسْمِ) إِذَا قَالَ الْأَشْعَرِيُّ إِثْبَاتُ الْإِسْتِوَاءِ وَ النَّزُولِ وَ الْمَجِيئِ تَشْبِيهًا أَخَذَ الْجَاهِلُ هَذَا الْاسْمَ وَ هَذَا الْمَعْنَى وَ نَفَى اسْتِوَاءَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّائِقِ بِهِ عَلَى عَرْشِهِ ، وَ نُزُولَهُ اللَّائِقِ بِهِ آخِرَ كُلِّ لَيْلَةٍ ، وَ جَحِيئَةَ اللَّائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ ، لِأَنَّ هَذَا الْمُسَمَّى سَمِيَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا ، إِذَا سَمِيَ الْمُعْتَرِضُ إِثْبَاتُ جَمِيعِ الصِّفَاتِ أَوْ إِثْبَاتُ أَيِّ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ تَشْبِيهًا. إِتَّبَعَهُ النَّاسُ ، وَ قَدْ انْطَلَى هَذَا الْمَذْهَبُ عَلَى رَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالْعَقْلِ وَ الذِّكَاةِ وَ الدِّهَاءِ وَ هُوَ الْمَأْمُونُ الْعَبَّاسِيُّ لَمَّا قَرَأَتْ مِنْهُ الْمُعْتَرِضَةُ فَصَارَتْ بِطَانَتُهُ بِطَانَةُ السُّوءِ هِيَ الَّتِي أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ دِينَهُ وَ عَقِيدَتَهُ وَ اعْتَبَرَ ذَلِكَ دِينًا وَ اعْتَبَرَ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ تَشْبِيهًا وَ تَبَنَّى هَذَا الْمَذْهَبَ وَ آذَى عُلَمَاءَ الْإِسْلَامِ وَ الْإِمَّةَ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتِمَّكِنْ مِنَ الْإِيْدَاءِ الْمَبَاشِرِ حَيْثُ هَلَكَ قَبْلَ أَنْ يُنْقَذَ مَا أَرَادَ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ نُقِّدَ بَعْدَهُ ، نَقَّذَهُ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ وَ الْوَائِقُ بِاللَّهِ ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ رَفَعَ هَذِهِ الْمِحْنَةَ وَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ فِي عَهْدِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ الْخَلِيفَةُ الْعَاشِرُ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، أَرِيدُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ مَا حَصَلَ عَلَى الْإِمَّةِ فِي عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ فِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ وَ الْخَلِيفَتَيْنِ بَعْدَهُ تَلْبِيسٌ مِنَ الْمُعْتَرِضَةِ ، حَيْثُ لَبَّسُوا عَلَى النَّاسِ وَ مَوَّهُوا بِأَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يُؤَدِّي إِلَى تَشْبِيهِ اللَّهِ -تَعَالَى- بِخَلْقِهِ وَ انْطَلَى ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ وَ تَبَنَّوْهَا دِينًا وَ سِيَاسَةً عَذَّبُوا الْمُتَّبِعِينَ مِنْ أَتْبَاعِ السَّلَفِ عَلَى ذَلِكَ ،

لِذَلِكَ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -اللهُ تَعَالَى- (وَ تَسَمِيَتْ ذَلِكَ تَشْبِيهًا وَتَحْسِيمًا تَمُوِيهِ عَلَى الْجَهَالِ) قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ صَاحِبَةً مَكَانَةً وَ مَنْزِلَةً وَ جَاهٌ لَكِنْ يَجْهَلُ حَقِيقَةَ دِينِهِ كَمَا حَصَلَ لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَعْنَى سَمَاءٍ مُسَمًّى) أَيْ مُسَمًّى مَا , سَوَاءٌ كَانَ أَشْعَرِيًّا أَوْ مُعْتَزَلِيًّا أَوْ فِلَسْفِيًّا (بِهَذَا الْاسْمِ يَجِبُ نَفِيهِ. وَلَوْ سَاغَ هَذَا لَكَانَ كُلُّ مُبْطَلٍ يُسَمَّى الْحَقُّ بِأَسْمَاءٍ يَنْفَرُ عَنْهَا بَعْضُ النَّاسِ) كَمَا وَقَعَ بِالْفِعْلِ (لِيُكَذِّبَ النَّاسُ بِالْحَقِّ) وَ فِعْلًا كَذَّبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ , كَذَّبُوا إِثْبَاتَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى , مِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَ لِإِثْبَاتِ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَ مِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ كَمَا تَقَدَّمَ , (المعلوم) ذَلِكَ الْمَعْلُومُ الْحَقُّ الْمَعْلُومُ (بالسمع والعقل) يَذْكُرُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ دَائِمًا مَعَ السَّمْعِ الْعَقْلَ , لِأَنَّهُ تَقَرَّرَ عِنْدَهُ بِالِاسْتِقْرَاءِ أَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ السَّلِيمَ لَا يُخَالِفُ النَّقْلَ الصَّحِيحَ , وَ إِنَّمَا يُكْرِّرُ ذَلِكَ لِأَنَّ خُصُومَهُ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَ الْأَشَاعِرَةِ جَعَلُوا الْعُمْدَةَ فِي هَذَا الْبَابِ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ , حَتَّى الْأَشَاعِرَةُ الصَّغَارُ. دَعِ الْمُعْتَزَلَةَ فِي مَا تَصَرَّفُوا زَعَمُوا بِأَنَّ الْعُمْدَةَ فِي هَذَا الْبَابِ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ لَا الدَّلِيلَ النَّقْلِيَّ عِلْمًا بِأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ أحيانًا عِنْدَ ذِكْرِ بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْكَلَامِ يَذْكُرُونَ الْأَدِلَّةَ النَّقْلِيَّةَ وَ لَكِنَّهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَذْكُرُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِعْتِضَادِ بِهَا لَا مِنْ بَابِ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا , الْإِعْتِمَادُ عَلَى الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ , يَقُولُ لَهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ (لَا اتَّبَعْتُمْ لَا السَّمْعَ وَ لَا الْعَقْلَ وَ لَكِنْ اتَّبَعْتُمْ الْهَوَى وَ التَّقْلِيدَ وَ لَوْ سَلِمَتْ عَقُولُكُمْ لَمَا نَفَيْتُمْ مَا أَثْبَتَ السَّمْعُ) , وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ تَسْمِيَةُ الْحَقِّ تَشْبِيهًا وَ تَحْسِيمًا أَوْ تَسْمِيَةُ إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَسْمَاءِهِ تَشْبِيهًا وَ تَحْسِيمًا وَ بِهَذَا التَّمْوِيهِ أَفْسَدَتِ الْمَلَاحِدَةُ عَلَى طَوَائِفَ مِنَ النَّاسِ (عَقُولُهُمْ وَدِينُهُمْ) يُشِيرُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِهَذَا إِلَى مَا سَيَأْتِي مِنْ تَصَرُّفٍ وَحَدَّةِ الْوُجُودِ وَ هُمْ الْمَلَاحِدَةُ إِذَا أَطْلَقُوا. (أَفْسَدَتِ الْمَلَاحِدَةُ عَلَى طَوَائِفَ مِنَ النَّاسِ عَقُولَهُمْ وَدِينَهُمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ إِلَى أَعْظَمِ الْكُفْرِ وَالْجَهَالَةِ , وَأَبْلَغِ الْغِي وَالضَّلَالَةِ). يَصِفُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ رَئِيسَ وَحَدَّةِ الْوُجُودِ جَاءَ بِكُفْرٍ أَقْبَحَ مِنْ كُفَارِ قُرَيْشَ , بِكُفْرٍ لَمْ يَأْتِ بِهِ كُفَارُ قُرَيْشَ , لِأَنَّ كُفَارَ قُرَيْشٍ يُؤْمِنُونَ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ مَعَ كُفْرِهِمْ بِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ , وَ ابْنُ عَرَبٍ خَرَجَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ وَ جَعَلَ الْكَوْنَ كُلَّهُ شَيْئًا وَاحِدًا , أَيْ نَفَى وُجُودَ اللَّهِ الْحَقِيقِيِّ , نَعَمْ .

القارئ : (وإن قال نفاة الصفات: إثبات العلم والقدرة والإرادة يستلزم تعدد الصفات، وهذا تركيب ممتنع , قيل: وإذا قلتم: هو موجود واجب، وعقل وعاقل ومعقول، وعاشق ومعشوق، ولذيد وملتذ ولذة، أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا؟، فهذه معان متعددة متغايرة في العقل وهذا تركيب عندكم، وأنتم تثبتونه وتسمونه توحيداً , فإن قالوا: هذا توحيد في الحقيقة وليس هذا تركيباً ممتنعاً , قيل لهم: واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس هو تركيباً ممتنعاً.

وذلك أنه من المعلوم بصريح المعقول أنه ليس معنى كون الشيء عالماً هو معنى كونه قادراً، ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالماً قادراً، فمن جَوَّز أن تكون هذه الصفة هي الأخرى، وأن تكون الصفة هي الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة، ثم إنه متناقض، فإنه إن جَوَّز ذلك جاز أن يكون وجود هذا هو وجود هذا، فيكون الوجود واحداً بالعين لا بالتنوع. وحينئذ، فإذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب، كان وجود كل مخلوق - يُعدم بعد وجوده، ويوجد بعد عدمه - هو نفس وجود الحق القديم الدائم الباقي، الذي لا يقبلُ العدم , وإذا قدر هذا، كان الوجود الواجب موصوفاً بكل تشبيه وتحسيم، وكل نقص وكل عيب، كما يصرح بذلك أهل وحدة الوجود، الذين طردوا هذا الأصل الفاسد، وحينئذ فتكون أقوال نفاة الصفات باطلة على كل تقدير.)

الشيخ : بس , مرة أخرى "شبهة التركيب" الذين نفو صفات رب العالمين قالوا إثبات هذه الصفات يؤدّي إلى التركيب كما زعموا أنّ إثبات الوجه و اليدين و القدم و الأصابع يؤدّي¹ ربيعة شيخه و إلى أم سلمة , قال بعض أهل العلم لا يثبت ذلك و إنما المعروف الثابت أنّ ذلك عن الإمام مالك لأن ربيعة و إن كان أدركه شيخه قد يُعدّ من التابعين لأنه أدرك بعض الصحابة كالإمام أبي حنيفة و أم سلمة من باب أولى , و تجدد هذه الفكرة تأثر

¹ (انقطاع بالصوت)

الناس يعلم الكلام و بدء الخوض في هذه المسائل إنما بدء من عصر تابع التابعين لذلك هذا القول مشهور عن الإمام مالك ، الإمام هو الذي سئل (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ سكت الإمام ، فلم يرد برهنة من الزمن ، فأخذ الرخصاء حياء من الله - سبحانه و تعالى - ، حتى استحي الحضور فأطرقوا برؤوسهم جميعاً ثم بعد ذلك قال الإمام: الاستواء معلوم و معقول و كيف مجهول و غير معقول و الإيمان بالاستواء واجب تصديقاً لحبر الله تعالى و السؤال عن كيفية استواء الله تعالى على عرشه بدعة ، بدعة لأمرين: الأمر الأول لأول مرة يحدث في الإسلام مثل هذا السؤال ، لا يعلمه المسلمون الأولون ، أي المسلمون قبل عهد تابع التابعين. أي بعد نشأة علم الكلام و انتشار علم الكلام بين المسلمين قبل ذلك لا يفكرون أبداً في السؤال عن كيفية صفة من صفات الله تعالى لا الاستواء و لا النزول و لا الحيى و لا الكلام و لا السمع و لا البصر ، لا يفرقون كما قلنا بين هذه الصفات كلها ، إيمانهم بهذه الصفات إيمان إثبات ، كما أن إيماننا بالله تعالى إيمان إثبات كذلك إيماننا بصفات الله تعالى و أسمائه إيمان إثبات لا إيمان تكيف ، ثانياً: لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ، هذا السؤال بدعة لأمرين كما قلنا. أولاً لأنه حدث حدث في الإسلام لأول مرة ، ما كان يخطر ببال المسلمين الأولين ، ثانياً: لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ، تكلف ، و لا يمكنهم الإجابة عنه ، من سئل كيف استوى؟ كيف ينزل؟ كيف يأتي؟ كيف سمعه؟ و كيف بصره؟ لا يمكن لأحد أبداً أن يجيب على هذا السؤال ، لذلك توجيه السؤال بكيف إلى ذات الرب سبحانه و إلى أسمائه و صفاته بدعة و تكلف و محاولة ، محاولة الإحاطة بالله تعالى و تلك مستحيلة ، الإحاطة مستحيلة ، و كذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى سماء الدنيا؟ قد يتصور بعض الناس نزولاً كنزولنا يستلزم الحركة ، و يستلزم خلوص المكان و يستلزم أن يكون فوقه شيء بعد نزوله ، هذه كلها لوازم نزول المخلوق ، القاعدة: “لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق” ، ينبغي أن نحفظ هذه القاعدة ، لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق ، لوازم نزولنا معروف ، و لوازم استوائنا معروف ، إذا استوى مخلوق على مخلوق لا يخلوا أن يكون المستوي أكبر من المستوى عليه أو أصغر منه أو

مُسَاوِيًا لَهُ ، الْقِسْمَةُ الثَّلَاثِيَّةُ لَيْسَتْ رُبَاعِيَّةً هَذَا بِالنَّسْبَةِ لِلَوَازِمِ اسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ ، أَمَّا اسْتِوَاءُ الْخَالِقِ لَا تَلْزَمُهُ هَذِهِ اللَّوَازِمُ ، اسْتِوَاءُ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَلْزَمُهُ لَوَازِمُ اسْتِوَائِنَا وَ نُزُولُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنْ لَوَازِمِ نُزُولِنَا وَ سَمْعُهُ وَ بَصَرُهُ وَ كَلَامُهُ كَذَلِكَ ، لَا يُقَالُ إِذَا أَثْبَتْنَا لَهُ الْكَلَامَ يَلْزَمُ أَنْ تُثَبِّتَ لَهُ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ ، هَذَا بِالنَّسْبَةِ لِتَكْلِمِنَا نَحْنُ أَمَّا تَكْلِمُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى حَيْثُ لَا نُدْرِكُ كُنْهَهُ وَ حَقِيقَتَهُ لَا تَجْرِي عَلَيْهِ لَوَازِمُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْكَلَامِ وَ غَيْرِهِ ، ضَبْطُ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ يُرِيحُ طَالِبَ الْعِلْمِ أَوْ يُرِيحُ كُلَّ مُسْلِمٍ ، وَ كَذَلِكَ إِذَا قَالَ كَيْفَ يَنْزِلُ رَبَّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ الَّذِي تَقَرَّرَ عِنْدَهُ مِنْ دِرَاسَتِهِ بِعِلْمِ الْكَلَامِ بِمَا فِي ذَلِكَ دِرَاسَةُ الْعَقِيدَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ أَنَّ الَّذِي يَنْزِلُ أَمْرُ اللَّهِ لَيْسَ هُوَ اللَّهُ أَوْ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ هَذَا لَوْ فَكَّرَ الْإِنْسَانُ بِعَقْلِهِ الْخَرَّ يَرَاهُ أَنَّهُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ لِأَنَّ الْحَدِيثَ نَفْسُهُ الْحَدِيثُ يَنْزِلُ رَبَّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ. هَلْ الَّذِي يَقُولُ (هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ) هُوَ الْأَمْرُ؟! الْأَمْرُ شَيْءٌ مَعْنَوِي ، هَلْ الْأَمْرُ يَتَكَلَّمُ فَيُخَاطَبُ الْعِبَادُ فَيَقُولُ لِلْعِبَادِ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ مِنْكُمْ هَلْ مِنْ دَاعٍ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا ، إِذَا قُلْنَا النَّازِلُ هُوَ الْمَلَكُ ، هَلْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَ يُعْطِي الْعَطَاءَ؟ هَلْ هُنَاكَ أَحَدٌ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ؟ إِذَا الْكُلُّ مُسْتَحِيلٌ ، ثَبَّتْ خَبَرُ رَسُولِ -الله- -صلى- -الله- -عليه و سلمِ الْمُتَوَاتِرُ أَنَّ الَّذِي يَنْزِلُ فَيَقُولُ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ اللَّهُ ، بَقِيَ الْقَوْلُ كَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَ الْجَوَابُ مَا سَمِعْتُمْ فِي جَوَابِ الْإِمَامِ مَالِكٍ فِي صِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ ، يُقَالُ لَهُ: كَيْفَ هُوَ؟ أَنْتَ سَأَلْتَ كَيْفَ يَنْزِلُ رَبَّنَا ، فَحَسُنْ نَسْأَلُكَ فَتَقُولُ كَيْفَ هُوَ أَوَّلًا؟ إِذَا قَالَ أَنَا لَا أَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ ، قِيلَ لَهُ: وَ نَحْنُ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ نُزُولِهِ ، السِّرُّ فِي ذَلِكَ فِي عَدَمِ عِلْمِنَا إِذْ الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ ، إِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ الْمَوْصُوفِ تَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِهِ ، إِنَّمَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ لِأَنَّنَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ ، الَّذِي هُوَ الْمَوْصُوفُ وَ هُوَ فَرْعٌ لَهُ وَ تَابِعٌ لَهُ ، مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ فَرْعٌ تَابِعٌ لِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الذَّاتِ ، فَكَيْفَ تُطَالِبُنِي بِعِلْمِ كَيْفِيَّةِ سَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ وَ تَكْلِيمِهِ وَ نُزُولِهِ وَ اسْتِوَائِهِ وَ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ ، لِأَحْظَ كَيْفَ جَمَعَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَيْنَ عِدَّةِ صِفَاتٍ هُنَا لِيُشْعِرَ بِأَنَّ الصِّفَاتِ كُلَّهَا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، فَكَيْفَ تُطَالِبُنِي بِالْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ سَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ وَ تَكْلِيمِهِ ، هَذِهِ صِفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ ، وَ الْكَلَامُ يَكُونُ صِفَةً ذَاتِيَّةً بِاعْتِبَارِ وَ صِفَةً

فِعْلِيَّةٌ بِاعْتِبَارِ كَمَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَ نُزُولُهُ وَ اسْتِوَاءُهُ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ ، إِذَا يَكُونُ الْجَوَابُ وَاحِدٌ ، فِي مَنْ سَأَلَكَ عَنْ كَيْفِيَّةِ سَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ وَ تَكْلِيمِهِ وَ نُزُولِهِ وَ اسْتِوَاءِهِ وَ مُحَبَّتِهِ وَ رِضَاهُ ، الْجَوَابُ وَاحِدٌ ، وَ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ إِذَا كُنْتَ لَا تَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ ، كَيْفَ تُطَالِبُنِي بِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ نُزُولِهِ وَ بَحْيِهِ وَ غَضَبِهِ وَ رِضَاهُ وَ تَكْلِيمِهِ إِلَى آخِرِهِ ، وَإِذَا كُنْتَ تُقِرُّ بِأَنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى ذَاتَ حَقِيقَةٍ تَابِتَةٍ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مُحَقَّقَةً مُسْتَوْجِبَةً لِصِفَاتِ الْكَمَالِ لَا يُمَازِلُهَا شَيْءٌ ، لَا يُمَازِلُ تِلْكَ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ شَيْءٌ فَسَمِعُهُ وَ بَصَرُهُ وَ كَلَامُهُ وَ نُزُولُهُ وَ اسْتِوَاءُهُ ثَابِتٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ثُبُوتَ الذَّاتِ. ثُبُوتَ الذَّاتِ لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلذَّاتِ وَ هُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا يُشَابِهُهُ فِيهَا سَمْعُ الْمَخْلُوقِينَ وَ بَصَرُهُمْ وَ كَلَامُهُمْ وَ نُزُولُهُمْ وَ اسْتِوَاءُهُمْ ، النَّزُولُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ كَذَلِكَ الْإِسْتِوَاءُ ، أَيْ نُزُولُ اللَّهِ تَعَالَى ، لَيْسَ كُلُّ نُزُولٍ صِفَةً كَمَالٍ. نُزُولُ الرَّبِّ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَ اسْتِوَاءُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ كَمَا أَنَّ سَمْعَهُ وَ بَصَرَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ ، إِذَا لَا أَحَدٌ يُشَابِهُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - أَوْ يُشَارِكُهُ فِي هَذَا الْكَمَالِ ، نَعَمْ .

القارئ : قَالَ رَحِمَهُ -الله تعالى- (وهذا الكلام لازم لهم في العقليات وفي تأويل السمعيات، فإن من أثبت شيئاً، ونفي شيئاً بالعقل، إذا ألزم فيما نفاه من الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة نظير ما يلزمه فيما أثبته، وطولب بالفرق بين المحذور في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقاً ، ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض - الذين يوجبون فيما نفوه إما التفويض، وإما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ - قانون مستقيم، فإذا قيل لهم: لم تأولتم هذا وأقرتم هذا، والسؤال فيهما واحد؟ لم يكن لهم جواب صحيح. فهذا تناقضهم في النفي ، وكذلك تناقضهم في الإثبات، فإن من تأول النصوص على معنى من المعاني التي يشبهها، فإنهم إذا صرفوا النص عن المعنى الذي هو مقتضاه إلى معنى آخر، لزمهم في المعنى المصروف إليه ما كان يلزمهم في المعنى المصروف عنه، فإذا قال قائل: تأويل محبته ورضاه وغضبه وسخطه هو إرادته للثواب والعقاب، كان ما يلزمه في الإرادة نظير ما يلزمه في الحب والمقت والرضا

والسخط. ولو فسّر ذلك بمفعولاته - وهو ما يخلقه من الثواب والعقاب - فإنه يلزمه في ذلك نظير ما فرّ منه، فإن الفعل المعقول لا بدّ أن يقوم أولاً بالفاعل، والثواب والعقاب المفعول إنما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه، ويسخطه ويبغضه الميثب المعاقب، فهم إن أثبتوا الفعل على مثل الوجه المعقول في الشاهد للعبد مثلاً، وإن أثبتوه على خلاف ذلك، فكذلك سائر الصفات.)

الشيخ: هذا عودٌ لمناقشة مَنْ يثبت بعض الصفات دون بعض، أي مناقشةً للأشعرية، وهذا الكلام لازمٌ لهم في العقليات وفي تأويل السمعيّات، هم أثبتوا الصفات العقلية، الأشاعرة يثبتون الصفات العقلية التي يمكن إثباتها بالعقل، وليس معنى الصفات العقلية أنه توجد هناك صفات تثبت بالعقل دون السمع! لا وجود لها، ولكن إنما يقال لها الصفات العقلية لأنّ العقل يشارك السمع في إثباتها، لو فرض أنه لم يأتي سمع أو خبر أو نقل في إثبات وجود الله تعالى وحياته وسمعه وبصره، أدرك العباد ذلك بعقولهم ولكن كل هذه الصفات جاء بها السمع وجاء العقل موافقاً وتابعا للعقل، هذا النوع من الصفات الذي تشترك السمعيّات والعقليّات في إثباتها يقال لها "الصفات العقلية" لعله من باب التغليب أو من باب التعبير عن إصطلاح الأشاعرة وإلا في الواقع هي ليست عقلية محضة، إذ لا توجد صفات عقلية محضة، توجد صفات خبرية محضة والصفات يشترك العقل والسمع في إثباتها وهي الصفات العقلية وما عدا ذلك صفات خبرية محضة أو سمعية محضة أو نقلية محضة، ويلزمهم في تأويل السمعيّات لأنهم أثبتوا العقليات وأولوا السمعيّات، الصفات السمعيّات المحضة أولوها. أوجبوا تأويلها، (فإن من أثبت شيئاً ونفى شيئاً بالعقل، إذا ألزم فيما نفاه من الصفات) كنفي المحبة والرضى مثلاً (التي جاء بها الكتاب والسنة نظير ما يلزمه فيما أثبتته، وطولب بالفرق بين المحذور في هذا) أي في ما نفى (وهذا) أي في ما أثبت (لم يجد بينهما فرقاً) لو أنصف الأشعريّ فقلّ له ما الفرق بين الإرادة التي أثبتتها وبين المحبة التي نفيتها؟ لا يجد جواباً سليماً أبداً وكلّ ما في الأمر يقول هذا مذهبنا! هذه

عَقِيدَتُنَا! وَ هَكَذَا قَالَ شَيْوُخُنَا! هَذَا لَيْسَ جَوَابٌ عِلْمِي , هَذَا جَوَابُ الْمُقَلِّدِ , (ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض) هُمُ الْأَشَاعِرَةُ كَمَا عَلِمْتُمْ (الذين يوجبون فيما نفوه إما التفويضَ، وإما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ) هَذِهِ عِنْدَهُمْ قَاعِدَةٌ وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ عَبَّرَ عَنْهَا صَاحِبُ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ فِي بَيْتِهِ الْآتِي : "وَكُلُّ نَصٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَ رُمُ تَنْزِيهَا" , هَذَا الْبَيْتُ يُعْتَبَرُ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ قَاعِدَةً لَا يَنْبَغِي أَوْ لَا تَجُوزُ مُخَالَفَتُهَا , "وَكُلُّ نَصٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ" بَدَأَ بِالتَّأْوِيلِ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْأَوَّلَى عِنْدَهُمْ "أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَ رُمُ تَنْزِيهَا" وَ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ "رُمُ تَنْزِيهَا" أَيِ اقْصِدِ التَّنْزِيَةَ فِي تَأْوِيلِكَ وَ فِي تَفْوِيضِكَ , كَأَنَّهُ دِينَ جَدِيدٌ!! أَيْنَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ الَّتِي تُفَعِّلُهَا الْآنَ مِنْ جَدِيدٍ وَ تَسِيرُونَ عَلَيْهَا فِي عَقِيدَتِكُمْ , هَلْ عَلِمَهَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؟ هَذَا سُؤَالٌ , السُّؤَالُ الثَّانِي: هَلْ يَجُوزُ اعْتِقَادُ أَنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ مَا يَدَّلُ عَلَى مَا يُوهِمُ التَّشْبِيهِ؟ وَ كُلَّ نَصٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ ! لَا يَجُوزُ إِتِّهَامُ كِتَابِ اللَّهِ وَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ بِأَنَّهُ يُوجَدُ فِيهِمَا مَا يُوهِمُ التَّشْبِيهِ , (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) لَا يُوهِمُ التَّشْبِيهِ. هَذَا الَّذِي يَعْنُونَهُ , (يَنْزِلُ رَبَّنَا) لَا يُوهِمُ التَّشْبِيهِ , لِأَنَّ هَذِهِ صِفَاتٌ أُضِيفَتْ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْإِضَافَةِ إِلَى اللَّهِ لَا تُوهِمُ التَّشْبِيهِ أَبَدًا , وَ إِنَّمَا التَّشْبِيهِ كَمَا قُلْنَا يَقَعُ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ , إِتِّهَامُ كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ الصَّحِيحَةِ بِأَنَّهُمَا يُوهِمَانِ التَّشْبِيهِ إِسَاءَةً إِلَى الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ إِلَى مَنْ أَنْزَلَهُمَا , ثُمَّ أُوجِبَ التَّأْوِيلُ بِقَوْلِهِ "أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ" مَعْنَى التَّفْوِيضِ أَنَّ يَدَّعِي الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَعْنَى اسْتَوَى وَ لَا مَعْنَى نَزَلَ وَ لَا مَعْنَى جَاءَ وَ لَا مَعْنَى الْعَضْبِ وَ لَا مَعْنَى الْمَحَبَّةِ وَ الرِّضَى , يُفَوِّضُ الْمَعْنَى , التَّفْوِيضُ تَفْوِيضَانِ: تَفْوِيضٌ مَذْمُومٌ وَ تَفْوِيضٌ مَقْبُولٌ بَلَّ لَا بَدَّ مِنْهُ بَلَّ وَاجِبٌ , تَفْوِيضُ الْمَعَانِي هَذَا مَذْمُومٌ , مَنْ يَدَّعِي إِنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَ النَّصُوصِ , هَذَا التَّفْوِيضُ مُعَالِطَةٌ يُعَالِطُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ لِأَنَّ أَيَّ عَرَبِيٍّ يَدَّعِي أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَعْنَى نَزَلَ وَ مَعْنَى جَاءَ وَ مَعْنَى اسْتَوَى إِنَّمَا يُعَالِطُ نَفْسَهُ , اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ لَا يَعْرِفُ اللَّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ , جَهْلُهُ هُنَا لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ اللَّغَةِ , أَمَّا إِذَا كَانَ يَعْرِفُ اللَّغَةَ ثُمَّ يَدَّعِي لِّبَاطِلٍ أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَعْنَى هَذِهِ النَّصُوصِ أَوْ مَعَانِيَ هَذِهِ النَّصُوصِ هَذِهِ مُعَالِطَةٌ , ثُمَّ إِنَّ اتِّهَامَ السَّلَفِ بِأَنَّ هَذَا مَذْهَبُهُمْ , أَيَّ إِنَّ السَّلَفَ مُفَوِّضَةٌ وَ هَذَا اتِّهَامٌ بِالسَّلَفِ بِأَنَّهُمْ أَمَّيُونَ يَقْرَأُونَ النَّصُوصَ

فَقَطُّ وَ لَا يَفْهَمُونَ مَعَانِي النَّصُوصِ خُصُوصًا نُصُوصِ الصِّفَاتِ , هَذَا خَطَأً وَ لَكِنَّ التَّفْوِيضَ
الَّذِي هُوَ مِنْهَجُ السَّلَفِ تَفْوِيضُ الْحَقِيقَةِ وَ الْكَيْفِيَّةِ أَيْ كَمَا أُخِذَ مِنْ كَلَامِ الْإِمَامِ مَالِكٍ
الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى مَجْهُولٌ مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةُ وَ الْكُنْهَ. نُقَوِّضُ الْكُنْهَ وَ الْحَقِيقَةَ
فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ , فِي الصِّفَاتِ الْحَبَرِيَّةِ فِي الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ فِي الصِّفَاتِ الدَّائِيَّةِ فِي الصِّفَاتِ
الْفِعْلِيَّةِ كُلِّهَا نُقَوِّضُ الْحَقِيقَةَ إِلَى اللَّهِ , هَذَا التَّفْوِيضُ هُوَ مِنْهَجُ السَّلَفِ وَ لَيْسَ تَفْوِيضُ الْمَعَانِي
, قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- (ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض -
الذين يوجبون فيما نفوه إما التفويض، وإما التأويل) عَلَى مَا شُرِّحَ (المخالف لمقتضى اللفظ)
أَيْ يَجِبُ أَنْ تَخْرُجَ النَّصُوصُ عَنْ مُقْتَضَى اللَّفْظِ , أَيْ إِنَّ ظَاهِرَ نُصُوصِ الصِّفَاتِ لَيْسَ مُرَادًا
لِلَّهِ بَلِ الْمُرَادُ خِلَافُ ذَلِكَ وَ هُوَ التَّأْوِيلُ , لَيْسَ لَهُمْ (قانون مستقيم) نِظَامٌ مُسْتَقِيمٌ يَمْشُونَ
عَلَيْهِ (فإذا قيل لهم: لم تأولتم هذا) لِمَا تَأَوَّلْتُمْ الْإِسْتِوَاءَ وَ النَّزُولَ وَ الْمَحَبَّةَ وَ الرَّضَى مَثَلًا
(وأقررتم هذا) أَفَرَزْتُمْ الْقُدْرَةَ وَ الْحَيَاةَ وَ الْعِلْمَ وَ السَّمْعَ مَثَلًا (وَ السَّؤَالُ فِيهِمَا؟) لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
جَوَابٌ صَحِيحٌ. فَهَذَا تَنَاقُضُهُمْ فِي النَّفْيِ) كَمَا قُلْنَا الْجَوَابُ إِمَّا أَنْ يَقُولُوا هَذِهِ عَقْدَتُنَا ,
لِلْأَسَفِ كَثِيرًا مَا يَقُولُونَ: هَذِهِ هِيَ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ! ظَلَمُوا أَهْلَ السُّنَّةِ وَ
الْجَمَاعَةَ وَ افْتَرَوْا عَلَيْهِمْ , هَذِهِ لَيْسَتْ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ , عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ
الْجَمَاعَةِ الْإِثْبَاتُ , إِبْتِهَاتٌ لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ التَّشْبِيهِ وَ التَّمْثِيلِ , تَنْزِيهٌ لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ
التَّعْطِيلِ , إِلَى دَرَجَةِ النَّفْيِ وَ التَّعْطِيلِ , هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ وَ مَذْهَبُ سَلَفِ
هَذِهِ الْأُمَّةِ , وَ كَذَلِكَ تَنَاقُضُهُمْ فِي الْإِثْبَاتِ , (وكذلك تناقضهم في الإثبات) نَكْتَفِي بِهَذَا
الْمَقْدَارِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ .

الدرس رقم : 10

الشيخ: الحمد لله رب العالمين وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ وَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ أَجْمَعِينَ , قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- (وإن قال نفاة الصفات) الَّذِينَ بَعْدَ نَفْيِ صِفَاتِ -اللَّهُ تَعَالَى- أَثَبَّتُوا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ صِفَاتٍ كَثِيرَةً وَ سَمَّوْا رَبَّ الْعَالَمِينَ عَقْلًا وَ عَاقِلًا وَ مَعْقُولًا إِلَى آخِرِهِ , (إِنْ قَالُوا: هَذَا تَوْحِيدٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَلَيْسَ هَذَا تَرْكِيبًا مُمْتَنَعًا) أَيُّ مَا فَعَلُوهُ مِنْ وَصْفِ -اللَّهُ تَعَالَى- بِالْعَقْلِ وَ مَا بَعْدَهُ مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي أَحَدُتُوهَا (فَإِنْ قَالُوا: هَذَا تَوْحِيدٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَلَيْسَ هَذَا تَرْكِيبًا مُمْتَنَعًا , قَالَ لَهُمْ أَهْلُ الْإِثْبَاتِ : وَاتَّصَفَ الذَّاتُ بِالصِّفَاتِ الْإِثْبَاتِ لَهَا تَوْحِيدٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَلَيْسَ هُوَ تَرْكِيبًا مُمْتَنَعًا.) وَ مَا قَالَهُ أَهْلُ الْإِثْبَاتِ لَيْسَ مُجَرَّدَ دِفَاقٍ وَ لَا هُوَ مُعَالِطَةٌ , بَلْ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ , إِيَّاصِفُ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِالصِّفَاتِ الْإِثْبَاتِ لَهُ كَالْوُجُودِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْعِلْمِ وَ الْحَيَاةِ تَوْحِيدٌ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَاحِدٌ بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ لِأَنَّ الصِّفَاتِ الدَّائِيَّةُ خُصُوصًا مُلَازِمَةٌ لِلذَّاتِ لَا تَنفَكُ عَنِ الذَّاتِ وَ لَا يُعَدُّ تَعْدَادُ هَذِهِ الصِّفَاتِ تَعْدَادًا بَلْ هُوَ تَوْحِيدٌ لِلَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ وَاحِدٌ بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ كَمَا قُلْنَا , وَ هَذَا الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ السَّمْعُ وَ وَافَقَهُ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ وَ لَيْسَ ذَلِكَ تَرْكِيبًا , (وذلك أنه من المعلوم بصرائح العقول أو بصريح المعقول أنه ليس معنى كون الشيء عالمًا هو معنى كونه قادرًا) الْعَقْلُ الصَّرِيحُ يُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْنَى عَالِمًا وَ مَعْنَى قَادِرًا , عَالِمًا لَهُ مَعْنَى مُسْتَقِيلٌ وَ قَادِرًا لَهُ مَعْنَى مُسْتَقِيلٌ (ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالمًا) وَ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ يُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِيقَةِ الذَّاتِ وَ حَقِيقَةِ الْأَسْمَاءِ , لَيْسَ مَعْنَى الذَّاتِ وَ مَعْنَى عَالِمًا أَوْ مَعْنَى قَادِرًا أَوْ مَعْنَى سَمِيعًا بَلْ إِذَا أُطْلِقَتِ الذَّاتُ يُفْهَمُ لِلذَّاتِ مَعْنَى وَ يُفْهَمُ لِلصِّفَاتِ وَ لِلأَسْمَاءِ مَعْنَى أُيْضًا , (فمن جَوَّزَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَةُ) كَالسَّمْعِ مَثَلًا (هِيَ الْآخَرَى) كَالْبَصَرِ مَثَلًا , أَيُّ أَنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ شَيْءٌ وَاحِدٌ (وَأَنْ تَكُونَ الصِّفَةُ هِيَ الْمَوْصُوفُ) لَا فَرْقَ بَيْنَ مَعْنَى السَّمْعِ وَ مَعْنَى السَّمِيعِ (فهو من أعظم الناس سفسطة) السَّفْسَطَةُ التَّمْوِيَةُ وَ الْمُعَالِطَةُ وَ التَّشْبِيهُ عَلَى النَّاسِ , (ثم إنه متناقض) وَ فِي

الوقت نفسه متناقض و معنى تناقضه أو بيان تناقضه (فإنه إذا جوز ذلك) جوز أن تكون الصفة عين الموصوف و أن تكون هذه الصفة عين تلك الصفة (جاز أن يكون وجود هذا هو وجود هذا) وجود هذا المخلوق هو وجود ذاك المخلوق , و وجود الواجب هو وجود الجائز فيكون الوجود واحداً بالعين لا بالتنوع , يكون الوجود كله. وجود السماء وجود الأرض وجود الحيوانات وجود الإنسان كل وجود يكون عيناً واحداً فيكون الوجود واحداً بالعين بينما الوجود ليس واحداً بالعين للسماء وجود و للأرض وجود مستقل , و للإنسان وجود مستقل و للحيوانات وجود مستقل , ليس الوجود وجوداً واحداً بالعين و إن كان واحداً بالتنوع , أي بمعنى إن هذا الوجود. إن هذه الموجودات كلها يطلق عليها إنها مكونة و إنها حادث و أنها غير الله , بهذا الاعتبار بوجود أتم. أن غير واجب الوجود وجودهم وجود بالعين وجود بالتنوع لا وجود بالعين , الوجود كله وجود واجب الوجود و وجود جائز الوجود لا يجوز أن يعتقد أنه واحد بالعين , لكن وجود غير واجب الوجود واحد بالتنوع , وجود غير واجب الوجود وجود بالتنوع لأن كلها من نوع المحدثات و من نوع الممكنات , إلا أن حقيقة وجود السماء غير حقيقة وجود الأرض , كما تقدم إن للبعض وجوداً و للعرش وجوداً و للفيل وجوداً و للنملة مثلاً وجوداً , هذا بحث تقدم كالذي قبله تماماً , (وحيثئذ , فإذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب) في زعمهم , الواجب لا ينبغي أن يفهم أن الواجب من أسماء -الله تعالى- , الواجب ليس من أسماء الله و إنما يذكر الواجب من باب الإخبار كما نقول هو مريد متكلم و مكون هذا الكون و صانع هذا الكون , هذا كله من باب الإخبار و ليس من باب الأسماء , أسماء -الله تعالى- توقيفية كالصفات , لا يسمى الرب -سبحانه و تعالى- إلا بما سمى به نفسه , و إطلاق الواجب من باب الإخبار و هو مقابل الجائز , فالرب سبحانه و تعالى يمكن من باب الإخبار أن يقال هو الله سبحانه هو المفتي في مسألة الكلالة لأنه هو الذي أفتى , لكن المفتي ليس من أسماء الله تعالى , و لكن يطلق ذلك من باب الإخبار كما قلنا , باب الإخبار أوسع من باب الأسماء و الصفات , (وحيثئذ , فإذا كان وجود الممكن) الممكن كما تقدم يمكن أن نقول هو وجود الجائز و وجود

المخلوق ووجود المحدث بمعنى واحد ، (إذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب في زعمهم كان وجود كل مخلوق يُعَدُّ بعد وجوده، ويوجد بعد عدمه-) و هو الممكن كما تقدم (هو نفس وجود الحق القديم الدائم الباقي، الذي لا يقبل العدم). أي صار وجود المخلوق هو وجود الخالق ، و حينئذ مرةً أخرى. فإذا كان وجود الممكن. وجود المخلوق. وجود المحدث. وجود الجائز بمعنى هو وجود الواجب أي وجود الرب - سبحانه و تعالى - كان وجود كل مخلوق يُعَدُّ بعد وجوده و يُوجد بعد عدمه ، هذا تفسير للممكن و تفسير للمخلوق و ليس هنا احتراز ، ليس هناك مخلوق لا يُعَدُّ ، و لا يُوجد مخلوق لا يُعَدُّ ، أو يُوجد أو لا يُوجد بعد عدمه وصف لبيان الواقع و ليس له احتراز و ليس له مفهوم ، أي مفهوم مخالف ، بل في تقديم و تأخير من حيث المعنى ، كان وجود كل مخلوق يُوجد بعد عدمه و يُعَدُّ بعد وجوده من حيث المعنى الترتيب هكذا ، (هو نفس وجود الحق القديم) و القديم أيضاً ليس من أسماء -الله تعالى- و لكن من باب الإخبار (الدائم الباقي، الذي لا يقبل العدم) هذه كلها أوصاف تُذكر من باب الإخبار لا من باب أنها من أسماء -الله تعالى- الشاهد لو طردنا الباب على ما ذكروا يكون وجود الخالق هو وجود المخلوق ، عدم الاختصاص .

(وإذا قدر هذا، كان الوجود الواجب) و إن شئت كان وجود واجب الوجود (موصوفاً بكل تشبيه وتجسيم) لأن المخلوق الذي اتحد معاً ، الذي يُعَدُّ بعد وجوده و يُوجد بعد عدمه فيه (كل نقص وكل عيب) يكون واجب الوجود موصوفاً بكل تشبيه و تجسيم وكل نقص و عيب لأنه اتحد في زعمهم مع المخلوق ، صار هو و المخلوق شيء واحد ، الإنسان و الرب - سبحانه و تعالى- و جميع المخلوقات و الحيوانات و الجمادات شيء واحد ، (كما يصرح بذلك أهل وحدة الوجود) يقول شيخ الإسلام ليس هذا من باب الإلزام فقط بل أهل وحدة الوجود يصرحون بذلك ، تقدم أن قلنا إن رئيس وحدة الوجود ابن عربي الطائفي صاحب فصوص الحكم ، كتاب اسمه فصوص الحكم و صاحب الفتوحات المكية ، كتابان كبيران فيهما الكفر البواح ، يصرح ابن عربي في الكتابين و في ما نقل عنهما بأن العبد و الرب شيء واحد ، فيقول العبد رب و الرب عبد ليت شعري من المكلف ، بمعنى

إِنَّ الْخَالِقَ وَ الْمَخْلُوقَ شَيْءٌ وَاحِدٌ , وَ مِنْ مَبَادِيهِمْ أَوْ مَبْدُوهُمْ الْأَسَاسِي نَفْيُ الْإِثْنَيْنِيَّةِ فِي الْكَوْنِ , لَا يُوجَدُ فِي الْكَوْنِ إِثْنَانٌ , الْكَوْنُ كُلُّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ , لِذَلِكَ يَقُولُ: وَ مَا اللَّهُ وَ مَا الْكَلْبُ وَ الْحَنْزِيرُ إِلَّا إِلَهُنَا وَ مَا اللَّهُ إِلَّا رَاهِبٌ فِي كَنِيسَةٍ , وَ لَعَلَّ الْمُسْلِمَ الَّذِي عَلَى الْفِطْرَةِ يَسْتَعْرِبُ أَنْ يَقُولَ مُسْلِمٌ هَذَا الْقَوْلُ , وَ لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ هَذَا لَيْسَ بِمُسْلِمٍ خَرَجَ عَنِ الْإِسْلَامِ , خَرَجَ عَنِ الْمِلَّةِ , رَئِيسُ وَحْدَةِ الْوُجُودِ جَاءَ بِكُفْرٍ لَمْ يَأْتِ بِهِ كُفَّارٌ قُرَيْشٍ وَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْخَدِعَ الْمُسْلِمُ بِمَا تَقُولُهُ الصَّوْفِيَّةُ إِنَّهُ سُلْطَانُ سُلْطَانِ الْعَارِفِينَ , ابْنُ عَرَبِي يُسَمُّوهُ سُلْطَانُ الْعَارِفِينَ وَ ذَاكَ زَمِيلُهُ ابْنُ الْفَارِضِ شَاعِرُهُمْ وَ أَدِيئُهُمْ , كُلُّ هَذَا مِنْ بَابِ الْجَهْلِ لِأَنَّ النَّاسَ لَا تَدْرُسُ هَذَا الْبَابَ فِي الْغَالِبِ الْكَثِيرِ لِذَلِكَ يُدَافِعُ بَعْضُ الْمَعَاصِرِينَ إِنَّهُ لَيْسَ بِكَافِرٍ , إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْقَوْلُ كُفْرًا فَأَيْنَ الْكُفْرُ؟! مَا مَعْنَى الْكُفْرِ؟ كُفَّارٌ قُرَيْشٍ شَهِدَ اللَّهُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) كُفَّارٌ قُرَيْشٍ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ , خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مُدَبِّرُ الْأَمْرِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ , يُؤْمِنُونَ هَذَا الْإِيمَانَ لَكِنْ إِنَّمَا كَفَرُوا وَ اسْتَحَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ دِمَاءَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي عِبَادَتِهِ , عَبَدُوا مَعَ اللَّهِ أَصْنَامَهُمْ وَ أَوْثَانَهُمْ أَيْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ وَ إِلَّا لَهُمْ يَعْرِفُونَ اللَّهَ , يَعْرِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَكْثَرَ بِمَا يَعْرِفُ ابْنُ عَرَبِي وَ أَتْبَاعُهُ , ثُمَّ إِنَّ الصَّوْفِيَّةَ الْعَادِيَّةَ الْآنَ لَا نَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِمَا حَكَمْنَا أَوْ بِمَا حَكَمَ عَلَى ابْنِ عَرَبِي وَ لَكِنْ الْخَطَأُ الَّتِي تَقَعُ فِيهِ الصَّوْفِيَّةُ وَ يُضَلَّلُونَ مِنْ أَجْلِهِ يُؤْمِنُونَ بِفِكْرَةِ ابْنِ عَرَبِي وَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ , يُؤْمِنُونَ أَوْ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَصِلُوا لِأَنَّ هَذَا يُعْتَبَرُ عِنْدَهُمْ الْوُصُولُ , عِنْدَهُمُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ فِي أَسْلُوبِهِمْ إِذَا وَصَلَ إِلَى اللَّهِ تَسْقُطُ عَنْهُ جَمِيعُ التَّكَالِيفِ , لَا يُقَالُ فِي حَقِّ هَذَا حَلَالٌ وَ هَذَا حَرَامٌ وَ هَذَا وَاجِبٌ , يَقُولُ مَا يَشَاءُ وَ يَأْكُلُ مَا يَشَاءُ وَ يَشْرَبُ مَا يَشَاءُ , لَيْسَ فِي حَقِّهِ حَلَالٌ أَوْ حَرَامٌ , وَ يَتْرُكُ جَمِيعَ الْعِبَادَاتِ وَ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَا يُحْكَى عَنِ الْأَوَّلِينَ كَابْنِ عَرَبِي وَ ابْنِ الْفَارِضِ وَ أَمْثَالِهِ , هَذَا وَقَعَ فِي هَذَا الْوَقْتِ , مُحَمَّدٌ مُحَمَّد طَه سَمِعْتُ أَنَا بِؤُذُنِي فَهُوَ يَقُولُ: قُمْنَا اللَّيَالِي وَ صُمْنَا النَّهَارَ فَسَقَطَتْ عَنَّا التَّكَالِيفُ , يَأْمُرُ أَتْبَاعَهُ بِالصَّلَاةِ فَهُوَ لَا يُصَلِّي جَالِسٌ لِأَنَّهُ وَصَلَ هَذَا الرَّجُلُ , لِي مُحَاضَرَةٌ فِي

الدِّفَاعُ. المحاضرة الدِّفاعية عن السنة المحمدية في الرد عليه , لو اطلعتم على ما كتبت و ما كتبه غيري تتأكدون بأن الصوفية المعاصرة تسعى لتصل إلى ما وصل إليه ابن عربي , فإعتقاد بأن ابن عربي من المؤمنين و من الأولياء و من الصالحين مغالطة و لا ينبغي التموية على العوام بل ينبغي البيان بأن ابن عربي المنكر كافر و ليس بمؤمن , لذلك المؤمن لا يقول هذا الكلام , و يجعل الكون كله شيئاً واحداً فهو كافر و هو ليس ابن العربي نُبّه في كل مناسبة , ليس ابن العربي بـ "ال" هذا عالم مالكي سني و إن كان فيه بعض التأويلات و شيخ الإسلام من الذين خاضوا مع هؤلاء جميعاً في المناظرات و الرد عليهم لذلك يؤخذ كلام شيخ الإسلام في بيان الطوائف و الفرق و حقيقتهم قضية مسلمة , لأنه عايشهم و ناظرهم و أفحمهم بحمد -الله تعالى- لأن الله فتح عليه و تبخر في جميع العلوم , في المعقولات و المنقولات حتى جعله الله مدافعاً عن الحق وعن العقيدة و عن الشريعة رحمه -الله تعالى- , يقول شيخ الإسلام (كما يصرح بذلك أهل وحدة الوجود) ذكرنا لكم بعض مراجعهم وفي إمكان طالب العلم الصغير أن يبدأ إذا أراد أن يعرف التصوف و شطحات الصوفية يقرأ أولاً "هذه هي الصوفية" للشيخ عبدالرحمن الوكيل المصري الذي كان رئيس قسم العقيدة في جامعة أم القرى بمكة ثم ينطلق منه إلى "مصرع التصوف" للبقاعي , البقاعي معاصر لشيخ الإسلام في القرن السابع , و كتاب "هذه الصوفية" يذكر لك جميع الصوفية وله تحقيق لمصرع التصوف ثم لشيخ الإسلام مجلّد خاص في التصوف في ضمن المجموع , ينبغي الإطلاع و قراءة هذه الكتب لئلا تكون معرفة الصوفية مجرد السماع , ينبغي أن تكون من قراءة مراجعهم و كتبهم بالذات .

يقول شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (كما يصرح بذلك أهل وحدة الوجود، الذين طردوا هذا الأصل الفاسد، وحينئذ فتكون أقوال نفاة الصفات باطلة على كل تقدير). لأنهم لحقوا من حيث لا يشعرون بالقائلين بوحدة الوجود إذا نفوا بنفيهم أو بجمعهم بين النقيضين أو برفعهم للنقيضين , صارت أقوالهم كأقوال وحدة الوجود , فإذا كانت أقوال وحدة الوجود باطلة فاقوال نفاة الصفات باطلة ايضاً , نعم .

القارئ: قال رحمه -الله تعالى- (وهذا باب مطرد، فإن كل واحد من النفاة لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفات، لا ينفي شيئاً - فراراً مما هو محذور - إلا وقد أثبت ما يلزمه فيه نظير ما فرّ منه، فلا بدّ له في آخر الأمر من أن يثبت موجوداً واجباً قديماً متصفاً بصفات تميزه عن غيره، ولا يكون فيها مماثلاً لخلقه، فيقال له: وهكذا القول في جميع الصفات، وكل ما نثبتته من الأسماء والصفات فلا بدّ أن يدل على قدر مشترك تتواطأ فيه المسميات، ولولا ذلك لما فهم الخطاب، ولكن نعلم أن ما اختص الله به، وامتاز عن خلقه أعظم مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال).

الشيخ: قال شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (وهذا باب مطرد) في كل بابٍ مُطَرَّدٍ مع جميع الطوائف و الفرق , (فإن كل واحد من النفاة لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفات , لا ينفي شيئاً - فراراً مما هو محذور - إلا وقد أثبت ما يلزمه فيه نظير ما فرّ منه,) إذا فرّ الذين فرقوا بين الصفات من الوقوع في التشبيه في زعمهم و أرادوا التنزيه بنفي الصفات الخبرية و خصوصاً الصفات الفعلية وقعوا في نظير ما فرّوا منه لأثم بنفيهم تلك الصفات يقعون في التعطيل و المعطل مُشَبَّهٌ لأنه اذا عطّل الصفات التي تليق بالله تعالى شَبَّهَهُ بِذَلِكَ بِالمخلوق و بنفيه الصفات اللائقة بالله تعالى يُعْتَبَرُ مُشَبَّهًا كَمَا أَنَّ الْمَشَبَّهَ يُعْتَبَرُ مُعْطَلًا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُ ذَلِكَ , فَلَا بَدَّ لَهُ فِي آخِرِ الْمَطَافِ إِذَا وَقَّعَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يُثْبِتَ موجوداً واجباً قديماً متصفاً بصفات تميزه عن غيره لأنه لا يسم الإيمان بالله تعالى إلا بهذا حتى يثبت الإنسان موجوداً واجباً أي غير جائز أي الذي لم يسبق بعدم و لا يلحقه العدم هذا هو الواجب , قديماً ليس لإقدمه أولية مُتَّصِفٌ بصفات تميزه عن غيره بأن يُقَالَ هُوَ الْأَوَّلُ الذي ليس قبله شيء و هو الآخر الذي ليس بعده شيء و هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء و هو الباطن الذي ليس دونه شيء , فلا يكون فيها مماثلاً , لا يكون في الصفات التي تُثْبِتُ لَهُ مُمَاثِلًا لَخَلْقِهِ لَا فِي سَمْعِهِ و لَا فِي بَصَرِهِ و لَا فِي عِلْمِهِ وَلَا فِي نَزْوِلِهِ و لَا فِي مَجِيئِهِ و لَا فِي

استواءه , أي في الصفات الذاتية و الصفات الفعلية , عند أهل السنة و الجماعة الباب واحد , الصفات كلها تساق سَوْفًا واحدًا لا يُفَرَّقُ بَيْنَ صِفَاتِ الدَّاتِ و صِفَاتِ الْأَفْعَالِ و بَيْنَ الصفات العقلية و الصفات الخبرية , لأنَّ كُلَّهَا مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ "الوحي" , يجب اثبات جميع الصفات على ما يليق بالله تعالى لا على ما يليق بالمخلوق و إن حَصَلَ الْإِتِّفَاقُ و التَّوَاتُؤُ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ كَمَا سَيَأْتِي .

(فيقال له: وهكذا القول في جميع الصفات) يُقَالُ هَذَا لِلْمُفَرَّقِ بَيْنَ الصفات (وكل ما نثبته من الأسماء والصفات فلا بد أن يدل على قدر مشترك تتواطأ فيه المسميات) هذا كما تقدم قَبْلَ أَنْ تُضَافَ صفات الله إلى الله , و قَبْلَ أَنْ تُضَافَ صِفَاتُ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْمَخْلُوقِ يُوجَدُ قَدْرٌ تَتَّفِقُ فِيهِ جَمِيعُ الْمُسَمَّيَاتِ أَيَّ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ كَالْعِلْمِ الْعَامِ وَ السَّمْعِ الْعَامِ وَ الْبَصَرِ الْعَامِ وَ الْحَيَاةِ الْعَامِ وَ هَكَذَا , لَكِنْ هَذِهِ الصِّفَاتُ , هَذَا الْمَعْنَى الْعَامِ لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ وَ إِنَّمَا وُجُودُهُ وُجُودٌ ذَهْنِيٌّ يَتَصَوَّرُ الذَّهْنُ الْعِلْمَ وَ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَى اللَّهِ وَ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَى الْمَخْلُوقِ وَ لَكِنْ بَعْدَ أَنْ تُضَافَ صِفَاتُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَ صِفَاتُ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْمَخْلُوقِ لَا تَحْصُلُ الْمِشَارَكَةُ أَبَدًا لِأَنَّهُ حَصَلَ التَّخْصِصُ بِهَذِهِ الْإِضَافَةِ .

(ولولا ذلك لما فهم الخطاب) لَوْ لَا هَذَا الْقَدْرُ الَّتِي تَتَّفِقُ فِيهِ الْمُسَمَّيَاتِ . جَمِيعُ الْمُسَمَّيَاتِ: عِلْمٌ زَيْدٍ وَ عِلْمٌ عَمْرٍ وَ عِلْمٌ خَالِدٍ وَ عِلْمُ الْخَالِقِ وَ عِلْمُ الْمَخْلُوقِ هَذَا الْقَدْرُ الَّذِي تَتَّفِقُ فِي هَذِهِ الْمُسَمَّيَاتِ لَا بَدَّ مِنْهُ , بِذَلِكَ يُفْهَمُ الْخِطَابُ "خِطَابُ اللَّهِ تَعَالَى" عِنْدَمَا خَاطَبَنَا فَأَخْبَرَنَا عَنْ أَسْمَاءِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ سَمَّى بَعْضَ خَلْقِهِ بِبَعْضِ أَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ. هَذَا الْخِطَابُ الْعَامُ هَذَا الْخِطَابُ إِنَّمَا يُفْهَمُ بِوُجُودِ هَذَا الْقَدْرِ الَّذِي تَتَّفِقُ فِيهِ الْأَسْمَاءُ وَ الصِّفَاتُ وَ هُوَ الْمَعْنَى الْعَامُ .

(ولكن نعلم أن ما اختص الله به) يَأْتِي الْإِخْتِصَاصُ بَعْدَ الْإِضَافَةِ دَائِمًا وَ امْتَّازَ عَنْ خَلْقِهِ أَعْظَمَ مِنْ مَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ أَوْ يَدُورُ فِي الْخَيَالِ , مَهْمَا فَكَّرْتَ وَ دَارَ فِي خَيَالِكَ تَصَوَّرَ عِلْمٌ وَ تَصَوَّرَ عِلْمُ اللَّهِ أَوْ سَمِعَ اللَّهُ أَوْ نُزِلَ اللَّهُ أَوْ بَحِيَّ اللَّهُ فَحَقِيقَةُ تِلْكَ الصِّفَاتِ خِلَافَ مَا يَدُورُ فِي خَلْدِكَ وَ يَدُورُ فِي فِكْرِكَ , لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُدْرِكَ حَقِيقَةَ ذَاتِ الرَّبِّ وَ

حقيقة صفاته و ليس له أن يدعي الإحاطة و يحاول أن يدرك الحقيقة و الإحاطة بالله تعالى و بأسمائه و صفاته من حيث الكنه و الحقيقة , و إنما يفهم المعنى الذي يفهم من وضع الكلمة , يفهم إن العليم غير القدير و أن السمع غير البصر يفهم هذا , لكن حقيقة سمع الرب - سبحانه - و حقيقة بصره و حقيقة مجيئه و حقيقة نزوله و حقيقة استوائه لا ينبغي أن يفكر أو يحاول أحد ليدرك ذلك , لأن ذلك أمر لا يدرك أبداً , لذلك قال (ولكن نعلم أن ما اختص الله به، وامتاز عن خلقه أعظم مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال.) واضح؟ نعم .

القارئ: قال رحمه -الله تعالى- (وهذا يتبين بالأصل الثاني - وهو أن يقال: القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات , فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له - كما قال ربيعة ومالك وغيرهما -: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه , وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى سماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيته , قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، وتابع له. فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه ونزوله واستوائه، وأنت لا تعلم كيفية ذاته! وإذا كنت تقر بأن له ذاتا حقيقة، ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره، وكلامه ونزوله واستوائه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابه فيها سمع المخلوقين وبصرهم، وكلامهم ونزولهم واستوائهم.)

الشيخ: الأصل الثاني (القول في الصفات كالقول في الذات) البحث الذي تقدم كله في الأصل الأول , و الأصل الأول من يفرقون بين الصفات , ومن يفرقون أيضا بين الصفات و الأسماء , وهذا الأصل يناقش من ثبتت الذات و ينفي الصفات و هذا يتبين بالأصل الثاني

و هو أن يُقال القول في الصفات كالقول في الذات ، إذا أثبت الذات ماذا قُلت في الذات و ما قُلت في الذات فقله في الصفات ، (فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله) و إن كانت الأفعال مُحَدَّثة و مُتَجَدِّدة لكن ليست أفعال الله التي تَتَجَدَّد في كلِّ وقت "لأنه فعَّال لما يُريد" ليست كأفعال العباد ، أي ليس أحدٌ يستطيع أن يفعل كفعَل الربِّ سبحانه و تعالى ، (فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات) و أنت تُؤمنُ بذلك (فالذات متصفة بصفاتٍ حَقِيقَةٍ لا تماثل صفات سائر الذوات) الذات لا بد لها من صفات ، لا يتحقق وجود الذات إلا بصفات. صفات الكمال التي تتصف بها تلك الذات ، إثباتك للذات المجردة عن الأسماء و الصفات إثباتٌ كلاً إثبات ، فإذا قال السائل ، يُريد أن يدرك حقيقة هذه الأسماء و كنهها و حقيقة الصفات و كنهها ، إذا قال: (كيف استوى على العرش؟) أنتم تقولون الله - سبحانه و تعالى - مُستَوٍ على عرشه ، أو على الأصح يقول الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) لسنا نحن الذين قلنا و لكن الله هو الذي قال ، هو الذي أخبر عن نفسه أنه استوى العرش ، لذلك لا ينبغي أن يُسلم لمن يقول: أنتم تقولون الله مُستَوٍ على عرشه و أنتم تُثبتون الاستواء ، نعم نحن نُثبت تصديقاً لحبر الله لا من عند أنفسنا ، المثبت لهذه الصفات هو الله ، هو الذي أخبر عن نفسه (الرحمن على العرش استوى) ، (إذا قال: كيف استوى على العرش؟ قيل له - كما قال ربعة ومالك وغيرهما) هذا القول المشهور عن الإمام مالك فقط و ما نُسب إلى ¹.

عبر عن هذا المعنى بمعنى كان يُريده هو و لكن نحن نُفسره بالمعنى الإسلامي فيقول الشاعر: "وعيرني الواشون إني أحبها و ذلك ذنبٌ لستُ منه أتوب" ، إذا عير الواشون بأنه يُحبها -إمرأته و أم أولاده- و هل يمكن أن يتوب من هذه المحبة؟ كيف يتوب؟ لا يمكن ، كذلك إذا عيرك المعطل بأنك مُشبه و بأنك مُحسَم يجب أن تعلن بأن هذا ذنبٌ لستُ منه تتوب أبداً ، بسط السر على هذا الذنب ، هذا ذنبٌ يجب الإصرار عليه إن كان ذنباً ، و

¹ (انقطاع الصوت في الشريط)

هَذَا يُعَبِّرُ عَنْ مَدَى ثُبُوتِ أُيْمَتِنَا عَلَى عَقِيدَتِهِمْ وَ عَدَمِ الْجُبْنِ بَلْ لَيْسَ مَوْقِفُهُمْ مَوْقِفَ الْمَدَافِعِ الضَّعِيفِ فَقَطْ بَلْ يُدَافِعُونَ وَ يُهَاجِمُونَ مَنْ يُهَاجِمُ الْعَقِيدَةَ وَ مَنْ يُهَاجِمُ الْعَقِيدَةَ يَحِبُّ أَنْ يُهَاجِمَ , لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ الْإِنْسَانُ مَوْقِفَ الْمَدَافِعِ الضَّعِيفِ عِنْدَ بَابِهِ بَلْ يُهَاجِمُ الَّذِينَ يَتَّهِمُونَ نُصُوصَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةَ بِالْجَفَافِ الْيَوْمَ , وَ يَلْبِسُونَ عَلَى النَّاسِ بِأَنَّ شَبَابَ الْمُسْلِمِينَ زَهْدُوا فِي هَذِهِ الْكُتُبِ فِي كُتُبِ الْعَقِيدَةِ الْمُنْتَشِرَةِ الْآنَ فِي الْعَالَمِ الَّتِي كَانَتْ مُنْتَشِرَةً فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ فَقَطْ فَإِذَا هِيَ الْيَوْمَ مُنْتَشِرَةٌ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ تَجَاوَزَتْ حُدُودَ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ وَ الْإِسْلَامِيَّةِ مَعَ هَذَا كُلِّهِ إِذَا زَعَمَ زَاعِمٌ بِأَنَّهَا فِيهَا جَفَافٌ وَ أَنَّ الشَّبَابَ زَهْدُوا فِيهَا مِثْلُ هَذَا يَحِبُّ أَنْ يُهَاجِمَ وَ يُبَيِّنَ أَنَّهُ جَاهِلٌ وَ أَنَّهُ مُلْحِدٌ لِأَنَّ مَنْ يُحَارِبُ الْعَقِيدَةَ مُلْحِدٌ , لَا يَنْبَغِي اللَّيْنُ وَ لَا يَنْبَغِي اللَّيْنُ مَعَهُ وَ لَا يَنْبَغِي الْجُبْنُ أَمَامَهُ بَلْ يُهَاجِمُ وَ تُبَيِّنُ حَقِيقَتَهُ وَ هَكَذَا كُلٌّ مِنْ فَعَلَ مِثْلَ فَعِلَةٍ , نَعَمْ .

القارئ: قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ -الله- تَعَالَى - (فصل: وأما المثالان المضروبان: فإن الله - سبحانه وتعالى - أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات، من أصناف المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمسكن، فأخبرنا أن فيها لبنًا وعسلًا وخمرًا وماءً ولحمًا وفاكهة وحريرًا وذهبًا وفضة وحرورًا وقصورًا , وقد قال ابن عباس رضي -الله- عنهما: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها، هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا، وليست مماثلة لها، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى - فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينةً للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق. وهذا بيّن واضح.)

الشيخ: قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -الله- تَعَالَى - بَعْدَ أَنْ انْتَهَى مِنْ بَيَانِ الْأَصْلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ إِنْتَقَلَ إِلَى بَيَانِ الْمُثَلِّينِ الْمَضْرُوبَيْنِ لِإثْبَاتِ مُبَايَنَةِ الرَّبِّ -سبحانه وتعالى- فِي ذَاتِهِ وَ أَسْمَائِهِ وَ

صِفَاتِهِ وَ أَفْعَالِهِ لِجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ فَهُوَ مُبَايِنٌ لَهُمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ , بَلْ فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَ مُبَايِنٌ لِحَلْقِهِ وَ مُبَايِنٌ لَهُمْ فِي صِفَاتِهِ وَ أَسْمَائِهِ وَ أَفْعَالِهِ , لَيْسَتْ صِفَاتُهُ كَصِفَاتِ خَلْقِهِ وَ لَا أَسْمَاؤُهُ وَ لَا أَفْعَالُهُ .

يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ الشَّيْخُ بِالْمَثَلِينَ الْمَضْرُوبِينَ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ (وَأَمَّا الْمَثَلَانِ الْمَضْرُوبَانِ: فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَخْبَرَنَا) فِي كِتَابِهِ (عَمَّا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، مِنْ أَصْنَافِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَنَاحِكِ وَالْمَسَاكِنِ , فَأَخْبَرَنَا أَنَّ فِيهَا لَبَنًا وَعَسَلًا وَخَمْرًا وَمَاءً وَلَحْمًا وَفَاكِهَةً وَحَرِيرًا وَذَهَبًا وَفُضَّةً وَحُورًا وَقُصُورًا) كُلُّ هَذَا فِي الْجَنَّةِ , وَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الدُّنْيَا , هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مَوْجُودَةٌ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ فِي الدُّنْيَا , الْمُسَمَّيَاتِ مَوْجُودَةٌ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ , لَكِنْ الْإِتِّفَاقُ بَيْنَ مَوْجُودِ الدُّنْيَا وَ مَوْجُودِ الْآخِرَةِ اتِّفَاقٌ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ , إِتِّفَاقٌ فِي الْإِسْمِ وَ لَكِنْ حَقِيقَةُ مَوْجُودِ الْآخِرَةِ غَيْرُ حَقِيقَةِ مَوْجُودِ الدُّنْيَا , وَ تَأْوِيلُ مَوْجُودِ الْآخِرَةِ لَا يُعْلَمُ الْآنَ , وَ إِنَّمَا يُعْلَمُ بَعْدَ الْمَشَاهِدَةِ وَ إِلَّا كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ -الله- عَنْهُمَا (لَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ) الْأَسْمَاءُ كَالْمَاءِ وَ اللَّبَنِ وَ الْعَسَلِ وَ الْخَمْرِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ , يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ مُعَلِّقًا عَلَى أَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا وَ الْأَثَرُ مَوْجُودٌ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ وَ صَحِيحٍ (فَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْحَقَائِقُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهَا) مِنْ مَاءٍ وَ لَبَنٍ وَ خَمْرٍ وَ عَسَلٍ وَ مَا عُطِفَ عَلَيْهَا , (هِيَ مُوَافِقَةٌ) إِذَا كَانَتْ هِيَ مُوَافِقَةً فِي الْأَسْمَاءِ (لِلْحَقَائِقِ الْمَوْجُودَةِ فِي الدُّنْيَا) مُوَافِقَةٌ فِي الْأَسْمَاءِ , (فَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْحَقَائِقُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهَا، هِيَ مُوَافِقَةٌ) مَفْعُولٌ كَانَتْ (هِيَ مُوَافِقَةٌ) عَقْوًا خَبَرَ كَانَتْ , (هِيَ مُوَافِقَةٌ فِي الْأَسْمَاءِ لِلْحَقَائِقِ الْمَوْجُودَةِ فِي الدُّنْيَا) فِي الْأَسْمَاءِ فَقَطْ , (وَلَيْسَتْ مِمَّا لَهَا) لَيْسَتْ مِثْلَهَا , تِلْكَ أَشْيَاءٌ وَ هَذِهِ أَشْيَاءٌ , (بَلْ بَيْنَهُمَا مِنَ التَّبَايُنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى) بَيْنَ مَاءِ الْجَنَّةِ وَ مَاءِ الدُّنْيَا وَ لَبَنِ الْجَنَّةِ وَ لَبَنِ الدُّنْيَا مِنَ التَّبَايُنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ , إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِمَوْجُودِ الدُّنْيَا وَ مَوْجُودِ الْآخِرَةِ. كُلُّهَا مَخْلُوقَاتُ (فَالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) أَعْظَمُ مَبَايِنَةً لِّلْمَخْلُوقَاتِ مِنْ مُبَايِنَةِ الْمَخْلُوقِ لِّلْمَخْلُوقِ , وَمَبَايِنَتُهُ لِمَخْلُوقَاتِهِ أَعْظَمُ مِنْ مَبَايِنَةِ مَوْجُودِ الْآخِرَةِ لِمَوْجُودِ الدُّنْيَا) مِنْ مُبَايِنَةِ مَاءِ الْآخِرَةِ لِمَاءِ الدُّنْيَا , خَمْرِ الْآخِرَةِ لِحَمْرِ الدُّنْيَا , عَسَلِ الْآخِرَةِ لِعَسَلِ الدُّنْيَا , (إِذَا الْمَخْلُوقُ) وَ إِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ (أَقْرَبُ إِلَى

المخلوق الموافق له في الاسم) هذه خمر و تلك خمر , هذا لبن و ذاك لبن , (إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق . وهذا بيّن واضح.) لِنُقَرِّبَ مثلاً هذه المِائِنَةَ يقول -الله تعالى- (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن) توجد في الدنيا أنهار و أنهار كثيرة و غزيرة , غَزِيرَةٌ مَائُهَا و صَافِي لَكِنْ وَضِعُ الْأَنْهَارِ غَيْرَ وَضِعِ الْأَنْهَارِ , حَقِيقَةُ الْمَاءِ غَيْرَ حَقِيقَةِ الْمَاءِ , و هناك ما هو أَغْرَبُ (و أنهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّر طَعْمُهُ) و هل توجد في الدنيا أنهار. نَهْرٌ , لَوْ جَمَعْنَا أَلْبَانَ الدُّنْيَا هَلْ مُمَكِّن أَنْ نُكَوِّنَ نَهْرًا وَاحِدًا مَوْصُوفٌ بِهَذَا الْوَصْفِ؟ لا , إِذَا مِنْ حَيْثُ الْكَمِيَّةُ وَ مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةُ اللَّبَنُ غَيْرُ اللَّبَنِ , وَ أَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ (وأنهار من خمرٍ لَدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) أنهار من خمر , مِنْ أَيْنَ صُنِعَتْ هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ؟ نَعْلَمُ خَمْرَ الدُّنْيَا مِنْ أَيْ شَيْءٍ تُصْنَعُ لَكِنْ خَمْرُ الْآخِرَةِ مِنْ أَيْ شَيْءٍ صُنِعَتْ؟ ثُمَّ أَنْهَارٌ , ثُمَّ وَصَفَهَا اللَّهُ لَدَّةً وَ لَمْ يَثُلْ لَدِيدَةً , قَالَ لَدَّةٌ , فَرَقَ بَيْنَ لَدِيدٍ وَ بَيْنَ لَدَّةٍ , رَجُلٌ عَدْلٌ أُبْلَغُ مِنْ رَجُلٍ عَادِلٍ , لَدَّةٌ لِلشَّارِبِينَ. شُفَّ الْفَرْقُ الْعَظِيمُ , خَمْرُ الدُّنْيَا خَبِيثًا كَرِيهًا مَعَ قَلْبَتِهَا , هُنَاكَ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ. كَمِيَّةٌ هَائِلَةٌ وَ لَدَّةٌ , الْفَرْقُ وَاضِحٌ , هَذَا كَلَامُ اللَّهِ , وَ هُنَاكَ شَيْءٌ غَرِيبٌ أَيْضًا (وأنهار من عسلٍ مُصَفًّى) عَسَلٌ. مَا هُوَ الْعَسَلُ عِنْدَنَا؟ هَذِهِ الْمَادَّةُ اللَّذِيذَةُ عِبَارَةٌ عَنْ رِيْقٍ. رِيْقُ الزَّنَابِيرِ , مِنْ رِيْقِ الزَّنَابِيرِ تَتَكَوَّنُ أَنْهَارٌ ! وَ النَّاسُ تَجْمَعُ بِكَيْلِهِ وَ كَيْلَوْنِ , عِلْبَةٌ. عِلْبَتَيْنِ؟ , وَ هُنَاكَ أَنْهَارٌ , إِذَا لَيْسَتْ مِنْ نَوْعِ هَذَا الرِّيقِ. شَيْءٌ آخَرُ , وَ لَكِنَّ الْإِسْمَ هُوَ الْإِسْمُ , مِنْ هُنَا تَبَيَّنَ مَدَى مُبَايَنَةِ مَوْجُودِ الْآخِرَةِ لِمَوْجُودِ الدُّنْيَا , بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ هَذِهِ النَّعْمَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ (وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ. تِلْكَ الثَّمَرَاتُ لَيْسَتْ كَهَذِهِ الثَّمَرَاتِ , سُبْحَانَ الْخَالِقِ وَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ يُتَوَجَّعُ اللَّهُ هَذَا الْإِنْعَامَ بِقَوْلِهِ (وَمَغْفِرَةً مِنْ رَبِّهِمْ) مَغْفِرَةٌ. بَعْدَ التَّنَعُّمِ بِهَذِهِ النَّعْمِ وَ غَيْرِهَا مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ. يُتَوَجَّعُ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْمَغْفِرَةِ وَ الرِّضَى بِحَيْثُ لَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا , تِلْكَ هِيَ الدَّارُ الْآخِرَةُ , إِذَا مَا فِي تِلْكَ الدَّارِ مَبَايِنٌ لِمَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَ إِنْ اتَّفَقَتْ الْأَسْمَاءُ , إِذَا تَبَيَّنَتِ الْمُبَايَنَةُ بَيْنَ مَخْلُوقٍ وَ مَخْلُوقٍ , هَذِهِ الْمُبَايَنَةُ ظَاهِرَةٌ , إِذَا كُنَّا لَا نَتَصَوَّرُ الْآنَ حَقِيقَةَ تِلْكَ النَّعْمِ لَكِنَّ الشَّيْءَ الْوَاضِحَ مِنْ حَيْثُ الْكَمِيَّةِ , الْمُبَايَنَةُ وَاضِحَةٌ مِنْ حَيْثُ الْكَمِيَّةِ أَوَّلًا ,

و أما تأويلها فإمّا يُعَلَّمُ كَمَا قَلْنَا بَعْدَ الْمَشَاهِدَةِ ، إِمَّا ثَبَتَ بِخَبَرِ اللَّهِ أَنَّ مَا بَيْنَ مَوْجُودِ الدُّنْيَا وَ مَوْجُودِ الْآخِرَةِ مُبَايَنَةٌ عَظِيمَةٌ جَدًا ، فَإِذَا كَانَتِ الْمُبَايَنَةُ ثَبَتَتْ بَيْنَ مَخْلُوقٍ وَ مَخْلُوقٍ ، مُبَايَنَةٌ لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا إِلَّا اللَّهُ فَمُبَايَنَةُ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ فِي ذَاتِهِ وَ أَسْمَاءِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ أَعْمَالِهِ أَبَيِّنٌ وَ أَوْضَحُ وَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ ذَلِكَ ، هَذَا مَا يُرِيدُ أَنْ يُوضَّحَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- نَعَمْ .

القارئ: قال المصنّف رحمه -الله تعالى- (ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق: فالسلف والأئمة وأتباعهم: آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة، وإن مباينة الله لخلقه أعظم ، والفريق الثاني: الذين أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب، ونفوا كثيراً مما أخبر به من الصفات، مثل طوائف من أهل الكلام: المعتزلة ومن وافقهم ، والفريق الثالث: نفوا هذا وهذا، كالقرامطة الباطنية والفلاسفة أتباع المشائين، ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر.)

الشيخ: قال الشيخ رحمه -الله تعالى- لِيُبَيِّنَ افْتِرَاقَ النَّاسِ فِي مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ ، مِنَ النَّاسِ مَنْ آمَنَ . إِفْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ (فالسلف والأئمة وأتباعهم) السَّلَفُ هُنَا طَالَمَا عَطَفَ عَلَيْهِمُ الْأَئِمَّةُ ، وَ الْإِئِمَّةُ إِذَا أُطْلِقُوا. الْأَئِمَّةُ الْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالْإِمَامَةِ كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَ مَنْ فِي طَبَقَتِهِمْ ، هَؤُلَاءِ أَكْثَرُهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ ، إِذَا السَّلَفُ: الصَّحَابَةُ وَ التَّابِعُونَ أَوْ الصَّحَابَةُ لِتَشْمَلَ كَلِمَةُ الْأَئِمَّةِ أَئِمَّةَ التَّابِعِينَ وَ تَابِعِي التَّابِعِينَ ، وَعَلَى كُلِّ فَالسَّلَفِ وَ الْإِئِمَّةِ وَ أَتْبَاعُهُمْ أَتْبَاعُ الْأَئِمَّةِ وَ أَتْبَاعُ السَّلَفِ مَعًا آمَنُوا وَ لَكِنْ لِمَا يُؤَسَفُ لَهُ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ فِي الْآوَنَةِ الْآخِرَةِ بَعْدَ دُخُولِ عِلْمِ الْكَلَامِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَنْ خَالَفَ الْإِئِمَّةَ ، مِنْ أَتْبَاعِهِمْ مَنْ خَالَفَ الْأَئِمَّةَ مَعَ تَعْصِبِهِمْ لَهُمْ فِي الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ الَّتِي تَحُوزُ فِيهَا الْمَخَالَفَةُ ، الْفُرُوعُ الْفَقْهِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَطْرُحُ الْإِجْتِهَادِ يَجُوزُ الْاِخْتِلَافُ فِيهَا وَقَدْ اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ فِيهَا ، وَ الْاِخْتِلَافُ فِي هَذِهِ الْفُرُوعِ لَا يُعَدُّ اخْتِلَافًا فِي الدِّينِ ، الْاِخْتِلَافُ فِي الْمَسَائِلِ الْإِجْتِهَادِيَّةِ لَا

يُعتَبَرُ خِلَافًا فِي الدِّينِ ، الإِخْتِلَافُ فِي الدِّينِ الْمَذْمُومُ الإِخْتِلَافُ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَ فِي الْمَسَائِلِ الْمُنْصُوصِ عَلَيْهَا أَيْ مُخَالَفَةُ النَّصِّ وَ تَعَمُّدُ مُخَالَفَةِ النَّصِّ ، فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ أَكْثَرُ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْأَشْعَرِيَّةِ مِنْ أَتْبَاعِ الْإِئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ فِي الْغَالِبِ الْكَثِيرُ وَ قَلِيلٌ مِنْ أَتْبَاعِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، الْأَشَاعِرَةُ أَيْ الَّذِينَ يَدِينُونَ بِعَقِيدَةِ الْأَشَاعِرَةِ تَجِدُ مِنْ حَيْثِ الْإِنْتِسَابِ الْفَقْهِي إِمَّا شَافِعِيٍّ أَوْ مَالِكِيٍّ أَوْ حَنَفِيٍّ مَا تُرِيدِي أَوْ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ الْحَنَابِلَةِ يُعَدُّونَ عَلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ لِأَنَّ الْحَنَابِلَةَ اتَّبَاعًا لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ هُمْ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ السَّلَفَ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَقُولُوا سَلَفِيًّا يَقُولُونَ حَنَابِلَةً. حَنَبَلِي. فُلَانُ حَنَبَلِي ، فُلَانُ حَنَبَلِي يُسَاوِي سَلَفِيٍّ أَثَرِي ، لِذَلِكَ يَقُلُّ جَدًّا مِنْ أَتْبَاعِ الْأَمَامِ أَحْمَدَ مِنْ تَأَثَّرَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ بِخِلَافِ أَتْبَاعِ الْإِئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ ، فَالسَّلَفُ وَ الْإِئِمَّةُ وَ أَتْبَاعُهُمْ قَلَّةٌ مَنْ تَأَثَّرَ أَحْيَا كَمَا قُلْنَا (آمَنُوا بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ) فَاتَّبَعُوا لَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَ آمَنُوا بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ (عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِالْمُبَايَنَةِ الَّتِي بَيْنَ مَا فِي الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا فِي الْآخِرَةِ ، وَإِنْ مَبَايَنَةُ اللَّهِ لَخَلْقُهُ أَعْظَمُ) هَذَا مِنْهُجُ السَّلَفِ الْإِئِمَّةِ وَ أَتْبَاعِ الْإِئِمَّةِ غَيْرِ الَّذِينَ انْحَرَفُوا وَ تَأَثَّرُوا بِعِلْمِ الْكَلَامِ ، هَذَا فَرِيقٌ ، (الْفَرِيقُ الثَّانِي: الَّذِينَ أَتَّبَعُوا مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ) أَيْ يُؤْمِنُونَ بِشُؤْنِ الْمَعَادِ تَمَامًا (وَنَفَوْا كَثِيرًا مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ ، مِثْلَ طَوَائِفِ مَنْ أَهْلُ الْكَلَامِ: الْمُعْتَزِلَةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ) الْأَشَاعِرَةُ خَيْرٌ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِشُؤْنِ الْمَعَادِ أَيْ الْأَشَاعِرَةُ لَمْ يُخَالِفُوا أَهْلَ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةَ. السَّلَفُ وَ الْإِئِمَّةُ وَ أَتْبَاعُهُمْ بِالنِّسْبَةِ لِشُؤْنِ الْمَعَادِ. بِالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَ مَا بَعْدَ الْبَعْثِ حَتَّى يَسْتَقَرَّ الْعِبَادُ إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَ إِمَّا فِي النَّارِ ، وَافَقُوا أَهْلَ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةَ فِي هَذَا وَ لَكِنْ الْمُعْتَزِلَةُ لَمْ يُؤْمِنُوا لَمْ يُؤْمِنُوا بِكُلِّ شَيْءٍ. أَنْكَرُوا الشَّفَاعَةَ أَوْ بَعْضَ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَةِ. يُنْكِرُونَ ، أَيْ هُمْ تَحَبُّطَاتٌ فِي شُؤْنِ الْمَعَادِ لَيْسُوا كَالْأَشَاعِرَةِ ، هَذَا هُوَ السِّرُّ فِي أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ كَثِيرًا مَا يَشْهَدُ لِلْأَشَاعِرَةِ بِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ لِأَنَّهُمْ سَلِمُوا فِي هَذَا الْبَابِ سَلَامَةً تَامَةً وَ لَمْ يَقُولُوا لَا فِي الشَّفَاعَةِ وَ لَا فِي الْحَوْضِ وَ لَا فِي أَيِّ شَيْءٍ مِنْ شُؤْنِ الْمَعَادِ مَا يُخَالِفُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَ

الجماعة , كذلك خالفوا في قول المعتزلة بأنه يجب على الله أن يفعل الأصلح فالأصلح و أنه إذا أدخل أهل الكبائر النار لا يجوز له أن يخرجهم بل يجب أن يخلدوهم¹ , و أما الأشاعرة فوافقوا أهل السنة في هذا فخالفوا المعتزلة لذلك يقول قائلهم: "و ليس على الله حق واجب كلاً و لا سعي لديه ضائع إن عذبوا فبعدله أو نعيموا فبفضله و هو الكريم الواسع" , هذا الكلام يوافق منهج أهل السنة و الجماعة لذلك فلتنهأ الأشاعرة في هذا الباب لأنهم وافقوا تماماً أهل السنة و الجماعة ولكن ليس معنى ذلك نشهد لهم أنهم أهل السنة و الجماعة. على مثل هذا فاشهد , لا نشهد هذه الشهادة , بعد أن قالوا في القرآن قول المعتزلة بأنه مخلوق و بعد أن قالوا في علو -الله تعالى- و استوائه على عرشه: ليس فوق العرش و لا تحت العرش و لا عن يمينه و لا عن شماله , بعد هذا كله من الصعوبة بمكان. إذا أضفنا إلى ذلك جميع الصفات الخبرية الفعلية و الداتية الشهادة لهم بأنهم من أهل السنة و الجماعة , لكن خير شهادة ما شهد به الخير بهم الذي ناظرهم و داخلهم و نازلهم الإمام ابن تيمية الذي شهد لهم في غير موضع من كتبه بأنهم أقرب إلى منهج أهل السنة و الجماعة , هذا هو الإنصاف , (والفريق الثالث: نفوا هذا وهذا) نفو ما أخبر الله به عن نفسه و نفو ما أخبر الله به عن اليوم الآخر بل أولوا حتى الأحكام كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله , و نكتفي بهذا المقدار و صلى الله و سلم و بارك على نبينا محمد و على آله و صحبه

¹ (انقطاع الصوت بالشریط)

الدرس رقم : 11

القارئ: (ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق: فالسلف والأئمة وأتباعهم: آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة، وإن مباينة الله لخلقه أعظم، والفريق الثاني: الذين أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب، ونفوا كثيراً مما أخبر به من الصفات، مثل طوائف من أهل الكلام: المعتزلة ومن وافقهم، والفريق الثالث: نفوا هذا وهذا، كالقرامطة الباطنية والفلاسفة أتباع المشائين، ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر.

ثم إن كثيراً منهم يجعلون الأمر والنهي من هذا الباب، فيجعلون الشرائع المأمور بها، والمحظورات المنهي عنها، لها تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها، كما يتأولون الصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، وحج البيت، فيقولون: إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم، وإن صيام شهر رمضان كتمان أسرارهم، وإن حج البيت السفر إلى شيوخهم، ونحو ذلك من التأويلات التي يعلم بالاضطرار أنها كذب وافتراء على الرسل صلوات الله عليهم، وتحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه، وإلحاد في آيات الله.

وقد يقولون: إن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة، فإذا صار الرجل من عارفيهم ومحقيهم وموحيديهم رفعوا عنه الواجبات، وأباحوا له المحظورات.

وقد يوجد في المنتسبين إلى التصوف والسلوك من يدخل في بعض هذه المذاهب.

وهؤلاء الباطنية الملاحدة أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى.)

الشيخ: بَسْنِ ، الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- (ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق) افتراق الناس في ما أخبر الله به عن نفسه من صفات الكمال و أخبر به رسول الله صلى الله عليه و سلم و في ما أخبر عن اليوم الآخر ، في هذين البابين افترق الناس الى

ثلاث فرق , فالسلف و هم الصحابة و التابعون و الائمة. الائمة المشهود لهم بما في ذلكم الائمة الاربعة و من في طبقتهم و اتباعهم أي جمهور أتباع الائمة الاربعة أو جمهور اتباع السلف آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه و عن اليوم الآخر مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا و بين ما في الآخرة و أنّ مباينة الله لخلقهِ أعظم , و أما السلف فلا خلاف بينهم في هذا و الائمة ايضا , الائمة الأربعة و غيرهم من ائمة المسلمين المشهود لهم بالامامة لا خلاف بينهم و لكن في اتباع الائمة من خالف الائمة و السلف جميعا و اتبع طريق اهل الكلام كما هو معروف في اتباع الائمة الثلاثة خصوصا ابي حنيفة و مالك و الشافعي , كثير من الذين ينتسبون الى هؤلاء الائمة خالفوا الائمة في هذا الباب و خصوصا في باب الاسماء و الصفات , و ان كان يوافقونهم في امور الآخرة كما وافقوهم و تعصبوا لهم في الفروع الفقهية لكن خالفوهم في الغالب الكثير في باب الاسماء و الصفات منهم من اعتزل¹ و قليل منهم , و أكثرهم من ذهب مذهب الاشعرية الكلائية و منهم من ذهب مذهب الماتريدية و هما كشيء واحد , (والفريق الثاني: الذين أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب، ونفوا كثيرا مما أخبر به من الصفات مثل طوائف من أهل الكلام: المعتزلة ومن وافقهم) , المعتزلة نفّو جميع الصفات ليس البعض و ليس الأكثرية بل نفو جميع الصفات و لم يثبتوا شيئا من الصفات الا الاسماء المجردة التي لا تدلّ على الصفات , الذين فرقوا بين الصفات كما هو معلوم هم الاشاعرة و الماتريدية , و أمّا غلاة أهل الكلام فقد تقدم الكلام فيهم , إنهم لا يثبتون الصفات و الاسماء معا .

(والفريق الثالث: نفوا هذا وهذا) لم يُصدّقوا الله , لم يصدقوا خبر الله و خبر رسوله عليه الصلاة و السلام في باب الاسماء و الصفات و في أمور الآخرة , (كالقرامطة الباطنية) كالقرامطة و الباطنية مُمكن من باب عطف العام على الخاص , لأنّ القرامطة من الباطنية و هناك باطنية غير القرامطة , الباطنية أصناف. فرّق , باطنية الصوفية , باطنية أهل الكلام و

¹ (قلت أي أبو عبدالله العربي الجزائري : لا أدري هل قال الشيخ إعتزل أو قال إعتدل)

باطنية الفلاسفة و هم فرقة كثيرة إلا أن الباطنية اذا اطلقت عند الناس ينصرف الذهن إلى الذين يثبتون للكتاب و السنة ظاهرا و باطنا و هم باطنية الصوفية الذين يزعمون ان للكتاب و السنة ظاهرا و باطنا , و أن الظاهر للفقهاء. لعلماء الشريعة , و الباطن لأهل الحقيقة , هم يفرقون الدين أو يقسمونه إلى شريعة و حقيقة , و الشريعة و الفقهاء لأهل الظاهر في زعمهم و الحقيقة هم , و هذا تقسيم باطل , الدين واحد , القول بأن للدين ظاهر و باطن و تفسير ذلك الباطن بما لا يعلمه إلا العارفون في زعمهم و الواصلون إلى الله في زعمهم و مؤخّذوهم , هذا اعراض عما جاء به رسول الله صلى -الله- عليه و سلم و سخرية بالاسلام و ايثار لآراء و أفكار على ما جاء به رسول الله صلى -الله- عليه و سلم , و الفلاسفة أتباع المشائين هم أتباع أرسطو لكن عرفوا بالمشائين نسبة إلى شيخهم و استادهم الذي يتفلسف في اثناء إلقاء الدرس على تلاميذه يتمشى بهم في الحديقة مثلا و يلقي الدرس وهم يمشون حوله ليتلقوا عنه الدروس و العلوم و سموا مشائين لهذا الغرض كما قيل .

(والفلاسفة أتباع المشائين، ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر.) كل ما أخبر الله به عن نفسه ليس بحقيقة بل هو مجاز , الصفات كلها في حق -الله تعالى- مجاز و في حق المخلوق حقائق , و ما أخبر به الرب - سبحانه و تعالى- عن اليوم الآخر ليست بحقائق , هذه أمور أخبرت الرسل الجمهور ليستمليوهم و ليست لهم حقيقة , هكذا أخذوا و هكذا كفروا بما جاءت به الرسل , ثم ان كثيرا منهم يجعلون الأمر و النهي من هذا الباب , أي إن الأوامر و التواهي ليست على حقيقتها كلها مؤولة , فيجعلون الشرائع المأمور بها من الواجبات و المندوبات و المحظورات المنهي عنها من المحرمات و المكروهات و كل ما نهى الله عنه لها تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها , و ما يعرفون المسلمون من المأمورات و المحظورات هذا ما يقوم به الجمهور , من عداهم جمهور و عوام في نظرهم أما هم و هم الخاصة و فيهم خاصة الخاصة هم تأويلات , الشرائع كلها تؤول , من هنا تعلمون ما تقوله الصوفية العادية من تقسيم الناس إلى العامة و الخاصة و خاصة الخاصة , تمهيد لهذا الكفر و إن لم يصلوا إلى هذا الكفر

, حتى الذكر عندهم يُقَسِّمُونَهُ. الأذكارُ مَقْسُومَةٌ عِنْدَ الصوفية , ذِكْرُ الْعَامَّةِ وَ ذِكْرُ الْخَاصَّةِ وَ ذِكْرُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ , أَعْظَمُ كَلِمَةٌ كَلِمَةُ "لا اله إلا الله" عِنْدَهُمْ هَذَا ذِكْرُ الْعَامَّةِ , الذِّكْرُ الَّذِي أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الرِّسْلُ وَ أَتْبَاعُ الرِّسْلِ يُسَمُّونَهُ ذِكْرُ الْعَامَّةِ اسْتِخْفَافًا بِهَذَا الذِّكْرِ , وَ ذِكْرُ الْخَاصَّةِ عِنْدَهُمْ أَنْ يَذْكُرَ الْمَرْءُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ. لَفْظُ مُفْرَدٍ: "الله الله" , يُكْرَرُونَ هَذَا اللَّفْظَ , وَ رُبَّمَا يُحَوِّلُ اللَّهُ إِلَى "حَلِّ اللَّهِ" إِذَا حَمِيَ الْوُطَيْسُ فِي ذِكْرِهِمْ وَ حَضَرَتْهُمْ , يُسَمُّونَ "الْحَضْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ" وَ رُبَّمَا جَعَلُوا ضَمِيرَ الْعَيْبِ لِحَاصَّةِ الْخَاصَّةِ "هُوَ" "هُوَ..هُوَ" وَ أَخِيرًا يَتَحَوَّلُ إِلَى "حُو حُو" وَ هَذَا شَيْءٌ مُشَاهِدٌ الْآنَ , لَا نَتَحَدَّثُ عَمَّا وَقَعَ فِي عَهْدِ الْإِمَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَ لَكِنْ عَمَّا هُوَ وَاقِعٌ الْآنَ , وَهَذَا التَّقْسِيمُ الْآنَ وَاقِعٌ , مِنْ أَقْوَامٍ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ إِلَى الْعِبَادَةِ وَ الْإِكْتِسَارِ مِنْ ذِكْرِ -اللَّهُ تَعَالَى- بِهَذَا الْأَسْلُوبِ وَ بِهَذَا التَّقْسِيمِ , طَالَمَا بَدَّوْا فِي هَذِهِ الْخُطَّةِ مَعَ إِيْمَانِهِمْ بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ الْمَلْحَدَةِ الْكَافِرَةِ أَيْ تَأْوِيلَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَنْ نَفْسِهِ , مَعْنَى ذَلِكَ هُمْ مُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْكُفْرِ , وَ مَنْ يَصَدِّقُ الْكُفْرَ وَ لَا يَنْكِرُ الْكُفْرَ فَهُوَ كَافِرٌ , لِذَلِكَ الْأَمْرُ خَطِيرٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ لِاتِّبَاعِ الصُّوفِيَّةِ فَلْيَنْتَبِهُوا .

قال شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- جَعَلُوا لِلشَّرَائِعِ مِنَ الْمَمَامَاتِ وَ الْمَنْهِيَّاتِ تَأْوِيلَاتٍ بَاطِنَةً تَخَالِفُ مَا يَعْرِفُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا , كَمَا يَتَأَوَّلُونَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ حَجَّ الْبَيْتِ فَيَقُولُونَ: إِنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ مَعْنَاهَا مَعْرِفَةُ أَسْرَارِهِمْ , الضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الْمَقَامِ أَيْ مَعْرِفَةُ أَسْرَارِ شَيْوَحِهِمْ وَ كِبَرَائِهِمْ وَ أَنَّ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ كَتْمَانُ أَسْرَارِهِمْ بَعْدَ مَعْرِفَتِهَا , وَ أَنَّ حَجَّ الْبَيْتِ: السَّفَرُ إِلَى شَيْوَحِهِمْ , مَجَرَّدُ السَّفَرِ لَزِيَارَةِ الشُّيُوخِ أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتًا وَ الْحَجُّ بَدَلُ حَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ , الَّذِي يَبْدُو أَنَّ فِكْرَةَ التَّبْلِيغِيِّينَ جَعَلَ الْأَسْفَارَ عِبَادَةً وَ تَسْمِيَةَ الْأَسْفَارِ وَ التَّحَوُّلِ فِي الْعَالَمِ "خُرُوجٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" مَأْخُوذٌ مِنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ أَوْ تَمْهِيدٌ إِلَى هَذِهِ الْفِكْرَةِ , وَ إِلَّا مَتَى جَعَلَ الْإِسْلَامُ مَجَرَّدَ السَّفَرِ عِبَادَةً؟ السَّفَرُ أَقْسَامٌ: سَفَرُ طَاعَةٍ وَ سَفَرُ مَعْصِيَةٍ وَ سَفَرُ مَبَاحٍ , مَنْ سَافَرَ فِي مَبَاحٍ كَالْتِجَارَةِ فَسَفَرُهُ سَفَرٌ مَبَاحٍ قَدْ يَتَحَوَّلُ إِلَى الطَّاعَةِ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ , وَ سَفَرُكَ لَطَلَبِ الْعِلْمِ وَ لَزِيَارَةِ أَخٍ لَكَ فِي الْإِسْلَامِ , وَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَفَرٌ طَاعَةٍ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ , بِدُونِ تَحْدِيدٍ بِأَرْبَعِ سَاعَاتٍ أَوْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ أَوْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ أَوْ

أربع سنوات , بدون تحديد , و اما اعتبار مجرد السَّفر عبادة و خروج في سبيل الله ثمَّ تحديد هذا الخروج بهذه الأعداد بدعة شنيعة ربَّما تؤدي في النهاية الى هذه الفكرة فِكْرَة الباطنيين , فتكونُ العبادة: الأسفار و التجوُّل في العالم , و تشبه أيضا هذه الفكرة فِكْرَة البوذيين , البوذي إذا أراد أن يقضي على نفسه كما يزعم و يكسِر نفسه يترك أمواله و لو كان من الأغنياء , يترك أمواله و يأخذ عِلْبَة فيَتجوُّل في العالم فيَمُرُّ على الدكاكين و الحوانيت فيسعى فيَطْلُب , أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ مَنْ يَطْرُدُهُ و لا يُعْطِيهِ لَأَنَّ ذَلِكَ يَكْسِرُ قَلْبَهُ و يورثه التواضع , هذه مِلَّة جديدة, فِكْرَة جديدة غَيْر فِكْرَة الإسلام , كل هذه الأفكار تتجاوَب و تتفق على مُخَالَفَةِ ما جاءت به الرُّسُل و الزَّهْد في الدِّين الذي جاءت به الرُّسُل و الإتيان ببدع مُزَيَّنَة للناس ثم تسمي هذه البدع بأسماء محببة إلى الناس كالخروج في سبيل الله , فليُتَبَّه .

و نحو ذلك من التأويلات التي يُعلم بالاطِّرار أنَّها كَذِب و افتراء على الرسل صلوات الله و سلامه عليهم , و تحريف لكلام الله و رسوله عليه الصلاة و السلام عن مواضعه و الحاد في آيات الله تعالى و هو كلام بَيِّن لا يحتاج الى الشرح الكثير .

وقد يقولون إنَّ الشَّرَائِعَ تَلْزَمُ الْعَامَّةَ دُونَ الْخَاصَّةِ أَيْ يَقْرَوْنَ الشَّرَائِعَ دُونَ تَأْوِيلِ فِيثْبَتُونَهَا و لكنَّ الشَّرَائِعَ هَذِهِ تَلْزَمُ الْعَامَّةَ دُونَ الْخَاصَّةِ , فاذا صار الرجل من عارفيهم و هذا اسلوب خاصٌّ بهم. اصطلاح الصوفية: العارف بالله الواصل إلى الله , و كلمة العارف أولاً تبدأ بالشيخ , الشيخ عندهم شيخُ الطَّريقة , لَفْظَةُ الشَّيْخِ لا تُطْلَقُ عِنْدَهُمْ عَلَى الْعُلَمَاءِ. علماء الشريعة و لكن شيخُ الطَّريقة ثمَّ يتطور اللَّقْبُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَى الْعَارِفِ وَ لَعَلَّ الْوَاصِلَ بَعْدَ الْعَارِفِ , الْوَاصِلُ إِلَى اللَّهِ , الْوَاصِلُ بِالْتَّحْدِيدِ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيُّ الْمَارِقُ , الْمَارِقُ عَنِ الْإِسْلَامِ , لِأَنَّ مَعْنَى الْوَاصِلِ فِي زَعْمِهِمْ إِذَا وَصَلَ يَتْرُكُ جَمِيعَ الدِّينِ , الْمَأْمُورَاتِ وَ الْمَنْذُورَاتِ كُلَّهَا تَسْقُطُ , لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ. حَرْ طَلِيق , لا يقال في حق هذا حلال أو هذا حرام , سِرْكُ الْحَيَوَانَاتِ , وَ يُسَمَّوْنَ الْعَارِفِينَ وَ الْوَاصِلِينَ وَ الْمُحَقِّقِينَ , مَنْ الَّذِي حَقَّقُوا ؟ حَقَّقُوا الْكُفْرَ وَ الْإِلْحَادَ , لَمْ يَحَقِّقُوا شَيْئًا آخَرَ , وَ مُوَحِّدِيهِمْ وَحَدُّوا أَيْ شَيْءً وَحَدُّوا.؟ هكذا تغيير المفاهيم , يسمون هذا الإلحاد توحيدا , بدأت الفكرة من عند تسمية المعتزلة نفْي الصِّفَات: التوحيد , من

الأصول الخمسة عند المعتزلة: التوحيد , التوحيد مُفسَّرًا بنفي الصفات و يُسمون: العدل , من أصولهم العدل , العدل: الإيجاب على الله أن يفعل الأصلح فالأصلح للعباد , و أن يُدخل المطيعين الجنة و العصاة النار , حتى إذا دخل أصحاب الكبائر النار لا يخرجون , بل يُخلَّدون , هكذا بدأ تغيير مفاهيم ما جاءت به الرُّسل , و انتهى الأمر إلى تسمية هذا الالحاد و الاعراض عمّا جاءت به الرسل وتخصيص الشرائع بالعوام الذين لم يصلوا إلى هذا الكفر و إبطاع¹ , إلى هذا الحد يصل الالحاد بالناس , و هؤلاء الباطنية كلهم معدودون الآن في جملة المسلمين الملايين لذلك الإسلام الرسمي اليوم أكثر من الإسلام الحقيقي , الإسلام الرسمي الذي يحملُه الإنسان في جيبه: الهوية , الديانة مُسلم , إذاً يحملُ الإسلام في جيبه , فهو ليس بمُسلم لأنه يحمل هذه الفكرة , من هؤلاء: الإسماعيلية , الاسماعيلية موجودة الآن و يأتون في الحج , يدخلون المسجدين و يقفون بعرفة على حساب الإسلام حُجَّاج , ما أكثر الحُجَّاج فيهمُ الاسماعيلية , الاسماعيلية من هؤلاء , من هذا القليل , من الباطنية , و في بلادهم المسلمون يعرفونهم هم معابد , معابدهم لا تدخلُ هناك أيّ إن المسلمين لا يدخلون معابدهم , تُعتبر كالكنائس تماما , و هم لا يدخلون مساجد المسلمين هناك في بلادهم حيث يعرفهم المسلمون و لكن يخرجون باسم الحج و باسم الزيارة حاملين اسلامهم في جيوبهم كما قلنا يحجون فيزورون فيعتمرون فيرجعون و هم زيّ معين خاص بالنّبة لمن يعرفهم. يُعرفون , هكذا وصل مفهوم الإسلام إلى هذه الدرجة عند كثير من المنتسبين إلى الإسلام .

يقول شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- و ما يتحدّث عنه شيخ الإسلام في القرن السابع و الثامن موجود الآن بكثرة , و بكثرة هائلة بالنسبة لمن يعرف فرق الناس و الطوائف المنتشرة في العالم , و قد يوجد في المنتسبين إلى التصوف و السلوك من يدخل في بعض هذه المذاهب فعلاً , كثير من الذين ينتسبون إلى التصوف و السلوك يدخلون في بعض هذه

¹ (هنا انقطاع للصوت بالشریط)

المذاهب و في ما يُشبه ذلك ، من مشايخ الصوفية مَنْ لا يُصَلِّي الصلاة في الظاهر ، يُصَلِّي في الباطن ، اذا كَانَ نَاءٍ في افريقيا في آسيا ، اذا دَخَلَ وقتُ الصَّلَاةِ تَوَجَّهَ الى القبلة و هو جالس و يُقَرَّبُ لَهُ ماءُ الوضوء في زَعْمِهِ يَتَوَضَّئُ و الناس لا يَرَوْنَ ، يَذْهَبُ فَيُصَلِّي في أحد المسجدين في الصف الاول بالتحديد ثم يعود و هو لَمْ يُغَادِرْ مَكَانَهُ ، و العامة تُصَدِّقُ ، و العجب كلَّ العجب وُجُودُ من يصدقون هؤلاء و هم يتعمدون هذا الكفر ، كَفَرُ يَتَعَيِّشُونَ بِهِ لَكِنْ وجود اتباع هؤلاء الملاحدة يُصَدِّقُونَهُمْ في وضوءهم في صلاتهم ، شخصٌ لَمْ يتحرك من مقامه و يصدقون بأنه قد ذهب و صلى في أحد المسجدين ثم رَجَعَ ، في أقصى افريقيا أو في آسيا ، هذا موجودٌ بكثرة و خصوصا في القارة الهندية و القارة الافريقية بكثرة جدا ، مِنْهُمْ مَنْ يَحْجُجُ بهذه الطريقة يَطِيرُ ، يَحْجُجُ فَيَعُودُ ، و الناس تُصَدِّقُ ، مِنْهُمْ يُعْلِنُ و يأمر أتباعه بالصلاة أمرا جازما من باب التَّمويه ، يقول: نحن قُئِمْنَا اللَّيْلِي و صُمْنَا النَّهَارَ فَوَصَلْنَا ، فَعَلَيْكُمْ ان تحتهدوا في العبادة ، يأمرهم بالعبادة و الاكثار من الصَّلوات و هو لا ! قَدْ سَقَطَتْ عَنْهُ .

يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- و هؤلاء الباطنية الملاحدة سواء كانوا من باطنية الصوفية أو باطنية الشيعة أو باطنية الفلاسفة قَدْ أَجْمَعَ المسلمون على أنهم أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ و النصارى و صرَّحَ شيخ الاسلام في بعض كتبه انَّ رَئِيسَ وحدة الوجود ابن عربي الطائفي أتى بكفرٍ لم تعرفه قريش ، كفار قريش لم يعرفوا الكفر الذي جاء به ابن عربي و مع ذلك الصَّوفية العادية تُعَظِّمُ هذا الرجل و يَسْعَوْنَ للوصول الى ما وَصَلَ اليه بدعوى انه سلطان العارفين و خاتمة الأولياء ، هذا موجودٌ في كتبهم و شيخ الاسلام صرَّحَ بكُفْرِهِ هَكَذَا ، لذلك كثير من الصوفية ليسوا براضين عن شيخ الاسلام لمثل هذا الموقف ، نعم .

القارئ: و قال رحمه -الله تعالى- (وما يحتج به أهل الإيمان والإثبات على هؤلاء الملاحدة يحتج به كل من كان من أهل الإيمان والإثبات على من يَشْرِكُ هؤلاء في بعض إلحادهم، فإذا أثبت الله تعالى الصفات، ونفى عنه مماثلة المخلوقات، كما دل على ذلك

الآيات البينات - كان ذلك هو الحق الذي يوافق المنقول والمعقول، ويهدم أساس الإلحاد والضلالات ، والله - سبحانه وتعالى - لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه، فإن الله لا مثل له، بل له المثل الأعلى، فلا يجوز أن يشترك هو والمخلوق في "قياس تمثيل" ، ولا في "قياس شمول" تستوي أفراده ، ولكن يُستعمل في حقه "المثل الأعلى" ، وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أَوْلَى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أَوْلَى بالتنزيه عنه، فإذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم، فالخالق أَوْلَى أن يُنزه عن مماثلة المخلوق، وإن حصلت موافقة في الاسم).

الشيخ: قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- و ما يحتج به أهل الايمان والاثبات و هم السلف و الأئمة و أتباعهم كما تقدم , على هؤلاء الذين سَبَقَ ذِكْرُ مذاهبهم يَحْتَجُّ به كل من كان من اهل الايمان و الاثبات على من يشرك هؤلاء في بعض الحادِهم , أي الدليل الذي يحتج به على الملاحدة جميعا , على من ألحد و نفى و لم يصدق خبر الله في ما اخبر عن نفسه و في ما اخبر عن اليوم الآخر. ما تحتج به على هؤلاء تحتج به على من يشاركهم في بعض الحادِهم و إن لم يلحد الحادا كاملا مثلهم , لأن كما تقدّم من الناس من يثبت ما أخبر الله به عن اليوم الآخر و ينفي الصفات كلها , أو ينفي الأسماء و الصفات او يفرق بين الصفات , تحتج على هؤلاء بما تحتج به على الملاحدة الذين كذبوا الحَبْرَيْن , الخبر عن الله و أسمائه و صفاته و الخبر عن اليوم الآخر , فاذا أثبت. إذا أثبت المرءُ الله -تعالى- الصفات كلّها كما جاءت دون أن يفرّق بين الصفات. و نفى عنه مماثلة المخلوقات في ما أثبت , يثبت لله صفات تليق بالله تعالى لَيْسَتْ مماثلة لصفات المخلوقات كما دلّ على ذلك أو كما دلّت على ذلك - جائز , الآيات البينات , يجوزُ تذكيرُ الفعل و التأنيث هنا لوجود الفاصل بين الفعل و الفاعل و لأنّ تأنيثَ الفاعل تأنيث غير حقيقي , كما دلّت على ذلك الآياتُ البينات - جائز , كان ذلك هو الحق الذي يوافق المنقول و المعقول , المنقول هو خبرُ الله و خبر رسوله عليه الصلاة و السلام و يسمّى الدليل النقلي و الدليل السمعي و

الدليل الخبري , و المعقول: ما يدرك الانسان بعقله و كما تقدم ان العقل السليم الصريح لا يخالف النقل الصحيح , و يهدم أساس الإلحاد و الضلالات , إنما يهدم هذا الأساس بالايمان بخبر الله و خبر رسوله عليه الصلاة و السلام و الله - سبحانه و تعالى - لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقِه , فإنَّ الله لا مثْلَ له , كيف تضربُ له الأمثال فإنه لا مثْلَ له , بلْ له "المثْل الأعلى" , المثل الأعلى: "الكمال المطلق" , الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد , فلا يجوز أن يشترك هو سبحانه و المخلوق في قياس تمثيل و لا في قياس شمول , قياس التمثيل هو المعروف عند الأصوليين بقياس العلة , قياس العلة المعروف عند الأصوليين و هو الاستدلال بجزئي على جزئي , الاستدلال بجزئي على جزئي , و إن شئت قلت: إلحاق فرع بأصلٍ بعلةٍ جامعة بينهما كإلحاق التبيذ بالخمير . بالخمير المعروفة عند نزول القرآن , كل ما يتجدد من ما يُسكر سواء كان مائعا أو جامدا يلحق بالخمير بجامع الاسكار , و هذا يسمى قياس تمثيل و يسمى قياس العلة عند الأصوليين , لا يستعمل هذا في حق الله تعالى أي لا يجعلُ الرب - سبحانه و تعالى - أصلا لفرع يلحق به الفرع , و لا يجعلُ الرب سبحانه و تعالى فرعا لأصل , لأنَّه لا مثيل له , لا يليق بالله تعالى ان يلحق به غيره بأن يجعلُ الرب سبحانه و تعالى أصلا و المخلوق فرعا , لأنَّ في ذلك تشبيه المخلوق بالخالق و العكس ايضا بأن تجعل المخلوق أصلا و الخالق فرعا لأنَّ في ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق , إذا قياس التمثيل لا يستعمل في حق الله مطلقاً لأنَّه لا يليق بالله اذ ليس له مثل , و قياس الشمول هو الاستدلال بكلي على جزئي , هذا قياس المناطقة أو المنطقيين , كأن يقال كل متغيّر حادث , فالعالم حادث بجميع أفرادِه , الدليل على حدوث العالم هذا التغيّر المشاهد في جميع افراد العالم , و العالم كل ما سوى الله , فلا يستدل بمثل هذا القياس على -الله تعالى- لأنَّه لا يدخلُ الرب سبحانه و تعالى مع أفراد هذا العالم في مثل هذا القياس حتى يكون فردا من افراد الكليات , كل ذلك مستحيل في حق الله تعالى لأنَّه لا يليق به و لكن يستعمل في حقِّه تعالى "المثل الأعلى" و هو "الكمال المطلق" فسره شيخ الاسلام بقوله و هو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال لا نقص فيه فالخالق أولى به , لأنَّ مُعطي

الكمال أولى بالكمال , الذي أعطى الكمال للمخلوق هو الله , اذًا هو أولى به , بالكمال الذي لا يشاركه فيه المخلوق , الكمال الذي أعطى المخلوق كمالًا نسبي ليس الكمال الحقيقي أو ليس الكمال المطلق , الكمال المطلق الذي لا مُشاركة فيه لله سبحانه كامل في حياته و هو الذي منح الخلق الحياة , كامل في علمه و هو الذي أعطى عباده شيئًا من العلم , علمًا يسيرًا و قليلًا , هذا المثل الأعلى , كل ما تنزّه عنه المخلوق من نقص فخالق أولى بالتنزيه عنه , العَمى و الصّم و غير ذلك هذا نقص , فاذا كان المخلوق منزّهًا عن مماثلة المخلوق , موجود الآخرة منزّه عن مماثلة مخلوق الدنيا. موجود الدنيا كما تقدّم , لا يُماثل موجود الآخرة أي ما في الدنيا من النعيم لا يُماثل موجود الدنيا و إن اتفق معه في الاسم , مع الموافقة في الاسم فخالق أولى أن يُنزّه عن مماثلة المخلوق أي مخلوق كان , و ان حصلت الموافقة في الاسم. ان حصلت بين الخالق و بين المخلوق في الاسم العام و في المعنى العام لابد من هذا القيد كما تقدّم غير مرّة , المشاركة إنّما تحصل بين الخالق و بين المخلوق في الاسم العام , في الصفة العامة , في المعنى العام قبل أن يحصل التخصيص. التخصيص بالله يحصل بالاضافة كعلم الله و سمع الله و حياة الله , بعد هذه الاضافة المخصصة لا مشاركة بين حياة الخالق و حياة المخلوق و سمع الخالق و سمع المخلوق , استواء الله - اذًا خُصّص الاستواء بالله سبحانه و تعالى بالاضافة هكذا لا تحصل المشاركة , نزول الله مجيئًا الله وجهه الله هذه الاضافة هي الاضافة المهمة جدًا لأنّ بها يحصل الفرق بين صفات الله تعالى و صفات المخلوق , كذلك إذا أُضيفت الصفة للمخلوق: علم زيد سمع زيد حياة زيد يُنزّه الربّ - سبحانه و تعالى - أن يشترك زيدًا في خصائص هذه الصفات , لأن صفات زيد ناقصة و حادثة حدوثه و مخلوقة كما أنّ زيدًا مخلوق كذلك , لذلك هذا الاشتراك أو الموافقة في الاسم التي ذكر الشيخ إنّما في الاسم العام أو في المعنى العام , نعم , نكتفي بهذا المقدار .

القارئ: أمّا بعد , قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (وهكذا القول في المثل الثاني - وهو الروح التي فيها، فإنها قد وصفت بصفات ثبوتية وسلبية، وقد أخبرت النصوص أنها تعرج

وتَصعد من سماء إلى سماء، وأنها تُقبض من البدن، وتُسل منه كما تُسل الشعرة من العجين ، والناس مضطربون فيها: فمنهم طوائف من أهل الكلام يجعلونها جزءاً من البدن، أو صفة من صفاته، كقول بعضهم: إنها النَّفْس أو الريح التي تتردد في البدن، وقول بعضهم: إنها الحياة، أو المزاج، أو نفس البدن ، ومنهم طوائف من أهل الفلسفة يصفونها بما يصفون به واجب الوجود عندهم، وهي أمور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجود، فيقولون: لا هي داخل البدن ولا خارجه، ولا مباينة له ولا مداخله له، ولا متحركة ولا ساكنة، ولا تصعد ولا تهبط، ولا هي جسم ولا عَرَض. وقد يقولون: إنها لا تدرك الأمور المعينة، والحقائق الموجودة في الخارج، وإنما تدرك الأمور الكلية المطلقة. وقد يقولون: إنها لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباينة له ولا مداخله. وربما قالوا: ليست داخله في أجسام العالم ولا خارجه عنها، مع تفسيرهم للجسم بما يقبل الإشارة الحسية، فيصفونها بأنها لا يمكن الإشارة إليها ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تُلحقها بالمعدوم والممتنع) .

الشيخ: بَسْ ، الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و امام المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين و بعد ، هذه المناقشة اليمانية لِيُثَبَّتَ بهذا الاسلوب كيفية الايمان بالله - سبحانه و تعالى - و اثبات اسمائه و صفاته ، و ذَكَرَ أولاً الاصلين. الاصلين اللذين لا بدّ منهما ، في الاصل الاول ناقش نفاة الصفات الذين يثبتون الذات و لا يثبتون الصفات ، فأثبتَ لَهُمْ بِالْأَدَلَّةِ العقلية أَنَّهُ كَمَا أُثْبِتَ الذَّاتَ يَلْزَمُهُ أَنْ يُثْبِتَ الصِّفَاتَ لِأَنَّ إيمانه بالذَّاتِ إيمانٌ اتبَاتٍ و ليسَ إيمانَ تكييفٍ ، و كذلك يجب الايمان بالصفة لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحدو حدوة ، ثم ناقش في الاصل الثاني المفرقين بين الصِّفَاتِ الذين يُؤْمِنُونَ ببعض الصِّفَاتِ و يُؤَوِّلُونَ البعض الآخر ، فأثبتَ لَهُمْ أَنَّ الكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر و لا يُفَرِّقُ بينهما عقلاً و شرعاً ، و تَوَسَّعَ شيخُ الاسلام رحمه - الله تعالى - في الاصلين الى مناقشة الذين يجمعون بين النقيضين أو يُحاولوا أن يرفعوا النقيضين فأثبتَ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ مستحيل عقلاً ، أي الذين

يحاولوا أن يقولوا: لا نقول إنه موجود أو غير موجود أو حي أو غير حي ، أو حي . لا حي و لا ميت ، الى غير ذلك من الكلام الذي لا يقبله اي عاقل بعد ان انتهى من مناقشة هؤلاء الفرق في الاصلين المذكورين إنتقل إلى المثليين ، ضرب لهم مثلا لا قناعهم بأن الانسان يضطر الى إثبات مباينة الرب - سبحانه و تعالى - لخلق ، لأنه أثبت لهم أن هناك مخلوقا موجودا في غير هذا العالم . في عالم آخر . في عالم الآخرة ، و هو موجود وجودا حقيقيا و لكنه يخالف موجود الدنيا ، هذا مخلوق و ذلك مخلوق فإذا ثبتت المباينة بين مخلوق و مخلوق فمن باب أولى أن تثبت المباينة بين الخالق و بين المخلوق ، وجود الآخرة موجود حقيقة و الاسماء تتفق في الغالب بين موجود الآخرة و بين موجود الدنيا لكن مع الاتفاق في الاسم . أثبت الله - سبحانه و تعالى - المباينة بين موجود الآخرة و موجود الدنيا بما سمعنا من الأمثلة ، ثم انتقل الى المثل الآخر و هو الروح ، الروح يُذكر و يُؤنث ، يُقال هذه الروح و هذا الروح ، الروح التي فينا و هي يكون الانسان به انسانا لأن الانسان مجموع الروح و الجسد ، لا يُقال للجسد وحده انسان كما لا يُقال للروح وحدها انسان ، و إنما مجموع الروح و الجسد ، هذه الروح التي فينا ، التي نتأكد بدون تردد في وجودها فينا و لكن لا ندري أين هي: في رؤوسنا في ارجلنا في أي مكان من أجسامنا !، ما كيفيتها و ما كنهها و ما حقيقتها ؟ لا نعلم ، و لكن نُؤمنُ ايمانا لا يُخالط شك بأن فينا الروح لأن الانسان كما قلنا لا يكون انسانا الا بالروح ، فاتها . إن هذه الروح قد وُصفت بصفات ثبوتية و صفات سلبية لها صفات ثبوتية و صفات سلبية وُصفت بالوصفين في الكتاب و السنة ، و قد أُخبرَت النصوص انها تعرج و تصعد من سماء الى سماء كما يأتي نفس ذلك في حديث البراء بن عازب ، و أنها تُقبض . تقبض من البدن و تسل منه كما تسل الشعرة من العجين ، هذه أوصاف ايجابية ثبوتية ، مع ذلك الناس مضطربون فيها ، فمنهم طوائف من اهل الكلام يجعلونها جزءا من البدن لم يجدوا لها تفسيرا الا ان يجعلوها جزءا من البدن كالرأس و الرجل ، او صفة من صفاته كالشجاعة و الجبن او الالوان ، كقول بعضهم انها النفس او الريح التي تتردد في البدن ، و قول بعضهم انها الحياة ، الحياة كلها ، لو قيل بها الحياة أقرب ، لكن قالوا

هي الحياة نفسها, او المزاج الطبيعية, او نفس البدن, اي البدن نفسه كل البدن , و منهم طوائف من أهل الفلسفة يصفونها بما يصفون به واجب الوجود سبحانه , واجب الوجود عندهم أي بما يصفون واجب الوجود عندهم في فهمهم و في أسلوبهم و هي امور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجود , فيقولون: لا هي داخل البدن و لا خارجة. لا هي داخل البدن و لا خارجة , أين هي؟ و لا مباينة له و لا مُداخلة , و لا متحركة و لا ساكنة و لا تصعد و لا تهبط و لا هي جسم و لا عرض , الجسم لهم تفاسير في الجسم و الأقرب: الجسم ما يقوم بنفسه , و العرض ما يقوم بغيره , لذلك يُسمون صفات الله تعالى أعراض , على كل و صفوا الروح بالصفات كما و صفوا -الله تعالى- بمثل هذه الصفات تماما , لأنهم قالوا في الله سبحانه و تعالى ليس هو داخل العالم و لا خارج العالم , لا مُتصِل و لا مُنفصل , بمثل هذه الصفات و صفوا الروح , وقد يقولون إنها لا تدرك أو لا تدرك الامور المعينة و الحقائق الموجودة في الخارج أي في خارج الذهن و انما تُدرك الامور الكلية المطلقة , الامور الكلية المطلقة لا وجود لها في الخارج أمر ذهني , وقد يقولون انها لا داخل العالم و خارجة و لا مباينة له و لا مُداخلة كما قالوا مثل ذلك في رب العالمين, وربما قالوا ليست داخلية في اجسام العالم و لا خارجة عنها , احتاروا حيرة و لم يهتدوا الى الصواب لان الصواب فيها ما قال الله و أمّا ترك كلام الله و ترك كلام الرسول صلى -الله- عليه و سلم و البحث عن حقيقة الروح خارج النص لا يزيدهم إلا حيرة , مع تفسيرهم للجسم بما يقبل الإشارة , قالوا: ليست داخلية في اجسام العالم و لا خارجة عنها , مع تفسيرهم للجسم بما يقبل الإشارة الحسية , هذا تفسير من تفاسير الجسم عندهم , الجسم ما يقبل الإشارة الحسية , فيصفونها بانها لا يمكن الإشارة اليها. الى الروح و نحو ذلك من الصفات السلبية التي تلحقها بالمعدوم و الممتنع, لا يستغرب منهم هذا اذا كانوا قد وصفوا -الله سبحانه و تعالى- بمثل هذه الصفات , نعم .

القارئ: (وإذا قيل لهم: إثبات مثل هذا ممتنع في ضرورة العقل , قالوا: بل هذا ممكن،

بدليل أن الكليات ممكنة موجودة، وهي غير مشار إليها ، وقد غفلوا عن كون الكليات لا توجد كلية إلا في الأذهان لا في الأعيان، فيعتمدون فيما يقولونه في المبدأ والمعاد على مثل هذا الخيال الذي لا يخفى فساده على غالب الجهال).

الشيخ: قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (إثبات مثل هذا ممتنع) الشيء الذي ليس داخل العالم و لا خارج العالم , لا داخل الجسم لا خارج الجسم الى آخره. هذا ممتنع في ضرورة العقل. اذا نوقشوا هكذا يكون جوابهم بل هذا ممكن بدليل: أن الكليات ممكنة و موجودة و هي غير مُشارٍ إليها و الروح مثل الكليات , غفلوا او تغافلوا عن كون الكليات لا تُوجد كليةً الا في الازهان, كل ما قيل إنها كلية او معنى عام او المطلق الكلي هذه أمور ذهنية لا وجود لها الا في الازهان, لو كانت في الخارج يمكن الاشارة اليها لكن هذه الكليات لا وجود لها الا في الذهن , ما في الذهن مطلق كلي لا يقبل الاشارة لانه غير موجود حقيقة و انما هو خيال يتخيله الذهن, استدلالهم بان الكليات موجودة و مع ذلك لا يشار اليها , اعتبر شيخ الاسلام هذا غفلةً منه , قد يكون غفلة و قد يكون تغافل عن كون الكليات لا توجد الا كليةً الا في الازهان و ما في الاعيان لا يسمى كليةً و لا مطلقة , فيعتمدون في ما يقولونه في المبدأ و المعاد أي في شؤون المعاد على مثل هذا الخيال الذي لا يخفى فساده على غالب الجهال , بل الجهال. اغلب الجهال يدركون ذلك ,ولكن بعض الجهال و من يلحقون بالجهال قد ينظلي عليهم مثل هذا الاسلوب و يحسبون انها حُجَج و ليست بحجج كما قال الخطابي: "حجج تهاوت كالزجاج تحالها و كل كاسر مكسور" , و ليست هناك حجج , الحجج في ما قال الله و في قال رسوله عليه الصلاة و السلام و في المعقول الذي يتصوره العقل الصريح السليم , أما من تلوث عقله و تغيرت فطرته و غلب عليه الهوى و التقليد لا يمكن ان يأتي بحجج مقنعة , نعم .

القارئ: قال (واضطراب النفاة والمثبتة في الروح كثير، وسبب ذلك أن الروح - التي

تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة - ليست هي من جنس هذا البدن، ولا من جنس العناصر والمولدات منها، بل هي من جنس آخر مخالف لهذه الأجناس، فصار هؤلاء لا يعرفونها إلا بالسلوب التي توجب مخالفتها للأجسام المشهودة، وأولئك يجعلونها من جنس الأجسام المشهودة، وكلا القولين خطأ.

الشيخ: يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- في مناقشة الفلاسفة (واضطراب النفاة و المثبتة في الروح كثير) النفاة للروح و المثبتة للروح. يَحْتَمِلُ , او نفاة الصفات و مثبتة الصفات يَحْتَمِلُ , (و سبب ذلك ان الروح التي تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة) يقسمون النفس الى النَّفْسِ الناطقة و النفس الفلكية , كلام لا معنى له عند العقلاء ولا يمكن تصوُّرُهُ الا مجرد حكاية كلام الفلاسفة , (التي تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة ليست هي من جنس هذا البدن) بل جنس آخر , (و لا من جنس العناصر و المولدات منها , بل هي من جنس آخر مخالف لهذه الاجناس) ما هي تلك الاجناس؟ لا حقيقة لها , إلا مجرد حكاية , (فصار هؤلاء لا يعرفون الروح إلا بالسلوب التي توجب مخالفتها للأجسام) حتى تكون سلبية خيالية لا وجود لها الا في الأذهان و لو كَانَ وجودها خارجيًا لَأَمَكْنَ وصفها بالصفات الثبوتية و الصفات السلبية كما في الكتاب و السنة , فصار هؤلاء لا يعرفونها الا بالسلوب التي توجب مخالفتها للأجسام المشهودة و أولئك يجعلونها أي أهل الكلام. هؤلاء. الصَّنَف الأول الفلاسفة , فصار هؤلاء أي الفلاسفة لا يُعَرِّفُونَهَا الا بالسلوب التي توجب مخالفتها للأجسام. للأجسام المشهودة , و أولئك المتكلمون يجعلونها من جنس الأجسام المشهودة و كِلَا القولين خطأ , لا مِنْ هذا و لا مِنْ ذاك , و سيأتي بيانُ حقيقتها , نعم .

القارئ: قال (وإطلاق القول عليها بأنها جسم، أو ليست بجسم، يحتاج إلى تفصيل، فإن لفظ «الجسم» للناس فيه أقوال متعددة اصطلاحية غير معناه اللغوي.

فأهل اللغة يقولون: الجسم هو الجسد والبدن. وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسمًا،

ولهذا يقولون: الروح والجسم، كما قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ} ، وقال تعالى: {وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} ، وأما أهل الكلام، فمنهم من يقول: الجسم هو الموجود، ومنهم من يقول: هو القائم بنفسه، ومنهم من يقول: هو المركب من الجواهر المنفردة ، ومنهم من يقول: هو المركب من المادة والصورة. وكل هؤلاء يقولون: إنه مشار إليه إشارة حسية ، ومنهم من يقول: ليس بمركب لا من هذا ولا من هذا، بل هو ما يشار إليه ويقال: إنه هنا أو هناك ، فعلى هذا إذا كانت الروح مما يشار إليه ويتبعه بصر الميت - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الروح إذا خرج تبعه البصر) ، وإنها تقبض ويعرج بها إلى السماء - كانت الروح جسماً بهذا الاصطلاح.

الشيخ: قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (وإطلاق القول عليها بأنها جسم، أو ليست بجسم أو ليست بجسم، يحتاج إلى تفصيل) ذلك (فإن لفظ «الجسم» للناس فيه أقوال) في تعريف الجسم للناس أقوال متعددة كلها اصطلاحية غير معناه اللغوي ، للجسم معنى لغةً و للجسم معاني و تعاريف في الاصطلاح. في اصطلاح الناس ، فأهل اللغة يقولون الجسم هو الجسد و البدن لا فرق بين الجسم و بين الجسد و بين البدن. ألفاظٌ مترادفة ، و بهذا الاعتبار فالروح ليست جسماً ، شيءٌ آخر ، و لهذا يقولون: الروح و الجسم كما يقال. كما قال تعالى. أي و لهذا يُقالُ الروحُ و الجسم ، يُعطَفُ الجسمُ على الروح ، أو تَعَطَّفُ الروح على الجسم ، و العطفُ يقتضي المعايَرة ، إذا الجسمُ غير الروح و الروح غير الجسم ، كما قال تعالى (و إذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) (و إن يقولوا تسمع لقولهم) اثبت لهم اجسام ، و الأجسام غير الروح ، و قال تعالى (وزادهم بسطة في العلم و الجسم) هذا شيء غير الروح ، و أما أهل الكلام فمنهم من يقول الجسم هو الموجود ، كل موجودٍ جسم سواء كان حيوانا أو جمادا. أي موجود على وجه الارض او في هذا الكون فهو جسم ، هذا تعريف و منهم من يقول: هو القائم بنفسه ليُخرجوا بذلك العَرَضُ ، لأنَّ العَرَضَ لا يقوم

بنفسه و إنما يقوم بغيره , و منهم من يقول: هو المركب من الجواهر المنفردة , الجواهر المنفردة: التي لا تقبلُ القسمة , و تحقيق ذلك يصعب جدا وجود شيء موجود لا يقبل القسمة و لو ذرة , من الصعوبة بمكان , اذًا هذا كلام غير واقعي و منهم من يقول: هو المركب من المادّة و الصّورة , و كلّ هؤلاء يقولون: إنّهُ مُشارٌ إليه إشارةً حسية , لأنّ هذه التعريفات كلها تثبت وجود الروح وجودًا خارجيا , كل ما كان وجوده خارجي يمكن الإشارة إليها و ما كان وجوده ذهني كالكليات لا يمكن الإشارة إليه, و منهم من يقول: ليس بمركب لا من هذا و لا من هذا , لا من المادّة و الصورة بل هو ما يشار إليه, ما حقيقته؟ ما ماهيته؟ ان لم يكن مركبا لا من هذا و لا من ذاك لكنّه شيء موجودٌ يُشار إليه , و يُقال: إنّهُ هنا او هناك , انّ الروح هنا او هناك , يعني ممكن ان يشير الانسان الى رأسه يقول: هنا , و يشير الى صدره: هناك , يوجد هنا و هناك أو في أيّ مكانٍ في الجسم ! تحبّطات لا دليل عليها , نعم , فعلى هذا اذا كانت الرّوح ممّا يُشارُ اليه و يتبعه بصُر الميّت كما قال النبي صلى -الله- عليه و سلم (انّ الروح اذا خرج) هذا دليل جواز تذكير الرّوح , (ان الروح) اذا خرج لم يقل اذا خرجت.جائز , لكنّ الحديث ثبّت هكذا , (ان الروح اذا خرج تبعه البصر) ذكره في هذا الحديث و إنّها -أنث- و إنّها تُقبَضُ و يُعْرَجُ بها الى السماء , هذه صفات ثبوتية , كانت الروح جسما بهذا الاصطلاح , و يمكن الإشارة إليها لأنّ النبي عليه الصلاة و السلام أثبت لها أنّها تتبع البصر و أنّها تُقبَضُ و يُعْرَجُ بها الى السماء. صِفَات ثبوتية , تُثبِتُ هذه الصفات بان الروح جسم و لكن غير هذا الجسم. جسمٌ آخر غير هذا الجسم المعهود , نَعَمْ .

القارئ : و قال رحمه -الله تعالى- (والمقصود، أن الروح إذا كانت موجودة حية عالمة قادرة، سمّعة بصيرة، تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها، لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً، والشيء إنما تدرك حقيقته إما بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره، فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من

المخلوقات، فالخالق أَوْلَى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته، وأهل العقول هم أعجز عن أن يحدّوه أو يكيّفوه منهم عن أن يحدّوا الروح أو يكيّفوها، فإذا كان من نفى صفات الروح جاحداً معطلاً لها، ومن مثّلها بما يشاهده من المخلوقات جاهلاً ممثلاً لها بغير شكلها، وهي مع ذلك ثابتة بحقيقة الإثبات، مستحقة لما لها من الصفات - فالخالق سبحانه وتعالى أَوْلَى أن يكون من نفى صفاته جاحداً معطلاً، ومن قاسه بخلقه جاهلاً به مثلاً، وهو سبحانه ثابت بحقيقة الإثبات، مستحق لما له من الأسماء والصفات.)

الشيخ: وَ بَعْدُ , هذه الخلاصة المقصودة من ضَرْبِ المَثَل , لذلك يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (و المقصود) أي المقصود من ضربِ المَثَل. المَثَلُ الأخير , (أنّ الروح اذا كانت موجودة حيّة عالمة قادرة) الرُّوحُ التي فينا تُوصَفُ بأنّها موجودة) و هذا لا نِزَاعَ فيه (عالمة قادرة) لأنّ وَصَفَكَ بأنك عالمٌ و قادرٌ مَعَ الرُّوحِ , لو خَرَجَتِ الرُّوحُ هَلْ تُوصَفُ بأنك قادرٌ و بأنك عالمٌ و بأنك سميعٌ و بأنك بصيرٌ؟ لا , لوجودِ الرُّوحِ يُوصَفُ الانسان بهذه الصّفات الثبوتية , إذا كانت موجودةً. حيّةً عالِمةً قادِرةً سميعةً بصيرةً , ليس مُنفَصِلةً عن الجسم بل مَعَ الجسم , هذه صِفاتُ الإنسان , و الانسان مجموعُ الروح و الجسد لذلك يوصَفُ بهذه الصّفات مَعَ الرُّوحِ , لا الرُّوحَ وَحْدَهَا و لا الجسمَ وَحْدَهُ , و ان كانت قد توصف الروح ببعض الصفات الثبوتية التي تقدمت من الصعود و العروج و غير ذلك , بانها سميعة بصيرة تصعد و تنزل , هذه تتّصفُ بهذه الصفات وحدها , الروح وحدها هي التي تصعد دون الجسد و هي التي تنزل و هي التي تذهب و هي التي يصعد بها الى فوق سبع سماوات حتى تُرَدُّ الروح الطيبة الى قبرها بعد ان صعدَ بها الملائكة الذين هم عبارة عن الوَفْدِ , عندما تقبض الروح الطيبة ياتي وفدٌ من الجنة معهم كفن من الجنة و حنوط من الجنة و يجلس من الانسان المحضَرُ مَدَّ البصر , ينزلون قبل مَلَكِ الموت ثم ياتي ملك الموت فيقبض و لا يتركونها في يدِ مَلَكِ الموت بل هُم الذين يبادرون بقبض هذه الروح الطيبة فيجعلونها في كفن من الجنة و حنوط من الجنة و يُصعدُ بها , و يرحبُ بها في كل سماء , الى ان ياتي امرها

بالرجوع الى القبر , فيفتح له باب الى الجنة و تنعم هذه الروح , اذا توصف بهذه الصفات , اذا هي توصف بالحياة و السمع و البصر و النزول و الصعود و يشار اليها لان وجودها وجود حقيقي , توصف بنحو ذلك من الصفات و العقول قاصرة عن تكييفها و تحديدها مع ذلك , مع هذه الاوصاف التي تجعل الروح كيانا موجودا معقولا مشارا اليه , مع ذلك العقول كلها قاصرة عن تكييفها , عن بيان كيفيتها و ادراك كيفيتها و تحديدها طولا و عرضا كيف هي ؟ عاجزة , فاذا كان يعلم الانسان ان في بدنه هذه الروح بهذه الصفات و هو يعجز عن كيفية هذه الروح التي يؤمن بوجودها حقيقة و انها موصوفة بهذه الصفات حقيقة لكنه يعجز عن تكييفها و تحديدها , كيف يحاول ان يدرك حقيقة الرب - سبحانه و تعالى - و حقيقة صفاته و اسمائه بحيث اذا عجز يقف أحد الموقفين: اما التشبيه بدعوى إنه لا يعقل الا ما في هذا الكون المشاهد إلا ما هو معقول له في المشاهد , إذا هو كهذا المشاهد , لأنه لم يكلف إلا بما يدركه عقله فيقع في التشبيه و التشبيه كفر , أو يدعي. إذا عجز انه لا وجود لهذه الصفات بل يجب نفيها كلها أو نفي بعضها أو نفي الصفات و اثبات الاسماء الجامدة , كل ذلك تنزيها للرب - سبحانه و تعالى - لأنه عجز عن ادراك حقيقته و حقيقة اسمائه و صفاته , تكلف هذا التكلف ناسيا الروح , لو تذكر الروح التي فيه و هو عاجز عن ادراك حقيقتها و كنهها و مع ذلك يؤمن بها حقيقة كان الأولى انطلاقا من هذا الايمان بروحه أن يؤمن بالله و باسمائه و صفاته دون محاولة للتكييف و التحديث , هذا ما يريد أن يقول الشيخ رحمه -الله تعالى- و سوف يقول أبلغ من هذا .

قال الشيخ رحمه -الله تعالى- (والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها، لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً) إنما عجزوا هذا العجز لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً ثم قال كلاما ينبغي أن يكون قاعدة: و الشيء إنما تدرك حقيقته إما بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره , اعتبر هذا الكلام قاعدة , إنما يدرك الشيء. الشيء انما يدرك او تدرك حقيقته اما بمشاهدة ذلك الشيء او بمشاهدة نظيره لتقيسه على نظيره , و اذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات لا تماثل البدن. لا تماثل أي شيء بما تشاهد أنت فالخالق أولى

بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه و صفاته , و المشاركة في الاسم العام و الصفة العامة أو في المعنى العام أو في المطلق الكلي. لا يثبت أو لا يرفع المباينة و يثبت المشابهة أو المماثلة بين الخالق و المخلوق لأن ذلك لم يثبت اثبات تلك الصفات الثبوتية. و السلبية أيضاً للروح لم يثبت المماثلة بينها و بين هذا المشاهد و لم يزل ذلك المباينة. فالخالق أولى , أن تثبت مباينته لمخلوقاته و أن الاشتراك في أنه سميعٌ عليم و أن المخلوق سميعٌ عليم و هذا في المعنى العام قبل تخصيص صفات الله بالله و تخصيص صفات المخلوق بالمخلوق لا يلزم من هذا المشابهة و المماثلة كما تقدم ذلك مفصلاً .

قال الشيخ رحمه -الله تعالى- (فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه و صفاته و اهل العقول هم أعجز عن أن يحدوه -سبحانه- أو يكتفوه منهم) أي من عجزهم (أن يحدوا الروح أو يكتفوها) إذا ثبت عجزهم أن يحدوا الروح و يكتفوا الروح هم أعجز عن تحديد الرب -سبحانه و تعالى- و تكييفه منهم , أي من عجزهم أن يحدوا الروح أو يكتفوها , فاذا كان من نفى صفات الروح التي ثبتت بالنص و تقدم تعداد بعضها. فإذا كان من نفى صفات الروح جاحداً مُعْطِلاً لها , و من مثّلها بما يشاهده. قال: هي جسم. قال: هي بدن. قال: هي النفس , و من مثّلها بما يشاهده من المخلوقات جاهلاً لها و مُثَلِّلاً لها بغير شكلها و هي مع ذلك ثابتة بحقيقة الاثبات. مُستَحَقَّة لما لها من الصفات التي تقدم ذكرها فالخالق -سبحانه و تعالى- أولى أن يكون من نفى صفاته. صفاته كلّها كالجهمية و المعتزلة , صفاته و أسمائه كالجهمية , أو نفى صفاته كالمعتزلة , أو فرق بين صفاته كالأشاعرة , جاحداً مُعْطِلاً. فالخالق -سبحانه و تعالى- أولى أن يكون من نفى صفاته جاحداً مُعْطِلاً , ليس بلامٍ نفى جميع الصفات , من نفى بعض الصفات و أول البعض تأويلاً يؤول إلى النفي فهو مُعْطِلٌ جاحد على الأصل الذي تقدم , لأن الكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر , فالواجب اثبات جميع الصفات و أما اثبات بعض الصفات و نفي بعضها و جحود بعضها و تاويل بعضها تأويلاً يؤدي الى الانكار ثم اعلان بأن ذلك طريقة اهل السنة و الجماعة. هذه مغالطة. مغالطة إما مقصودة او غير مقصودة , قد تكون

مقصودة عند كبار أصحاب هذا المذهب لأنهم أعلنوا أنهم يخالفون المعتزلة و يشبتون لأنفسهم بذلك أنهم اهل السنة و الجماعة , و تكون غير مقصودة بالنسبة لاتباعهم المقلدين الذين لم يعلموا الا هذا المذهب , رأوا { إن هذا المذهب هو الذي له الوجود الجماعي بين المسلمين منذ نشأ كالذين نشؤوا بعد إنتشار هذا المذهب بين المسلمين , نشؤوا في المنطقة نفسها و لم يجدد لهم الدين التجديد الصحيح , بقو مترددين في هذا الوهم , واهمين بانهم على مذهب اهل السنة و الجماعة و هم معطلة جاحدة , فليعلم هذا , من قاسه بخلقه جاهلا به مثلاً. من قاسه بخلقه كالمشبهه الذين قالوا: لا نعقل من الصفات إلا كما نعقلها في أنفسنا , إذا الرب سبحانه و تعالى كغيره , لا فرق بينه و بين غيره لأن هذا هو المعقول عندنا , قياساً منهم على خلقه , و من قاسه بخلقه جاهلاً به مثلاً و هو سبحانه ثابت بحقيقة الإثبات. مستحق لما له من الأسماء و الصفات و ليس بلزيم أن يرى أيضاً , لأننا أثبتنا بأن الروح لا ترى و هي موجودة وجوداً حقيقياً و موصوفة بصفات ثبوتية , إذا ثبت وجود الروح وجوداً حقيقياً و نحن لا نشاهدها و لا نراها , إثبات وجود الرب - سبحانه و تعالى - بأسمائه و صفاته و هو لا يرى في هذه الدنيا أولى عقلاً. علماً بأننا أخبرنا عن -الله سبحانه و تعالى- أو أخبرنا الله و أخبرنا رسوله عليه الصلاة و السلام بأن الله سوف يرى , بأن المؤمنين سوف يرونه في دار الكرامة و إن عجزوا عن رؤيته في هذه الدار , عجز أولو العزم من الرسل كموسى و خاتم النبيين محمد عليه الصلاة و السلام لم تثبت رؤيتهم لرب العالمين في هذه الدار , بل نفى رسول الله صلى -الله- عليه و سلم بـ "لن" , "إنكم لن ترو ربكم حتى تموتوا" فثبت بالكتاب و السنة رؤية المؤمنين ربهم في عرصات القيامة و في دار الكرامة , أما في عرصات القيامة على خلاف بين أهل العلم , هل هي خاصة بالمؤمنين؟ أو للمؤمنين و الكفار و المنافقين معاً إلا أنه يحتجب أخيراً عن الكفار و المنافقين , هذا قول لبعض أهل العلم , يرى البعض الآخر لعل في مقدمتهم الحافظ ابن حجر إن الرؤية في عرصات القيامة خاصة أيضاً بالمؤمنين و يوجه ذلك فيقول: إذا مكّن الله -سبحانه و تعالى- للمؤمنين من السجود و منع المنافقين و المرائين من السجود حتى تصير

ظُهُورُهُمْ كَطَبَقٍ وَاحِدٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّجُودَ وَ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يُمَكِّنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّؤْيَةِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَلَا يُمَكِّنُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَفَّارَ مِنْ ذَلِكَ , رَأْيَانٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّؤْيَةِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ , أَمَّا فِي دَارِ الْكَرَامَةِ فَهِيَ لِأَهْلِ دَارِ الْكَرَامَةِ , مَنْ هُمْ ؟ الْمُؤْمِنُونَ وَحَدَهُمْ , فَسَأَلُ -اللَّهُ- لَنَا وَ لَكُمْ الثَّبَاتَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى نَلْقَى رَبَّنَا -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ هُوَ رَاضٍ عَنَّا , وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ .

الدرس رقم : 12

القارئ: قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (وأما الخاتمة الجامعة ففيها قواعد نافعة: القاعدة الأولى - أن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي. فالإثبات كإخباره أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك، والنفي كقوله: {لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} ، وينبغي أن يُعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً. ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال ، فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات مدح كقوله: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} إلى قوله: {وَلَا يَتَّوَدُّهُ حِفْظُهُمَا} ، فنفي السِنَّة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبينٌ لكمال أنه الحي القيوم.

وكذلك قوله: {وَلَا يَتَّوَدُّهُ حِفْظُهُمَا} أي لا يكرهه ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتامها. بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في قدرته، وعيب في قوته ، وكذلك قوله تعالى: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} فإن نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات والأرض ، وكذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} ، فإن نفي مس اللغوب الذي هو التعب والإعياء دل على كمال القدرة، ونهاية القوة ، بخلاف المخلوق الذي يلحقه من النصب والكلال ما يلحقه ، وكذلك قوله: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} ، إنما نفي الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء. ولم ينف مجرد الرؤية، لأن المعدوم لا يُرى، وليس في كونه لا يُرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً، وإنما المدح في كونه لا يُحاط به وإن رُئي، كما أنه لا يُحاط به وإن عُلِمَ، فكما أنه إذا عُلِمَ لا يحاط به علماً، فكذلك إذا رُئي لا يحاط به رؤية ، فكان في نفي الإدراك من إثبات

عظمته ما يكون مدحاً وصفة كمال، وكان ذلك دليلاً على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وإذا تأملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف الله به نفسه، فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة إلهاً محموداً، بل ولا موجوداً، وكذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا: إنه لا يتكلم، أو لا يرى، أو ليس فوق العالم، أو لم يستو على العرش، ويقولون: ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا مابين للعالم ولا محايث له؛ إذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم، وليست هي مستلزمة صفة ثبوت، ولهذا قال محمود بن سبكتكين لمن ادعى ذلك في الخالق: مَيِّز لنا بين هذا الرب الذي تشبهه وبين المعدوم، وكذلك كونه لا يتكلم، أو لا ينزل، ليس في ذلك صفة مدح ولا كمال، بل هذه الصفات فيها تشبيهه له بالمنقوصات أو المعدومات، فهذه الصفات منها ما لا يتصف به إلا المعدوم، ومنها ما لا يتصف به إلا الجماد أو الناقص، فمن قال: لا هو مابين للعالم ولا مداخل للعالم، فهو بمنزلة من قال: لا هو قائم بنفسه ولا بغيره، ولا قديم ولا محدث، ولا متقدم على العالم ولا مقارن له.)

الشيخ: بَسْن، الحمد لله رب العالمين و صلاة الله و سلامه و رحمته و بركاته على هذا النبي الكريم و الرسول الامين نبينا محمد و على آله و اصحابه و ازواجه امهات المؤمنين و اهل بيته الطيبين الطاهرين أما بعد، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمة -الله تعالى- في رسالة التدمرية بعد أن تحدث عن المثليين ثم عن الأصوليين و المثليين قال (وأما الخاتمة الجامعة ففيها قواعد نافعة) الخاتمة في الغالب الكثير إنما تأتي ملخص ما تقدم في الكتاب أي إن المؤلف يُلخّص كتابه في الخاتمة، و لكن الخاتمة في هذا الكتاب جاءت على خلاف ذلك: عبارة عن قواعد نافعة و كثيرة و هي أي هذه الخاتمة من صلب الموضوع. موضوع الكتاب، (القاعدة الاولى: صفات الله تعالى اثبات و نفي) أي ان صفات الرب -سبحانه و تعالى- منها ما هو صفات ثبوتية. منها ما هو صفات سلبية، يوصف الرب -سبحانه و تعالى-

بالاثبات و بالنفي , الغالب الكثير الاثبات , و يكون الاثبات مفصلاً , و يأتي النفي مجملاً في الغالب و ان كان قد يأتي مفصلاً ايضاً , القاعدة الاولى ان الله سبحانه موصوف بالاثبات و النفي , هذه هي القاعدة , تُحْفَظُ بأن الله يوصف بالاثبات و النفي , لا يوصف بالاثبات فقط , و لا يوصف بالنفي فقط و لكن يوصف بالاثبات و النفي معا , ثم جعل يُمَثَّلُ فقال: (فالاثبات كاخباره سبحانه و تعالى انه بكل شيء عليم) اثبات للعلم , العلم الواسع المحيط بكل شيء , نأخذُ ذلك من الصيغة و من التركيب أنه بكل شيء. نأخذُ مِنْ هذا التركيب ثم من لَفْظَةِ عَلِيم , أنه بكل شيء عليم , و على كل شيء قدير , و الأسلوبُ نَفْسُهُ , و أنه سميع بصير و نحو ذلك , كل الصفات التي لم تَقَعْ في سياقِ النفي أو في سياق النهي او في سياق الاستفهام الانكاري فهي صفة ثبوتية , و النفي كقوله تعالى (لا تأخذه سنة و لا نوم) لا تأخذه. ثم قال (و ينبغي ان يُعْلَمَ) بعد أن قَعَدَ القاعدة بأن الله يوصف بالاثبات و النفي , جَعَلَ يُبَيِّنُ الفرقَ بين النفي و بين الاثبات , ينبغي أن يُعْلَمَ أن النفي ليس فيه مدح و لا كمال إلا اذا تَضَمَّنَ اثباتاً , إذا النفي الذي يُوصَفُ به الرب سبحانه و تعالى هو النفي الذي يتضمن اثباتاً و ليس مجرد نفي و إلا فمجرد النفي ليس فيه مدح و لا فيه كمال , لأن النفي المحض الذي لا يتضمن اثباتاً عَدَمٌ محض , و العدم المحض أي العدم الخالص ليس بشيء و ما ليس بشيء و كما قيل لَيْسَ بِشَيْءٍ , اذا لا يوصف الرب سبحانه و تعالى بِمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ و إنما يوصف بالكمال , النفي اذا تضمن اثباتاً يدل على الكمال و إن لم يتضمن اثباتاً فهو لا شيء فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً , و لأن النفي المحض الذي لا يتضمن اثباتاً يوصف به المعدوم و الممتنع , الممتنع كجمع النقيضين و رفع النقيضين , المعدوم أي غير الموجود , يُوصَفُ بالنفي المحض , المعدوم الذي لم يوجد يوصف بالنفي المحض و الممتنع كجمع النقيضين: الوجود و العدم , يوصَفُ بالنفي المحض , و المعدوم و الممتنع لا يوصَفان بمدح و لا كمال , لا يُتَصَوَّرُ أن يُقَالَ في المعدوم و الممتنع المدح أو الكمال , ثم جَعَلَ يسوقُ شيخ الاسلام رحمة -الله- آياتٍ في هذا المعنى فقال: (و لهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لاثبات مدح) هذه تُعْتَبَرُ أيضاً قاعدة و

إِنْ لَمْ يُسَمِّهِ هُوَ قَاعِدَةً رَحِمَهُ -الله- , عَامَّةً مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ النَفْيِ مُتَضَمِّنَ لاثبات مدح و لابد من ذلك , إِنْ لَمْ يَتَضَمَّنْ اثبات مدح لا يوصف به الرب -سبحانه و تعالى- و لا يُعَدَّ كمالاً و مدحا كقوله تعالى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ثم قال (لا تاخذه سنة و لا نوم) هذا محل الشاهد , (لا تاخذه سنة و لا نوم) الى قوله (و لا يؤوده حفظهما) , بَيَّانُ ذَلِكَ , فَتَنَفِّي السَّنَةِ و النَّوْمِ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْحَيَاةِ و كَمَالَ الْقِيُومَةِ , الْحَيُّ بِالْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ هُوَ الَّذِي لَا يَكُونُ عَرْضَةً لَا لِلسَّنَةِ و لَا لِلنَّوْمِ , الَّذِي يَتَعَرَّضُ أَوْ يَكُونُ عَرْضَةً لِلسَّنَةِ و النَّوْمِ حَيَاتُهُ نَاقِصَةٌ لِأَنَّ النَّوْمَ أَخُ الْمَوْتِ , مِنْ يَنَامُ و يَأْتِيهِ غَفْلَةٌ و ذَهُولٌ و نَسْيَانٌ و نَعَاسٌ. هَذِهِ صِفَاتٌ نَقْصٌ , تَدُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتُ عَلَى ضَعْفِ الْحَيَاةِ , أَمَّا الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ. الْحَيُّ الْقِيُومُ صَاحِبُ الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ لَا تَكُونُ حَيَاتُهُ عَرْضَةً لِهَذِهِ النَّقَائِصِ , تَضَمَّنُ كَمَالَ الْحَيَاةِ و الْقِيَامَ فَهُوَ مُبَيَّنٌّ. أَيُّ هَذَا التَّنَفِّي لِكَمَالِ أَنَّهُ الْحَيُّ الْقِيُومُ , الْحَيُّ هَذَا الْاسْمُ مَرْجِعٌ لِكُلِّ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ , صِفَةُ الْحَيَاةِ مَرْجِعٌ لِكُلِّ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ أَيُّ هِيَ الْأَصْلُ , الْحَيُّ هُوَ الَّذِي يُوَصَّفُ بِالسَّمْعِ و الْبَصَرِ و الْعِلْمِ و الْحِلْمِ و غَيْرِ ذَلِكَ , الْقِيُومُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ أَيُّ الْغَنِيِّ عَنْ غَيْرِهِ. الَّذِي يُقِيمُ غَيْرَهُ , فَغَيْرُهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِهِ , الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ , كُلِّ شَيْءٍ تَحْتَ تَدْبِيرِهِ , الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الْغَنِيُّ عَنْ غَيْرِهِ , الْمَقِيمُ لَغَيْرِهِ الَّذِي لَا يَقُومُ و لَا حَيَاةً و لَا وُجُودَ لَغَيْرِهِ إِلَّا بِهِ , الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. مُدَبِّرُ الْأُمُورِ , هَذِهِ مِنْ مَعَانِي الْقِيُومِ , لِذَلِكَ الْقِيُومُ أَيْضًا مَرْجِعٌ لِكُلِّ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ , الْحَيُّ الْقِيُومُ , تَضَمَّنَ هَذَا التَّنَفِّي هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّبُوتِيَّةَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمَدْحِ و الْكَمَالِ (لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ و لَا نَوْمٌ) لَوْ لَمْ يَدُلَّ هَذَا التَّنَفِّي عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي لَا يَكُونُ مَدْحًا و لَا كَمَالًا و كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (و لَا يُؤْودُهُ حِفْظُهُمَا) لَا يُكْرَهُهُ و لَا يُثْقَلُهُ و ذَلِكَ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ و تَمَامِ قُدْرَتِهِ , لِكَوْنِ قُدْرَتِهِ قُدْرَةً كَامِلَةً و تَامَةً لَا نَقْصَ فِيهَا لَا يُؤْودُهُ حِفْظُهُمَا بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ الْقَادِرِ . الْمَخْلُوقُ قَدْ يُوصَفُ بِالْقُدْرَةِ بِأَنَّهُ قَادِرٌ إِذَا كَانَ يَقْدِرُ عَلَى الشَّيْءِ بِنَوْعِ كَلْفَةٍ و مَشَقَّةٍ , أَيُّ قُدْرَتُهُ غَيْرُهُ نَاقِصَةٌ لَيْسَتْ تَامَةً و لَيْسَتْ كَامِلَةً , صَاحِبُ الْقُدْرَةِ التَّامَةِ و الْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ , دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ و هَذَا التَّنَفِّي عَلَى هَذَا الْمَعْنَى , فَإِنَّ هَذَا نَقْصٌ. الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْمَشَقَّةِ و التَّعَبِ. نَقْصٌ فِي

قدرته و عيب في قوته , هذا وصف ذاتي للمخلوق , العجز و العيب و النقص صفات ذاتية للمخلوق , كما أنّ القدرة التامة و الكمال و القيومية صفة ذاتية للرب - سبحانه و تعالى - , و كذلك قوله تعالى (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات و لا في الارض) نفى. فإنّ نفى العزوب مُستلزم لعلمه بكل ذرة في السماوات و الارض لا يغيب عن علمه شيء في السماوات و الارض , كيف يغيب عن علمه فهو الخالق , (ألا يعلم من خلق) و كذلك قوله تعالى (ولقد خلقنا السماوات و الارض و ما بينهما في ستة ايام و ما مسنا من لغوب) , مع العلم أنّه خلق هذه الأجرام العظيمة التي لا يعلم عظمتها إلا هو , مع ذلك قال (و ما مسنا من لغوب) فإنّ نفى مسّ اللغوب: التعب و الإعياء , دلّ على كمال القدرة و نهاية القوة , هذا الكمال المطلق الذي لا يُشاركه فيه أحد , في مثل هذه القدرة و هذه القوة لا يشارك الله احد , لذلك هذا من الكمال المطلق , له الكمال المطلق في قدرته في علمه في سمعه في بصره في جميع صفات الكمال , فصفت الله كلّها كمال بخلاف المخلوق الذي يلحقه من النصب و الكلال ما يلحقه. شيء لا يحتاج الى التفسير و الشرح , الانسان اذا عمل عملا في حدود قدرته المحدودة في نهاية العمل يُحسّ بالتعب و النصب و الكلال لان قدرته محدودة ضعيفة , و كذلك قوله (لا تدركه الابصار) هذه الاية ينبغي ان تفهم فهما صحيحا لان اهل الكلام اساؤوا فهم هذه الاية و استدلوا بها على ان الله لا يرى في الآخرة و البيان ما ستسمعون الان من كلام شيخ الاسلام رحمه -الله- يقول انما نفى الادراك , الادراك امر زائد على الرؤية , لم ينفي الرؤية , نفى الإدراك , يجب ان نفرق بين الرؤية و بين الادراك , الرؤية شيء و الادراك شيء زائد على الرؤية , لذلك قال انما نفى الادراك الذي هو الاحاطة , الإدراك: الإحاطة , قد ترى شيئا و لا تحيط به , ترى الشمس فوقك , تنظر إلى الشمس و ترى لكن لا تحيط بها , شعاعها القوي. نورها القوي يحول بينك و بين الاحاطة بالشمس. مخلوق من مخلوقات -الله تعالى- لكن لن تستطيع ان تحيط بها فكيف الرب سبحانه و تعالى , إذا الرؤية. أو الإدراك أمر زائد على الرؤية , قد ترى شبحا من بعيد. لا تدرك هل الشخص الذي تراه من بعيد رجل أو امرأة. لا تدرك لكن رأيت , إذا الرؤية تثبت

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِبْثَابِ الرُّؤْيَةِ إِبْثَابُ الْإِدْرَاكِ ، الْمُنْفِيُّ هُنَا فِي الْآيَةِ الْإِدْرَاكِ لَا الرُّؤْيَةَ ، لِأَنَّ الْمَعْدُومَ . قَالَ رَحِمَهُ -الله- الْإِدْرَاكُ . أَوْ نَقَى الْإِدْرَاكُ الَّذِي هُوَ الْإِحَاطَةُ كَمَا قَالَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ ، إِذَا ذُكِرَ الْعُلَمَاءُ لَا يَدْخُلُ أَهْلُ الْكَلَامِ فِي عِدَادِهِمْ ، لِذَلِكَ قِيلَ لَوْ وَقَفَ الْإِنْسَانُ مَالًا عَلَى الْعُلَمَاءِ لَا حَظٌّ لِعُلَمَاءِ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْوَقْفِ ، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَلَكِنْ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، لَدَيْهِمْ اصْطِلَاحَاتٌ . تَسْمِيَةُ اصْطِلَاحَاتٍ بِالْعِلْمِ فِيهِ تَسَامُحٌ وَ عِنْدَ التَّحْقِيقِ مَا لَدَى عُلَمَاءِ الْكَلَامِ لَيْسَ بِعِلْمٍ . اصْطِلَاحٌ وَ آراءٌ وَ تَحْمِينَاتٌ . لَيْسَ بِالْعِلْمِ الْحَقِيقِيِّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ رَحِمَهُ -الله- كَمَا قَالَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ لَا يَدْخُلُ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ وَ لَيْسُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَ لَمْ يَنْفِي الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- مَجَرَّدَ الرُّؤْيَةِ بِقَوْلِهِ (لَا تَدْرِكُهُ الْإِبْصَارُ) لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يُرَى وَ لَيْسَ فِي كَوْنِهِ لَا يُرَى مَدْحٌ . صِفَاتُ اللَّهِ صِفَاتُ مَدْحٍ وَ كَمَالٍ ، وَ عَدَمُ الرُّؤْيَةِ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْمَعْدُومُ مَمْدُوحًا لِأَنَّهُ لَا يُرَى ، لِكَوْنِهِ مَعْدُومًا ، وَ إِنَّمَا الْمَدْحُ فِي كَوْنِهِ لَا يُحَاطُ بِهِ ، الْمَدْحُ فِي كَوْنِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- يُرَى لَا يُحَاطُ بِهِ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يُحِيطُ بِالْخَالِقِ . لَا عِلْمًا وَ لَا رُؤْيَةً وَ إِنَّمَا الْمَدْحُ فِي كَوْنِهِ لَا يُحَاطُ بِهِ وَ إِنْ رُئِيَ كَمَا أَنَّهُ لَا يُحَاطُ بِهِ وَ إِنْ عُلِمَ ثُمَّ قَالَ مُبَيِّنًا لِهَذَا الْكَلَامِ ، فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا عُلِمَ لَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا فَكَذَلِكَ إِذَا رُئِيَ لَا يُحَاطُ بِهِ رُؤْيَةً ، فَنَحْنُ نَعْلَمُ رَبَّنَا -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- الْآنَ-هَلْ نَحِيطُ بِهِ؟ لَا ، مَعْرِفَتُنَا لِلرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ إِيمَانُنَا بِهِ إِيمَانٌ أَثْبَاتٌ وَ وَجُودٌ وَ تَسْلِيمٌ لَخَبْرِهِ وَ خَيْرُ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ ، لَكِنْ لَا نَحِيطُ بِهِ ، لَا نَحِيطُ لَا بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ وَ لَا بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ ، نَعْلَمُ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ ، نَعْلَمُ مَعَانِي هَذِهِ الصِّفَاتِ لَكِنْ لَا نَحِيطُ بِهَا وَ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ عِلْمِهِ وَ سَمْعِهِ وَ كَيْفِيَّةَ اسْتِوَائِهِ وَ نَزُولِهِ وَ مَجِيئِهِ . نَجْهَلُ ، فِي هَذَا كَمَالُ نَعْلَمٍ وَ لَا نَحِيطُ بِهِ ، كَذَلِكَ سَوْفَ يَرَاهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، يَرَوْنَهُ وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ ، عَلَى خِلَافٍ يَأْتِي ذِكْرُهُ . هَلْ هَذِهِ الرُّؤْيَةُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ أَمْ لَا؟ وَ أَهْلُ دَارِ الْكِرَامَةِ يَرَوْنَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ . يُشْرِفُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَكَلِّمُهُمْ وَ يَسَلِّمُ عَلَيْهِمْ (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) وَ يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ فَيَرْفَعُ كُلَّ إِنْسَانٍ بِصَرِّهِ حَيْثُ مَا كَانَ فَيَرَى رَبَّهُ دُونَ زِحَامٍ أَوْ غَبْنٍ أَوْ ظَلَمٍ ، وَ لَكِنْ لَا يُحِيطُوا بِهِ ، كَمَا

أنه لا يحاط به. نَعَمْ , و إذا عِلِمَ كما انه لا يحاط به. عفوا. فكَمَا أَنَّهُ إِذَا عُلِمَ لا يحاط به علما فكذلك إذا رُئِيَ لا يحاط به رؤية , هذا الكلام ايضا ينبغي أن يُعْتَبَر قاعدة و إن كان شيخ الاسلام قَعَدَ قواعد بارزة واضحة , لكن في عَرْضِ كلامه تَمَرَّ عليكم قواعد يَنْبَغِي أن تُفْهَمَ أيضا إِنْهَا قواعد , فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا عُلِمَ لَا يُحَاطُ بِهِ علما فكذلك إذا رُئِيَ لَا يُحَاطُ بِهِ رؤية , هذه قاعدة مستقلة و نافعة , فَكَمَا فِي نَفْيِ الادراك. عَفَوْا فَكَانَ فِي نَفْيِ الادراك مِنْ اثباتِ عَظَمَتِهِ ما يَكُونُ مدحا , لا يُدْرِكُ لماذا؟ لعَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ و تَعَالَى , هذا هو المدح , فَكَانَ فِي نَفْيِ الادراكِ مِنْ اثباتِ عَظَمَتِهِ ما يَكُونُ مدحا و صِفَةً كَمال , فكان ذلك دليلا على اثبات الرؤية لا على نفيها , هكذا قَلَبَ أَهْلُ السَّنَةِ هذه الآية على المعتزلة , اسْتَدَلَّتِ المعتزلة بهذه الآية على نفي الرؤية , فَقَلَبَ أَهْلُ السَّنَةِ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ فَجَعَلُوا الآية دليلا على الرؤية لا على النفي , هكذا ينبغي أن يُفْهَمَ , و هذا مِنْ دَقَّةِ فِهْمِ السلف , يفهمون من كتاب الله -تعالى- و كلامه ما لا يفهم علماء الكلام , كما قلنا و ليسوا بعلماء عند التحقيق , إنَّه , و كان ذلك دليلا أي نفي الإدراك دليل على اثبات الرؤية , لأنَّه إذا نَفَى الادراك يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ النفي. أَنَّهُ رُؤْيَا إِلَّا أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ , لَا على نفيها لكنَّه دليل على اثبات الرؤية مع عدم الاحاطة , المنفي إذا الاحاطة , فكما تقدّم الاحاطة أمر آخر زائد على مُجَرِّد الرؤية , و هذا هو الحق الذي اتَّفَقَ عليه سلف الأمة و أئمَّتها , يَدْخُلُ فِي الأئمة دخولاً أَوَّلِيًّا الأئمة الأربعة لأنَّهم هُمُ المشهورون , هُمُ الَّذِينَ بَارَكَ اللَّهُ فِي تَلَامِيذِهِمْ فَدَوَّنُوا مَذَاهِبَهُمْ و اشتهروا بين المسلمين , الأئمة الأربعة و غيرهم مُتَّفِقُونَ مَعَ سَلَفِهِمْ أي مع التابعين و الصحابة على اثبات رؤية الرب -سبحانه و تعالى- في دار الكرامة و أنَّ الله يَمْنَحُ العبادَ فِي الآخرة قُوَّةً غير عادية. غير هذه القوة , و في هذه الدنيا لا يَقْوَى أَحَدٌ أَنْ يَثْبُتَ أَمَامَ التَّجَلِّي , فإذا كان الجبل مع قوته و صلابته لَمْ يَثْبُتْ أَمَامَ التَّجَلِّي فَتَدَكَّدَكَ فَكَيْفَ البَشَرُ , و لكنَّ العليمَ القدير الذي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ سَوْفَ يَمْنَحُ عِبَادَهُ قُوَّةً فِي الدَّارِ الآخرة لِيَثْبُتُوا أَمَامَ التَّجَلِّي , فَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَمَكِّنُهُمْ مِنْ رُؤْيَا وَجْهِهِ -سبحانه و تعالى- و هذا هو الحق الذي اتَّفَقَ عَلَيْهِ سلف الأمة و أئمَّتها , لذلك مِنَ الْخَطَأِ أَنْ يَنْفِي. أَنْ يَنْفِي الرُّؤْيَا بَعْضُ

أتباع الأئمة الأربعة ، الرؤية تنفيها المعتزلة ، مع انتساب بعضهم إلى بعض الأئمة ، و
تضطرب الاشاعة في باب الرؤية اضطرابا خطيرا غير مفهوم: يشبتون الرؤية بدون مقابلة ، ما
الذي أداهم إلى هذا الاضطراب؟ المحافظة على مذهبهم في نفي العلو و الاستواء ، نفو العلو
و استواء الله على عرشه و لكن أثبتوا رؤية مضطربة ، و كون الرائي يرى المرئي في غير مقابلة
لا فوقه و لا تحته و لا عن يمينه و لا عن يساره غير معقول ، و قد قالوا قولاً متناقضا و
الذي اوقعهم و غيرهم في هذا التناقض عدم التقيّد بما جاء به رسول الله عليه الصلاة و
السلام في هذا الباب و عدم التقيّد بما عليه سلف هذه الامة بما في ذلك الأئمة الاربعة
رضوان الله عليهم ، ننبه هذا التنبيه خشية ان يوجد بين طلاب العلم من يطالع كتب
الاشاعة لانها انتشرت الان لتعلموا ان هذا تناقض و ليس بصواب ما يقولون. اضطراب و
تناقض ، الصحيح اثبات العلو و اثبات الرؤية معا ، كما أنهم يخافون ربهم من فوقهم يزوّن
ربهم من فوقهم ، هذا هو الحق الذي عليه سلف هذه الامة و ائمتها ، و اذا تأملت ذلك
وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتا هو مما لم يَصِفِ الله به نفسه و لا وصفه به رسوله عليه
الصلاة و السلام ، لا يوجد في نصوص الكتاب و السنة النفي المحض الذي لا يستلزم مدحا
و لا كمالا ، فالذين لا يصفونه الا بالسلوب لم يُثبتوا في الحقيقة الها محمودا و لا الها
موجودا ، الذين يقولون ليس فوق العرش و لا تحت العرش و لا عن يمينه و لا عن يساره أين
الله ؟ الذين يقولون ليس الله داخل العالم و لا خارج العالم و ليس هو بمتصل و لا منفصل
أين الله ؟ هل يمكن ان تصف المعدوم بغير هذه الصفة ؟ هذه صفة المعدوم ، و ليس صفة
الموجود ، الموجود من الخلق لا يوصف بهذا ، الانسان. هذا الانسان هو داخل العالم و ليس
يُخرج ، كلّ موجود فهو داخل العالم ، داخل هذا الكون ، الكون ما عدا الله ، لكن الذي
يُقال له ليس داخل العالم و لا خارجه و ليس بمتصل و لا منفصل ذلك المعدوم ، لذلك
نبهنا غير مرة ما يُكرّره صاحب السنوسية و يحفظه كثير من شبابنا في كثير من الأقطار بأنّ
الله ليس فوق العرش و لا تحته و لا يمين. و لا عن يمينه و لا عن يساره ، عقيدة دخلت
على الاشاعة و هي في الاصل عقيدة الفلاسفة لأنّ الاشعرية دخلت عليها أمور ، لأنهم

زعموا أنهم يتصدون للدفاع عن عقيدة اهل السنة و الجماعة ضد المعتزلة , الذي يدافع يجب أن يكون بسلاح متطور غير سلاح العدو , سلاح عدوهم العقل , هم أرادوا على عدوهم بالعقل , لا , يجب أن يكون سلاحك أحسن من السلاح الذي ترد عليه و تدافع و إلا تكون مثله إن لم تكن أسوء منهم , هذا ما وقعت فيه الاشاعرة , فنسأل الله لنا لكم الثبات , و كذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا إنه لا يتكلم , من الذين قالوا إن الله لا يتكلم؟ قالت الاشاعرة , قالوا لا يتكلم بكلام لفظي و إنما يوصف بكلام نفسي , ليس بحرف و لا صوت , نفى للكلام و مشاركة للمعتزلة الذين زعموا بأنهم خصومهم لذلك قال الإيجي في كتابه "المواقف" , الكتاب موجود في الاسواق , قال الفرق بين المعتزلة و بين الاشاعرة اثبات الكلام النفسي و عدم الاثبات , أي إن المعتزلة قالوا المراد اذا قيل الله متكلم او الله يتكلم مع أنه يخلق الكلام. لا يتكلم , حرفوا الكلام , حرفوا الكلم , قالوا معنى متكلم خالق للكلام , كلامهم صريح لكن الاشاعرة قالوا صحيح لا يتكلم بالكلام اللفظي و لكن له كلام آخر , ماهو؟ الكلام النفسي الذي ليس بحرف و لا صوت , الكلام النفسي حتى في اللغة لا يسمى كلاما , يسمى حديث النفس , فرق بين الكلام و بين حديث النفس , حديث النفس لا يبطل الصلاة و الكلام يبطل الصلاة , فالنبي عليه الصلاة و السلام فرق بين حديث النفس و بين الكلام , (إن هذه الصلاة لا تصلح لشيء من كلام بني آدم) إذا تكلم الانسان في صلاته في غير مصلحة الصلاة تبطل صلاته , لكن لو حدثته نفسه و هو في الصلاة , سافر و رجع و هو واقف في الصلاة , هل تبطل صلاته؟ لا , و إن كان ينقص أجرها لعدم حضور القلب , لكن الصلاة صحيحة , أرادت الاشاعرة أن تخالف من زعموا إنهم خصومهم المعتزلة. أثبتوا اصطلاحا جديدا ليس لهم سلف و لا لهم خلف. انفردوا بهذا الاصطلاح: اثبات الكلام النفسي الذي ليس بحرف و لا صوت , خالفوا اللغة خالفوا ما جاء به النبي عليه الصلاة و السلام و خالفوا عامة الناس , انفردوا بهذا الاصطلاح , فليتنبه لهذا , لذلك قال (و كذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا لا يتكلم أو لا يرى) أما الرؤية فكما تقدم يشتونها مضطربة , الذين قالوا لا

يُرى هُم المعتزلة , و لكنّ الذين. الذي سَبَقَ قَالَ (فالذين لا يَصِفُونَهُ إِلَّا بالسُّلُوب) و هم الفلاسفة كما تقدم و إنّما اجملنا لان الكلام مكرّر , سَبَقَ أَنْ بَيَّنَّا في الدروس السابقة مذهب الفلاسفة الذين يجمعون بين النقيضين. هؤلاء لا يصفونه الا بالسُّلُوب. السُّلُوب الصِّفَاتُ التي تَقَعُ في سِيَاقِ النَّفْيِ أو النَّهْيِ أو الاستفهام الانكاري , يُشارِكُ هؤلاء في بعض الصِّفَاتِ المعتزلة كَنَفْيِهِمُ للرُّؤية و نَفْيِهِمُ للعلو و نَفْيِهِمُ للكلام , و تشارك الاشاعرة في نفيهم الكلام اللفظي و هو كلام الله الذي هو القرآن الذي اخبر الرب -سبحانه و تعالى- بكلام صريح بانه كلامه , حيث قال الرب سبحانه (و ان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) القرآن , و هلّ المشركون و غيرهم كانوا يسمعون من رسول الله عليه الصلاة و السلام الكلام النفسي او الكلام اللفظي؟ هل الكلام النفسي يُقَرَّرُ و يُنْتَلَى حتّى يُسَمَعَ ؟ حديث النفس , اذا لا فائدة لاثباتهم الكلام النفسي بعد ان نفوا الكلام اللفظي الذي هو كلام الله حقيقةً , لكّ أَنْ تَقُولَ ما شُبّهَتْهُمْ في هذا النَّفْيِ؟ زعموا بأنّهم لو أثبتوا الكلام اللفظي بأن الله يتكلم بحرف و صوت يستلزم ذلك اثبات مخارج الحروف كالقَمِ و اللسان و الحَنَكِ و غير ذلك كما تعلمون , و هذا مستحيل و ما يُؤدّي الى المستحيل فهو مستحيل , اذا فالكلام اللفظي مُستحيل ! نصحتُكُمْ غَيْرَ مرّةٍ لا تُسَلِّمُوا لمقدماتهم اذا بدؤوا يُناقشوا , اذا قالوا يلزم من اثبات الكلام اللفظي اثبات مخارج الحروف. هذه مقدّمة. لا تُسَلِّمُ , إنّ سَلِّمْتَ يلزمك أن تُسَلِّمَ للمقدمة الثانية , إنّ سَلِّمْتَ للمقدّمتين يلزمك أن تُثَبِّتَ النتيجة و لكن تنفي المقدّمة الأولى. تقول: غير لازم لأنّه ثَبَّتَ في المخلوق كلاماً لفظيً لمخلوق ليس له مخارج الحروف. الطَّعَامُ سَبَّحَ و الحَصَى و حَنّ الجِدْعُ و سَلَّمَ الحجر على رسول الله صلى -الله- عليه و سلم و الأيدي سوف تتكلّم و الأرجل تتكلّم , هذه ليس لها مخارج الحروف , إذا ثَبَّتَ بالكتاب و السنة مخلوقات تتكلم بكلام لفظي يسمع و ليس لها مخارج الحروف. إذا فالله -سبحانه و تعالى- الذي أنطق هذه الاشياء بقدرته دون أن تكون لها مخارج الحروف قادرٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ , وَ لا تُثَبِّتُ لَهُ مخارج الحروف لأنّ صِفَاتِ الله تعالى توقيفية , ليس لنا أن نقول على الله من عند أنفسنا , لِنَسَلِّمَ مِنْ مُعَارِضَةِ الاشاعرة و من نحى نحوهم , و

الذين قالوا إنه لا يتكلم أو لا يرى أو ليس فوق العالم أو لم يستوي على العرش. تشترك كل من المعتزلة و الاشاعرة في هذه العقيدة. في عقيدة نفي العلو , بالله التوفيق .

الدرس رقم : 13

القارئ: يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (ويقولون: ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا مباين للعالم ولا محايث له؛ إذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم، وليست هي مستلزمة صفة ثبوت، ولهذا قال محمود بن سُبُكتكين لمن ادّعى ذلك في الخالق: ميّز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم ، وكذلك كونه لا يتكلم، أو لا ينزل، ليس في ذلك صفة مدح ولا كمال، بل هذه الصفات فيها تشبيه له بالمنقوصات أو المعدومات، فهذه الصفات منها ما لا يتصف به إلا المعدوم، ومنها ما لا يتصف به إلا الجماد أو الناقص ، فمن قال: لا هو مباين للعالم ولا مداخل للعالم، فهو بمنزلة من قال: لا هو قائم بنفسه ولا بغيره، ولا قديم ولا محدث، ولا متقدم على العالم ولا مقارن له ، ومن قال: إنه ليس بجي ولا سميع ولا بصير ولا متكلم، لزمه أن يكون ميتًا أصم أعمى أبكم ، فإن قال: العمى عدم البصر عمّا من شأنه أن يقبل البصر، وما لا يقبل البصر كالحائط لا يقال: له أعمى ولا بصير ، قيل له: هذا اصطلاح اصطلاحتموه، وإلا فما يوصف بعدم الحياة والسمع والبصر والكلام يمكن وصفه بالموت والصمم والعمى والخرس والعجمة ، وأيضًا: فكل موجود يقبل الاتصاف بهذه الأمور ونقائضها، فإن الله قادر على جعل الجماد حيًا، كما جعل عصى موسى حيّة، ابتلعت الحبال والعصي ، وأيضًا: فالذي لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات أعظم نقصًا ممن يقبل الاتصاف بها مع اتصافه بنقائضها، فالجماد الذي لا يوصف بالبصر ولا العمى ، ولا الكلام ولا الخرس ، أعظم نقصًا من الحي الأعمى الأخرس ، فإذا قيل: إن الباري -عز وجل- لا يمكن اتصافه بذلك، كان في ذلك من وصفه بالنقص أعظم مما إذا وصف بالخرس والعمى والصمم ونحو ذلك، مع أنه إذا جعل غير قابل لهما كان تشبيهًا له بالجماد الذي لا يقبل الاتصاف بواحد منهما، وهذا تشبيه بالجمادات لا بالحيوانات، فكيف ينكر من قال ذلك على غيره ما يزعم أنه تشبيه بالحي ! .)

الشيخ: بَسْ , الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و امام المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه اجمعين , قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- و هو يناقش نفاة الصفات الذين يصفون -الله سبحانه و تعالى- بالسُّلُوب أي بالنفي دون ان يُثبتوا صفة الوجودية , بعد ان وصفهم بما سمعنا , قال: (و كذلك من شاركهم) من شارك الذين يصفونه بالسُّلُوب في بعض ذلك كالذين قالوا إِنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَوْ لَا يُرَى أَوْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ أَوْ لَمْ يَسْتَوِ عَلَى الْعَرْشِ , هؤلاء يطلق عليهم أنهم من اهل السُّلُوب أَوْ من النفاة , و يطلق عليهم أنهم من الصفاتية , جمعوا بين الوصفين , أي ان الاشاعرة باعتبار اثباتهم لبعض الصفات يقال لهم أنهم من الصفاتيين أي من الذين يثبتون الصفات , و بهذا الاعتبار الذي نحن بصددده أي بسبب نفيهم علو الله -سبحانه و تعالى- و استواءه على عرشه و أنه لا يرى رؤية حقيقية و لا يتكلم بكلام لفظي. يُعَدُّونَ مِنَ النفاة , و يقولون أي أصحاب السُّلُوب: ليس بداخل العالم , يصفون الله -سبحانه و تعالى- بأنه ليس داخل العالم و لا خارجه و لا يُتَصَوَّرُ عقلا أن يكون موجوداً ما ليس بداخل العالم و لا بخارج , إمّا يكون داخلا أو خارجا , لا يُتَصَوَّرُ غير هذا , و لا مُبَايِنٌ للعالم و لا مُحَايِثٌ أي لا مُدَاخِلٌ. لا مُبَايِن و لا مداخل. غَيْرُ معقول , بل الله سبحانه و تعالى مبين لخلقه. بائن من خلقه كما تَقَدَّمَ , ليس في ذاته شيء من صِفَاتِهِ (طبعاً هذا سبق لسان من الشيخ رحمه -الله عز وجل) . لَيْسَ فِي خَلْقِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ و لا في ذاته شيء من مخلوقاته , هذا مَعْنَى بائن من خلقه كما سيأتي في كلام عبدالله ابن المبارك , إذ هذه الصفات يمكن أن يوصَفَ بها المعدوم. المعدوم يُوصَفُ بأنه هو الذي ليس داخل العالم و لا خارج و لا مُبَايِن و لا مُحَايِث , و ليست هي مستزلة. صِفَةً. صِفَةً ثُبُوتٌ , و لهذا قال محمود بن سُبُكْتِكِين الهندي العَرَنَوِي الذي كَانَ يعيش في القرن الخامس الهجري. كَانَ سلفيا عالماً من سلاطين الهند مُحِبّاً لِلْعِلْمِ و العلماء. قَالَ لِمَنْ ادَّعَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ و لا خَارِجٍ إِلَى آخِرِهِ , قِيلَ إِنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ فَوَزَّكَ الْمَعْرُوفُ الْأَشْعَرِيُّ الْمُتَكَلِّمُ الْمَعْرُوفُ قَالَ لَهُ: مَيِّزْ لَنَا بَيْنَ هَذَا الرَّبِّ الَّذِي تُثَبِّتُهُ و بَيْنَ الْمَعْدُومِ , الرَّبِّ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ ثَابِتٌ و لَكِنْ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ خَارِجُ الْعَالَمِ و لا

داخل. لا مُبَينٌ و لا مُحَايِث , أثبتَّ الفرق بين هذا الذي تَصِفُهُ بهذه الصفات و بين المعلوم , فأفحَمَهُ , إذ لا يوجدُ لَهُ جواب , لأنَّ الموجودَ لا بدَّ لَهُ أن يكونَ إمَّا داخلَ العالم أو خارجًا عن العالم أو مُتَّصِلًا بهذا العالم أو منفصلاً , الذي يوصفُ بهذه السُّلوب هو العَدَم , هكذا غَلَبَ هذا العَزَنَوِي ابن فُورَك المعروف بأنَّه مُتَكَلِّمٌ فيلسُوفٌ و معروف بأنَّه من أئمَّة الاشاعرة , و هذا الأسلوب من العَزَنَوِي يدلُّ على ان اتباع السلف حيث ما كانوا ليسوا كما وُصِفُوا بأنَّهم يسردون النصوص فقط و لا يستخدمون الأدلة العقلية , بل هم قادرون بتوفيق الله - تعالى - على الاستدلال بالأدلة العقلية و النقلية على حدٍ سواء , و كذلك كونه لا يتكلَّم. الرب سبحانه و تعالى , أو لا ينزلُ كما زعم علماء الكلام و فيهم الاشاعرة , ليس في ذلك صِفَةٌ مدحٍ و لا كمال بل من الكمال أن يُوصَفَ الرب سبحانه و تعالى بانه فعَّال لما يُريد. ينزلُ اذا شاء و كيف شاء , و يتكلَّم اذا شاء و كيف شاء و لا يُعجزُهُ شيء. هذا هو الكمال , بل هذه الصِّفات فيها تشبيهٌ لَهُ بالمنقوصات , المنقوص الذي لا يستطيع ان يفعل كل ما يُريد , أو تشبيهٌ لَهُ بالمعدومات , فهذه الصفات منها ما لا يتَّصفُ به الا المعلوم كالجمع بين التقيضين , و منها ما لا يتَّصفُ به الا الجماد كوصف الكلام. كُنْفِي الكلام عنه , أو الناقص. أو الانسان الذي أصيب بالناقص لا يستطيع ان يتكلَّم , فَمَنْ قَالَ لا هو مُبَينٌ للعالم و لا هو مداخل للعالم فهو بمنزلة من قال لا هو قائمٌ بنفسه و لا بغيره , القائمُ بنفسه هو مَنْ لَهُ ذاتٌ , و القائمُ بغيره الصِّفات , أي ليس ذاتًا ولا صِفَةً , مَنْ قِيلَ في حقِّه انه ليس بقائم بنفسه و لا بغيره معناه وُصِفَ بأنَّه لا ذات و لا صِفات و لا قدسم و لا مُحَدَّث و لا متقدِّم على هذا العالم و لا مُقارِن لَهُ في وجوده , ما هو هذا ؟ هذا هو العَدَم , وَصَفُوا الله - سبحانه و تعالى - بصفاتٍ لا يتَّصفُ بها الا المعلوم , و مَنْ قال انه ليس بحَي و لا سميع و لا بصير و لا متكَلِّم , القائلون بهذا هم اصحاب السُّلوب , الذين تقدم وصفهم و كما تقدَّم إنَّ الاشاعرة أحيانًا يشتركون و احيانا يخالفون , قَوْلُهُ ليس بحَي و لا سميع و لا بصير, الأشاعرة يخالفون هؤلاء و يوافقون اهل السنَّة بأنَّ الله حي سميع بصير و لا متكَلِّم. هُنا يُشاركون النفاة بالنسبة للكلام اللَّفْظِي , و أمَّا دَعْوَى اثبات الكلام النفسي

الذي ليس بحرف و لا صوت لا شَيْءٌ , أي خالفوا خصومهم الذين زعموا أنهم خصومهم و هم المعتزلة في نفيتهم للكلام اللفظي. من قال هذا لزمه ان يكون في زعمه أن يكون الرب سبحانه و تعالى ميتاً أصم أعمى أبكم. -تعالى الله- عما يقولون علوا كبيرا , و ان كانوا قد لا يُصَرِّحُونَ بهذه الالفاظ الكفرية و لكن لازم كلامهم اذا قالوا: ليس بحرف و لا سمع و لا بصير و لا متكلم , لازم ذلك أن يصفوه بنواقض ذلك , بأضداد ذلك , و من أضداد ذلك أن يكون ميتاً أصم أعمى أبكم , إعتراض . فإن قال: العمى عدم البصر , عمّا من شأنه أن يقبل البصر و ما لا يقبل البصر. فالحائِط لا يُقال له أعمى و لا بصير , يُريد أن يُشَبَّهَ رب العالمين بالحائِط. بالجمادات التي لا تُوصَفُ لا بالبصر و لا بعدم البصر , قيل له: هذا اصطلاح اصطلاحتموه أنتم أهل الكلام و إلاّ فما يوصَفُ بعدم الحياة و عدم السمع و عدم البصر و الكلام يُمكن وَصفه بالموت و الصمم و العمى و الخرس و العُجْمَة , يُمكن ذلك عقلاً .

الوجه الثاني: فكل موجود يقبل الاتصاف لهذه الأمور و نقائضها فإن الله قادر على جعل الجماد حيا , كل موجود يقبل الاتصاف اما بهذه الامور أو بنواقضها أي بأضدادها , لأن الله لا يعجزه شيء , فالله سبحانه و تعالى قادر على جعل الجماد حياً كما جعل عصي موسى حية ابتلعت الحبال و العصي و ليس ذلك على الله بعزيز .

و أيضا الوجه الثالث: فالذي لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات لا بالسمع و لا بالبصر و بالكلام الذي لا يقبل أعظم نقصا مما يقبل الاتصاف بها مع اتصافه بنقائضها و لو كان متصفاً بأضدادها و لكنّه يقبل الاتصاف بهذه الصفات يكون أكمل من الذي لا يقبل الاتصاف , اذا فالجماد الذي لا يوصف بالبصر و لا بالعمى و لا بالخرس اعظم نقصا من الحي الاعمى الاخرس , الحي انما اصاب بآفة. بالعمى و الصمم , الانسان الاعمى و الاصم أكمل من الجماد الذي لا يتصف بهذه الصفات , و أنتم وصفتم الله سبحانه و تعالى بصفات الجمادات التي لا تقبل , فاذا قيل ان الباري -عز وجل- لا يمكن اتصافه بذلك لا بالسمع و لا بالبصر و بعدم ذلك , كان في ذلك من وصفه بالنقص أعظم

مما اذا وُصِفَ بالخرس و العمى و الصَّم و نحو ذلك مع أَنَّهُ اذا جُعِلَ غيرَ قابلٍ لهما. لا هذه الصفات و لا اضدادها كان تشبيها له بالجماد الذي لا يقبل الاتصاف بواحد منهما لا بالسمع و بالبصر و لا بأضداديهما , و هذا تشبيه بالجمادات لا بالحيوانات , اذا كنتم قد شَبَّهْتُمُوهُ -سبحانه و تعالى- بالجمادات تعالى الله عما زعمتم علوا كبيرا. لا بالحيوانات , أَي جَاوَزْتُمْ تشبيهه بالحيوانات و شَبَّهْتُمُوهُ بالجمادات , فكيف يُنْكِرُ على من قَالَ ذَلِكَ , فكيف يُنْكِرُ على من قال. من قال ذلك على غيره مَّا هُوَ. فكيف يُنْكِرُ على من قال ذلك على غيره , ما يَزْعُمُ أَنَّهُ تشبيهٌ بالحي. إِذَا وَصَفَ الانسان ربَّ العالمين بالسمع و البصر و النزول و الاستواء , قِيلَ فِيهِ: أَي قَالَ أصحابُ الكلام: إِنَّهُ مُشَبَّهٌ , لَأَنَّ الذي يَتَّصِفُ بهذه الصفات. إِنَّهُ شَبَّهَ بالمخلوق! و هل تشبيهُهُ بالمخلوقات التي تتكلم و تسمع و تُبْصِرُ أَحْسَنُ حالاً. أَلَيْسَ ذَلِكَ أَحْسَنُ حالاً بالحيوانات ثم التشبيه بالحيوانات أَخَفُّ ضرراً مِنَ التشبيه بالجمادات , الكلَّ كُفِّرَ , تشبيه الله -تعالى- بالمخلوق الذي يتكلم كُفِّرَ , و تشبيهُهُ بالحيوانات كُفِّرَ أَشَدَّ , و تشبيهُهُ بالجمادات أَشَدَّ فَأَشَدَّ , أَمَّا اثبات صفات الكمال التي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ كالسمع و البصر و الكلام و القدرة و الارادة و العلو و النزول و الجيئ ليس في ذلك تشبيه , و إِنَّمَا الاشتراك كما تقدَّم في المطلق الكلي , إثبات صفات الكمال لا يُؤَدِّي إلى التشبيه لا بالحي المتكلم و لا بالحيوانات و لا بغير ذلك .

الوجه الرابع: فَتَنَفَّى هذه الصِّفَات نَقَص , نفى السمع و البصر و الكلام نقص , كما أَنَّ اثباتها كمال , إثبات الحياة و السَّمع و البصر كمال , فالحياة من حيث هِيَ هِيَ , بِصَرَفِ النَّظَرِ عن تعيين الموصوف بها دُونَ أَن نقول حياة فلان مثلا هي صِفَةُ كمال , الحياة مِنْ حيث هي حياة بِصَرَفِ النَّظَرِ عن الموصوف بالحياة: صِفَةُ كمال , كذلك العِلْمُ و القدرة و السمع و البصر و الكلام , هذه الصفات كمال , مَنْ وَصَفَ الله بالحياة وَ وَصَفَهُ بالقدرة و السَّمع و البصر و الكلام إِنَّمَا وَصَفَهُ بِصِفَاتِ الكمال , عِلْمًا بِأَنَّ هذه الصِّفَات. أَهْلُ السنة و الجماعة عندما وصفوا الله بهذه الصفات لَمْ يصفوه من عند انفسهم انما اثبات بما وَصَفَ به نفسه و تصديق لخبره و خَبَرِ رَسُولِهِ الْأَمِين , و هي في الوقت نفسه صفات كمال

, ليس في ما وصف الله به نفسه صفات نقص و ليس في ما وصف الله به رسوله صفات نقص أيضا , و الفعل صفة كمال , الكامل الذي يفعل ما يشاء و ما يريد و لا يمنعه شيء من العمل و من الفعل و نحو ذلك , و ما كان صفة كمال فهو - سبحانه و تعالى - أحق بأن يتصف به من المخلوقات , الحياة في المخلوق صفة كمال , السمع و البصر و الكلام في المخلوق صفة كمال , إذا كانت هذه في المخلوقات صفات كمال و ما كان صفة كمال فهو سبحانه و تعالى أحق بأن يتصف به من المخلوقات لأنه هو الذي أعطى المخلوقات هذه الكمال , هو الذي أعطى المخلوقات هذه الكمالات و مُعطي الكمال أولى بالكمال , فلو لم يتصف الرب سبحانه و تعالى بهذه الصفات مع أنها صفات كمال مع اتصاف المخلوق بهذه الصفات لكان المخلوق أكمل منه , لو لم يتصف الرب سبحانه و تعالى بالسمع و البصر و الكلام و الحياة و العلم و غير ذلك مع اتصاف المخلوق بهذه الصفات صار المخلوق المتصف بهذه الصفات أكمل من رب العالمين , و حاشى أن يكون كذلك لأن هذه المخلوقات كما قلنا إنما أعطأها هذه الكمالات صاحب الكمال , الذي يملك الكمال , الذي يُعطي الكمال , فهو أولى بالكمال , نعم .

القارئ: قال رحمه -الله تعالى - (واعلم أن الجهمية المحضة كالقرامطة ومن ضاهاهم ينفون عنه تعالى اتصافه بالنقيضين حتى يقولوا: ليس بموجود ولا ليس بموجود، ولا حي ولا ليس بحي , ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع في بدائه العقول، كالجمع بين النقيضين , وآخرون وصفوه بالنفي فقط، فقالوا: ليس بحي ولا سميع ولا بصير , وهؤلاء أعظم كفرًا من أولئك من وجه، وأولئك أعظم كفرًا من هؤلاء من وجه , فإذا قيل لهؤلاء: هذا يستلزم وصفه بنقيض ذلك كالموت والصمم والبكم , قالوا إنما يلزم ذلك لو كان قابلا لذلك , وهذا الاعتذار يزيد قولهم فسادًا , وكذلك من ضاهى هؤلاء، وهم الذين يقولون: ليس بداخل العالم ولا خارجه - إذا قيل لهم: هذا ممتنع في ضرورة العقل، كما إذا قيل: ليس بقديم ولا محدث، ولا واجب ولا ممكن، ولا قائم بنفسه ولا قائم بغيره , قالوا: هذا إنما يكون إذا كان قابلا لذلك، والقبول

إنما يكون من المتحيز، فإذا انتفى التحيز انتفى قبول هذين النقيضين ، فيقال لهم: علم الخلق بامتناع الخلو من هذين النقيضين هو علم مطلق، لا يستثنى منه موجود. والتحيز المذكور إن أريد به كون الأحياء الموجودة تحيط به، فهذا هو الداخل في العالم، وإن أريد به أنه منحاز عن المخلوقات، أي: مباين لها، متميز عنها، فهذا هو الخروج ، فالمتحيز يراد به تارة ما هو داخل العالم، وتارة ما هو خارج العالم، فإذا قيل: ليس بمتحيز، كان معناه ليس بداخل العالم ولا خارجه.

فهم غيروا العبارة ليوهمو من لا يفهم حقيقة قولهم أن هذا معنى آخر، وهو المعنى الذي علم فساده بضرورة العقل. كما فعل أولئك في قولهم: ليس بحي ولا ميت، ولا موجود ولا معدوم، ولا عالم ولا جاهل. (

الشيخ: هذا الكلام فيه نوع تكرار ، لكنه تكرار مقبول ، قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- و اعلم انّ الجهمية المحضة كالقرامطة. المراد بالجهمية المحضة هم الذين يجمعون بين النقيضين أو يحاولوا رفع النقيضين ، الجهمية اذا أطلقت في الاصل اتباع الجهم بن صفوان و هم إنما عرفوا بنفي صفات الباري كلّها و الأسماء معاً ، و لكن يُسمّى شيخ الاسلام القرامطة الباطنية الجهمية المحضة و هم غلبوا الجهمية أي هم أسوء حالاً من الجهمية العادية ، و من ضاهاهم ينفون عنه -تعالى- اتصافه بالنقيضين. ينفون عنه. ينفون عنه اتصافه بالنقيضين حتى يقولوا ليس بحي و لا ليس. ليس بموجود و لا ليس بموجود¹ ، و لا حي و لا ليس بحي ، هذا كلام من أصيب في عقله و لا يدري ماذا يقول ، هكذا يُصاب الانسان بهذا التناقض و بالقول بغير معقول اذا أعرض عن النور الذي جاء به محمد صلى -الله عليه و سلم ، و معلوم أنّ الخلو عن النقيضين: عن الحياة و الموت معاً مُمتنع في بدائه العقول ، دون حاجة الى التفكير ، أي ما عاقل يسمع بانه ليس بحي و لا ميت. ليس بموجود و لا

¹ طبعا الشيخ رحمه -الله تعالى- أراد أن يقول "لا موجود و لا ليس بموجود".

بمعدوم يُنكر ذلك , و اذا كَانَ يَصِفُهُ بِنَفْيِ النقيضين: ليس بموجودٍ و لا ليس بموجود و لا حيٍّ و لا ليس بحيٍّ أشدَّ امتناعاً و أبعدَ مِنَ المعقولات , و آخرونَ مِنَ الجهمية وَصَفُوهُ بِنَفْيِ , بالنفي فَقَط فَقَالُوا ليس بحيٍّ و لا سميعٍ و لا بصير , هؤلاء في الأصلِ هُمُ المعتزلة لَكِنْ كلمة الجهمية كما تقدّم توسّعوا في استعمالها, يستعملونها في المعتزلة بل حتّى في الاشاعرة لأنّهم شاركوا الجهمية في النفي إمّا في نفي الصفات كلّها او في نفي بعض الصفات , قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- و آخرون وصفوه بالنفي فقط أيّ لم يصفوه بنفي النقيضين أو بجمع النقيضين , فقالوا ليس بحيٍّ و لا سميعٍ و لا بصير , لأننا لو وصفناه بالحياة و السمع و البصر شبّهناه بالمخلوق؟ هكذا زعموا , يَقُولُ: و هؤلاء أعظمُ كفرا من اولئك من وجه , الذين وصفوه بالنفي فقط أعظمُ كفرا من اولئك الذين وصفوه بنفي النقيضين أو بجمع النقيضين من وجه و اولئك الذين جمعوا بين النقيضين اعظمُ كفرا من هؤلاء من وجه آخر , ببيان ذلك: فاذا قيلَ هؤلاء هذا يستلزم وصفه بنقيض ذلك اذا لم يكن حياً و لم يكن سميعاً و لا بصيراً يلزم وصفه بنقيض ذلك كالموت و الصمم و البكم , إذا قيلَ لهم هكذا و هو الكلام المعقول قالوا: أمّا يلزم ذلك لو كان قابلاً لذلك. لو كان الرب سبحانه و تعالى قابلاً للسمع و البصر و الحياة يلزمُ اذا نفينا السمع و البصر و الحياة ان يتصّفَ بنقيض ذلك و لكنه غير قابل , غير قابل لا للسمع و لا للبصر و لا للحياة , يقول شيخ الاسلام و هذا الاعتذار يزيدُ قولهم فساداً , هذا الذي يقال فيه اعتذار أقبح من ذنب , الذنب الذي وقعوا فيه نفي السمع و البصر و الحياة و الاعتذار الذي هو اقبح من هذا الذي وقعوا فيه قولهم انه غير قابل , و كونه غير قابل أقبح و أنقص من كونه قابلاً , هذا معنى قوله: و هذا الاعتذار يزيد قولهم فساداً , قولهم هو أنّه ليس بحيٍّ و لا سميعٍ و لا بصير هذا هو القول و الذي يزيد هذا القول فساداً قولهم انه غير قابل لهذه الصفات , و كذلك من ضاها هؤلاء. من شابههم و هم الذين يقولون ليس بداخل العالم و لا خارجه , اذا قيلَ لهم هذا ممتنع في ضرورة العقل كما قيلَ ليس بقديم و لا محدث و لا واجب و لا ممكن , أمّا قديم و محدث واضح. واجب و ممكن متقابلان , الواجب هو الذي ليس لوجوده بداية و لا

لوجوده نهاية و هو الرب - سبحانه و تعالى - باسمائه و صفاته , اذا قيل واجب في اصطلاح اهل الكلام. الواجب هو الرب سبحانه و تعالى أي هو الأول الذي ليس قبله شيء و هو الآخر الذي ليس بعده شيء. يقال له واجب , و الممكن خلاف ذلك , الممكن ما وُجِدَ بعد ان لم يكن أو ما يمكن وجوده و عدمه , اذا وصفوا الرب سبحانه و تعالى بانه ليس بواجب و لا ممكن و لا قائم بنفسه و لا قائم بغيره , اذا قيل لهم هذا ممتنع في ضرورة العقل كما قيل ليس بقديم و لا محدث و لا واجب و لا ممكن و لا قائم بنفسه و لا قائم بغيره قالوا في الجواب هذا انما يكون اذا كان قابلا لذلك , اذا كان قابلا ان يتصف بهذه الصفات الثبوتية , و القبول انما يكون من المتحيز , المتحيز هو الذي يقبل الاتصاف بالصفات الوجودية , فاذا انتفى التحيز انتفى قبول هذين النقيضين , يشرع الآن شيخ الاسلام في بيان معنى التحيز فيقال لهم: علم الخلق بامتناع الخلو من هذين النقيضين لا حي و لا ميت لا سميع و لا أصم هو علم مطلق لا يُستثنى منه موجود أي جمع النقيضين ممتنع امتناعا مطلقا بصرف النظر عن الذي امتنع في حقه , لا يُستثنى منه موجود أي ممتنع في جميع الموجودات , جمع النقيضين ممتنع في جميع الموجودات بصرف النظر عن التحيز و عدم التحيز , و التحيز المذكور ان اريد به كونه. ان اريد به كون الأحيار¹ بصرف النظر عن التحيز و عدم التحيز و التحيز المذكور ان اريد به كون الأحيار الموجودة تُحيطُ به كالسماوات و الأرض و العرش و الكرسي هو الدّاخل. اذا قيل متحيز بهذا الاعتبار أي الذي تُحيطُ به الاحياز. الاماكن الموجودة فهذا هو الدّاخل صار داخلا في العالم و ان اريد به أنّه منحاز عن المخلوقات أي مُباين للمخلوقات. مُتميّز عن المخلوقات فهذا هو الخارج , اذا عقلا لابد ان يكون اما داخلا و اما خارجا , لأن قولكم المتحيز لابد من أحدهذين التفسيرين: إما التحيز بمعنى الذي تحيط به المخلوقات فصار داخلا. المتحيز المنحاز المباين فصار خارجا , فالمتحيز اذا يراد به تارة ما هو داخل العالم و تارة ما هو خارج العالم , لم تأتوا بمجديد انما

¹ (كأنه انقطاع للصوت بالشريط)

غَيَّرْتُمُ العبارة فقط , فاذا قيلَ ليس بمتحيز كان معناه ليس بداخل العالم و لا خارجه , اذا قالوا إِنَّ الله ليس بمتحيز يكون معناه ليس داخل العالم و لا خارجه , فهذا. فهُمْ اَئِمَّا فعلوا غَيَّرُوا العبارة ليوهمُوا من لا يفهم حقيقة قولهم أَنَّ هذا هو معنى آخر , و هُوَ المعنى الذي عُلِمَ فساده بضرورة العقل , أي لم يأتوا بجديد اذا فُسِّرَ التحيز بما سمعنا كما فَعَلَ اولائك في قولهم ليس بحي و لا ميت و لا موجود و لا معدوم و لا عالم و لا داخل أي جمعوا بين النقيضين كذلك من قال انه ليس بمتحيز هو معنى هذا تماما و لم يأتِ بجديد . نعم .

القارئ: (القاعدة الثانية - أن ما أخبر به الرسول عن ربه - عز وجل - فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف، لأنه الصادق المصدق ، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه , وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها. مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصاً في الكتاب والسنة، متفقاً عليه بين سلف الأمة , وما تنازع فيه المتأخرون، نفياً وإثباتاً، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قُبِلَ، وإن أراد باطلاً رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقاً ولم يُرد جميع معناه، بل يُوقف اللفظ ويُفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك.)

الشيخ: بَسَن , هذه القاعدة مهمة جدا , القاعدة الثانية و هي قاعدة عامة في كل ما جاء به النبي عليه الصلاة و السلام و ليست خاصة بالصفات فقط , أَنَّ ما أخبر به الرسول عليه الصلاة و السلام عن ربه -عز و جل- فإنه يجب الإيمان به تصديقا لحَبَرِ رسول الله عليه الصلاة و السلام , سواء عرفنا معناه او لم نعرف , كذلك ما أخبر به رب العالمين في كتابه يجب الإيمان به. عرفنا المعنى أو لم نعرف , لأنه الصادق المصدق , يجب تصديق خبره , فما جاء في الكتاب و السنة وَجَبَ على كل مؤمن الإيمان به و ان لم يفهم معناه , اذا لم يفهم معناه يستفسر , اَئِمَّا شِقَاءَ الْعَيِّ السَّوَال , الانسان يسأل ما لا يَعْلَم و لكن لا

يَنْفِي ما لم يَعْلَمْ من خبر الله و خبر رسوله عليه الصلاة و السلام , و لا يضرب الكتاب بعضه ببعض , كما فَعَلَ من قَصُرَ فَهْمُهُ في باب العُلُو و المعية و لم يستطع التوفيق بين صِفَةِ العُلُو و صِفَةِ المعية و ارتبك في ذلك , و كلما أثبت له العُلُو "عُلُو الله على خلقه" عَارِضَكَ بقوله أَلَمْ يَقُلْ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- (و هو معكم أين ما كنتم) (و الله بما تعملون بصير و هو معكم) كيف يكون مستويًا على عرشه عاليًا على خلقه و هو معنا ؟ يُعَارِضُ العُلُو بالمعية! فالواجب أن يسأل كيف التوفيق بين العُلُو و بين المعية , و أما دَعَوَى بأنه يستحيل اثبات العُلُو و هو معنا و يَعْتَقِدُ أَنَّ الله معنا بذاته , هذا هو من باب ضرب الآيات بعضها ببعض , و مِنْ بابِ الاعتراض على الله بغير علم , فالواجب أن يُصَدِّقَ أولاً بأنَّ الله معنا و يُصَدِّقَ بأنَّ الله فوق عرشه بائن من خلقه ثم يسأل أهل العلم و يسأل كيف فَهَمَ السلف هذه الآيات , لأَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ الْآنَ , نَزَلَتْ على رسول الله عليه الصلاة و السلام و تلاها على أصحابه , كيف فَهَمَ الصَّحَابَةُ و كيف فَهَمَ تلاميذ الصَّحَابَةِ التَّابِعُونَ مثل هذه الآيات؟ العُلُو و المعية؟ لَمْ يَصْعُبْ عَلَيْهِمْ فَهَمُ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَفْهَمُونَ و يؤمنون بأنَّ الله منزّه أن يكون بذاته مع خلقه في الارض و لا في السماء بل هو بائن من خلقه , و مَعْنَى المَعِيَةِ: "مَعِيَةُ الْعِلْمِ" باجماع السلف , اذا أجمع السلف على تفسير المعية بمعية العلم. المعية العامة وَجَبَ عَلَى الْخَلْفِ اتِّبَاعُ ذَلِكَ , لِأَنَّ السَّلَفَ هُمْ سَنَدُنَا فِي هَذَا الدِّينِ وَ هُمُ الَّذِينَ تَلَقَّوْا هَذَا الدِّينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ , فَهَمُّوْا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (و هو معكم أينما كنتم) أَيِ بِعِلْمِهِ. بِسَمْعِهِ. بِبَصَرِهِ. بِتَدْبِيرِ شُؤْنِكُمْ , وَ فَهَمُوا بِأَنَّ اللَّهَ -سبحانه و تعالى- مَنْزَهُ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا بِذَاتِهِ , بَلْ هُوَ فَوْقَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ , إِذَا لَا يَصْعُبُ عَلَى مَنْ سَلَكَ مَسْلَكَ السَّلَفِ التَّوْفِيقَ بَيْنَ الْمَعِيَةِ وَ بَيْنَ الْعُلُو. فِي هَذَا الْمَعْنَى سُئِلَ أَحَدُ السَّلَفِ. عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ. قِيلَ لَهُ: كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا , قَالَ: نَعْرِفُهُ بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ , لَيْسَ فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَ لَا فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ وَ لَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ , الْجَهْمِيَّةُ مَاذَا تَقُولُ؟ تَقُولُ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَ هُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ , إِذَا لَمْ نَعْرِفْ رَبَّنَا , وَ مِنْ سَلَكَ مَسْلَكَ الْجَهْمِيَّةِ وَ اعْتَقَدَ بِأَنَّ اللَّهَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَمْ يَعْرِفْ رَبَّهُ ,

أما الذي يعرف ربه الذي يؤمن بأن الله منزّه بأن يكون مختلطاً بخلقه بل هو فوق سمواته مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه ، هذه هي المعرفة ، و لما كانت هذه المعرفة من أهم المعارف و من أخطر المعارف خصّ رسول الله صلى -الله- عليه و سلم الجارية بهذا السؤال قبل أن يسألها عن أي صفة من صفات الرب -سبحانه و تعالى- عندما أراد أن يختبر إيمانها ، سألها فقال لها: أين الله؟ لم يقل. لم يسأل عن سمعه و بصره و قدرته و لكن سأل عن العلو. قال لها: أين الله؟ قالت: في السماء ، أي في العلو ، القول هنا في السماء في جوابها كقوله تعالى (أأمنتم من في السماء) أي في العلو ، ثم سألها كما تعلمون السؤال الثاني: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله ، فشهد لها بالآيمان ، قال لمولاهما: اعتقها فاتّمت مؤمنة ، هذه الشهادة العظيمة لذلك يجب تصديق خبر الله و خبر رسوله عليه الصلاة و السلام ، فهتت المعنى أو لم تفهم ، ما فهتت آمنت به و ما لم تفهم فوضت العلم الى الله حتى تفهم ، و تكون على غرار ما قال الإمام الشافعي: آمنت بالله و بما جاء عن الله على مراد الله و آمنت برسول الله عليه الصلاة و السلام و ما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله و إذا فتح الله عليك و فهتت معاني النصوص. معاني النصوص مفهومة و ليست مجهولة و إنما جهلت لقصور علمك ، أما دعوى لا يمكن التوفيق بين هذا و ذاك و تضرب الآيات بعضها ببعض أو تضرب النصوص بعضها ببعض. هذا خروج على خبر الله و خبر رسوله صلى -الله- عليه و سلم ، فلنكتفي بهذا المقدار لهذه المسألة مزيد بحث ان شاء الله في الدرس الآتي و الله أعلم و صلى الله و سلم و بارك على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

الدرس رقم : 14

القارئ: يقول شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (القاعدة الثانية - أن ما أخبر به الرسول عن ربه - عز وجل - فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف، لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه ، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها. مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصاً في الكتاب والسنة، متفقاً عليه بين سلف الأمة ، وما تنازع فيه المتأخرون، نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًا قبل، وإن أراد باطلا رُدّ، وإن اشتمل كلامه على حق ، وباطل لم يُقبل مطلقًا ولم يُردّ جميع معناه، بل يُوقف اللفظ ويُفسّر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك .)

الشيخ: الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على اشرف المرسلين و خاتم النبيين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين و بعد , قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- (القاعدة الثانية) في هذه القاعدة يبحث الشيخ عن الالفاظ و يقسم الالفاظ الى قسمين: أَلْفَاظٌ وَرَدَ ذِكْرُهَا وَ اسْتَعْمَلَهَا فِي حَقِّ اللَّهِ -تعالى- وَ تُعْتَبَرُ الْإِلْفَاظُ الشَّرْعِيَّةُ , وَ هذه "الالفاظ الشرعية" الْحُكْمُ التَّصْدِيقُ وَ التَّسْلِيمُ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ , وَ هُنَاكَ أَلْفَاظٌ غَيْرُ وَارِدَةٍ .

و الالفاظ غير الواردة تَنَقَّسُ إِلَى قِسْمَيْنِ: أَلْفَاظٌ لَهَا مَعَانِي صَحِيحَةٌ أَوْ جَمِيعُ مَعَانِيهَا صَحِيحَةٌ أَيْ أَلْفَاظٌ غَيْرُ مُحْتَمِلَةٍ. وَ إِنْ لَمْ يَرَدْ ذِكْرُهَا فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ فِي حَقِّ اللَّهِ -تعالى- لَا اسْمًا وَ صِفَةً وَ لَكِنْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى صَحِيحٌ , هَذِهِ الْإِلْفَاظُ تُسْتَعْمَلُ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ , لَا مِنْ بَابِ أَنَّهَا مِنْ أَسْمَاءِ -الله تعالى- أَوْ مِنْ صِفَاتِهِ كَالْقَدِيمِ وَ الْمُرِيدِ وَ الْمُتَكَلِّمِ وَ الصَّانِعِ , تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ الْإِلْفَاظُ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ , يُجَوِّزُ أَنْ يُقَالَ اللَّهُ صَانِعُ كُلِّ مَصْنُوعٍ وَ صَانِعُ هَذَا الْكَوْنِ مَعْنَاهُ خَالِقٍ وَ مُرِيدٍ وَ مُتَكَلِّمٍ وَ قَدِيمٍ. هَذِهِ الْإِلْفَاظُ لَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْبَاطِلِ , الْمَعَانِي

صحيحة و إن كانت الألفاظ غير واردة , و لكن هُنَاكَ أَلْفَاظٌ غَيْرُ وَّارِدَةٍ و هي جملة. تَشْتَمِلُ عَلَى الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ , هذه الالفاظ هي التي يتحدث عنها شيخ الاسلام في هذا الدرس .

أولاً: أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ -عز و جل- فَانَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ سِوَاءِ عَرَفْنَاهُ مَعْنَاهُ أَوْ لَمْ نَعْرِفْ , لِأَنَّهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ , وَ تَصْدِيقُ خَبَرِهِ وَاجِبٌ , بَلْ تَصْدِيقُ خَبَرِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ , مَنْ لَمْ يُصَدِّقْ خَبَرَهُ لَا يَصِحُّ دَعْوَى الْإِيمَانِ بِهِ , إِذَا يَجِبُ أَنْ يُصَدَّقَ إِذَا صَحَّ الْخَبَرُ , فَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ الْإِيمَانُ بِهِ وَ إِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ , لَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ نِصُوصَ الصِّفَاتِ مَعْنَاهَا غَيْرُ مَفْهُومٍ وَ لَيْسَ هَذَا مُرَادُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ , نِصُوصَ الصِّفَاتِ مَفْهُومَةُ الْمَعْنَى وَ لَكِنْ مَجْهُولَةُ الْكَيْفِيَّةِ , كَيْفِيَّاتُ الصِّفَاتِ مَجْهُولَةٌ بِمَعْنَى نَعْلَمُ مَعْنَى السَّمْعِ وَ مَعْنَى الْبَصَرِ وَ مَعْنَى الْعِلْمِ وَ مَعْنَى النَّزُولِ وَ مَعْنَى الْجَحْيِ وَ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ. الْمَعْنَى مَعْرُوفَةٌ لَكِنْ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ هَذِهِ الصِّفَاتِ , هَذِهِ قَاعِدَةٌ لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا اثْنَانِ سَلَكًا مَسَلَكَ السَّلَفِ , وَ لَكِنَّ الْكَلَامَ هُنَا كَلَامٌ عَامٌّ , قَدْ تَمَرَّرَ عَلَيْكَ أَلْفَاظٌ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ لَمْ تَفْهَمْ مَعْنَاهَا يَجِبُ أَنْ تَسْتَفْسِرَ وَ يَجِبُ أَنْ تَفْهَمَ فَإِذَا فَهِمْتَ وَجَبَ عَلَيْكَ التَّصْدِيقُ وَ لَا يَجُوزُ رَدُّ مَا لَمْ تَفْهَمْ مَعْنَاهُ كَمَا فَعَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ رَدُّوا أَلْفَاظًا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْسِرُوا , أَمَّا نِصُوصُ الصِّفَاتِ لَمْ يَخْتَلِفِ السَّلَفُ فِيهَا إِلَّا لَفْظَةً "سَاقٌ" (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ فِي تَفْسِيرِ السَّاقِ هُنَا , لِأَنَّ لَفْظَةَ السَّاقِ جَاءَتْ مُنْكَرَةً غَيْرَ مُضَافَةٍ. لَمْ تُضَفْ إِلَى اللَّهِ لِذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ عَنْدهُمْ حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ , وَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحَدِيثِ لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ خِلَافٌ , فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ هَذَا اللَّفْظُ يُعْتَبَرُ عَنْدهُمْ مَحْمَلًا , لِذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُهُمْ بِالْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ وَ لَكِنْ لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى السَّاقِ هُوَ سَاقُ -الله- تَعَالَى - بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ. حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَ تَعَالَى يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ (فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِهِ) جَاءَ مُضَافًا هَذِهِ الْإِضَافَةُ "إِضَافَةُ تَخْصِصٍ" فَإِذَا كُشِفَ عَنْ سَاقِهِ عَرَفَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ رَبَّهُمْ فَسَجَدُوا لَهُ سُجُودًا وَ يُحَاوِلُ الْمَرَاوُونَ وَ الْمُنَافِقُونَ أَنْ يَسْجُدُوا فَتَصِيرُ ظُهُورُهُمْ طَبَقًا وَاحِدًا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمِيلُوا

الى السجود , هذا معنى الحديث , رَوَيْنَا الحديث بالمعنى , مِثْلُ هذا اللَّفْظِ هو الوحيد , أو هذا اللفظ هو اللفظ الوحيد الذي وَقَعَ فِيهِ الاختلاف بين الصحابة بالنسبة لنصوص الصفات , و إلا جميع النصوص مفهومة عندهم و عندنا الآن لَفْظُ السَّاقِ ليس بِمُجْمَلٍ بَلْ مُفَسَّرٌ , هذا من باب لَفْظٍ مُجْمَلٍ قُرْآنِيٍّ فَسَّرْتُهُ السَّنةَ , السَّنةُ تُفَسَّرُ وَ تُفَصَّلُ وَ بَعْدَ تَفْسِيرِ السَّنةِ لَا يَبْقَى هُنَاكَ إِشْكَالٌ , وَ إِنَّ مَرَّ عَلَى إِنْسَانٍ مَا لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ مِنْ خَبَرِ اللَّهِ وَ خَبَرِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمَنَ أَوَّلًا بِالْجُمْلَةِ ثُمَّ يَبْحَثَ عَنِ الْمَعْنَى , وَ يَسْتَحْضِرُ قَوْلَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ -اللَّهُ- آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ وَ آمَنَّا بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ بِمَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ , مِنْ اللَّهِ الْإِرْسَالُ وَ عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا التَّسْلِيمُ , هَكَذَا يَقُولُ الزَّهْرِيُّ كِبَارُ التَّابِعِينَ , هَذَا هُوَ مِنْهَجُ السَّلَفِ أَيْ التَّسْلِيمُ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حَتَّى مَا أَشْكََلَ عَلَيْكَ مَعْنَاهُ , وَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْمَعْنَى تَزْدَادُ إِيمَانًا , الْإِنْسَانُ الشَّيْءُ الَّذِي لَمْ يَفْهَمْ يَسْأَلُ وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَدَّ , وَ لَمَّا قَعَّدَ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ قَاعِدَةً لَأَنْفُسِهِمْ أَنَّ الْعُمْدَةَ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ وَ جَاءَتِ النُّصُوصُ تَدُلُّ عَلَى الْمَعَانِي وَ قَفُّوا مَوْقِفَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ شَبَّهَ وَ مِنْهُمْ مَنْ عَطَّلَ , أَمَّا أَهْلُ السَّنةِ وَ الْجَمَاعَةِ لَا يُقْعِدُونَ قَاعِدَةً أَبَدًا مُخَالِفَةً لِلْكِتَابِ وَ السَّنةِ , الْقَاعِدَةُ عَنْدهُمْ التَّسْلِيمُ لِلَّهِ , لَا يَسْلَمُ فِي دِينِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ عِنْدَ السَّلَفِ , لَا يَسْلَمُ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ , عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يَتَحَدَّثُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ كَلَامًا عَامًّا , وَ لَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ نُّصُوصَ الصِّفَاتِ غَيْرُ مَفْهُومَةِ الْمَعْنَى , فَلْيُفْهَمْ هَذَا .

وَ كَذَلِكَ مَا تَبَيَّنَ بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَ أَيْمَتِهَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ مَعَ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يُجَدُّ عَامَّتُهُ مَنْصُوصًا فِي الْكِتَابِ وَ السَّنةِ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ بَيْنَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَ إِنْ كَانَ بَعْضُ الْأَلْفَاظِ حَصَلَ فِيهِ التَّوَقُّفُ كَمَا مَثَّلْنَا بِلَفْظَةِ السَّاقِ , وَ كَلَامُ السَّلَفِ فِي هَذَا الْبَابِ يَتَّبِعِي الْإِهْتِمَامُ بِهِ لِأَنَّهُ يُفَسَّرُ لَنَا وَ يُبَيَّنُ مَعَانِي النُّصُوصِ , إِذَا ذُكِرَ دَلِيلٌ مِنَ الْكِتَابِ وَ السَّنةِ ثُمَّ ذُكِرَ بَعْدَ ذَلِكَ آثَارُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ , فَائِدَةُ هَذِهِ الْآثَارِ تُفِيدُ أَوَّلًا إِنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ مُحْكَمَةٌ بَاقِيَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ , وَ ثَانِيًا تُؤَكِّدُ لَنَا الْمَعْنَى الْمُرَادَ بِفَهْمِ كَلَامِ السَّلَفِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْزِمَ مَرَادَ اللَّهِ وَ مَرَادَ

رسول الله صلى -الله- عليه و سلم من أقوالهم. مِنْ قَوْلِهِ و من قول رسول الله عليه الصلاة و السلام , مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَب. تَتَفَاخَرُ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَقُولُ "لَهَنَّ زَوْجَكُنَّ أَهْلِيكُمْ وَ زَوْجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ" , هذا الأثر منها رضي -الله- عنها يُبَيِّنُ لَنَا مَعْنَى (الرحمن على العرش استوى) و معنى (أُمتَمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ) و غير ذلك من نصوص الصِّفَات. نصوص العُلُو , أَيْ إِنَّ السَّلَفَ هَكَذَا فَهَمُوا وَ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْفَهْمُ أَوْ هَذَا الْمَفْهُومُ جَدِيدًا كَمَا يَزْعَمُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ الْآنَ , يَحْسُبُونَ أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ هُوَ الَّذِي أَتَى بِهَذَا الْمَفْهُومِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ , لِذَلِكَ حَرَصَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي الْفَتْوَى الْحَمَوِيَّةِ فِي نَقْلِ كَلَامِ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ وَ الْأُئِمَّةِ بَلَّ جَمِيعَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اِطَّلَعُوا عَلَى أَقْوَالِهِمْ إِلَى وَقْتِهِ حَتَّى مِنْ بَعْضِ الصَّوْفِيَّةِ. حَتَّى مِنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ نَقَلَ كَلَامًا يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مَفْهُومَهُ الْخَاصُّ بَلَّ هَذَا مَفْهُومُ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلِينَ جَمِيعًا وَ إِنَّمَا جَهْلَ مِنْ جَهْلٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ , وَ مَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُتَأَخِّرُونَ نَفِيًا أَوْ اثْبَاتًا فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ أَيْ لَا يَجِبُ عَلَى أَحَدٍ. بَلَّ وَلَا لَهُ. أَيْ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُوَافِقَ أَحَدًا فِي إِثْبَاتِ لَفْظٍ أَوْ نَفْيِهِ , إِذَا اخْتَلَفَ الْمُتَأَخِّرُونَ وَ هُمُ الَّذِينَ يَقْصِرُ اخْتِلَافُهُمْ , إِذَا اخْتَلَفُوا نَفِيًا وَ اثْبَاتًا فِي لَفْظٍ مِنَ الْإِلْفَازِ لَيْسَ لِأَحَدٍ. لَا يَجِبُ عَلَى أَحَدٍ بَلَّ لَا يَجُوزُ لَهُ إِثْبَاتُ لَفْظٍ أَوْ نَفْيِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مُرَادَهُ لِأَنَّهُمْ أَحَدَثُوا أَلْفَازًا كَثِيرَةً كَمَا سَيَأْتِي , فَإِنْ أَرَادَ حَقًّا فِي اللَّفْظِ الْمُحَدَّثِ قُبُلَ الْحَقِّ , لَا يُرَدُّ لِكَوْنِهِ مُصْطَلَحًا جَدِيدًا وَ إِنْ أَرَادَ بَاطِلًا رُدَّ , فِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ , سَبَبُ إِنْكَارِ السَّلَفِ عِلْمَ الْكَلَامِ وَ دَمَهُمْ , لَيْسَ لِكَوْنِهِ مُصْطَلَحًا جَدِيدًا , بَلَّ لِكَوْنِهِ دَالًّا عَلَى بَاطِلٍ وَ إِلَّا فَالْمُطْلَحَاتُ كَثِيرَةٌ , عِلْمُ النَّحْوِ مُصْطَلَحٌ وَ الصَّرْفُ وَ الْبَلَاغَةُ وَ مُصْطَلَحُ الْحَدِيثِ وَ أَصُولُ الْفِقْهِ وَ عِلْمُ التَّجْوِيدِ. هَذِهِ كُلُّهَا مُصْطَلَحَاتٌ , مَا كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ السَّلَفِ , السَّلَفُ كَانُوا يُطَبِّقُونَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ نَظْمًا لَا كِتَابَةً , أَيْ لَيْسَ لَهُمْ كُتُبٌ مُؤَلَّفَةٌ فِي هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ , لَكِنْ اِحْتِيَاجُ الْمُسْلِمُونَ أَخِيرًا إِلَى تَدْوِينِ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَحْتَ إِسْمِ النَّحْوِ وَ الصَّرْفِ وَ الْبَلَاغَةِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ , هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتُ مَقْبُولَةٌ. غَيْرُ مَرْدُودَةٍ وَ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ , إِذَا سَبَبَ دَمَهُمْ لِعِلْمِ الْكَلَامِ لَا لِكَوْنِهِ مُصْطَلَحًا جَدِيدًا وَ لَكِنْ لِكَوْنِهِ مُشْتَمِلًا عَلَى بَاطِلٍ , هُنَا يُشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَيَقُولُ أَنْ جَاءَ فِي كَلَامِ الْمُتَأَخِّرِينَ لَفْظٌ. إِنْ أَرَادَ بِهِ حَقًّا

قُبِلَ و ان أرادَ باطلاً رُدَّ , لَفْظَةُ الصَّانِعِ كما تقدم من الألفاظ المستحدثة , إطلاق صَانِعٍ على الله يُقْبَلُ مَنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَعْنَاهُ خَالِقٌ وَ إِطْلَاقُ لَفْظِ قَدِيمٍ وَ إِنَّمَا يَكُنْ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ -الله تعالى- مَقْبُولٌ , لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ "الأوّل" الأوّل الذي ليس قبله شيء و إن كان اسمه الأوّل. اسمُ الله "الأوّل" أَبْلَغُ مِنَ الْقَدِيمِ لَكِنَّ لَا نَعِيبُ وَ لَا نَرُدُّ لَفْظَةَ قَدِيمٍ , الأوّل فَسَّرَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ (الأوّل الذي ليس قبله شيء) وَ لَفْظَةُ قَدِيمٍ لَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَامِلًا. بَلْ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى وَ عَلَى الْقَدَمِ النَّسَبِيِّ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ , إِذَا تَجَدَّدَ الْعُرْجُونُ هَذَا الْعَامَ قِيلَ لِلْعُرْجُونِ الَّذِي فِي الْعَامِ الْمَاضِي "العرجون القديم" إِذَا قَدَّمَ نِسْبِي أَيْ تَقَدَّمَ نِسْبِي , وَ لَكِنَّ الْمَعْنَى صَحِيحٌ يُقْبَلُ , هَذَا مَعْنَاهُ إِنْ أَرَادَ بِهِ حَقًّا قُبِلَ وَ إِنَّمَا أَرَادَ بَاطِلًا رُدَّ , يَأْتِي مَا يَدُلُّ عَلَى الْبَاطِلِ فِي لَفْظَةِ الْجَهَةِ وَ التَّحْيِيزِ , وَ إِنَّمَا اشْتَمَلَ كَلَامُهُ عَلَى . أَوْ إِنْ أَرَادَ بِلَفْظَةِ . حَتَّى لَفْظُ الْقَدِيمِ أَوْ لَفْظُ الصَّانِعِ لَوْ أَرَادَ بِهِ مَعْنَى بَاطِلًا كَأَنَّ فَسَّرَ الْقَدَمَ بِغَيْرِ مَعْنَى الْأَوَّلِيَّةِ لَا يُقْبَلُ , إِنْ فَسَّرَ بِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْأَوَّلِ وَ الَّذِي لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ بَدَايَةُ وَ لَيْسَ لِآخِرِيَّتِهِ نِهَايَةُ يُقْبَلُ هَذَا الْمَعْنَى , وَ إِنَّمَا اشْتَمَلَ كَلَامُهُ عَلَى حَقٍّ وَ بَاطِلٍ لَمْ يُقْبَلْ مُطْلَقًا وَ لَمْ يُرَدَّ جَمِيعٌ مَعْنَاهُ مُطْلَقًا بَلْ يُوقَفُ اللَّفْظُ وَ يُفَسَّرُ الْمَعْنَى كَمَا تَنَازَعَ النَّاسُ فِي الْجَهَةِ وَ التَّحْيِيزِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ , بِمَعْنَى نَحْنُ لَا نَسْتَعْمِلُ لَا الْجَهَةَ وَ لَا التَّحْيِيزَ وَ لَكِنْ لَوْ اسْتَعْمَلَ إِنْسَانٌ مَا . قَالَ اللَّهُ فِي جَهَةِ أَوْ قَالَ لَيْسَ اللَّهُ فِي جَهَةٍ أَوْ قَالَ اللَّهُ مُتَحَيِّزٌ أَوْ غَيْرُ مُتَحَيِّزٍ . لَا نَرُدُّ رَدًّا وَ لَكِنْ نَسْتَفْسِرُ مَاذَا يُرِيدُ؟ إِنْ كَانَ طَالِبَ عِلْمٍ وَ مُطَّلِعٌ عَلَى هَذِهِ الْأَصْطِلَاحَاتِ وَ فَسَّرَ تَفْسِيرًا صَحِيحًا كَمَا سَيَأْتِي فِي كَلَامِ الشَّيْخِ قُبِلَ , وَ إِنَّمَا فَسَّرَ تَفْسِيرًا بَاطِلًا رُدَّ , وَلَكِنْ نَحْنُ لَا نَسْتَعْمِلُ بِاخْتِيَارِنَا هَذِهِ الْأَلْفَافِ بَلْ نَسْتَعْمِلُ الْأَلْفَافَ الشَّرْعِيَّةَ , أَمَّا كَلِمَةُ التَّحْيِيزِ وَ الْجَهَةِ وَ الْعَرَضِ وَ الْجِسْمِ لَا نَسْتَعْمِلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي حَقِّ -الله تعالى- لِعَدَمِ الْوُزُودِ وَ لاشْتِمَالِ هَذِهِ الْأَلْفَافِ عَلَى الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ , نَعَمْ .

القارئ: قَالَ رَحِمَهُ -الله تعالى- (فلفظ «الجهة» قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات ، وقد يراد به ما ليس بموجود غير

الله -تعالى- ، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم ، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ «الجهة» ولا نفيّه، كما فيه إثبات «العلو» و «الاستواء» و «الفوقية» و «العروج إليه» ونحو ذلك ، وقد عُلِمَ أن ما ثَمَّ موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق -سبحانه وتعالى- ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق ، فالله ليس داخلا في المخلوقات؛ أم تريد بالجهة ما وراء العالم ، فلا ريب أن الله فوق العالم، بائن من المخلوقات ، وكذلك يقال لمن قال: إن الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم، أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات. فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل.)

الشيخ: بَسْ ، قَلَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رحمه -الله تعالى- في لَفْظِ الْجِهَةِ ، فَلَفِظُ الْجِهَةِ قَدْ يَرَادُ بِهِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ غَيْرَ اللَّهِ فَيَكُونُ مَخْلُوقًا ، ذَلِكَ الشَّيْءُ يَكُونُ مَخْلُوقًا ، إِذِ الْمَوْجُودُ إِمَّا خَالِقٌ وَ إِمَّا مَخْلُوقٌ ، كَمَا إِذَا أُرِيدَ بِالْجِهَةِ نَفْسُ الْعَرْشِ ، قَدْ يُرَادُ بِالْجِهَةِ نَفْسُ الْعَرْشِ. الْعَرْشُ نَفْسُهُ ، أَوْ السَّمَاوَاتُ نَفْسُهَا ، وَ قَدْ يُرَادُ بِلَفْظِ الْجِهَةِ مَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ غَيْرَ -الله تعالى- أَيْ يُرَادُ بِهِ الْجِهَةُ الْعَدَمِيَّةُ كَمَا إِذَا أُرِيدَ بِالْجِهَةِ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ. لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ شَيْءٌ. الله -سبحانه و تعالى- فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، مَنْ قَالَ إِنَّهُ فِي جِهَةٍ وَ أَرَادَ بِذَلِكَ إِنَّهُ فِي دَاخِلِ الْعَرْشِ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَهَذَا الْمَعْنَى بَاطِلٌ ، وَ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ فِي النَّصِّ اثْبَاتٌ لَفْظِ الْجِهَةِ ، لَمْ يَرِدْ لَا فِي الْكِتَابِ وَ لَا فِي السُّنَّةِ اثْبَاتٌ لَفْظِ الْجِهَةِ مُسْتَعْمَلًا فِي حَقِّ -الله تعالى- لَا نَفْيًا وَ لَا إِثْبَاتًا ، كَمَا فِيهِ اثْبَاتُ الْعُلُوِّ وَ الْإِسْتَوَاءِ وَ الْفُوقِيَّةِ وَ الْعُرُوجِ إِلَيْهِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ كَالصَّبْعِودِ إِلَيْهِ وَ قَوْلِهِ (أَأَمْنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ) هَذِهِ الْأَلْفَاظُ هِيَ الْأَلْفَاظُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي وَرَدَ اسْتِعْمَالُهَا فِي حَقِّ -الله تعالى- أَمَّا لَفْظُ الْجِهَةِ لَا نَفْيًا وَ لَا إِثْبَاتًا لَمْ يَرِدْ اسْتِعْمَالُهَا ، أَيْ لَمْ يَأْتِ ذِكْرُ الْجِهَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ لَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ الصَّحِيحَةِ فِي حَقِّ -الله تعالى- لَا نَفْيًا وَ لَا إِثْبَاتًا ، إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ مَا ثَمَّ مَوْجُودٌ إِلَّا الْخَالِقُ وَ إِلَّا الْمَخْلُوقُ ، لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ ثَالِثٌ ، الْمَوْجُودُ إِمَّا الْخَالِقُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ -

الله- و إما المخلوق , فالخالق مُبَايِنٌ للمخلوق -سبحانه- , الخالق مستحيل أن يكون مختلطاً أو في داخل المخلوقات , بل الخالق شرعا و عقلا مُبَايِنٌ للمخلوق , ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته و لا في ذات الله -تعالى- شيء من مخلوقاته , هذا معنى المِبايَنَةِ , فالله -سبحانه و تعالى- بائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ ليس مُختلطاً بِخَلْقِهِ و ليس مُمتزجاً , ليس في ذات الله المقدسة شيء من مخلوقاته و لا في مخلوقاته شيء من ذاته بل هو مُبَايِنٌ مُبَايَنَةً مُطلقة و هذا هو معرفَةُ الله , مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ الله تعالى يَعْرِفُ بهذا المعنى بأنَّ الله -سبحانه و تعالى- فوق جميع المخلوقات , ليس في ذات الله -تعالى- شيء من مخلوقات الله , و ليس في مخلوقات الله تعالى شيء من ذات الله , إذا الله مُبَايِنٌ , هذا معنَى كلام عبدالله ابن المبارك الذي تَقَدَّمَ لما سُئِلَ بِمَا نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قال: "نعرفه بأنه فوق سمواته مُستَوٍ على عرشه بائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ" , بهذا نَعْرِفُهُ , و السَّلَفُ مُجْمِعُونَ على هذا , هذا محلّ اجماع عند السلف , كونُ الله سبحانه و تعالى بائِنٌ من خلقه , صرّح بذلك كثير من الأئمة كالليث ابن سعد و الإمام مالك و الزهري و مكحول و غير ذلكم من التابعين و تابعي التابعين .

سَبَقَ ان قلنا كلامُ السَّلَفِ يُسْتَأْنَسُ بِهِ لِيُفْهَمَ بِهِ مُرَادُ الله و مراد رسوله صلى -الله- عليه و سلم , هكذا اتفقوا على هذا , بَعْدَ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ يُقَالُ لِمَنْ نَفَى الْجِهَةَ , قَالَ لَيْسَ الله في جِهَةٍ , ماذا تُريدُ؟ أتريدُ بالجهة أنّها شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلًا في المخلوقات , إذا معنَى نَفْيِهِ صَحِيحٌ , إذا قَالَ: ليس الله في جهة و أَرَادَ بِذَلِكَ بِالْجِهَةِ شَيْئًا مَخْلُوقًا أَيْ لَيْسَ الله في داخلِ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ. المعنى صحيح , أَمْ تُريدُ بِالْجِهَةِ مَا وَارَاءَ الْعَالَمِ , فَلَا رَيْبَ أَنَّ الله فوق العالم بائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ , إذا قِيلَ: إذا قَالَ ليس الله في جِهَةٍ و أَرَادَ بِذَلِكَ لَيْسَ الله فوق العالم و ليس وراء هذا العالم , لا يوجَدُ وَرَاءَ هَذَا الْعَالَمِ و فوق العالم شيء , ليس هُنَاكَ رَبٌّ يُعْبَدُ و إِلَهٌ يُسَجَّدُ لَهُ ! هذا المعنى باطل, يُرَدُّ , إذاً لا بدّ من هذا الاستفسار , كلّ من قال ليس الله في جِهَةٍ يُسْتَفْسَرُ هَذَا الاستفسار , و ان قَالَ الله في جهة كذلك. إذا قَالَ: الله في جِهَةٍ . ماذا تُريدُ؟ هل تُريدُ الله في السماوات تُحِيطُ بِهِ السماوات؟ المعنى باطل , إذا قال: الله في جهة فوق جميع المخلوقات. هل أَرَادَ بِالْجِهَةِ الْعَدَمَ "الجهة العدمية" ؟, فوق جميع المخلوقات

بائناً من خلقه. المعنى صحيح , لكن لا يضطرّ المسلم الى هذا اللفظ المحتمل. لذلك يستعمل الالفاظ الشرعية و يستغني عن هذه الالفاظ , و لكن ينبغي أن يُدرَسَ هذا خشية أن تسمع من أحد , لا تُبادِرَ بالردّ و لا بالمؤافقة إلاّ بعد هذا الاستفسار , فيقال: مرّة أخرى لمن نفى الجهة. فقال: إنّ الله ليس في جهة , أتريد بالجهة أنّها شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلًا في المخلوقات , معنى قولك الله في جهة أي ليس داخلًا في المخلوقات. المعنى صحيح و لكن اخطأت في استعمال هذا اللفظ المحتمل , تُغيك الالفاظ الشرعية عن هذا اللفظ كقولك: الله في العلو. الله فوق المخلوقات. فوق جميع مخلوقاته. فوق عرشه. و تستدلّ بالنصوص على هذا المعنى , إنّ الله لما خلق الخلق كتب كتابًا و هو عنده فوق العرش , هكذا في الحديث الصحيح ينبغي الإقتصار على هذه الالفاظ الشرعية , أو تريد بالجهة ما وراء العالم , إذا قال: ليس الله في جهة. و أراد بذلك ليس الله وراء هذا العالم و ليس فوق هذا العالم , هذا نفى , نفى وجود الله , لا شك أنّ هذا المعنى باطل , إذا ما هو الصحيح؟ الصحيح: الله فوق جميع المخلوقات (الرحمن على العرش استوى) , العرش سقف الدنيا. أعظم المخلوقات على الإطلاق. فالله - سبحانه و تعالى - أخبر عن نفسه أنّه بعد أن خلق السماوات و الأرض و ما بينهما في ستّة أيام استوى على عرشه. استواء يليق به , الاستواء صفة فعل , علو خاص , الله - سبحانه و تعالى - علو الذات و علو الذات صفة ذاتية أي لم يزل الله و لن يزال في علوه أبدًا , لا في حال نزوله و لا في حال مجيئه , العلو صفة ذاتية ثابتة كالسمع و البصر و القدرة و الإرادة , أمّا الاستواء فعل فعله - سبحانه و تعالى - بعد أن خلق السماوات و الأرض و ما بينهما في ستّة أيام و كان عرشه على الماء , العرش قديم نسبيًا , أي بالنسبة للسماوات و الأرض , العرش و القلم. الاختلاف في أيّهما الأوّل , الصحيح العرش هو الأوّل. أي أوّل المخلوقات , و مع ذلك لم يُخبر الربّ سبحانه و تعالى أنّه خصّ بالاستواء عليه إلاّ بعد أن خلق السماوات و الأرض , هكذا تقتصر على الالفاظ الشرعية , العلو و الاستواء و الفوقية و العروج إليه و الصعود إليه. أنّه في السماء. هذه الالفاظ الشرعية الواردة في الكتاب و السنة فيها الغنية من استعمال الالفاظ

المستحدثة كالجبهة ، نعم .

القارئ: قال رحمه -الله تعالى- (وكذلك يقال لمن قال: إن الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم، أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات. فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل)

الشيخ: لحظة ، و إن شرح هذا الكلام مرة أخرى يُقال لِمَنْ. لِمَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ فِي جِهَةٍ ، و هذا كثير ما يستعملون ، علماء الكلام كثيرا ما يستعملون أنه في جهة أو ليس في جهة ، و ربما بعض أتباع السلف من المؤلفين الآن قَدْ يَسْتَعْمِلُونَ إِنَّ اللَّهَ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ ، وَ كَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ فِي الْعُلُوِّ وَ يَحَذِفُوا لَفْظَةَ الْجِهَةِ. في جميع المؤلفات الحديثة التي يُؤَلِّفُهَا أَتْبَاعُ السَّلَفِ إِنْ تَأَثَّرُوا بِعِلْمِ الْكَلَامِ اسْتَعْمَلُوا هَذِهِ الْأَلْفَاظَ أحيانا و ربما بعض المؤلفين السلفيين الطيبين وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ اسْتِعْمَالُ لَفْظِ الْجِهَةِ وَ الْأَوَّلَى عَدَمُ الاسْتِعْمَالِ ، لَكِنْ إِذَا قَالَ إِنَّ اللَّهَ فِي جِهَةٍ. يُقَالُ: أتريدُ بذلك أن الله فوق العالم ؟ إن أردت هذا. المعنى صحيح ، أو تُريدُ به أن الله داخلٌ في شيء من المخلوقات و هذا المعنى باطل ، فإن أردت الأول فهو حق ، لَكِنَّهُ يُحْطَى فِي اسْتِعْمَالِهِ هَذَا اللَّفْظُ الْمُسْتَحْدَثُ الْغَيْرِ وَارِدٌ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ ، وَ إِنْ أَرَدْتَ الثَّانِي فَهُوَ بَاطِلٌ. بَاطِلٌ لَفْظًا وَ مَعْنَى ، الْأَوَّلُ يُحْطَى مِنْ حَيْثُ اسْتِعْمَالُ لَفْظِ مُحَدَّثٍ ، وَ الثَّانِي عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي لِأَنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى بَاطِلًا ، نَعَمْ .

القارئ: قال رحمه -الله تعالى- (وكذلك لفظ «المتحيز» ، إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض، وقد قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض) ، وفي حديث آخر: (وإنه ليدحوها

كما يدحو الصبيان بالكرة) وفي حديث ابن عباس: ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم , وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات، أي مباين لها، منفصل عنها ليس حالا فيها. فهو سبحانه كما قال أئمة السنة: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.)

الشيخ: لفظ المتحيز من الألفاظ المستحدثة و من المصطلحات الجديدة عند علماء الكلام , إن أراد به الله تحوزة المخلوقات أي تحوط به أو تحيط به المخلوقات. الله أعظم وأكبر و هذا المعنى باطل , من قال إن الله متحيز و أراد بذلك أن الله تحوزة و تحيط به المخلوقات , أي مخلوق من المخلوقات يُقال له فالله أعظم و أكبر من أن يحيط به أي مخلوق , بل قد وسع كرسيه السماوات و الأرض , الكرسي موضع القدمين للرب سبحانه و تعالى كما في أثر ابن عباس و الأثر في حكم الرفع (الكرسي موضع القدمين) هذا الكرسي الذي موضع القدمين وسع السماوات و الأرض , العرش لا يُقدّر قدره إلا الله , فالله سبحانه و تعالى أكبر و أعظم. فوق جميع المخلوقات لا يحيط به أي مخلوق حتى العرش , العرش الذي استوى عليه ليس معنى ذلك أنه يحيط به أو أن الله محتاج إليه. لا , الغنى وصف ذاتي لله كالسمع و البصر و القدرة و غير ذلك , فالله غني غنى مطلقاً عن جميع المخلوقات و إنما خصّ العرش بالاستواء الخاص لحكمة يعلمها و لا نعلمها. فعّال لما يريد و هو العليم الحكيم و ليس بحاجة إلى العرش. ¹ بالحكم بالقطع على إصبع رسول الله عليه الصلاة و السلام , هذا كلام جريئ جداً , يدل على الجهل , الشاهد : الإشارة إلى العين إلى الأذن بالقبض و البسط هكذا. إشارة إلى تأكيد هذه المعاني ليس فيها أدنى تشبيه , لا يتهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بأنه يُشبه و لا يتهم من اتبعه بأنه يُشبه. فلينبه لذلك , و قد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال (يقبض الله الأرض و يطوي

¹ (كأنه انقطاع للصوت بالشريط)

السموات بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مَلُوكُ الْأَرْضِ) فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ , وَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ (وَ إِنَّهُ لَيَذْخُوهَا كَمَا يَذْخُوا الصَّبِيَانُ بِالْكُرَةِ) يُمِيلُ . يَمِيلُ بِهَا , وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ (مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَ مَا فِيهِنَّ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ) إِذَا جَعَلَ الْإِنْسَانُ خَرْدَلَةً . حَبَّةٌ صَغِيرَةٌ كَحَبَّةِ سَمْسِمٍ أَوْ أَصْغَرُ , جَعَلَ فِي يَدِهِ وَ قَبْضَ هَكَذَا أَحَاطَ بِهَا مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ . فَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي يَدِهِ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِنَا , فَاللَّهُ الْعَظِيمُ وَ هَذِهِ عَظَمَتُهُ كَيْفَ يَكُونُ دَاخِلَ الْمَخْلُوقَاتِ ! ؟ لَا يَلِيقُ , وَ إِنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ مُنْحَازٌ بِقَوْلِهِ مُتَحَيِّزٌ . هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي تَقَدَّمَ بَاطِلٌ طَبْعًا , وَ إِنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ مُنْحَازٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ أَيْ مُبَايِنٌ لَهَا , مُتَحَيِّزٌ بِمَعْنَى مُبَايِنٍ . مُنْفَصِلٌ عَنْهَا . لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِالْمَخْلُوقَاتِ وَ لَا مُتَنَزِّجًا وَ لَا حَالًا فِيهَا , إِذَا أَرَادَ هَكَذَا: لَيْسَ حَالًا فِيهَا فَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا قَالَ أُئِمَّةُ السُّنَّةِ: فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ , إِذَا مَعْنَى مُتَحَيِّزٌ إِنْ أَرَادَ الْمَعْنَى الثَّانِي . الْمَعْنَى صَحِيحٌ لَكِنْ كَمَا قُلْنَا يُخْطِئُ لاسْتِعْمَالِهِ هَذَا اللَّفْظُ الْمَجْمَلُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ إِنْ أَرَادَ هُوَ حَقًّا لَكِنْ اللَّفْظُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى حَقٍّ وَ بَاطِلٍ . لَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى , نَكْتَفِي بِهَذَا الْمِقْدَارِ .

الدرس رقم : 15

القارئ: قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (القاعدة الثالثة - إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد، أو ظاهرها ليس بمراد , فإنه يقال: لفظ «الظاهر» فيه إجمال واشتراك، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين، أو ما هو من خصائصهم، فلا ريب أن هذا غير مراد , ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمّون هذا ظاهراً، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفرًا وباطلاً، والله - سبحانه وتعالى - أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال , والذين يجعلون ظاهرها ذلك يَغْلُطُونَ من وجهين: تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ، حتى يجعلوه محتاجاً إلى تأويل يخالف الظاهر، ولا يكون كذلك , وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ، لاعتقادهم أنه باطل , فالأول: كما قالوا في قوله: (عبدى جعت فلم تطعمني ...) الحديث، وفي الأثر الآخر: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقَّبله فكأنما صافح الله وقَّبل يمينه) ، وقوله: (قلوب العباد بين أَصْبُعَيْنِ من أصابع الرحمن) , فقالوا: قد علم أن ليس في قلوبنا أصابع الحق , فيقال لهم: لو أعطيتهم النصوص حقها من الدلالة لعلمتم أنها لا تدل إلا على حق , أما الحديث الواحد فقوله: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقَّبله فكأنما صافح الله وقَّبل يمينه) صريح في أن الحجر الأسود ليس هو صفة لله، ولا هو نفس يمينه، لأنه قال: (يمين الله في الأرض) ، وقال: (فمن قَّبله وصافحه فكأنما صافح الله وقَّبل يمينه) ومعلوم أن المشبَّه غير المشبَّه به، ففي نص الحديث بيان أن مستلمه ليس مصافحاً لله، وأنه ليس هو نفس يمينه، فكيف يُجعل ظاهره كُفْراً، وأنه محتاج إلى التأويل! مع أن هذا الحديث إنما يعرف عن ابن عباس , وأما الحديث الآخر: فهو في الصحيح مفسَّرًا: (يقول الله: عبدى جعت فلم تطعمنى. فيقول: ربّ كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! . فيقول: أما علمت أن عبدى فلانًا جاع، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي. عبدى مرضت فلم تعدني. فيقول: ربّ كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! . فيقول: أما

علمت أن عبيدي فلاناً مرض، فلو عدته لوجدتني عنده) ، وهذا صريح في أن الله سبحانه وتعالى لم يمرض ولم يجع، ولكن مرض عبده وجاع عبده، فجعل جوعه جوعه، ومرضه مرضه، مفسراً ذلك بأنك (لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، ولو عدته لوجدتني عنده) . فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلى تأويل ، وأما قوله: (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن) ، فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع، ولا مماس لها، ولا أنها في جوفه. ولا في قول القائل: هذا بين يدي. ما يقتضي مباشرته ليديه. وإذا قيل: {وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} لم يقتض أن يكون مماساً للسماء والأرض. ونظائر هذا كثيرة).

الشيخ: بَسْ ، الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و إمام المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة التدمرية القاعدة الثالثة اذا قال القائل ظاهرُ النصوص مُرادٌ أو ظاهرُها ليس مُراد ، لو سُئِلَ الانسان هل ظاهرُ نصوص الصفات مُرادٌ لله - سبحانه و تعالى - أو غيرُ مُراد؟ و هل هي على ظاهرها أو ليست على ظاهرها ، بعد أن دَخَلَ مَبْحَثُ عِلْمِ الْكَلَامِ في بابِ العقيدة لَأَ يُجَابُ على هذا السؤال لا بنفيٍ و لا باثبات بَلْ يُسْتَفْسَرُ ، و هذا المبحث تجدد أي كَوْنُ الظاهر لَفْظُهُ مُحْتَمِلٌ إِمَّا تَجَدَّدَ بعد أن دَخَلَ عِلْمُ الْكَلَامِ في مبحثِ العقيدة و إِلَّا عِنْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ لا يتوقفونَ في مثلِ هذا و لا يَحْتَمِلُ أيَّ احتمال ، بَلْ عِنْدَهُمْ ظاهر النصوص مراد لله تعالى و لا يفهمونَ مِنَ الظاهرِ إِلَّا ما يليقُ بالله و يعتقدونَ أَنَّهُ يوجَدُ في كتابِ الله أو في سنةِ رسولِ الله عليه الصلاة و السلام الصحيحة ما يَدُلُّ على الباطلِ حتَّى يَحْتَاجَ إلى التَّأْوِيلِ ، كَأَنَّ ذَلِكَ التَّأْوِيلَ هُوَ التَّصْحِيحُ لله - تعالى - و لرسوله عليه الصلاة و السلام ، هذا مفهومٌ خاطئٌ دَخَلَ على المسلمين من حين أن نشأ علم الكلام ، فعلمُ الكلام لم ينشأ إلا في عهدِ العباسيين بِمَعْنَى إِنَّ المسلمين قبلَ ذلك كانوا في عافية و ليس عندهم هذا الارتباك في لَفْظَةِ ظاهرِ النصوص ، اذا قال القائل ظاهرُ النصوص. المرادُ بظاهرِ النصوص هنا نصوص الصفات لأنَّ المبحثَ في صفات -الله تعالى- و ليست نصوص عامة و لو كانَ المبحث مَعَ

الباطنيين و القرامطة. قَدْ يَشْمَلُ جَمِيعَ النُّصُوصِ , لِأَنَّهُمْ يُؤَوَّلُونَ حَتَّى نُصُوصِ الْأَحْكَامِ , لَكِنْ حَيْثُ كَانَ الْبَحْثُ هُنَا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ الْمُرَادُ بِالنُّصُوصِ نُصُوصِ الصِّفَاتِ , إِذَا قِيلَ: هَلْ هُوَ مُرَادٌ؟ ظَاهِرُهَا مُرَادٌ أَوْ لَيْسَ بِمُرَادٍ؟ فَإِنَّهُمْ يَقَالُ: لَفْظُ الظَّاهِرِ فِيهِ إِجْمَالٌ وَ اشْتِرَاكٌ. إِجْمَالٌ وَ اشْتِرَاكٌ طَرَفًا وَ لَيْسَ هَذَا أَصِيلًا , فِي الْأَصْلِ لَيْسَ هُنَا اشْتِرَاكٌ وَ لَا إِحْتِمَالٌ لَكِنَّهُ طَرَفٌ كَمَا قُلْنَا , فَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ يَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا التَّمْثِيلُ. يَفْهَمُ مِنَ الظَّاهِرِ التَّمْثِيلُ وَ التَّشْبِيهِ. إِذَا قَالَ الْقَائِلُ: ظَاهِرُ النُّصُوصِ مُرَادٌ. فَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- أَرَادَ بِقَوْلِهِ (ارْحَمْنِي عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوْى) ظَاهِرَ هَذَا اللَّفْظِ , وَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) أَرَادَ هَذَا الظَّاهِرَ وَ هُوَ الْحَيُّ وَ أَرَادَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ لِقَوْلِهِ (يَنْزِلُ رَبَّنَا) أَرَادَ هَذَا الظَّاهِرَ وَهُوَ النَّزُولُ الْحَقِيقِيُّ. لَوْ قُلْتَ هَذَا الْقَائِلُ أَمَامَ الَّذِينَ يَفْهَمُونَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالظَّاهِرِ هُوَ التَّمْثِيلُ وَ التَّشْبِيهِ اتَّهَمُوكَ بِأَنَّكَ مُشَبِّهٌ وَ مِمْلٌ , إِذَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تُطْلِقَ أَمَامَهُمْ هَذَا الْإِطْلَاقَ إِذَا كَانَ يَفْهَمُونَ هَذَا الْمَعْنَى , فَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ يَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا التَّمْثِيلُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ أَوْ مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ فَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ , يُقَالُ لَهُ: الظَّاهِرُ الَّذِي أَنْتَ تَرْعُمُهُ غَيْرُ مُرَادٍ لِأَنَّ الظَّاهِرَ فِي زَعْمِكَ وَ فِي عَقِيدَتِكَ هُوَ التَّمْثِيلُ وَ هُوَ إِثْبَاتُ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ لِلْخَالِقِ. هَذَا الظَّاهِرُ الَّذِي أَنْتَ تَعْنِيهِ غَيْرُ مُرَادٍ. يُبَيِّنُ لَهُ هَكَذَا , لَا يُقَالُ لَهُ مُرَادٌ وَ لَا يُقَالُ لَهُ غَيْرُ مُرَادٍ. لَا بَدَّ مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ , هَذَا جَمِيعُ أَهْلِ الْكَلَامِ بِمَا فِيهِمُ الْأَشَاعِرَةُ الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ غَيْرُ مُرَادٍ لِلَّهِ وَ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ خِلَافَ هَذَا الظَّاهِرِ وَ أَنَّ هَذَا الظَّاهِرَ لَا بَدَّ فِيهِ مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا التَّفْوِيزُ وَ إِمَّا التَّأْوِيلُ , يُعْبَرُ عَنْ هَذَا قَائِلُهُمْ: "وَ كُلِّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ-أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضَ وَ رُفْمَ تَنْزِيهَا" , هَذَا الْبَيْتُ يُفَسِّرُ هَذَا الْكَلَامَ , وَ كُلِّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوْى) عِنْدَهُمْ يُوْهَمُ التَّشْبِيهِ. "يَأْتِي رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ". "يَنْزِلُ رَبَّنَا". "بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ". (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ). كُلُّ هَذَا يُوْهَمُ التَّشْبِيهِ عِنْدَهُمْ , مَوْقِفُهُمْ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ النُّصُوصِ أَحَدُ مَوْقِفَيْنِ إِمَّا التَّأْوِيلُ وَ إِمَّا التَّفْوِيزُ , التَّأْوِيلُ وَهُوَ التَّحْرِيفُ , أَنْ يُقَالُ إِنَّ هَذَا الظَّاهِرَ غَيْرُ مُرَادٍ وَ الْمُرَادُ بِاسْتَوْى أَوْ الْمُرَادُ بِالْإِسْتِوَاءِ الْإِسْتِلَاءُ أَوْ السَّلْطَانُ أَوْ الْمَلِكُ أَوْ الْهَيْمَنَةُ , قَالُوا هَذَا هُوَ الْمُرَادُ , أَرَادَ اللَّهُ

هذه المعاني بقوله (الرحمن على العرش استوى) من أين عِلِمْتُمْ هذا المراد؟ من الذي فسّر لكم ظاهر كتاب -الله تعالى- أو ظاهر الآية بهذا المعنى , هل الله بَيَّنَّ في موضع آخر أنّ المراد بالاستواء الاستلاء أو الملك أو السلطان أو الهيمنة؟ . لم يُوجَدْ , و هل بَيَّنَّ النبي عليه الصلاة و السلام الذي كُلفَ بالبيان بَيَّنَّ أنّ هذا الظاهر غير مراد و أنّ المراد ما ذكرتم ؟ ! . لم يُبَيَّنَّ أو لم يذكر , اذا هذا افتيات على الله و قول على الله بغير علم و هو ضلال و بدعة , مع ذلك يُنظر الى مقصديهم و الى مرادهم و ما الذي دعاهم الى هذا , في ظنهم أنّهم يريدون التنزيه و أنّ هذا الاثبات أي اثبات هذه النصوص على ظاهرها يؤدي الى التشبيه اذا لابد من التنزيه , و التنزيه في زعمهم بهذا التأويل أو هذا هو المذهب المشهور عند الاشاعرة "أوله أو فوّض" و لذلك قدّم شاعرهم قدّم التأويل على التفويض اشارة بان هذا هو المذهب المشهور عندهم و هو المختار. "أو فوّض و رُمّ تنزيها" في كلتا الحاليتين. التفويض المراد بالتفويض هنا تفويض المعاني و الكيفية معاً , أي كُنْ مُفَوِّضًا , أي ادّعي بأنك لا تفهم معنى جاء و معنى استوى و معنى نزل ! هذا تكلفٌ بيّن , أي ما إنسان يعرف اللغة و يدّعي أنّه لا يعلم معنى استوى و لا معنى جاء أو معنى ينزل فأفوّض معاني هذه النصوص الى الله و الله أعلم ما معنى استوى و ما معنى جاء و ما معنى نزل و أنا لا أعلم , فضلاً من أن يعلم الكيفية. و الكيفية مجهولة لدى الجميع لكنّ المعاني المفروض أن يعترف بأن المعاني معلومة. هذا هو التفويض الذي اعتبره شيخ الاسلام فهو شرٌّ من التعطيل , لأنّ المعطل قصده هو حاول. حاول التنزيه و المحاولة فاشلة و أدّته الى التعطيل و لكنّ المفوّض لم يُحاول أي محاولة بل أعرض عن كتاب الله و عن سنة رسوله عليه الصلاة و السلام , لذلك هو أسوء حالا من المعطل , المفوّض أسوء حالا من المعطل , و قال "و رُمّ تنزيها" لتعلموا أنّ العرض من هذا التخبّط في نظريهم هو التنزيه و لم يُوفّقوا في التنزيه الصحيح , التنزيه يُؤخذ من قوله تعالى (ليس كمثله شيء و هو السميع البصير) أي التنزيه الحقيقي. التنزيه الذي هو صواب و لا صواب غيره أن ثبت لله ما أثبت لنفسه من صفات الكمال , او ما أثبت له رسوله عليه الصلّاة و السلام الأمين على وحيه , و بعد الاثبات تُنزّه هذه الصفات التي

أثبتها عن المشابهة. له سمع ليس كسمع المخلوقين و له بصر ليس كبصرهم و له استواء كاستوائهم , اذا أثبت أولاً ثم نزه , أما نفى الصفات و تسليط التأويل عليها أو الاعراض عنها باسم التفويض. ليس في ذلك تنزيه , إنك لم تثبت حتى تُنزه , أثبت أولاً ثم نزه .

و لكن يقول شيخ الاسلام و لكن السلف و الائمة لم يكونوا يُسمون هذا ظاهرا و لكن السلف الصحابة و التابعون و الائمة. الائمة المشهود لهم بالإمامة منهم الائمة الاربعة. من الائمة الاربعة من هو في عداد التابعين كالامام أبي حنيفة و منهم من هم في عداد تابعي التابعين كالائمة الثلاثة , و غيرهم ممن في طبقته كلهم لا يُسمون هذا ظاهر النصوص و لكن السلف و الائمة لم يكونوا يُسموا هذا ظاهرا. هذا ما قلنا إن هذا الاحتمال تجدد بعد دخول أو بعد نشأة علم الكلام و قبل ذلك ما يُسمون هذا الذي لا يليق بالله - تعالى - هذا الباطل لا يُسمونه ظاهرا و لا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن و الحديث كفرا و باطلا , بل لا يجوز أن يعتقد مسلم أنه يوجد في كتاب الله أو توجد في كتاب الله آية واحدة تدل على المعنى الباطل حتى يضطر الانسان أن يصحح ذلك الباطل بالتأويل أو أن يثبت عن رسول الله عليه الصلاة و السلام حديث واحد صحيح لكنه يدل على الباطل حتى يؤول , كأن المؤولة الذين نشؤوا مع نشأة علم الكلام هم الذين يصححون كلام الله و كلام رسوله عليه الصلاة و السلام. وقَعُوا في هذه الجريمة من حيث لا يشعرون لأن اعتقاد أنه يوجد في كتاب الله أو في سنة رسول الله الصحيحة ما يدل على الباطل حتى يؤول , معنى ذلك إن رسول الله عليه الصلاة و السلام لم يبين ذلك الباطل و إن الصحابة لم يفهموا ذلك الباطل فضلا من أن يصححوا ! و لكن جاء في ما بعد من فهم هذا الباطل و صحح. صحح بأحد أمرين إما بالتأويل او بالتفويض .

و لا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن و الحديث كفرا و باطلا. هذا أمر غير جائز عقلا و شرعا , و الله - سبحانه و تعالى - أعلم و أحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر و ضلال في أول وهلة حتى يؤول و بعد التأويل يعرف مرادة و هذا يتناقض مع العلم و الحكمة . الله عليم يعلم ما يليق به و ما لا يليق به و هو

الحكيم الذي لا يُنزَلُ في كتابه إلا ما هو الحق , و كونه يُنزَلُ باطلا فيضطرُّ بعضُ عباده الى التصحيح. هذا لا يليقُ بعلم الله - تعالى - و لا بحكمته , و الذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين. خطوهم من وجهين و هم أهلُ الكلام جميعا كما قلنا. تارة يجعلون المعنى الفاسدَ ظاهرَ اللفظ. يجعلون المعنى الفاسدَ الذي لا يليقُ بالله تعالى ظاهرَ اللفظ. أن ظاهرَ استوى يدلُّ على أن الله سبحانه و تعالى اذا تركنا هذه الآية على ظاهرها يدلُّ على ما هو الباطل و ذلك هو المراد من اللفظ , و أن استوى يدلُّ على أن الله سبحانه و تعالى محتاجُ الى العرش و المستوي على الشيء إما يكون مثل ذلك الشيء الذي استوى عليه أو أكبر أو أصغر و هذه أعراض استواء المخلوق على المخلوق , و هذا مستحيل , إذاً إثبات الاستواء على ظاهره الذي هو الظاهر عندهم مستحيل , فيجب التأويل , يجعلون المعنى الفاسدَ ظاهرَ اللفظ حتى يجعلوه محتاجاً الى تأويل , طالما دلَّ ظاهر اللفظ على هذا المعنى المستحيل إذاً يحتاج الى تأويل. الى تأويلٍ يخالف الظاهر و لا يكون كذلك. لا يكون مستحيلاً بعد التأويل بل يكون لا تقا بالله تعالى , ما هو ذلك المعنى اللائق بالله الذي يجب التأويل اليه و الخروج من ظاهر اللفظ لأجله. لأجل هذا التصحيح بالنسبة للاستواء كما تقدم. إما أن يُفسر الاستواء بمعنى الملك. فهو مالكُ العرش. سلطانه على العرش. مُهيمنٌ على العرش , فإذا كان مهيمنا على العرش أليس هو بمهيمنٍ على جميع المخلوقات؟ أليس ملكه عاماً؟ هل ملكه على العرش فقط؟ لو نُوقِشوا لا يجدون جواباً صحيحاً مقنعاً. لكن القضية عندهم التقليد. مجرّد التقليد. التلميد يُقلدُ الشيخ. و الشيخ من قبل قلّد شيخه و هكذا سلسلة التقليد و ليس لديهم دليل مقنع بدعوى إن ذلك عقلاً مستحيل و أن النقل لا يعتمدُ عليه في هذا الباب أي أدلة الكتاب و السنة لا يعتمدُ عليها في باب العقيدة لأن باب العقيدة بابٌ خطير لا بد أن يكون الإثبات فيها بالدليل القطعي. الدليل القطعي عندهم هو الدليل العقلي , و الدليل اللفظي الذي هو الكتاب و السنة ظني و ليس بقطعي. اذا إنما تُذكر الأدلة النقلية من باب الاستئناس بها أو من باب الاعتراض بها لا من باب الاعتماد عليها و الاعتماد الدليل العقلي ! لما تركوا كتاب الله و سنة رسوله عليه

الصلاة و السلام و قَعَدُوا هذه القاعدة ضَلُّوا. كلٌّ من تَرَكَ الكتاب و السنّة و قَعَدَ لَهُ قواعد و أَصَلُّوا أصولاً فَقَدْ ضَلُّوا لأنّ الواجب خصوصا في هذا الباب الاكتفاء. الاكتفاء التام بالكتاب و السنّة و عَدَمُ محاولة الإتيان بقاعدة أو بأصلٍ مُخالفٍ للكتاب و السنّة , و تَارَةً يُرَدُّونَ المعنى الحق الذي هو العُلُوّ و الارتفاع في مثالنا (الرحمن على العرش استوى) مثلا. يُرَدُّونَ المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ. ظاهر اللفظ يدلّ على العُلُوّ . على العُلُوّ على خلقه - سبحانه و تعالى - و على الصَّعُودِ لأنّ على. لأنّ الفعل استوى اذا تَعَدَّى بِعَلَى يَدُلُّ على العُلُوّ , و إِذَا تَعَدَّى بِإِلَى يَدُلُّ على القصد "استوى إلى كذا" أي قَصَدَ الى كذا , و "استوى على كذا" علاً على كذا , هذا ما يدلّ عليه ظاهر اللفظ , يُرَدُّونَ المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ. هذا الظاهر هو الوحيد الذي كَانَ يَفْهَمُهُ السلف. لا يَفْهَمُ سَلَفُ هذه الأُمَّة و الأئمة من الظاهر. مِنْ ظاهرِ النصوص إلّا هذا المعنى الحق , لا عِتْقَادِهِمْ. يُرَدُّونَ هذا المعنى لا عِتْقَادِهِمْ أَنَّهُ باطل. في اعتقادهم اعتقاد بأنّ الله في العُلُوّ باطل , وَقَدْ شَدَّدَ بَعْضُهُمْ إلى القول بأنّ من أشار الاشارة الحسية إلى السماء عند قوله تعالى (أأمنتم من في السماء) إِنْ اعتَقَدَ بأنّ الله في العُلُوّ بهذه الاشارة يَكْفُرُ , لأنّهُ في زعمهم جعلَ الله مكانا. جعلَ الله في مكانٍ مُعَيَّن. و إِنْ اعتَقَدَ. و إِنْ أشارَ هذه الاشارة غَيْرَ مُعْتَقِدٍ بأنّ الله في العُلُوّ و لَكِنْ إِتِّبَاعًا لِعِيَرِهِ أَشَارَ فَهُوَ فَاسِقٌ لَيْسَ بِكَافِرٍ , قَضِيَّةٌ فِي غَايَةِ الْخَطُورَةِ , أَوَّلًا الْفَهْمُ السَّقِيمُ. الْقَوْلُ بِأَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ و أَنَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ لَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُحِيطُ بِهِ مَكَانٌ مُعَيَّنٌ , و قَوْلُهُ تَعَالَى (أأمنتم من في السماء) لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ فِي دَاخِلِ السَّمَاوَاتِ. و أَنَّ السَّمَاوَاتِ تُحِيطُ بِهِ و أَنَّ الْكُرْسِيَّ يُحِيطُ بِهِ أَوْ أَنَّ الْعَرْشَ نَفْسَهُ يُحِيطُ بِهِ أَوْ أَنَّ مَخْلُوقًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْعُلُويَّةِ تُحِيطُ بِهِ , لَيْسَ فِي ظَاهِرِ اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى إِنَّمَا تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى الْعُلُوّ. "أأمنتم من في العُلُوّ" و هَذَا الْعُلُوّ فَسَّرَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (الرحمن على العرش استوى) و العرش فوق جميع المخلوقات , فالله - سبحانه و تعالى - فَوْقَ ذَلِكَ بَائِتٌ مِنْ خَلْقِهِ. لَيْسَ فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ و لا فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ. بَائِتٌ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ. لا يُحِيطُ بِهِ أَيِّ مَخْلُوقٍ , هَذَا الْمَعْنَى الْحَقُّ الَّذِي فَهَمَهُ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّة. الَّذِي

يجب على المتأخرين من المسلمين أن يبحثوا كيف فهم السلف هذه التصوص. بل كيف فهموا القرآن كله وكيف فهموا السنة وماذا كانوا يعتقدون في حق -الله تعالى- و في حق رسول -الله- عليه الصلاة والسلام و في حق القرآن , يجب أن يتقيد المسلمون بمفهوم السلف الصالح و لا يمكن اتباع الكتاب و السنة ما لم يتقيد اللاحقون بمفهوم السابقين , لأن السابقين الأولين مشهود لهم بالخيرية , الله أثنى عليهم و أثبت لهم الرضى فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) و لا يمكن أن يكونوا خير الناس إذا لم يفهموا مراد الله في صفاته -سبحانه و تعالى- و لم يفهموا مراد رسول الله عليه الصلاة والسلام شيئا في هذا الباب الخطير كيف يكونوا خير الناس؟! لا يكونون أبدا. بل يلزم من كونهم خير الناس أنهم فهموا كل شيء جاء في كتاب الله و جاء في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا العلم الذي استأثر الله به. ذلك حقيقة الصفات و كفيات الصفات بعض معاني أو مراد الله -تعالى- في بعض الحروف المقطعة التي أوائل بعض السور. هذا المعنى فقط هو الذي لا يفهمه السلف و ما عدا ذلك القرآن كله مفهوم عندهم بما في ذلك نصوص الصفات , و اعتقاد أن نصوص الصفات غير مفهومة لدى السلف و أن الخلف الفضلاء هم الذين استطاعوا أن يؤولوا فيخرجوا المعاني الصحيحة بالتأويلات !! هذا ضلال و ربما يؤدي إلى الكفر , لذلك الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذين أعرضوا الاعراض الكلي. لم يثبتوا لله -سبحانه و تعالى- لا الأسماء و لا الصفات إلا الوجود المطلق الذهني. هؤلاء أجمع السلف و أتباع السلف على تكفيرهم و هو كفره , و بحمد الله تعالى ليس لهم اليوم وجود جماعي إلا إذا كان بعض أفراد من المعتزلة تأثروا بعقيدتهم و اعتقد عقيدتهم. لا وجود للجهمية بالمفهوم الأول وجود جماعي اليوم , إلا أن السلف و أتباع السلف توسعوا في اطلاق الجهمية على كل ناف أي يطلقون أن فلانا جهمي على كل مؤول و لو كان معتزليا و لو كان أشعريا. الأشعري و إن كان لا يطلقون عليه أنه من النفاة. بل يطلقون عليهم أنهم من المؤولة و لكن تأويل الأشاعرة أحيانا يؤول إلى النفي. خصوصا

في هذه الصفة "صفة العلو" , لأننا اطلعنا على كُتُبِهِم المَقَرَّة حتى اليوم أَمَا تَنْفِي صَرِيحًا عُلُوَّ الله , حيثُ يُوجَدُ في كُتُبِهِم لَيْسَ اللهُ فَوْقَ العرش و لا تحت العرش و لا عن يمينه و لا عن يساره . هذه الكتب موجودة في أيدي طُلَّابِ العِلْمِ اليوم في خارج هذا البلد , إِذَا مَعْنَى ذَلِكَ الْقَوْمُ يَنْفَوْنَ الْعُلُوَّ بِهَذَا لِحَقْوِهَا بِالْمَعْتَزِلَةِ و الجهمية فَيُطْلَقُ عَلَيْهِم أَنَّهُمْ جَهْمِيَّةٌ مِنْ هَذَا الباب .

أريدُ أَنْ أَتَوَسَّعَ فِي مَسْأَلَةِ الاشاعرة , الاشاعرة لَهُمُ الْقَابُ عِنْدَ أَتْبَاعِ السَّلَفِ . يُقَالُ لَهُمْ "صِفَاتِيَّةٌ" أحيانا أي أَنَّهُمْ مِنْ الصِّفَاتِيِّينَ أَيُّ مِنْ مُثَبِّتَةِ الصِّفَاتِ بِاعْتِبَارِ اثْبَاتِهِمْ بَعْضَ الصِّفَاتِ , و يُقَالُ لَهُمْ مُؤَوَّلَةٌ لِأَنَّ غَالِبَ نُصُوصِ الصِّفَاتِ مُؤَوَّلَةٌ عَنْهُمْ و يُقَالُ لَهُمْ "نَفَاةٌ" لِنَفْيِهِمْ عُلُوَّ -الله تعالى- كما سَمِعْتُمْ وَ لِنَفْيِهِمْ عَنِ اللهِ تَعَالَى الْكَلَامَ اللَّفْظِي , بهذا الاعتبار يدخلون في الجهمية. يدخلون في عِدَادِ الجهمية و قَبْلَهُمُ الْمَعْتَزِلَةُ , فالأوَّلُ الَّذِي جَعَلُوا فِيهِ الْمَعْنَى الْفَاسِدَ. ظَاهِرُ اللَّفْظِ هَذَا الْأَوَّلُ , كَمَا قَالُوا فِي قَوْلِهِ -تعالى- فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ (عَبْدِي جَعْتَ فَلَمْ تَطْعَمْنِي) هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَ هُوَ حَدِيثٌ قُدْسِيٌّ وَ بِالْمُنَاسِبَةِ فَهُوَ مِنْ كَلَامِ اللهِ , الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ مَعْدُودٌ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِي أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى لَفْظًا وَ مَعْنَى , لِذَلِكَ اللهُ يَقُولُ "عَبْدِي" فَالَّذِي لَا يَقُولُ لِأَحَدٍ عَبْدِي. الَّذِي يَقُولُ عَبْدِي هُوَ اللهُ , إِذَا الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى لَفْظًا وَ مَعْنَى , فَإِذَا كَانَ هُوَ مِنْ كَلَامِ اللهِ وَ الْقُرْآنُ مِنْ كَلَامِ اللهِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ لَا يُتَعَبَّدُ بِتَلَاوَتِهِ. لَا يَجُوزُ لِلنَّاسِ أَنْ يُكْرَّرَ حَدِيثًا قُدْسِيًّا لِيَتَعَبَّدَ بِتَلَاوَتِهِ (إِنِّي حَرَّمْتُ الظَّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَ جَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا) هَذَا كَلَامُ اللهِ. لَكِنْ لَوْ كَرَّرْتَ بِدَعْوَى أَنَّكَ تَتَعَبَّدُ بِتَلَاوَةِ هَذَا الْكَلَامِ كَمَا تَتَعَبَّدُ بِالْقُرْآنِ هَذَا خَطَأٌ. لِأَنَّهُ لَا يُتَعَبَّدُ بِتَلَاوَتِهِ. هَذَا الْفَرْقُ الْأَوَّلُ , الْفَرْقُ الثَّانِي: لَيْسَ بِمُعْجَزٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُتَّحِدًا بِهِ. لَيْسَ كَالْقُرْآنِ فِي الْإِعْجَازِ , ثَالِثًا: لَا تَصِحُّ بِهِ الصَّلَاةُ , الصَّلَاةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِالْقُرْآنِ وَ لَا تَصِحُّ بِالْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ , رَابِعًا: لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاتِرًا . قَدْ يَأْتِي مُتَوَاتِرًا كَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَ قَدْ يَأْتِي أَحَادٌ وَ قَدْ يُوجَدُ هُنَاكَ مَا هُوَ ضَعِيفٌ , لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاتِرًا , وَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُتَوَاتِرٌ , هَذِهِ الْفَوَاقِ الْوَارِقُ الَّتِي بِهَا يُفَرَّقُ بَيْنَ

الحديث القدسي و بين القرآن و إلا فهو من كلام -الله تعالى- . (عبدى جعث فلم تُطعمني) الحديث. و في الأثر الآخر أشار شيخ الإسلام بقوله: و في الأثر الآخر إلا أن حديث ابن عباس ليس بمرفوع. لا يصح مرفوعاً و لكنه يثبت موقوفاً عليه و إن كان روى بعض أهل العلم مرفوعاً وحاول بعضهم الدفاع عنه ليثبتوا بأنه حديث مرفوع حسن و لكن شيخ الإسلام كما اختار غيره أيضاً يختار أنه أثر. أثر ابن عباس و ليس بحديث مرفوع , (الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه و قبله فكأنما صافح الله و قبل يمينه) فكأنما من صافح الحجر الأسود و قبله فكأنما صافح الله و قبل يمين الله. لم يقبل يمين الله و لكن كأنه قبل يمين الله. لم يصافح الله و لكن كأنه صافح الله لأنه قبل و صافح الحجر الأسود أو الأسعد الذي شرع الله لنا تقييله عبادة لله -تعالى- لا عبادة للحجر لأن الله يتعبد و يشرع لعباده أنواعاً من العبادات كما شرع لنا الطواف بالبيت شرع لنا أن نقبل ذلك الحجر. عندما نقبل ذلك الحجر نقبله تأسيساً برسول الله عليه الصلاة و السلام الذي قبل و أخبر بأن من قبله بحق يشهد له يوم القيامة. أي هو من الشواهد. لأجل هذا يقبل لا عبادة له , من قبله فكأنما قبل يمين الله و من صافحه فكأنما صافح الله. ليس في هذا بأن الحجر الأسود يمين الله. و ليس في هذا بأن من قبله قبل يد الله أو قبل يمينه و لكن كأنه فعل ذلك. شبه الشخص المقبل للحجر و المصافح له. شبهه بمن قبل يمين الرحمن , إذا التشبيه بين شخص و شخص .

و قوله عليه الصلاة و السلام (قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن) أهل السنة و الجماعة يثبتون لله يداً و يثبتون لله أصابع و يثبتون لله وجهاً و لكن يعتقدون جازمين بأن وجه الله ليس كوجود عباده و بأن يد الله ليست كيد عباده و أن أصابعه ليست كأصابع عباده. صفات ذاتية خبرية يجب اثباتها و يجب الاعراض عن البحث عن الكيفية. يجب وجوب الإعراض عن التفكير و التأمل في كيفية أصابع الرحمن و في كيفية يد الله و وجه الله. هذا سر من أسرار الرب -سبحانه و تعالى- في هذا الباب. الله له سر في باب الأسماء و الصفات و له سر في باب القضاء و القدر. و سر هذا الباب كيفية صفات الرب -سبحانه

و تعالى - . كيفية الاستواء كيفية النزول كيفية الجيئ كيفية السمع و البصر , هذا سر . لا يجوز للعبد أن يتعرّض لهذا السرّ و إلاّ يهلك. لو تعرّض لهذا السرّ. يُريد أن يدرك حقيقة صفات الرب - سبحانه و تعالى - لأنّ هذا كأنه يُحاول أن يُحيط بالله علماً , العبد لا يجوز له أن يعتقّد بأن عبداً من عباد الله و لو كان رسول الله عليه الصلاة و السلام أن يُحيط بالله علماً. الخالق هو الذي يُحيط بالمخلوق علماً (ألا يعلم من خلق) أما المخلوق لا يمكن أن يُحيط بالله علماً لأنّه لم يؤت من العلم إلا قليلاً. يقف عند حدّه. لذلك بعد إثبات ما أثبت الله لنفسه و اعتقاد أن ظاهرها حق , و اعتقاد أن ظاهرها ما يليق بالله فقط لا ما يليق بالمخلوق. ليس ما يليق بالمخلوق. بعد هذا تُعرض إعراضاً كلياً و تستعيد بالله من الشيطان لو جاءتك الوسوسة في هذا الباب , جاءك وسواس لتحاول و تتصوّر كيف استواء الله تعالى على عرشه. بل كيف عرشه. تستعيد بالله تعالى و تُعرض عن ذلك , تقول آمنت بالله و بما جاء عن الله على مُراد الله , فآمنت برسول الله عليه الصلاة و السلام و ما جاء عن رسول الله على مُراد رسول الله عليه الصلاة و السلام و كفى , هذا الذي كفى . وسع السلف. يجب أن يسعك اليوم ما وسع السلف الصالح. إذا لم يسعك ذلك فأنت على هلاك , لا تغترّ بما يقوله بعض الدكاترة الأشاعرة اليوم كالذي يقول لا يسعنا أن نقول اليوم كما قال الامام مالك "الاستواء معلوم و الكيف مجهول". لا سنعنا ذلك و قد درسنا العلوم العربية درسنا البلاغة و أدركنا أسرار اللغة العربية. لا يسعنا ما وسع مالكا. بمعنى يُريد أن يقول لا يسعنا ما وسع المسلمين الأولين و يُريد أن يتبع غير سبيل المؤمنين! هذا خطأ و خطرٌ جداً , و حيث أنّ هذا الكتاب موجود في الأسواق. قد يقع في أيديكم و هو كتاب "كبرى اليقينيّات" لمن؟

الطالب: كتاب البوطي..

الشيخ: الحمد لله تعرفونه , "كبرى اليقينيّات" للدكتور سعيد رمضان البوطي و الكتاب موجود في الأسواق , ينبغي أن تنتبهوا لِمثَل هذه الأمور لأنّ المتأخّرين عندهم دعوى طويلة و عريضة. يزعمون أنّهم أعلم من السلف. لذلك القاعدة التي تقول السلف أعلم. السلف

أَحْكَمَ. طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَحْكَمُ وَ طَرِيقَةُ الْخَلْفِ أَعْلَمُ. وَ طَرِيقَةُ الْخَلْفِ أَعْلَمُ وَ أَحْكَمُ وَ طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَسْلَمُ. كَلَامٌ مُتَنَاقِضٌ يَنْقُضُ أَوَّلُهُ آخِرَهُ. أَوْ يَنْقُضُ آخِرُهُ أَوَّلَهُ. لِأَنَّ السَّلَامَةَ إِذَا كَانُوا هُمْ أَسْلَمَ. السَّلَامَةُ إِذَا تَتَوَافَرُ مَعَ وُجُودِ الْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ. لَوْ كَانُوا نَاقِصِي الْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ مَا يَكُونُونَ أَسْلَمَ. بَلْ هُمْ أَعْلَمُ وَ أَحْكَمُ وَ أَسْلَمَ. هَذَا الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ , يَجِبُ أَنْ تَعْتَقِدَ فِي سَلَفِكَ أَنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكَ وَ أَحْكَمُ وَ أَسْلَمَ. وَ طَرِيقَتُهُمْ أَسْلَمَ , نَكْتَفِي بِهَذَا الْمَقْدَارِ وَ إِلَى غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ .

الدرس رقم : 16

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه أجمعين أما بعد ، قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (قالوا: قَدْ عَلِمَ أَنْ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا أَصَابِعُ الْحَقِّ ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَوْ أُعْطِيتُمُ النُّصُوصَ حَقَّهَا مِنَ الدَّلَالَةِ لَعَلِمْتُمْ أَنَّهَا لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى حَقٍّ ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْآخَرُ: فَهُوَ فِي الصَّحِيحِ مَفْسُورًا: (يقول الله: عبدي جعت فلم تطعمني. فيقول: رَبِّ كَيْفَ أَطْعَمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! فيقول: أما علمت أن عبدي فلانًا جاع، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي. عبدي مرضت فلم تعدني. فيقول: رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! فيقول: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض، فلو عدته لوجدتني عنده) ، وهذا صريح في أن الله -سبحانه وتعالى- لم يمرض ولم يجع، ولكن مرض عبده وجاع عبده، فجعل جوعه جوعه، ومرضه مرضه، مفسرًا ذلك بأنك (لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، ولو عدته لوجدتني عنده) . فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلى تأويل.

وأما قوله: (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن) ، فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع، ولا مماس لها، ولا أنها في جوفه. ولا في قول القائل: هذا بين يدي. ما يقتضي مباشرته ليديه. وإذا قيل: {وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} لم يقتض أن يكون مماسًا للسماء والأرض. ونظائر هذا كثيرة.)

الشيخ: و نَظَائِرُ هَذَا كَثِيرٌ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و إمام المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- في بيان بعض الألفاظ التي غلطَ فيها بعض المتأخرين و فيها نوع من الإجمال. قال في بيانها أو في بيان بعضها. فقالوا. بالنسبة للأحاديث التي سَبَقَ ذِكْرُهَا مِنْهَا (عبدي جعت فلم تطعمني) و منها (الحجر الأسود يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ) إِلَى

آخِرُهُ , فقالوا: قَدْ عَلِمَ. أَيُّ فِي بَيَانٍ شُبْهَتِهِمْ فِي رَدِّ هَذِهِ الْآثَارِ وَالْأَحَادِيثِ. قَدْ عَلِمَ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا أَصَابُغُ الْحَقِّ. إِذَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ) يَجِبُ تَأْوِيلُهُ لِأَنَّ ظَاهِرَهُ أَنَّ تَكُونَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ. لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا أَصَابُغُ الْحَقِّ. إِذَا لَا بَدَّ مِنَ التَّأْوِيلِ , فَيُقَالُ لَهُمْ. بِالنِّسْبَةِ لِلنَّصُوصِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا. لَوْ أُعْطِيتُمْ النَّصُوصَ حَقُّهَا مِنَ الدَّلَالَةِ لَعَلِمْتُمْ أَنَّهَا لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى حَقِّ. "النَّصُوصُ" نَصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ الثَّابِتَةِ عَنِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. هَذِهِ النَّصُوصُ لَوْ فَهَمَهَا الْإِنْسَانُ حَقَّ الْفَهْمِ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ وَلَا تَدُلُّ عَلَى الْبَاطِلِ أَبَدًا .

ثُمَّ بَدَأَ. بَدَأَ الشَّيْخُ يُفَصِّلُ فَيُفَصِّلُ فِي مَا أَجْمَلَ. فَقَالَ: وَ أَمَّا الْحَدِيثُ (الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ , فَمَنْ صَافَحَهُ وَ قَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَ قَبَّلَ يَمِينَهُ) هَذَا نَصُّ الْحَدِيثِ. أَوْ نَصُّ الْأَثَرِ , هَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ لَيْسَ هُوَ صِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَ لَا هُوَ نَفْسُ يَمِينِ الرَّحْمَنِ. ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ (يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ) فَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- لَيْسَ فِي الْأَرْضِ. اللَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ وَ لَيْسَ خَالًا فِي خَلْقِهِ وَ لَمْ يَحْلَلْ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فِي ذَاتِهِ وَ لَا هُوَ بَائِتٌ مِنْ خَلْقِهِ وَ لَوْ صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ وَ سُمِّيَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ , إِنَّمَا يُعْتَبَرُ هَذَا اسْمًا لَهُ. اسْمًا لِلْحَجَرِ , يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَ لَيْسَ هُوَ يَمِينُهُ. يَمِينُهُ الَّذِي صِفَةُ مِنْ صِفَاتِهِ , وَ لَكِنْ اسْمٌ لِلْحَجَرِ الْأَسْوَدِ , لَوْ ثَبَتَ هَذَا الْحَدِيثُ مَرْفُوعًا. قِيلَ لِلْحَجَرِ الْأَسْوَدِ "يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ" يَكُونُ بِمِثَابَةِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَ الْحَجَرِ الْأَسْعَدِ. أَيُّ يَكُونُ مِنْ أَسْمَاءِ هَذَا الْحَجَرِ , وَ قَالَ (فَمَنْ قَبَّلَهُ وَ صَافَحَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَ لَمْ يَقُلْ "مَنْ قَبَّلَهُ وَ صَافَحَهُ فَإِنَّهُ صَافَحَ اللَّهَ" وَ لَكِنْ قَالَ "فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ" أَيُّ الشَّخْصِ الَّذِي يُصَافِحُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَ يُقَبِّلُهُ عَلَى فَرْضِ ثُبُوتِ هَذَا الْحَدِيثِ فَكَأَنَّهُ قَبَّلَ يَمِينَ الرَّحْمَنِ. فَكَأَنَّهُ صَافَحَ اللَّهَ. لِأَنَّ اللَّهَ شَرَعَ تَقْبِيلَهُ وَ لَيْسَ هُوَ يَمِينُ اللَّهِ. لَمْ يَقُلْ صَافَحَ اللَّهَ أَوْ قَبَّلَ يَمِينَ اللَّهِ. لَكِنْ قَالَ "فَكَأَنَّمَا" أَيُّ مِثْلُ ذَلِكَ. مِثْلُ الَّذِي يُصَافِحُ اللَّهَ وَ يُقَبِّلُ يَمِينَهُ. وَ مَعْلُومٌ أَنَّ الْمِشْبَبَةَ غَيْرَ الْمِشْبَبِ بِهِ. الْمِشْبَبَةُ الَّذِي قَبَّلَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَ صَافَحَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ لَيْسَ كَالَّذِي يُقَدَّرُ أَنَّهُ صَافَحَ اللَّهَ وَ قَبَّلَ يَمِينَ اللَّهِ. لَيْسَ مِثْلُهُ. إِنَّمَا شُبْهَةُ

به لأنه ينال الأجر الذي أثبت الرسول عليه الصلاة والسلام بإذن الله و بأمره أثبت له أنه سوف يشهد له يوم القيامة و هو من الشواهد , ليس المشبه كالمشبه به و على كل التشبيه إنما وقع بين شخص و شخص , ليس هنا تشبيه شيء من مخلوقاته بالله تعالى أو بيد الله أو يمين الله , و ليس في الحديث جعل هذا الحجر يميناً لله أو يداً لله - سبحانه و تعالى - , ففي نص الحديث بيان أن مستلماً. مستلماً الحجر الأسود ليس مُصافحاً لله سبحانه و تعالى و أنه ليس هو نفس يمينه. ليس هو نفس يمين الرحمن. و يمين الله و لكن أطلق عليه هذا و يعتبر كما قلنا لو ثبت إسما من أسمائه فقط لأنه في الأرض و ليس هو يمين الله و لا هو يد الله , فكيف يجعل ظاهره إذا كان عند البيان و التحليل , واطح أنه ليس يميناً لله , و لا المستلماً مستلماً يمين الله , فكيف يجعل ظاهره كُفراً و أنه محتاج إلى التأويل مع أن هذا الحديث إنما يُعرف عن ابن عباس بصرف النظر أنه حديث مرفوع أو أثر موقوف على ابن عباس. لا يدل الحديث أبداً على معنى كُفري فيه التشبيه حتى يحتاج إلى التأويل , إنما يؤتى الانسان من سوء فهمه و من تعجله. قد يتعجل الانسان و لا يتأني و لا يفهم الفهم الصحيح. الفهم السقيم هو الذي أوجب له أن يعتقد أن ظاهر هذا الحديث كفر لأن فيه تشبيه الله - سبحانه و تعالى - بخلقه حتى يحتاج إلى التأويل. أرجوا أن يكون واضح؟ و أما الحديث الآخر فهو في الصحيح مفسراً. ليس بأثر. حديث صحيح جاء مفسراً. يقول الله سبحانه و تعالى يوم القيامة لعبد من عبيده (عبدى جعت فلم تطعمني , فيقول العبد: ربى كيف أطعمك و أنت رب العالمين) أنت الذي تُطعم العباد و تسقيهم و ترزقهم. (و كيف أطعمك أنت رب العالمين؟) و مثل هذا السؤال. إذا جاء في النص. في كتاب الله و في السنة العرض منه إثارة المخاطب لئنتبه لعظم هذا المعنى (فيقول الرب - سبحانه و تعالى - لعبد: أما علمت أن عبدى فلانا جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي) إن عبدى فلانا جاع و أنت في إمكانك أن تطعمه و أن تمد له يد المساعدة و لكن لم تفعل. لو فعلت ذلك لوجدت ثواب ذلك عندي. جعل جوع العبد جوعه. و هذا يدل على مكانة عظم الإطعام. أجر الإطعام. إطعام المحتاج. لأنه جعل جوع عبد المؤمن الجائع. جعل كأنه هو الذي جاع

, لذلك ليس في الحديث ما يدل على التشبيه و لكن في الحديث الحث على الإطعام فقط , قال (أما علمت أن عبيد فلانا جاع) هذا صريح في التفسير و البيان , فلو أطمعته لوجدت ذلك الإطعام عندي. أي أجره. أجر ذلك الإطعام. و لم يبق هنا أي غموض , فيقول (عبي مرضت فلم تعدني) فيقول العبد جواباً لربه تعالى الذي مخاطبه بهذا الخطاب تلطفاً منه - سبحانه - و رحمه (عبي مرضت فلم تعدني , يقول العبد: ربي كيف أعودك و أنت رب العالمين؟) لا تمرض. أنت رب العالمين الذي يشفي المرضى , كيف أعودك؟ (فيقول: أما علمت أن عبي فلانا مريض فلو عدته لوجدتني عنده) لوجدتني عنده لأن الله سبحانه و تعالى مع هذا العبد المضطر. المريض. الذي هو بحاجة إلى الشفاء. الله عنده و معه , يحفظه و لطفه و كثره , فإذا عاد المسلم أخاه المريض المسلم فليعتقد بأن الله عنده و معه , و العندية و المعية ليست عندية الذات و لا معية الذات. معه بعلمه و رحمته و لطفه , و يشكر لعبده الذي عاد عبده المريض , فيثيبه على ذلك , هذا معنى بليغ و فيه معنى الكناية و الكناية لا تتناقى مع الحقيقة , فيه حث على زيارة المريض و أن الذي يزور المريض عليه أن يؤمن و يتيقن بأن الله مع هذا العبد المريض المضطر. معه و عنده , يعلم منه كل شيء و يلفظ به و يشفيه ان شاء و يقبضه إليه ان شاء , و لكن العبد الذي يزور أخاه المسلم يجد الله عنده. إذ هو الذي يثيبه على هذه الزيارة. قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- و هذا صريح في أن الله سبحانه و تعالى لم يمرض و لم يجع. كل ذلك لا يليق به و لكنه مريض عبده و جاع عبده , فجعل جوعه جوعه. جعل الله جوع عبده كأنه هو الذي جاع. حثاً على الإطعام و على الرحمة , و مرضه مرضه. جعل مريض عبده كأنه هو الذي مريض. حثاً أو حاثاً عباده على زيارة المرضى , مفسراً ذلك بأنك لو أطمعته لوجدت ذلك عندي و لو عدته لوجدتني عنده , فلم يبق في الحديث بعد هذا التفسير. التفسير جاء من الحديث نفسه. من رب العالمين , لأن الحديث حديث قُدسي. الله هو الذي تكلم به. فأجمل في أول الحديث ثم فسر و أوضح , فلم يبق شيء يحتاج الى التأويل , فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج الى تأويل و زعموا الذين يزعمون إن مثل هذه النصوص يعجز السلفيون من بيان

معاني هذه النصوص إلا بالتأويل. فيضطرون إلى التأويل. هكذا يلبسون على الناس ، الحديث لم يحتج إلى تفسير خارجي و إلى بيان خارجي. بيانه من نفسه و تفسيره من نفسه ، و بعبارة أخرى الله هو الذي فسره و بينه. فلم يترك مجالا لقائل حتى يؤول. أو حتى يقول إنه بحاجة التأويل ، و أما قوله (قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء) يقيم ما شاء من القلوب و يُزيغ ما شاء من القلوب ، فهو مُقلب القلوب. فإنه ليس في ظاهر الحديث أن القلب مُتصل بالأصابع. إذا كنّا نجعل كيفية أصابع الرحمن سبحانه. نجعل بالتالي كيف تكون القلوب بين اصبعين من أصابعه ، نجعل كل ذلك و لكننا نؤمن بأن الله أصابع حقيقة ليست كأصابعنا ، إذا مرّ عليك حديث كهذا. فيه ذكر الأصابع. فيه ذكر اليد. فيه ذكر الساق. فيه ذكر القدم. لا ينبغي أن يتبادر إلى ذهنك التشبيه ، أي تظن أن أصابعه كأصابع المخلوقين. لا ، أصابع تليق به. بدليل إنك آمنت بالله و بذاته العلية و أنت لا تعلم كيفية ذاته ، هل آمنت بالله و بذاته العلية بعد أن علمت كيفية ذاته؟! هل ذاته كسائر الدّوات؟ إيمانك بالله إيمان اثبات و تسليم. سلّمت لله - سبحانه و تعالى - و لنبيه الأمين و أثبت ما أثبت الله و ما أثبت رسوله عليه الصلاة و السلام من الأسماء و الصفات و أنت تجهل تمامًا حقيقة الصفات لأنّ الكلام في الصفات فرغ عن الكلام في الذات. يحذو حذوه. أي إذا جاءتك وسوسة في نصوص الصفات كهذه تذكر إيمانك بالله. بأنك آمنت بالله تعالى و أنت لم تعلم حقيقة ذاته و لن تعلم و لم تدرك حقيقة ذاته و لن تدرك ، فليكن إيمانك بالصفات كإيمانك بالذات ، إيمانك بالذات مرة أخرى إيمان تسليم و إثبات. إيمان تسليم لله في خبره و تسليم لرسول الله عليه الصلاة و السلام في خبره ثم إثبات الحقائق التي أثبتها الله و أثبتها رسوله عليه الصلاة و السلام في الذات و الصفات و الأسماء و الأفعال و القضاء و القدر و في جميع المطالب الإلهية ، كل ذلك من الأمور من الغيب . من صفات المؤمنين (الذين يؤمنون بالغيب) ، لا تحاول أن تدرك هذه الحقائق لأنك لن تدرك و لكن هلك ، لو حاولت أنك تدرك فأنك تخرج بإحدى نتيجتين: إما "التشبيه المحض" فذلك كفر و إما "النفي" الكفر الثاني ، السلامة في التسليم ، السلامة من الكفر في التسليم لله و

التسليم لرسوله عليه الصلاة والسلام لأن ذلك من الإيمان بالغيب ، الإيمان بالغيب هو التسليم والاثبات لا يزيد على هذا ، قال الشيخ رحمه الله -تعالى- و أما قوله (قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن) فإنه ليس في ظاهر الحديث أن القلب متّصل بالأصابع و لا ممّاس لها. أي هذه الألفاظ لا تدلّ على هذه المعاني التي يُدندن حولها الخلف و لا أنّها في جوفه ، و لا في قول القائل - لو قال قائل "هذا بين يديّ" لا يقتضي هذا التعبير مبادرته ليديك ، و إذا قيل (و السحاب المسخر بين السماء و الأرض) السحاب فوقنا. بين السماء و الأرض. هل السحاب لاصق بالسماء؟ لا ، و هل هو لاصق بالأرض؟ لا ، إذا تصوّر أن يكون شيء بين شيئين. لا يكون متّصلاً بأحد الشيئين ، لا بهما و لا بأحدهما ، (السحاب المسخر) و (السحاب المسخر بين السماء و الأرض) و الطائرة عندما تطير تطير بين السماء و الأرض. لا هي متّصلة بالسماء و لا بالأرض. بل بينهما. أشياء كثيرة. لا يلزم من قوله عليه الصلاة والسلام (إنّ أصابع العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن) أنّها لاصقة و متّصلة بالأصابع. القلوب ، ليس ما يدلّ على هذا عندما تفهم النصوص على حقيقتها .

قال الشيخ رحمه الله -إذَا قِيلَ (و السحاب المسخر بين السماء و الأرض) لم يقتضي هذا الأسلوب و هذا الخبر أن يكون السحاب ممّاساً للسماء و الأرض و نظائر هذا كثيرة جدا في الكتاب و السنة و في كلام الناس. واضح جدا ، نعم .

القارئ: قال رحمه الله -تعالى- (ومما يشبه هذا القول أن يجعل اللفظ نظيراً لما ليس مثله، كما قيل في قوله {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ} ف قيل: هو مثل قوله: {أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا} ، فهذا ليس مثل هذا، لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي فصار شبيهاً بقوله: {فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} ، وهناك أضاف الفعل إليه، فقال: {لِمَا خَلَقْتَ} ثم قال: {بِيَدَيَّ} . وأيضاً فإنه هناك ذكر نفسه المقدسة بصيغة المفرد، وفي اليمين ذكر لفظ التثنية، كما في قوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} ، وهنا أضاف الأيدي إلى

صيغة الجمع، فصار كقوله: {بِأَعْيُنِنَا} ، وهذا في الجمع نظير قوله: {بِيَدِهِ الْمُلْكُ} و {بِيَدِكَ الْخَيْرُ} في المفرد ، فالله - سبحانه وتعالى - يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد، مظهرًا أو مضمراً، وتارة بصيغة الجمع، كقوله: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} وأمثال ذلك. ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط، لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك ، فلو قال: ما منعك أن تسجد لما خَلَقْتُ يَدَي. كان كقوله: {مِمَّا عَمِلْتَ أَيَّدِينَا} ، وهو نظير قوله: {بِيَدِهِ الْمُلْكُ} و {بِيَدِكَ الْخَيْرُ} ، ولو قال: خلقت بيدي. بصيغة الإفراد، لكان مفارقاً له، فكيف إذا قال: {خَلَقْتُ يَدَيَّ} بصيغة التثنية ، هذا مع دلالة الأحاديث المستفيضة بل المتواترة، وإجماع سلف الأمة على مثل ما دل عليه القرآن، كما هو مبسوط في موضعه، مثل قوله: (المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا) . وأمثال ذلك.)

الشيخ: قال الشيخ رحمه -الله تعالى- و مِمَّا يُشَبِّهُ هذا. مِمَّا يُشَبِّهُ النصوص التي تقدّمت ، التي وَهَمَ بعض الواهين من المتأخرين أَنَّهَا بظَاهِرِهَا تَدُلُّ عَلَى الْبَاطِلِ و أَنَّهَا بِحَاجَةٍ إِلَى التَّأْوِيلِ حتى يُفْهَمَ المعنى الصَّحِيحُ بِالتَّأْوِيلِ ، يُشَبِّهُ هَذَا الْقَوْلَ أَنْ يُجْعَلَ اللَّفْظُ نَظِيرًا لِمَا لَيْسَ مِثْلَهُ ، آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي سُورَةِ "ص" يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) يقول إبليس (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) "مَا" فِي الْأَصْلِ. يَقُولُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ لِعَبْرِ الْعَاقِلِ ، و "مَنْ" لِلْعَاقِلِ. لَكِنْ قَدْ تُسْتَعْمَلُ "مَا" فِي الْعَاقِلِ و "مَنْ" لِعَبْرِ الْعَاقِلِ. أَيُّ الْغَالِبِ أَنْ تَكُونَ "مَا" لِعَبْرِ الْعَاقِلِ و "مَنْ" لِلْعَاقِلِ. هَذَا الْغَالِبُ ، و لَكِنْ الِاسْتِعْمَالُ جَارِي عَلَى الْعَكْسِ ، و الدَّلِيلُ هَذِهِ الْآيَةُ (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) و هُوَ آدَمَ. وَ بِمَعْنَى لِمَنْ خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ، "مَا" بِمَعْنَى "مَنْ". لِمَنْ خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ، لَا يَنْبَغِي أَنْ تُجْعَلَ هَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) مِمَّا عَمِلَتْ. أَنْظُرْ إِلَى الْفُرُوقِ . فِي الْآيَةِ الْأُولَى أَسْنَدَ الْفِعْلِ إِلَى نَفْسِهِ -سَبْحَانَهُ- (لِمَا خَلَقْتَ) أَسْنَدَ الْفِعْلِ إِلَى

نفسه , ثم عدى الفعل بالباء , ثم ثنى اليد (لما خلقت يدي) لا يحتمل أي احتمال. بل نص صريح في أن الله باشر خلق آدم بيده. بيديه , باشر خلق آدم بيديه و لم يباشر خلق ابليس الذي يعاند و لا خلق غيره من المخلوقات. لم يباشر بيده - سبحانه - و لكن قال له كن فكان. كل شيء. آدم خلق بالقدرة و باليد. هذه ميزة آدم , الله ميز أبى البشر آدم بميزة , الله يفعل كل شيء بالقدرة , خلقه بقدرة و باشر خلقه و تصويره و إيجاده بيده. كما يشاء , و لم يعترض إبليس نفسه الذي هو كثير الاعتراض. لم يعترض على هذا بل سلم. و على الذين جاؤوا متأخرين و زعموا أنهم لا يسعهم ما وسع المسلمين الأولين و لابد أن يخرجوا من النصوص معاني جديدة بعد دراستهم للغة العربية و خصوصا علم البلاغة. فلئيدرؤوا الفرق بين التعبيرين. الآية الأولى مرة أخرى أسند الله فيها الفعل الى نفسه. قال (لما خلقت) ثم الفعل عدى إلى المفعول بالباء , و ثنى اليد. و هذا في قوة قولك "كتبْتُ بِقَلَمِي" أو "كتبْتُ بالقلم". نص لا يحتمل معنى آخر إلا أنك باشرت الكتابة بقلمك. لا يحتاج أو لا يحتمل أي معنى آخر , إذا قوله تعالى (لما خلقت يدي) ليس ظاهر بل هو نص , لأن الآيات و الاحاديث قد تأتي نصاً و قد تأتي ظاهراً. الظاهر ما يحتمل المعنيين. أو أن تُفسر بأحد المعنيين اللذين تدل عليهما ظاهر الآية أو ظاهر الحديث و قد تأتي النصوص نصاً. النص عند الأصوليين ما لا يحتمل إلا معنى واحداً , فقوله تعالى (لما خلقت يدي) لا يحتمل إلا هذا المعنى , مباشرة خلقه بيده سبحانه أو بيديه. و أما قوله تعالى , (وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) مما عملت أيدينا. أسند العمل إلى الأيدي. فلم يسند إلى نفسه. قال (مما عملت أيدينا) و جمع الأيدي و هناك يدين و هنا جمع الأيدي. أولاً إسناد الفعل إلى الأيدي ثم جمع الأيدي. إذا التعبير غير التعبير و الأسلوب غير الأسلوب , (مما عملت أيدينا) في قوة مما عملنا. و هذا أسلوب معروف في القرآن و في غير القرآن عند العرب. (مما عملنا) "مما عملت أيدينا" بمعنى واحد , إسناد العمل إلى الأيدي لأن القرآن يُخاطب العرب و العرب في لغتهم قد يسند الفعل إلى الفاعل و قد يسند إلى يده. و اليد قد تُفرد و قد تُثنى و قد تُجمع. كل هذا أسلوب عربي معروف عند أهل اللغة , و "الأيدي" هنا جمع. لأنها

أضيفت إلى ضمير الجمع. الضمير الذي هو "نا" صيغته صيغة جمع و لكن صيغة الجمع ليست نصًا في العدد بل هي محتملة. محتملة أن يكون القائل يريد العدد أو يريد التعظيم. لذلك يُقال لهذا الضمير "ضمير العظمة" أيدينا. (إنا أنزلنا) (إنا فتحنا) (إنا نحن) هذه الضمائر صيغتها صيغة جمع و لكن صيغة الجمع ليست نصًا في العدد. في التعدد. بل قد تأتي لذلك و قد تأتي للعظمة. الذي يُفرق لك بين الأمرين "القرينة و السياق" و معلوم بأن الله هو الواحد الأحد و إذا قال (إنا فتحنا) (إنا أنزلنا) (مما عملت أيدينا) جاء ضمير الجمع هكذا لا يدل على التعدد. لأن التعدد مُمتنع يتناقى مع التوحيد و لكنه يدل على العظمة , و الإنسان نفسه قد يستعمل هذا الأسلوب. أي أسلوب معروف في اللغة "نحن فعلنا" نحن كتبنا "نحن صرنا" , قد يُعبر الإنسان بهذا التعبير. "نحن الذين فعلنا" "نحن كتبنا لك". شخص واحد كتب لك كتاب و لم ترد له. يُعَاتِبُكَ فيقول لماذا لم تردّ الجواب و نحن كتبنا لك؟ هو شخص واحد. و لكنه بالنسبة لمن كتب إليه أنه أعظم منه أو أكبر منه. فيُعظم نفسه أمام المخاطب. و لذلك يُقال "نا" "إنا" "نحن" ضمير العظمة و لا يُقال لهذه الضمائر في حق الله تعالى أنها للجمع و لتعدد. إذا في الآية الثانية. لِنَرْجِعْ إِلَى الْفُرُق. إسناد العمل إلى الأيدي ثم جمع الأيدي ثم إضافة الأيدي إلى ضمير العظمة و التعبير في هذه الآية يُخالف التعبير أو الأسلوب. في هذه الآية يُخالف الأسلوب. في الآية السابقة. و كل الذي يريد أن يقول الشيخ لابد. لا ينبغي أن يستدل نفاة اليد أو نفاة خلق آدم بيده. أن يستدلوا بآية سورة "يس" لأن الفرق واضح بين الآيتين. في الآية التي أراد الله أن يثبت مكانة آدم أسند الفعل إلى نفسه ثم عدّى الفعل بـ "الباء" و ثنى اليد , لله - سبحانه و تعالى - يدان مبسوطتان مع ذلك جاء في الكتاب ذكر اليد أحيانًا بصيغة الإفراد و أحيانًا بصيغة الجمع و أحيانًا بصيغة التثنية. لا تكن ظاهريًا متعصبًا لظاهريتك حتى تقول الله له يد و له يدان و له أيدي. هذا ما يفعله بعض الضعفاء في فهم النصوص. بل له يدان مبسوطتان. ليست هناك أيدي كثيرة. و لا يد واحدة بل له يدان. بهذا تجتمع النصوص. تفهم لماذا جمع؟ لأن اليد أضيفت إلى ضمير العظمة و الأسلوب في مثل هذا يقتضي الجمع و إذا ذكرت اليد بصيغة

الإفراد. هذا يُقال له جنسٌ يصلح للواحد و للأكثر من واحد , الذي يُفسر كل هذا: قوله تعالى (لما خلقت بيدي) و قوله تعالى في آية أخرى (بل يداؤه مبسوطتان) يداؤه. (لما خلقت بيدي) و (يداؤه) هاتان الآيتان تُفسر لك كل ما فيه إجمال , كذكر اليد بصيغة الإفراد و جمع اليد و تخرج بنتيجة أن الله يدين مبسوطتين. في تفسير غريب القرآن. ابن قتيبة يقول: (خلقنا لهم مما عملت أيدينا) يجوز أن يكون مما عملناه بقدرتنا و قوتنا و في اليد القوة و القدرة على العمل. فتستعار اليد فتوضع موضعها. موضع القوة و القدرة. هذا مجاز للعرب يحتمله هذا الحرف و الله أعلم بما أراد , فبين الله في كتابه ما أراد و بين اليد و عبر و جاء ذكر اليد مفردًا و جمعًا و مثني. الذي يمنع تفسير اليد بالقدرة أو بالقوة. بحسب اليد بصيغة التثنية. لا يُقال الله له قدرتان أو قوتان. هذا لا يقوله لا السلف و لا الخلف. في حق الله - تعالى - حتى الذين. حتى المتأخرين الذين يؤمنون بالقدرة كالأشاعرة يؤمنون بأن قدرة الله قدرة واحدة و قدرة باهرة. إذ لم يرد في الكتاب و السنة إثبات القدرتين لله. له قدرة و له قوة واحدة , و هذا يمنع بحسب اليد بصيغة الجمع و بصيغة التثنية. أما بصيغة الجمع المراد كما قلنا التعظيم لا يدل على التعدد. و صيغة التثنية نص في التعدد. نص في العدد. أي يدين اثنين , و هذا يمنع تأويل اليد بالقوة أو بالقدرة , لذلك هذا التعليق لا يستفاد منه و لكن يستفاد منه الرد عليه و بيان أن هذا المجاز الذي يُشير إليه , و إن كان مجازًا جاريًا في اللغة العربية لكن هنا في هذا المقام غير جائز و غير وارد و غير لائق , و تثنية اليد في آيتين اثنتين في كتاب الله - تعالى -. الآيتان تردان هذا التأويل و دعوى المجاز في يد الله تعالى , ثم قال الشيخ رحمه الله - تعالى - فهذا ليس مثل هذا. فهذا الذي جاء ذكره في آية "يس" ليس مثل هذا , أو هذا الذي جاء فيه ذكر اليد بصيغة المثني ليس مثل هذا الذي جاء فيه ذكر اليد بصيغة الجمع. ذاك أن تجعل الإشارة أو اسم الإشارة في الأولى. للآية الأولى , و الإشارة الثانية للآية الثانية لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي. أي في قوله (عملت أيدينا) , فصار شبيهًا قوله تعالى (مما عملت أيدينا) شبيهًا بقوله (فبما كسبت أيديكم) بما كسب أيديكم. نسب أسند الكسب إلى الأيدي. و هو في قوة "بما كسبتم" و لكن إنما أسند الفعل و

الكسب إلى الأيدي لأن أكثر الأعمال إنما تُزاول بالأيدي. باليد. إنسان قد يكسب شراً أو خيراً بجميع جوارحه. يُطيع الله بجميع جوارحه و يعصي الله بجميع جوارحه , و لكن الغالب أن يكون الكسب باليد. يُعطي باليد. يُجاهد باليد. يُنفق بيده. ثم يظلم بيده. يضرب بيده. يقتل بيده. أكثر الأعمال إنما تُزاول خيراً أو شراً باليد و إلا الكسب يكسب الإنسان كل ما يُريد أن يكسبه من خيرٍ و شرٍ بجميع الجوارح. هذا هو السر في تخصيص الأيدي. إذا قوله تعالى (مما عملت أيدينا) شبيهة بقوله تعالى (بما كسبت أيديكم) ليس شبيهة بقوله تعالى (لما خلقت بيدي) هكذا يجب التفريق بين الأسلوبين و يُجعل هذا نظير هذا. يُجعل قوله تعالى (مما عملت أيدينا) نظير قوله تعالى (بما كسبت أيديكم) هذا نظير هذا و ليس نظير قوله تعالى (لما خلقت بيدي) هذا الذي يُريد الشيخ أن يُثبت , لأنَّ إن لم تُفَرِّق بين الأسلوبين و بين التعبيرين هكذا. تقع في لبس. ¹, النصوص كما فهم السلف الصالح و كما دلَّت على ذلك اللغة. مَنْ أَعْرَضَ عَنْ إدْرَاكِ هذه المعاني على ضوء ما أدرك السلف. قد أَعْرَضَ عن اللغة , و دَعَوَى الخلف أنهم تبخروا في علوم. في العلوم العربية و استطاعوا أن يُخَالِفُوا السلف في التفسير دَعَوَى فارغة , بل السلف أعلم حتى في اللغة , و إن كَانَ في وَفْقِهِمْ لم توضع هذه الاصطلاحات. اطلاق يُسمى البلاغة. اصطلاح يُسمى نحو. اصطلاح يُسمى الصِّرف. هذه الاصطلاحات ما كانت معروفة لكنَّ الناس كانوا يُطَبِّقُونَ تطبيقاً عملياً لا يَلْحَنُونَ كما يَلْحَنُ المتأخرون. المتأخرون مع دراستهم للغة فيهم لحن كثير و لذلك الشعراء المتأخرون لا يُحْتَجُّ بِشِعْرِهِمْ و لكنَّ الشعراء الذين كانوا في الجاهلية. في صدر الإسلام. كلامهم حجة. يُحْتَجُّ بكلامهم في معرفة اللغة , أما الذين نشؤوا بعد ذلك. بعد عهد الأمويين. الشعراء المحدثون لا يُحْتَجُّ بكلامهم لأنَّ اللغة ضاعت أو ضُعِفَتْ. لذلك دَعَوَى المتأخرين أنهم يعلمون من نصوص الكتاب و السنة ما يعلم السلف. هذه الدَعَوَى غير واقعية. دَعَوَى فارغة , بل نيلٌ من السلف بأنهم فيهم نقص في فهم اللغة , و هذا غير وارد

¹ (كأنه انقطاع للصوت بالشريط)

و غيرُ جائزِ بِدَلِيلِ فَهْمِهِمْ هَذِهِ النّصُوصُ فَهَمَّا دَقِيقًا حَتَّى لَا تَتَضَارَبَ النّصُوصُ بِأَيْدِيهِمْ.
إِنَّمَا تَتَضَارَبُ النّصُوصُ فِي أَيْدِي الْخَلَفِ لِنَقْصِ عِلْمِهِمْ وَ نَقْصِ فَهْمِهِمْ وَ لَاعْرَاضِهِمْ عَنْ
مَفَاهِيمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ , وَ بِاللّهِ التَّوْفِيقُ .

الدرس رقم : 17

القارئ: قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (ومما يشبه هذا القول أن يُجعل اللفظ نظيراً لما ليس مثله، كما قيل في قوله { مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ } فقيل: هو مثل قوله: { أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا } ، فهذا ليس مثل هذا، لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي فصار شبيهاً بقوله: { فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } ، وهناك أضاف الفعل إليه، فقال: { لِمَا خَلَقْتَ } ثم قال: { بِيَدَيَّ } . وأيضاً فإنه هناك ذكر نفسه المقدسة بصيغة المفرد، وفي اليمين ذكر لفظ التثنية، كما في قوله: { بِلَإِ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } ، وهنا أضاف الأيدي إلى صيغة الجمع، فصار كقوله: { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } ، وهذا في الجمع نظير قوله: { بِيَدِهِ الْمُلْكُ } و { بِيَدِكَ الْخَيْرُ } في المفرد ، فالله - سبحانه وتعالى - يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد، مظهرًا أو مضمراً، وتارة بصيغة الجمع، كقوله: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } وأمثال ذلك. ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط، لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك ، فلو قال: ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي. كان كقوله: { مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا } ، وهو نظير قوله: { بِيَدِهِ الْمُلْكُ } و { بِيَدِكَ الْخَيْرُ } ، ولو قال: خلقت يدي. بصيغة الإفراد، لكان مفارقاً له، فكيف إذا قال: { خَلَقْتَ بِيَدَيَّ } بصيغة التثنية ، هذا مع دلالة الأحاديث المستفيضة بل المتواترة، وإجماع سلف الأمة على مثل ما دل عليه القرآن، كما هو مبسوط في موضعه، مثل قوله: (المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا) . وأمثال ذلك.)

الشيخ: الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و إمام المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- في رسالة التدمرية و مما يُشبهُ هذا القول. أي ما تَقَدَّمَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهَا أَهْلُ الْكَلَامِ الَّذِينَ

ظنوا بأنها تؤدي الى التشبيه ما لم تُؤوّل. ممّا يُشبهه هذا القول أن يُجعل اللفظ نظيراً لما ليس مثله. أن يُجعل اللفظ و هو على ظاهره و هو حق. لكنّه يُجعل نظيراً لما ليس مثله. كما قيل في قوله { مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ } فـ قيل: هو مثل قوله: { أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا } , و ليس هذا مثلاً هذا. الفرق بينهما واضح. قال -الله تعالى- (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) فأضاف الفعل إلى نفسه. الخلق , أسند الفعل في هذه الآية إلى نفسه (لِمَا خَلَقْتَ) ثم عدّى الفعل بـ "الباء" إلى اليدين. و ذكرَ اليدين مُثَنَاءً (لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) و هو في قوّة قولك "كُتِبَ بِقَلَمِي" أي مدخول "الباء" هو بِمَثَابَةِ الآلة. (لِمَا خَلَقْتَ) أي خَلَقْتُ أَنَا بِنَفْسِي. (بِيَدَيَّ) بآشَرَ الخلق بِيَدَيْهِ. بهذا ميّز آدم على ابليس و غيره من مخلوقاته. خلق الله جميع المخلوقات بقوله "كُنْ" فَكَانَتِ المخلوقات. و لكنّ الله ميّز آدم أبى البشر بأن بآشَرَ خلقه بِيَدَيْهِ -سبحانه- كما يليق به , (لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) ليس هذه الآية كقوله تعالى (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا). (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا). أسند العمل إلى الأيدي وجمع الأيدي. (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) مثلاً هذا الأسلوب ليس نصّاً بأنّ الله بآشَرَ ذلك العمل بيده. (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) أي "مِمَّا عَمِلْنَا" لأنّ العامل إذا عمل عملاً له أن يُضيف العمل إلى نفسه و له أن يُضيف العمل الى الأيدي. الكل حقيقة و ليس هنا مجاز. "مِمَّا عَمِلَتْ" "مِمَّا عَمِلْنَا" (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) الأساليب كلّها أساليب عربية و جائزة. (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) أي "مِمَّا عَمِلْنَا" و ليست الآية نصّاً بأنّ الله بآشَرَ ذلك بيده. (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) ممّا تمتاز هذه الآية بجمع الأيدي. في الآية الأولى آية "ص" اليد مُثَنَاءً (لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) و هنا (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا). الله -سبحانه و تعالى- ذكرَ اليدَ في كتابه على سؤور. السورة الأولى. ذكرَ اليدَ مُثَنَاءً (لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ). السورة الثانية ذكرها جمعاً (أَيْدِينَا). أمّا في (لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) هذه الآية نصّ في أنّ الله -سبحانه و تعالى- يدين مبسوطتين. يُنفقُ بهما كيف يشاء. و أمّا الجمع هنا (أَيْدِينَا) إنّما جُمِعَتِ اليدُ لأنّها أُضِيفَتِ إلى ضمير العظمة. لما أُضِيفَتِ اليدُ إلى ضمير العظمة "نَا" ناسب جمعها. الضمائر التي جاءت في كتاب الله -تعالى- بصيغة الجمع في حقّ الرب -سبحانه و تعالى- تدلّ على

العظمة لا على العدد. (إِنَّا فَتَحْنَا) "إِنَّا فَتَحْنَا" ضميران. صِيغَتُهُمَا الجمع , و الجمع ليس نصًا في العدد. الجمع يَحْتَمِلُ العدد و يحتمل التعظيم. كلّ الضمائر التي جاءت بصيغة الجمع في حقّ الرب - سبحانه و تعالى - يُقَالُ لها ضميرُ العظمة. (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ و إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) هذه الضمائر كلّها لا تدلُّ على العدد. بل كلّها تدلُّ على العظمة لأنّ الله - سبحانه و تعالى - له الأسماء الحسنى و الصفات العُلا. يَسْتَحِقُّ العظمة. فهو العظيم. عَظِيمٌ بِأَسْمَائِهِ و صفاته و أفعاله. بلّ المخلوق أحيانًا يُعْظَم. لِمَا لَهُ مِنَ الصِّفَات. لما له من المكانة: "أَنْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ كَذَا" "أَنْتُمْ مَا قُلْتُمْ كَذَا؟" قَدْ تَقُولُ لِشَخْصٍ لِقَرْدٍ. تُعَبِّرُ بهذا التعبيرِ تَعْظِيمًا. إِذَا الْجَمْعُ لَا يَدُلُّ عَلَى الْعَدَدِ دَائِمًا بَلْ بِالْقَرَّائِنِ. النصوص إنما تُفْهَمُ بالقرائن. بالسَّابِقِ و اللاحِقِ و بِالسِّيَاقِ. الضمائر التي تدلُّ. التي صِيغَتُهَا صيغة الجمع في حقّ -الله تعالى- كلّها ضمير عظمة , و لما أُضِيفَت اليَدُ هنا إلى ضميرِ العظمة "نَا" نَاسَبَ جَمْعُهَا. و ليست معنى ذلك أنّ الله أيدي كثيرة. لله يَدَانِ مبسوطتان , قوله تعالى (لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ) (بلّ يداهُ مبسوطتان) هَاتَانِ الْآيَتَانِ تُفَسِّرَانِ كُلَّ مَا جَاءَ مِنْ ذِكْرِ "الْيَدِ" فِي الْكِتَابِ. فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى , (بِيَدِهِ الْمُلْكُ) هنا تَفْهَمُ بهذا الإفراد إثباتَ صِفَةِ الْيَدِ فَقَط. بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الْعَدَدِ , إِذَا تُثَبِّتُ الْيَدَ أَيْ صِفَةَ الْيَدِ بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ الْعَدَدِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (بِيَدِهِ الْمُلْكُ) (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) إثباتُ الْيَدِ فَقَط. تَأْتِي الْآيَةُ الثَّانِيَةُ جَمْعًا وَ تَفْهَمُ مِنْهَا أَنَّهَا إِنَّمَا جُمِعَتْ لِأَجْلِ التَّعْظِيمِ لِأَنَّهَا أُضِيفَتْ إِلَى ضَمِيرِ الْعِظْمَةِ , تَأْتِي هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا (لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ) مُفَسَّرَةً وَ مُبَيَّنَةً لِمُرَادِ الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ. هَكَذَا يُفَسِّرُ الْقُرْآنُ بَعْضُهُ بَعْضًا , فَخَرُجْ بِنَتِيجَةٍ بِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ الْيَدَ فِي كِتَابِهِ إِنَّمَا بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ إِنْبَاءً لَصِفَةِ الْيَدِ , وَ ذَكَرَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ مِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ وَ ذَكَرَ بِصِيغَةِ الْمُثْنَى بَيَانًا لِلْعَدَدِ , هَكَذَا يُفَسِّرُ الْقُرْآنُ بَعْضُهُ بَعْضًا , وَ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْيَدَ بِمَعْنَى النَّعْمَةِ أَوْ بِمَعْنَى الْقُوَّةِ أَوْ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ. مُحْجُوجُونَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ. لِأَنَّ الْيَدَ الَّتِي بِمَعْنَى النَّعْمَةِ. يَدُ النَّعْمَةِ لَا تُثَنَّى (و إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا) التَّثْنِيَةُ تَقْضِي عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ فِي حَقِّ -الله تعالى-. لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّنَا نُنَكِّرُ أَنَّ الْيَدَ لَا تَأْتِي بِمَعْنَى النَّعْمَةِ. لَا. تَأْتِي. وَ لَكِنْ فِي غَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ. "لِفُلَانٍ عَلَيَّ يَدٌ" "و لَهُ عَلَيْنَا أَيْدِي" هَذِهِ هُنَا بِمَعْنَى النَّعْمِ. لَكِنْ

إِذَا ذُكِرَتِ الْيَدُ بِصِغَةِ التَّثْنِيَةِ أَوْ وُصِفَتْ بِالْقَبْضِ وَ الْبَسْطِ. لَا تَحْتَمِلُ يَدُ النِّعْمَةِ. وَ لَا تَحْتَمِلُ يَدُ الْقُدْرَةِ وَ لَا تَحْتَمِلُ يَدُ الْقُوَّةِ. بَلْ نَصٌّ فِي صِفَةٍ لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ وَ لَيْسَتْ بِقُوَّةٍ وَ لَيْسَتْ بِقُدْرَةٍ وَ لَيْسَتْ بِنِعْمَةٍ وَ لَكِنَّ صِفَةً ثَابِتَةً لِلَّهِ -تعالى- تَلِيْقُ بِاللَّهِ. اللَّهُ مُوصَوِّفٌ بِالْقُوَّةِ وَ بِالْقُدْرَةِ وَ أَنَّهُ الْمُنْعِمُ الْمَتَّفِضِلُ وَ لَهُ يَدَانِ مَبْسُوطَتَانِ. وَ أَمَّا دَعْوَى إِبْنِ ثَابِتٍ يَدَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ يُعْتَبَرُ تَحْسِيمًا. هَذَا جَهْلٌ وَ تَقْلِيدٌ , وَ إِنْ كَانَ قَدْ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ الْيَوْمَ مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ فِي عِلْمِهِ وَ فَضْلِهِ وَ مَكَانَتِهِ , لَكِنَّ الْقَضِيَّةَ قَضِيَّةٌ تَقْلِيدٌ. هَذَا الْعَالَمُ الَّذِي يُقَرَّرُ الْيَوْمَ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ لِلَّهِ يَدًا حَقِيقِيَّةً فَهُوَ مُجَسِّمٌ. أَوْ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ فَهُوَ مُجَسِّمٌ. هَذَا مُقْلَدٌ. فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَنَا وَ إِيَّاهُ وَ يُخْرِجَنَا وَ إِيَّاهُ مِنْ سَوْقِ التَّقْلِيدِ , سَوْقِ التَّقْلِيدِ سَوْقُ الْحَسَارَةِ , مَنْ دَخَلَ سَوْقَ التَّقْلِيدِ خَسِرَ , لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْقَى الْإِنْسَانُ فِي سَوْقِ التَّقْلِيدِ خُصُوصًا فِي هَذَا الْبَابِ. هَذَا بَابٌ تَوْقِيفِي يُؤْخَذُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ , فَطَالِبُ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْبَابِ أَوَّلًا يَطَّلِعُ عَلَى النَّصُوصِ ثُمَّ يَعْرِضُ هَذِهِ النَّصُوصَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ قَدَمٌ ثَابِتَةٌ فِي الْعِلْمِ وَ فِي اللَّعَةِ الْعَرَبِيَّةِ. أَمَّا يَنْظُرُ فِي كُتُبِ الْأَشَاعِرَةِ فَيَقْرَأُ مَا يَقُولُهُ مُتَأَخَّرُوا الْأَشَاعِرَةِ , أَمَّا مَنْ يُثْبِتُ صِفَةً. مَنْ يُثْبِتُ صِفَةً الْيَدُ حَقِيقِيَّةً فَهُوَ مُجَسِّمٌ. مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ فَهُوَ مُجَسِّمٌ وَ رُبَّمَا عَبَّرُوا بِتَعْبِيرٍ سَيِّئٍ. مَنْ زَعَمَ بِأَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَاءً مَادِيًا. تَعْبِيرٌ فِي غَايَةِ السَّوْءِ , مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَاءً مَادِيًا ! هَذِهِ عِبَارَةٌ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا هَذَا الْكَاتِبُ الَّذِي يَكْتُبُ هَذِهِ الْأَيَّامَ , لَا يُقَالُ فِي حَقِّ اللَّهِ -تعالى- اسْتَوَاءً مَادِيًا. هَذَا تَعْبِيرٌ سَخِيفٌ جَدًّا لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ , إِنَّمَا -اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- لَهُ عُلُوُّ الدَّاتِ وَ لَهُ عُلُوُّ الْمَكَانَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ وَ لَهُ عُلُوُّ الْقَهْرِ. لَهُ عُلُوُّ الدَّاتِ لِأَنَّهُ عَلَيَّ بِذَاتِهِ فَوْقَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ. بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ. لَا يَدْخُلُ فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَ لَا يَدْخُلُ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ مُقَدَّسٌ مِنَ الْإِحْتِلَاطِ وَ الْأَمْتِزَاجِ. بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ. هَذَا عُلُوُّ الدَّاتِ , وَ لَهُ عُلُوُّ الْمَكَانَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ. هَذَا مَا يَشْعُرُهُ كُلُّ مُوَحِّدٍ مِنْ تَعْظِيمِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ تَقْدِيرِهِ حَقَّ قَدْرِهِ. هَذَا يُقَالُ لَهُ عُلُوُّ الْمَنْزِلَةِ وَ الْمَكَانَةِ , وَ لَهُ عُلُوُّ الْقَهْرِ لِأَنَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ. هَذِهِ أَقْسَامُ الْعُلُوِّ , يَحِبُّ اعْتِقَادَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيَّ فَوْقَ

جميع المخلوقات بذاته. صرّح بهذا الأئمة المشهود لهم بالإمامة كالإمام مالك إمام دار الهجرة. إمام أهل الحجاز , و كالليث بن سعد إمام أهل مصر , و كالإمام الأوزاعي إمام أهل الشام. و كالثوري إمام أهل العراق. و هؤلاء جميعاً و من في طبقتهم نصوا بأن الله - سبحانه و تعالى - عليّ على خلقه فوق جميع مخلوقاته بذاته و علمه في كل مكان. علمه في كل مكان. لا يخلو مكان من علمه فهو معنا بعلمه, يعلم منك ما لا يعلم جليستك منك. بل يعلم منك ما لا تعلمه أنت بنفسك. يعلم منك الرب - سبحانه - ما لا تعلمه أنت من نفسك. كيف يقال لمثل هذه المعية معية مجازية؟ هذه هي المعية الحقيقية حقاً. معية بعضنا مع بعض حقيقة صحيح لكن ليست الحقيقة كالحقيقة , يعلم بعضنا من بعض ما يظهر فقط. و لا يعلم أكثر من ذلك و هو معك حقيقة بذاته , لكن الله فوق جميع مخلوقاته بذاته و هو معك بعلمه يعلم منك ما لا تعلم أنت من نفسك , يجب أن يؤمن العبد هذا الإيمان حتى يؤمن بأن الله معه حيث ما كان و في كل لحظة حتى يراقبه في ضوء ذلك , الشاهد الإيمان بعلم الله الحقيقي و أنه معنا حقيقة لا منافاة بينهما , و هو معنا حقيقة و هو فوق عرشه حقيقة, هذه من عظمة الرب - سبحانه و تعالى - لا يتصور هذا إلا في الله. كونه فوق جميع مخلوقاته حقيقة و هو مع عباده حقيقة أمر لا يتصور إلا في - الله سبحانه و تعالى - و هذا دليل عظمة الرب سبحانه , ثم وصف الرب باليد لسننا نحن الذي وصفنا حتى نثهم بالتجسيم إذا أثبتنا لله يد. الله أثبت لنفسه تارة بصيغة الأفراد و تارة بصيغة الجمع و تارة بصيغة التثنية. على المؤمن أن يتدبر كتاب الله و يجمع بين هذه الأساليب فيخرج بنتيجة: "الأفراد لمجرد إثبات صفة اليد , و الجمع للتعظيم و التثنية لبيان العدد". يد تليق بالله تعالى. و العريب في الأمر إن أبي الحسن الأشعري الذي ينتسب إليه الأشاعرة و هو خير من حقق هذه الصفة صفة اليدين في كتابه "الإبانة" , على طلاب العلم أن يرجعوا إلى هذا الكتاب الذي ألقاه الإمام أبو الحسن بعد توبته و رجوعه إلى منهج السلف ناقش مناقشة علمية عقلية صفة اليد. حتى أثبت بأنها لا تحتمل لا الجارحة و لا النعمة و لا القوة و لا القدرة. بل هما صفتان لا يفتان بالله - تعالى - .

قال شيخ الاسلام رحمه -الله- (فهذا ليس مثل هذا). ما جاء في قوله تعالى (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) ليس كما جاء في قوله تعالى (مما عملت ايدينا) هذا معنى قوله "فهذا ليس مثل هذا" , لأنه هنا. أي في آية "يس" أضاف الفعل إلى الأيدي فصار شبيهاً بقوله (بما كسبت أيديكم) بما كسبت أيديكم يساوي بما كسبتم. إذا كسب الانسان كسبا لك أن تُضيفَ الكسب إليه و لك أن تُضيفَ إلى يديه. لأنه في الغالب الكثير إنما يُزاول الإنسان الكسب و العمل بالأيدي. يعمل بيديه و إن كان قد يكسب بجوارح أخرى لكن في الغالب الكثير مُزاوله الكسب و العمل و الفعل باليدين. (فبما كسبت أيديكم) الجمع -يجوز الجمع و يجوز التثنية إذا أضفت الى شخص و يجوز الأفراد كما تقدم. و هناك أي في آية "ص" أضاف الفعل إليه - سبحانه- إلى نفسه (لما خلقت) فقال (لما خلقت) ثم قال (بيدي). عدى الفعل إلى اليدين بـ "الباء" و ثنى اليدين , و أيضاً فإنه هناك ذكر نفسه المقدسة بصيغة المفرد (لما خلقت) و في اليدين ذكر لفظ التثنية (لما خلقت بيدي) ثنى اليدين. أفرد نفسه و ثنى اليدين. كما في قوله -تعالى- بل يدها مبسوطتان. لذلك قلنا هاتان الآيتان تُفسران لك جميع الآيات التي جاء فيها ذكر اليد في القرآن. و هنا أضاف الأيدي إلى صيغة الجمع (مما عملت أيدينا) أضاف الأيدي إلى صيغة الجمع (أيدينا) فصار كقوله (تجري بأعيننا) الله - سبحانه و تعالى- له عَيْنَانِ كما ثبت ذلك في قصة المسيح الدجال , لكن جاء ذكر العين بالأفراد و في الجمع. (و لتصنع على عيني) (تجري بأعيننا) في القرآن جاء ذكر العين بصيغة الجمع و بصيغة الأفراد. و السنة تُفسر القرآن و لا ينبغي أن تدعي الظاهرية فتقول له عين و له أعين. و له يد و له يَدَانِ و له أيدي. هذا فهم سيئ و ليست هذه ظاهريّة. هذا جهل. من يدعي هذا التفسير ثم يدعي الظاهرية يُفسد سمعة الظاهريين. و هو خطأ في التصور. ينبغي أن تُفسر الآيات بعضها ببعض و يحب تفسير القرآن بالسنة. القرآن أولاً يُفسر بعضه بعضاً ثم يُفسر القرآن بالسنة. ذكر العين بالأفراد و بالجمع يُفسر و يُبين مراد الله. ما جاء في سنة رسول الله عليه الصلاة و السلام لأن الرسول عليه الصلاة والسلام فسّر هذا بعدة تفاسير منها ما جاء في ذكر قصة المسيح الدجال. لما

ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ. قَالَ "إِنَّهُ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِبَّةٌ طَافِيَةٌ وَ لَيْسَ رَبُّكُمْ بِأَعْوَرَ" هَكَذَا فَعَلَ. أَشَارَ يَدَيْهِ إِلَى الْعَيْنَيْنِ فَقَالَ "و لَيْسَ رَبُّكُمْ بِأَعْوَرَ" إِشَارَةً إِلَى إِثْبَاتِ الْعَيْنَيْنِ. عَيْنَانِ تَلِيقَانِ بِاللَّهِ -تعالى- لَا كَأَعْيُنِ الْمَخْلُوقِينَ. وَ أَشَارَ النَّبِيُّ هَكَذَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ (وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) فَعَلَ هَكَذَا. أَشَارَ يَدَيْهِ إِلَى الْأُذُنَيْنِ وَ إِلَى الْعَيْنَيْنِ لَا لِلتَّشْبِيهِ وَ لَكِنْ لِتَأْكِيدِ الْحَقِيقَةِ. لَهُ سَمْعَانِ حَقِيقَتَانِ وَ لَهُ بَصَرَانِ حَقِيقَتَانِ. هَكَذَا تُفَسِّرُ السُّنَّةُ الْقُرْآنَ. إِذَا جُمِعَتِ بَيْنَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ تَخْرُجُ بِنَتِيجَةٍ وَاضِحَةٍ لَا اضْطِرَابَ فِيهَا وَ لَا شَكَّ لِأَنَّ اللَّهَ مُوصُوفٌ بِالْعَيْنَيْنِ مُوصُوفٌ بِالْيَدَيْنِ وَ مُوصُوفٌ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ. كُلُّ ذَلِكَ حَقِيقَةٌ وَ لَكِنْ لَيْسَتْ الْحَقِيقَةُ كَالْحَقِيقَةِ. لَيْسَ وَجْهُهُ كَوُجُوهِنَا وَ لَا يَدُهُ كَأَيْدِينَا وَ لَا عَيْنُهُ كَأَعْيُنِنَا وَ لَا سَمْعُهُ كَأَسْمَاعِنَا إِلَى آخِرِ الصِّفَاتِ. كُلُّ ذَلِكَ تَأْخُذُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ أَمَثَلُ تَنْزِيهِهِ. إِذَا أُرِدْتَ التَّنْزِيهَ الْحَقُّ فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ. لَيْسَ التَّنْزِيهَ كَمَا تَرَعُمُ الْأَشَاعِرَةَ أَنْ تَنْفِي الصِّفَاتِ أَوْ تُؤَوَّلَهَا. بَلِ التَّنْزِيهَ أَنْ تُثَبِّتَ لِلَّهِ مَا أُثْبِتَ لِنَفْسِهِ وَ مَا أُثْبِتَ لَهُ رَسُولُهُ الْأَمِينُ ثُمَّ تَنْفِي الْمُشَابَهَةَ بَيْنَ مَا أُثْبِتَ وَ بَيْنَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ- وَ هَذَا فِي الْجَمْعِ نَظِيرُ قَوْلِهِ (بِيَدِهِ الْمُلْكُ) (وَ بِيَدِكَ الْخَيْرُ) فِي الْمَفْرَدِ. أَيْ فِي إِثْبَاتِ صِفَةِ الْيَدِ , كَمَا أَنَّ الْآيَةَ فِي إِثْبَاتِ صِفَةِ الْعَيْنِ وَ يَأْتِي التَّفْسِيرُ كَمَا قُلْنَا فِي مَقَامٍ آخَرَ. (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) تُعْتَبَرُ الْآيَةُ فِيهَا إِجْمَالًا. تَحْتَاجُ تَفْسِيرًا فُفُسِّرَتْ. وَ قَوْلُهُ (بِيَدِهِ الْمُلْكُ) (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) مُجَرَّدَ إِثْبَاتِ الْيَدِ. وَ لَكِنْ بَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لَمَّا خَلَقْتَ يَدَيَّ) (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) , قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ- فَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- يَذْكُرُ نَفْسَهُ تَارَةً بِصِغَةِ الْمَفْرَدِ لِأَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ. مُظْهِرًا أَوْ مُضْمِرًا. سَوَاءٌ كَانَ بِالْإِسْمِ الظَّاهِرِ أَوْ بِالضَّمِيرِ , وَ تَارَةً بِصِغَةِ الْجَمْعِ كَقَوْلِهِ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) وَ أَمثال ذلك وَ لَا يَذْكُرُ نَفْسَهُ بِصِغَةِ التَّنْثِيهِ قَطُّ أَبَدًا. لَا يَذْكُرُ الرَّبُّ نَفْسَهُ بِصِغَةِ التَّنْثِيهِ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ صِغَةَ الْجَمْعِ تَقْتَضِي التَّعْظِيمَ. إِذَا ذَكَرَ نَفْسَهُ بِصِغَةِ التَّعْظِيمِ لَا لِلْعَدَدِ "لِأَنَّ صِغَةَ التَّعْظِيمِ" (كَأَنَّ مَا بَيْنَ الشَّرْطَتَيْنِ سَبْقُ كَلَامٍ مِنَ الشَّيْخِ) . لِأَنَّ صِغَةَ الْجَمْعِ نَصًّا فِي الْعَدَدِ وَ الْكَثْرَةِ وَ الْحَصْرِ. بَلْ قَدْ تَأْتِي لِلتَّعْظِيمِ

و لا تأتي هذه الصيغة في حق -الله تعالى- إلا للتعظيم أبداً. (إنا نحن) (إنا فتحنا). لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه -الله سبحانه و تعالى- مستحقٌ للتعظيم. و تدلُّ هذه الصيغة على معاني أسمائه. على معاني أسمائه .
عندكم و "ربما" خلق على لفظه "ربما" لأن الجملة تعليلية. "ربما" هذه الظاهر من تصرف الطباعين .

لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه و تدلُّ هذه الصيغة. و في قوة التعليل للجملة. و تدلُّ على معاني أسمائه. الصيغة. أي إنما يستحق التعظيم لأن الأسماء الحسنى و الصفات العلى. من له هذه الأسماء العظيمة و الصفات العظيمة مستحقٌ للتعظيم. و المخلوق أحياناً يستحق التعظيم لما فيه من بعض المعاني. فما بال الرب العظيم -سبحانه- , و أما صيغته التشبيه فتدل على العدد المحصور. لذلك لا يمكن أن يذكر الرب -سبحانه و تعالى- نفسه بالتشبيه لأنه الواحد الأحد , و لأنه العظيم المعظم. أما التشبيه لا , لأن الصيغة تدل على العدد المحصور و هذا لا يليق بالله -تعالى- . و هو مقدس عن ذلك أي عن العدد المحصور. فلو قال "ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي" كان كقوله "مما عملت أيدينا" أي أضاف مما خلقت يدي. أضاف الخلق إلى اليد. كما أضاف العمل إلى اليد في قوله (مما عملت أيدينا) أي الفاعل في "عملت أيدينا". و الفاعل في "لما خلقت يدي". لو قال هكذا كان كقوله تعالى (مما عملت أيدينا) ليست نصاً بأن الله باشر الخلق بيده، و هو نظير قوله (بيده الملك) و (بيده الخير) أي في مجرّد إثبات صفة اليد. لا نفيد أكثر من هذا. لو قيل "ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي" لا نفيد أكثر من إثبات اليد كما في قوله تعالى (بيده الملك) و (بيدك الخير) الآيتين كما تقدّم يستفاد منهما إثبات اليد فقط. أما عدد اليد و أما الله -سبحانه و تعالى- باشر الفعل بيده. لا يستفاد من الآيتين كما يستفاد من قوله تعالى (لما خلقت يدي). هذا معنى تشبيه هذه الصيغة بقوله (مما عملت أيدينا) لأن هنا لا نفيد الآية أكثر من إثبات اليد مع التعظيم و لا نفيد بأن الله باشر العمل باليد. لذلك لا ينبغي أن تجعل هذه الآية نظير تلك. بل بينهما فرق واضح كما تقدّم. و لو قال

"خَلَقْتُ يَدَيَّ" خَلَقْتُ يَدَيَّ بِصِغَةِ الْإِفْرَادِ فِي "الْيَدِ" لَكَانَ مُفَارِقًا لَهُ. مُفَارِقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى (مَّا عَمِلْتَ أَيَّدِيَا). فَكَيْفَ إِذَا قَالَ (خَلَقْتُ يَدَيَّ)؟ لَوْ قَالَ "خَلَقْتُ يَدَيَّ" فَأَضَافَ الْخَلْقَ إِلَى نَفْسِهِ. وَ لَكِنَّهُ أَفْرَدَ الْيَدَ. لَكَانَ مُفَارِقًا لِقَوْلِهِ (مَّا عَمِلْتَ أَيَّدِيَا) لِأَنَّهُ لَمْ يُضِفِ الْفِعْلَ هُنَا إِلَى الْأَيْدِي. فَكَيْفَ إِذَا قَالَ (خَلَقْتُ يَدَيَّ) بِصِغَةِ التَّثْنِيَةِ بَعْدَ أَنْ أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى نَفْسِهِ. وَ عَدَّى الْفِعْلَ بِـ "الباء" وَ ثَنَّى الْيَدَ. هَذِهِ وَاضِحَةٌ جَدًّا فِي اثْبَاتِ الْيَدَيْنِ أَوَّلًا وَ فِي اثْبَاتِ بَأَنَّ اللَّهَ بَاشَرَ خَلْقَ آدَمَ يَدَيْهِ. وَ بِهَذَا مَيَّزَ أَبِي الْبَشَرِ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ. إِنْ هَذَا هَذَا مَعَ دَلَالَةِ الْأَحَادِيثِ الْمُسْتَفِيضَةِ بِلِ التَّوَاتُرِ وَ إِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَى مِثْلِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ. دَلَّتِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ وَ إِجْمَاعُ سَلَفِ الْأُمَّةِ. الْإِجْمَاعُ "إِجْمَاعُ السَّلَفِ" حُجَّةٌ. لِأَنَّ السَّلَفَ يَنْضَبِطُ إِجْمَاعُهُمْ. الْمُرَادُ بِالسَّلَفِ الصَّحَابَةُ وَ التَّابِعُونَ عِنْدَمَا كَانُوا هُنَا فِي الْحِجَازِ وَ عَاصِمَتُهُمْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ. عَدَّدَهُمْ مَحْصُورٌ وَ الْخِلَافُ قَلِيلٌ. إِجْمَاعُهُمْ يَنْضَبِطُ. هَكَذَا حَقَّقَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ إِذَا قِيلَ إِنَّ الْإِجْمَاعَ حُجَّةٌ. الْمُرَادُ إِجْمَاعُ السَّلَفِ. لِأَنَّ السَّلَفَ هُمُ الَّذِينَ فِي الْإِمْكَانِ أَنْ يُجْمَعُوا عَلَى شَيْءٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَ الْخِلَافُ قَلِيلٌ وَ إِجْمَاعُهُمْ يَنْضَبِطُ. وَ أَمَّا بَعْدَ أَنْ تَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا. دَعَا الْإِجْمَاعَ بَعْدَ ذَلِكَ دَعَا فَارَعَةً. إِذَا الْإِجْمَاعُ الَّذِي يُعْتَبَرُ الْأَصْلَ الثَّلَاثُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ هُوَ إِجْمَاعُ السَّلَفِ. وَ السَّلَفُ أَجْمَعُوا عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ مِنْ إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَى الْحَقِيقَةِ. إِذَا صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى سَوَاءٌ كَانَتْ ذَاتِيَّةً أَوْ خَبَرِيَّةً فِعْلِيَّةً. أَوْ سَوَاءٌ كَانَتْ ذَاتِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً وَ سَوَاءٌ كَانَتْ خَبَرِيَّةً أَوْ عَقْلِيَّةً. ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ الْإِجْمَاعِ. إِنْ هَذَا , صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ الْإِجْمَاعِ. أَيْ إِجْمَاعُ السَّلَفِ. وَ صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ إِمَّا ذَاتِيَّةً كَالْقُدْرَةِ وَ الْإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْحَيَاةِ. وَ إِمَّا فِعْلِيَّةً كَالِإِسْتِوَاءِ وَ النَّزُولِ وَ الْعُضْبِ وَ الْحَبَّةِ. إِمَّا عَقْلِيَّةً كَالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْقُدْرَةِ وَ الْحَيَاةِ كَمَا تَقَدَّمَ التَّفْصِيلُ. وَ إِمَّا خَبَرِيَّةً الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَى إِثْبَاتِهَا إِلَّا بِالْخَبَرِ كَالْيَدِ وَ الْوَجْهِ وَ النَّزُولِ وَ الْمَجِيئِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ تُسَمَّى خَبَرِيَّةً سَمْعِيَّةً نَقْلِيَّةً. كُلُّهَا ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ الْإِجْمَاعِ السَّلَفِ. لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ أَقْوَى مِنْ هَذَا. الْقَضِيَّةُ الَّتِي تَنْبُتُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ بِسُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ

المشهور المتواترة أحياناً. ثم أجمع السلف على ذلك .

يقول الإمام الأوزاعي و هو من كبار أئمة المسلمين في عصر تابعي التابعين كما يقول شيخ الاسلام أربعة من أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين أربعة. يُقال لهم أئمة الدنيا في عصر تابع التابعين. مَنْ هُمْ؟ مَالِكُ الْحِجَازِ وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ بِمِصْرَ وَالْأَوْزَاعِيُّ بِالشَّامِ وَالثَّوْرِيُّ بِالْعِرَاقِ , يُقَالُ لَهُمْ أئمةُ الدِّنيا. إستمع ماذا يقول أحد هؤلاء الأئمة. الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام يقول: كُنَّا نَقُولُ بَيْنَ شَرِطَتَيْنِ وَ -التَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ- , كُنَّا نُقُولُ وَ التَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ بَائِثٌ مِنْ خَلْقِهِ. أَيْ إِنَّ إِبْتِثَاتَ عُلُوِّ اللَّهِ -تَعَالَى- وَ اسْتِوَاءِهِ عَلَى عَرْشِهِ مَحَلٌّ لِإِجْمَاعِ بَيْنَ التَّابِعِينَ وَ تَابِعِي التَّابِعِينَ. وَ إِجْمَاعُ التَّابِعِينَ تَابِعٌ لِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ مُسْتَنَدُهُ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ. وَ هَلْ تُوجَدُ قَضِيَّةٌ أَقْوَى وَ أَوْضَحُ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي أَجْمَعَ عَلَيْهَا تَابِعُوا التَّابِعِينَ وَ قَبْلَهُمُ التَّابِعُونَ وَ قَبْلَهُمُ الصَّحَابَةُ وَ مُسْتَنَدُ هَذَا الْإِجْمَاعِ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ ' كَيْفَ يُقَالُ لِقَضِيَّةٍ كَهَذِهِ مِنْ أَثْبَتِهَا بِأَنَّهُ مُحَسَّمٌ أَوْ مُشَبَّهٌ؟! مَا أَجْهَلَ هَذَا الْقَوْلَ وَ قَائِلَهُ. نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ . هَذَا مَعَ دَلَالَةِ الْأَحَادِيثِ الْمُسْتَفِيضَةِ بَلِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَ إِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَى مِثْلِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ كَمَا هُوَ مَبْشُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ. رَاجِعْ مَثَلًا "الرسالة المدنية في الحقيقة و المجاز" لشيخ الإسلام تُوجَدُ فِي الْمَجْلَدِ السَّادِسِ فِي الْمَجْمُوعِ. فِيهِ بَسْطٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. بَلِ رَاجِعْ إِذَا كَانَتْ لَدَيْكَ تَهَمَّةٌ فِي الْعِلْمِ وَ قُدْرَةٌ عَلَى الْفَهْمِ. عَلَيْكَ بِالصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ لِتَلْمِيذِهِ ابْنِ الْقَيْمِ. لَا تَجِدُ بَحْثًا مُشَبَّعًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَكْثَرَ مِمَّا تَجِدُ فِي الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ خُصُوصًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِالذَّاتِ. مَسْأَلَةُ بَحْثِ الْيَدِ وَ الْإِسْتِوَاءِ وَ الْوَجْهَ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ.

مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ (المَقْسُطُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٍ) كِلْتَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ وَ إِنْ جَاءَ إِطْلَاقُ الْيَسَارِ أَحْيَانًا كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَ لَكِنْ (كِلتَا يَدَيْهِ يَمِينٍ) هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَنْفِي الْوَهْمَ الَّذِي قَدْ يَتَوَهَّمُ مَنْ يَسْمَعُ إِطْلَاقَ الْيَسَارِ عَلَى إِحْدَى يَدَيْهِ. أَنَّ الْيَسَارَ فِي حَقِّ -اللَّهِ تَعَالَى- كَالْيَسَارِ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ فِي النَّقْصِ , لَا , وَ إِنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ يَسَارٌ. لَكِنْ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ. فِي قُوَّةٍ وَاحِدَةٍ مُنْزَهَةً عَنِ النَّقْصِ. إِطْلَاقُ

اليسار عليها لا يؤدّي إلى النقص ، بل كِلتا يدي ربي يمين مباركة. (الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) و أمثال ذلك كثير جدًا. راجع الأحاديث في هذا الباب كما في حديث عبدالله بن عمر يحكي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول (ياخذ الرب - عز وجل - سماواته وأرضه بيديه) يأخذ سماواته وأرضه بيديه ، و جعل النبي عليه الصلاة والسلام يقبض و يبسط هكذا ، -الله سبحانه وتعالى- يأخذ سماواته وأرضه بيديه كما يأخذ الإنسان ما يأخذه في يده هكذا. جعل النبي عليه الصلاة والسلام يقبض و يبسط. إشارة إلى حقيقة القبض و حقيقة البسط و ليس في ذلك تشبيه يد الخالق بيد المخلوق و لا بسط الخالق بسط المخلوق و لا قبضه قبضه. إنما إثبات للحقيقة أن ذلك القبض و البسط حقيقة و هذا ينفي توهم الذين يقولون المراد باليد النعمة ، يد النعمة و يد القوة و يد القدرة لا توصف بالقبض و البسط ، إذا هما يداً ليستا بنعمتين و لا بقوتين و لا بقدرتين و لا بنعمتين و لا بجارحتين. لأن الجارحة يد المخلوق و لكن يد تليق بالله -تعالى- (ليس كمثل شيء و هو السميع البصير) و صلى الله و سلم و بارك على نبينا محمد و آله و صحبه .

الدّرس رقم : 18

القارئ: "صوت القارئ محذوف من الشريط رقم 18" و حسب سياق كلام الشيخ محمد أمان الجامي أنّه كَانَ يشرح من الرسالة التدمرية في هذا الدّرس ما يلي¹ (وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها، والظاهر هو المراد في الجميع، فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد - كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا. وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم حقيقة، قادر حقيقة، لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير ، فكذلك إذا قالوا في قوله: {يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُّونَهُ} ، {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} ، وقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} : إنه على ظاهره. لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق، ولا حبًا كحبه، ولا رضا كرضاه.

فإن كان المستمع يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين، لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادًا، وإن كان يعتقد أن ظاهرها هو ما يليق بالخالق ويختص به، لم يكن له نفي هذا الظاهر، ونفي أن يكون مرادًا إلا بدليل يدل على النفي. وليس في العقل ولا في السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات، فيكون الكلام في الجميع واحداً. وبيان هذا، أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام، وهي أبعاد لنا، كالوجه واليد؛ ومنها ما هي معان وأعراض، وهي قائمة بنا، كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة. ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، لم يقل المسلمون: إن ظاهر هذا غير مراد، لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا؛ فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه، لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد، لأن مفهوم ذلك في حقه

¹ جملة "صوت القارئ محذوف من الشريط..... الخ" هي من تصوّري أنا أبو عبد الله الجزائري و ليست من الشريط و هكذا في جميع صفحات هذا الكتاب .

كمفهومه في حقنا، بل صفة الموصوف تناسبه.)

الشيخ: الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و إمام المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين , قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- و هو يُقرّر منهج أهل السنة و الجماعة في هذا الباب و هو عدم التفريق بين الصفات. بين الصفات الذاتية و الصفات الفعلية و بين الصفات الخبرية و الصفات العقلية , بل تُساق الصفات كلّها سوفاً واحداً. هذا منهج السلف , و عدم القول على الله بغير علم , لذلك يقول الشيخ رحمه -الله تعالى- و إن كان القارئ يعتقد أنّ ظاهر النصوص المتنازع في معناها بين السلف و الخلف , "المتنازع في معناها بين السلف و الخلف" من ضمن أو من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها بين السلف و بين بعض الخلف. لأن بعض الخلف وافقوا السلف كما تقدّم في بعض الصفات و أنّ ظاهرها مراد. من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها كالقدرة و الإرادة و السمع و البصر مثلاً , و الظاهر هو المراد في الجميع. الظاهر هو المراد لله -تعالى- في جميع هذه النصوص المتفق عليها و المتنازع فيها. علل ذلك فقال: فإن الله تعالى لما أخبر أنّه بكلّ شيء عليم و أنّه على كلّ شيء قدير و اتفق أهل السنة و أئمة المسلمين. المراد بأهل السنة هنا "السلف" بدليل قوله (و أئمة المسلمين كما تقدّم). لأنّه يذكر السلف ثم يعطى عليهم أئمة المسلمين. و مراده بالسلف و بأهل السنة: الصحابة و التابعون , و بأئمة المسلمين: الإئمة المشهود بإمامتهم بما في ذلكم الأئمة الأربعة. إتفقوا على أنّ هذا على ظاهره. إتفق أهل السنة و الجماعة و الأئمة المشهود لهم على أنّ هذه النصوص: قوله تعالى (إنّه بكلّ شيء عليم) و أنّه (على كلّ شيء قدير) إتفقوا على أنّ هذا على ظاهره و أنّ ظاهر ذلك مراد لله -تعالى- و ليس هناك مراد آخر غير هذا الظاهر. و المراد بالظاهر "الظاهر الذي يليق بالله لا الظاهر الذي يليق بالمخلوق" , نصوص الصفات لا تدلّ إلا على الظاهر الذي يليق بالله لأنّها تتحدّث عن الله و لا يخطر ببال أحد من هم علم و معرفة , الظاهر الذي يليق بالمخلوق لا يخطر ببال أحد عندما يدرس نصوص

الصفات. لأنها إما تتحدث عن الله. إذا الظاهر هو المراد أي الظاهر الذي يليق بالله تعالى. فجواب الشرط كان من المعلوم. الشرط هو "و إن كان القائل يعتقد" إلى آخره. "كان من المعلوم" هذا جواب الشرط , كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا و قدرته كقدرتنا. لماذا لم يريدوا ذلك؟ لأن النصوص كما قدمنا إنما هي في حق -الله تعالى- و تُخبر عن صفات الله و أسمائه. إذا المراد هو الظاهر الذي يليق بالله -تعالى- لا الظاهر الذي يليق بالخلق. و كذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة و عالم حقيقة. قادر حقيقة. لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير. بل الله حي حياة حقيقية و عالم عليم حقيقي و قادر قدرة حقيقية. و المخلوق عالم حقيقياً و قادر قدرة حقيقة , و لكن ليست الحقيقة كالحقيقة. حتى في المخلوق الحقائق تختلف فمثلاً رأس الجبل حقيقة. و رأس الجمل حقيقة و رأس الإبرة حقيقة و رأس القلم حقيقة و رأس الإنسان حقيقة. و هل هذه الحقائق متشابهة؟ متباينة جداً¹, و الكل يتفق على أن هذه الرؤوس كلها على حقيقتها. ليس هنا مجاز. إذا الحقائق تختلف. إذا قلنا الله قادر حقيقة و حي حقيقة و عالم حقيقة و مستو على عرشه حقيقة و ينزل حقيقة و يأتي يوم القيامة لفصل القضاء حقيقة. ليس هذه الحقائق كالحقائق في المخلوق. الإنسان يأتي حقيقة و مستو حقيقة و سميع بصير حقيقة. إذا الحقائق تختلف. هذه النقطة هي التي خفيت على كثير من المتأخرين من علماء الكلام. لذلك يزعم بعضهم إذا قال السلفي و من ذهب مذهبهم بأن الله مستو على عرشه حقيقة. يقول هؤلاء يثبتون لله -تعالى- استواء مادياً! هكذا يُعبر من عند نفسه جرأة على الله , لم يسبق بهذا التعبير. لا يقال في استواء الله تعالى استواء مادياً و لكن يقال "استواء ذاتي" هذا الاستواء حقيقي و استواء الإنسان على كُرسيه حقيقي و على دابته و على طائره حقيقة لكن ليس الاستواء كالاستواء. المستوي من المخلوق على مخلوق مثله لا يخلو إما أن يكون مساوياً لما استوى عليه أو أكبر منه أو أصغر منه. هذه لوازم

¹ يجب على القارئ التفتن لِمِثْلِ هذه الأسئلة التي يسألها الشيخ ثم يجيب عنها مباشرة , و غالباً ما تكون تلك الأجوبة بعد علامة الاستفهام "؟".

صِفَاتِ المَخْلُوقِ ، و لا يَجُوزُ قِيَاسُ صِفَاتِ -اللهِ تعالى- و إِجْرَاءُ لَوَازِمِ صِفَاتِ المَخْلُوقِ عَلَى صِفَاتِ الخَالِقِ. لِمَاذَا؟ لَأَنَّ هَذَا المَخْلُوقَ الَّذِي نَصِفُهُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ نَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ وَ حَقِيقَةَ اسْتَوَائِهِ. لذلِكَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَيِّفَ فَنَقُولَ كَيْفِيَّةَ اسْتَوَائِهِ كَذَا وَ كَذَا. فالرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- الَّذِي لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ. كَيْفَ نُحَاوِلُ أَنْ نُكَيِّفَ صِفَاتِهِ؟ مُسْتَحِيلٌ عَقْلاً ، لذلِكَ إِذَا فَهَمَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ إِشَارَةِ مَنْ يُشِيرُ. عِنْدَمَا يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى (أَأَمْنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) إِذَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَفْهَمَ: إِنَّ هَذَا يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ فِي دَاخِلِ السَّمَاوَاتِ وَ أَنَّ هَذِهِ الْأَجْرَامَ تُحِيطُ بِهِ. هَذَا خَطَأٌ فِي التَّصَوُّرِ. إِذْ يَسْتَحِيلُ عَقْلاً أَنْ يُحِيطَ مَخْلُوقٌ مَا بِالْخَالِقِ. كَيْفَ تُحِيطُ هَذِهِ المَخْلُوقَاتُ الضَّعِيفَةُ الَّتِي هِيَ فِي قَبْضَتِهِ سُبْحَانَهُ. كَيْفَ تُحِيطُ بِهِ؟ مَعْنَى (أَأَمْنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) أَأَمْنْتُمْ مَنْ فِي الْعُلُوفِ. السَّمَاءُ هُنَا إِطْلَاقَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي اللُّغَةِ ، الْمَاءُ يُسَمَّى سَمَاءً. السَّحَابُ سَمَاءً. وَ هَذِهِ الْأَجْرَامُ سَمَاءً. وَ الْعَرْشُ سَمَاءً. وَ الْكُرْسِيُّ سَمَاءً. كُلُّ مَا عَلَا وَ ارْتَفَعَ. هَذَا السَّقْفُ سَمَاءً. إِذَا (أَأَمْنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) أَأَمْنْتُمْ مَنْ فِي الْعُلُوفِ. أَيْنَ عُلوُّهُ؟ فَوْقَ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ. وَ اعْتِقَادُ عُلوِّ اللَّهِ -تَعَالَى- فَوْقَ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ "صِفَةُ فِطْرِيَّةٌ وَ عَقْلِيَّةٌ وَ سَمْعِيَّةٌ" أَيْ: إِتَّفَقَ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ وَ الْعَقْلُ وَ الْفِطْرَةُ عَلَى اعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ فِي الْعُلُوفِ. وَ لَا يَعْتَقِدُ مُسْلِمٌ مَا أَنَّ اللَّهَ فِي السَّفُولِ وَ أَنَّهُ مَعَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي دَاخِلِ السَّمَاوَاتِ. لَا ، إِلَّا مَنْ تَغَيَّرَتْ فِطْرَتُهُ وَ عَقْلُهُ بِدِرَاسَتِهِ بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَ إِلَّا لَمَّا سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ جَارِيَةً عَامِيَّةً لَا تَقْرَأُ وَ لَا تَكْتُبُ. رَاعِيَةَ الْعَنَمِ. لَمَّا أَرَادَ مَوْلَاهَا أَنْ يَعْتَقَهَا فِي مَنَاسِبَةٍ مِنَ الْمَنَاسِبَاتِ اسْتَشَارَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي عِتْقِ جَارِيَتِهِ. أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنْ يَتَّكَدَ مِنْ إِيْمَانِهَا. هَلْ هِيَ مُؤْمِنَةٌ؟ حَتَّى يَعْتَقَهَا وَ هِيَ مُؤْمِنَةٌ ، اسْتَدْعَاهَا. فَأَحْضَرَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ. فَوَجَّهَهَا سُؤَالَيْنِ اثْنَيْنِ. وَ كَثِيرٌ مِنَ الدَّارِسِينَ لِعِلْمِ الْكَلَامِ الْيَوْمَ يَسْتَغْرِبُونَ مِثْلَ هَذَا السُّؤَالِ. السُّؤَالُ الْأَوَّلُ قَالَ لَهَا أَيْنَ اللَّهُ؟ وَ الْمَقَرَّرُ الْآنَ فِي كُتُبِ الْأَشَاعِرَةِ "لَا يُسْأَلُ عَنِ اللَّهِ بِأَيِّنْ" عَلِمًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ الَّذِي أُرْسِلَ لِهَدَايَةِ الْبَشَرِيَّةِ. سَأَلَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ جَارِيَةً أَعْجَمِيَّةً قَالَتْ لَهَا "أَيْنَ اللَّهُ؟" قَالَتْ فِي السَّمَاءِ؟ مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ؟ فِطْرَةً. هَكَذَا فَطَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى اعْتِقَادِ الْعُلُوفِ. عَزَّوَجَلَّ وَ عَجَمَهُمْ. الْمُتَعَلِّمُ وَ الْجَاهِلُ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ فِي اعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ

يُدْعَى مِنْ فَوْقٍ. لَذَلِكَ كُلُّ ذَا عٍ يَقُولُ "يَا اللَّهُ". هَلْ أَحَدٌ يَقُولُ يَا اللَّهُ. الكلُّ يَقُولُ يَا اللَّهُ. العَرَبِيُّ وَ الْعَجَمِيُّ. كُلُّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ فِي الْعُلُوِّ. يُدْعَى مِنْ فَوْقٍ وَ يُخْشَى مِنْ فَوْقٍ. - سبحانه- , إِذَا هَذَا الْإِعْتِقَادُ وَ هَذِهِ إِشَارَةُ جَائِزَةٍ. تَحْرِمُ هَذِهِ الْإِشَارَةُ مِنْ مُبْتَدَعَاتِ أَهْلِ الْكَلَامِ. وَ قَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ هَذِهِ الْإِشَارَةُ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ. فِي خُطْبَةِ يَوْمِ عَرَفَةَ لَمَّا خَطَبَ تِلْكَ الْخُطْبَةَ الشَّامِلَةَ الْعَامَّةَ. قَالَ لِلصَّحَابَةِ فِي آخِرِهَا أَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي. مَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا نَشْهَدُ بِأَنَّكَ بَلَغْتَ وَ نَصَحْتَ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. اللَّهُمَّ اشْهَدْ. يُشِيرُ إِلَى اللَّهِ وَ يُشْهَدُهُ عَلَى الصَّحَابَةِ بِأَنَّهُمْ شَهِدُوا لَهُ بِأَنَّهُ بَلَغَ وَ نَصَحَ وَ نَحْنُ نَشْهَدُ مَعَهُمْ. بَعْدَ هَذِهِ الْإِشَارَةِ هَلْ يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ لَا تَجُوزُ الْإِشَارَةُ الْحُسِّيَّةُ إِلَى اللَّهِ؟! وَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ لَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ لِمُسْلِمٍ أَيْنَ اللَّهُ؟! لَا , كُلُّ هَذَا جَهْلٌ وَ إِعْرَاضٌ عَمَّا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ. لَمَّا تَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَوْلَهُ تَعَالَى (وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) أَشَارَ هَكَذَا. إِلَى أَدْنَاهُ وَ إِلَى عَيْنَيْهِ. لَا تَشْبِيهًا وَ لَكِنْ تَحْقِيقًا لِإِثْبَاتِ صِفَةِ السَّمْعِ وَ لِإِثْبَاتِ صِفَةِ الْبَصَرِ. أَنَّ اللَّهَ مُوصُوفٌ بِالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ حَقِيقَةً. حَقِيقَةً تُخَالِفُ حَقِيقَةَ سَمْعِنَا وَ حَقِيقَةَ بَصَرِنَا. إِذَا إِثْبَاتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَ أَنَّهَا حَقٌّ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ تَشْبِيهُ صِفَاتِ الْخَالِقِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ. وَ إِنَّ سَمَّاكَ الْمُؤَوَّلَ وَ النَّاقِي بِأَنَّكَ مُجَسَّمٌ وَ أَنَّكَ مُشَبَّهٌ لِسَبَبِ إِثْبَاتِكَ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى حَقِيقَتِهَا. لَا تَلْتَفِتْ إِلَى هَذَا التَّشْبِيهِ. لَذَلِكَ يَقُولُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي هَذِهِ الْمَعْنَى. هَذِهِ الْآيَاتُ الْعَظِيمَةُ: "وَ إِنْ كَانَ تَجْسِيمًا ثُبُوتُ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ إِنِّي لَمُجَسَّمٌ" , لَا تُبَالِي طَالَمَا أَثْبَتَ اللَّهُ مَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ وَ مَا أَثْبَتَ لَهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. لَوْ قَالُوا لَكَ مُجَسَّمًا. قُلْ إِنْ كَانَ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ التَّجْسِيمُ فَأَنَا مُجَسَّمٌ. وَ إِنْ كَانَ تَجْسِيمًا ثُبُوتُ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ إِنِّي لَمُجَسَّمٌ. لَا تُبَالِي مِنْ ذَلِكَ. وَ إِنْ كَانَ تَشْبِيهًا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ فَمِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ لَا أَتَكْتُمُ. إِنْ كُنْتُمْ تَصِفُونَنَا بِأَنَّا مُشَبَّهَةٌ لِإِثْبَاتِنَا لَصِفَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ وَ أَثْبَتَهَا لَهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ فَإِنَّا لَا نَتَكْتُمُ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ. بَلْ نُعْلِنُ بِأَنَّا مُشَبَّهُونَ وَ بِأَنَّا بِذَلِكَ فِي زَعَمِكُمْ مُشَبَّهُونَ. وَ يَقُولُ "وَ إِنْ كَانَ تَنْزِيهًا جُحُودُ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَ أَوْصَافِهِ أَوْ كَوْنِهِ يَتَكَلَّمُ فَمِنْ ذَلِكَ التَّنْزِيهِ

نَزَّهْتُ رَبَّنَا بِتَوْفِيقِهِ وَ اللَّهُ أَعْلَى وَ أَعْظَمُ" وَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ جُحُودُ الصِّفَاتِ وَ الْأَسْمَاءِ وَ نَفْيُ الصِّفَاتِ وَ الْأَسْمَاءِ تَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ ذَلِكَ تَنْزِيهِه فَنَحْنُ نُنَزِّهُهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا التَّنْزِيهِ. أَيْ نُثَبِّتُ مَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ وَ نَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ. ذَلِكَ هُوَ التَّنْزِيهِ. أَمَّا تَنْزِيهِكُمْ فَلَيْسَ بِتَنْزِيهِ بَلْ جُحُود. وَ بَعْدُ , وَ كَذَلِكَ لَمَّا اتَّفَقُوا أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةُ وَ أُمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ حَقِيقَةً عَالِمٌ حَقِيقَةً قَادِرٌ حَقِيقَةً. لَمْ يَكُنْ مُرَادُهُمْ أَنَّهُ مِثْلُ الْمَخْلُوقِ الَّذِي هُوَ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَ هَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ. فَكَذَلِكَ إِذَا قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (يُحِبُّهُمْ وَ يَحْبُوهُمْ) عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُمْ وَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنُونَ يُحِبُّونَ -اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- , اللَّهُ أَثْبَتَ الْحُبَّ فِي مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُمْ وَ هُمْ يُحِبُّونَهُ. فَحُبُّهُ اللَّهُ أَعْظَمُ شُعْبَةٍ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ. وَ مِنْ يُكْرِ حُبَّ اللَّهِ فَيَقُولُ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ الْمَخْلُوقِ حَتَّى تُثَبِّتَ الْحُبَّ لِلَّهِ أَوْ تُثَبِّتَ الْحُبَّ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ الْمَخْلُوقِ أَنْكَرَ أَعْظَمَ شُعْبَةٍ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ. لَا يُعْتَبَرُ مُؤْمِنًا مَنْ لَا يُحِبُّ اللَّهَ. لِأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ غَايَةَ الْحُبِّ مَعَ غَايَةِ الدُّلِّ .

كَيْفَ يَدَّعِي الْإِيمَانَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا يُحِبُّ اللَّهَ , اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مُحْبُوبٍ. (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ) أَثْبَتَ اللَّهُ الرَّضَى. بِأَنَّ اللَّهَ رَاضٍ عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَ خُصُوصًا الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ. هُمْ يَرْضَوْنَ عَنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَاضٍ عَنْهُمْ. وَ إِذَا قَالَ (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) قَالُوا إِنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ. الْمَحَبَّةُ عَلَى ظَاهِرِهَا وَ الرَّضَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَ الْإِسْتَوَاءُ عَلَى ظَاهِرِهِ. الظَّاهِرُ الَّذِي يَلِيقُ بِاللَّهِ لَا الظَّاهِرُ الَّذِي يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ. الظَّاهِرُ الَّذِي يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْطُرَ بِنَالٍ أَبَدًا لِأَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَصِفُ نَفْسَهُ يَقُولُ (ثُمَّ اسْتَوَى) فَاعِلٌ اسْتَوَى هُوَ "اللَّهُ" (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) مِنْ أَيْنَ يَأْتِي اسْتِوَاءُ الْمَخْلُوقِ؟ الْحَدِيثُ كُلُّهُ فِي اسْتِوَاءِ -اللَّهُ تَعَالَى- إِذَا هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ. إِذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَمْ يَقْتَضِ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُ اسْتِوَاءِهِ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ. بَلْ مُخَالَفٌ لَذَلِكَ. لِأَنَّ اللَّهَ فِي ذَاتِهِ مُخَالَفٌ لِلْمَخْلُوقِ فَاسْتِوَاءُهُ مُخَالَفٌ لَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ. وَ حُبُّهُ مُخَالَفٌ لِحُبِّ الْمَخْلُوقِ لِأَنَّهُ فِي ذَاتِهِ مُخَالَفٌ لِذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ. وَ كَذَلِكَ رِضَاةٌ . إِذَا يُقَرَّرُ الشَّيْخُ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ وَ هُوَ عَدَمُ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ. بَيْنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ

الخبرية. لا يُفَرَّقُ بَيْنَهَا. كُلُّهَا عَلَى ظَاهِرِهَا الظَّاهِرِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- لِأَنَّ النِّصْوَصَ كُلُّهَا إِنَّمَا تَتَحَدَّثُ عَنِ اللَّهِ وَ عَنْ صِفَاتِهِ. وَ لَا يَخْطُرُ بِيَالِ مُسْلِمٍ حَقَائِقُ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ أَبَدًا.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- فَإِنْ كَانَ المِسْتَمْعُ يَظُنُّ أَنَّ ظَاهِرَ الصِّفَاتِ مُثَابِلٌ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ لَزِمَهُ أَلَّا يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ ظَاهِرِ ذَلِكَ مُرَادًا أَبَدًا. هَذَا يُخَاطَبُ بِهِ الْأَشْعَرِيُّ وَ مِنْ مِثْلِهِ الَّذِينَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الصِّفَاتِ وَ يُثَبِّتُونَ بَعْضَ الصِّفَاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَ يُنْكِرُونَ الظَّاهِرَ فِي غَيْرِهَا. يُقَالُ لَهُ إِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَ الصِّفَاتِ فِي مَا تَقَدَّمَ فِي الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ يُثَابِلُ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ لَزِمَكَ أَلَّا يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ ظَاهِرِ ذَلِكَ مُرَادًا لَا فِي الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَ لَا فِي الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَ لَا فِي الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ. وَ إِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا هُوَ مَا يَلِيْقُ بِالْخَالِقِ وَ يَخْتَصُّ بِهِ بِالنِّسْبَةِ لِمَا يُثَبِّتُ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَفْيُ هَذَا الظَّاهِرِ وَ نَفْيُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا إِلَّا بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى النَّفْيِ. إِذَا كَانَ يُثَبِّتُ الظَّاهِرَ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَنْفِي ذَلِكَ فِي غَيْرِهَا طَالَمَا أَثَبَّتَ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ. لَيْسَ لَهُ أَنْ يَنْفِي فِي الصِّفَاتِ الْأُخْرَى مَرَّةً أُخْرَى. وَ إِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا هُوَ مَا يَلِيْقُ بِالْخَالِقِ بِالنِّسْبَةِ لِلسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْحَيَاةِ مَثَلًا وَ يَخْتَصُّ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَفْيُ هَذَا الظَّاهِرِ بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهَا مِنْ الصِّفَاتِ وَ نَفْيُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا فِي الْمَحَبَّةِ وَ الرِّضَى مَثَلًا إِلَّا بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى النَّفْيِ. إِلَّا إِذَا وَجَدَ دَلِيلًا يُفَرِّقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ. يُثَبِّتُ الظَّاهِرَ فِي بَعْضِهَا وَ يَنْفِي الظَّاهِرَ فِي الْبَعْضِ الْآخَرِ. وَ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ وَ لَا فِي السَّمْعِ مَا يَنْفِي هَذَا إِلَّا مِنْ جِنْسٍ مَا يَنْفِي بِهِ سَائِرَ الصِّفَاتِ. فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِي الْجَمِيعِ وَاحِدًا. إِنَّمَا أَنْ يُثَبِّتَ الْجَمِيعُ عَلَى ظَاهِرِهَا. جَمِيعَ الصِّفَاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَ جَمِيعَ النِّصْوَصِ عَلَى ظَاهِرِهَا الظَّاهِرِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى , وَ إِنَّمَا أَنْ يَنْفِي الْجَمِيعَ أَيْ أَنْ يَنْفِي الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةَ كَمَا نَفَى الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ لِيَكُونَ الْكَلَامُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ إِنَّمَا فِي النَّفْيِ أَوْ فِي الْإِثْبَاتِ. وَ أَمَّا التَّفْرِيقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ وَ بَيْنَ النِّصْوَصِ بِأَنْ يُؤْمِنَ بِبَعْضِ النِّصْوَصِ عَلَى ظَاهِرِهَا الظَّاهِرِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ وَ يَخْتَصُّ بِاللَّهِ وَ يَرْغَمُ وَجُوبَ التَّأْوِيلِ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالرِّضَى وَ الْمَحَبَّةِ وَ الْكَرَاهَةِ وَ الرَّحْمَةِ مَثَلًا هَذَا تَنَافُضٌ. وَ بَيَانُ هَذَا. يَقُولُ الشَّيْخُ بَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ صِفَاتِنَا مِنْهَا مَا هِيَ أَعْيَانٌ وَ

أجسام و هي أبعاد لنا. أبعاد و أجزاء بالنسبة لنا كالوجه و اليد. و منها من الصفات ما هي معانٍ و أعراض و هي قائمة بنا كالسمع و البصر و الكلام و العلم و القدرة. أنت أثبت أيها الأشعري السمع و البصر و الكلام و إن كان في الكلام كلام و أثبت العلم و القدرة على الحقيقة التي تليق بالله - تعالى - و لم يخطر ببالك التشبيه و لا التمثيل , و لماذا نقيت: هذه معانٍ و أعراض في حقنا؟! لم تنفي في حق - الله تعالى - بدعوى أنها أعراض و لكن أثبت على ما يليق بالله تعالى. ما الذي حملك على وجوب التأويل بالنسبة لنصوص الوجه و اليدين و القدم و الأصابع؟! ما الفارق بين هذه النصوص و تلك؟ ثم إن من المعلوم أن الرب - سبحانه و تعالى - لما وصف نفسه بأنه حيٌ عليمٌ قديرٌ لم يقل المسلمون الأولون الذين نزل فيهم القرآن أو الذين تعلموا القرآن من الصحابة و هم التابعون لم يقولوا إن ظاهر هذا غير مراد. لم يقل الرسول صلى - الله - عليه و سلم للصحابة بأن ظاهر هذا غير مراد و لم يقل الصحابة إن ظاهر هذا غير مراد و لم يقل التابعون إن هذا غير مراد. هؤلاء هم الناس الذين يتأسى بهم لأن مفهوم ذلك في حق تعالى مثل مفهومه في حقنا. لم يقولوا هذا الكلام. فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه (لما خلقت يدي) لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد عند المسلمين الأولين لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومهم في حقنا. لم يقولوا بهذا و لم يفهموا هذا الفهم. بل صفة الموصوف تناسبه أي صفة المخلوق تناسب المخلوق و صفة الخالق تناسب الخالق. و لا تلازم بين صفات الخالق و بين صفات المخلوق. و كما تقدم إذا خصصت صفات الله بالله بالإضافة تناسبه. و إذا خصصت صفات المخلوق بالمخلوق بالإضافة تناسبه. و لا تشابه بعد ذلك بين صفات الخالق و صفات المخلوق , و الله أعلم .

الدّرس رقم : 19

القارئ: "صوت القارئ محذوف من الشريط رقم 19" و حسب سياق كلام الشيخ محمد أمان الجامي أنّه كان يشرح من الرسالة التدمرية في هذا الدّرس ما يلي (فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، فصفاته كذاته ليست مثل صفات المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق إليه، كنسبة صفة الخالق إليه، وليس المنسوب كالمنسوب، ولا المنسوب إليه كالمنسوب إليه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر) ، فشبه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي)

الشيخ: الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد , قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- (فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، فصفاته كذاته) المراد من نفسه هنا "الذات" , لو كان التعبير بالذات لكان أدق. إذا كانت ذاته المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين فصفتها كذاته. يُشِيرُ بهذا شيخ الإسلام رحمه -الله- إلى القاعدة المعروفة عند السلف "الكلام في الصفات فرغ عن الكلام في الذات يَحْذُو حَذْوَهُ" أي يُقَالُ في الصّفات ما قيل في الذات بمعنى أن الناس جميعاً تؤمن بالذات المقدسة بأن الله موجودٌ وجوداً حقيقياً. و لا يُكَيِّفُونَ وجودَ الذات. فإيمانهم بالذات إيمانٌ تسليمٌ و إثباتٌ, فيَجِبُ الإيمانُ بالصفات مثْلُهُمْ. مثل هذا الإيمان أي إيمان إثباتٍ و تسليم. هذا معنى كلامه "فصفتها كذاته" ثم قال ليست مثل صفات المخلوقين لأن ذاته ليست كذوات المخلوقين. إذا صفاتها ليست مثل صفات المخلوقين. و نسبة صفة المخلوق إليه أي إلى المخلوق كنسبة صفة الخالق إليه أي إلى الخالق. أي صفة المخلوق تُناسِبُ المخلوق و تليقُ به. فصِفَةُ الخالقِ تليقُ بالخالق. كما أن ذاته ليست كذواتهم. صفاتها ليست كصفاتهم. نسبة صفة المخلوق إليه أي إلى المخلوق كنسبة صفة الخالق إليه -سبحانه و تعالى- . تلك صفات تُناسِبُ المخلوق و هذه صفات تليق بالله تعالى. و ليس المنسوب كالمنسوب و لا

المنسوب إليه كالمُنسوب إليه ، أي ليس صفات الله تعالى كصفات المخلوق و ليست ذاته كذوات المخلوق. مرة أخرى و ليس المنسوب أي ليس صفات الله تعالى كالمُنسوب كصفات المخلوق. و لا المنسوب إليه "الذات سبحانه وتعالى" كالمُنسوب إليه كذوات المخلوقين. شرح و تفصيل للكلام الذي أجمل سابقاً. كما قال النبي صلى -الله- عليه و آله و سلم في إثباته حقيقة الرؤية: رؤية المؤمنين ربهم في الجنة و رؤيتهم ربهم في عرصات القيامة. قال النبي صلى -الله- عليه و سلم (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون الشمس و القمر) الحديث مروي بالمعنى. (ترون ربكم كما ترون الشمس و القمر) لا...¹ و (لا تضامون) أي رؤيته الله. رؤيته المؤمنين ربهم يوم القيامة و في الجنة رؤية حقيقية كرؤيتهم للشمس و القمر لا يشك أحد في أن رؤية الإنسان للشمس رؤية حقيقية. و رؤيتهم للقمر كذلك. ليس هناك ازدحام و لا تضار عند رؤية الشمس و القمر بل كل يرفع رأسه من موقعه و يرى الشمس فوقه و القمر فوقه. هكذا رؤية المؤمنين في الجنة و رؤية الناس جميعاً على الخلاف في ذلك في عرصات القيامة ، رؤية حقيقية و ليست رؤية مجازية. يرون ربهم من فوقهم رؤية لا تضار فيها و لا ازدحام. فشبه الرؤية بالرؤية في كون تلك الرؤية حقيقة كهذه الرؤية و أنها تكون من فوقهم كما أن هذه من فوقهم. ليس في تشبيه الرؤية بالرؤية أي محذور لأن الرؤية صفة المخلوق. المخلوق هو الذي يرى الخالق. وقع التشبيه من باب الإيضاح بين الرؤيتين. الرؤية المحققة التي يؤمن بها كل إنسان رؤية الشمس و القمر كرؤية الله -سبحانه و تعالى- يوم القيامة ، أما في الجنة فرؤية خاصة بالمؤمنين لأنها أعظم نعيم الجنة و الجنة لا يدخلها إلا المؤمن. إذا تلك الرؤية خاصة. أما الرؤية يوم القيامة فاختلف أهل العلم هل هي خاصة كما هي في الجنة أو عامة يراها الكافرون و المنافقون مع المؤمنين ثم يحتجب الرب -سبحانه و تعالى- عن الكفار و المنافقين عقوبة لهم فتبقى رؤية المؤمنين هذا رأي. من أهل العلم من جعل الرؤية خاصة أي الرؤية في عرصات القيامة كالرؤية في الجنة و يرى إن النصوص العامة

¹ (إنقطاع للصوت بالشريط)

لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا. فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرٌ أَنْ يَحْتَجِبَ عَنِ الْكَفَّارِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ كَمَا فَرَّقَ بَيْنَ الْكَفَّارِ وَ الْمُؤْمِنِينَ فِي السَّجُودِ وَ عِنْدَمَا يَرَى الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يَسْجُدُونَ فَيَذْهَبُ الْمَنَافِقُ وَ الْمَرَائِي لِيَسْجُدَ فَيُصْبِحُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا لَا يَقْوَى عَلَى السَّجُودِ. أَيْ كَمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي السَّجُودِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ فِي الرَّؤْيَةِ لِذَلِكَ يُرَجَّحُ بَعْضُ الْحَفَاطِ ابْنِ حَجَرٍ أَنَّ الرَّؤْيَةَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ خَاصَّةٌ مِثْلُ الرَّؤْيَةِ فِي الْجَنَّةِ وَ الْخُلْفُ لَفْظِيٌّ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ. نَعَمْ .

القارئ: قال رحمه -الله تعالى- (وهذا يتبين بالقاعدة الرابعة - وهي أن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات، أو في كثير منها، أو أكثرها، أو كلها، أنها تماثل صفات المخلوقين ، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير : أحدها - كونه مثلاً ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.)

الشيخ: لحظة.. بَسْ , كُلُّ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ. إِنْتَبَهُوا , الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ. وَ الْكَلَامُ الَّذِي تَقَدَّمَ يَتَّبِعُ بِالْقَاعِدَةِ الرَّابِعَةِ وَ هِيَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَوَهَّمُ. كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ. لِأَنَّهُ صَارَتْ لَهُمُ الْكَثْرَةُ بَعْدَ دُخُولِ الْكَلَامِ أَيْ مَبْحَثِ الْكَلَامِ وَ الْفَلَسَفَةِ وَ الْمُنْطِقِ فِي مَبْحَثِ صِفَاتِ اللَّهِ -تعالى- صَارُوا هُمُ الْأَكْثَرُ , وَ قَبْلَ ذَلِكَ لَا وُجُودَ لَهُمْ. هَؤُلَاءِ النَّفَاةُ وَ الْمُفَرِّقُونَ لَا وُجُودَ لَهُمْ قَبْلَ نَشْأَةِ عِلْمِ الْكَلَامِ. فَعِلْمُ الْكَلَامِ لَمْ يَنْشَأْ إِلَّا فِي عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ. فَقَبْلَ ذَلِكَ لَا وُجُودَ لَهُمْ. وَ لَكِنْ لَمَّا وَجَدَ هَذَا الْعِلْمُ وَ وَجَدَ مِنْ يُؤَاوِزُهُ وَ يَدَافِعُ عَنْهُ مِنْ خَلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ صَارَتْ لَهُمُ الْأَغْلَبِيَّةُ فَانْقَسَمُوا إِلَى قِسْمَيْنِ : نُفَاةٌ يَنْفُونَ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ. نَجْعَلُ هُنَا الْجَهْمِيَّةَ وَ الْمُعْتَزَلَةَ إِسْمًا وَاحِدًا نُسَمِّيهِمْ نُفَاةً لِيَتَّضِحَ الْكَلَامُ , وَ مِنْهُمْ مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ. هَذَانِ هُمَا الصَّنَفَانِ فِي هَذَا الْبَابِ , لِذَلِكَ هُنَا الْكَلَامُ يَحْتَاجُ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْإِيضَاحِ وَ هِيَ أَنَّ كُلًّا. أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَوَهَّمُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ أَوْ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا أَوْ أَكْثَرَهَا. مِنْ أَيْنَ لَنَا هَذِهِ الْأَقْسَامُ الْكَثِيرَةُ؟ أَوْ كُلُّهَا؟ صَارَتْ الْأَقْسَامُ كَمْ؟ يَتَوَهَّمُ فِي بَعْضِهَا إِذَا جَعَلْنَا هَذَا قِسْمًا. أَوْ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا هَذَا الْقِسْمُ الثَّانِي. أَوْ أَكْثَرَهَا الْقِسْمُ الثَّالِثُ. أَوْ كُلُّهَا.

هذه الأقسام الكثيرة لا وجود لها. إذا ينبغي أن يكون "أو" "بل" بما نعلم بأن هذه الكتب اشتعلت فيها أيدي كثيرة. ليس هذا أسلوب شيخ الإسلام , و هذا حصل من النسخ لأن الكتب نسخت عدة مرات و طبعت و تُروى بالمعنى في الغالب الكثير و إلا التعبير الصحيح الذي يمشي مع الواقع. مواقع علماء الكلام هكذا. يتوهم في بعض الصفات بل في كثير منها بدل "أو" "بل". بل في كثير منها. "بل" للإضراب الإنتقالي , بل في أكثرها. هذا كله قسم واحد. يأتي القسم الثاني "أو في كلها". القسم الأول الذي عبرنا عنه ببعض الصفات بل في كثير منها. بل في أكثرها هم المفرقون بين الصفات. قسم واحد و هم الأشاعرة و من نحى نحوهم. "أو كلها" المعتزلة و الجهمية. صارت القسم ثنائية إذا ضمنا إليهما أهل السنة المبيته: القسم ثلاثية , المبتوت لجميع الأسماء و الصفات هم الصفاتية "أهل السنة و الجماعة" , التافون لجميع الأسماء و الصفات أو جميع الصفات هم المعتزلة و الجهمية , المفرقون بين الصفات هم الأشاعرة. لا تخرج القسم عن هذه القسم الثلاثية أبداً. إذا تركنا في المبحث هنا أهل السنة خارجاً عن هذا المبحث لأن المبحث مع النفاة تكون القسم ثنائية: من ينفي أكثر الصفات و من ينفي كل الصفات. هكذا تكون القسم ثنائية. إذا بدل "أو" في المقامين ينبغي أن يكون التعبير بـ "بل" للإنتقال الإضرابي. و الله أعلم . واضح؟ , نمشي الآن .

القاعدة الرابعة و هي أن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات بل في كثير منها بل في أكثرها. أو في كلها. قسم آخر. أتما ثمائل صفات المخلوقين. لا تفقوا جميعاً في أتما ثمائل صفات المخلوقين ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة محاذير. في أربعة أنواع من المحاذير. اقرأ الآن التفصيل. "أحدها".

القارئ: (أحدها كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل. الثاني - أنه إذا جعل ذلك هو مفهوميها)

الشيخ: و "مفهومها" يجوز. هو مفهومها جائز. إن جعلته هو ضمير فصل "مفهومها".
وإن جعلته مبتدأ "مفهومها".

القارئ: (أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطّله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله - حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل - قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله، والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله سبحانه، الثالث - أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم، فيكون معطلا لما يستحقه الرب - تعالى -، الرابع - أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات، أو صفات المعدومات، فيكون قد عطّل صفات الكمال التي يستحقها الرب تعالى، ¹ ومثّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين فظن أن مدلول النصوص هو التمثيل، الثاني أنه الثاني - أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطّله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله - حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل - قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله، والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله سبحانه، الثالث - أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم، فيكون معطلا لما يستحقه الرب تعالى، الرابع - أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات، أو صفات المعدومات. فيكون قد عطّل صفات الكمال التي يستحقها الرب تعالى، ومثّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطّل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل، و يكون ملحقاً في أسمائه وآياته.)

¹ (كأنه إنقطاع بالصوت)

الشيخ: قال الشيخ رحمه -الله تعالى- مُفَصَّلًا للمحاذير الأربعة أحدها كونه أي النافي بصيغة عامة سواء كان النافي مُفَرَّقًا أو نافيًا لأكثر الصفات , كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وَ ظَنَّ أَنَّ مَدْلُولَ النَّصُوصِ هُوَ التَّمْثِيلُ. عِنْدَمَا يَسْمَعُ الشَّاعِرِيُّ (الرحمن على العرش استوى) يَنْزِلُ رَبَّنَا (وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًا صَفًا) جَعَلَ مفهوم هذه النصوص. مَا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ. إِسْتَوَاءً يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ. نُزُولًا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ. مَجِيئًا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ فَقَطْ وَ زَعَمَ أَنَّ النَّصُوصَ تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الْبَاطِلَ وَ ظَنَّ أَنَّ مَدْلُولَ النَّصُوصِ هُوَ هَذَا التَّمْثِيلُ. بَيْنَمَا لَمْ يَفْهَمْ هَذَا الْفَهْمَ مِنْ قَوْلِهِ -تعالى- مثلاً (وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) لَمْ يَفْهَمْ مِنَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ مَا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ بَلْ فَهَمَ مَا يَلِيْقُ بِالْخَالِقِ لِذَلِكَ سَمَّيْنَاهُمْ مُفَرَّقَةً. فَرَّقَ بَيْنَ الصِّفَاتِ وَ بَيْنَ نصوصِ الصِّفَاتِ. نصوصُ يَفْهَمُ مِنْهَا مَا يَلِيْقُ بِالْخَالِقِ وَ لَا يَقَعُ فِي هَذَا الْمَحْذُورِ. وَ نصوصُ يَفْهَمُ مِنْهَا فِي زَعْمِهِ مَا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ فَيَقَعُ فِي هَذَا الْمَحْذُورِ. هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُفَرَّقِ. أَمَّا مَنْ يَنْفِي جَمِيعَ الصِّفَاتِ يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ -تعالى- (الرحمن على العرش استوى) وَ مِنْ قَوْلِهِ -تعالى- (وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) مَفْهُومًا وَاحِدًا وَ هُوَ مَا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ. هَؤُلَاءِ الْمُعْتَرِضَةُ وَ الْجَهْمِيَّةُ مَعًا. إِذَا الْمَحْذُورُ الْأَوَّلُ: وَقُوعُ الْجَمِيعِ وَظَنُّوا هُمْ أَنَّ مَدْلُولَ النَّصُوصِ هُوَ التَّمْثِيلُ. ثُمَّ بَعْدَ التَّمْثِيلِ إِحْتَلَفُوا مِنْهُمْ مَنْ فَهَمَ التَّمْثِيلَ كَمَا قُلْنَا مِنْ جَمِيعِ النَّصُوصِ وَ نَفَى جَمِيعَ الصِّفَاتِ. مِنْهُمْ مَنْ فَهَمَ التَّمْثِيلَ مِنْ بَعْضِ النَّصُوصِ وَ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِبُ تَأْوِيلُهَا. تَأْوِيلُ هَذِهِ النَّصُوصِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّمْثِيلِ. هَذَا الْمَحْذُورُ الْأَوَّلُ.

الثاني أنه أي النافي إذا جعل ذلك هو مفهومها. يكون مفهومها معمول لجعل. إذا جعل ذلك هو مفهومها. وَ الضَّمِيرُ ضَمِيرُ فَصْلٍ أَوْ "إِذَا جَعَلَ ذَلِكَ هُوَ مَفْهُومُهَا" هُوَ مُبْتَدَأٌ وَ مَفْهُومٌ خَبَرٌ وَ الْجُمْلَةُ مَا. معمول. جعل. جائز , إذا جعل ذلك هو مفهومها وَ عَطَّلَهُ بَقِيَتْ النَّصُوصُ مُعْطَلَةٌ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ إِبْثَاتِ الصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى. إِذَا جَعَلَ الْإِسْتِوَاءَ. الْإِسْتِوَاءَ الَّذِي يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ وَ نَفَى ذَلِكَ بَقِيَّ الْفِعْلِ اسْتَوَى مُعْطَلًا عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- وَ هُوَ الْعُلُو. إِذَا عَطَّلَ النَّصُوصَ. فَيَنْقُيَ هَذَا النَّافِي مَعَ جَنَائِيهِ عَلَى

النصوص بإساءة الظن بها و ظنه السيئ الذي ظنه بالله و رسوله حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما. من كلام الله و كلام رسوله عليه الصلاة و السلام هو التمثيل الباطل. قد عطل. هذا جوابه إذا جعل ذلك هو مفهومها قد عطل. هكذا الجواب. ما بينهما جملة معترضة. جمل معترضة هنا. أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها قد عطل ما أودع الله - سبحانه و تعالى - و رسوله في كلامهما. في كلام الله و كلام رسوله من إثبات الصفات لله تعالى و المعاني الإلهية اللائقة بجلال الله - سبحانه - عطل ذلك , إذا جعل ذلك المفهوم قد عطل ما أودعه الله في هذه النصوص. أي وقع في تعطيل الصفات عن المعاني اللائقة بالله تعالى يجعله ذلك المعنى المفهوم. ذلك المعنى الباطل - مفهوم النصوص. أرجوا أن يكون مفهوماً: أنه إذا جعل ذلك الذي تقدم و هو التمثيل هو مفهومها و عطّله "عطل النص" بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله - تعالى - فيبقى هذا الجاني مع جنايته على النصوص و ظنه السيئ الذي ظنه بالله و رسوله حيث ظن - تفسير لظنه السيئ. حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل قد عطل. هذا الجواب , قد عطل ما أودع الله و رسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله و المعاني اللائقة. و المعاني الإلهية اللائقة بجلال الله - سبحانه و تعالى - هذا تصوير المحذور الثاني.

الثالث أنه أي الجاني ينفي تلك الصفات عن الله تعالى بغير علم. هذا محذور ثالث. فيكون معطلاً لما يستحقه الرب - سبحانه و تعالى -. في المحذور الثاني عطل النصوص و جعل المحذور الثالث أنه عطل الله عما يستحقه من صفات الكمالات. من كمالات الرب سبحانه و تعالى و صفاته كلها كمال. في المحذور الثاني التعطيل تعطيل النصوص. في المحذور الثالث تعطيل الذات العلية من الصفات التي يستحقها الرب - سبحانه و تعالى - .

الرابع أنه يصف الرب - عز و جل - بنقيض تلك الصفات من صفات الموات و الجمادات أو صفات المعدومات. إذ لا بد من أحدهما. إما أن يثبت لله تعالى ما يليق بالله أو يقع في أن يصف الله تعالى بنقيض تلك الصفات. إذا نفى السمع و البصر شبهه بمن لا سمع له و لا بصر: الجمادات. من صفات الموات و الجمادات. أو صفات المعدومات كأن

يَجْمَعُ بَيْنَ النَّقِیْضِیْنَ. هذا الكلام تَقَدَّمَ مُفَصَّلًا. يَجْمَعُ لَهُ بَيْنَ النَّقِیْضِیْنَ: لَا سَمِیعَ وَ لَا بَصِیرَ , لَا یُوصَفُ لَا بِالسَّمْعِ وَ بِالْبَصَرِ وَ لَا بِضِدِّهِمَا , لَا بِالْعُلُوِّ وَ لَا بِالسُّفُلِ , لَا بِالْجِیِّیِّ وَ لَا بِعَدَمِ الْجِیِّیِّ , الْجَمْعُ بَيْنَ النَّقِیْضِیْنَ كَنَفِیِّ النَّقِیْضِیْنَ. مُسْتَحِیْلٌ. یَقَعُ فِي هَذَا , هَذَا أَعْظَمُ مَحْذُورٍ مِنَ الْمَحْذُورَاتِ الْأَرْبَعَةِ , فَيَكُونُ قَدْ عَطَّلَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي یَسْتَحِقُّهَا الرَّبُّ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - وَ مَثَلُهُ بِالْمَنْقُوصَاتِ. جَمِیعُ الْمَخْلُوقَاتِ نَاقِصَةٌ سِوَاءُ كَانَتْ جَمَادَاتٍ أَوْ حَیْوَانَاتٍ. وَ إِنْ كَانَتْ تَتَفَاوَتْ فِي النَّقْصِ. الْحَیْوَانَاتِ النَّاطِقَةِ. الْحَیْوَانَاتِ الْمَوْصُوفَةِ بِالصِّفَاتِ الْوُجُودِيَّةِ أَكْمَلُ مِنَ الْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا تُوصَفُ بِالصِّفَاتِ الْوُجُودِيَّةِ. وَ مَثَلُهُ بِالْمَنْقُوصَاتِ وَ الْمَعْدُومَاتِ وَ عَطَّلَ النَّصُوصَ كُلَّهَا "نُصُوصَ الصِّفَاتِ" عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ أَيْ مِنَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ صِفَاتُ كَمَالٍ. شَرَحَ وَ تَفْسِيرٌ لِلْمَحْذُورِ الرَّابِعِ. وَ جَعَلَ مَدْلُوهَا هُوَ التَّمَثِيلُ بِالْمَخْلُوقَاتِ. لِذَلِكَ كُلٌّ مَنْ نَقَى يَدْعِي التَّنْزِيهَ. لِأَنَّهُ خَطَرٌ بِإِلَهِ عِنْدَمَا قَرَأَ النَّصُوصَ "التَّمَثِيلِ" وَ يُرِيدُ أَنْ يَنْفِي هَذَا التَّمَثِيلَ فَيَقَعُ فِي التَّعْطِيلِ. إِذَا وَقَعَ مَحْذُورَيْنِ إِثْنَيْنِ: أَوَّلًا التَّمَثِيلِ. ثَانِيًا التَّعْطِيلِ. لِذَلِكَ يُقَالُ كُلُّ مُعْطَلٍّ مُشَبَّهٌ. لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطَلْ حَتَّى شَبَّهَ. كَذَلِكَ مِنْ بَقِيَّ عَلَى التَّشْبِيهِ. كُلُّ مُشَبَّهٍ مُعْطَلٍّ. الْمُشَبَّهَةُ الَّتِي تُشَبَّهُ اللَّهُ فِي ذَاتِهِ وَ فِي صِفَاتِهِ بِالْمَخْلُوقَاتِ وَ تُصَرِّحُ بِذَلِكَ. لَا وُجُودَ لَهَا الْيَوْمَ بِصِفَتِهَا فِرْقَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا. وَ إِنْ كَانَ قَدْ يَقَعُ فِي التَّشْبِيهِ بَعْضُ النَّاسِ وَ تَوَجَّدَ عَقَائِدُهُمْ فِي كُتُبِ الْفِرَقِ وَ لَكِنْ فِرْقَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا مُشَبَّهَةٌ كَوُجُودِ الْمُعْطَلَّةِ لَا وُجُودَ لَهَا الْيَوْمَ. وَ عَلَى كُلِّ مَنْ شَبَّهَ قَدْ عَطَّلَ عَمَّا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى فَجَمَعَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَ بَيْنَ التَّعْطِيلِ. وَ مَنْ عَطَّلَ جَمَعَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَ بَيْنَ التَّعْطِيلِ. الْمُعْطَلُّ يُشَبَّهُ أَوَّلًا ثُمَّ فِرَارًا مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ يُعْطَلُّ. فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْجِنَايَتَيْنِ. فَيَجْمَعُ فِي اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى. يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - وَ عَطَّلَ النَّصُوصَ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَ جَعَلَ مَدْلُوهَا هُوَ التَّمَثِيلُ بِالْمَخْلُوقَاتِ, فَيَجْمَعُ بِذَلِكَ فِي اللَّهِ - تَعَالَى - وَ فِي كَلَامِ اللَّهِ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَ التَّمَثِيلِ. كَمَا شَرَحْنَا الْآنَ. فَيَكُونُ مُلْحِدًا فِي أَسْمَائِهِ وَ آيَاتِهِ. الْإِلْحَادُ هُوَ الْمِيلُ عَنِ الْحَقِّ. الْمِيلُ عَنِ الصَّوَابِ. قَدْ يَصِلُ الْإِلْحَادُ إِلَى الْكُفْرِ وَ قَدْ لَا يَصِلُ. الْإِلْحَادُ الْجَهْمِيَّةُ كَفَرٌ بِوَاحِدٍ , وَ الْإِلْحَادُ مِنَ دُونِهِمْ بِالنَّسْبَةِ لِبَعْضِهِمْ يُتَوَقَّفُ فِيهِمْ تَوَرُّعًا كَالْمُعْتَزِلَةِ , وَ الْإِلْحَادُ الْإِشَاعِرَةُ لَا

يَصِلُ إِلَى الْكُفْرِ وَ إِنْ كَانَ فِي النَّفْسِ شَيْءٌ بِالنِّسْبَةِ لِنَفْسِهِمْ لِعُلُوِّ اللَّهِ -تعالى- وَ استوائه على عرشه وَ بالنسبة لِنَفْسِهِمْ الْكَلَامَ اللَّفْظِي. لَأَنَّهُمْ يُشَارِكُونَ الْمُعْتَزِلَةَ فِي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ. نَعَمْ .

القارئ: قال رحمه -الله تعالى- (مثال ذلك أن النصوص كلها دلّت على وصف الإله بالعلو والفوقية على المخلوقات، واستوائه على العرش؛ فأما علوه ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل الموافق للسمع، وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع، وليس في الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباينه ولا مداخله.)

الشيخ: بَسْ ، مثال ذلك. كيف يجمع بين التعطيل و التمثيل؟ أنّ النصوص كلها نصوص الصفات سواء كانت نصوص الكتاب أو نصوص السنة دلّت على وصف الإله بالعلو و الفوقية على المخلوقات. و باستوائه تعالى على العرش. صِفَتَانِ اتِّتَّانِ. الْعُلُوّ وَ الفوقية صفة واحدة. و الاستواء صفة أخرى. الْعُلُوّ وَ الفوقية صفة ذاتية. عُلُوّ الله تعالى على جميع المخلوقات صفة ذاتية ثابتة لازمة للذات بمعنى لَمْ يَزَلِ اللهُ -سبحانه و تعالى- وَ لَنْ يَزَالَ لِأَنَّ الْعُلُوّ صِفَةُ كَمَالٍ. وَ الْكَمَالُ لَا يُفَارِقُهُ. لَا يُوصَفُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحْظَاتِ بِالسُّفُولِ. مُسْتَحِيلٌ . لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ. بَلْ هُوَ مَوْصُوفٌ بِالْعُلُوِّ دَائِمًا وَ أَبَدًا. ثُبُوتُ الْعُلُوِّ كَثْبُوتِ الْحَيَاةِ وَ الْقُدْرَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ أَيْ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ. وَ أَمَّا اسْتِوَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ فَصِفَةُ فِعْلِيَّةٍ. لِأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ تَجَدَّدَ. اللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِهِ. وَ خَصَّ الْعَرْشَ بِهَذَا الْعُلُوِّ الْخَاصِ الَّذِي هُوَ الْإِسْتِوَاءُ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا لَا لِحَاجَتِهِ إِلَى الْعَرْشِ. بَلِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ بِقُدْرَتِهِ وَ سُلْطَانِهِ. لَيْسَ الْعَرْشُ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَ لَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ. بَلِ اللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ. عَالٍ عَلَى الْعَرْشِ. إِسْتِوَاءً يَلِيقُ بِهِ. يُثَبِّتُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ كَيْفِيَّةَ الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى الْعُلُوِّ وَ عَلَى الْإِسْتِوَاءِ. أَيْ بِمَا تُثَبِّتُ الْعُلُوّ وَ بِمَا تُثَبِّتُ الْإِسْتِوَاءَ. انْتَبَهْ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ دَقِيقَةٌ مُهِمَّةٌ جَدًّا.

يقول شيخ الإسلام فأما علوه و مباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل الموافق للسمع. أي علو الله تعالى على خلقه و مباينته لجميع مخلوقاته بأنه مباين لخلقه فوق جميع مخلوقاته. هذه صفة سمعية عقلية فطرية و إجماعية. علو الله على جميع المخلوقات ثبت بالسمع أي بالأدلة المسموعة أي بالكتاب و السنة. يقال لها صفة سمعية و صفة عقلية و صفة خبرية. المعنى واحد. السمع و الخبر و النقل هذه الألقاب لنصوص الصفات نصوص الكتاب و السنة. إذا علو الله تعالى ثابت بالعقل أولاً بمعنى. و بالفطرة السليمة. لو سئل أي مخلوق أي إنسان بشرط أنه بقي على فطرته. لم يدرس علم الكلام. لم يدرس الأشعرية و لا الاعتزال و لا أي نوع من أنواع علم الكلام. باق على فطرته في باديته. لو سألت بدويًا حيث ما كان عربيًا أو أعجميًا. لو قلت له أين الله؟ يقول الله في السماء. الله فوقنا. لذلك نجد كل داع. كل مسلم يدعو الله. يرفع يديه يقول يا ربي. لأنه يعتقد أن ربه فوقه فوق جميع المخلوقات. يدعو من فوقه و يخافه من فوقه و يراقبه من فوقه. هذا معنى إن هذه الصفة صفة فطرية عقلية. جاءت النقول أي الأدلة السمعية و الخبرية مؤكدة و موافقة لما دل عليه الدليل العقلي. اجتمعت الدلالة العقلية الدلالة العقلية في صفة العلو. إذا أعود مرة أخرى لأؤكد فأقول صفة العلو غير صفة الاستواء. صفة العلو ثابتة بالفطرة و العقل و السمع و ثابتة.

الطالب: بالإجماع .

الشيخ: عفوًا. ثابتة بالعقل و الفطرة بمعنى واحد. ثابتة بالعقل. ثابتة بالسمع. ثابتة بالإجماع. أي لم يختلف أولئك الذين يعتد بإجماعهم لم يختلفوا. من هم؟ السلف. لأن الإجماع كما قلنا غير مرة. الإجماع الذي يُعتبر أصلًا من أصول الدين. الأصل الثالث في الدين هو إجماع السلف عندما كان عددهم محصور و يمكن ضبط إجماعهم و الخلاف قليل و كانوا مجتمعين في مكان واحد "الحجاز". أجمعوا جميعا على هذا المعنى. لم يختلفوا. و صرح الإمام البيهقي أن أئمة الخلفاء الأمويين و خلفاء بني العباس إلى الخليفة السابع الذي هو المأمون.

كلّهم على منهج السلف الصالح. جميع خلفاء بني أمية و خلفاء بني العباس إلى الخليفة السابع. الخليفة السابع و الثامن و التاسع. المأمون و المعتصم بالله و الواثق بالله. هؤلاء الثلاثة هم الذين أصيبوا بنكسة علم الكلام و تبوّ عقيدة المعتزلة و عذبوا العلماء و الأئمة و القضاة في وقتهم. بدأت فتنة علم الكلام من هذا الوقت و قبل ذلك كلّهم مجتمعون في أصول الدين في هذه الصفة و غيرها. هكذا يتضح إنّ السلف مجتمعون على اعتقاد علو الله تعالى إستدلالاً بالكتاب و السنة و بالدليل العقلي السليم وبالفطرة السليمة .

أما الإستواء يقول الشيخ وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع. السمع فقط. استواء الله تعالى على عرشه. فنزوله في آخر كل ليلة و مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء من الصفات الفعلية السمعية. صفات فعلية سمعية محظّة. أي لو لم يردّ الدليل السمعي لا يجزئ أحد بأن يصف الله بأنه مستوٍ على عرشه و أنّه ينزل في آخر كل ليلة و أنّه يأتي لفصل القضاء. لا مجال للعقل , إذا هذه صفة سمعية, ليست وحدها صفة الإستواء. صفات كثيرة , الاستواء و النزول و المجيء هذه صفات فعلية سمعية. أما الصفات الذاتية السمعية فكثيرة. إثبات الوجه لله -تعالى- و إثبات اليدين و إثبات الساق و إثبات الأصابع صفات ذاتية سمعية أيضاً. و هل أحد يفكر هذا التفكير لو يردّ النص بأن الله موصوف بالوجه و اليدين و الأصابع و القدم و الساق؟ لا , لكن لما وردّ النص من الكتاب و السنة وجب على المؤمنين الإيمان بخبر الله و خبر رسوله عليه الصلاة و السلام و إثبات ذلك على ما يليق بالله تعالى لا على ما يليق بال مخلوق. إذا أثبتنا هذه الصفات يثبتها صفات لا ثقة بالله على ما تقدّم. لأن صفات الله تليق بالله و صفات المخلوق تناسب المخلوق. صفات الخالق تناسب الخالق. صفات المخلوق تناسب المخلوق. الإتفاق في الاسم. إستواء مع الإستواء. النزول مع النزول. الوجه مع الوجه. و اليد مع اليد. هذا الاشتراك في الاسم و في المعنى العام لا يثبت هكذا إلا معنى عامًا مطلقًا قبل أن تُضاف صفات الله إلى الله و قبل أن تُضاف صفات المخلوق إلى المخلوق. لكن إذا قلت وجهه الله يد الله إستواء الله مجيء الله لا اشتراك هنا أبدًا. لا أحد يشارك الله في الصفات الخاصة بالله. هذا الإختصاص وقع بالإضافة. كذلك إذا

قُلْتُ إِسْتَوَاءُ زَيْدٍ وَ جَمِيئُ عَمْرٍِ وَ وَجْهُ خَالِدٍ. اللَّهُ مُنَزَّهٌ بِأَنْ يُشَارَكَ هَذَا الْمَخْلُوقُ فِي خَصَائِصِ صِفَاتِهِ لِأَنَّ صِفَاتِهِ صِفَاتٌ مَخْلُوقَةٌ مُحَدَّثَةٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ وَ صِفَاتٌ تَزُولُ , هَكَذَا كَمَا مَثَّلْنَا بِالْعِلْمِ فِي بَعْضِ الدَّرُوسِ السَّابِقَةِ يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ هَكَذَا مُجَرَّدُ الْإِشْتِرَاكِ فِي الْإِسْمِ لَا يَسْتَلْزِمُ الْإِشْتِرَاكَ فِي الْحَقَائِقِ. وَ هَذَا لِأَنَّ عَدَمَ الْإِشْتِرَاكِ فِي الْحَقَائِقِ يَتَصَوَّرُ وَ يَتَحَقَّقُ بِالْإِضَافَةِ وَ لَذَلِكَ هَذِهِ الْإِضَافَةُ مِنْ أَهَمِّ الْإِضَافَاتِ. إِضَافَةُ صِفَاتِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَ إِضَافَةُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْمَخْلُوقِ.

يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَ أَمَّا الْإِسْتَوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ فَطَرِيقُ الْعِلْمِ بِهِ هُوَ السَّمْعُ. وَ لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَصْفُ اللَّهِ وَصَفٌ لَهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَ لَا خَارِجَ الْعَالَمِ وَ لَا مُبَايِنَهُ وَ لَا مُدَاخِلَهُ. هَذِهِ الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ الَّتِي يَصِفُ اللَّهُ بِهَا بَعْضُ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ بِدَعْوَى التَّنْزِيهِ. قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نُنَزِّهَ اللَّهَ. مَاذَا نَقُولُ فِي التَّنْزِيهِ أَوْ مَاذَا يَقُولُونَ؟ لَيْسَ اللَّهُ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَ لَا خَارِجَ الْعَالَمِ وَ لَا مُبَايِنٌ وَ لَا مُدَاخِلٌ ! مَا مَعْنَى هَذَا ؟ أَيْ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ. إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصِفَ الْمَعْدُومَ أَوْ تُطْلِبَ مِنْكَ أَنْ تَصِفَ الْمَعْدُومَ. تَقُولُ الْمَعْدُومَ هُوَ الَّذِي لَيْسَ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَ لَا خَارِجَ الْعَالَمِ وَ لَا مُدَاخِلٌ وَ لَا مُبَايِنٌ. هَذَا عَدَمٌ مُحَضَّرٌ. وَصَفُوا اللَّهَ بِهَذَا الْعَدَمِ بِدَعْوَى التَّنْزِيهِ. السَّبَبُ لِأَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ عَمَّا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ التَّنْزِيهِ وَ مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ زَعَمُوا أَنَّ الْعُمْدَةَ فِي هَذَا الْبَابِ. فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ. فَاخْتَلَفَتْ عُقُولُهُمْ كَمَا رَأَيْتُمْ. مِنْهُمْ مَنْ نَفَى بِعَقْلِهِ الْأَسْمَاءَ وَ الصِّفَاتِ جَمِيعًا. لَمْ يُثَبِّتْ اللَّهُ -تَعَالَى- إِلَّا الْوُجُودَ الْمَطْلُوقَ الذِّهْنِيَّ وَ هُمُ الْجَهْمِيَّةُ. مِنْهُمْ مَنْ نَفَى جَمِيعَ الصِّفَاتِ وَ لَمْ يُثَبِّتْ لِلَّهِ تَعَالَى صِفَةً وَاحِدَةً مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ. وَ مِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصِّفَاتِ وَ هُمُ الْأَشَاعِرَةُ , ضَلُّوا لِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ زَعَمُوا أَنَّ التَّنْزِيهِ أَنْ يُوصَفَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بِهَذِهِ السُّلُوبِ. وَ هَذِهِ السُّلُوبُ لَا مَدْحَ فِيهَا. السُّلْبُ وَ النَّفْيُ إِنَّمَا يَكُونُ مَدْحًا إِذَا تَضَمَّنَ نَقِيضَهُ مِنَ الْكَمَالَاتِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، وَ لَمْ يُولَدْ) هَذِهِ سُلُوبٌ وَ نَفْيٌ وَ لَكِنْ كُلُّ نَفْيٍ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ ضِدِّهِ. هَكَذَا مَنْ بَقِيَ مَعَ النَّصُوصِ وَ

سَلَّمَ اللهُ -تعالى- و لرسوله سَلِمَ , وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ حَاوَلَ أَنْ يَخُوضَ فِي
الْمُطَالَبِ الْإِلَهِيَّةِ بِعَقْلِهِ هَلَكُ . إِمَّا يَقَعُ فِي التَّشْبِيهِ وَ الْمِثْبَتهِ كَافِرًا . وَ إِمَّا يَقَعُ فِي النِّفْيِ وَ الْإِنْكَارِ
وَ الْجُحُودِ وَ ذَلِكَ كُفْرٌ آخَرٌ . إِذَا السَّلَامَةُ كُلُّ السَّلَامَةِ أَنَّ تُسَلَّمَ اللهُ -سبحانه و تعالى- و
لرسوله وَ تَبَقَّى عَلَى ظَهْرِ الْإِسْتِسْلَامِ وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

الدرس رقم : 20

القارئ: أما بعد , فيقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (فيظن المتوهم أنه إذا وصف بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهور الفلك والأنعام، كقوله: {وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ • لِّتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} فيتخيل أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعام، فلو انخرقت السفينة لسقط المستوي عليها، ولو عثرت الدابة لخرَّ المستوي عليها. فقياس هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب تبارك وتعالى، ثم يريد - بزعمه - أن ينفي هذا فيقول: ليس استواؤه بقعود ولا استقرار , ولا يعلم أن مسمى «القعود» و «الاستقرار» ، يقال فيه ما يقال في مسمى «الاستواء» !، فإن كانت الحاجة داخلة في ذلك فلا فرق بين الاستواء والقعود والاستقرار، وليس هو بهذا المعنى مستويا ولا مستقرا ولا قاعدا، وإن لم يدخل في مسمى ذلك، إلا ما يدخل في مسمى «الاستواء» فإثبات أحدهما ونفي الآخر تحكُّم.

وقد عُلم أن بين مسمى «الاستواء» و «الاستقرار» و «القعود» فروقا معروفة، ولكن المقصود هنا أن يُعلم خطأ من ينفي الشيء مع إثبات نظيره , وكان هذا الخطأ من خطئه في مفهوم استوائه على العرش، حيث ظن أنه مثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفلك , وليس في اللفظ ما يدل على ذلك، لأنه أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة، كما أضاف إليها سائر أفعاله وصفاته، فذكر أنه خلق ثم استوى، كما ذكر أنه قدر فهدى، وأنه بنى السماء بأيد، وكما ذكر أنه مع موسى وهارون يسمع ويرى، وأمثال ذلك. فلم يذكر استواءً مطلقاً يصلح للمخلوق، ولا عاما يتناول المخلوق، كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته، وإنما ذكر استواءً أضافه إلى نفسه الكريمة .)

الشيخ: بَسْن , الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد , لا يزال البحث تحقيق معنى الاستواء و العُلُو. و تقدّم الفرقُ بين العُلُو و بين الاستواء. و

أَنَّ الْعُلُوَّ عُلُوٌّ عَامٌّ. الله - سبحانه و تعالى - عَالٍ عَلَى جميع مخلوقاته. بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ و فَوْقَ جميع مخلوقاته. فَوْقِيَّةٌ تَلِيْقُ بِهِ و عُلُوًّا يَلِيْقُ بِهِ. وَ لَا نَعْرِفُ كُنْهَ ذَلِكَ. و أَمَّا الاستواءُ فَفِعْلٌ فَعَلَهُ. الاستواءُ عُلُوٌّ خَاصٌّ بِالْعَرْشِ. ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- قَدْ يَظُنُّ الْمُتَوَهِّمُ أَنَّه إِذَا وُصِفَ بِالِاسْتِوَاءِ. إِذَا وُصِفَ اللهُ -سبحانه و تعالى- بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ كَانَ اسْتِوَاءُ اللهِ كَاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظُهُورِ الْفُلْكِ و الْإِنْعَامِ. لِأَنَّهُ يَرَعُمُ أَنَّه لَا يَعْقِلُ مِنْ نُصُوصِ الصِّفَاتِ إِلَّا كَمَا يَعْقِلُ فِي الْمَخْلُوقِ. و هَذَا الْوَهْمُ خَطَأٌ. لِأَنَّهُ قَدْ فَهِمَ و آمَنَ بِاللَّهِ -سبحانه و تعالى-. آمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَ أَثْبَتَ ذَاتَهُ الْمَقْدَسَةَ إِيْمَانًا إِبْثَابًا وَ وُجُودًا دُونَ بَحْثٍ عَنِ التَّكْيِيفِ. و الْقَاعِدَةُ الْمَعْرُوفَةُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرَعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ يَحْذَرُ حَذْوَةً. أَيْ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُؤْمِنَ بِصِفَاتِ اللهِ -تعالى- كَمَا آمَنَ بِذَاتِهِ. فَإِذَا كَانَ آمَنَ بِاللَّهِ دُونَ بَحْثٍ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ و عَنِ الْحَقِيقَةِ. فَأَمَنَ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ مُؤْمِنًا بِأَنَّهُ لَا يُشْبِهُ خَلْقَهُ. يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُثَبِّتَ جَمِيعَ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى ذَاتِيَّةً أَوْ فَعْلِيَّةً , خَبَرِيَّةً أَوْ عَقْلِيَّةً كَمَا أَثْبَتَ الذَّاتِ. وَهَمٌ هَذَا الْوَاهِمُ أَنَّ اسْتِوَاءَهُ كَاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظُهُورِ الْفُلْكِ و الْإِنْعَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ فَالِكٍ و الْإِنْعَامَ مَا تَكْبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ). فَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى الْعَرْشِ كَحَاجَةِ الْمُسْتَوِيِّ عَلَى الْفُلْكِ و الْإِنْعَامِ. إِلَى الْفُلْكِ و الْإِنْعَامِ. بِحَيْثُ لَوْ خَرَقَتِ السَّفِينَةُ لَسَقَطَ الْمُسْتَوِيُّ عَلَيْهَا لِأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا و لَوْ عَثَرَتِ الدَّابَّةُ لَحَزَّ الْمُسْتَوِيُّ عَلَى الدَّابَّةِ. فَقِيَاسُ هَذَا. هَذَا الْقِيَاسُ الْبَاطِلُ أَنَّهُ لَوْ عُدِمَ الْعَرْشُ لَسَقَطَ الرَّبُّ تَبَارَكَ و تَعَالَى. وَ هُوَ قِيَاسٌ فَاسِدٌ و جَرَاءٌ فِيهَا -جنائية-. ثُمَّ يُرِيدُ بَزْعَمِهِ بَعْدَ أَنْ وَهَمَ هَذَا الْوَهْمُ أَنْ يَنْفِي هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ. وَ هَذَا الْوَهْمُ الَّذِي وَهَمَهُ. فَيَقُولُ لَيْسَ اسْتِوَاءُهُ بِقُعُودٍ و لَا اسْتِقْرَارٍ. يُحَاوِلُ أَنْ يُكَيِّفَ الْإِسْتِوَاءَ و أَنْ يَتَصَوَّرَهُ فِي تَصَوُّرِهِ الْخَاصِّ. يَقُولُ لَيْسَ اسْتِوَاءُهُ بِقُعُودٍ و لَا اسْتِقْرَارٍ كَاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّابَّةِ و الْفُلْكِ. وَ لَا يَعْلَمُ أَوْ لَا يَعْلَمُ هَذَا الْوَاهِمُ أَوْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ مُسَمَّى الْقُعُودِ. وَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ مُسَمَّى الْقُعُودِ و الْإِسْتِقْرَارِ يُقَالُ فِيهِ مَا يُقَالُ فِي مُسَمَّى الْإِسْتِوَاءِ , هَذِهِ الْعِبَارَةُ قَدْ ثُوِّهَتْ إِبْثَابَ الْقُعُودِ و لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. وَ إِنَّمَا جَاءَ هَذَا مَعْرَضٍ الْمُنَاقَشَةِ و الْحِوَارِ و إِلَّا الْفِعْلُ اسْتَوَى إِنَّمَا فَسَّرَهُ أَهْلُ اللَّغَةِ. فَسَّرُوهُ بِالِاسْتِقْرَارِ و

العلو و الصعود. أما الجلوس و القعود غير وارين لآ لغة لمعنى استوى. و غير وارين سمعاً. لذلك لا يفهم فاهم أو لا يظن ظان أن هذه العبارة تثبت معنى القعود للإستواء. إستوى معناه علًا و استقر و صعد. بهذه المعاني فسر أهل اللغة , أما القعود و الجلوس فلا. و إن ورد في أثر ضعيف ينسب إلى مجاهد و لكنه غير ثابت. فإن كانت الحاجة داخله في ذلك. أي في مسمى الاستقرار و القعود فلا فرق بين الاستواء و القعود و الاستقرار. و ليس هو بهذا. و ليس الاستواء بهذا المعنى. و ليس هو بهذا المعنى مستويًا و لا مستقرًا و لا قاعدًا. و لا قاعدًا ينبغي أن يخلق على هذه الجملة و يكون المعنى هكذا. و ليس هو بهذا المعنى مستويًا و لا مستقرًا و لا عاليًا. وإن لم يدخل معنى الحاجة في مستوى ذلك أي في مسمى ذلك. إلا ما كان يدخل في مسمى الاستواء. فثبت أحدهما و نفى الآخر "حكم". بمعنى إذا فسر الاستواء بالاستيلاء مثلاً و الملك و الهيمنة. إن كانت الحاجة داخله في هذه المعاني الجديدة التي اختارها. فليس هو مستويًا على العرش بهذا المعنى أي بالحاجة. و إن كانت الحاجة غير داخله في هذا. إن كانت الحاجة داخله في هذا و في المعنى الأصلي: التفريق بينهما تحكم , و ليس الله - سبحانه و تعالى - مستويًا على عرشه بمعنى الحاجة. الحاجة غير داخله في معنى استوى الذي هو العلو و الارتفاع و الاستقرار و الصعود. هذه المعاني الأربعة هي الثابتة لغة و واردة شرعاً. و غير هذه المعاني غير واردة و إدخال الحاجة في مسمى الإستواء الذي هو العلو و الارتفاع و الاستقرار و الصعود. إدخال الحاجة في هذا باطل و إن أدخل معنى الحاجة في هذا ممكن إدخال معنى الحاجة في المعنى الجديد الذي اختاره الواهم. فإذا دخلت الحاجة في المعنيين. التفريق بينهما تحكم , إذا الأصل عدم توهم هذا المعنى الباطل و عدم توهم إدخال الحاجة في معنى استوى. فالله - سبحانه و تعالى - هو العني الحميد. ليس بحاجة إلى العرش. فالله هو الذي يحمل العرش و حمله العرش و جميع مخلوقاته بقدرته و سلطانه. و لكن الاستواء كالنزل و كالجبي. فعل يفعل الله الرب سبحانه و تعالى إذا شاء و كيف شاء. ليس لنا أن نتحكم و ندخل الحاجة في معنى الإستواء ثم نؤول بالاستيلاء أو الملك أو القهر أو الهيمنة. كل ذلك قول على الله بغير علم و تفسير للقرآن بالرأي. و لم

يَرِدُ فِي اللَّغَةِ. لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْمَعَانِي فِي اللَّغَةِ لِلْفِعْلِ اسْتَوَى الَّذِي يَتَعَدَّى بِـ "عَلَى". وَ لَمْ يُفَسِّرْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ وَ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ اسْتَوَى بِهَذِهِ الْمَعَانِي الْجَدِيدَةِ الَّتِي اخْتَارَتْهَا الْأَشَاعِرَةُ وَ مِنْ فِي مَعْنَاهُمْ. وَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ بَيْنَ مُسَمًّى الْإِسْتِوَاءِ وَ الْإِسْتِقْرَارِ وَ الْقُعُودِ فُرُوقًا مَعْرُوفَةً. أَمَّا الْإِسْتِوَاءُ وَ الْإِسْتِقْرَارُ وَ الصَّعُودُ وَ الْعُلُوبُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَ أَمَّا الْقُعُودُ فَغَيْرُ وَارِدٍ. الْفَرْقُ بَيْنَ الْقُعُودِ وَ بَيْنَ الْمَعَانِي الثَّابِتَةِ. إِنَّ الْقُعُودَ يُؤَدِّي إِلَى التَّكْيِيفِ , التَّفْسِيرِ بِالْقُعُودِ وَ الْجُلُوسِ يُؤَدِّي إِلَى التَّكْيِيفِ لِدَلَالَتِهِ لَا يَنْبَغِي إِثْبَاتُ هَذَا اللَّفْظِ فِي مَعْنَى اسْتَوَى. أَمَّا الْمَعَانِي الْأَرْبَعَةُ هِيَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لَيْسَ هُنَاكَ بَيْنَهَا فُرُوقٌ , وَ لَكِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا أَنْ يُعْلَمَ خَطَأً مَنْ يَنْفِي الشَّيْءَ مَعَ اثْبَاتِ نَظَائِرِهِ , لَيْسَ بَيْنَ الْقُعُودِ وَ بَيْنَ الْمَعَانِي الْأُخْرَى أَيِّ مَعْنَى وَ لَا مُشَارَكَةٍ وَ لَا هِيَ مِنْ نَظَائِرِهِ. الْقُعُودُ وَ الْجُلُوسُ لَيْسَ مِنْ نَظَائِرِ اسْتَوَى وَ اسْتَقَرَّ وَ لَكِنَّ الْمَعَانِي الْأَرْبَعَةَ لَيْسَ بَيْنَهَا فُرُوقٌ. وَ الْكَلَامُ هُنَا يَحْتَاجُ إِلَى نَوْعٍ مِنَ التَّحْرِيرِ. أَحْشَى أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَصْرُفٌ مِنَ النَّسَاجِ. وَ كَانَ هَذَا الْخَطَأُ مِنْ خَطِئِهِ فِي مَفْهُومِ اسْتِوَاءِهِ عَلَى الْعَرْشِ. حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ مِثْلُ اسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظُهُورِ الْإِنْعَامِ وَالْقُلُوكِ. وَ مَنْ يَتَصَوَّرُ إِذَا قَالَ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) أَنَّ اسْتِوَاءَ اللَّهِ تَعَالَى كَاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظُهُورِ الْإِنْعَامِ وَ الْقُلُوكِ أَخْطَأَ خَطَأً فَاحِشًا. ثُمَّ إِنْ ثَبَتَ عَلَى هَذَا الْخَطَأِ فَهُوَ مُشَبَّهٌ. تَشْبِيهُهُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ كُفْرٌ. وَ إِنْ أَرَادَ الْفِرَارَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى الْخَاطِئِ بِالتَّأْوِيلِ كَأَنْ يُؤَوَّلَ بِالْمُلْكِ وَ السُّلْطَانِ وَ الْهِمْنَةِ. نَفَى الْمَعْنَى الصَّحِيحَ لِلْإِسْتِوَاءِ وَ عَطَّلَ النَّصَّ وَ عَطَّلَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَنِ الْمَعْنَى اللَّائِقِ بِهِ وَ وَقَعَ فِي النَّفْيِ. وَ النَّافِي لِلصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ إِنْ لَمْ يُعْذَرْ بِجَهْلِهِ أَوْ بِشُبُهَةٍ تَحُولُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْفَهْمِ. النَّفْيُ أَيْضًا كُفْرٌ. أَيُّ النَّافِي لِالصِّفَاتِ يَكْفُرُ وَ الْمُشَبَّهُ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ يَكْفُرُ. السَّلَامَةُ بَيْنَهُمَا التَّسْلِيمُ لِلَّهِ فِي خَبَرِهِ وَ فِي خَبَرِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ أَنْ تُثَبِتَ لِلَّهِ صِفَاتِ اللَّهِ دُونَ أَنْ تُكَيِّفَ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ كَيْفَ اسْتَوَى وَ كَيْفَ يَنْزِلُ وَ كَيْفَ يَجِيئُ وَ كَيْفَ سَمِعَهُ وَ كَيْفَ بَصَرُهُ. السُّؤَالُ بِكَيْفٍ فِي هَذَا الْبَابِ يُؤَدِّي إِلَى جَنَائَةٍ لَا تُغْتَفَرُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ وَ الرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ. السُّؤَالُ بِكَيْفٍ فِي أَيِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ. كَيْفَ اسْتَوَى؟ كَيْفَ يَنْزِلُ؟ كَيْفَ يَجِيئُ؟ كَيْفَ سَمِعَهُ؟ كَيْفَ بَصَرُهُ؟ كَيْفَ وَجْهُهُ؟ إِلَى آخِرِهِ. لَا يَجُوزُ السُّؤَالُ بِكَيْفٍ فِي هَذَا الْبَابِ. كَمَا قُلْنَا فِي مَا تَقَدَّمَ لَا يَجُوزُ السُّؤَالُ بِـ لِمَا أَوْ

بَلِمَاذَا فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ. لِمَاذَا فَعَلَ هَذَا؟ لِمَاذَا فَضَّلَ هَذَا عَلَى هَذَا؟ لِمَاذَا أَغْنَى هَذَا وَ
أَفْقَرَ هَذَا؟ هَذَا السُّؤَالُ غَيْرُ وَارِدٍ وَ خَطَأٌ وَ مَزَلَّةُ الْأَقْدَامِ. وَ هُنَا كَذَلِكَ. هَذَانِ السِّرَانِ يَجِبُ
أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ لَا يَخُوضُ فِي هَذِهِ الْأَسْرَارِ. عَلَيْهِ أَنْ يَكْتَفِيَ بِمَا سَمِعَ وَ
بِمَا عَلِمَ وَ الْمُعَانِي مَعْلُومَةٌ مِنْ وَضْعِ الْكَلِمَةِ. لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْمَعْنَى الْعَامَّةُ. أَمَّا مُحَاوَلَةُ التَّكْيِيفِ
فَمَزَلَّةُ الْقَدَمِ. وَ لَيْسَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. لَيْسَ فِي اللَّفْظِ إِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (الرَّحْمَنُ
عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اسْتَوَاءَهُ كَاسْتَوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظُهُورِ الْإِنْعَامِ
وَ الْفَلَكَ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ أَضَافَ الْإِسْتَوَاءَ إِلَى نَفْسِهِ. أَضَافَ الْإِسْتَوَاءَ إِلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ (الرَّحْمَنُ
عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كَمَا أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ سَائِرَ أَفْعَالِهِ وَ صِفَاتِهِ كَالْخَلْقِ وَ الرِّزْقِ. فَذَكَرَ أَنَّهُ
(خَلَقَ فَسَوَّى) كَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ ثُمَّ اسْتَوَى. خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ثُمَّ
اسْتَوَى كَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ قَدَّرَ فَهَدَى. هَذِهِ كُلُّهَا أَفْعَالٌ. الْخَلْقُ فِعْلٌ. وَ الْإِسْتَوَاءُ فِعْلٌ. ثُمَّ قَدْ أَنَّهُ
(قَدَّرَ فَهَدَى) فِعْلٌ. وَ أَنَّهُ بَنَى السَّمَاءَ (بِأَيْدٍ) أَيُّ بِقُوَّةٍ. هُنَا "أَيْدٍ" لَيْسَ جَمْعٌ يَدٌ. وَ أَيْدٍ هُنَا
مَصْدَرٌ. مَصْدَرُ هَذَا الرَّجُلِ يَيْدٌ إِذَا قَوِيَ. رَاجِعٌ كُتِبَ اللَّعَةُ لِأَنَّ يَلْتَبَسُ عَلَيْكَ الْأَمْرُ. (وَ
السَّمَاءُ بَنِيْنَاهَا بِأَيْدٍ) أَيْدٍ هُنَا لَيْسَ جَمْعٌ يَدٌ وَ لَكِنَّهُ إِسْمٌ مُفْرَدٌ مَصْدَرٌ لِلْفِعْلِ "آد". إِنَّمَا أَتَى بِهِ
هُنَا لِیَبَيِّنَ أَنَّ بِنَاءَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْسَّمَاءِ لَيْسَ كِبِنَاءِ الْمَخْلُوقِ. هَذَا هُوَ مَحَلُّ الشَّاهِدِ. لَيْسَ مَحَلُّ
الشَّاهِدِ ذِكْرُ الْأَيْدِي. وَ أَنَّهُ بَنَى السَّمَاءَ بِأَيْدٍ. وَ كَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ مَعَ مُوسَى أَيُّ بِالنَّصْرِ وَ التَّأْيِيدِ
لَا بِدَاتِهِ. أَنَّ اللَّهَ كَانَ مَعَ مُوسَى وَ هَارُونَ بِالْعِلْمِ وَ التَّأْيِيدِ وَ الْحِفْظِ وَ الْكَلْبِ وَ النَّصْرِ عَلَى
أَعْدَائِهِمَا. يَسْمَعُ وَ يَرَى , يَسْمَعُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ يَرَى مَا يَجْرِي بَيْنَ مُوسَى وَ هَارُونَ
وَ بَيْنَ فِرْعَوْنَ. وَ أَمْثَالُ ذَلِكَ هَذِهِ كُلُّهَا أَفْعَالٌ , اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ. يَفْعَلُ
مَا يَشَاءُ وَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. فَلَمْ يَذْكُرْ إِسْتَوَاءًا مُطْلَقًا يَصْلُحُ لِلْمَخْلُوقِ وَ لَا عَامًّا يَتَنَاوَلُ
الْمَخْلُوقَ. الْعِبَارَاتَانِ مُؤَدَّاهُمَا وَاحِدٌ. لَمْ يَذْكُرْ إِسْتَوَاءً مُطْلَقًا يَصْلُحُ لِلْمَخْلُوقِ وَ لَا عَامًّا يَتَنَاوَلُ
الْمَخْلُوقَ. وَ إِنَّمَا ذَكَرَ إِسْتَوَاءًا خَاصًّا. أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ. كَمَا لَمْ يَذْكُرْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ
الصِّفَاتِ. صِفَاتُ اللَّهِ كُلُّهَا مُضَافَةٌ إِلَى -اللَّهُ- وَ تَقَدَّمَ أَنْ قُلْنَا إِنَّ هَذِهِ الْإِضَافَةُ. إِضَافَةُ
صِفَاتِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ تَجْعَلُ الصِّفَاتَ خَاصَّةً بِاللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- حَتَّى لَا يَتَوَهَّمُوا وَاهِمٌ أَنَّ

سَمِعَهُ كَسَمِعِ المَخْلُوقِ وَ أَنَّ اسْتِوَاءَهُ كاستِوَاءِ المَخْلُوقِ وَ أَنَّ بَصَرَهُ كَبَصَرِ المَخْلُوقِ إِلَى آخِرِ الصِّفَاتِ. وَ إِنَّمَا ذَكَرَ اسْتِوَاءَ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ. طَالَمَا أَضَافَ الإِسْتِوَاءَ إِلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ. إِذَا إِسْتِوَاءُهُ يَلِيْقُ بِهِ لَا نُدْرِكُ كُنْهَهُ لِأَنَّنَا لَمْ نُدْرِكْ كُنْهَ الذَّاتِ. إِذَا الإِسْتِوَاءَ المَضَافَ إِلَى الذَّاتِ لَا نُدْرِكُ كُنْهَهُ. لَوْ أُطْلِقَ الإِسْتِوَاءَ لَحَصَلَ الإِشْتِرَاكُ فِي المَعْنَى الكُلِّيِّ كَمَا تَقَدَّمَ. لَكِنْ إِذَا ذُكِرَ الإِسْتِوَاءُ مُضَافًا إِلَى اللَّهِ إِذَا هَذَا اسْتِوَاءٌ يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ كَيْفَ اسْتِوَاءُهُ لِأَنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا أَنْ يُقَالَ كَيْفَ هُوَ فِي ذَاتِهِ. وَ لَوْ سُئِلَ الوَاهِمُ هَذَا. الَّذِي يَقُولُ كَيْفَ اسْتِوَاءُهُ. لَوْ قِيلَ لَهُ كَيْفَ هُوَ فِي ذَاتِهِ؟ يَقُولُ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ. الجَوَابُ صَحِيحٌ. يُقَالُ لَهُ لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ اسْتِوَاءِهِ إِلَّا هُوَ. إِذَا كُنَّا لَا نَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ؟ فَمِنْ بَابِ أَوَّلَى أَلَّا نَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِهِ ، سِوَاءَ كَانَتْ فَعْلِيَّةً هَذِهِ الصِّفَةُ أَوْ ذَاتِيَّةً كَالْقُدْرَةِ وَ الإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ وَ البَصَرِ وَ الْوَجْهِ وَ الْيَدَيْنِ. نَعَمْ .

القارئ: ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- (فَلَوْ قُدِّرَ - عَلَى وَجْهِ الْفَرْضِ الْمُمْتَنِعِ - أَنَّهُ هُوَ مِثْلُ خَلْقِهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ - لَكَانَ اسْتِوَاءُهُ مِثْلَ اسْتِوَاءِ خَلْقِهِ. أَمَّا إِذَا كَانَ هُوَ لَيْسَ مِمَّاثِلًا لَخَلْقِهِ، بَلْ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ الْغَنِيُّ عَنِ الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ لِلْعَرْشِ وَلِغَيْرِهِ، وَأَنْ كُلَّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَهُوَ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا اسْتِوَاءَ يَخْصُهُ، لَمْ يَذْكُرْ اسْتِوَاءَ يَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ وَلَا يَصْلَحُ لَهُ، كَمَا لَمْ يَذْكُرْ فِي عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَرُؤْيِيَّتِهِ وَسَمْعِهِ وَخَلْقِهِ إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِهِ - فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَوْ سَقَطَ الْعَرْشُ لَحَرَّ مِنْ عَلَيْهِ! -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاهِلُونَ عُلُومًا كَبِيرًا .)

الشيخ: يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- فَلَوْ قُدِّرَ عَلَى وَجْهِ الْفَرْضِ الْمُمْتَنِعِ عَلَى وَجْهِ التَّقْدِيرِ وَ إِنْ كَانَ هَذَا التَّقْدِيرُ مُمْتَنِعًا وَ لَكِنْ يُقَالُ مِنْ بَابِ الْبَيَانِ وَ مِنْ بَابِ مُحَاوَرَةِ الْحَصْمِ وَ إِلَّا التَّقْدِيرُ نَفْسُهُ بَاطِلٌ. لَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ هُوَ مِثْلُ خَلْقِهِ فِي ذَاتِهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى-. تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُومًا كَبِيرًا ، لَكَانَ اسْتِوَاءُهُ مِثْلَ اسْتِوَاءِ خَلْقِهِ. لَوْ كَانَ هُوَ فِي ذَاتِهِ مِثْلَ خَلْقِهِ كَانَ

استواءه كاستواء خلقه. أما إذا كان هو ليس مُمَاثِلًا لخلقِه إذ (ليس كَمِثْلِه شيء و هو السميع البصير) بل قد عُلِمَ أَنَّهُ الْعَنِيُّ عَنِ الْخَلْقِ. الْعَنِيُّ وَصِفٌ ذَاتِيٌّ لِلَّهِ -تعالى- كَالْقُدْرَةِ وَ الْإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ. عَنِيٌّ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ غَنِيٌّ مُطْلَقًا. إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ الْعَنِيُّ عَنِ الْخَلْقِ وَ أَنَّهُ الْخَالِقُ لِلْعَرْشِ وَ لِعِزِّ الْعَرْشِ. كَيْفَ يَحْتَاجُ إِلَى مَخْلُوقٍ خَلَقَهُ!!؟ وَ أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَ هُوَ الْعَنِيُّ عَنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ. عَنِ الْعَرْشِ وَ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَ مَا دُونَ ذَلِكَ وَ هُوَ لَمْ يَذْكُرْ. لَمْ يَذْكُرْ الرَّبُّ إِلَّا اسْتِوَاءَ يَخْصُهُ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) اسْتِوَاءٌ خَاصًّا بِهِ. لَمْ يَذْكُرْ اسْتِوَاءَ يَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ وَ لَا يَصْلُحُ لَهُ. لَمْ يَذْكُرْ اسْتِوَاءَ يَتَنَاوَلُهُ هُوَ وَ غَيْرُهُ. وَ لَا يَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَكُونَ خَاصًّا لَهُ. إِذَا كَانَ يَتَنَاوَلُهُ هُوَ وَ غَيْرُهُ ذَلِكَ الْاسْتِوَاءُ الْمَطْلُوقُ قَبْلَ الْإِضَافَةِ لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ. كَمَا لَمْ يَذْكُرْ فِي عِلْمِهِ وَ قُدْرَتِهِ وَ رُؤْيَيْهِ وَ سَمْعِهِ وَ خَلْقِهِ إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِهِ. أَيُّ لَمْ يَذْكُرْ اسْتِوَاءَ مُطْلَقًا. الْكَلَامُ فِيهِ تَكَرَّرَ. اسْتِوَاءٌ مُطْلَقًا يَتَنَاوَلُهُ هُوَ وَ غَيْرُهُ. بَلْ ذَكَرَ اسْتِوَاءَ يَخْتَصُّ بِهِ. كَمَا لَمْ يَذْكُرْ فِي عِلْمِهِ وَ قُدْرَتِهِ وَ رُؤْيَيْهِ وَ سَمْعِهِ وَ خَلْقِهِ إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِهِ. هَذِهِ الْمُبَاقِشَةُ مَعَ الْمُفَرِّقِينَ بَيْنَ الصِّفَاتِ. وَ إِلَّا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ يَنْفِي جَمِيعَ الصِّفَاتِ. هَذَا الْأَسْلُوبُ غَيْرُ وَارِدٍ , فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ. هَذَا هُوَ الْوَهْمُ الَّذِي يَتَوَهَّمُهُ الْأَشْعَرِيُّ وَ مَنْ فِي مَعْنَاهُ. وَ أَنَّهُ لَوْ سَقَطَ الْعَرْشُ لَحَرَّ مَنْ عَلَيْهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَ الْجَاهِلُونَ عُظْمًا كَبِيرًا. تَقَدَّمَ أَنْ قُلْنَا إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ وَ فِي صِفَةِ الْكَلَامِ شَارَكُوا الْمُعْتَزِلَةَ تَمَامًا. أَيُّ لَيْسَ هَذَا مُجَرَّدَ تَأْوِيلٍ بَلْ هَذَا نَفْيٌ. الْأَشَاعِرَةُ صَرِيحَةٌ فِي نَفْيِ عُظْمٍ -اللَّهُ تَعَالَى- وَ اسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ. كَمَا تَنْصُ كُتُبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ. وَ كَذَلِكَ عَقِيدَتُهُمْ فِي نَفْيِ الْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ صَرِيحَةٌ. صَرَّحُوا كَمَا قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ اللَّفْظِي مَخْلُوقٌ وَ لَكِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ أَطْلَقُوا خَلْقَ الْقُرْآنِ وَ لَمْ يُثْبِتُوا كَلَامًا نَفْسِيًّا. الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ إِثْبَاتُ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ وَ عَدَمُ الْإِثْبَاتِ. أَمَّا فِي نَفْيِ عُظْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَ اسْتِوَائِهِ عَلَى خَلْقِهِ. لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ. فَلْيُعْلَمْ هَذَا , نَعَمْ .

القارئ: قَالَ رحمه -الله تعالى- (هل هذا إلا جهل محض وضلال ممن فهم ذلك، أو توهمه، أو ظنه ظاهر اللفظ ومدلوله، أو جَوَّز ذلك على رب العالمين الغني عن الخلق. بل لو قُدِّر أن جاهلاً فهم مثل هذا، أو توهمه لبَيَّن له أن هذا لا يجوز، وأنه لم يدل اللفظ عليه أصلاً، كما لم يدل على نظائره في سائر ما وصف به الرب نفسه , فلما قال سبحانه وتعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} فهل يتوهم متوهم أن بناءه مثل بناء الآدمي المحتاج، الذي يحتاج إلى زُلِّل ومجارف وأعوانٍ وضربٍ لِبْنٍ وَجَبِل طين؟ ثم قد عُلِم أن الله تعالى خلق العالمَ بعضه فوق بعض، ولم يجعل عاليه مفتقراً إلى سافله، فالهواء فوق الأرض، وليس مفتقراً إلى أن تحمله الأرض، والسحاب أيضاً فوق الأرض، وليس مفتقراً إلى أن تحمله، والسموات فوق الأرض، وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها - فالعلي الأعلى رب كل شيء ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه كيف يجب أن يكون محتاجاً إلى خلقه، أو عرشه! أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات! وقد عُلِم أن ما ثَبَتَ لمخلوقٍ من الغنى عن غيره فالخالق سبحانه أحق به وأولى).

الشيخ: قَالَ الشيخ رحمه -الله تعالى- هل هذا إلا جهل محض وضلال. هذا التوهم و قِيَّاسُ استِواءِ الله تَعَالَى على استِواءِ المخلوق على الدَابَّةِ وَ عَلَى الْفُلْكِ جَهْلٌ مَحْضٌ وَ ضَلَالٌ مِنْ فَهْمٍ ذَلِكَ أَوْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا هُوَ فَهْمُهُ أَوْ تَوَهُمُهُ أَوْ ظَنُّهُ ظَاهِرَ اللَّفْظِ , مَنْ ظَنَّ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى (الرحمنُ على العرشِ استَوَى) ظَاهِرُهُ هُوَ هَذَا الْمَعْنَى الْبَاطِلُ فَهُوَ جَهْلٌ وَ ضَلَالٌ. لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَدُلُّ أَبَدًا عَلَى الْمَعْنَى الْبَاطِلِ. كَذَلِكَ كَلَامُ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ لَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْبَاطِلِ. مَنْ يَتَصَوَّرُ أَنَّ نُزُولَ الرَّبِّ كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِ حَمَلَ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ وَ مَنْ ظَنَّ أَنَّ اسْتِواءَ اللَّهِ كَاسْتِواءِ الْمَخْلُوقِ حَمَلَ كَلَامَ اللَّهِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ. كَلَامُ اللَّهِ بَيِّنٌ وَاطِحٌ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى الْبَاطِلِ عَلَى الْبَاطِلِ أَبَدًا. الْإِسْتِواءُ الَّذِي يُشَبِّهُ اسْتِواءَ الْمَخْلُوقِ مَعْنَى بَاطِلٌ وَ لَيْسَ ظَاهِرَ اللَّفْظِ وَ لَا مَدْنُولُهُ , وَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُجَوَّزَ ذَلِكَ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ الْغَنِيِّ عَنِ الْخَلْقِ. بَلْ لَوْ قُدِّرَ أَنَّ جَاهِلًا فَهَمَ مِثْلَ هَذَا.

هذا الجاهل الذي يدعي أنه فهم مثل هذا. إذا كان مُلبّساً عليه. إذا كان قد جلس إلى أهل الكلام و إلا الجاهل الذي على فطرته لا يتبادر إلى ذهنه هذا المعنى الباطل و لو سُئِلَ كيف استواء الله على عرشه؟ يقول لا أدري. هذا ما يقوله الجاهل الذي على الفطرة. و لكن الجاهل الملبس عليه هو الذي يقول أيّ أفهم من الاستواء هذا المعنى. لو قال هذا أو توهّمه. لبيّن له. يجب على من يفهم أن يبيّن له أن هذا لا يجوز. يجب أن يبيّن لمن يتوهّم أو يظن أن هذا مدلول اللفظ و ظاهر اللفظ. يجب أن يبيّن له أن هذا المعنى باطل. كل من يدعي قياس صفات الله على صفات المخلوق ليس في الاستواء فقط بل في جميع صفات الرب كالجبر و النزول و السمع و البصر و غير ذلك. يجب على من علم أن يبيّن له أن هذا لا يجوز ، و أنه لم يدل اللفظ عليه أصلاً. لفظ الكتاب و السنة لا يدلان على الباطل أصلاً كما لم يدل على نظائره في سائر ما وصف الرب به نفسه - سبحانه و تعالى - . هذا معنى عام. فلما قال سبحانه و تعالى (و السماء بنيناها بأيدي) أي بقوة كما تقدّم. فهل يتوهّم متوهّم عاقل أن بناءه - سبحانه و تعالى - مثل بناء الآدمي المحتاج. الآدمي عندما يبني بناء يحتاج إلى زميل يحمل به التراب و إلى بحارف يحرف به الأرض و إلى أعوان و عمال يعملون في البناء و إلى ضرب لبن حتى يبني بلبن البناء. و يحتاج إلى صنع طين و إلى أشياء كثيرة من مواد البناء و العمال. ومن سمع (والسمااء بنيناها بأيدي) هل يتوهّم بأن الله في بنائه للسماء بحاجة إلى هذه الأشياء كلها. إلى أعوان. إلى مواد البناء المذكورة و غير المذكورة؟! لا. لا يتوهّم هذا عاقل. و إنما يؤمن بأن الله بنى السماوات كيف شاء و كما شاء بقدرته. دون أن يقيس بناء الله على بناء المخلوق. هذا من باب التقليد. إذا كنت لا تتوهّم إذا سمعت قوله تعالى (و السماء بنيناها بأيدي) أن كيفية بناء الله السمااء ككيفية بنائنا لمبانينا في حاجتنا إلى ما ذكر و غير ما ذكر. إذا لم تتوهّم كذلك لا يجوز أن تتوهّم في سائر صفات الرب سواء كانت فعلية كالاستواء و النزول أو ذاتية كالسمع و البصر و الوجه و اليدين. لا يجوز أن تتوهّم أن صفات الرب - سبحانه و تعالى - كصفات المخلوق. ثم قد علم أن الله تعالى خلق العالم بعضه فوق بعض كما هو المشاهد. و لم يجعل عاليه مفتقرا إلى سافله. مثال ذلك:

فالهواء فوق الأرض. بين السماء والأرض وليس الهواء مُفْتَقِرًا إلى أن تحمله الأرض. والسحاب مُشَاهِدٌ أيضًا فوق الأرض. وليس مُفْتَقِرًا إلى أن تحمله الأرض. الله سبحانه وتعالى يحمل بِقُدْرَتِهِ بين السماء والأرض. والسموات فوق الأرض وليست مُفْتَقِرَةً إلى حمل الأرض لها. الله هو الحامل لها كلها لئلا تسقط. فالعلي الأعلى سبحانه. رب كل شيء. خالق كل شيء و مالك كل شيء. إذا كان فوق جميع خلقه بِخَبَرِهِ. هو الذي أخبرنا أنه فوق جميع مخلوقاته (أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) أخبر الرب - سبحانه وتعالى - أنه فوق جميع خلقه. كيف يحب. بل كيف يجوز. كيف يجوز أن يكون محتاجًا؟ كيف يجوز عقلاً أن يكون محتاجًا إلى خلقه. أي لا يجوز عقلاً و فطرته أن يكون محتاجًا إلى خلقه أو إلى عرشه أو إلى حمله العرش أو إلى الكرسي أو إلى السموات. أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار؟ لا يستلزم أبدًا. إذا كان المخلوق الذي فوق المخلوق لم يستلزم من تلك الفوقية أن يكون العالي محتاجًا إلى السافل. كيف يستلزم ذلك في حق الرب سبحانه وتعالى. وقد علم أن ما ثبت لمخلوق من الغنى عن غيره فالخالق سبحانه وتعالى أحق به وأولى. بل كل ما ثبت من الكمال وليس فيه نقص بوجه من الوجوه فالخالق أولى. كل ما ثبت من الكمال للمخلوق. هكذا القاعدة. كل ما ثبت من الكمال للمخلوق وليس فيه نقص بوجه من الوجوه فالخالق أولى بذلك الكمال. لأن معطي الكمال أولى بالكمال. وإن كان هذا الكلام يحتاج إلى تفصيل. كل كمال في الخلق. كل كمال في الخلق ليس فيه نقص بوجه من الوجوه فالخالق أولى بذلك الكمال لأنه معطي الكمال و معطي الكمال أولى بالكمال. و من الكمال عدم الحاجة إلى العرش. و إنما قلنا ليس فيه نقص بوجه من الوجوه. قد يوجد كمال في المخلوق و هو نقص في حق الله تعالى. الصاحبة. وجود الصاحبة عند الإنسان كمال. وجود الولد عند الإنسان كمال. و وجود الوزير و المعين عند الإنسان كمال. لماذا؟ لأن الإنسان محتاج. يحتاج إلى من. لأن الإنسان ناقص. يحتاج إلى ما يكمل نقصه أو يخفف ذلك النقص. وجود الولد. وجود الصاحبة. وجود الوزير. وجود المعين يجبر النقص الذي عند المخلوق. لذلك مثل هذا

الكمال الذي عند المخلوق نقص في حق - الله تعالى - لذلك القاعدة تُقيّد. فيقال كلُّ كمالٍ في المخلوق ليس فيه نقصٌ بوجهٍ من الوجوه فالحالُّ أولى به. أمّا إذا كان فيه نقصٌ كما مثّلنا فالحالُّ مُنزّه عن ذلك , والله أعلم .

الدرس رقم : 21

القارئ: فيقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (وكذلك قوله: {أَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ} أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} من توهم أن مقتضى هذه الآية أن يكون الله في داخل السماوات، فهو جاهل ضال بالاتفاق، وإن كنا إذا قلنا: إن الشمس والقمر في السماء، يقتضي ذلك، فإن حرف «في» متعلق بما قبله وما بعده، فهو بحسب المضاف والمضاف إليه. ولهذا يُفَرَّق بين كون الشيء في المكان، وكون الجسم في الحيز، وكون العرض في الجسم، وكون الوجه في المرأة، وكون الكلام في الورق، فإن لكل نوع من هذه الأنواع خاصية يتميز بها عن غيره، وإن كان حرف «في» مستعملا في ذلك كله، فلو قال قائل: العرش في السماء أم في الأرض؟ لقليل: في السماء. ولو قيل: الجنة في السماء أم في الأرض؟ لقليل: الجنة في السماء. ولا يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السموات، بل ولا الجنة، فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا سألتكم الله الجنة فسلوه الفردوس، فإنها أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفها عرش الرحمن). فهذه الجنة، سقفها الذي هو العرش فوق الأفلاك، مع أن الجنة في السماء، والسماء يراد به العلو، سواء كان فوق الأفلاك أو تحتها، قال تعالى: {فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ} وقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}، ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى، وأنه فوق كل شيء، كان المفهوم من قوله: {مَّن فِي السَّمَاءِ}: أنه في السماء، أنه في العلو وأنه فوق كل شيء، وكذلك الجارية لما قال لها: (أين الله؟). قالت: في السماء، إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها، وإذا قيل: «العلو»، فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها، فما فوقها كلها هو في السماء، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به، إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله، كما لو قيل: إن العرش في السماء، فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق، وإذا قُدِّر أن «السماء» المراد بها الأفلاك كان المراد أنه عليها، كما قال: {وَلَا صَلْبَيْنَكُم فِي جُدُوعِ النَّخْلِ}

، وكما قال: {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} ، وكما قال: {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} ، ويقال: فلان في الجبل، وفي السطح. وإن كان على أعلى شيء فيه).

الشيخ: الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد. يُقرّر شيخ الإسلام أنّه لا يلزم من الاستواء. لإستواء الله تعالى على عرشه. أن يكون الله - سبحانه و تعالى - محتاجاً إلى العرش كما يُفهم من ذلك من استواء مخلوق على مخلوق. هذا مُلخّص الدرس السابق. و في هذا الدرس يقرر شيخ الإسلام معنى العلو. و تقدّم البحث و التفريق بين الاستواء. بين صفة الإستواء و صفة العلو. صفة الاستواء صفة فعلية خبرية محضة. و صفة العلو صفة ذاتية ثابتة بالكتاب و السنة و العقل و الفطرة و الإجماع. أي إجماع السلف. يقول شيخ الإسلام في تقريره علو - الله تعالى - في ضوء قوله تعالى (أَأَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) من توهم أن مقتضى هذه الآية. من في السماء. أن يكون الله داخل السماوات. أي داخل الأجرام المبنية فهو جاهل ضالّ بالإتفاق بل بالإجماع. الإجماع أقوى من الاتفاق. الاتفاق قول الجمهور. أي قول الأكثرية و هذا بالإجماع. أي بإجماع السلف. لا يجوز اعتقاد بأن الله داخل السماوات و داخل هذه الأجرام المبنية. بل الله - سبحانه و تعالى - فوق ذلك كلّهُ. من توهم أن مقتضى قوله تعالى (أَأَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ) أن يكون الله داخل السماوات فهو جاهل و ضالّ بالإجماع. الضلال يتفاوت. ضلال لا يصل إلى الكفر. و ضلال يصل إلى حدّ الكفر. إعتقاد بأن الله - سبحانه و تعالى - داخل السماوات. بأن السماوات تُحيط بالله - سبحانه و تعالى - هذا ضلال يؤدي إلى الكفر ما لم يُعذر هذا المعتقد و هذا المتوهم بجهل يُعذر به أو بشبهة كما كنّا نقول دائماً في مثل هذا المقام لأنّ المقام خطير و الشبهة قائمة منذ أن دخل علم الكلام على المسلمين و الجهل فاش. لذلك لا بدّ من التأمّن عند الحكم بالكفر أو بالكفر على من قال كفراً. ليس كل من قال كفراً فهو كافر خارج عن الملة و لا كل من اعتقد كفراً كافراً خارج عن الملة. بل لا بدّ من إلتماس الأعذار و الشبهة. من له عُذر يُعذر مثله بجهله. من له

جهل أي من هو جاهل مثله يُعذر بذلك الجهل. و من له شبهة حالت بينه و بين المفهوم الصحيح فهو يُعذر. و إلا فاعتقاد بأن الله داخل هذه الأجرام التي فوقنا. داخل السماوات. فهذا ضلال أي كفر بالله - سبحانه و تعالى - لأنه تشبيه للخالق بالمخلوق الذي يكون مضروباً في داخل مخلوق ما. و إن كان معنى "في" إذا قلنا إن الشمس و القمر في السماء يقتضي ذلك. يقتضي أي يحتمل أن تكون الشمس و القمر داخل السماوات. مع بحث معروف هنا. إن الذي في داخل السماوات أضواء. ضوء القمر و ضوء الشمس. عند قوله تعالى (و جعل القمر فيهن نورا) "فيهن" أي في بعضهن كما يقول بعض المفسرين أي في السماء الأولى. ثبت أو روي عن ابن عباس و عبدالله بن عمر إن الشمس و القمر و جوههما إلى السماوات وأقفيئهما إلى الأرض) فنور الشمس و ضوء القمر في السماوات. بمعنى أن عين الشمس و عين القمر ليسا في السماوات و لكن ضوءهما. لذلك إذا قيل إن الشمس و القمر في السماء. الإحتمال قائم و جائز عقلاً أن تكون داخل السماوات. سواء كان الشمس بعينها أو بضوئها و سواء كان القمر كذلك بعينه أو بضوئه. الذي يثبت بالبحث العلمي و الآثار بأن هذه الكواكب معلقة تحت السماء و تُضيئ في السماء. ليست بذاتها في السماء. فإن حرف "في" متعلق بما قبله و ما بعده. هذا تعلق بالمعنى. فهو بحسب المضاف و المضاف إليه. ليس تعلق الجار و المجرور و لكن تعلق المعنى. و لذلك قال ولهذا يُفرق بين كون الشيء في المكان و كون الجسم في الحيز. إذا قلنا الكتاب في المكتبة. نُفرق بين هذا و بين أن نقول الكتاب في الحيز. الكتاب في الحيز أي شغل هذا الحيز و ليس مطروفاً في الحيز. الحيز: المكان المعين المحدود , هذا الإنسان في الحيز و ذاك الإنسان في الغرفة. بينهما فرق. فرق كبير يفهمه المخاطب , في الحيز أي إنه شغل مكاناً محدوداً معيناً. و هو في الغرفة أي مطروف في داخل الغرفة. و فرق بين كونه في الغرفة و بين كون الكتاب في الغرفة أيضاً. و كون العرض في الجسم. العرض: الصفة , الأعراض: صفات مختلفة. الألوان من الأعراض و الأخلاق كالشجاعة و الكرم و الجبن و البخل من الأعراض. إذا قيل فلان في غرفته و فيه الكرم. المخاطب يُفرق بين المعينين. و في غرفته و فيه الكرم و فيه الشجاعة.

الفرق واضح بين التعبيرين. هذا العرض ، الألوان كلها من الأعراض و هذه الأخلاق التي ذكرناها من الأعراض. و كونها في الإنسان و كون الإنسان في الحجرة أو في العرفة بينهما فرق واضح ، و كون الوجه في المرأة و كون الكلام في الورق. إذا قلت رأيت وجه فلان في المرأة¹ و رأيت الكلام في الورق و أنت تفرق بين الظرفين. إستعمال "في" إستعمال حقيقي في هذا و في ذاك. لكن المعنى يختلف باختلاف المضاف و المضاف إليه. باختلاف ما قبل "في" و ما بعد "في" ، فإن لكل نوع من هذه الأنواع خاصية يتميز بها عن غيره ، كون الكلام في الورق أي مكتوب في الورق و كون الإنسان في العرفة و كون الإنسان فيه الكرم. لكل معنى خاصية يتميز بها عن غيره أو يتميز به عن غيره و إن كان حرف "في" مستعملاً في ذلك كله على الحقيقة لا على المجاز. قولك الكلام في الورق حقيقة. و قولك زيد في عرفت حقيقة و قولك زيد فيه الكرم حقيقة. و لكن أنت تفرق بين هذه المعاني. إذا كان هذا معلوماً في الإستعمال العربي فقولته تعالى (أأمنتم من في السماء) يجب أن يعلم ذلك لاستحالة كون -الله سبحانه و تعالى- مظهروفاً في خلق من مخلوقاته. كيف يكون الرب العظيم سبحانه الذي خلق السماوات. كيف يكون في داخل السماوات؟! إذا أي عربي لم تتغير فطرته يفهم من قوله (أأمنتم من في السماء) العلو فقط. أي أأمنتم من في العلو. ليس في داخل السماوات . فلو قال قائل العرش في السماء أم في الأرض؟ لو سأل سائل العرش في السماء أم في الأرض؟ ماذا يقال في الجواب؟ لقل في السماء ، و هل يراود بقوله في السماء. من يقول إن العرش في السماء هل يريد أنها في داخل هذه الأجرام؟ لا. مستحيل لأن عرش الله أعظم المخلوقات على الإطلاق. لا نقول من أعظم المخلوقات بل أعظم المخلوقات على الإطلاق. أعظم من السماوات كلها. إذا مستحيل أن يكون العرش داخل السماوات. و لو قيل الجنة في السماء أم في الأرض؟ لقل الجنة في السماء ، الجنة عرضها السماوات. إذا مستحيل أن تكون الجنة في داخل هذه الأجرام. إذا المعنى: في العلو ، و لا

¹ يبدو أن هذا سبق لسان من الشيخ رحمه -الله تعالى- و الصواب "وجه فلان في المرأة" و الله أعلم .

يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ دَاخِلَ السَّمَاوَاتِ بَلْ وَ لَا الْجَنَّةَ. بَلْ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ. كُلٌّ مِنْ الْعَرْشِ وَ الْجَنَّةِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. إِذَا مَعْنَى الْجَنَّةِ فِي السَّمَاءِ وَ الْعَرْشِ فِي السَّمَاءِ أَيْ فِي الْعُلُوِّ. السَّمَاءُ كُلُّ مَا عَلَا وَ ارْتَفَعَ. وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مَا يُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى أَوْ يُؤْخَذُ مِنْهُ هَذَا الْمَعْنَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ (إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَسَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى فَإِنَّهَا أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ) ، إِذَا الْجَنَّةُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَ فَوْقَ الْكُرْسِيِّ. لَيْسَ فَوْقَ الْجَنَّةِ إِلَّا الْعَرْشُ. سَقْفُ الْجَنَّةِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، كُلُّ هَذَا يُقَالُ فِيهِ فِي السَّمَاءِ. الْكُرْسِيُّ فِي السَّمَاءِ وَ الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ وَ الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ ، لَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهَا دَاخِلُ هَذِهِ الْأَجْرَامِ الْمَبْنِيَّةِ: السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ. بَلْ فَوْقَ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ الْجَنَّةُ سَقْفُهَا. سَقْفُهَا الَّذِي هُوَ الْعَرْشُ فَوْقَ الْأَفْلَاكِ كُلِّهَا. فَوْقَ السَّمَاوَاتِ جَمِيعِ الْأَفْلَاكِ الَّتِي فَوْقَنَا. الْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ ، مَعَ أَنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ وَ السَّمَاءُ يُرَادُ بِهِ إِذَا الْعُلُوِّ. سَوَاءٌ كَانَ فَوْقَ الْأَفْلَاكِ أَوْ تَحْتَهَا. فَقَطَّعًا فَوْقَ الْأَفْلَاكِ. الْعَرْشُ فَوْقَ الْأَفْلَاكِ. وَ الْجَنَّةُ فَوْقَ الْأَفْلَاكِ وَ الْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ ، قَالَ تَعَالَى (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ) أَيْ إِلَى الْعُلُوِّ ، وَقَالَ تَعَالَى (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) السَّمَاءُ هُنَا السَّحَابُ. لَيْسَ الْأَجْرَامُ. (وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ) أَيْ مِنَ السَّحَابِ مَاءً طَهُورًا ، السَّمَاءُ قَدْ يُطْلَقُ أحيانًا حَتَّى عَلَى الْمَاءِ نَفْسِهِ. الْمَطَرُ إِذَا نَزَلَ يُقَالُ نَزَلَ السَّمَاءُ أَيْ الْمَطَرُ. يُطْلَقُ لَفْظُ السَّمَاءِ عَلَى الْمَطَرِ وَ يُطْلَقُ عَلَى السَّحَابِ وَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا عَلَا وَ يُطْلَقُ عَلَى الْأَجْرَامِ السَّبْعَةِ الْمَعْرُوفَةِ. وَ يُطْلَقُ عَلَى مَا فَوْقَ ذَلِكَ كَالْعَرْشِ وَ الْجَنَّةِ غَيْرِ ذَلِكَ. كُلُّ مَا عَلَا فَوْقَ رَأْسِكَ فَهُوَ سَمَاءٌ. وَ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا بِالْقَرِينَةِ وَ السِّيَاقِ. سِيَاقُ الْكَلَامِ وَ الْقَرَائِنُ الَّتِي تُحِيطُ بِالنَّصُوصِ هِيَ الَّتِي تُفَسِّرُ الْمُرَادَ. وَ كَذَلِكَ الْجَارِيَةُ لَمَّا قَالَ لَهَا. الْجَارِيَةُ لِصَحَابِي يُقَالُ لَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ. هَذِهِ الْجَارِيَةُ قِصَّتُهَا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ قَبْلُ. جَارِيَةُ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ أَحَدُ الصَّحَابَةِ سَلَمِيٍّ. كَانَتْ رَاعِيَةً لِعَنْمِهِ بِجَوَارِ جَبَلٍ أُخِذَ وَ فِي ذَاتِ مَرَّةٍ رَأَى مِنْ بَعِيدٍ بَأْنَ ذُبَابًا أَخَذَ شَاةً مِنْ عَنْمِهِ وَ هِيَ غَافِلَةٌ. غَفَلَتْ الْجَارِيَةُ فَأَخَذَ الذَّبُّ شَاةً مِنْ عَنْمِهَا فَجَاءَ هَذَا الصَّحَابِي غَضَبَانٍ فَلَطَمَهَا لَطْمَةً شَدِيدَةً ثُمَّ تَنَدَّمَ وَ جَاءَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَسْتَشِيرُهُ فِي عِتْقِهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ كَقَارَةٍ لِمَا فَعَلَ مِنَ الظُّلْمِ. فَطَلَبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنِّيَانَهَا فَأَتَتْ فَاحْتَبَرَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. إِخْتَبَرَ إِيمَانَهَا بِسُؤَالَيْنِ
 إِنِّينِ فَقَط. إِنْتَبِهْ! السُّؤَالُ الْأَوَّلُ أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَ لَهَا أَيْنَ اللَّهُ؟ يَسْتَعْظِمُ الْأَشْعَرِيُّ الْآنَ عِنْدَمَا
 يَسْمَعُ كَلِمَةَ أَيْنَ اللَّهُ؟! عِنْدَ الْإِشَاعَةِ الْيَوْمَ يُعْتَبَرُ جَرِمَةَ السُّؤَالِ عَنِ اللَّهِ بِأَيْنَ؟ لَا يُسْأَلُ عَنِ
 اللَّهِ بِأَيْنَ عِنْدَهُمْ. عَلِمًا أَنَّ الَّذِي جَاءَنَا بِهَذَا الدِّينِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سَأَلَ جَارِيَةً عَامِيَةً لَمْ تَقْرَأْ
 قَطُّ. سَأَلَهَا هَذَا السُّؤَالُ قَالَ لَهَا أَيْنَ اللَّهُ؟ عَلِمًا مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنَّهَا عَلَى الْفِطْرَةِ.
 مَنْ لَمْ تَتَغَيَّرْ فِطْرَتُهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ فِي الْعُلُوِّ. لِذَلِكَ قَالَتْ الْجَارِيَةُ فِي الْجَوَابِ لَهَا أَيْنَ
 اللَّهُ؟ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ. قَالَ لَهَا مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَقَالَ
 اعْتَقِدْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ. شَهِدَ لَهَا بِالْإِيمَانِ لِأَنَّهَا عَرَفَتْ رَبَّهَا وَالَّذِي يَعْتَقِدُونَ الْآنَ أَنَّ اللَّهَ فِي
 الْأَرْضِ مَعَنَا وَفِي كُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ. الَّذِينَ يَقُولُونَ اللَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ.
 لَمْ يُؤْمِنُوا بِرَبِّهِمْ. اللَّهُ إِنَّمَا يُعَلِّمُ بِالْفِطْرَةِ. إِنَّهُ يُدْعَى مِنْ فَوْقٍ وَ يُخَافُ مِنْ فَوْقٍ. قَالَتْ الْجَارِيَةُ فِي
 السَّمَاءِ. وَ شَهِدَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَشَهِدَ لَهَا بِالْإِيمَانِ لِذَلِكَ
 مَنْ تَلَفَّظَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" وَإِنْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ كَافِرًا يُكْفَى عَنْهُ. لِأَنَّ هَذِهِ
 الْكَلِمَةَ. مَعْنَى كَلَامِ الْجَارِيَةِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ". أَيْ آمَنْتَ بِشَهَادَةِ
 "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ" , حَتَّى يُخْتَبَرَ هَلْ قَالَ ذَلِكَ تَقِيَّةً أَوْ قَالَ ذَلِكَ مِنْ
 قَلْبِهِ. يُعْرِفُ فِيمَا بَعْدَ. أَمَّا عِنْدَمَا يَنْطِقُ الْإِنْسَانُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ. لَوْ رَفَعَتْ سِيْفًا عَلَى كَافِرٍ قَالَ
 'لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ' وَجَبَ عَلَيْكَ الْكَفَرُ. لَا يَجُوزُ قَتْلُهُ. يَحْتَمِلُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ تَقِيَّةً
 لِيَحْفَظَ مَالَهُ وَ عِرْضَهُ. لِيَحْفَظَ مَالَهُ وَ دَمَهُ. تَتَرَكُّهُ وَ إِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ يَتَهَرَّبُ مِنْ
 الصَّلَاةِ وَ مِنْ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ وَ يَتَكَاثَلُ. يُعْرِفُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ تَقِيَّةً يُقْتَلُ رِدَّةً. وَ إِنْ اسْتَسْلَمَ
 وَجَدْنَا مِنْهُ الْإِقْبَالَ عَلَى الصَّلَاةِ وَ مَا يَدُلُّ عَلَى خَوْفِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ مِرَاقَبَتِهِ وَ
 الْحِرْصِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَ النَّدَمِ عَلَى مَا قَدَّمَ. شَهِدْنَا لَهُ بِالْإِيمَانِ. الشَّاهِدُ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ أَنَّ اللَّهَ
 فِي السَّمَاءِ أَيْ فِي الْعُلُوِّ لَا فِي دَاخِلِ الْأَجْرَامِ مِنَ الْإِيمَانِ , وَ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ
 يَتَنَافَى مَعَ الْإِيمَانِ وَ مَعَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- قَالَتْ فِي السَّمَاءِ. إِنَّمَا أَرَادَتْ الْعُلُوَّ مَعَ
 عَدَمِ تَخْصِيصِهِ بِالْأَجْسَامِ الْمَخْلُوقَةِ وَ حُلُولِهِ فِيهَا. هَذَا مَا لَا يَتَبَادَرُ إِلَى إِنْسَانٍ عَلَى الْفِطْرَةِ وَ

عقله سليم صريح و إنما يتبادر هذا عند من درس علم الكلام أو جلس أمام أستاذٍ أشعري. و إذا قيل "العلو". الله في العلو. الله فوق السماوات. الله فوقنا. فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها. لفظة العلو يتناول ما فوق المخلوقات كلها. فما فوقها كلها هو في السماء. ما فوق المخلوقات كلها يقال له في السماء. و لا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به - سبحانه و تعالى - . ليس هناك ظرف وجودي كالسماوات السبع و غيرها يحيط برّب العالمين. إذ ليس فوق العرش العالم شيء. إذا آمنت بأن الله فوق العالم كله. ليس هناك شيء يحيط بالله. إذ ليس فوق العالم شيء غير - الله سبحانه و تعالى - . كما لو قيل إن العرش في السماء فإنه لا يقتضي كما تقدم أن يكون العرش في شيء. - موجود مخلوق. بل العرش فوق الجنة و سقف الجنة كما تقدم. و إذا قدر أن السماء المراد بها الأفلاك. عندما تقرأ قوله تعالى (أَأمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ). إذا أردت من السماء هذه الأفلاك. يتعير معنى "في". "في" إما يبقى هذا الحرف على ظرفيته. إذا أردت بالسماء العلو. "في" أي في العلو. حرف "في" يبقى على الظرفية. إذا أردت بالسماء العلو. و إن أردت بالسماء الأفلاك كان المراد أنه عليها. أي يكون حرف "في" بمعنى "على". (أَأمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ) أَأمِنْتُمْ مِّن عَلَى السَّمَاءِ. لا يقولن قائل إنكم أولئكم و أنتم تُحاربون التأويل. الجواب هذا ليس بتأويل ، حروف الجر تتناوب. الحروف تتناوب. يُفسر حرف بحرف. و هذا أسلوب عربي معروف قبل نشأة علم الكلام. (أَأمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ) إذا يجب أن نفهم بمفهومين اثنين. إذا أردت بالسماء (أَأمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ) يجوز أن يُراد بالسماء العلو و تبقى "في" على بابها. أَأمِنْتُمْ مِّن فِي العلو. المراد بالعلو فوق العالم كله. ليس هناك ظرف يحيط برّب العالمين إذ ليس فوق العالم شيء موجود غير ربّ العالمين ، أو (أَأمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ) يُراد بالسماء الأفلاك الأجرام و تكون "في" بمعنى "على". أَأمِنْتُمْ مِّن عَلَى السَّمَاءِ. مِّن عَلَى الأفلاك ، و هل لذلك نظائر في كتاب الله تعالى ؟ نعم ، كما قال حكاية عن قول فرعون (و لأصلبنكم في جدوع النخل) ما معنى في جدوع النخل؟ أي على جدوع النخل ، ليس معنى ذلك أنه يشق فيصلبهم في داخل جدوع النخل. لا ، إنما فوق ، (فسيروا في الأرض)

سِيرُوا فِي الْأَرْضِ مَعْنَاهُ سِيرُوا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ , وَ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ إِحْفِرُوا الْأَرْضَ فَادْخُلُوا فِيهَا فامشوا فِي دَاخِلِهَا. لَا , لَا يَفْهَمُ عَرَبِيٌّ هَذَا الْمَعْنَى أَبَدًا وَ لَوْ حَاوَلَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْهَمَ هَذَا لَتَكَلَّفَ (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) أَيْمًا إِنْسَانٍ يَسْمَعُ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ. يَفْهَمُ أَنَّهُ إِمَشُوا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ , إِذَا لَيْسَ هُنَا تَأْوِيلٌ وَ إِيْمًا هُوَ تَفْسِيرٌ. تَفْسِيرٌ حَرْفٌ بِحَرْفٍ لِلْبَيَانِ. لَيْسَ كُلُّ تَأْوِيلٍ مَذْمُومًا. التَّأْوِيلُ الْمَذْمُومُ التَّأْوِيلُ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى التَّحْرِيفِ كَمَا يَأْتِي. كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَفْصِيلُ ذَلِكَ , أَمَّا التَّأْوِيلُ الَّذِي بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ وَ الْبَيَانِ هَذَا هُوَ الْمَتَّبَعُ عِنْدَ الْمَفْسِّرِينَ , وَ يُقَالُ فَلَانٌ فِي الْجَبَلِ. مَا مَعْنَى فَلَانٌ فِي الْجَبَلِ؟ أَيُّ عَلَى الْجَبَلِ , لَيْسَ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهِ , وَ هُوَ جَالِسٌ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ. أَنْتَ تَقُولُ فَلَانٌ فِي الْجَبَلِ , بِمَعْنَى عَلَى الْجَبَلِ , وَ فَلَانٌ فِي سَطْحِ الْبَيْتِ أَيُّ عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ , وَ إِنْ كَانَ عَلَى أَعْلَى شَيْءٍ مِنْهُ , وَ الْمَعْنَى وَاضِحٌ , نَعَمْ , يَكْفِي , نَكْتَفِي بِهَذَا الْمَقْدَارِ .

الدرس رقم : 22

القارئ: فيقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (القاعدة الخامسة - أننا نعلم ما أخبرنا به من وجه دون وجه، فإن الله تعالى قال: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} ، وقال: {أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ} ، وقال: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} ، وقال: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} ، فأمر بتدبر الكتاب كله ، وقد قال: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} ، وجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف عند قوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} ، وهذا هو المأثور عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، وزوي عن ابن عباس أنه قال: "التفسير على أربعة أوجه، تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب" ، وقد زوي عن مجاهد وطائفة أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، وقد قال مجاهد: "عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقف عند كل آية وأسأله عن تفسيرها" ، ولا منافاة بين القولين عند التحقيق، فإن لفظ «التأويل» قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة معان: أحدها - وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله - أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقتزن به؛ وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها، وهل هذا محمود أو مذموم، وحق أو باطل؟ و الثاني - أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنِّفين في التفسير: «واختلف علماء التأويل» . ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد

بن حنبل والبخاري وغيرهم - فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به معرفة تفسيره.

الشيخ: بَسْنِ , الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد , القاعدة الخامسة. أننا نعلم ما أخبرنا به من وجه دون وجه. أو نعلم ما أخبرنا به من وجه دون وجه. ما أخبرنا الله به و ما أخبرنا به رسوله عليه الصلاة و السلام نَعْلَمُهُ من جهة المعنى وَ بَجْهَلُهُ من جهة الكيفية. هذه تُعْتَبَرُ قَاعِدَةٌ. كُلُّ مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ مَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِهِ و أسمائه و أفعاله و قضائه و قَدْرِهِ. و مَا أَخْبَرَنَا بِهِ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ. عن أسماء الله -تعالى- و صفاته. نَعْلَمُ من جهة. من جهة المعنى. لَا نَتَجَاهَلُ المعاني. معاني النصوص معلومة و القول بأنها غير معلومة بجاهل و ليس بجهل. و لكننا بجهل عَنْ جَهَةِ الكيفية. كَيْفِيَّةُ صِفَاتِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- بَجْهَلُهَا تَمَامًا. لَأَنَّا بَجْهَلُ كَيْفِيَّةِ الدَّاتِ. الكلام في الصفات فرغ عن الكلام في الدَّاتِ. إِذَا كَانَ إِيمَانُنَا بِاللَّهِ -سبحانه و تعالى- إِيْمَانًا تَسْلِيمًا و إثباتًا وَ لَيْسَ إِيمَانًا تَكْيِيفًا. بَلْ بَجْهَلُ حَقِيقَةِ ذَاتِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- وَ يَجِبُ أَنْ بَجْهَلُ. لِأَنَّ المخلوق لَا يُحِيطُ بِالْخَالِقِ. فَالْخَالِقُ وَحْدَهُ الْمُحِيطُ بِخَلْقِهِ. إِذَا فَتَحْنَا بَجْهَلُ كَيْفِيَّةِ الصِّفَاتِ. قَالَ اللَّهُ -سبحانه و تعالى- حَاشَا عَلَيَّ تَدَبَّرِ الْكِتَابَ لِنَعْلَمَ الْمَعَانِي. لَا لِنَعْلَمَ الْكَيْفِيَّةَ (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) , لِمَا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَخْتَلَفْ وَ لَيْسَ هُنَاكَ آيَةٌ تَأْمُرُ بِالشَّيْءِ وَ آيَةٌ أُخْرَى تَنْهَى. لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَأْمُرُ بِالتَّوْحِيدِ وَ مَا يَنْهَى عَنِ التَّوْحِيدِ. الْكُلُّ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ) وَ هَذَا أَيْضًا حَتَّى عَلَى التَّدَبُّرِ. (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ) هَذَا الْكِتَابُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ هُوَ مُبَارَكٌ. لَمْ يَقُلْ كِتَابٌ خَلَقْنَاهُ وَ لَكِنْ قَالَ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ. فَلْيَتَدَبَّرِ الْمُعْتَقِدُونَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَةِ. (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ) فِيهِ كُلُّ الْبَرَكَاتِ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَ اتَّبَعَهُ. (لِيَذَكِّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) حَتَّى عَلَى التَّدَبُّرِ. (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) حَتَّى عَلَى التَّدَبُّرِ وَ تَحْذِيرٍ وَ تَخْوِيفٍ مِنْ عَدَمِ التَّدَبُّرِ. فَأَمَرَ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- بِتَدَبُّرِ الْكِتَابِ كُلِّهِ. أَيْ الْكِتَابِ كُلِّهِ مَعْلُومٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى. لَيْسَ هُنَاكَ مَا لَا يُعْلَمُ مَعْنَاهُ فِي

الكتاب كما سيأتي. أو على التفصيل الذي سيأتي في كلام ابن عباس. إلا ما استأثر الله بعلمه , و قد يدخل في ما استأثر الله بعلمه الحروف المقطعة التي في أوائل بعض السور. من حيث المعنى بالتحديد. علم ذلك عند الله و إن كان أهل العلم قد تصيدوا الحكمة بأن ذلك من باب التعجيز. كأن -الله سبحانه و تعالى- يقول للعرب إن هذا القرآن الذي أعجزهم و أفعد بلغاءكم و فصحاءكم مركب من هذه الحروف. من ألف و لام و ميم إلى آخره. ركبوا من هذه الحروف فأثروا بكتاب مثله. بسورة مثل هذا القرآن. فيه معنى التعجيز. هذا إذا فيه نوع من الفهم. لأن تصيد الحكمة فيه فهم. وإن كان الفهم الدقيق بالنسبة لهذه الحروف. علمها عند الله , و ما عدا ذلك القرآن كله معلوم من حيث المعنى. وإن كانت الناس تتفاوت. هناك ما لا يعلمه إلا العرب الخالص. كالمفردات الغريبة كالانشقاق و الإنفطار. و هناك ما لا يعلمه إلا الراسخون في العلم. و هناك ما لا يُعذر أحدٌ بجهله كما سيأتي. و هناك ما لا يعلمه إلا الله. ذلك هو التأويل أي الحقائق. حقائق الصفات.

قال الله تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَاضِحَاتٌ جَلِيَّاتٌ وَهُوَ مِنَ النَّوعِ الَّذِي لَا يُعَذَّرُ أَحَدٌ بِجَهْلِهِ. وَمَنْ النَّوعِ الَّذِي يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ كَالْتَوْحِيدِ وَ الْحَالِ وَ الْحَرَامِ (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو) لَا يُعَذَّرُ أَحَدٌ بِجَهْلِهِ هَذَا. هَذَا جَلِيٍّ مُحْكَمٍ. (حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ) الْحَالِ وَ الْحَرَامِ وَ الْوَعْدُ وَ الْوَعِيدُ وَ التَّوْحِيدُ. هَذِهِ كُلُّهَا مُحْكَمَاتٌ. مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَاضِحَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ. أَيْ كُلُّ آيَةٍ مِنْهَا أُمُّ الْكِتَابِ. أَيْ هُنَّ أُمَّهَاتُ الْكِتَابِ. قَالَ (أُمُّ الْكِتَابِ) أَيْ كُلُّ آيَةٍ عَلَى حَدِّ أَصْلٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ. (وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) مُتَشَابِهَاتٌ. وَ الْمُتَشَابِهَةُ كَمَا سَيَأْتِي هُنَاكَ مُتَشَابِهَةٌ نِسْبِيٌّ وَ مُتَشَابِهَةٌ مُطْلَقٌ. الْمُتَشَابِهَةُ الْمُطْلَقُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِثْلُ حَقَائِقِ الصِّفَاتِ وَ مِثْلُ مَا أَخْبَرَ الرَّبَّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- فِي شُؤْنِ الْمَعَادِ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْبَعْثِ مِنْ حِسَابٍ وَ مِيزَانٍ وَ جَنَّةٍ وَ مَا فِيهَا وَ نَارٍ وَ مَا فِيهَا. هَذِهِ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ. وَ الْمُتَشَابِهَةُ الْمُطْلَقُ نَفْسُهُ يَتَفَاوَتُ. مُتَشَابِهَةٌ يَزُولُ التَّشَابُهُ فِيهِ. إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَ أَطْلَعُوا عَلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَ شَرِبُوا مِنْ عَسَلِ الْجَنَّةِ وَ لَبَنِهَا وَ خَمْرِهَا وَ مَاءِهَا. صَارَ مَعْلُومًا لَدَيْهِمْ. زَالَ التَّشَابُهُ , الْآنَ مِنْ

المتشابهات إذ ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء. حقيقة ذلك العسل و ذلك الماء و تلك الحمر و ذلك اللبن لا يعلم الآن. لا يعلمه إلا الله. و لكن هذا سوف لا يستمر هذا التشابه سيؤول و لكن هناك تشابه مطلق دائم لا يعلمه إلا الله. حقيقة ذاته سبحانه و حقيقة أسمائه و صفاته. هذا تشابه مطلق لا يعلمه أحد , و التشابه النسبي. المعاني التي يعلمها الراسخون في العلم لا يعلمها من دونهم بالنسبة لهم يُعتبر تشابه. تشابه نسبي أي بالنسبة لغيرهم , و إن كان بالنسبة لهم معلوماً , فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله. يزعمون كما زعم كثير من الخلف بأن نصوص الصفات معانيها غير معلومة و غير مرادة لله. ظاهرها غير مراد لله. ظاهر استوى و ظاهر نزل أو ينزل و ظاهر جاء ربك و ظاهر السمع و البصر و غير ذلك غير مراد لله تعالى. المراد خلاف هذا الظاهر. على اختلاف بينهم , عند المعتزلة مثلاً و من قبلهم كالجهمية. نصوص الصفات كلها ظاهرها غير مراد بل المراد شيء آخر , ثم اختلفوا في تعيين هذا المراد و عند الأشاعرة الصفات الفعلية الخبرية و الصفات الذاتية الخبرية ظاهرها غير مراد (الرحمن على العرش استوى) من الصفات الفعلية الخبرية. هذا الظاهر غير مراد و المراد شيء آخر , و من الذي يُعين ذلك المراد. كأنهم يدعون محاولة الاحاطة بحقائق هذه الصفات. قالوا المراد الملئك و السلطان و الهيمنة. من أخبركم بهذا؟ الله قال (الرحمن على العرش استوى) أنزل هذه الآية على نبيه عليه الصلاة و السلام و تلاها و سمع الصحابة و فهموا و فهم التابعون إلى أن جاء علم الكلام و دخل في الإلهيات. قالوا نصوص الصفات ظاهرها غير مراد و المراد غير هذا. و ذلك المراد يُعين بالتأويل. إذا هم الذين يُعينون مراد الله تعالى. من أين علموا مراد الله؟! هذا قول على الله بغير علم , هذا هو اتباع التشابه (ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله) و ما يعلم تأويله إلا الله , اختلف أهل العلم في هذين الوقفين (و ما يعلم تأويله إلا الله) هذا الذي عليه جمهور السلف و الخلف. بل هذا الذي يدل عليه السياق. لأن قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله) بعد هذا السياق. قال (و ما يعلم تأويله إلا الله) , المراد بالتشابه على هذا الوقف: حقائق الصفات و الحقائق التي

في المعاد , هذه الحقائق لا يَعْلَمُهَا إِلَّا الله , و من حاول أو اتَّبَعَ هذا المِثْشَابَةَ لِيُؤْوِلَهُ يَقَعُ في زِيغٍ و في فتنة. (و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله) الوقفُ صحيحٌ بَلْ هُوَ المشهور و المعنى صحيح. المراد بالمِثْشَابَةِ حَقَائِقُ الصفات و مَا في مَعْنَى ذلك مَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله , الوقفُ الثاني (و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله و الراسخون في العلم) وقفٌ صحيحٌ أيضاً. أي إنَّ الراسخين في العلم يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ ذلك. التَّأْوِيلُ الذي يَعْلَمُهُ الراسخون في العلم غَيْرَ التَّأْوِيلِ الذي استأثَّرَ اللهُ بِهِ. التَّأْوِيلُ الذي يَعْلَمُهُ الراسخون في العلم هو التفسير. يَخْتَصُّ الراسخون في العلم بِفَهْمٍ لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُمْ. هُمُ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ اسْتِنْبَاطَ الأحكام مِنَ النصوص. هُمُ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ الجَمْعَ و التَّوْفِيقَ بَيْنَ النصوصِ الَّتِي ظَاهِرُهَا التَّعَارُضُ وَ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ تَخْصِيسَ الْمُطْلَقِ وَ تَقْيِيدَ الْعَامِّ وَ مَعْرِفَةَ النَّاسِخِ وَ الْمَنسُوخِ. هذه المعاني لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الراسخون. و الراسخون في العلم يَعْلَمُونَ هذا التَّأْوِيلَ. أي هذا التفسير و إِذَا وَقَفْنَا على قوله تعالى (و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله و الراسخون في العلم) المِثْشَابَةُ غَيْرَ المِثْشَابَةِ و التَّأْوِيلَ غَيْرَ التَّأْوِيلِ. أي مَعْنَى التَّأْوِيلِ يَخْتَلِفُ وَ مَعْنَى المِثْشَابَةِ يَخْتَلِفُ. المِثْشَابَةُ الذي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله تِلْكَ الحَقَائِقُ حَقَائِقُ الصِّفَات. حَقِيقَةُ استواءِهِ أي كَيْفِيَّةُ استواءِهِ سبحانه و كَيْفِيَّةُ نُزُولِهِ وَ كَيْفِيَّةُ حَيْثِيَّةِ وَ كَيْفِيَّةُ سَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ إلى آخِرِ الصِّفَاتِ ذَاتِيَّةٍ أَوْ فِعْلِيَّةٍ. خَبَرِيَّةٌ أَوْ عَقْلِيَّةٌ. لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِ الرَّبِّ - سبحانه و تعالى - إِلَّا الله. فَقَوْلُهُ - تعالى - (و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله) يَعْنِي هذا المعنى , هذا هُوَ التَّأْوِيلُ أي الحَقِيقَةُ الَّتِي يُؤْوِلُ إِلَيْهَا الْكَلَامُ , تِلْكَ الحَقَائِقُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الله , و يَكُونُ الوقفُ صحيحًا و خَاصًا , (و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله و الراسخون في العلم) الراسخون في العلم يَعْلَمُونَ مَا لَا يَعْلَمُ غَيْرُهُمْ. وَ قُلْنَا المِثْشَابَةَ هُنَا مُثْشَابَةً نِسْبِيَّةً أَيْ بِالنَّسْبَةِ لَغَيْرِهِمْ مُثْشَابَةً وَ غَامِضٌ وَ بِالنَّسْبَةِ هُمْ وَاضِحٌ. يَقُولُونَ "الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ". يَعْلَمُونَ وَ هُمْ يَقُولُونَ (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبَّنَا) كُلٌّ مِنَ الْمُحْكَمِ وَ المِثْشَابَةُ مِنْ عِنْدِ رَبَّنَا (و ما يَذْكُرُ إِلَّا أُولَا الْأَلْبَابِ) وَ على هذا لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْوَقْفَيْنِ وَ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ. قال شيخُ الاسلام رحمه -الله- وَ جَمْهُورُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفُهَا على أَنَّ الوقفَ عند قوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} ، وهذا هو المأثور عن أَبِي بن كَعْبٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ هُوَ المشهور عَلَى

المعنى الذي ذكرنا. على اختلاف بين التأويل. بين معنى التأويل و بين معنى المتشابه. بين الوقفين , في الوقف الأول المتشابه هو حقائق الصفات التي لا يعلمها إلا الله , و التأويل: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام , و على الوقف الثاني التأويل معناه التفسير كما سيأتي. و هذا التفسير الذي يعلمه الراسخون في العلم بالنسبة لغيرهم قد يكون متشابه.

قال الشيخ رحمه -الله تعالى- وزوي عن ابن عباس أنه قال: التفسير على أربعة أوجه. تفسير القرآن على أربعة أوجه. تفسير تعرفه العرب من كلامها , بل هم المرجع في ذلك و هو ما يسمى في علوم القرآن بعريب القرآن. المفردات العربية المرجع فيها العرب. العرب الذين لم تتغير لغتهم و لم يتأثروا بالعجم. هم الذين يرجع إليهم. كان الناس ترجع إليهم و سجلوا. رجعوا إلى العرب. إلى أهل البادية. و سجلوا معاني المفردات. معنى الإنشقاق و معنى الإنفطار , هم المرجع في هذا. إذا أشكل على العلماء. على المفسرين معاني المفردات العربية. المرجع في ذلك العرب. قبل أن تفسد لغتهم. و لذلك الشعراء المحدثون كلامهم ليس بحجة. إنما يحتج بكلام العرب الأولين. عندما كانوا بعيدين عن التأثير بالعجمة. و تفسير لا يعذر أحد بجهالة. لا يعذر أحد من المسلمين بجهالة قوله تعالى (و إلهكم إله واحد , لا إله إلا هو) لأن جهل هذا يعتبر كفراً. كذلك معرفة الحلال و الحرام. لا يعذر أحد من المسلمين بذلك (أحل الله البيع و حرم الربا) "حرمت عليكم أمهاتكم أو بناتكم و أخواتكم معلوم (حرمت عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير) معلوم. هذه من التفاسير التي لا يعذر أحد بجهلها. (أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة) واضح. و تفسير يعلمه العلماء كما مثلنا يختص العلماء الراسخون باستنباط الأحكام و إلحاق الفرع بالأصل. بالقياس بالإجتهاذ. و معرفة العام و الخاص و المطلق و المقيد. هذه المعاني يختص بها الراسخون في العلم و هم العلماء , و تفسير لا يعلمه إلا الله. من ادعى علمه فهو كاذب. من ادعى أنه يعلم حقيقة الاستواء و حقيقة النزول و حقيقة المحيي و حقيقة وجه الرب - سبحانه- و حقيقة يديه و حقيقة الأصابع إلى غير ذلك من الصفات الذاتية و الفعلية و الخبرية و العقلية. من ادعى حقيقة هذه الصفات فقد كذب. و من حاول معرفة ذلك. يخرج بإحدى نتيجتين. إما التشبيه. فتشبيه الخالق

بالمخلوق كُفِّرَ و إما التعطيل. فالتعطيل. فنفي صفات الله الثابتة بالكتاب و السنة كُفِّرَ يَخْرُجُ
 بهذه النتيجة أو التي قبلها. من الذي يسلم من كل ذلك؟ من سلم لله - سبحانه - و لرسوله
 الأمين. فآمن بالله و بحبر الله على مراد الله. بالنسبة للحقيقة و الكيفية. وآمن برسول الله عليه
 الصلاة و السلام و بمراد رسول الله بالنسبة لحقيقة تلك الصفات. إذا أخبر النبي عليه الصلاة
 و السلام "ينزل ربنا" نُؤْمِنُ. نفهم معنى النزول. النزول غير الصعود. نعلم معنى النزول و لكن
 نفوض إلى الله كيفية النزول. كيف ينزل؟ ينزل إذا شاء و كيف شاء. ليس نزوله كنزولنا. كما
 أن استواءه ليس كاستوائنا و ليس مجيئه كمجيئنا كما أن ليس سمعه كسمعنا. و خصوصاً
 بالنسبة للذين يثبتون السمع و البصر و القدرة و الإرادة و العلم و الحياة و غير ذلك من
 الصفات "الصفات العقلية". ينبغي أن يتراجعوا إذا كانوا أثبتوا هذه الصفات و هم يعلمون.
 يقولون على ما يليق بالله , و لم يحاولوا إدراك حقيقة و كيفية هذه الصفات و من التناقض
 جداً محاولة إدراك كيفية نزول الرب - سبحانه و تعالى - و كيفية استواءه و كيفية مجيئه. فإذا
 لم يدركوا قالوا هذا الظاهر غير مراد و المراد شئ آخر و ذلك المراد لم يعلمه السلف و لم
 يعينوه. السلف أمروا هذه النصوص دون فهم لمعانيها. فنحن الذي نعلم !. هكذا زعم
 الخلف فضّلوا فاحتلّفوا و لما أعرضوا عن الكتاب و السنة و عما كان عليه سلف هذه الأمة
 احتلّفوا فيما بينهم. منهم من نفى الأسماء و الصفات جميعاً و منهم من نفى جميع الصفات
 و لم يثبت إلا الأسماء الجامدة التي لا تدل على المعاني و هم المعتزلة , و منهم من تلاعب
 بالنصوص و فرق بين النصوص. آمن ببعضها و أوجب تأويل البعض الآخر و هم الأشاعرة.
 و قد روي عن مجاهد رضي -الله- عنه و رحمه و إن كان رضي -الله- عنه إصطلاح في
 الصحابة , و من دونه يُقال له رحمه -الله- لكن لا مانع شرعاً أن يُقال في من دون
 الصحابة رضي -الله- عنه و الله أعلم , و قد روي عن مجاهد رحمه -الله- و طائفة من أهل
 العلم من تلاميذ ابن عباس و غيرهم أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله و قد تقدّم أن بيتنا
 التأويل الذي يعلمه الراسخون و هو التفسير و قد قال مجاهد عرّضت المصحف على ابن
 عباس من فاتحته إلى خاتمته أقف عند كل آية و أسأله عن تفسيرها. و هذا يردّ زعم الخلف

بأنَّ السَّلَفَ لَا يَعْلَمُونَ الْمَعَانِي الَّتِي عَلِمَهَا الْخَلْفُ فِي مَا بَعْدَ بَعْدٍ أَنْ دَرَسُوا فُرُوعَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَ الْبَلَاغَةِ. جَهِلُوا أَنَّهُمْ أَدْرَكُوا شَيْئًا وَ فَاتَتْهُمْ أَشْيَاءٌ. السَّلَفُ يَعْلَمُونَ مَعَانِي هَذِهِ الْعُلُومِ الَّتِي يَنْفَخَرُونَ بِهَا أَوْ يَفْتَخِرُونَ بِأَنَّهُمْ دَرَسُوهَا وَ عَلِمُوا وَ سَلَطُوا بِحَاجَتِهِمْ عَلَى نُصُوصِ الصِّفَاتِ. السَّلَفُ يَعْلَمُونَ دُونَ أَنْ يُعْرِثُوا. دُونَ أَنْ يَقُولُوا هَذَا بَيَانٌ وَ هَذِهِ مَعَانِي وَ هَذَا بِدِيْعٍ. دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِهَذِهِ الْإِصْطِلَاحَاتِ. لَكِنْ مِنَ النَّاحِيَةِ التَّطْبِيقِيَّةِ هُمْ أَعْلَمُ بِاللُّغَةِ مِنَ الْخَلْفِ. وَ هَذِهِ الْعُلُومُ الَّتِي أَلْفَتْ فِي مَا بَعْدَ وَ أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ. إِنَّمَا هِيَ مِنْ بَابِ إِظْهَارِهَا لِلنَّاسِ. لَكِنْ مِنَ النَّاحِيَةِ التَّطْبِيقِيَّةِ نُطْقًا. السَّلَفُ لَا يَلْحَنُونَ بَلْ هُمْ أَعْلَمُ مِنَ الْخَلْفِ وَ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ , هَكَذَا يَقُولُ الْمُجَاهِدُ. إِنَّهُ عَرَضَ الْمُصْحَفَ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ. يَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَ يَسْأَلُهُ عَنْ تَفْسِيرِهَا. يَسْأَلُ عَنْ تَفْسِيرِهَا حَتَّى نُصُوصِ الصِّفَاتِ. إِذَا كَانَ تَوَقَّفَ فِي التَّفْسِيرِ. لَكِنْ لَا يَسْأَلُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ. لَا يَقُولُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ لِمَالِكٍ رَحِمَهُ -الله- (الرحمن على العرش استوى) كَيْفَ اسْتَوَى؟ وَ لَكِنْ مُجَاهِدًا إِذَا تَوَقَّفَ فِي مَعَانِي بَعْضِ النُّصُوصِ كَالْمُفْرَدَاتِ مِثْلًا. يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ أَسْتَاذَهُ. لَكِنْ لَا يَسْأَلُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ. لِأَنَّ مُحَاوَلَةَ إدْرَاكِ الْكَيْفِيَّةِ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ السَّلَفِ أَبَدًا. هَذَا شَيْءٌ لَمْ يَخْطُرْ بِأَهْلِهِمْ وَ إِنَّمَا تَعَرَّضَ لِذَلِكَ الْخَلْفُ.

يقول الشيخ رحمه -الله تعالى- وَ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَ التَّحْقِيقِ كَمَا تَقَدَّمَ. لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ. بَيْنَ مَعْرِفَةِ الرَّاسِخِينَ التَّأْوِيلَ وَ بَيْنَ أَنْ يُقَالَ (لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ) لِأَنَّ التَّأْوِيلَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ غَيْرُ التَّفْسِيرِ الَّذِي يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ. التَّفْسِيرُ الَّذِي يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ تَأْوِيلٌ. التَّأْوِيلُ الَّذِي بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ وَ الْبَيَانِ وَ الْإِيضَاحِ. هَذَا الَّذِي يَعْلَمُونَهُ. وَ التَّأْوِيلُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ حَتَّى الرَّاسِخُونَ حَقَائِقُ الصِّفَاتِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانٌ ذَلِكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

فَإِنَّ لَفْظَ التَّأْوِيلِ قَدْ صَارَ بِتَعَدُّدِ الْإِصْطِلَاحَاتِ مُسْتَعْمَلًا فِي ثَلَاثَةِ مَعَانِي , الْمَعْنَى الْأَوَّلُ لِلتَّأْوِيلِ وَ هُوَ إِصْطِلَاحٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْفِقْهِ وَ أَصُولِهِ. وَ دَخَلَ عِلْمُ الْكَلَامِ أَوَّلُ مَا دَخَلَ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ. فَخَرَّبَ عَلَى النَّاسِ كَثِيرًا وَ لِذَلِكَ عِلْمُ الْأَصُولِ

مَشْحُونٌ بِاصْطِلَاحَاتِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ. أَنَّ التَّأْوِيلَ وَ الصَّرْفَ اللَّفْظِي عَنِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ لِذَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِهِ. هَذَا الدَّلِيلُ قَدْ يَكُونُ مُدَّعَى لَيْسَ دَلِيلًا صَحِيحًا. فَمَثَلًا (الرحمن على العرش استوى) ماهو المعنى الرَّاجِحُ الْوَاضِحُ الَّذِي يَظْهَرُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ لِكُلِّ تَالٍ لِهَذِهِ الْآيَةِ؟ مَعْنَى الْعُلُوِّ. لِأَنَّ الْفِعْلَ اسْتَوَى إِذَا تَعَدَّى بِـ "عَلَى" مَعْنَاهُ الْعُلُوُّ وَ الصَّعُودُ وَ الْإِسْتِقْرَارُ وَ الْإِرْتِفَاعُ. هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الرَّاجِحُ وَ هُوَ الْوَاضِحُ. زَعَمَ الْمُتَأَخَّرُونَ يَجِبُ صَرْفُ هَذَا اللَّفْظِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى الرَّاجِحِ إِلَى مَعْنَى مَرْجُوحٍ بِذَلِيلٍ يُدَّعَى. مَا هُوَ ذَلِكَ الدَّلِيلُ؟ "الْإِسْتِحَالَةُ الْعَقْلِيَّةُ"! . يَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَّبَعَ هَذَا الْمَعْنَى اللَّهُ -تعالى- لِأَنَّ الْعَقْلَ يُحِيلُهُ. أَيُّ مُسْتَحِيلٍ عَقْلًا أَنْ يُوصَفَ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- بِالْعُلُوِّ وَ الْإِرْتِفَاعِ وَ الصَّعُودِ وَ الْإِسْتِقْرَارِ بَلْ يَجِبُ أَنْ يُفَسَّرَ هَذَا النَّصُّ بِالْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ وَ هُوَ الْإِسْتِيلَاءُ وَ السَّلْطَانُ وَ الْمُلْكُ وَ الْهَيْمَنَةُ. مَا هُوَ الدَّلِيلُ؟ الْإِسْتِحَالَةُ الْعَقْلِيَّةُ! , الْأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ أَوْ الدَّلَالَةُ الْعَقْلِيَّةُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْعُقُلَاءِ. إِذَا كَانَ عَقْلُ الْأَشْعَرِيِّ قَدْ أَثْبَتَ الْقُدْرَةَ وَ الْإِرَادَةَ وَ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ مِثْلًا وَ لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ مُسْتَحِيلًا عَقْلًا. الْإِسْتِحَالَةُ الْعَقْلِيَّةُ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ. فَإِذَا هِيَ كَوْنُهَا تَمْنَعُ الْإِسْتِوَاءَ وَ النَّزُولَ الْحَقِيقِيِّينَ وَ الْوَجْهَ وَ الْيَدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ. هَذَا تَنَاقُضٌ , عَقْلُهُمْ عَقُولُ اخْتَلَفَتْ. أَثْبَتَتْ بَعْضُ الصِّفَاتِ وَ نَفَتْ بَعْضُ الصِّفَاتِ وَ قَبْلَهُمْ الْإِسْتِحَالَةُ الْعَقْلِيَّةُ عِنْدَ الْمُعْتَزَلَةِ نَفَتْ جَمِيعَ الصِّفَاتِ وَ قَبْلَهُمْ الْإِسْتِحَالَةُ الْعَقْلِيَّةُ عِنْدَ الْجَهْمِيَّةِ نَفَتْ الْأَسْمَاءَ وَ الصِّفَاتِ مَعًا. إِذَا كَانَتْ النَّاسُ اخْتَلَفَتْ هَذَا الْإِخْتِلَافُ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ. ماهو المرجع؟! وَ هَلْ هُنَاكَ عَقْلٌ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْعُقُولِ كُلِّهَا وَ أَعْدَلُ وَ أَعْقَلُ حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْهِ؟ الْعُقُولُ لَا تَتَّفِقُ. إِذَا الْمَرْجِعُ الصَّحِيحُ: الدَّلِيلُ الصَّحِيحُ. الدَّلِيلُ الْقَطْعِيُّ الَّذِي يَجِبُ الرَّجُوعُ إِلَيْهِ وَ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَ سُنَّةُ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ أَنْ يَتَّبَعَ الْخَلْفُ السَّلَفَ. وَ يَتَأَسَّى الْخَلْفُ بِالسَّلَفِ. هُمْ أَنْفُسُهُمْ الْخَلْفُ اعْتَرَفُوا لِسَلَفِ الْفَضْلِ. حَيْثُ يَقُولُ قَائِلُهُمْ: "وَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ". وَ قَدْ صَدَقَ , "وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفَ". هَذَا صَاحِبُ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ وَ هُوَ خَلْفِي وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَنْطَقَهُ هَذَا النُّطْقَ الصَّحِيحَ وَ شَهِدَ بِهَذِهِ الشَّهَادَةَ بِالشَّرِّ عَلَى الْخَلْفِ وَ الْخَيْرِ لِسَلَفٍ وَ هُوَ الْوَاقِعُ. وَ هَذَا هُوَ الَّذِي عَنَاهُ أَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ

المتأخرين في نصوص الصفات وَ تَرَكَ تَأْوِيلَهَا وَ هَلْ هَذَا مَحْمُودٌ أَوْ مَذْمُومٌ وَ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ. هذا الذي اختلفوا فيه. وَ هُوَ الَّذِي عَنْهُ أَيْضًا قَائِلٌ مِنَ الْخَلْفِ: "وَكُلُّ نَصٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَ زُمْ تَنْزِيهَا". المراد بالتأويل هنا التحريف. الخروج عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح وَ هُوَ بَاطِلٌ كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَنَكْتَفِي بِهَذَا الْمَقْدَارِ .

القارئ: قَالَ شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (الثاني - أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير: «واختلف علماء التأويل» . ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري وغيرهم - فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به معرفة تفسيره ، الثالث - من معاني التأويل - هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } ، فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله تعالى به فيه، مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك، كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته قال: { وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ } فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا ، فالتأويل الثاني هو تفسير الكلام، وهو الكلام الذي يُفسَّر به اللفظ حتى يُفهم معناه أو تُعرف علته أو دليله، وهذا التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج، ومنه قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي) يتأول القرآن. تعني قوله تعالى: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ } . وقول سفيان بن عيينة: السنة هي تأويل الأمر والنهي ، فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به، ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر، والكلام خبر وأمر، ولهذا يقول أبو عبيد وغيره: الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة. كما ذكروا ذلك في تفسير اشتيمال الصمماء، لأن الفقهاء يعلمون نفس ما أمر به ونفس ما نُهي عنه، لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يعلم أتباع أبقراط

وسببونه ونحوهما من مقاصدهم ما لا يُعلم بمجرد اللغة. ولكن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته بخلاف تأويل الخبر .)

الشيخ: بَسْ , الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد
 , قَسَمَ شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- مَعْنَى التَّأْوِيلِ وَ ذَكَرَ أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي ثَلَاثَةِ مَعَانٍ:
 الْمَعْنَى الْأَوَّلُ وَ هُوَ مَا عَلَيْهِ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَ الْأَصُولِيِّينَ وَ غَيْرِهِمْ وَ هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ
 عَنِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ لِذَلِيلٍ يُدْعَى. سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الدَّلِيلُ مَقْبُولًا أَوْ
 مُرَدودًا. وَ هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأَصُولِ وَ خُصُوصًا الْمُتَأَخَّرِينَ
 مِنْهُمْ. تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ , وَ ثَانِيهَا أَيُّ ثَانِي الْمَعْنَى أَنَّ التَّأْوِيلَ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ. وَ هَذَا هُوَ
 الْعَالِبُ عَلَى مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ. الْمُفَسِّرُونَ لِلْقُرْآنِ. التَّأْوِيلُ فِي لُغَتِهِمْ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ وَ الْبَيَانِ وَ
 الْإِيضَاحِ. كَمَا يَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ وَ أَمْثَالُهُ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ. يَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ مَثَلًا
 "فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى كَذَا وَ كَذَا". وَ مَعْنَى ذَلِكَ أَيُّ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى. وَ اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ
 التَّأْوِيلِ. وَ مُجَاهِدٌ إِمَامُ الْمُفَسِّرِينَ. قَالَ الثَّوْرِيُّ فِي حَقِّهِ إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ
 بِهِ. هَذَا التَّفْسِيرُ هُوَ التَّأْوِيلُ. أَوْ هَذَا التَّأْوِيلُ هُوَ ذَاكَ التَّفْسِيرُ. وَ عَلَى تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ يَعْتَمِدُ
 الشَّافِعِيُّ وَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَ الْبُخَارِيُّ وَ غَيْرُهُمْ. لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَرَضَ الْمُصَحِّفَ عَلَى ابْنِ
 عَبَّاسٍ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ. يَقِفُ مَعَهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ فَيَسْأَلُهُ عَنْهَا. فَإِذَا ذُكِرَ أَنَّهُ
 يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ. إِذَا ذُكِرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ أَوْ إِذَا ذُكِرَ هُوَ أَنَّهُ
 يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ فَالْمُرَادُ بِهِ مَعْرِفَةُ تَفْسِيرِهِ. لَيْسَ كَذَلِكَ. الْمُرَادُ بِالْمُتَشَابِهِ: "الْمُتَشَابِهِ النَّسْبِيِّ" ,
 أَمَّا الْمُتَشَابِهُ الْمَطْلُوقُ كَحَقَائِقِ الصِّفَاتِ وَ حَقِيقَةِ ذَاتِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ حَقَائِقِ مَا
 فِي الْمَعَادِ. هَذِهِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ. الْمُتَشَابِهُ الَّذِي يَعْلَمُهُ مُجَاهِدٌ وَ شَيْخُهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ غَيْرُهُمَا مِنْ
 الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُوَ تَفْسِيرُ الْمُتَشَابِهِ النَّسْبِيِّ الَّذِي يَجْهَلُهُ غَيْرُهُمْ وَ أَمْثَالُهُمْ. هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ
 فِي لُغَةٍ أَوْ فِي اصطلاحِ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ مَعْنَى التَّأْوِيلِ. الثَّالِثُ مِنْ مَعَانِي التَّأْوِيلِ هُوَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي
 يَقُولُ إِلَيْهَا الْكَلَامُ. تِلْكَ الْحَقَائِقُ نَفْسُهَا بِذَوَاتِهَا هِيَ التَّأْوِيلُ. كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْكَفَّارِ

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) أَيُّ جُحُودُهُمْ لآيَاتِ اللَّهِ - تعالى - . يَأْتِي نَتِيجَةُ ذَلِكَ (يقول الذين نسوه من قبل) النسيان هنا بمعنى "التَّرك". الفعل نَسِيَ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَيْنِ وَ كُلٌّ مِنَ الْمَعْنَيْنِ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازَ. نَسِيَ بِمَعْنَى غَفَلَ , النسيان بمعنى الغفلة و الدَّهول. هذا هو المشهور , و النسيان بمعنى التَّرك و الإعراض , الذي هنا بمعنى التَّرك و الإعراض (يقول الذي نسوه من قبل) تركوا و أعرضوا عن ذلك. (قد جاءت رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) يَعْتَرِفُونَ الْآنَ مَا أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ جَحَدُوهُ مِنْ قَبْلُ. هذا هو التَّأويل. ظهورُ هذه الحقيقة هو التَّأويل. فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد. المعاد: مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الْبَعْثِ وَ الْحِسَابِ وَ الْمِيزَانِ وَ الصِّرَاطِ وَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ وَ مَا فِيهِمَا. كُلُّ هَذَا شَأْنُونَ الْمَعَادِ. فَتَأْوِيلُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَخْبَارِ الْمَعَادِ وَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ - تعالى - بِهِ فِيهِ. أَيُّ فِي الْمَعَادِ. مَتَى يَقَعُ مَا يُشَاهِدُهُ الْعِبَادُ بَعْدَ الْبَعْثِ مِنَ الْخَوْضِ وَ هُوَ أَوَّلُ مَوْرِدٍ يَرِدُونَهُ عِنْدَمَا يَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ عِطَاشًا ثُمَّ الْمِيزَانِ وَ الْحِسَابِ وَ مَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ. كُلُّ هَذَا مِنْ أَخْبَارِ الْمَعَادِ. مِنَ الْقِيَامَةِ وَ الْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ وَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ الرَّبُّ - سبحانه و تعالى - أَيُّ هَذِهِ الْحَقَائِقُ هِيَ التَّأْوِيلُ. تأويل أخبار المعاد تلك الحقائق التي سوف يُشَاهِدُهَا الْعِبَادُ وَ لَا يَعْلَمُونَ قَبْلَ ذَلِكَ. قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا اللَّهُ. تِلْكَ الْحَقَائِقُ لَا يَعْلَمُونَهَا وَ قَدْ يَسْمَعُونَ عَنْهَا وَ يَعْرِفُونَ أَسْمَاءَهَا. لَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ تِلْكَ الْحَقَائِقُ حَتَّى يُشَاهِدُوهَا. كَمَا قَالَ الرَّبُّ - سبحانه و تعالى - فِي قِصَّةِ يُوسُفَ لَمَّا سَجَدَ أَبَوَاهُ وَ إِخْوَتُهُ. قَالَ (وَقَالَ يَا أَبَتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ) يَقُولُ يُوسُفُ لِلأُسْرَةِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهُ سَجُودَ تَحِيَّةٍ لَا سَجُودَ عِبَادَةٍ. هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ. مَا هِيَ تِلْكَ الرُّؤْيَا؟ (يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) هَكَذَا رَأَى يُوسُفَ. وَ خَافَ يَعْقُوبَ مِنْ مِمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَى هَذِهِ الرُّؤْيَا. قَالَ لَهُ (يَا بَنِي لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) وَ لَكِنْ كَمَا قِيلَ لَا يَمْنَعُ الْحَذَرُ الْقَدَرُ. وَ قُوَّةُ الْقَدَرِ. مَا خَافَهُ يَعْقُوبُ هُوَ الَّذِي وَقَعَ. كَادَ لَهُ إِخْوَتُهُ كَيْدًا عَظِيمًا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَ لَكِنَّ اللَّهَ كَادَ لَهُ (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) مِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَيْدَيْنِ. بَيْنَ كَيْدِ الْمَخْلُوقِ وَ كَيْدِ الْخَالِقِ. كِلَاهُمَا حَقٌّ. اللَّهُ - سبحانه و تعالى - يَكِيدُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَمَّا كَادَ إِخْوَتُهُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ وَ عَرَضُوهُ

للإهانة و الهلاك. كَادَ اللهُ لَهُ وَحَفِظَهُ وَ مَرَّتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْأَطْوَارُ إِلَى أَنْ جَاءَ يَوْمُ قَوْلِهِ (يا أبتى هذا تاويل رؤياي من قبل) مَا رَأَهُ فِي صِغَرِهِ تَحَقَّقَ الْآنَ. وَقَوْعُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ. سُجُودُ الْأَبْيَوتِ وَ الْإِخْوَةِ هُوَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا. فَجَعَلَ عَيْنَ مَا وُجِدَ فِي الْخَارِجِ وَ هُوَ السَّجُودُ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا. هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِالنَّسْبَةِ لِلْحَقَائِقِ الَّتِي يؤولُ إِلَيْهَا الْكَلَامُ أَوْ هَذَا الْمَعْنَى الثَّالِثُ مِنْ مَعَانِي التَّأْوِيلِ وَ هُوَ مَعْرُوفٌ. فَالتَّأْوِيلُ الثَّانِي فِي تَفْسِيرِ الْكَلَامِ. هُوَ تَفْسِيرُ الْكَلَامِ وَ هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يُفَسَّرُ بِهِ اللَّفْظُ. فَالتَّأْوِيلُ الثَّانِي هُوَ تَفْسِيرُ الْكَلَامِ. يَعْنِي شَرْحٌ لِمَا تَقَدَّمَ وَ هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يُفَسَّرُ بِهِ أَوْ يُفَسَّرُ بِهِ اللَّفْظُ حَتَّى يُفْهَمَ مَعْنَاهُ أَوْ تُعْرَفَ عِلَّتُهُ أَوْ دَلِيلُهُ. الْكَلَامُ نَفْسُهُ هُوَ التَّأْوِيلُ. الْكَلَامُ الَّذِي يُفَسَّرُ الْكَلَامَ الْعَامِضُ فَيُوضِّحُهُ هُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّفْسِيرُ. وَ هُوَ لَعْنَةُ الْمُفَسِّرِينَ كَمَا تَقَدَّمَ. التَّأْوِيلُ الثَّالِثُ هُوَ عَيْنُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ. لَيْسَ هُوَ كَلَامٌ. إِذَا التَّفْسِيرُ. التَّأْوِيلُ الثَّانِي تَفْسِيرُ الْكَلَامِ. كَلَامٌ يُفَسَّرُ كَلَامًا. يُقَالُ لَهُ تَأْوِيلٌ , الثَّالِثُ لَيْسَ هُوَ كَلَامٌ بَلْ عَيْنُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ كَالسَّجُودِ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ وَ مِنْهُ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ -الله- عَنْهَا "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَ سَجُودِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَ يَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي" هَذَا يُسَمَّى تَأْوِيلًا. هَذَا الْعَمَلُ أَيْ تَطْبِيقُ وَ الْعَمَلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ) عَمَلُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَ تَرْجُمُهُ ذَلِكَ عَمَلِيًا كَمَا يُقَالُ. يُعْتَبَرُ تَأْوِيلًا لِهَذِهِ الْآيَةِ وَ تَفْسِيرًا لِهَذِهِ الْآيَةِ. وَ هُوَ لَيْسَ بِكَلَامٍ وَ لَكِنَّهُ عَمَلٌ. إِذَا التَّفْسِيرُ قَدْ يَكُونُ كَلَامًا وَ قَوْلًا وَ قَدْ يَكُونُ عَمَلًا وَ قَدْ يَكُونُ أَعْيَانًا مَوْجُودَةً فِي الْخَارِجِ. هَذَا مُلَخَّصُ التَّأْوِيلِ. كَلَامٌ يُفَسَّرُ كَلَامًا. عَمَلٌ يُفَسَّرُ كَلَامًا وَ أَعْيَانًا مَوْجُودَةً فِي الْخَارِجِ تَوْضِيحُ كَالرُّؤْيَا مَثَلًا. أَوْ كَالرُّؤْيَا. فَإِنَّ نَفْسَ الْفِعْلِ الْمَأْمُورُ بِهِ هُوَ تَأْوِيلُ الْأَمْرِ. تَأْوِيلُ الْأَمْرِ بِهِ. عِنْدَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ اتَّبَاعُهُ "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَ يَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي" هَذَا هُوَ تَأْوِيلُ لِهَذَا الْأَمْرِ وَ هُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ وَ نَفْسُ الْمَوْجُودِ الْمُخْبَرِ عَنْهُ هُوَ تَأْوِيلُ الْخَبَرِ كَأَخْبَارِ الْمَعَادِ كَالْحِسَابِ وَ الْمِيزَانِ وَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ. وَ الْكَلَامُ كُلُّهُ خَبَرٌ وَ أَمْرٌ. الْكَلَامُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: خَبَرٌ وَ أَمْرٌ. وَ لِهَذَا يَقُولُ أَبُو عُبَيْدٍ وَ غَيْرُهُ "الْفُقَهَاءُ أَعْلَمُ بِالتَّأْوِيلِ مِنْ أَهْلِ اللَّغَةِ" هَذَا كَلَامٌ عَظِيمٌ سَيُظْهِرُ مِنَ الْمِثَالِ الْآتِي. الْفُقَهَاءُ أَعْلَمُ بِالتَّأْوِيلِ. تَأْوِيلُ نُصُوصِ الشَّرِيعَةِ بَلْ أَحْيَانًا تَأْوِيلُ حَتَّى الْمَفْرَدَاتِ. إِذَا جَاءَتْ فِي كَلَامٍ

رسول الله عليه الصلاة والسلام أو في كلام الله. الفقهاء أعلم بالتأويل. كما ذكروا ذلك في تفسير "إشتمال الصماء" يقول فيه علماء اللغة. عند العرب إشتمال الصماء أن يشتمل الرجل بثوبه. فيجلل به جسده كله ولا يرفع منه جانباً فيخرج منه يده. معنى يترتب على هذا لو هاجمه أحد يصعب عليه أن يدافع عن نفسه. لأنه حبس يديه تحت الثوب الذي اشتمل به. هذا كل ما يفهمه علماء اللغة من هذا، ولكن علماء الشريعة يفهمون من هذا أن اشتمال الصماء قد يؤدي إلى كشف العورة لذلك هي المصلي أن يشتمل إشتمال الصماء وهو أن يشتمل في ثوب واحد ليس عليه غيره. يعطي جسمه كله و يجلل جسده كله بثوب واحد و يداه في داخل الثوب. وإذا أراد أن يرفع جانباً إنكشفت عورته. هذا المعنى لا يفهمه إلا الفقهاء. إذا مقصد الشارع عندما نهى عن اشتمال الصماء يؤدي ذلك في النهاية إلى كشف العورة. عندما يريد أن يركع أو يسجد أو يتحرك و يرفع هذا الجانب مثلاً على كتفيه تنكشف عورته. هكذا يفهم الفقهاء مقاصد معنى التأويل لإعلمهم لمقاصد الشارع. لأن الفقهاء يعلمون نفس ما أمر به ونفس ما نهى عنه. المأمور به ستر العورة و المنهي عنه كشف العورة و اشتمال الصماء يؤدي إلى كشف العورة، لإعلمهم هذه المقاصد يعلمون معنى اشتمال الصماء أحسن من علماء اللغة. اللغويون لهم اعتبار ولكن بهذا الاعتبار الشرعي الفقهاء أعلم لإعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعلم أتباع بقراط و هو الطبيب اليوناني المعروف و سيبويه شيخ النحويين و نحوهما من مقاصدهم و هم أعرف من غيرهم ما يعني سيبويه عندما يفسم مثلاً الكلام و عندما يبين أحكام الفاعل و أحكام المفعول به و يبين ما هي الحال و ماهو التمييز. يعرفون المقاصد. النحويون و أتباعه أحسن من غيرهم. كذلك بقراط في المسائل الطبية التي بجهلها. لا ما يعلم بمجرد اللغة و لكن تأويل الأمر و النهي. لأبد من معرفته بخلاف التأويل الخبر. تأويل الأمر و النهي لأن العباد منهيون و مأمورون. لأبد من معرفته بخلاف تأويل الخبر. تأويل الخبر قد يعلم و قد لا يعلم. إذا عرف ذلك، نعم. إقرأ.

القارئ: ثم قال رحمه -الله تعالى- (إذا عرف ذلك، فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة الغنية بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به من الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد. ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بحكمه ونؤمن بمتشابهه، لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة، تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحمًا ولبنًا وعسلًا وماء وخمرًا ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظًا ومعنى، ولكن ليس هو مثله، ولا حقيقته كحقيقته، فأسماء الله تعالى وصِفَاتُهُ أُولَى - وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصِفَاتِهِمْ تشابه - أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق، ولا حقيقته كحقيقته).

الشيخ: بَسْن ، قال الشيخ رحمه -الله تعالى- إِذَا عُرِفَ ذَلِكَ كُلِّ الَّذِي تَقَدَّمَ تَمْهِيدٌ وَ تَوَظُّعٌ لتقرير مسائل الصفات و ما يتعلّق بحقيقة الذات و مَا يَتَعَلَّقُ بِحَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ يُقَرَّبُ ذَلِكَ بِالْحَقَائِقِ الَّتِي فِي الْجَنَّةِ. قَالَ إِذَا عُرِفَ ذَلِكَ، فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة الغنية بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه. تأويل ما أخبر الله به عَنْ نَفْسِهِ وَ حَقِيقَتِهِ نَفْسِهِ. هذه الحقيقة لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ. وَ هُوَ أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ -تعالى- وَ يُؤْمِنُونَ بِوُجُودِهِ الْحَقِيقِيِّ لَا الَّذِينَ يَجْعَلُونَ وُجُودَهُ وُجُودًا مُطْلَقًا ذِهْنِيًّا لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ وَ هُمْ الْجَهْمِيَّةُ أَمَّا مَنْ بَعَدَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَ الْأَشَاعِرَةِ وَ الْمَاتَرِيْدِيَةِ يُوَافِقُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةَ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ -سبحانه و تعالى- وَ بِحَقِيقَةِ ذَاتِهِ. وَ لَا يَبْحَثُونَ عَنِ الْكِيفِيَّةِ وَ الْحَقِيقَةِ ، نُقْطَةً مُهِمَّةً يُوَافِقُ فِيهَا جُلُّ أَهْلِ الْكَلَامِ أَهْلَ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ وَ هِيَ الْإِيمَانُ بِحَقِيقَةِ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الْغَنِيِّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ أَنَّ وُجُودَ اللَّهِ وُجُودٌ حَقِيقِيٌّ وَ أَنَّ الْعِبَادَ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الذَّاتِ. هذا محلُّ الإِتِّفَاقِ. لَوْ وُفِّقَ أَهْلُ الْكَلَامِ لَانْطَلَقُوا مِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي حَقَائِقِ الصِّفَاتِ لَقَالُوا فِي الصِّفَاتِ مَا قَالُوا فِي الذَّاتِ. لَمْ يُوَفِّقْ فِي هَذَا إِلَّا السَّلَفُ وَ أَتْبَاعُ السَّلَفِ. هُمُ الَّذِينَ قَالُوا الْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ

فرغ عن الكلام في الذات يحدوا حدوه. أي كما آمنّا بالله - سبحانه و تعالى - و بوجوده الحقيقي و لم نبحت عن الكيفية و لم نحاول تكييف الذات العلية كذلك لا يجوز لنا أن نبحت عن حقائق الصفات و نحاول تكييف الصفات لتكون النتيجة إما تشبيه و إما الإنكار. هذه الحقيقة كما قلنا إتفق جلّ أهل الكلام مع أهل السنة و الجماعة.

هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات وتأويل ما أخبر الله به من الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد. العذاب و النعيم و ما سيحري في الآخرة هي تلك الحقائق. تأويل الوعد و الوعيد. و لهذا ما يجيئ في الحديث نعمل بمحكمه الواضح الذي لا لبس فيه و لا غموض و نؤمن بمتشابهه. إذا كان هناك متشابه لا يظهر معناه جلياً إلا للراسخين نؤمن. فنقول آمنا برسول الله عليه الصلاة و السلام و بما جاء به رسول الله على مراد رسول الله عليه الصلاة و السلام. و نؤمن بمتشابهه لأن ما أخبر الله به عن نفسه و عن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا. تشبه المعاني. قد تكون المعاني متفقة و الألفاظ متحدة و المعاني العامة متفقة و الحقائق تختلف. كما أخبر أن في الجنة لحماً و لبناً و عسلاً و ماءً و خمرًا. هذه حقائق. لها معانٍ و حقائق نعلمها في الدنيا و لها في الجنة معانٍ و حقائق لا نعلمها كما قال عبدالله بن عباس ليس في الدنيا عماً في الجنة إلا الأسماء. لبنٌ لبنٌ. خمرٌ خمرٌ. عسلٌ عسلٌ. لكن حقيقة ذاك العسل ليس كحقيقة العسل الذي عندنا. الذي نعلمه نعلم مادته. من أين يصدر. و هذه الكمية الضئيلة ليست كتلك الأنهار. هناك أنهار من عسل و أنهار من خمر و أنهار من لبن. من أين هذه الأنهار؟! من أين تمد؟! ما مادتها؟! ما حقيقتها؟! مجرد الإتفاق في الاسم و المعنى العام أما الحقائق فتختلف. هذا من المتشابهة , و هذا يشبه ما في الدنيا لفظاً و معنى. لفظاً: لبنٌ لبنٌ , المعنى: هي المادة الخلوّة السائلة. لكن تلك المادة من أي شيء؟ و ما مدى حلاوة تلك المادة؟ لا نعلم. لكن ليس هو مثله. و لا حقيقته كحقيقته. فإذا كانت المخلوقات تتفق في الأسماء و في المعنى العام و تختلف حقائقها. فكيف يقال إذا اتفقت صفات الله - تعالى - مع صفات خلقه في الاسم و في المعنى العام. علمٌ بعلم. سمعٌ بسمع. و استواءٌ باستواء , كيف

يُقَالُ لا بدّ أن يكون العلم كالعلم و السمع كالسمع و الإستواء كالإستواء و النزول كالنزل !!! مستحيل. و قد ثبت في المخلوقات. مخلوقات تتفق في الاسم و المعنى و تختلف في الحقائق و هذا أمر واضح. إذا لا يستبعد أن تتفق صفات الله مع صفات خلقه في المعنى العام في الاسم وفي المعنى العام و تختلف الحقائق. إن النصوص "نصوص الصفات" إنما تتحدث عن صفات الله - تعالى - فإذا آمنت بأن الله في ذاته لا يشبه المخلوقات ثم حدث الله عن نفسه و وصف نفسه بنفسه بالصفات. يجب أن يفهم العاقل إن تلك الصفات تُخالف صفات المخلوقين لأن الله في ذاته يُخالف المخلوقين إذا يجب أن تُخالف صفاته صفات المخلوقين. لا يحد عنك مجرد الاتفاق في الاسم و المعنى العام. أنظر إلى الإضافة (الرحمن على العرش استوى) إنما أخبرنا عن استوائه. "ينزل ربنا". إنما أخبرنا النبي عليه الصلاة و السلام عن نزول الرب لا عن النزول العام و لا عن الإستواء العام. (و جاء ربك) إنما أخبر عن مجيئه الخاص. إذا ذلك المحيى و ذلك الإستواء و ذلك النزول حقائقه خاصة لا نعلم كنهها كما لم نعلم كنه الذات العلية. هذه هي الحقيقة و هذا هو الإيمان و هذه هي معرفة الرب - سبحانه و تعالى - . يجب أن يعرف العباد ربهم بهذه الطريقة. أي بأنه كما هو مُخالف لمخلوقاته في ذاته فهو مُخالف لجميع مخلوقاته في أسمائه و صفاته , و بالله التوفيق .

الدرس رقم : 23

القارئ: قال شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يُعبّر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد، ويُعلم بما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد، مع العلم بالفارق المميّز، وأنّ ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يُعلم في الشاهد، وفي الغائب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فنحن إذا أخبرنا الله بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار، علمنا معنى ذلك وفهمنا ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب، وفسرنا ذلك. وأما نفس الحقيقة المخبر عنها، مثل التي لم تكن بعد، وإنما تكون يوم القيامة، فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله . ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله -تعالى- : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} قالوا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان. فبيّن أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة، ومثل هذا يوجد كثيرا في كلام السلف والأئمة .)

الشيخ: بسن ، الحمد لله و الصلّاة و السّلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- فأسماء الله -تعالى- و صفاته أولى. بعد أن تحدّث شيخ الاسلام عن نعيم الجنة و أنّها إنّما تتفق مع ما في الدنيا في الإسم و المعنى العام و حقيقة نعيم الجنة غير حقيقة نعيم الدنيا. حقيقة اللبّ هناك غير حقيقة اللبّ في الدنيا و حقيقة الماء و حقيقة العسل إلى غير ذلك. قال فأسماء الله تعالى و صفاته أولى. إذا تبيّن الاختلاف في الحقيقة بين الشاهد و بين الغائب المراد بالغائب نعيم الآخرة و ما في الجنة و النار و ما فيها أيضا. فأسماء الله تعالى و صفاته أولى و إنّ كان بينها و بين أسماء العباد و صفاتهم تشابه. أي تشابه في الإسم و المعنى العام. عليهم مع العليم. السمع مع السمع مثلاً. و القدرة مع القدرة و الاستواء مع الاستواء. التشابه و الاشتراك يحصل بين

صِفَاتِ الرَّبِّ - سبحانه و تعالى - و صِفَاتِ خَلْقِهِ. لَكِنْ هَذَا الْإِشْتِرَاكُ هُوَ اشْتِرَاكٌ فِي الْإِسْمِ و "المعنى العام" كَمَا تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ. فَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَثُبُوتُ التَّبَاطُؤِ فِي الْحَقِيقَةِ بَيْنَ صِفَاتِ -الله تعالى- و صِفَاتِ خَلْقِهِ. وَ إِنِ حَصَلَ الْإِشْتِرَاكُ فِي الْإِسْمِ وَ الْمَعْنَى الْعَامِ وَ ذَلِكَ أَوَّلَى. نُرِيدُ بِالْمَعْنَى الْعَامِ: الْمَعْنَى الَّتِي يَحْصُلُ فِيهِ الْإِشْتِرَاكُ قَبْلَ تَخْصِيسِ الصِّفَاتِ بِالْإِضَافَةِ وَ يُسَمَّى "المطلق الكلي" وَ المطلق الكلي , نُكْرِرُ هَذِهِ النِّقْطَةَ لِأَهْمِيَّتِهَا: الْمَطْلُوقُ الْكُلِّي لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الذَّهْنِ. أَيْ السَّمْعُ الْمَطْلُوقُ وَ الْبَصَرُ الْمَطْلُوقُ وَ الْعِلْمُ الْمَطْلُوقُ وَ الْإِسْتِوَاءُ الْمَطْلُوقُ إِلَى آخِرِهِ لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الذَّهْنِ. وَمَا فِي الْخَارِجِ مُحْتَضَرٌ. كُلُّ مَا فِي خَارِجِ الذَّهْنِ فَهُوَ مُحْتَضَرٌ , وَ هَذَا الْاِخْتِصَاصُ يَقَعُ بِالْإِضَافَةِ. لِذَلِكَ نُصَوِّصُ الصِّفَاتِ إِنَّمَا تَتَحَدَّثُ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ -تعالى- الْمُضَافَةِ إِلَيْهِ لِذَلِكَ لَا يَحْصُلُ الْإِشْتِرَاكُ أَبَدًا بَيْنَ صِفَاتِ اللَّهِ وَ بَيْنَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ. إِذَا قَالَ تَعَالَى (الرحمن على العرش استوى) وَ إِذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ "يَنْزِلُ رَبَّنَا" وَ إِذَا قَالَ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- (وَيَقْبَى وَجْهَ رَبِّكَ) تَجِدُ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا مُضَافَةً إِلَى اللَّهِ. إِذَا الْآيَاتُ وَ النَّصُوصُ كُلُّهَا تَتَحَدَّثُ عَنِ الصِّفَاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِاللَّهِ. لَا يَحْصُلُ الْإِشْتِرَاكُ أَبَدًا بَعْدَ هَذِهِ الْإِضَافَةِ. وَ إِنَّمَا يَحْصُلُ الْإِشْتِرَاكُ لَوْ أُطْلِقَتِ الصِّفَاتُ. لَوْ أُطْلِقَ الْإِسْتِوَاءُ وَ النَّزُولُ وَ السَّمْعُ وَ الْبَصَرُ وَ الْعِلْمُ وَ الْقُدْرَةُ مَثَلًا قَبْلَ أَنْ تُضَافَ هَذِهِ الصِّفَاتُ إِلَى الْخَالِقِ -سبحانه- وَ قَبْلَ أَنْ يُضَافَ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَى الْمَخْلُوقِ يَحْصُلُ الْإِشْتِرَاكُ فِي هَذَا الْمَطْلُوقِ الْكُلِّي أَوْ بِعِبَارَةٍ أَقْرَبُ فِي هَذَا الْمَعْنَى الْعَامِ الَّتِي لَمْ يُخَصَّصْ بِالْإِضَافَةِ , وَ أَمَّا بَعْدَ تَخْصِيسِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى بِاللَّهِ بِالْإِضَافَةِ وَ بَعْدَ تَخْصِيسِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ بِالْمَخْلُوقِ أَيْضًا بِالْإِضَافَةِ لَا يَحْصُلُ الْإِشْتِرَاكُ بَيْنَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَ صِفَاتِ خَلْقِهِ بِمَعْنَى يُنَزَّهُ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- أَنْ يُشَارِكُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي خَصَائِصِ صِفَاتِهِ. صِفَاتُهُ تَلِيْقُ بِهِ. خُصُوصًا الصِّفَاتُ الدَّائِيَّةُ لِأَنَّهَا صِفَاتٌ قَدِيمَةٌ قَدَمَ الدَّاتِ وَ لَمْ تُوجَدْ بَعْدَ أَنْ تَكُنْ¹ بَلْ قُدْرَتُهُ قَدِيمَةٌ وَ سَمْعُهُ قَدِيمٌ وَ بَصَرُهُ قَدِيمٌ وَ عِلْمُهُ قَدِيمٌ قَدَمَ الدَّاتِ. وَ صِفَاتُ الْمَخْلُوقِينَ وَجِدَتْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ. هُمْ أَنْفُسُهُمْ

¹ قلت أي الجزائري : طبعًا الشيخ يقصد : "بعد أن لم تكن" .

وَجِدُوا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا فَصِفَاتُهُمْ مِنْ بَابِ أُولَى. فَصِفَاتُ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- في غاية الكمال لا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنَ النِّقْصِ. عِلْمُ اللَّهِ عِلْمٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ بِهَذَا يُخَالِفُ عِلْمَ الْمَخْلُوقِ. عِلْمُ اللَّهِ عِلْمٌ قَدِيمٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ لَا يَطْرُقُ عَلَيْهِ غَفْلَةٌ وَ لَا نِسْيَانٌ وَ لَا ذَهَابٌ وَ قِسْنٌ عَلَى ذَلِكَ سَائِرِ الصِّفَاتِ. كَذَلِكَ اسْتَوَاءُ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- لَا يَلْزَمُ مِنْهُ حَاجَةُ اللَّهِ إِلَى الْعَرْشِ لِأَنَّ اللَّهَ مِنْ صِفَاتِهِ الْغِنَى. الْغِنَى وَصَفٌ ذَاتِيٌّ لِلَّهِ كَمَا تَقَدَّمَ وَ قِسْنٌ عَلَى ذَلِكَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ أَيْضًا.

لِذَلِكَ يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله- فَأَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَ صِفَاتُهُ أُولَى وَ إِنْ كَانَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَسْمَاءِ الْعِبَادِ وَ صِفَاتِهِ تَشَابُهٌ عَلَى مَا وَصَفْنَا وَ شَرَحْنَا الْآنَ. أَلَّا يَكُونَ لِأَجْلِهَا الْخَالِقُ مِثْلَ الْمَخْلُوقِ وَ لَا حَقِيقَتُهُ كَحَقِيقَتِهِ. لِأَجْلِ هَذَا الْإِشْتِرَاكُ فِي الْإِسْمِ الْعَامِ. فِي الْإِسْمِ وَ الْمَعْنَى الْعَامِ لَا يَكُونُ لِأَجْلِهَا الْخَالِقُ مِثْلَ الْمَخْلُوقِ. أَيْ لَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا الْإِشْتِرَاكِ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ سَبْحَانَهُ كَالْمَخْلُوقِ وَ لَا حَقِيقَتُهُ كَحَقِيقَةِ الْمَخْلُوقِ. لِلْمَخْلُوقِ حَقِيقَةٌ وَ لِلْخَالِقِ حَقِيقَةٌ وَ الْحَقَائِقُ تَخْتَلِفُ. حَتَّى فِي الْمَخْلُوقِ تَخْتَلِفُ الْحَقَائِقُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ. وَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْغَائِبِ كَنَعِيمِ الْجَنَّةِ وَ أَخْبَارِ الْمَعَادِ كُلِّهَا. وَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْغَائِبِ لَا يُفْهَمُ إِنْ لَمْ يُعْبَرْ عَنْهُ بِالْأَسْمَاءِ الْمَعْلُومَةِ. بِالْأَسْمَاءِ الْمَعْلُومَةِ مَعَانِيهَا فِي الشَّاهِدِ. لَوْ لَمْ نَعْلَمْ مَعْنَى اللَّبَنِ وَ الْعَسَلِ وَ الْخَمْرِ فِي الدُّنْيَا مَا كُنَّا نَتَصَوَّرُ ذَلِكَ الْغَائِبِ أَيْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ. إِنَّمَا تَصَوَّرْنَا وَ عَرَفْنَا أَنَّ الْعَسَلَ غَيْرَ الْخَمْرِ وَ أَنَّ الْمَاءَ غَيْرَ اللَّبَنِ لِتَصَوَّرْنَا هَذِهِ الْمَعَانِي فِي الْحَاضِرِ وَ الْمَشَاهِدِ عِنْدَنَا وَ يُعْلَمُ بِهَا مَا فِي الْغَائِبِ بِوَسِطَةِ الْعِلْمِ بِمَا فِي الشَّاهِدِ. بِوَسِطَةِ عِلْمِنَا بِمَا هُوَ شَاهِدٌ عِنْدَنَا مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا مَعَ الْعِلْمِ بِالْفَارِقِ الْمُمَيِّزِ. الْفَارِقُ الْمُمَيِّزُ هَذَا شَيْءٌ وَاضِحٌ. إِذْ تَقَدَّمَ بَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا مِنْ نَعِيمٍ مَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ. لَبَنٌ مَعَ اللَّبَنِ. مَاءٌ مَعَ الْمَاءِ. الْعَسَلُ مَعَ الْعَسَلِ. لَكِنَّ الْحَقَائِقَ تَخْتَلِفُ وَ أَنَّ مَا أَحْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْغَيْبِ أَعْظَمُ مِمَّا يُعْلَمُ فِي الشَّاهِدِ. إِذَا كَوْنُنَا نَقِيسُ وَ نَفْهَمُ عَنِ الْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ مِنْ بَابِ التَّقْرِيبِ فَقَطْ وَ إِلَّا مَا أَحْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْغَيْبِ أَعْظَمُ مِمَّا يُعْلَمُ فِي الشَّاهِدِ. يُرِيدُ أَنْ يُوضَّحَ هَذَا الْمَعْنَى فَيَقُولُ الشَّيْخُ وَفِي الْغَائِبِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. فِي الْغَائِبِ. يَقُولُ اللَّهُ -سبحانه و تعالى- فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ

"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر" هذا حديثٌ قُدسيٌّ يرويهِ رسولُ -الله- صلى الله عليه و سلم عن الله. فليَتأملَ الذين كانوا يسألون عن الحديثِ القُدسي. و هلَ القائلُ هذا القولُ هوَ الله أو رسول الله عليه الصلاة و السلام؟ "أعددت لعبادي الصالحين" هذا كلامُ الله. "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر" هذا الكلامُ كُلُّهُ لفظُهُ و معناه مِنْ عِنْدِ الله. الله هوَ الذي قالَهُ كَمَا قالَ في القرآنَ لاَ فَرَقَ بَيْنَ هذا الكلامِ و بَيْنَ القرآنِ إلَّا في الفوارقِ التي ذَكَرناها. أيَّ إنَّ هذه الألفاظَ مِنْ كلامِ الله و المعاني مِنْ كلامِ الله. فَرَقَ بَيْنَ هذا و بَيْنَ قولِ النَّبيِّ عليه الصَّلَاة و السَّلَام مثلاً "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله" الحديث. الفرقُ وَاضِحٌ. الذي يَقولُ "بني الإسلام على خمس" هو رسول الله عليه الصَّلَاة و السلام. و لكنَّهُ قالَ ذلكَ بِوَحْيٍ مِنْ الله. الله أوحى إليه هذه المعاني فأخبرَ عنها و عبَّرَ عنها بعبارةٍ نَبَوِيَّةٍ مِنْ عِنْدِهِ. لَكِنَّ الذي يَقولُ "أعددت لعبادي الصالحين" إلى آخره هوَ الله سبحانه. فَلْنَعُدْ ذِكْرَ الفوارقِ لألَّا يَلْتَبَسَ الأمرُ على مَنْ لَمْ يَحْضُرْ سابقاً. الفوارقُ: إنَّ الأحاديثَ القُدسيَّةَ لاَ يُتَعَبَّدُ بِهَا بِخِلَافِ القرآن. القرآن مُتَعَبَّدٌ بِتِلَاوَتِهِ. مَنْ قرَأ القرآنَ و لو كَانَ لاَ يَفْهَمُ المعنى. لو قرَأ أعجميٌّ لاَ يَفْهَمُ معاني ما يَقْرَأُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةً. و لَكِنَّ الأحاديثَ القُدسيَّةَ لاَ يُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهَا. الأحاديثُ القُدسيَّةَ لاَ تَصِحُّ بِهَا الصَّلَاة. الصَّلَاة لا تَصِحُّ إلَّا بالقرآن. الأحاديثُ القُدسيَّةُ لاَ يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ متواترةً كُلَّهَا. مِنْهَا ما هوَ مُتَوَاتِرٌ و مِنْهَا ما هوَ آحادٌ. الأحاديثُ القُدسيَّةَ ليست مُعْجِزة و لا هوَ مُتَحَدِّداً بِهَا بِخِلَافِ القرآن. بهذه الفوارقِ تُفَارِقُ الأحاديثُ القُدسيَّةَ القرآن. أَوْضَحَ ذلكَ العلامةُ ابنُ القَيِّمِ رحمه -الله تعالى- هذا بالإِسْطِطْرَادِ. و بَعْدُ. فَتَحْنُ إِذَا أَخْبَرَنَا اللهُ بِالْغَيْبِ الذي اخْتَصَّ بِهِ في الجَنَّة. لَكُم نُسْخَةٌ مِنَ الجَنَّةِ أو في الجَنَّة أَفْصَحُ؟¹ فَتَحْنُ إِذَا أَخْبَرَنَا اللهُ بِالْغَيْبِ الذي اخْتَصَّ اللهُ بِهِ في الجَنَّة. في

¹ سؤال من الشيخ لطلابه .

الجنة و النار. عَلِمْنَا مَعْنَى ذَلِكَ. إِذَا أَحْبَبْنَا اللَّهَ عَنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَ عَذَابِ النَّارِ. عَلِمْنَا ذَلِكَ. هذا الغيب الذي اختصَّ به. عَلِمْنَا مَعْنَى ذَلِكَ وَ فَهَمْنَا مَا أُرِيدَ مِنَّا فَهْمُهُ بِذَلِكَ الْخِطَابِ. وَ فَسَّرْنَا ذَلِكَ لِلنَّاسِ إِذَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ. وَ رُبَّمَا تَرَجَّمْنَا إِلَى غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ إِنْ كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى التَّرْجَمَةِ. وَ أَمَّا نَفْسُ الْحَقِيقَةِ الْمُخْبِرِ عَنْهَا. حَقِيقَةُ الْعَسَلِ. حَقِيقَةُ اللَّبَنِ. حَقِيقَةُ الْحَمْرِ. وَ حَقِيقَةُ الذَّهَبِ هُنَاكَ. مِثْلُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ بَعْدُ. إِنَّمَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. أَيْ كَالْوَعْدِ وَ الْوَعِيدِ. الْحِسَابِ وَ الْمِيزَانِ وَ الصِّرَاطِ. مَعْنَى قَوْلِهِ مِثْلُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ بَعْدُ. لَمْ تَكُنْ بَعْدُ فِي عِلْمِنَا وَ هِيَ مَوْجُودَةٌ بِالْفِعْلِ. الْجَنَّةُ وَ نَعِيمُهَا. النَّارُ وَ نَعِيمُهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ قَبْلُ. وَ لَكِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي عِلْمِنَا لِأَنَّنَا لَمْ نُشَاهِدْهَا. لَمْ نُشَاهِدِ الصِّرَاطَ وَ الْمِيزَانَ وَ مَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ بَعْدُ. هَذَا مَعْنَى لَمْ تَكُنْ أَيْ فِي عِلْمِنَا وَ مُشَاهَدَتِنَا وَإِلَّا فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ مَوْجُودَةٌ مَخْلُوقَةٌ. وَ لِهَذَا لَمَّا سُئِلَ مَالِكٌ وَ غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ. مِنْ هُنَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْخُذَ تَعْرِيفَ السَّلَفِ. إِنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ دَاخِلُونَ فِي السَّلَفِ لِأَنَّ مَالِكًا لَيْسَ مِنَ التَّابِعِينَ وَ لَكِنَّهُ مِنَ تَابِعِي التَّابِعِينَ. يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَ لِهَذَا لَمَّا سُئِلَ مَالِكٌ وَ غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) أَيْ لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ الْاسْتِوَاءِ لَا عَنْ مَعْنَى الْاسْتِوَاءِ. السُّؤَالُ عَنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ مَعَانِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَارِدٌ وَ جَائِزٌ. مَنْ لَمْ يَفْهَمْ لَهُ أَنْ يَسْأَلَ. لَكِنَّ الَّذِي لَا يَجُوزُ السُّؤَالُ عَنْ الْكَيْفِيَّةِ. وَلِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) أَيْ سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ الْاسْتِوَاءِ. لِأَنَّ السَّائِلَ قَالَ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كَيْفَ اسْتَوَى؟ وَ لَمْ يَقُلْ مَا مَعْنَى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)؟ لَوْ سُئِلْتُ مَا مَعْنَى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ (يَنْزِلُ رَبَّنَا) تُفَسِّرُ. التَّفْسِيرُ وَارِدٌ. السُّؤَالُ وَارِدٌ وَ التَّفْسِيرُ وَارِدٌ. لَيْسَ هُنَا ابْتِدَاعٌ. وَ لَكِنَّ الْإِبْتِدَاعَ أَنْ تَسْأَلَ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كَيْفَ اسْتَوَى؟ "يَنْزِلُ رَبَّنَا" كَيْفَ يَنْزِلُ؟ (وَجَاءَ رَبَّكَ) كَيْفَ يَجِيئُ؟ السُّؤَالُ بِكَيْفٍ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ بِدَعَاةٍ. وَ مَنْ سَأَلَ بِكَيْفٍ بَاحِثًا عَنْ كَيْفِيَّةِ صِفَاتِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- يُقَالُ لَهُ إِبْتِدَاعٌ. إِنْ كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ تَقْتَضِي الْإِخْرَاجَ مِنَ الْمَجْلِسِ أُخْرِجَ وَ إِنْ كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ إِبْقَاءَهُ فِي الْمَجْلِسِ لَيْسَتْفِيدَ وَ يَتَعَلَّمُ أُبْقِيَ. الشَّاهِدُ يُنْكَرُ عَلَيْهِ. كُلٌّ مِنْ

سأل عن صفات الرب - سبحانه و تعالى - بِكَيْفٍ يُنَكَّرُ عَلَيْهِ. وَ مَنْ سَأَلَ عَنْ سِرِّ الْقَدَرِ بِلِمَاذَا؟ وَ لِمَا؟ لِمَا فَعَلَ هَذَا؟ لِمَا أَغْنَى فَلَانًا وَأَفْقَرَ فَلَانًا؟ لِمَا أَسْعَدَ فَلَانًا وَ أَشَقَّى فَلَانًا؟ مَنْ سَأَلَ هَذَا السُّؤَالَ يُنَكَّرُ عَلَيْهِ. يُقَالُ لَهُ الْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ فَلَا نَكْشِفُهُ وَ لَا يَجُوزُ السُّؤَالُ فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ لِمَا وَلِمَاذَا؟ بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تُسَلِّمَ وَ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يُخْطِئُكَ أَبَدًا وَ مَا أَخْطَأَكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يُصِيبُكَ أَبَدًا. هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ وَ هَذَانِ السِّرَانِ يَنْبَغِي التَّحَقُّقُ مِنْهُمَا "السِّرُّ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ السِّرِّ فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ". قَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَ الْكَيْفُ مَجْهُولٌ. الْكَيْفُ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ أَيُّهَا السَّائِلُ بِمَجْهُولٍ لِلْعِبَادِ جَمِيعًا. وَ الْإِيمَانُ بِالْإِسْتِوَاءِ وَاجِبٌ. تَصَدِيقًا بِخَبَرِ اللَّهِ. يَجِبُ أَنْ تُؤْمِنَ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ وَ لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تُأَوَّلَ فَتَقُولَ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ: الْمَلِكُ وَ السُّلْطَانُ الْهِمْنَةُ. هَذَا تَحْرِيفٌ مِنْ تَفْسِيرِ الْأَشَاعِرَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ. وَ السُّؤَالُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ بِدَعَا لَأَنَّهُ تَدْخُلُ فِيهَا لَا يَعْنِيكَ وَ فِي مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ عِلْمُكَ وَ لَمْ تُؤْتَى أَنْتَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا وَ لَا تُحَاوِلُ أَنْ تُحِيطَ بِاللَّهِ - سبحانه و تعالى - وَ لَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا. وَ كَذَلِكَ قَالَ رِبْعَةُ شَيْخُ مَالِكٍ قَبْلَهُ وَ فِي ثُبُوتِ هَذَا الْأَثَرِ عَنْ رِبْعَةَ نَظَرٌ وَ خِلَافٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ. إِنَّ صَحَّ هَذَا كَلَامُهُ الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَ الْكَيْفُ مَجْهُولٌ وَ مِنَ اللَّهِ الْبَيَانُ وَ عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ. كَلَامٌ فِي غَايَةِ الرَّوْعَةِ. سَوَاءٌ صَحَّ أَوْ لَمْ يَصِحَّ الْمَعْنَى صَحِيحٌ , مِنَ اللَّهِ الْبَيَانُ. اللَّهُ بَيِّنٌ , وَ مِنَ الرَّسُولِ الْبَلَاغُ. فَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ بَلَّغَ. مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْإِيمَانُ وَ الْاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ فِي خَبَرِهِمَا لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْغَيْبِ. مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ. مُحَاوَلَةُ الْإِحَاطَةِ مُحَاوَلَةٌ فَاشِلَةٌ. فَبَيِّنَ أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ مَعْلُومٌ أَيْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى. مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ مَعْلُومٌ وَ أَنَّ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ مَجْهُولَةٌ وَ أَنَّ الْبَحْثَ عَنْ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ الْمَجْهُولَةِ بِدَعَا , نَعَمْ .

القارئ: ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - (ومثل هذا يوجد كثيرا في كلام السلف والأئمة، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله، فلا يعلم ما هو إلا هو. وقد

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) وهذا في صحيح مسلم وغيره، وقال في الحديث الآخر: (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك). وهذا الحديث في المسند وصحيح أبي حاتم. وقد أخبر فيه أن الله من الأسماء ما استأثر به في علم الغيب عنده، فمعاني هذه الأسماء التي استأثر الله بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره. والله - سبحانه وتعالى - أخبرنا أنه عليم، قدير، سميع، بصير، غفور، رحيم، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته؛ فنحن نفهم معنى ذلك، ونميز بين العلم والقدرة، وبين الرحمة والسمع والبصر، ونعلم أن الأسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله، مع تنوع معانيها، فهي متفقة متواطئة من حيث الذات، متباينة من جهة الصفات).

الشيخ: بسن، قال الشيخ رحمه -الله تعالى- و مثل هذا يوجد كثيراً في كلام السلف و الأئمة مثل كلام الإمام مالك و شيخه ربيعة. كثيراً في كلام السلف و الأئمة ينفون علم العباد بكيفية صفات -الله تعالى- و أنه لا يعلم كيف الله إلا الله. و لا يعلم كيف هو إلا هو. هذا ما أجمع عليه السلف. فينبغي الوقوف عند هذا الإجماع. تقدم أن قلنا هذه الصفات بالنسبة لصفة العلو. صفة ثبتت بالكتاب و السنة و الإجماع و بالعقل الصريح السليم و بالفطرة السليمة و لا يجوز مخالفة هذا الأمر الذي أجمع عليه السلف. يجب اعتقاد بأن الله يدعى من فوق. و ليس معنى أنه في السماء أنه تحيط به السماوات كما تقدم غير مرة. بل هو في العلو. و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" مهما عدّ العباد نعمة الرب - سبحانه و تعالى- و يثنون عليه بجميع تحاميد و بجميع الألفاظ التي يملكونها لا يحصون ثناء على الله "أنت كما أثنيت على نفسك" إعرافاً بالعجز. و العجز عن الإدراك إدراك. هكذا يقال. العجز عن الإدراك إدراك. العبد الذي عرف قدره و أنه لم يؤت من العلم إلا قليلاً و أدرك عجزه عن الإحاطة بالله و بأسمائه و صفاته و الثناء عليه هو الذي أدرك و هو العالم. لا الذي يحاول الإدراك و الإحاطة , و

هذا في صحيح مسلم وغيره و قَالَ في الحديث الآخر "اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ إِسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ أُنْزِلَتْهُ فِي كِتَابِكَ" حَتَّى عِلِمَ عِبَادُكَ أَسْمَاءَكَ مِنْ كِتَابِكَ "أَوْ عَلِمَتْهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ" كَائِنًا مَنْ كَانَ. وَ لَا نَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا. (أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ" هذا محلُّ الشَّاهِدِ مِنَ الْحَدِيثِ "أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ" أَسْمَاءٌ لَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَ هَذَا لَا يُنَافِي الْحَدِيثَ الْمَشْهُورَ "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَ تِسْعِينَ إِسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ" هَذَا الْحَدِيثُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ إِلَّا هَذَا الْعَدَدُ. بَلْ هَذَا الْعَدَدُ لَهُ خَاصِيَّةٌ مِنْ خَاصِيَّةِ هَذَا الْعَدَدِ. مَنْ أَحْصَاهَا وَ فَهِمَ مَعَانِيَهَا وَ تَعَبَّدَ بِهَا وَ عَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. بِخِلَافِ الْأَسْمَاءِ الْأُخْرَى. وَ لِلَّهِ أَسْمَاءٌ لَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ. "أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ" لِأَنَّهَا مِنَ الْكَمَالَاتِ. وَ كَمَالَاتُ اللَّهِ -تعالى- لَا يُحَاطُ بِهَا. الْعِبَادُ لَا يُحِيطُونَ بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ بِجَمِيعِ كَمَالَاتِهِ لِأَنَّ عِلْمَهُمْ قَلِيلٌ. وَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْمُسْنَدِ وَ صَحِيحِ أَبِي حَاتِمٍ وَ قَدْ أَخْبَرَ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ مِنْ الْأَسْمَاءِ مَا اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ. فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ. فَمَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهَا فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى بَلْ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ وَ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ , نَعَمْ , وَ -الله سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- أَخْبَرَنَا أَنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ. فَنَحْنُ نَفْهَمُ مَعْنَى ذَلِكَ. لَا نَدَّعِي أَنَّنَا لَا نَفْهَمُ مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَ نَدَّعِي التَّفْوِيزَ. أَنَّنَا نُفَوِّضُ عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ بَلْ نَعْلَمُ مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَ مَعَانِي الصِّفَاتِ. عِلْمُ مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَ عِلْمُ مَعَانِي الصِّفَاتِ هَذَا أَمْرٌ ضَرْوِيٌّ فِطْرِيٌّ. يُعْلَمُ مِنْ وَضْعِ الْكَلِمَةِ. وَ لَكِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي نُفَوِّضُ غَيْرَ هَذَا. التَّفْوِيزُ تَفْوِيزُ الْكَيْفِيَّةِ وَ الْحَقِيقَةِ وَ الْكُنْهَةِ. هُنَا تَفْوِيزَانِ: تَفْوِيزٌ هُوَ مِنْ مَنَهِجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ وَ هُوَ تَفْوِيزُ الْكَيْفِيَّةِ وَ الْحَقِيقَةِ وَ الْكُنْهَةِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ. مَعْرِفَةُ مَعْنَى عَلِيمٍ قَدِيرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ إِلَى آخِرِهِ. وَ التَّفْوِيزُ الْمَذْمُومُ. دَعَايَ مَنْ يَدَّعِي بِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ مِنْ مَعَانِي النَّصُوصِ. لَا يَفْهَمُ مَعَانِيهَا. لَا يَفْهَمُ مَعَانِي نصوصِ الصِّفَاتِ. يُفَوِّضُهَا إِلَى اللَّهِ بِدَعَايَ يَحْتَمِلُ لَوْ أَثْبَتْنَا لَوْ ادَّعَيْنَا الْمَعْنَى أَنَّ نَقَعَ فِي التَّشْبِيهِ !. لِذَلِكَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ: وَكَلَّ نَصٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ أَوْ فَوَّضَ وَ رُمَّ تَنْزِيهَاً.

نُصُوصَ الصِّفَاتِ حَدَّدُوا مَوْقِفَهُمْ مِنْهَا إِمَّا التَّأْوِيلَ وَ هُوَ التَّحْرِيفُ كَمَا تَقَدَّمَ أَيْ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ وَ الْخُرُوجُ بِاللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى الرَّاجِحِ بِدَلِيلٍ يُدَّعَى كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ. وَ هَذَا قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ. كَأَنَّهُ يَقُولُ أَنَا الَّذِي أَعْلَمُ مُرَادَ اللَّهِ وَ مَنْ قَبْلِي. النَّبِيُّ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ أَصْحَابُهُ وَ السَّلَفُ جَمِيعًا لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَ اللَّهِ وَأَنَا الَّذِي أَفْهَمُ أَيَّهَا الْخَلْفُ مَعَانِي هَذِهِ الصِّفَاتِ أَيْ بِالتَّحْرِيفِ. مُرَادُ اللَّهِ خِلَافُ هَذَا الظَّاهِرِ. شَيْءٌ آخَرَ وَ ذَلِكَ الشَّيْءُ يُعْلَمُ بِدِرَاسَةِ فُرُوعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَ خُصُوصًا الْبَلَاغَةِ حَتَّى يُخْرِجُوا مَعَانِي غَرِيبَةً مِنْ هَذِهِ النَّصُوصِ. فَأَوَّلُهُ بِهَذَا الْمَعْنَى أَوْ فَوَّضَ وَ رُمَّ تَنْزِيهَا أَوْ ادَّعَى بِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ هَذِهِ الْمَعَانِي. الْأَمْرُ مُفَوَّضٌ إِلَى اللَّهِ , أَيْ تَجَاهَلُ. يَتَجَاهَلُ الْمَرْءُ أَنَّهُ يَجْهَلُ مَعْنَى اسْتَوَى وَ مَعْنَى نَزَلَ وَ مَعْنَى جَاءَ وَ مَعْنَى الْعِلْمِ وَ مَعْنَى السَّمْعِ إِلَى آخِرِهِ. هَذَا مَوْقِفُهُمْ. وَ مَوْقِفُ خَطِيرٍ. خُرُوجٌ عَلَى الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ. نَعْلَمُ مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ. فَنَحْنُ نَفْهَمُ مَعْنَى ذَلِكَ وَ نُمَيِّزُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ مِنْ فَهْمِنَا لِمَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ نَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ غَيْرَ الْقُدْرَةِ وَ أَنَّ الرَّحْمَةَ غَيْرَ السَّمْعِ وَ أَنَّ الْبَصَرَ غَيْرَ الْعِلْمِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ. وَ نَعْلَمُ أَنَّ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا إِنْتَفَقَتْ فِي دَلَالَتِهَا عَلَى ذَاتِ اللَّهِ -تعالى- أَيْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَرَادِفَةِ. هَذِهِ الْأَسْمَاءُ يُقَالُ لَهَا مُتَرَادِفَةٌ وَ مُتَّفِقَةٌ وَ مُتَوَاطِئَةٌ. الْمَعْنَى وَاحِدٌ , لِأَنَّهَا كُلُّهَا دَلَّتْ عَلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ. إِذَا هِيَ مُتَرَادِفَةٌ مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ. أَيْ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا عَلَى الذَّاتِ مُتَرَادِفَةٌ. وَ مُتَبَايِنَةٌ مِنْ جِهَةِ الصِّفَاتِ لِأَنَّ عَلِيمٌ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ. سَمِيعٌ يَدُلُّ عَلَى السَّمْعِ. السَّمْعُ غَيْرُ الْعِلْمِ. إِذَا مُتَبَايِنَةٌ , هَذِهِ الْأَسْمَاءُ تَدُلُّ عَلَى مَعَانِي مُتَبَايِنَةٍ. صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى مَعَانِي أَسْمَائِهِ. عَلِيمٌ قَدِيرٌ مُرِيدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. هَذِهِ الْأَسْمَاءُ تَدُلُّ عَلَى الْمَعَانِي وَ تِلْكَ الْمَعَانِي هِيَ صِفَاتُ اللَّهِ. وَ تِلْكَ الْمَعَانِي مُتَبَايِنَةٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعَانِي وَ لَكِنَّهَا مُتَّفِقَةٌ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا عَلَى الذَّاتِ. إِذَا يُقَالُ مُتَرَادِفَةٌ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا عَلَى الذَّاتِ وَ مُتَبَايِنَةٌ مِنْ حَيْثُ الْإِخْتِلَافِ فِي الْمَعَانِي , وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

الدّرس رقم : 24

القارئ: "صوت القارئ محذوف من الشريط رقم 24" و حسب سياق كلام الشيخ محمد أمان الجامي أنّه كَانَ يشرح من الرسالة التدمرية في هذا الدّرس ما يلي (أسماء الله وصفاته متنوعة في معانيها متفقة في دلالتها على ذات الله , والله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه عليم، قدير، سميع، بصير، غفور، رحيم، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته؛ فنحن نفهم معنى ذلك، ونميّز بين العلم والقدرة، وبين الرحمة والسمع والبصر، ونعلم أن الأسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله، مع تنوع معانيها، فهي متفقة متواطئة من حيث الذات، متباينة من جهة الصفات , وكذلك أسماء النبي صلى الله عليه وسلم مثل محمد، وأحمد، والمحيي، والحاشر، والعاقب. وكذلك أسماء القرآن مثل القرآن، والفرقان، والهدى، والنور، والتنزيل، والشفاء، وغير ذلك. ومثل هذه الأسماء تنازع الناس فيها؛ هل هي من قبيل المترادفة لاتحاد الذات، أو من قبيل المتباينة لتعدد الصفات، كما إذا قيل: السيف، والصّارم، والمهّند , وقصد بالصّارم معنى الصّرم، وفي المهّند النسبة إلى الهند؟ والتحقيق أنّها مترادفة في الذات متباينة في الصفات.

ومما يوضح هذا أن الله وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه متشابه، وفي موضع آخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه، فينبغي أن يُعرف الإحكام والتشابه الذي يعمه، والإحكام والتشابه الذي يخص بعضه. قال تعالى: {الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ} فأخبر أنه أحكم آياته كلها، وقال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي} فأخبر أنه كله متشابه , والحكم هو الفصل بين الشيئين، والحاكم يفصل بين الخصمين، والحكمة فصل بين المشتبهات علماً وعملاً، إذا مُيِّز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والنافع والضار، وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار، فيقال: حَكَمْتُ السّفِيه وأَحْكَمْتُهُ إذا أخذت على يديه، وَحَكَمْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْكَمْتُهَا إذا جعلت لها حَكَمَةً وهو ما أحاط بالحنك من اللجام، وإحكام الشيء إتقانه، وإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في

أخباره، وتميز الرشد من الغي في أوامره ، والقرآن كله محكم بمعنى الإتقان، فقد سماه الله حكيماً بقوله: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} فالحكيم بمعنى الحاكم، كما جعله يقص بقوله: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} ، وجعله مفتياً في قوله: {قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ} أي: ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن، وجعله هادياً ومبشراً في قوله: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} ، وأما التشابه الذي يعمه فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} ، وهو الاختلاف المذكور في قوله: {إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ • يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ} .

الشيخ: الحمد لله رب العالمين وصلاة الله و سلامه و رحمته و بركاته على هذا النبي الكريم و الرسول الأمين نبينا محمد و على آله و اصحابه و أزواجه امهات المؤمنين و صحابته اجمعين ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- في الرسالة التدمرية في ذكر. في أثناء القاعدة الخامسة. قلنا عنواناً يوضح ما قرء الآن. أسماء الله و صفاته متنوعة في معانيها متفقة في دلالتها على ذات الله. المراد بالمعاني: الصفات. أسماء الله و صفاته متنوعة في معانيها. متفقة في دلالتها على ذات الله -تعالى-. إذا ذكرت الأسماء و ذكرت بعده الصفات هي المعاني. و لكن هنا ذكر الأسماء و الصفات. قال متنوعة في معانيها أي في ما تدل عليه. قبل الدلالة على الذات. متفقة في دلالتها على الذات. من هنا يأتي الترادف. إذا كانت الأسماء. تختلف الألفاظ ولكن ترد الأسماء كلها لمسمى واحد و إن كانت في حد ذاتها الأسماء مختلفة من حيث المعنى لكن اتحدت من حيث دلالتها على الذات. يقال لها أسماء مترادفة. و الله -سبحانه و تعالى- أخبرنا بأنه عليم قدير سميع بصير غفور رحيم. هذه الأسماء مختلفة من حيث المعاني. و هذا معنى قولهم "متنوعة". أي عليم غير قدير من حيث المعنى. سميع غير البصير و غفور غير الرحيم. من حيث المعنى إلى غير ذلك من أسمائه و صفاته. و لكن كلها لمسمى واحد باعتبار دلالتها على مسمى واحد يقال لها "مترادفة". و

من حيث اختلاف الألفاظ و المعاني أيضاً فهي مُتَبَايِنَةٌ لِأَنَّ الْعِلْمَ غَيْرُ الْقَدِيرِ وَ السَّمْعَ غَيْرُ الْبَصِيرِ. وَ السَّمْعُ غَيْرُ الْبَصَرِ. وَ الْعِلْمُ غَيْرُ الْقُدْرَةِ. هَذَا التَّنَوُّعُ وَ هَذَا الْإِخْتِلَافُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى. مُمَكِّنٌ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا إِثْمًا "مُتَبَايِنَةٌ" لَيْسَتْ مُتَّفِقَةً وَ لَا مُتَوَاطِئَةً. لَكِنْ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ عَلَى الذَّاتِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ فَهِيَ مُتَرَادِفَةٌ. فَتَحْنُ نَفْهَمُ مَعْنَى ذَلِكَ وَ نُمَيِّزُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ. أَنَّ الْعِلْمَ غَيْرَ الْقُدْرَةِ وَ بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ. وَ نَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا إِنْتَفَقَتْ فِي دَلَالَتِهَا عَلَى ذَاتِ -الله تعالى- كَمَا عَلِمْنَا الْفَرْقَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ وَ الرَّحْمَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى. نَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّهَا كُلَّهَا إِنْتَفَقَتْ فِي دَلَالَتِهَا عَلَى ذَاتِ اللهِ تَعَالَى. أَسْمَاءُ لِذَاتٍ وَاحِدَةٍ. مَعَ تَنَوُّعِ مَعَانِيهَا. الْمَعْنَى كَمَا قُلْنَا مُخْتَلِفَةٌ. مَعْنَى الْعِلْمِ غَيْرُ مَعْنَى الْقُدْرَةِ. فَهِيَ مُتَّفِقَةٌ مُتَوَاطِئَةٌ. الْإِتِّفَاقُ وَ التَّوَاطُّيُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ هُنَا. مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ. مُتَّفِقَةٌ مُتَوَاطِئَةٌ مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ. أَيْ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ عَلَى الذَّاتِ. مُتَبَايِنَةٌ مِنْ جِهَةِ الصِّفَاتِ. الْمُرَادُ بِالصِّفَاتِ هُنَا "الْمَعْنَى". مُتَبَايِنَةٌ مِنْ جِهَةِ الصِّفَاتِ أَيْ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعْنَى وَ هِيَ الصِّفَاتِ. لِأَنَّ الصِّفَاتِ هِيَ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ.¹ كَذَلِكَ أَسْمَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مِثْلُ مُحَمَّدٍ وَ أَحْمَدَ وَ الْمَاحِي وَ الْحَاشِرُ وَ الْعَاقِبُ. وَ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَحْمَدٌ مِنْ مَادَّةٍ وَاحِدَةٍ. مِنْ مَادَّةِ الْحَمْدِ. لَكِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ مِنْ حَيْثُ الْإِخْتِلَافُ فِي الْمَعْنَى فَهِيَ مُتَبَايِنَةٌ وَ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ عَلَى مُسَمًّى وَاحِدٍ فَهِيَ مُتَرَادِفَةٌ. لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ لَهَا مَعْنَى. الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِهِ الْكُفْرَ. الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِهِ. وَ الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ. الْمَعْنَى مُخْتَلِفَةٌ لَكِنْ الْمُسَمًّى وَاحِدٌ. الْمُسَمًّى هُوَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ فَهِيَ مُتَرَادِفَةٌ. وَ كَذَلِكَ أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ. لِلْقُرْآنِ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ: الْقُرْآنُ وَ الْفُرْقَانُ وَ الْهُدَى وَ النَّورُ وَ التَّنْزِيلُ وَ الشِّفَاءُ وَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أوردَ أَكْثَرُهَا الْمُعَلِّقُ. وَ مِثْلُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ تَنَازَعُ النَّاسُ فِيهَا أَيْ اخْتَلَفُوا فِيهَا. هَلْ هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْمُتَرَادِفَةِ بِاتِّحَادِ الذَّاتِ. أَيْ لِكُونِهَا تَدُلُّ عَلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ. تَرُدُّ كُلَّهَا عَلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ. هَذَا مَعْنَى التَّرَادُفِ. أَوْ مِنْ قَبِيلِ الْمُتَبَايِنَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ

¹ (كَأَنَّهُ انْقِطَاعٌ لِلصَّوْتِ بِالشَّرْطِ)

بَتَعْدُ الصِّفَاتِ. لَأَنَّ مَعْنَى النُّورِ وَ مَعْنَى التَّنْزِيلِ وَ مَعْنَى الشِّفَاءِ مِنْ حَيْثُ الْقُرْآنُ. الْمَعْنَى مُخْتَلِفَةٌ وَ لَكِنَّ الْمُسَمَّى وَاحِدٌ. وَ مَعْنَى مُحَمَّدٍ وَ أَحْمَدُ وَ الْمَاحِي وَ الْحَاشِرُ وَ الْعَاقِبُ الْمَعْنَى مُخْتَلِفَةٌ وَ لَكِنَّهَا لِمُسَمَّى وَاحِدٌ بِاعْتِبَارِ الْاِخْتِلَافِ فِي الْمَعْنَى فَهِيَ مُتَبَايِنَةٌ وَ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهَا عَلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ فَهِيَ مُتَرَادِفَةٌ. كَمَا قِيلَ جَعَلَ الشَّيْخُ يَذْكُرُ النَّظَائِرَ لِأَنَّ الْأُمُورَ تَتَضَحُّ بِنَظَائِرِهَا. يُقَالُ السَّيْفُ وَ الصَّارِمُ وَ الْمَهْنَدُ. الْمَعْنَى تَخْتَلِفُ وَ لَكِنَّ الْمُسَمَّى وَاحِدٌ. وَ ذَلِكَ السَّلَاحُ الْمَعْرُوفُ. وَ قُصِدَ بِالصَّارِمِ مَعْنَى الصَّرْمِ الْقَطْعُ. وَ قُصِدَ بِالْمَهْنَدِ النَّسْبَةُ إِلَى الْهِنْدِ. وَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ اللَّيْثُ وَ الْأَسَدُ وَ الْعَضَنَقَرُ. أَسْمَاءُ لِحَيَوَانٍ وَاحِدٍ. قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَ التَّحْقِيقُ أَنَّهَا مُتَرَادِفَةٌ فِي الدَّاتِ مُتَبَايِنَةٌ فِي الصِّفَاتِ. أَيْ لَوْ سُئِلَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مَا النَّسْبَةُ بَيْنَهَا؟ لَا بَدَّ مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ. تَقُولُ إِنَّهَا مُتَرَادِفَةٌ فِي الدَّاتِ. أَيْ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا عَلَى الدَّاتِ. وَ مُتَبَايِنَةٌ فِي الصِّفَاتِ أَيْ فِي الْمَعْنَى.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَ بِمَا يُوضِّحُ هَذَا أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ بِأَنَّهُ مُحْكَمٌ. الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمٌ بِاعْتِبَارِ وَ بِأَنَّهُ مُتَشَابِهٌ بِاعْتِبَارِ وَ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ أَوْ هَذِهِ الصِّفَاتِ. وَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ جَعَلَ مِنْهُ مَا هُوَ مُحْكَمٌ (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ) وَ مِنْهُ مَا هُوَ مُتَشَابِهٌ. آيَاتٌ وَاضِحَةٌ فِي دَلَالَتِهَا وَ هِيَ أَصْلُ الْكِتَابِ وَ أُمُّ الْكِتَابِ وَ الْمَرْجِعُ لِلْمُتَشَابِهِ. مِنْهَا آيَاتٌ مُتَشَابِهَةٌ سِوَاكَانِ التَّشَابُهِ تَشَابُهٌ مُطْلَقٌ أَوْ تَشَابُهٌ نِسْبِيٌّ. الْمُتَشَابِهُ الَّذِي لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمُتَشَابِهُ الْمَطْلَقُ كَحَقِيقَةِ الدَّاتِ وَ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ حَقَائِقِ مَوْجُودَاتِ الْجَنَّةِ. هَذَا التَّشَابُهُ تَشَابُهٌ مُطْلَقٌ أَيْ تَشَابُهٌ فِي الْأَسْمَاءِ فَقَطْ وَ الْحَقَائِقُ مُخْتَلِفَةٌ. وَ قَدْ -كُونُ التَّشَابُهِ تَشَابُهٌ نِسْبِيٍّ إِذَا فُسِّرَ التَّأْوِيلُ. إِذَا أُرِيدَ بِالتَّأْوِيلِ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ هَذَا تَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ. بِالنَّسْبَةِ لِمَنْ عِلْمٌ لَيْسَ بِمُتَشَابِهٍ وَ بِالنَّسْبَةِ لِمَنْ لَمْ يَعْلَمْ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ. وَ يُقَالُ لَهُ الْمُتَشَابِهُ النَّسْبِيٌّ وَ تَقَدَّمَ هَذَا. فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْرِفَ الْإِحْكَامُ وَ التَّشَابُهُ لِأَنَّ الْإِظْنَ الْاِخْتِلَافُ وَ التَّنَاقُضُ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ. يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ مَعْنَى الْإِحْكَامِ وَ مَعْنَى التَّشَابُهِ. الَّذِي يَعُمُّهُ وَ الْإِحْكَامُ وَ التَّشَابُهُ الَّذِي يُخَصُّ بَعْضَهُ. مَا هُوَ الْإِحْكَامُ الَّذِي يَعُمُّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ؟ وَ مَا هُوَ التَّشَابُهُ الَّذِي يَعُمُّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ؟ ثُمَّ مَا هُوَ الْإِحْكَامُ الَّذِي يُخَصُّ بَعْضَ

القرآن و التشابه الذي يخص بعض القرآن. لابد من فهم المعنيين حتى لا يقع الإنسان في لبس. يقول الشيخ رحمه -الله تعالى- قال تعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) أحكمت آياته كلها. كل آيات الكتاب محكمة ثم فصلت. هذا إحكام عام. فأخبر أنه أحكم آياته كلها. متقنة مبيّنة. تُفرّق بين الحق و الباطل. و قال (الله الذي نزل أحسن الحديث كتاباً متشاهماً مثاني) الكتاب كله متشابه غير متناقض. لهذا هذا التشابه عام. من حيث إنّ آيات الكتاب كلها غير مختلفة و غير متناقضة. لا يأمر بشيء في موضع و ينهى عن هذا الشيء في موضع آخر. بل متشابه كله متقن. يميّز بين الحق و الباطل. جميع آيات الكتاب. بهذا الاعتبار كله متشابه.

قال الشيخ رحمه -الله تعالى- مبيّنة معنى الإحكام. الحكم هو الفصل بين الشئيين و الحاكم يفصل بين الخصمين. لذا قيل له حاكم ، و الحكمة فصل بين المتشابهات علماً و عملاً. إذا ميّز بين الحق و الباطل، و الصّدق و الكذب، و النافع و الضار، و ذلك يتضمن فعل النافع و ترك الضار. بالنسبة للمتابعين له. القرآن يبيّن يُفرّق بين الحق و الباطل و الصدق و الكذب و النافع و الضار في الدارين. ما فعله نافع و ما فعله ضار يتضمّن هذا فعل النافع بالنسبة لمتابع القرآن و ترك الضار أيضاً. فيقال حكمت السفية أو حكمت السفية. المعنى واحد. و أحكمته. تقول حكمت السفية و أحكمت السفية إذا أخذت على يده و حجرت عليه. هذا هو الإحكام لأن فيه معنى المنع و فيه معنى الحفظ و فيه معنى حملي على النافع و منعه من الضار. من التصرفات الضارة و حملي على التصرفات النافعة أو منعه كلياً من التصرف في ماله لكونه سفياً. تُعتبر أنك حكمته و أحكمته. و حكمت الدابة و أحكمتها إذا جعلت لها حكماً. فسّر الحكمة فقال هو ما أحاط بالحنك من اللجام. لأنّ هذا الإحكام يضبط الدابة ضبطاً. و إحكام الشيء إتقانه. فأحكام الكلام إذا إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره و تمييز الرشد من العي في أوامره. القرآن بهذا الاعتبار كله مُحكم لأنّه متقن و لأنّه يميّز بين الصدق و الكذب كما تقدّم. في أخباره. أخباره كلها صدق لأنها خبر الله و إن كان الخبر من حيث هو ما يحتمل الصدق و الكذب. لكن خبر الله لا يحتمل إلا

الصدق. كذلك خبر رسولهِ عليه الصلاة والسلام بعدما ثبتت و يصحح لا يحتمل إلا
الصدق. و يميز الرشد من العي في أوامره. يأمر بالرشد و ينهى عن العي. فالقران كله إذا
محكم بمعنى الإتقان. هذا هو الإحكام العام. الإحكام العام الإتقان , القرآن كله محكم أي
كله محل الإتقان. فقد سماه الله حكيماً. سَمَى الله القرآن حكيماً بقوله (الر تِلْكَ آيَاتُ
الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) الحكيم صفة للكتاب من حيث الإعزاب. (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) إذا
وصفه بأنه حكيم. لك أن تقول سماه حكيماً أو وصفه حكيماً المعنى واحد. فالحكيم بمعنى
الحاكم لأن القرآن حاكم. حاكم يميز بين الحق و الباطل و الرشد و العي. كما جعله
يقص. و وصف القرآن بأنه يقص بقوله (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يخبرهم و يحكي لهم أكثر الذي هم يختلفون. إذا القرآن من صفاته أنه يقص.
و جعل القرآن مفتياً في قوله تعالى (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ
الشَّاهِدُ مَا يُتْلَى. "ما" إسم موصول بمعنى الذي. (اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ) و كذلك الذي يُتْلَى
عليكم في الكتاب يُفتي فيهن. الذي يُتْلَى في الكتاب الذي هو القرآن. الكتاب المكتوب و
ما يُتْلَى عليكم في الكتاب. كذلك يُفتي. لأن الإسم الموصول معطوف على فاعل "يُفْتِيكُمْ"
و فاعل يُفْتِيكُمْ هو -الله-. ضمير يرجع على لفظ الجلالة. (اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ). لا يُقال
الفاعل هو لفظ الجلالة. لأن الفاعل لا يتقدم على الفعل. يُقال الفاعل مضمَر. ضمير يعود
على لفظ الجلالة. و "ما" الإسم الموصول معطوف على الضمير في يُفْتِيكُمْ. أي كما أن الله
يُفتي كذلك القرآن يُفتي. الله - سبحانه و تعالى - يُفتي في هذا القرآن و يُفتي في ما أنزل على
نبيه محمد عليه الصلاة والسلام أي ما يتلى عليكم يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ. و جعل الله القرآن هادياً
و مبشراً في قوله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) يهدي. القرآن يهدي. القرآن
يُبشِّر. من صفاته أنه يهدي. من صفاته أنه يُبشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات. يهدي
هنا الهداية هداية إرشاد. لأنه يبين و يرشد. فيُفرق بين الحق و الباطل. هذه هي الهداية.
كما أن النبي عليه الصلاة والسلام يهدي (و إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يهدي هداية
بيان و دلالة و إرشاد. و في موضع آخر نفى عنه الهداية (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) الفرق

بَيْنَ الْهَدَايَتَيْنِ: الْهَدَايَةُ الْمُبْتَنَّةُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَالْهَدَايَةِ الْمُبْتَنَّةِ لِلْقُرْآنِ. هِدَايَةُ إِرْشَادٍ وَ بَيَانٍ وَ دَلَالَةٍ. وَ الْهَدَايَةُ الْمُنْفِيَّةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هِدَايَةُ إِلْهَامٍ وَ تَوْفِيقٍ. تِلْكَ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِفُهُ فَيُعِينُهُ عَلَى فِعْلِ الْحَيْرِ. الْعَبْدُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ فِعْلًا. أَنْ يَفْعَلَ الْحَيْرَ وَ يَتْرَكَ الشَّرَّ إِلَّا بِهَدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْهَدَايَةِ الَّتِي لَا يَمْلِكُهَا غَيْرُ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِدَايَةُ إِلْهَامٍ وَ تَوْفِيقٍ وَ إِعَانَةٍ. إِذَا الْقُرْآنُ بِهَذَا الْمَعْنَى. أَيُّ هِدَايَةِ إِرْشَادٍ يَهْدِي. (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ) إِذَا هَدَى الْقُرْآنَ وَ بَيَّنَّ وَ هَدَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا وَ بَيَّنَّ وَ هَدَى أَتْبَاعُهُ. الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ هُمْ كَذَلِكَ يَمْلِكُونَ هَذِهِ الْهَدَايَةَ هِدَايَةَ بَيَانٍ وَ إِرْشَادٍ وَ تَعْلِيمٍ. مَنْ الَّذِي يُنْقِذُ؟ "إِنَّ اللَّهَ يَزْعُجُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزْعُجُ بِالْقُرْآنِ" بَعْدَ أَنْ يُبَيِّنَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَ أَتْبَاعُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ وَ يَهْدِي وَ يُبَيِّنُ الْقُرْآنُ السُّلْطَنَةَ هِيَ الَّتِي تُنْقِذُ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَأَمَّا التَّشَابَهُ الَّذِي يُعْمَهُ فَهُوَ ضِدُّ الْاِخْتِلَافِ. الْقُرْآنُ مُتَشَابِهٌ بِمَعْنَى لَيْسَ فِيهِ اِخْتِلَافٌ. وَ لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ. الْاِخْتِلَافُ الْمُنْفِي عَنْهُ بِقَوْلِهِ (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) وَ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ فِيهِ اِخْتِلَافٌ. لَا يَخْتَلِفُ وَ لَا يَتَنَاقَضُ. الْكُلُّ يَدُلُّ عَلَى الْهَدَى وَ يَدْعُو إِلَى الْهَدَى وَ يَهْدِي وَ يُبَشِّرُ وَ يَنْهَى وَ يَنْفِي وَ هَكَذَا. وَهُوَ الْاِخْتِلَافُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ • يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ) هَذَا مَنَفِيٌّ عَنِ الْقُرْآنِ. لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ , نَعَمْ .

القارئ: قَالَ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- (فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضا، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به، أو بنظيره، أو بملزوماته، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه، أو عن نظيره، أو عن لوازمه، إذا لم يكن هناك نسخ , فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضا، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به، أو بنظيره، أو بملزوماته، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه، أو عن نظيره، أو عن لوازمه،

إذا لم يكن هناك نسخ , وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك، بل يخبر بثبوته، أو بثبوت ملزوماته، وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبت، بل ينفيه، أو ينفي لوازمه، بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضاً، فثبتت الشيء تارة وينفيه أخرى، أو يأمر به وينهى عنه في وقت واحد، أو يفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر، فالأقوال المختلفة هنا هي المتضادة، والمتشابهة هي المتوافقة , وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ، فإذا كانت المعاني يوافق بعضها بعضاً، ويعضد بعضها بعضاً، ويناسب بعضها بعضاً، ويشهد بعضها لبعض، ويقتضي بعضها بعضاً - كان الكلام متشابهاً، بخلاف الكلام المتناقض الذي يضاد بعضه بعضاً , فهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام العام، بل هو مصدق له، فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضاً، لا يناقض بعضه بعضاً , بخلاف الإحكام الخاص، فإنه ضد التشابه الخاص، فالتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشبهه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله، وليس كذلك، والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشبه أحدهما بالآخر. وهذا التشابه إنما يكون لقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما.)

الشيخ: بَسْ , قَالَ الشيخ رحمه -الله تعالى- فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه. التشابه الذي يشمل القرآن كله. تماثل في الكلام وَ تَنَاسُبُهُ بِحَيْثُ يُصَدَّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا.القرآن يُصَدَّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا. كذلك كلام رسول الله عليه الصلاة و السلام الثابت يُصَدَّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا. لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصْطَلِمَ وَ يُخَالِفَ نَصٌّ مَعَ نَصٍّ.لَا يُمَكِّنُ التَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا.وَإِنْ وَقَفَ الْإِنْسَانُ أَحْيَانًا أَمَامَ آيَةٍ مَعَ آيَةٍ. أَوْ آيَةٍ مَعَ حَدِيثٍ أَوْ حَدِيثٍ مَعَ حَدِيثٍ. فِي الظَّاهِرِ فِيهِ اخْتِلَافٌ وَ رُبَّمَا يَسْتَصْعِبُ الْإِنْسَانُ التَّوْفِيقَ بَيْنَ هَذِهِ النُّصُوصِ.فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قُصُورِ فَهْمِهِ وَ إِلَّا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَثْبُتَ حَدِيثٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ يُعَارِضُ حَدِيثًا آخَرَ صَحِيحًا مِثْلَهُ.لَا يُمَكِّنُ التَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ.مُسْتَحِيلٌ. حَتَّى فِي الْحَدِيثِ قَبْلَ الْقُرْآنِ. وَ مِنْ أَمْثَلِ ذَلِكَ. الَّذِي لَا يَزَالُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ اخْتِلَافٌ وَ لَا يُمَكِّنُ التَّوْفِيقُ

بَيْنَهُمَا. النَّصُوصُ الَّتِي نَهَتْ عَنِ الصَّلَاةِ. بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ. مَعَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ "إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ" بَعْضُهُمْ يَعْجِزُ مِنَ التَّوْفِيقِ بَيْنَ هَذِهِ النَّصُوصِ. لِذَلِكَ رُبَّمَا قَالَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي دُخُولُ الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ. يَبْقَى خَارِجَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ. وَ يَبْقَى خَارِجَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَ يَرَى أَنَّ هَذَا هُوَ التَّوْفِيقُ. هَذَا تَوْفِيقُ الْإِنْسَانِ الْعَاجِزِ الَّذِي لَمْ يُوقَفْ بَيْنَ هَذِهِ النَّصُوصِ الَّتِي ظَاهِرُهَا التَّعَارُضُ. وَ قَدْ وَفَّقَ بَيْنَ هَذِهِ النَّصُوصِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَيْمَةِ الْهُدَى وَ جَعَلَ النِّهْيَ مُنْصَبًّا عَلَى التَّوَاتُفُلِ الْمَطْلُوقَةِ الَّتِي لَا سَبَبَ لَهَا. لَا صَلَاةَ. الْمَرَادُ بِالصَّلَاةِ التَّوَاتُفُلِ الْمَطْلُوقَةِ الَّتِي لَا سَبَبَ لَهَا. لَا تُصَلَّى فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ. لِأَنَّ عَدَمَ السَّبَبِ يَجْعَلُ هَذِهِ الصَّلَاةَ قَرِيبَةً مِنْ صَلَاةِ الَّذِينَ يَرْكَعُونَ وَ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا وَ عِنْدَ طُلُوعِهَا لِعَدَمِ السَّبَبِ. أَمَّا إِذَا كَانَتْ الصَّلَاةُ ذَاتَ سَبَبٍ يَضْعُفُ أَوْ يَزُولُ هَذَا التَّشَابُهَ. فَإِذَا تُصَلَّى الصَّلَوَاتُ ذَاتُ الْأَسْبَابِ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ بِمَعْنَى لَوْ دَخَلَ الْإِنْسَانُ الْآنَ الْمَسْجِدَ يُرِيدُ أَنْ يَجْلِسَ لِيَقْرَأَ كِتَابَ اللَّهِ أَوْ لِيَسْمَعَ الدَّرْسَ. لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْلِسَ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ. لِأَنَّ تَحْيَةَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاجِبَةٌ. لِأَنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ "إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ" هَذَا الْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْأَمْرِ وَ النَّهْيِ. الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ وَ النَّهْيُ عَنِ الْجُلُوسِ. فَإِذَا فَهَمْنَا هَذَا الْفَهْمَ وَ اسْتَعْنَا بَعْدَ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ عَلَى فَهْمِ هَذَا بِمَا حَصَلَ فِي عَهْدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ بِتَفْسِيرِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ. اسْتَطَعْنَا أَنْ نُوقِفَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي سَمَّاهَا بَعْضُهُمْ بِمُعْضَلَاتِ الْمَسَائِلِ الْفِقْهِيَّةِ بِكُلِّ سَهُولَةٍ. كَأَن نَقُولَ عَمِلْنَا بِالنَّصُوصِ الَّتِي تَنْهَى عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْوَقْتَيْنِ. عَمِلْنَا بِهَا حَيْثُ تَرَكْنَا التَّوَاتُفُلَ الْمَطْلُوقَةَ الَّتِي لَا سَبَبَ لَهَا. وَ عَمِلْنَا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ "إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ" بِأَلَّا نَجْلِسَ إِذَا دَخَلْنَا فِي الْوَقْتَيْنِ وَ فِي غَيْرِ الْوَقْتَيْنِ. فِي أَيِّ وَقْتٍ وَ لَوْ دَخَلْنَا وَ الْإِمَامُ يَخْطُبُ خُطْبَةَ الْجُمُعَةِ لَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ. رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَنْ يُصَلِّي بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ. فَتَرَكَهُ إِلَى أَنْ انْتَهَى ثُمَّ سَأَلَهُ لِمَاذَا يُصَلِّي فِي هَذَا الْوَقْتِ , فَأَخْبَرَ الصَّحَابِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى

رسول الله عليه الصلاة والسلام في الفريضة فصلّى معه ثم ركعتي الفجر بعد الصلاة فأقره النبي عليه الصلاة والسلام على هذا العمل. دل ذلك على أن قوله عليه الصلاة والسلام "لا صلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس" ليس عامّاً باقياً على عموميه. بل عامّ خاصّ. خرجت منه بعض المفردات منها هاتين الركعتين التي صلاهما الصّحابي بعد صلاة الصبح وأقره النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك. و باجماع العلماء تُصلى صلاة الجنائزة في الوقتين و بالإجماع أيضاً لو حصل الكسوف بعد صلاة العصر تُصلى هذه الصلاة. إذا تحية المسجد بدليل الحديث الذي ذكرنا و بدليل أمر النبي عليه الصلاة والسلام من دخل المسجد فصلّى قبل أن يُصلي ركعتين يوم الجمعة و هو يخطب خطبة الجمعة فقطع الخطبة فسأل هذا الجالس قال له أركعت ؟ قال لا. فأمره أن يقوم فيركع. تحية المسجد لا تفوت حتى بالجلوس. لو نسي الإنسان فجلس أو جهل الحكم فجلس ثم علم أو تذكر عليه أن يقوم فيركع ركعتين. هذا الحديث حديث الذي في خطبة الجمعة مع الأمر السابق استدلل به الظاهرية على وجوب تحية المسجد. الشاهد لا يحصل التناقض أبداً بين الأحاديث الصحيحة و بين الأحاديث الصحيحة و القرآن و إن عجزنا عن ذلك فلنتهم أنفسنا بالقصور و عدم الفهم في هذه القضية و إلا يجب أن نؤمن بأن كلام الله كله متشابه و مُحكم و مُتمم لا يتناقض و لا يختلف. كذلك ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام. هكذا. هذا ما يُشير إليه الشيخ في هذه القطعة. فلنكتفي اليوم بهذا المقدار لنواصل غداً إن شاء الله بتوفيق الله - تعالى - و صلى الله و سلم و بارك على نبينا محمد و آله و صحبه.

الدرس رقم : 25

القارئ: قال شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما، فيكون مشتبهًا عليه، ومنهم من يهتدي إلى ذلك، فالتشابه الذي لا يتميز معه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية، بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن أنه مثله، فعلم العلماء أنه ليس هو مثله، وإن كان مشبهًا له من بعض الوجوه. ومن هذا الباب الشُّبه التي يَضِلُّ بها بعض الناس، وهي ما يشتبه فيها الحق بالباطل، حتى يشتبه على بعض الناس، ومن أوتي العلم بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل، بعض، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن أنه مثله، فعلم العلماء أنه ليس هو مثله، وإن كان مشبهًا له من بعض الوجوه، ومن هذا الباب الشُّبه التي يضل بها بعض الناس، وهي ما يشتبه فيها الحق بالباطل، حتى يشتبه على بعض الناس، ومن أوتي العلم بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل، وما من شيءين إلا ويجتمعان في شيء، ويفترقان في شيء، فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه، ولهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه - والقياس الفاسد لا ينضبط - كما قال الإمام أحمد رحمه الله: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس، فالتأويل في الأدلة السمعية، والقياس في الأدلة العقلية، وهو كما قال، والتأويل الخطأ إنما يكون في الألفاظ المتشابهة، والقياس الخطأ إنما يكون في المعاني المتشابهة.)

الشيخ: بس، الحمد لله رب العالمين و صلاة الله و سلامه و رحمته و بركاته على خاتم النبيين نبينا محمد و على آله و صحبه اجمعين. قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه -الله - ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما. بين الأمور المتشابهة. فيكون مشتبهًا عليه لقصر

علمه أو لقصور في علمه. و منهم من يهتدي الى ذلك. إلى التفريق بين ما هو متشابه من بعض الوجوه دون بعض. فالتشابه الذي لا تميز معه قد يكون في الامور النسبية الاضافية. أي يكون التشابه و يكون مشتبهًا و من التشابهات بالنسبة لبعض الناس دون بعض. لفظه النسبية الإضافية بمعنى واحد. و قد يكون من الامور النسبية الإضافية. أي بالنسبة لبعض الناس، و بالإضافة إلى بعض الناس و ليس من التشابه المطلق. بل يقال له من التشابه النسبي. كون الانسان لا يظهر له معنى آية من الآيات أو حديث من الأحاديث يشبه عليه. يقال له هذا "التشابه النسبي" أو "الإضافي". و هذه الآية و الحديث ظاهر بالنسبة لكثير من الناس. و من هذا القليل جميع نصوص الصفات التي يؤولها علماء الكلام بدعوى إنها من التشابه. هي من التشابه بالنسبة لهم. بالنسبة لمن لم يفهم و بالنسبة لمن يفهم لأهل العلم. نصوص الصفات من حيث المعاني ليست من التشابه. قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (إليه يصعد الكلم الطيب) (أأنتم من في السماء) (ينزل ربنا) إلى آخره من الكتاب و السنة. هذه النصوص بالنسبة لأهل العلم ظاهرة و ليست من التشابه. لكن تعتبر من التشابه النسبي بالنسبة لمن لم يفهم أو طرأت له شبهة حالت بينه و بين الفهم الصحيح و ظن انه لو ابقاها على ظاهرها هذه النصوص تؤدي الى التشبيه. و ادعى انه مضطر الى التأويل. هذا ما وقع فيه المتأخرون من علماء الكلام كالشاعرة و الماتريديّة.

قال الشيخ رحمه -الله تعالى- فالتشابه الذي لا تميز معه قد يكون من الأمور النسبية الاضافية بحيث يشبه على بعض الناس دون بعض كما أشرنا. و مثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يُزيل عنهم هذا الاشتباه. لأنهم اذا عرفوا أنّ هذه الألفاظ من حيث المعنى ظاهرة و قد تختلف المعاني للفظ واحد. (الرحمن على العرش استوى) يختلف معناه أي يختلف معنى استوى بحسب الحرف الذي يتعدى به. إذا تعدى على فهو نص في العلو. (الرحمن على العرش استوى) لا يحتمل إلا العلو. وإذا تعدى بـ "إلى" قد يُفسر بمعنى القصْد. استوى إلى كذا أي قصد إلى كذا. كما إذا اشتبه بعض الناس. ما وعدوا به في الآخرة. بما يشهدونه في الدنيا فظن أنّه مثله فعلم العلماء أنّه ليس هو. ليس هو مثله و إن كان مشتبهًا من بعض

الوجوه. إذا سمع بعض الناس وجود الماء و اللبن و الخمر و العسل و الذهب و الفضة في الجنة. يحسب أن تلك الحقائق كالحقائق الموجودة عندنا هنا في الدنيا و ليس الأمر كذلك. ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء. إتفاق في الإسم و في المعنى العام. لكن إذا قيل خمر الجنة و عسل الجنة. بهذه الإضافة حصل التخصيص. ليس عسل الجنة كالعسل الذي في الدنيا و لا الخمر كالخمر و لا اللبن كاللبن. بل حتى و لا الماء كالماء. تلك حقائق لا تعرف حقيقتها. و لكن نعرف هذه الأسماء و نميز بالمعنى بين هذه الحقائق. أي نميز بين الماء و اللبن و بين الخمر و العسل لأننا نعرف لها نضائر في هذه الدنيا. هذه نضائرها و مشتبهاتها. و من الأمور المشتبهة على الناس، لكن من يعرف إن الله أعد لعباده الصالحين هناك ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر. يعلم إنما الإتفاق إنما هو في الإسم المطلق و في المعنى العام و الحقائق مختلفة. هذا ما عناه ابن عباس رضي -الله- عنه عندما قال "ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء". و من هذا الباب الشبهة التي يضل بها بعض الناس في باب الاسماء و الصفات. إذا سمعوا العلم و السمع و البصر. فهذه الصفات موجودة في الخلق. ظنوا أن إثبات هذه الصفات على ظاهرها يؤدي إلى التشبيه. فنقو نفياً باتاً. و ممن ذهب إلى هذا المذهب: المعتزلة و قبلهم الجهمية. المعتزلة لهم وجود الآن في عالمنا المعاصر لأن جميع فرق الشيعة من المعتزلة. لنعلم إننا عندما يتحدث شيخ الاسلام و غيره إنما يتحدثون عن الطوائف الموجودة و عقائدها موجودة في بطون الكتب. أي الذين يزعمون أن إثبات هذه الصفات على ظاهرها يؤدي إلى التشبيه. و أن هذه النصوص من الكتاب و السنة لا تقبل. لأنها دللت على المستحيل "المستحيل العقلي"، لأن العمدة عندهم في هذا الباب العقل لا النقل. بدعوى لأن النقل خاضع للنسخ و التخصيص و التقييد. والدليل العقلي غير خاضع للتخصيص و النسخ و التقييد. و هو الدليل القطعي. هكذا قدموا العقل على النقل فاضلوا فأضلوا في هذا الباب.

قال الشيخ رحمه -الله تعالى- و من هذا الباب الشبهة التي يضل بها بعض الناس و هي ما يشتبه فيها الحق بالباطل. النصوص لا تحمل إلا الحق. و كون الانسان يفهم من ظاهر

النصوص الباطل هذا من سوء فهمه و إلا فمستحيل أن يحتمل كلام الله و ما صح عن رسول الله - عليه الصلاة و السلام إلا الحق. لا يحتمل إلا الحق بل هو الحق المحض. حتى يشتبه على بعض الناس لفصوص في علمهم. أو لوجود الشبه. الشبه. علم الكلام يُعتبر شبهة في هذا الباب. بالنسبة لمن يبدء في دراسة العقيدة بعلم الكلام. كأن يبدء في دراسة العقيدة بدراسة كتب الاشاعرة و الماتريدية الموجودة الآن عند كثير من المسلمين للأسف. و كتب المعتزلة الموجودة عند الشيعة. من بدء يتفقه في دينه في العقيدة على هذه الكتب يضل. لأن كلها شبهة. و هذا لم يشتبه عليه الحق و الباطل. عفوًا و من أوتي العلم بالفصل بين هذا و هذا. بين الحق و الباطل. بين المعاني الحقة التي تدل عليها النصوص و بين الباطل الذي لا يليق بالله - تعالى - لم يشتبه عليه الحق بالباطل. و مجرد اعتقاد أن ظاهر النصوص يدل على الباطل ما لم يؤول هذا نفسه باطل. هذا الإتهام. إتهام النصوص أن ظاهرها يدل على ما لا يليق بالله و على الباطل فيضطر الإنسان للتأويل. هذا ما ذهبت إليه الاشاعرة حيث قالوا و كل نص أوهم التشبيه أوله أو فوض و رُم تنزيها. الشطر الأول الذي يُعتبر مقدمة لهذه القاعدة باطل. و كل نص أوهم التشبيه. مستحيل أن يؤهم كلام الله التشبيه و مستحيل عقلاً و شرعاً أن يؤهم كلام رسول الله عليه الصلاة و السلام بعد صحته التشبيه. لأن معنى ذلك قد ينزل الله في كتابه آيات تدل على المعاني التي لا تليق بالله. و على المستحيل و على الباطل , هذا الاعتقاد نفسه باطل. و هي من الشبه التي حالت بين الدارسين العقيدة على مذهب الاشاعرة و بين معرفة الحق. و جعلهم يفتنون في الإضطراب. لم يتخلصوا من النصوص تخلصاً كلياً كما فعلت المعتزلة. فأعرضت عن النصوص بالكل. و اعتقدوا أن الحق ما دلت عليه العقول. و أن النصوص تعرض على العقل. ما وافق العقل قيل و ما خالف العقل رُد. أمثال هؤلاء لا يتعب المرء في مناظراتهم أو مناقشتهم لأن موقفهم واضح. و لكن الحصم الذي يُتعبك في المناقشة و المناظرة الذي يدعي بأنه ينزه الله - سبحانه و تعالى - و أن ظاهر النصوص قد يدل على الباطل فالتأويل واجب. و لم يؤولوا جميع الصفات كما فعلت المعتزلة و لكن أوجبوا إمرار بعض النصوص على ظاهرها و نصوص الصفات على

ظاهرها و أوجبوا تأويل البعض الآخر و هذا تفريق بين ما جمع الله. إذا أوجبوا إثبات نصوص السمع و البصر و العلم و الحياة مثلاً فأوجبوا تأويل النصوص. النصوص التي تدل على صفة الوجه و اليدين و النزول و المجيء و الاستواء. ما الفرق بين هذه النصوص و تلك؟ كلها من كلام -الله تعالى- مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ما الذي أوجب التفريق بين النوعين حتى يجب تأويل البعض و يجب إمرار البعض الآخر على ظاهره؟ إن كان ما أقررتموه و مررتموه على ظاهرها هذه النصوص إن كانت هي لم تدل على الباطل و التي أولتموها لا تدل على الباطل. إن كان التي أولتموها تدل على الباطل و ما أثبتتم يدل على الباطل هذا هو التناقض البين عند الأشاعرة .

قال الشيخ رحمه -الله تعالى- و من أوتي العلم بالفصل بين هذا و هذا لم يشتبه عليه الحق و الباطل. و القياس الفاسد إنما هو من باب الشبهات. قياس صفات -الله تعالى- على صفات خلقه و أننا لا نفهم من النصوص إلا ما نعقل في أنفسنا. فإذا جاء ذكر السمع و البصر و العلم و الحياة قالوا ظاهر هذا باطل لأنه قياس على صفات المخلوق فيجب نفيها. هذه طريقة الجهمية و المعتزلة. و من عرف الحق بين الشيء و من عرف الفصل بين الشئين إتهدى للفرق الذي يزول به الاشتباه و القياس الفاسد. ذلك بأن النصوص إنما تحدثت عن صفات -الله تعالى-. فصفت الله بعد إضافتها إلى الله لا يبقى هناك تشابه بينها و بين صفات المخلوق قطعاً. إذا قلنا علم الله و استواء الله و نزول الله و مجيء الله بهذه الإضافة لا يبقى اشتباه و لا اشتراك بين هذه الصفات و بين صفات المخلوقين. و إنما يقع الاشتراك في المطلق الكلي أي قبل أن تُضاف صفات الله إلى الله و قبل أن تُضاف صفات المخلوق إلى المخلوق كأن أطلقت العلم و القدرة و النزول و المجيء. و هذا يقال له المطلق الكلي الذي لا وجود له إلا في ذهن. أي لا وجود للسمع القائم بنفسه هكذا دون أن يُضاف إلى الله أو إلى المخلوق. و يقال له هذا وجوده وجود ذهني. ذهن يتصور وجود علم بلا عالم. دون أن يُضاف هذا العلم إلى أي عالم. لا إلى الخالق و لا إلى المخلوق. و لكن في الخارج لا توجد الأشياء إلا معينة مخصصة . جميع

الأشياء. صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ إِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ إِيخْتَصَّتْ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - فَمُسْتَحِيلٌ أَنْ يُشَارَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى فِي حَقَائِقِ صِفَاتِهِ. مَنْ عَرَفَ هَذَا الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ زَالَتْ عَنْهُ الشُّبُهَةُ وَ الْقِيَاسُ الْفَاسِدُ.

يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - لِيُوضَّحَ هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرَهُ. وَمَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا وَ يَجْتَمِعَانِ فِي شَيْءٍ وَ يَفْتَرِقَانِ فِي شَيْءٍ. فَبَيْنَهُمَا اشْتِبَاهٌ مِنْ وَجْهِ وَ افْتِرَاقٌ مِنْ وَجْهِ. وَ لَوْ لَا هَذَا التَّصَوُّرُ مَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى. بَيْنَ صِفَاتِنَا كَالْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ وَ السَّمْعِ. وَ بَيْنَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى كَالْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ وَ السَّمْعِ مَثَلًا. إِشْتِرَاكٌ مِنْ وَجْهِ وَ افْتِرَاقٌ مِنْ وَجْهِ. إِشْتِرَاكٌ مِنْ وَجْهِ وَ هُوَ فِي "الْمَطْلُوقِ الْكُلِّيِّ" أَيْ فِي "الْمَعْنَى الْعَامِّ" قَبْلَ أَنْ تُضَافَ الصِّفَاتُ لَا إِلَى الْخَالِقِ وَ لَا إِلَى الْمَخْلُوقِ. وَبَيْنَهُمَا افْتِرَاقٌ. ذَلِكَ الْإِفْتِرَاقُ يَحْصُلُ بِالِإِضَافَةِ , إِذَا قُلْتَ عِلْمُ اللَّهِ سَمِعَ اللَّهُ بَحِيئُ اللَّهِ نُزُولُ اللَّهِ. بِهَذِهِ الْإِضَافَةِ يَزُولُ الْإِشْتِرَاكُ وَ الْإِشْتِبَاهُ. إِذْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُشَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ أَيْ مَخْلُوقٍ بَعْدَ أَنْ أُضِيفَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ خُصِّصَتْ بِهَذِهِ الْإِضَافَةِ. وَ الْإِضَافَةُ تُسَمَّى هُنَا إِضَافَةً تَخْصِيصٍ , كَمَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُنَزَّهَ أَنْ يُشَارَكَ الْعَبْدُ فِي حَقَائِقِ وَ خَصَائِصِ وَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ. إِذَا قُلْنَا عِلْمُ زَيْدٍ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى أَنْ يُشَارَكَ زَيْدًا فِي خَصَائِصِ عِلْمِهِ. مَا هِيَ خَصَائِصُ عِلْمِ زَيْدٍ؟ عِلْمٌ مُسَبِّقٌ بِجَهْلٍ. عِلْمٌ مُحْدَثٌ مُسَبِّقٌ بِجَهْلٍ غَيْرُ مُحِيطٍ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ. عِلْمٌ يَطْرُقُ عَلَيْهِ النِّسْيَانُ وَ الْغَفْلَةُ وَ الدَّهْوَلُ بَلِ الدَّهَابُ أَحْيَرًا. اللَّهُ مُنَزَّهٌ أَنْ يُشَارَكَ الْمَخْلُوقُ فِي صِفَةٍ كَهَذِهِ. أَيْ فِي الْعِلْمِ النَّاقِصِ. غَيْرِ مُحِيطٍ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ. فِي الْعِلْمِ الْمَحْدَثِ. غَيْرِ قَدِيمٍ. فِي الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ غُرْضَةٌ لِلنِّسْيَانِ وَ الدَّهْوَلِ وَ الدَّهَابِ. لِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى عِلْمٌ قَدِيمٌ قَدَّمَ الدَّاتِ. عِلْمٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ. عِلْمٌ قَدِيمٌ لَمْ يُحْدَثْ وَ عِلْمٌ لَا يَطْرُقُ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ وَ النِّسْيَانُ. صِفَةُ اللَّهِ بَاقِيَةٌ بَقَاءَ الدَّاتِ الْعَلِيَّةِ. إِذَا إِذَا عَرَفْنَا هَذِهِ الْخَصَائِصَ "خَصَائِصَ صِفَاتِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى" إِسْتَحَالَ أَنْ يُشَارَكَ اللَّهُ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الْخَصَائِصِ. وَ إِذَا عَلِمْنَا أَيْضًا خَصَائِصَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى أَنْ يُشَارَكَ الْمَخْلُوقُ فِي خَصَائِصِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ كَمَا مَثَّلْنَا بِالْعِلْمِ. مَرَّةً أُخْرَى يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - وَ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ

كَالْعِلْمَيْنِ وَ السَّمْعَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا وَ يَجْتَمَعَانِ فِي شَيْءٍ فِي الْمَطْلَقِ الْكُلِّيِّ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ فِي
 الْإِسْمِ الْمَجْرَدِ وَ يَفْتَرِقَانِ فِي شَيْءٍ فِي الْخَصَائِصِ وَ هَذَا الْإِفْتِرَاقُ يَحْصُلُ بِالْإِضَافَةِ كَمَا قُلْنَا.
 فَجَمِيعُ النُّصُوصِ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ إِنَّمَا تَتَحَدَّثُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى. لَيْسَ بِإِلْزَامٍ أَنْ تُضَافَ
 الْإِضَافَةُ الْمَعْرُوفَةُ يَعْنِي كَالْمُضَافِ وَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ. لَا , إِذَا تَحَدَّثْتَ آيَةً أَوْ حَدِيثٌ عَنْ صِفَاتِ
 الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - يُعْتَبَرُ هَذَا تَخْصِيصًا. الْإِضَافَةُ هُنَا بِمَعْنَى النِّسْبَةِ. أَيُّ إِذَا نُسِبَتْ
 الصِّفَاتُ إِلَى اللَّهِ وَ نُسِبَتْ صِفَاتُ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْمَخْلُوقِ زَالَ الْإِشْتِرَاكُ وَ زَالَ الْإِشْتِبَاهُ. وَ لِهَذَا
 كَانَ ضَلَالُ بَنِي آدَمَ مِنْ قَبْلِ التَّشَابُهِ. ضَلَالُ أَكْثَرِ بَنِي آدَمَ مِنْ قَبْلِ التَّشَابُهِ. إِشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ
 هَذِهِ الْحَقَائِقُ وَ لَمْ يَهْتَدِ إِلَى هَذَا التَّفْصِيلِ وَ إِلَى هَذِهِ الْإِضَافَةِ , كَانَ ضَلَالُ بَنِي آدَمَ مِنْ
 قَبْلِ التَّشَابُهِ. وَ الْقِيَاسُ الْفَاسِدُ لَا يَنْضَبِطُ. قِيَاسُ الصِّفَاتِ الْمَحْدَثَةِ عَلَى الصِّفَاتِ الْقَدِيمَةِ قِيَاسٌ
 بَاطِلٌ كَمَا أَنَّ قِيَاسَ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ عَلَى ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ قِيَاسٌ بَاطِلٌ. يُقَالُ هُنَا الْكَلَامُ فِي
 الصِّفَاتِ كَالْكَلَامِ فِي الذَّاتِ. أَوْ فَرُعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ يَحْدُو حَدْوَهُ. إِذَا آمَنَّا وَ أَتَقْنَا بِأَنَّ
 اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - فِي ذَاتِهِ لَا يُشَبِّهُ الْمَخْلُوقَاتِ يَجِبُ أَنْ نُوقِنَ أَيْضًا بِأَنَّ صِفَاتِ الْخَالِقِ
 لَا تُشَبِّهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَ الْإِشْتِرَاكُ إِنَّمَا يَقَعُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْإِسْمِ وَ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ الَّذِي
 يُسَمَّى الْمَطْلَقَ الْكُلِّيَّ. كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - أَكْثَرُ مَا يُخْطِئُ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ
 التَّأْوِيلِ. لِأَنَّهُمْ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ التَّأْوِيلِ الْمَذْمُومِ وَ بَيْنَ التَّأْوِيلِ الْجَائِزِ لِأَنَّ لِلتَّأْوِيلِ كَمَا تَقَدَّمَ
 ثَلَاثُ مَعَانِي. التَّأْوِيلُ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ وَ هَذَا لَيْسَ بِمَذْمُومٍ وَ هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ جَمِيعُ الْمُفَسِّرِينَ. إِذَا قَالَ
 الْمُفَسِّرُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى كَذَا وَ كَذَا أَيْ تَفْسِيرُهَا. لَا يُقَالُ إِنَّ التَّأْوِيلَ كُلَّهُ مَذْمُومٌ. بَلِ التَّأْوِيلُ
 الْمَذْمُومُ تَأْوِيلُ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَ تَأْوِيلُ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى الْأَصُولِيِّينَ أَخِيرًا لِتَأْثُرِهِمْ بِعِلْمِ
 الْكَلَامِ وَ هُوَ صَرَفُ اللَّفْظِ عَنِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ لِذَلِكَ يُدْعَى وَ ذَلِكَ
 الدَّلِيلُ "الاستحالة العقلية". الاستحالة العقلية هي الدليل الوحيد التي أوجبت على الشاعرة
 تأويل هذه النصوص. فَمَنْ سَلِمَ مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ "قِيَاسُ صِفَاتِ الْخَالِقِ عَلَى صِفَاتِ
 الْمَخْلُوقِ" سَلِمَ مِنْ هَذَا الْإِضْطِرَابِ.

قَالَ الْإِمَامُ رَحِمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - أَكْثَرُ مَا يُخْطِئُ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّأْوِيلِ وَ الْقِيَاسِ. آه

الطالب:.....

الشيخ: عَفَوًا. ذَكَّرْنَا أَنْوَاعَ التَّأْوِيلِ. التَّأْوِيلُ الَّذِي بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ وَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ وَ التَّأْوِيلُ الْفَاسِدُ الَّذِي هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ. التَّأْوِيلُ الثَّالِثُ تَأْوِيلٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَ هُوَ حَقِيقَةُ مَا تَوَوَّلُ إِلَيْهِ. الْحَقِيقَةُ الَّتِي يُؤَوَّلُ إِلَيْهَا الْأَمْرُ كَحَقَائِقِ صِفَاتِ -الله تعالى- وَ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ وَ حَقَائِقِ مَوْجُودَاتِ الْجَنَّةِ. مَوْجُودَاتِ الْجَنَّةِ كَاللَّبَنِ وَ الْمَاءِ وَ الْخَمْرِ وَ الْعَسَلِ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ تَأْوِيلُهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ. لِأَنَّ كَمَا قُلْنَا إِنَّمَا تَشْتَرِكُ مَعَ مَوْجُودَاتِ الدُّنْيَا فِي الْإِسْمِ فَقَطْ وَ الْحَقَائِقُ مُخْتَلِفَةٌ.

قَالَ الْإِمَامُ رَحِمَهُ -الله تعالى- أَكْثَرُ مَا يُخْطِئُ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّأْوِيلِ وَ الْقِيَاسِ. فَالتَّأْوِيلُ فِي الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ. الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ يُقَالُ لَهَا الْأَدِلَّةُ الْخَبَرِيَّةُ وَ يُقَالُ لَهَا الْأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ وَ هِيَ نصوص الكتاب و السنة. تَأْوِيلُ نصوص الكتاب و السنة وَ صَرْفُهَا عَنِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ وَضْعِ الْكَلِمَةِ إِلَى التَّأْوِيلِ الْمَرْجُوحِ الَّذِي يُتَكَلَّفُ بِدَعْوَى الدَّلِيلِ أَيْ بِدَعْوَى الْإِسْتِحَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ. أَكْثَرُ ضَلَالِ بَنِي آدَمَ فِي هَذَا الْبَابِ. فِي هَذَا التَّأْوِيلِ فِي الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَ الْقِيَاسِ فِي الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ. مَنْ يُسْتَعْمَلُ الْعَقْلُ وَ انصَرَفُوا عَنِ النصوص قَاسُوا الْمَعَانِي الْعَقْلِيَّةَ. قَاسُوا بِعَقُولِهِمْ صِفَاتِ الْخَالِقِ عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ حَتَّى ضَلُّوا بِذَلِكَ. وَ هُوَ قِيَاسٌ مَعَ الْفَارِقِ. كَمَا أَنَّهُ لَا تُقَاسُ ذَاتُ اللَّهِ -تعالى- عَلَى ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ أَوْ لَا تُقَاسُ ذَوَاتُ الْمَخْلُوقِينَ عَلَى الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ كَذَلِكَ قِيَاسُ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ قِيَاسٌ فَاسِدٌ , وَ هُوَ قِيَاسٌ مَعَ الْفَارِقِ. وَ هُوَ كَمَا قَالَ. يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَ هُوَ أَكْثَرُ ضَلَالِ بَنِي آدَمَ فِي تَأْوِيلِ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَ الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ فِي الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ. وَ التَّأْوِيلُ الْخَطَأُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَلْفَافِ الْمَتَشَابِهَةِ. الْأَلْفَافُ الْمَتَشَابِهَةُ التَّشْبِيهِ النَّسْبِي الَّذِي لَا

¹ سبق لسان من الشيخ و إلا فالصواب: "من استعملوا العقل و انصرفوا...."

يَهْتَدِي إِلَيْهِ أَيْ إِلَى إِجْتِنَابِهِ إِلَّا أَهْلَ الْعِلْمِ وَ جَمِيعُ نُصُوصِ الصِّفَاتِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ تُعْتَبَرُ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْمُتَشَابِهَةِ ، وَ الْقِيَاسُ الْخَطَأُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَعَانِي الْمُتَشَابِهَةِ. سِوَاهُ كَانَ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ أَوْ فِي مَوْجُودَاتِ الْجَنَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ. نَعَمْ .

القارئ: قَالَ رَحِمَهُ -الله تعالى- (وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناولوه هذا الكلام من أنواع الضلالات، حتى آل الأمر بمن يدعي التحقيق والتوحيد والعرفان منهم إلى أن اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود فَظَنُّوا أَنَّهُ هُوَ، فجعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق، مع أنه لا شيء أبعد عن مماثلة شيء، أو أن يكون إياه، أو متحدًا به، أو حالًا فيه من الخالق مع المخلوق. فمن اشتبه عليهم وجود الخالق بوجود المخلوقات - حتى ظنوا وجودها وجوده - فهم أعظم الناس ضلالًا من جهة الاشتباه، وذلك أن الموجودات تشترك في مسمى «الوجود» فأروا الوجود واحدًا، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، وآخرون توهموا أنه إذا قيل: الموجودات تشترك في مسمى «الوجود» ، لزم التشبيه والتركيب، فقالوا: لفظ «الوجود» مقول بالاشتراك اللفظي، فخالفوا ما اتفق عليه العقلاء مع اختلاف أصنافهم، من أن الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث، ونحو ذلك من أقسام الموجودات.)

الشيخ: بَسْ ، هَذِهِ النَّقْطَةُ مُهِمَّةٌ.إِنْتَبِهْ: قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -الله تعالى- مُبَيَّنًا مَذَاهِبَ طَوَائِفِ ضَلَّتْ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ. مِنْ جِهَةِ الشُّبْهِ وَ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ. يَقُولُ وَ قَدْ وَقَعَ بَنُو آدَمَ فِي عَامَّةٍ مَا يَتَنَاوَلُهُ هَذَا الْكَلَامُ. وَ قَعَ بَنُو آدَمَ أَيْ أَكْثَرُ بَنِي آدَمَ أَوْ بَعْضُ بَنِي آدَمَ لِأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى وَحْدَةِ الْوُجُودِ. لَمْ يَقَعْ جَمِيعُ النَّاسِ فِي وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَ لَكِنْ الْبَعْضُ. فِي عَامَّةٍ مَا يَتَنَاوَلُهُ هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّلَالَاتِ. حَتَّى آلَ الْأَمْرُ بِمَنْ يَدْعِي التَّحْقِيقَ وَالتَّوْحِيدَ وَ الْعِرْفَانَ مِنْهُمْ أَيْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ. إِلَى أَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ وَجُودُ الرَّبِّ بِوُجُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ وَ هُمْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ التَّحْقِيقِ وَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَ أَهْلُ الْعِرْفَانِ وَ يُسَمَّوْنَ كُتُبَاءَهُمْ بِالْعَارِفِينَ بِاللَّهِ وَ بِالْوَاصِلِينَ إِلَى اللَّهِ وَ هَذِهِ مِنَ الْأَفْظَانِ الْأَضْدَادِ. إِذَا وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ

الدرجة و هم من الجاهلين و ليسوا من الواصيلين و لكن من المارقين من دين الله - تعالى - .
منهم أي إلى أن اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود. قالوا الكون هذا كله وحدة
واحدة. لا إثنائية أو لا إثنائية في الوجود. الوجود كله من عين واحد بل هو عين واحد. كل
الوجود. دون تفرق بين الخالق و بين المخلوق. وجود الخالق و وجود المخلوق عين واحدة. و
هذا هو التوحيد عندهم. من أثبت الإثنائية فهو مشرك عندهم ليس بموحد. الله المستعان.
فطنوا أنه هو. أن وجود الخالق هو عين وجود المخلوق، و وجود المخلوق عين وجود الخالق.
هنا نساءل: وهل هذه الطائفة لها وجود؟ لها وجود و لكنه لا يظهر لكثير من الناس
وجودها - و هم أتباع ابن عربي الطائي. صاحب فصوص الحكم. و الفتوحات المكية. له
كتابان مشهوران: فصوص الحكم و الفتوحات المكية. ابن عربي كما سيأتي تفسير
كلامه. يقول شيخ الاسلام أتى بكفر لم يأتي به كفار قريش. لأن كفار قريش لم يرعوا قط
بأن الله اتحد مع المخلوق فصار وجود الخالق عين وجود المخلوق. بل يؤمنون بالله - سبحانه
و تعالى - في ربوبيته. يؤمنون بأن الله بأن الخالق غير المخلوق. و أنه هو الذي خلق هذا
الكون (ولأن سألته من خلق السماوات و الأرض ليقولن الله) يثبتون وجود الله وجوداً
حقيقياً و يؤمنون بأن الله وحده هو الخالق الرازق المعطي المانع النافع الضار. مدبر الأمور.
هذا التوحيد موجود عند مشركي العرب. عند أبي جهل و أمثاله. إذا لم يجهل أبو جهل ما
جهله ابن عربي مع دعوى العرفان و التحقيق و الإجتهاذ. هذا المذهب أو الطائفة التي يشير
إليها الشيخ من أتباع هذا الرجل و هم وإن لم يكن وجود ظاهر بين الناس لكن عند من
يدرسون الطوائف المنتسبة إلى الإسلام. طائفة وحدة الوجود لها وجود و قد لا يعلم بعض
الناس أنه من وحدة الوجود و هو واقع في وحدة الوجود. من يقول لا إله إلا الله أي لا
موجود إلا الله. من فسّر هذه الكلمة لا موجود إلا الله و أن الوجود هو وجود الله وقع في
عقيدة وحدة الوجود من حيث لا يشعر أو من حيث يشعر و يخفي. فطنوا أنه هو. أن وجود
الله هو وجود المخلوق أو العكس. وجود المخلوق هو وجود الله. فجعلوا وجود المخلوقات
عين وجود الخالق أي نفو الإثنائية و الانفصال بين الخالق و بين المخلوق. مع أنه لا شيء

أُبْعِدَ عَنْ مُمَائِلَةِ شَيْءٍ أَوْ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَوْ مُتَّحِدًا بِهِ أَوْ خَالًا فِيهِ مِنَ الْخَالِقِ مَعَ الْمَخْلُوقِ. تَبَدُّ عَقِيدَتَهُمْ بِالْحُلُولِ وَ تَنْتَهِي إِلَى الْإِتِّحَادِ. الْحُلُولُ كَأَنْ يَدَّعِي مُدَّعٍ أَنَّ اللَّهَ حَالٌ فِي فُلَانٍ. فِي الْعَالَمِ الْفُلَانِيِّ فِي الْوَلِيِّ الْفُلَانِيِّ. حَلٌّ فِيهِ. كَمَا ادَّعَتْ غُلَاةُ الرَّوَافِضِ أَنَّ اللَّهَ حَالٌ فِي عَلِيِّ وَ زَعَمُوا بِأَنَّهُ لَا يَمُوتُ وَ لَنْ يَمُوتَ. إِذْ فِيهِ جُزْءٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - . هَذَا نَوْعٌ مِنَ الْحُلُولِ لَيْسَ هُوَ الْإِتِّحَادُ. لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ اتَّحَدَ مَعَهُ وَ لَكِنْ يَقُولُونَ حَلٌّ فِيهِ. فَعَقِيدَةُ الْحُلُولِيَّةِ كَثِيرَةٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ غُلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَ هُمْ دُونَ جَمَاعَةِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ. وَحْدَةِ الْوُجُودِ لَمْ يُثَبِّتُوا اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - وَجُودًا حَقِيقِيًّا مُنْفَصِلًا عَنِ الْمَخْلُوقِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَّحِدٌ مَعَ الْمَخْلُوقِ. الْحُلُولِيَّةُ يُثَبِّتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى وَجُودًا حَقِيقِيًّا إِلَّا أَنَّهُ يَحُلُّ فِي بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ. كَمَا حَلَّ فِي عِيسَى فِي زَعْمِهِمْ وَ حَلَّ فِي مَرْيَمَ وَ حَلَّ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ هَكَذَا ضَلَّتْ هَذِهِ الطَّوَائِفُ. أَمَّا لَوْ اسْتَعْمَلَ الْإِنْسَانُ عَقْلَهُ الْخَرَّ قَبْلَ أَنْ يَتَلَوَّثَ بِآرَاءِ هَؤُلَاءِ. لَيْسَ هُنَاكَ مَا هُوَ أُبْعَدُ مِنَ الْإِشْتِبَاهِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ الْمَخْلُوقِ وَ مِنَ الْحُلُولِ وَ مِنَ الْإِتِّحَادِ. هَذَا أُبْعَدُ شَيْءٍ عَقْلًا وَ شَرْعًا. فَمَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ وَجُودَ الْخَالِقِ بِوُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى ظَنُّوا وَجُودَهَا وَجُودَهُ. ظَنُّوا وَجُودَهَا أَيْ وَجُودَ الْمَخْلُوقَاتِ وَجُودُهُ هُوَ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - فَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ ضَلَالًا مِنْ جَهَةِ الْإِشْتِبَاهِ. أَعْظَمُ النَّاسِ ضَلَالًا وَ أَعْظَمُ النَّاسِ كُفْرًا. هَذَا مَعْنَى قَوْلِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ إِنَّهُمْ أَتَوْا مِنَ الْكُفْرِ مَا لَمْ يَأْتِي بِهِ كُفَّارُ قُرَيْشٍ. وَذَلِكَ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ تَشْتَرِكُ فِي مُسَمًّى الْوُجُودِ. الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ تَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ. اللَّهُ مَوْجُودٌ وَ الْمَخْلُوقُ مَوْجُودٌ. لَكِنْ لَوْجُودِ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا. وَ لِلْمَخْلُوقِ وَجُودٌ وَجُودُ الْمَخْلُوقِ لَهُ حَقِيقَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ. لَا يُقَالُ وَجُودُ الْمَخْلُوقِ بِحَازٍ غَيْرُ حَقِيقَتِي - الْوُجُودُ الْحَقُّ هُوَ وَجُودُ اللَّهِ - تَعَالَى - . هَذَا خَطَأٌ. وَ قَدْ وَقَعَ فِي هَذَا صَاحِبُ " فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ " ¹ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِحْلَاصِ وَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ. حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الْوُجُودَ الْحَقِيقِيَّ

¹ قلت أي الجزائري : صاحب كتاب " في ضلال القرآن " هو الخارجي سَيِّدُ قُطْبُ الَّذِي جَمَعَ فِي كُتُبِهِ أَصُولَ الْبِدْعِ كُلِّهَا وَ فِيهَا طَعْنٌ وَ اسْتِهْزَاءٌ بِالنَّبِيِّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ - اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - وَ كَثُرَ الْمُسْلِمِينَ حُكَّامًا وَ مُحْكُومِينَ وَ بِسَبَبِهِ سَفِكَتْ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَ إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ , وَ مِنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى كُتُبِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ الْمُحَدِّثِ رِبْعِ بْنِ هَادِي عَمِيرِ الْمَدْحَلِيِّ حَفِظَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - خَاصَّةً كِتَابَ " أَضْوَاءُ إِسْلَامِيَّةٌ عَلَى عَقِيدَةِ سَيِّدِ قُطْبٍ وَفِكَرِهِ " وَ كِتَابَ " الْعَوَاصِمُ مِمَّا فِي كُتُبِ سَيِّدِ قُطْبٍ مِنَ الْقَوَاصِمِ " .

هو وجود الله وحده. هذا خطأ. وجود الله وجود حقيقي و وجود المخلوق وجود حقيقي. لكن ليست الحقيقة كالحقيقة. كما أن علم المخلوق علم حقيقي و علم الخالق علم حقيقي. ليس العلم كالعلم و لا الوجود كالوجود و لكن دعوى بأن وجود غير الله تعالى ليس بحقيقي بل مجاز! هذا خطأ و تحبظ لأن المجاز ما يجوز نفيه. حقيقة المجاز ما يجوز نفيه. إذا كان وجود المخلوق وجودًا مجازيًا إذا لك أن تقول لا وجود للمخلوق وهذا خلاف الواقع. هذا خطأ محض وشاع بين من يكثر من النظر في كتب ابن عربي و إن لم يصلوا إلى درجته في الصراحة في نفي الإنسية. لكنهم وقعوا في مثل هذا التحبظ فليتب. و ذلك أن¹ الوجود وجودان. ليس وجودًا واحدًا : وجود الخالق و وجود المخلوق. و لم يفرقوا بين الواحد بالعين و الواحد بالتنوع. الواحد بالعين لا اشتراك فيه. وجود -الله تعالى- وجود بالعين. وجود حقيقي. وجود خاص بالله لا اشتراك فيه , أما الوجود بالتنوع يعني الاشتراك في الوجود المطلق. في المطلق الكلي الذي لا وجود له إلا في الذهن. في خارج الأذهان. الوجود المطلق والعلم المطلق و السمع المطلق و النزول المطلق و الجيئ المطلق. لا وجود لهذه الحقائق في الخارج. أي في خارج الأذهان و لكن يتصوره الذهن لأن الذهن قد يتصور حتى المستحيلات. الذهن حر له أن يتصور حتى المستحيلات كالشريك. لذلك الموجود في الذهن. بالوجود الذهني بالمعنى العام في حقيقته لا وجود له . فلنكتفي بهذا المقدار .

¹ (كأنه إنقطاع للصوت بالشرط)

الدرس رقم : 26

القارئ: قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (وآخرون توهموا أنه إذا قيل: الموجودات تشترك في مسمى «الوجود» ، لزم التشبيه والتركيب، فقالوا: لفظ «الوجود» مقول بالاشتراك اللفظي، فخالفوا ما اتفق عليه العقلاء مع اختلاف أصنافهم، من أن الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث، ونحو ذلك من أقسام الموجودات. وطائفة ظنت أنه إذا كانت الموجودات تشترك في مسمى «الوجود» لزم أن يكون في الخارج عن الأذهان موجود مشترك فيه، وزعموا أن في الخارج عن الأذهان كليات مطلقة: مثل وجود مطلق، وحيوان مطلق، وجسم مطلق، ونحو ذلك؛ فخالفوا الحس والعقل والشرع، وجعلوا ما في الأذهان ثابتاً في الأعيان، وهذا كله من أنواع الاشتباه ، ومن هداه الله -سبحانه- فرّق بين الأمور وإن اشتركت من بعض الوجوه، وعلم ما بينها من الجمع والفرق، والتشابه والاختلاف، وهؤلاء لا يضلّون بالمشابهة من الكلام لأنهم يجمعون بينه وبين المحكم - الفارق الذي يبين ما بينهما من الفصل والافتراق ، ومن هداه الله سبحانه فرّق بين الأمور وإن اشتركت من بعض الوجوه، وعلم ما بينها من الجمع والفرق، والتشابه والاختلاف، وهؤلاء لا يضلّون بالمشابهة من الكلام لأنهم يجمعون بينه وبين المحكم - الفارق الذي يبين ما بينهما من الفصل والافتراق ، وهذا كما أن لفظ «إنّا» و «نحن» وغيرهما من صيغ الجمع يتكلم بها الواحد الذي له شركاء في الفعل، ويتكلم بها الواحد العظيم، الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد، وله أعوان تابعون له، لا شركاء له. فإذا تمسك النصراني بقوله: {إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ} ونحوه على تعدد الآلهة، كان المحكم كقوله: {وَالْهَيْكُلُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحداً - يزيل ما هناك من الاشتباه، وكان ما ذكره من صيغ الجمع مبيناً لما يستحقه من العظمة والأسماء والصفات وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم).

الشيخ: بَسْمِ , الحمد لله رب العالمين و صلاة الله و سلامه و رحمته و بركاته على هذا

النبي الكريم و على آله و أصحابه و أزواجه أمهات المؤمنين و أهل بيته الطيبين الطاهرين.
قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- و هو يُعَدُّ أنواع الضلالات التي وَقَعَ فيها كثيرٌ من بني
آدم في هذا الباب. في باب الأسماء و الصفات.

قال رحمه -الله- و آخرون من الذين وَقَعُوا في هذه الضلالات تَوَهَّمُوا أَنَّهُ إِذَا قِيلَ
الموجودات تَشْتَرِكُ في مُسَمَّى الوجودِ تَوَهَّمُوا أَنَّهُ لَزِمَ التَّشْبِيهُ و التَّرْكِيبُ. إِذَا قِيلَ إِنَّ الموجودات
بِمَا في ذَلِكَ وَاجِبُ الوجودِ و جَائِزُ الوجود. المخلوقاتُ كُلُّهَا جَائِزَةُ الوجود. ظَنُّوا أَنَّهَا تَشْتَرِكُ في
مُسَمَّى الوجود. ظَنُّوا إِذَا قِيلَ الموجودات تَشْتَرِكُ في مُسَمَّى الوجود ظَنُّوا أَنَّهُ يَلْزِمُ من ذَلِكَ
التَّشْبِيهُ و التَّرْكِيبُ. فَقَالُوا لَفْظُ الوجودِ مَقُولٌ بِالِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِيِّ. الْمَشْتَرَكُ اللَّفْظِيُّ وَ اللَّفْظُ
الوَاحِدُ الَّذِي لَهُ عِدَّةٌ مَعَانٍ كَالْعَيْنِ. الْعَيْنُ تُطْلَقُ عَلَى الْبَاصِرَةِ وَ تُطْلَقُ عَلَى الْعَيْنِ الْجَارِيَةِ وَ
تُطْلَقُ عَلَى الدَّهَبِ. وَ هَذَا يُقَالُ لَهُ الْمَشْتَرَكُ اللَّفْظِيُّ. ظَنُّوا أَنَّ الوجودَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَخَالَفُوا
مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُقَلَاءُ مَعَ اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ سِوَاءَ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ. مِنْ أَنَّ
الوجودَ يَنْقَسِمُ إِلَى قَدِيمٍ وَ مُحَدَّثٍ. أَيْ أَنَّ الوجودَ لَيْسَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَشْتَرَكَةِ. بَلِ الوجودُ
يَنْقَسِمُ إِلَى قَدِيمٍ وَ مُحَدَّثٍ. الموجودُ إِمَّا قَدِيمٌ وَ إِمَّا مُحَدَّثٌ. لَا ثَالِثَ لَهُمَا. إِذَا لَا اشْتِرَاكَ بَيْنَهُمَا.
لَا اشْتِرَاكَ بَيْنَ قَدِيمٍ وَ مُحَدَّثٍ. لِأَنَّ الْقَدِيمَ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ. وَهُوَ الَّذِي أَخْدَتْ
هَذَا الْمُحَدَّثُ. إِذَا لَا مُشَارَكَةَ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَ بَيْنَ الْحَدِيثِ. أَيْ بَيْنَ الْقَدِيمِ الْمُحَدَّثِ وَ بَيْنَ
الْحَدِيثِ الْمُحَدَّثِ. وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَقْسَامِ الموجوداتِ. ضَلُّوا فِي هَذَا الْبَابِ. وَ طَائِفَةٌ ظَنَّتْ
"طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنَ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي الضَّلَالَاتِ" أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الموجوداتُ تَشْتَرِكُ في
مُسَمَّى الوجودِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فِي الْخَارِجِ عَنِ الْأَذْهَانِ موجودٌ مُشْتَرَكٌ فِيهِ. وَ لَا يُوجَدُ خَارِجَ
الْأَذْهَانِ موجودٌ مُشْتَرَكٌ فِيهِ وَالِاشْتِرَاكُ إِمَّا يَقَعُ فِي الْمَطْلُوقِ الْكُلِّيِّ. الْمَطْلُوقُ الْكُلِّيُّ ذِهْنِيٌّ وَ لَيْسَ
بِخَارِجِي. كُلُّ مَا يُوْجَدُ فِي الْخَارِجِ فَهُوَ مُعَيَّنٌ وَ مُخَصَّصٌ. لَا يُوجَدُ الْعَامُّ فِي خَارِجِ الْأَذْهَانِ وَ
هَذِهِ قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا. تَهُمُّ طَالِبُ الْعِلْمِ. طَائِفَةٌ ظَنَّتْ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الموجوداتُ تَشْتَرِكُ في
مُسَمَّى الوجودِ. اشْتِرَاكُ الموجوداتِ في مُسَمَّى الوجودِ هَذَا حَاصِلٌ. لَكِنْ أَيْ وُجُودٌ هُوَ؟
الوجودُ الْمَطْلُوقُ , اشْتِرَاكُ الموجوداتِ في مُسَمَّى "الوجودِ الْمَطْلُوقِ" الذَّهْنِيِّ الَّذِي لَا وُجُودَ لَهُ فِي

الخارج و إنما يتصوره الذهن تصوراً. ظنوا أنه يلزم أن يكون في الخارج عن الأذهان موجوداً مشتركاً فيه و لا صحة لهذا. و زعموا أن في الخارج عن الأذهان كليات مطلقة و هذا غلط. لا يوجد في الخارج كليات مطلقة. كل ما يوجد في الخارج فهو متخصص. خصص كل موجود في الخارج بالإضافة. الوجود المطلق إنما يوجد في الذهن. و العلم المطلق إنما يوجد في الذهن. و القدرة المطلقة إنما توجد في الذهن. لكن في خارج الذهن قدرة خاصة و علم خاص و وجود خاص. هذا الذي موجود في الخارج أي في خارج الأذهان. إذا قيل وجود وجود من؟ الوجود المطلق الذي لا يخص أحداً. لا يخص قديماً و لا حديثاً. هذا الوجود المطلق لا وجود له إلا في الذهن. أي لا يوجد في خارج الذهن موجوداً أو وجود قائم بنفسه هكذا. ليس وجود قديم و لا وجود محدث. بعبارة أخرى ليس وجود الخالق ولا وجود المخلوق. لا وجود لمثل هذا الوجود في الخارج و إنما هو في الذهن. و هذا ليس في الوجود فقط في جميع صفات الرب - سبحانه و تعالى - , العلم المطلق الذي لا يضاف أو قبل أن يضاف العلم لا إلى الخالق و لا إلى المخلوق لا وجود له إلا في الأذهان. السمع المطلق لا وجود له إلا في الأذهان و البصر المطلق لا وجود له إلا في الأذهان و كل ما هو موجود في الخارج ليس بمطلق. نعيد هذه الكلية مرة أخرى. يقول الشيخ و زعموا أن في الخارج عن الأذهان كليات مطلقة و هذا باطل. مثل وجود مطلق و حيوان مطلق و جسم مطلق و نحو ذلك. لا يوجد في الخارج وجود مطلق أو حيوان مطلق أو جسم مطلق أو علم مطلق. لا وجود له , فخالقوا الحس. الشيء المحسوس الذي يلمسه كل إنسان و خالقوا العقل و خالفوا الشرع. بذلك ضلوا و جعلوا ما في الأذهان ثابتاً في الأعيان. ما في الأذهان لا وجود له في الأعيان و إنما هو ثابت فقط في الأذهان و لا وجود له في الأعيان. بمعنى في خارج الأذهان. كما مثلنا غير مرة و نعود مرة أخرى نمثل مثلاً بالعلم. العلم المطلق لا وجود له في الأعيان. إنما يوجد في الأذهان , أما العلم الموجود في الخارج في الأعيان هو العلم الخاص. إما علماً مختصاً بالخالق أو علماً مختصاً بالمخلوق و هذا الاختصاص يأتي بالإضافة. الآيات التي تتحدث عن صفات الرب - سبحانه و تعالى - إنما تتحدث عن الصفات الخاصة بالله

لَا تَشْتَرِكُ فِيهَا صِفَاتُ الْمَخْلُوقِينَ. تَتَحَدَّثُ النَّصُوصُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ وَ عَنْ سَمْعِ اللَّهِ وَ عَنْ بَصَرِ اللَّهِ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) لَا أَحَدٌ يُشَارِكُ اللَّهَ أَبَدًا فِي السَّمْعِ الْخَاصِّ وَ بِالْبَصَرِ الْخَاصِّ وَ فِي الْعِلْمِ الْخَاصِّ الَّذِي خُصِّصَ بِالْإِضَافَةِ. لِهَذَا الْعِلْمِ الْخَاصِّ مُوَاصِفَاتٌ. وَ لِعِلْمِ الْمَخْلُوقِ الْخَاصِّ مُوَاصِفَاتٌ. يَسْتَحِيلُ عَقْلًا وَ شَرْعًا وَ حِسًّا أَنْ يَشْتَرِكَ الْمَخْلُوقُ فِي صِفَاتِ الْخَالِقِ. فِي خَصَائِصِ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَ مُوَاصِفَاتِ صِفَاتِ الْخَالِقِ. فَلَنَأْخُذَ الْعِلْمَ كَمَا قُلْنَا. عِلْمُ اللَّهِ -تعالى- عِلْمٌ قَدِيمٌ قَدَمُ الدَّاتِ. عِلْمٌ لَمْ يُسْبَقْ بِجَهْلٍ. عِلْمٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ. عِلْمٌ بَاقٍ بَقَاءَ الدَّاتِ لَا يَطْرُقُ عَلَيْهِ نِسْيَانٌ أَوْ غَفْلَةٌ أَوْ ذَهُولٌ أَوْ ذَهَابٌ. وَ هَلْ يَتَصَوَّرُ عَقْلًا وَ حِسًّا وَ شَرْعًا أَنْ يَشْتَرِكَ مَخْلُوقٌ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْعِلْمِ الْمَوْصُوفِ؟! لَا , إِذَا هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ. الْعِلْمُ الْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ كَهَذَا. لَا أَحَدٌ يُشَارِكُ اللَّهَ فِي هَذَا الْعِلْمِ. وَ عِلْمُ الْمَخْلُوقِ. الْمَخْلُوقُ لَهُ عِلْمٌ. عِلْمُ الْمَخْلُوقِ عِلْمٌ مَسْبُوقٌ بِجَهْلٍ. عِلْمٌ غَيْرٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَمْ يُؤْتَى مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا. عِلْمٌ يَطْرُقُ عَلَيْهِ النِّسْيَانُ وَ الْعَفْلَةُ وَأَخِيرًا الذَّهَابُ. مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ وَ يُنَزَّ أَنْ يُشَارِكَ الْمَخْلُوقُ فِي هَذَا الْعِلْمِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ. هُوَ الَّذِي مَنَحَهُ. لَكِنْ لَا يُشَارِكُهُ فِي خَصَائِصِ وَ مُوَاصِفَاتِ عِلْمِ الْمَخْلُوقِ. إِذَا حَصَلَ الْإِخْتِصَاصُ. لَا يَحْصُلُ الْإِشْتِرَاكُ أَبَدًا فِي مَا يُوجَدُ فِي الْأَعْيَانِ. أَيْ فِي مَا يُوجَدُ فِي خَارِجِ الْأَذْهَانِ سِوَاءُ كَانَ عِلْمًا أَوْ سَمْعًا أَوْ بَصَرًا أَوْ اسْتِوَاءً أَوْ نُزُولًا أَوْ مَجِيئًا. أَيْ فِي الصِّفَاتِ الدَّائِيَةِ وَ فِي الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ. فِي الصِّفَاتِ الْحَبْرِيَّةِ وَ فِي الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ لَا يَحْصُلُ الْإِشْتِرَاكُ أَبَدًا فِي الْخَارِجِ عَنِ الْأَذْهَانِ. هَذِهِ قَاعِدَةٌ يَجِبُ أَنْ يَحْفَظَهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ -تعالى- وَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِشْتِبَاهِ. وَقَعَ الْقَوْمُ فِي هَذَا الْإِشْتِبَاهِ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّ الْكُلِّيَّاتِ الْمَطْلُوقَةَ لَهَا وُجُودٌ فِي الْخَارِجِ. ثُمَّ قَالَ وَ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ هُوَ الَّذِي رَزَقَهُ اللَّهُ الْفِقْهَ فِي كِتَابِ اللَّهِ "وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْفِقْهَ كِتَابِيَهُ هُوَ الَّذِي هَدَاهُ اللَّهُ وَ فَرَّقَ وَ خَرَجَ مِنْ هَذَا الْإِشْتِبَاهِ. قَالَ وَ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَرَّقَ بَيْنَ الْأُمُورِ وَ إِنَّ اشْتَرَكْتَ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ. ذَكَرْنَا الْآنَ الْإِشْتِرَاكَ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ. مَتَى؟ فِي الْمَطْلُوقِ الْكُلِّيِّ الَّذِي لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الذَّهْنِ. وَ هَذَا الْإِشْتِرَاكُ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ بَيْنَ صِفَاتِ

الخالق و صفات المخلوق. لأننا لو لم نتصور هذا الوجود المطلق لا نستطيع أن نفرق بين الصفات. بين السمع و البصر و العلم و الحليم مثلاً. و إن اشتركت من بعض الوجوه و علم ما بينها فرق بين الأمور و إن اشتركت من بعض الوجوه. علم ما بينها من الجمع و الفرق و التشابه و الاختلاف و هؤلاء لا يضلون بالمشابهة. و من هداة الله سبحانه فرق بين الأمور و إن اشتركت من بعض الوجوه. فرق و علم. و علم ما بينها. ما بين الأمور من الجمع و الفرق. الجمع الاشتراك في المطلق الكلي. و الفرق عدم الاشتراك إذا وجدت في الأعيان. و التشابه و الاختلاف و هؤلاء لا يضلون بالمشابهة. من هداة الله هذه الهداية لا يضلون بالمشابهة من الكلام. في هذه النقطة و غيرها لأنهم يجمعون بينهم و بين المحكم الفارق. المحكم هو الفارق بين المشابهات. إذا تلو الآيات التي فيها التشابه حكموا بينها بالمحكم. الفارق الذي يبين ما بينهما. ما بين المشابهات من الفصل و الإفتراق. و هذا كما أن لفظ. هذا يُعتبر مثال. القطعة الثانية الجاية¹ هذه مثال للقواعد التي تقدمت. إنتبهوا. و هذا كما أن لفظ إن و نحن و غيرهما من صيغ الجمع. صيغ الجمع هي في الظاهر صيغ الجمع. يتكلم بها الواحد الذي له شركاء. صيغ الجمع يتكلم بها الواحد الذي له شركاء في الفعل "فعلنا" "قلنا" "كتبنا" و يتكلم بها الواحد العظيم الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد. أي ليس هناك اشتراك و ليس هناك شركاء. لكن له صفات تقوم كل صفة مقام واحد. أي يُبيع و تُصيغ الجمع. وجود هذه الصفات تُصيغ الجمع. و له جنود. لهذا العظيم له جنود تابعون له لا شركاء له. ليس له شركاء و لا له أعوان. لكن هناك تابعون. هناك جنود تابعون له. ليسوا معه و لكن تابعون له. لا شركاء له. فإذا تمسك النصاري بالمشابهة. فقال قوله تعالى مثلاً (إننا نحن نزلنا الذكر و إننا له لحافظون) هذه ضمائر تدل على الجمع. في ظاهرها تدل على التعدد. إذا هذه الضمائر تدل على تعدد الآلهة. و قد يقول هذا من ينتسب إلى الإسلام و أصيب بشبهة. كيف تُرد. تُرد هذا المشابهة إلى المحكم (إننا) ضمير فصل يدل

¹ الجاية = القادمة .

على - صِيغَتُهُ صِيغَةُ الْجَمْعِ. "نَحْنُ" ضَمِيرُ فَصْلٍ صِيغَتُهُ صِيغَةُ الْجَمْعِ. (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا) "نَا" ضَمِيرُ مُتَّصِلٍ صِيغَتُهُ صِيغَةُ جَمْعٍ. (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وَأَوَّ الْجَمَاعَةِ فِي ظَاهِرِهَا. هَذَا الْحَرْفُ فِي ظَاهِرِهِ ضَمِيرُ جَمْعٍ يَدُلُّ عَلَى التَّعَدُّدِ. وَ هَلْ فِي حَقِّ -اللَّهِ تَعَالَى- هَذِهِ الضَّمَائِرُ تَدُلُّ عَلَى التَّعَدُّدِ؟! لَا , تَرُدُّ هَذَا الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَى هَذَا الْمُتَشَابِهِ. وَ مَا هُوَ ذَلِكَ الْمُحْكَمُ؟ (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ , اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ). هَذَا مُحْكَمٌ يَحْكُمُ عَلَى الْمُتَشَابِهِ. أَيُّ يُبَيِّنُ مُرَادَ الْمُتَكَلِّمِ بِهَذِهِ الضَّمَائِرِ. هَذِهِ الضَّمَائِرُ تُسَمَّى ضَمَائِرِ الْعِظَمَةِ. لَيْسَ ضَمِيرُ الْجَمْعِ. لَيْسَ الضَّمَائِرُ تَدُلُّ عَلَى التَّعَدُّدِ وَ إِن كَانَ الصَّيْغَةُ صِيغَةُ الْجَمْعِ. لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- تَدُلُّ عَلَى الْعِظَمَةِ. لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَهُ الصِّفَاتُ الْعُلَا وَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَ لَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ. وَجُودُ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ وَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَ الْجُنُودِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- صَوَّغَ هَذَا الْجَمْعَ. أَيُّ هَذِهِ الضَّمَائِرُ وَ إِن كَانَتْ لَا تَدُلُّ عَلَى تَعَدُّدِ الْمُتَكَلِّمِ وَ لَكِنْ تَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ الْمُتَكَلِّمِ. يُقَالُ لِهَذِهِ الضَّمَائِرِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى. إِنَّهَا ضَمَائِرُ عِظَمَةٍ. ضَمَائِرُ تَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- . هَكَذَا تَجْمَعُ بَيْنَ الْمُحْكَمِ وَ بَيْنَ الْمُتَشَابِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَ إِذَا تَمَسَّكَ النَّصْرَانِيُّ بِقَوْلِهِ (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وَ نَحْوَهُ. عَلَى تَعَدُّدِ الْإِلَهِةِ. أَخَذًا بِظَوَاهِرِ هَذِهِ الضَّمَائِرِ كَانَ الْمُحْكَمُ الَّذِي يَحْكُمُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وَ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنَى وَاحِدًا. قَوْلُهُ تَعَالَى (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنَى وَاحِدًا. تَوْحِيدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. بِأَنَّ مَعْبُودَكُمْ وَاحِدًا. الْمَعْبُودُ بِالْحَقِّ وَاحِدٌ. وَ إِنَّ عِبْدَ غَيْرِهِ فَعِبَادَةٌ بَاطِلَةٌ. لَكِنَّ الْمَعْبُودَ بِالْحَقِّ (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) مَعْبُودُكُمْ بِالْحَقِّ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا تَعَدَّدُ فِيهِ. وَ هَذِهِ الضَّمَائِرُ لَا تَدُلُّ عَلَى التَّعَدُّدِ وَ لَكِنْ تَدُلُّ عَلَى الْعِظَمَةِ كَمَا قُلْنَا. نُزِيلُ مَا هُنَاكَ مِنَ الْإِشْتِبَاهِ. وَ كَانَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ صِيغِ الْجَمْعِ مَبْنِيًا لِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعِظَمَةِ وَ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ طَاعَةِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ غَيْرِهِمْ. عِبَادُ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِي طَاعَةِ الرَّبِّ

سبحانه و تعالى. هؤلاء كلهم جنود. وجود هؤلاء الجنود. وجود الأسماء و الصفات. كل هذا يدل على عظمة الرب سبحانه و تعالى. إذاً له أن يقول سبحانه (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ) له أن يقول (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ و إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ليدل ذلك على العظمة . نعم .

القارئ: قَالَ الْمُصَنِّفُ رحمه -الله تعالى- (وأما حقيقة ما دل عليه ذلك من حقائق الأسماء والصفات، وما له من الجنود الذين يستعملهم في أفعاله، فلا يعلمه إلا هو {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} ، وهذا من تأويل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، بخلاف الملك من البشر إذا قال: قد أمرنا لك بعتاء. فقد علم أنه هو وأعوانه - مثل كاتبه، وحاجبه، وخادمه، ونحو ذلك - أمروا به، وقد يُعلم ما صدر عنه ذلك الفعل من اعتقاداته وإراداته ونحو ذلك ، والله سبحانه وتعالى لَا يَعْلَمُ عِبَادُهُ الْحَقَائِقَ التي أخبر عنها من صفاته وصفات اليوم الآخر، ولا يعلمون حقائق ما أراد بخلقه وأمره من الحكمة، ولا حقائق ما صدرت عنه من المشيئة والقدرة ، وبهذا يتبين أن التشابه يكون في الألفاظ المتواطئة، كما يكون في الألفاظ المشتركة التي ليست بمتواطئة، وإن زال الاشتباه بما يُميز أحد النوعين (و في رسالة الشيخ الشارح هكذا "أَحَدَ الْمَعْنَيْنِ" من إضافة أو تعريف، كما إذا قيل: {فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ} فهناك قد خص هذا الماء بالجنة، فَظَهَرَ الْفَرْقُ بينه وبين ماء الدنيا، لكن حقيقة ما امتاز به ذلك الماء غير معلوم لنا، وهو - مع ما أعد الله لعباده الصالحين مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر - من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ، وكذلك مدلول أسمائه وصفاته التي يختص بها، التي هي حقيقته، لا يعلمها إلا هو ، ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره يُنكرون على الجهمية وأمثالهم من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه - تأويل ما تشابه عليهم من القرآن على غير تأويله، كما قال الإمام أحمد في كتابه الذي صنفه «في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأويلته على غير تأويله» ، وإنما ذمهم لكونهم تأولوه على غير تأويله، وذكر في ذلك ما يشبهه عليهم معناه، وإن كان لا يشبهه على غيرهم، وذمهم على أنهم تأولوه على غير تأويله، وَلَمْ يَنْفِ "يعني الإمام أحمد"

مُطلق التأويل، كما تقدم من أن لفظ «التأويل» يراد به التفسير المبين لمراد الله تعالى به، فذلك لا يعاب بل يحمد، ويراد بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله بعلمها، فذاك لا يعلمه إلا هو، وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع).

الشيخ: قَالَ الشَّيْخُ رحمه -الله تعالى- وَ أَمَّا حَقِيقَةُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ. لَا الْأَسْمَاءُ وَ الصِّفَاتُ بَلْ حَقَائِقُ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ. الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ الْعِبَادُ حَقَائِقُ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ لَا مَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ. مَعَانِي الْأَسْمَاءِ مَعْلُومَةٌ وَ مَعَانِي الصِّفَاتِ مَعْلُومَةٌ. فَالشَّيْءُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ الْعِبَادُ: الْحَقَائِقُ، وَ هُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. وَ مَا لَهُ مِنَ الْجُنُودِ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي أَعْمَالِهِ. فَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ. هَؤُلَاءِ الْجُنُودُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ غَيْرِهِمْ عَدَدُهُمْ وَ حَقِيقَتُهُمْ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَلَائِكَةِ خُصُوصًا وَ مَا يَقُومُونَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ. كُلُّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ (وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) وَ هَذَا مِنْ تَأْوِيلِ الْمُتَشَابِهَةِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. يُخْطِئُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا يَسْتَدِلُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) يَحْسِبُونَ أَنَّ مَعَانِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ. هَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ وَ جَسِيمٌ جِدًّا. حَالُ بَيِّنٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَ بَيِّنٌ تَدْبُرُ كِتَابِ اللَّهِ. التَّأْوِيلُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ: حَقَائِقُ الصِّفَاتِ وَ حَقَائِقُ الْأَسْمَاءِ وَ حَقِيقَةُ ذَاتِهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ حَقَائِقُ مَا عَدَّهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ لِعِبَادِهِ. الْحَقَائِقُ لَا الْمَعَانِي. لَا أَحَدٌ يَجْهَلُ مَعْنَى السَّمْعِ وَ مَعْنَى الْبَصَرِ وَ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ وَ مَعْنَى النَّزُولِ وَ مَعْنَى الْمَجِيئِ. هَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ. سِوَاءُ كَانَتِ الصِّفَاتُ صِفَاتٍ ذَاتِيَّةٍ كَالْقُدْرَةِ وَ الْإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ. أَوْ صِفَاتٍ فِعْلِيَّةٍ كَالِإِسْتِوَاءِ وَ النَّزُولِ وَ الْمَجِيئِ أَوْ صِفَاتٍ خَبَرِيَّةٍ كَالْوَجْهِ وَ الْيَدَيْنِ وَ الْقَدَمِ وَ الْأَصَابِعِ أَوْ صِفَاتٍ عَقْلِيَّةٍ كَالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْإِرَادَةِ. كُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَعَانِيهَا مَعْلُومَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ. بَلْ عِنْدَ كُلِّ مَنْ يَعْلَمُ اللَّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ. لِأَنَّهَا مَعْلُومَةٌ مِنْ وَضْعِهَا. أَمَّا الَّذِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْلَمُهَا الْعِبَادُ: لَا مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. حَقِيقَةُ سَمْعِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ حَقِيقَةُ بَصَرِهِ وَ حَقِيقَةُ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَ حَقِيقَةُ نُزُولِهِ وَ حَقِيقَةُ مَجِيئِهِ وَ كَيْفِيَّةُ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ. هَكَذَا يَجِبُ أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ التَّأْوِيلِ

الذي لا يعلمه إلا الله و بين التأويل الذي يعلمه الراسخون. بل بين المعاني التي لا يُعذر أحدٌ بجهلها . يقول عبد الله ابن عباس تفسير القرآن على أربعة أوجه. تفسيرٌ تعلمه العرب من لغتها. المفردات العربية. إذا أشكلت عليك إسأل صاحب البادية. المتوغل في البادية. يعلم. الإنشقاق و الإنفطار , لا تعلم هذه المفردات إلا من العرب , الذين بقوا على لغتهم و لم تتغير لغتهم. هذا تفسير , و تفسير يعلمه العلماء. العلماء هم الذين يعلمون الناسخ من المنسوخ و المقيّد و المطلق و غير ذلك. و الجمع بين المحكم و بين المتشابه. هذا تفسير يعلمه العلماء. و تفسير لا يُعذر أحدٌ بجهله و لو كان أعجمياً و لو كان لا يقرأ القرآن. يجب أن يطبق معاني تلك الآيات (أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة) هل يُعذر مسلمٌ في جهل معنى أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة؟ لا , حتى إذا كان لا يقرؤه. حتى إذا كان أعجمياً. طالما هو مسلم يعرف أنه مُطالب بإيقام الصلاة و إيتاء الزكاة و مُطالب بأن يتجنب ما حرّمه -الله- عليه. هذه المعاني أي الأحكام (إلهكم إله واحد) لا يُعذر أحدٌ بجهل هذا. من الذي يجهل و هو مسلم (إلهكم إله واحد) ؟ يعلمه كل مسلم. و إن جهل لا يُعذر بجهله في مثل هذا. هذا معنى تفسير لا يُعذر أحدٌ بجهله. الرابع: تفسير لا يعلمه إلا الله. حقائق الأسماء و الصفات. حقيقة ذات الرب. الحقائق التي هيأها -الله سبحانه و تعالى- في الجنة لعباده الصالحين (ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و ض لا خطر على قلب بشر) هكذا يعلم أهل العلم و يُفترقون بين هذه الأشياء. لذلك يقول الشيخ رحمه -الله تعالى- و هذا من تأويل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله , إذا لا نخلط بين التأويل الذي لا يعلمه إلا الله و بين التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم. بخلاف الملك من البشر. إذا قال الملك من البشر مخاطباً لبعض الناس : أمرنا لك بعتاء. أمرنا ببناء مدينة. أمرنا الجيش بالهجوم. أمرنا بكذا و كذا.. هل هذه لمجرد العظمة؟ الضمير هذا "أمرنا"؟ لا , فقد يعلم أنه هو و أعوانه مثل كاتبه و حاجبه و خادمه و نحو ذلك أمروا بهم. أي الملك من البشر لا يستقل بالأمر و الفعل. بل هو بحاجة إلى الأعوان. بحاجة إلى أمرائه و وزرائه و كتّابه و الحراس و الحاجب و الخادم و المراسل. هؤلاء كلهم جنوده. إذا قال أمرنا بكذا يعني هو و من

يَتَعَاوَنُونَ مَعَهُ. لِأَنَّ الْمَلِكَ مِنَ الْبَشَرِ ضَعِيفٌ. لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَقِيلَ بِالْفِعْلِ وَحْدَهُ. بَلْ فِي كُلِّ فِعْلٍ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرٍ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَتَعَاوَنُ مَعَهُ. إِذَا هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ أَنْ يَقُولَ الْمَلِكُ مِنَ الْبَشَرِ أَمْرًا بِكَذَا وَ بَيْنَ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ -سبحانه و تعالى- (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) لَا يَخْتَلِطُ الْأَمْرُ عَلَيْنَا أَبَدًا. بَيْنَهُمَا فَرْقٌ كَبِيرٌ. وَ قَدْ يُعْلَمُ مَا صَدَرَ عَنْهُ ذَلِكَ الْفِعْلُ. فَالرَّبُّ -سبحانه و تعالى- يَفْعَلُ فِعْلًا لِحِكْمَةٍ. يُشْرِعُ لِحِكْمَةٍ. لَكِنْ هَلْ كُلُّ النَّاسِ يَعْلَمُونَ الْحِكْمَةَ فِي أَفْعَالِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى-؟ فِي الْعَالِبِ الْكَثِيرِ لَا نَعْلَمُ. وَ إِذَا عَلِمْنَا الْحِكْمَةَ فِي أَمْرِهِ وَ تَشْرِيعِهِ بِإِخْبَارٍ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى نَزْدَادُ إِيْمَانًا عَلَى إِيْمَانٍ. وَ إِذَا لَمْ نَعْلَمْ أَمَّا يَجْبِرُهُ قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ الْحِكْمَةَ. وَ لَيْسَ الْأَمْرُ مِنَ الْمَلِكِ مِنَ الْبَشَرِ بِهَذِهِ الْمِثَابَةِ لَا , لِذَلِكَ قَالَ وَ قَدْ يُعْلَمُ مَا صَدَرَ عَنْهُ ذَلِكَ الْفِعْلُ. مِنْ اعْتِقَادَاتِهِ وَ إِرَادَاتِهِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ . النَّاسُ تَعْلَمُ لِمَاذَا أَمَرَ بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَ لِمَاذَا أَمَرَ بِأَنْ يُعْطَى فُلَانٌ بِكَذَا وَ كَذَا. يَعْلَمُونَ لِأَنَّهُ كَانَ بَطَلًا أَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا فِي الْجِهَادِ. لِذَلِكَ يُعْطَى. أَيْ الْأَسْبَابَ وَ مُرَادُهُ وَ اعْتِقَادَاتُهُ فِي مَا يَأْمُرُ وَ فِي مَا يَفْعَلُ مَعْلُومٌ. لَيْسَ كَالْمَلِكِ الْحَقِّ. الْمَلِكُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ , وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ عِبَادَتُهُ الْحَقَائِقَ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا مِنْ صِفَاتِهِ وَ صِفَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ. لَا نَعْلَمُ حَقَائِقَ صِفَاتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ. سِوَاءُ كَانَتْ الصِّفَاتُ ذَاتِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً. وَ لَا نَعْلَمُ حَقِيقَةَ صِفَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى أَنْ يَسْتَقَرَّ الْعِبَادُ إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَ إِمَّا فِي النَّارِ. الَّذِي يَجْرِي فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. تِلْكَ الْحَقَائِقُ لَا نَعْلَمُ حَقِيقَتَهَا. وَ لَكِنْ نُؤْمِنُ إِيْمَانًا مِنَّا بِجَبْرِ اللَّهِ -سبحانه و تعالى- وَ خَبَرِ رَسُولِهِ لِأَنَّنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) نُؤْمِنُ بِشُؤْنِ الْمَعَادِ كَمَا آمَنَّا بِالْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ وَ بِالنَّبَوَاتِ. كُلِّ ذَلِكَ فِي الْعَالِبِ الْكَثِيرِ مِنَ الْغَيْبِ. نُؤْمِنُ بِهَذَا الْغَيْبِ كَمَا نُؤْمِنُ بِالْمَحْسُوسَاتِ. لَا فَرْقَ عِنْدَنَا فِي الْإِيْمَانِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ مُحْسُوسًا أَوْ غَيْبًا. وَ لَا يَعْلَمُونَ حَقَائِقَ مَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ وَ أَمْرِهِ. لِمَاذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ؟ إِلَّا إِذَا أَخْبَرْنَا (وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) عَلِمْنَا هُنَا الْحِكْمَةَ الْعَامَّةَ فِي خَلْقِ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ. خَلَقَ اللَّهُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ لِيَعْرِفُوهُ وَ لِيُؤَحِّدُوهُ وَ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ. هَذِهِ الْحِكْمَةُ. اللَّامُ هَذِهِ عِنْدَ النَّحَاةِ تُسَمَّى لَامُ الْعِلَّةِ. هِيَ الَّتِي نَفَاهَا الْأَشَاعِرَةُ وَ اضْطَرُّوا. بَنَفِي لَامُ الْعِلَّةِ نَقُو الْحِكْمَةَ

في فعل الرب - سبحانه و تعالى - قالوا أفعال الله تعالى لا تُعَلَّل. أي لا تُذكر لها الحكمة. و هذا خطأ. الله - سبحانه و تعالى - من أسمائه العليم الحكيم. لا يفعل و لا يأمر و لا ينهى و لا يُشرع إلا لحكمة. علمنا ذلك أو لم نعلم. هذا معنى قوله و لا يعلمون حقائق ما أَرَادَ بِخَلْقِهِ و أمره. إذا أمر بأمر أو نهى بنهي أو نهى عن شيء. لا نعلم من الحكمة إلا ما علمنا الله. و لا حقائق ما صدرت عنه من المشيئة و القدرة. ما هو و إن كان مصدر ذلك مشيئة الله تعالى - و قدرته. لكن ماهي حقائق تلك. حقيقة مشيئته و حقيقة قدرته و حقيقة إرادته؟ لا نعلم. و مع ذلك يجب أن نُفرق بين الإرادة الكونية القدرة التي بمعنى المشيئة. التي تصدر من هذه الأشياء و بين الإرادة الشرعية الدينية التي بمعنى المحبة و الرضى. و هذا الـ: عدم التفريق بين الإرادتين هو سبب ضلال كثير من شيوخ الأشاعرة. الذين لا يفرقون بين الإرادة الدينية و الإرادة الشرعية و الرضى و المحبة و جعلوا شيئاً واحداً و اضطربوا اضطراباً عظيماً جداً. كبارهم بما يطول شرحه الآن. و بهذا يتبين أن التشابه يكون في الألفاظ المتواطئة أي المتفقة كالإتفاق في الظاهر بين أسماء الله تعالى و أسماء خلقه و بين صفاته و صفات خلقه كما يكون في الألفاظ المشتركة. الألفاظ المشتركة التي مثلنا في ما سبق بالعين مثلاً. و إن كان لهذا البحث مزيد بحث إن شاء الله.

التي ليست متواطئة و إن زال الإشتباه بما يميز أحد المعنيين من إضافة أو تعريف و إن زال الإشتباه بما يميز بين المعنيين المشتركين في الظاهر. في اللفظ و في المعنى العام من إضافة أو تعريف. الذي يفرق بين المعنيين الإضافة و التعريف كما تقدم. مثلنا بالعلم مثلاً. كما إذا قيل فيها أنهار من ماء. فهنا قد حص هذا الماء بالجنة. "فيها" في الجنة. أنهار من ماء. حص هذا الماء بالجنة فظهر الفرق بينه و بين ماء الدنيا. أنهار من ماء و أنهار من لبن. أنهار من خمر. أنهار من عسل. و هناك الحليب و هناك الفضة و هناك و هناك. و هل تلك الحقائق كهذه الحقائق؟ لا , إتفاق في الأسماء فقط. و لو جمعنا عسل الدنيا كلها. هل نكون منه خمرًا واحدًا؟ هناك أنهار. أنهار من عسل. هل يمكن تكوين خمر واحد من العسل الذي يخرج من هذا الطير المعروف؟ ممكن؟! لا , هذا دليل على أن تلك الحقائق خلاف هذه الحقائق.

إِتِّفَاقٌ فِي الْإِسْمِ الْعَامِ وَ الْمَعْنَى الْعَامِ وَ الْحَقَائِقُ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ. فَإِذَا كُنَّا لَا نُدْرِكُ حَقَائِقَ بَعْضِ
المخلوقات كموجودات الجنة. كَيْفَ يُحَاوِلُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُدْرِكَ حَقَائِقَ صِفَاتِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَ
تَعَالَى وَ إِذَا مَا أَدْرَكَ خَرَجَ بِإِحْدَى نَتِيجَتَيْنِ. إِمَّا التَّشْبِيهَ وَ إِمَّا التَّعْطِيلَ. هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَوَرَّطُوا
إِمَّا فِي التَّشْبِيهِ أَوْ فِي التَّعْطِيلِ. بَدَّوْا فِي مُحَاوَلَةِ إِدْرَاكِ حَقَائِقِ صِفَاتِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ
تَعَالَى- قَالُوا إِنَّمَا خُوطِبْنَا بِمَا نَعْقِلُ. إِذَا يَجِبُ أَنْ نُدْرِكَ حَقِيقَةَ السَّمْعِ وَ حَقِيقَةَ الْبَصَرِ وَ
حَقِيقَةَ الْإِسْتِوَاءِ وَ حَقِيقَةَ النَّزُولِ. فَعَدَّوْا هَذِهِ الْقَاعِدَةَ ثُمَّ حَاوَلُوا فَعَجَزُوا. خَرَجُوا كَمَا قُلْنَا
بِإِحْدَى نَتِيجَتَيْنِ : مِنْهُمْ مَنْ قَالَ. إِذَا حَقَائِقُ هَذِهِ الصِّفَاتِ كَحَقَائِقِنَا. لِأَنَّنَا لَا نَعْقِلُ إِلَّا كَمَا
نَعْقِلُ فِي أَنْفُسِنَا. وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَا. إِنْ قُلْنَا هَكَذَا وَقَعْنَا فِي التَّشْبِيهِ. مَا الْمَخْرَجُ؟! أَنْ
نَنْفِي! . وَ مَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَ الْجَمَاعَةِ فَتَقَرُّوا كَمَا تَقَدَّمَ بَيْنَ الْحَقَائِقِ. تِلْكَ
الْحَقَائِقُ لَا تُدْرِكُ وَ الْإِشْتِرَاكُ فِي الْإِسْمِ الْعَامِ وَ الْمَعْنَى الْعَامِ لَا يَضُرُّ. هَذِهِ هِيَ الْعَقِيدَةُ
السَّلِيمَةُ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَاءِ الدُّنْيَا. لِأَنَّ الْآيَةَ إِنَّمَا
تَتَحَدَّثُ عَنْ مَاءٍ فِي الْجَنَّةِ. فِيهَا أَنْهَارٌ. تَعْرِيفٌ. هَكَذَا عُرِّفَ هَذَا الْمَاءُ وَ التَّعْرِيفُ وَ الْإِضَافَةُ
هُنَا بِمَعْنَى النَّسَبَةِ. لَيْسَتْ الْإِضَافَةُ الْمَعْرُوفَةُ عِنْدَ النَّحَاةِ مُضَافٌ وَ مُضَافٌ إِلَيْهِ. لَيْسَ هَذَا
خَاصٌ. بَلْ مَا يُمَيِّزُ , لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ مَا اِمْتَّازَ بِهِ ذَلِكَ الْمَاءُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنَا. مَا حَقِيقَةُ
ذَلِكَ الْمَاءِ؟ وَهَلْ كَحَقِيقَةِ هَذَا الْمَاءِ؟ لَا , لِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي
الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ. مَاءٌ مَاءً. عَسَلٌ عَسَلٌ. خَمْرٌ خَمْرٌ. لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ لَا , وَ هُوَ مَعَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ
لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مِنْ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أذنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ. مِنْ التَّأْوِيلِ
الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ , وَ كَذَلِكَ مَدْلُولُ أَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ. إِذَا عَجَزْنَا كَمَا قُلْنَا عَنْ إِدْرَاكِ
حَقَائِقِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ كَمَوْجُودَاتِ الْجَنَّةِ. فَنَحْنُ عَاجِزُونَ قَطْعًا عَنْ إِدْرَاكِ حَقَائِقِ أَسْمَائِهِ وَ
صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا. الَّتِي هِيَ حَقِيقَتُهُ. لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ. وَ كَذَلِكَ مَدْلُولُ أَسْمَائِهِ وَ
صِفَاتِهِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا. الَّتِي هِيَ حَقِيقَتُهُ. لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ.

الشيخ: كُلُّكُمْ عِنْدَكُمْ الصَّيْعَةُ هَكَذَا ؟

الطَّلَبَةُ:

الشيخ: مِنْهَا بَعْضُ الشَّيْءِ.. فَلْنَكْتَفِ بِهَذَا الْمِقْدَارِ وَ إِلَى غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ صَلَّى اللَّهُ وَ
سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ.

الدرس رقم : 27

القارئ: يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره ينكرون على الجهمية وأمثالهم من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه -تأويل ما تشابه عليهم من القرآن على غير تأويله ، كما قال الإمام أحمد في كتابه الذي صنفه «في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكّت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله» .

وإنما ذمهم لكونهم تأولوه على غير تأويله، وذكر في ذلك ما يشبهه عليهم معناه، وإن كان لا يشبهه على غيرهم، وذمهم على أنهم تأولوه على غير تأويله، ولم ينف مطلق التأويل، كما تقدم من أن لفظ «التأويل» يراد به التفسير المبين لمراد الله تعالى به، فذلك لا يعاب بل يحمد، ويراد بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله بعلمها، فذاك لا يعلمه إلا هو، وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع ، ومن لم يعرف هذا اضطربت أقواله، مثل طائفة يقولون: إن التأويل باطل، وإنه يجب إجراء اللفظ على ظاهره ، ويحتجون بقوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} ويحتجون بهذه الآية على إبطال التأويل ، وهذا تناقض منهم، لأن هذه الآية تقتضي أن هناك تأويلا لا يعلمه إلا الله، وهم ينفون التأويل مطلقا ، وجهة الغلط أن التأويل الذي استأثر الله بعلمه هو الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو، وأما التأويل المذموم والباطل فهو تأويل أهل التحريف والبدع، الذين يتأولونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل! ويصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه! فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإن كان الثابت حقا ممكنا كان المنفي مثله، وإن كان المنفي باطلا ممتنعا كان الثابت مثله ، وهؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقا، ويحتجون بقوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} قد يظنون أننا خوطبنا في القرآن بما لا يفهمه أحد، أو بما لا معنى له، أو بما لا يفهم منه شيء. وهذا مع أنه باطل فهو متناقض، لأننا إذا لم نفهم منه شيئا لم يجوز أن نقول: له تأويل يخالف الظاهر ولا يوافقه، لإمكان أن يكون له معنى صحيح، وذلك المعنى

الصحيح لا يخالف الظاهر المعلوم لنا، فإنه لا ظاهر له على قولهم، فلا تكون دلالة على ذلك المعنى دلالة على خلاف الظاهر فلا يكون تأويلاً، ولا يجوز نفي دلالة على معان لا نعرفها على هذا التقدير، فإن تلك المعاني التي دلت عليها قد لا نكون عارفين بها، ولأننا إذا لم نفهم اللفظ ومدلوله المراد فلأن لا نعرف المعاني التي لم يدل عليها اللفظ أولى، لأن إشعار اللفظ بما يراد به أقوى من إشعاره بما لا يراد به، فإذا كان اللفظ لا إشعار له بمعنى من المعاني، ولا يفهم منه معنى أصلاً، لم يكن مشعراً بما أريد به، فلأن لا يكون مشعراً بما لم يرد به أولى).

الشيخ: بَسْنِ، الحمد لله و الصلوة والسلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد , يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- وَ بِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ التَّشَابُهَ يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ كَمَا يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِمُتَوَاطِئَةٍ. عِنْدَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ قُلْنَا لَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الشَّيْخُ. وَ بِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ التَّشَابُهَ يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ كَمَا يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ. الَّتِي لَيْسَتْ بِمُتَوَاطِئَةٍ. مَا هِيَ الْأَلْفَاظُ الْمُتَوَاطِئَةُ؟ وَ مَا هِيَ الْأَلْفَاظُ الْمُشْتَرَكَةُ؟ وَ هَلْ هُنَاكَ أَلْفَاظٌ أُخْرَى؟ هَذَا مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَهُ طَالِبُ الْعِلْمِ.

الألفاظ. النَّسَبُ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ كَالآتِي: أَوَّلًا "التَّرَادُفُ" الْأَلْفَاظُ الْمُتَرَادِفَةُ أَوْ مَا اخْتَلَفَ لَفْظُهُ وَ اتَّحَدَ مَعْنَاهُ. إِذَا قِيلَ هَذَا اللَّفْظُ مُتَرَادِفٌ مَعَ اللَّفْظِ الْفُلَانِيِّ مَعْنَاهُ مَا اخْتَلَفَ لَفْظُهُ وَ اتَّحَدَ مَعْنَاهُ كَاللَّيْثِ وَ الْأَسَدِ وَ الْغُضْمَفَرِ وَ السَّيْفِ وَ الصَّارِمِ. هَذِهِ الْأَلْفَاظُ وَ انْ اخْتَلَفَتْ الْأَلْفَاظُ الْمُعَانِي وَاحِدَةً , هَذَا يُقَالُ لَهُ مُتَرَادِفٌ , وَ هُنَاكَ الْإِشْتِرَاكُ. اللَّفْظُ الْمُشْتَرَكُ : مَا اتَّحَدَ لَفْظُهُ وَ اخْتَلَفَ مَعْنَاهُ كَالْعَيْنِ وَ الْقُرْ . الْعَيْنُ تُطْلَقُ عَلَى الْعَيْنِ الْبَاصِرَةِ وَ عَلَى الْعَيْنِ الْجَارِيَةِ وَ عَلَى الذَّهَبِ. وَ الْقُرْ يُطْلَقُ عَلَى الْحَيْضِ وَ عَلَى الطُّهْرِ. هَذَا يُقَالُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ. أَيْ تَشْتَرِكُ فِي الْمَعْنَى. يَتَّحِدُ اللَّفْظُ وَ يَخْتَلِفُ الْمَعْنَى. وَ الْإِشْتِرَاكُ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ لَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى. وَ هُنَاكَ أَلْفَاظٌ مُتَبَايِنَةٌ. مَا اخْتَلَفَ لَفْظُهُ وَ مَعْنَاهُ كَالسَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجَبَلِ وَ النَّهْرِ وَ الْبَقَرِ وَ الْجَمَلِ. هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مُتَبَايِنَةٌ لَفْظًا وَ مَعْنَى. وَ هُنَاكَ أَلْفَاظٌ مُتَوَاطِئَةٌ. هَذَا هُوَ

محل الشاهد. ما اتفق لفظه و معناه ينقسم إلى قسمين: المتواطئ. هذا اللفظ يسمى متواطئاً و لكنّه لابد أن يقسم. قد يكون متواطئاً مطلقاً. إن كان المعنى متساوياً. يقال له المتواطئ المطلق مثل لفظ الرجل. يطلق على زيد و على عمر. و المعاني متساوية. معنى الرجولة في زيد و في عمر متساوية. و إن حصل التفاضل في بعض الصفات كالكرم و الشجاعة. هذا أمر زائد على معنى الرجولة. لكن معنى الرجولة فيهما متحد متساوي. و إن كان المعنى متفاوتاً و متفاوتاً. يقال له الألفاظ المشككة كالنور. لفظ النور للشمس و السراج. لفظ النور يطلق على الشمس و يطلق على ذلك السراج الضعيف و بينهما من التفاوت و التفاضل ما لا يخفى. هذا يقال له من الألفاظ المشككة. فلذلك إشتراك لفظ العلم أو العالم مثلاً. فاعلم الله تعالى و علم المخلوق. يعتبره بعضهم من هذا الباب. من الألفاظ المشككة للتفاوت و التفاضل بين علم الخالق و علم المخلوق.

يقول الشيخ رحمه الله تعالى - يكون في الألفاظ الإشتراك أو الاشتباه يكون في الألفاظ المتواطئة. سواء كان التواطئ متساوٍ أو بالتفاوت كما يكون في الألفاظ المشتركة كما شرحنا التي ليست بمتواطئة. و إن زال الاشتباه بما يميز أحد المعنيين من إضافة أو تعريف كما إذا قيل فيها أنهار من ماء. فيها هذا الضمير هو الذي يميز. أي الحديث عن الماء الذي في الجنة. فيها أنهار من ماء. وإلا لفظ الماء يشترك فيه لفظ ماء الجنة و ماء الدنيا. فهنا قد خص هذا الماء بالجنة. فظهر الفرق بينه و بين ماء الدنيا. لكن حقيقة ما امتاز به ذلك الماء غير معلوم لنا. الحقيقة الخاصة التي امتاز بها ذلك الماء من هذا الماء. و هو مع ما أعدّه الله لعباده الصالحين بما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر. كما جاء ذلك في الحديث القدسي. ذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. إذا الشيء الذي تجهل. لا تجهل معنى الماء ولا معنى الخمر و لا معنى العسل. لكن حقيقة ذلك العسل و حقيقة تلك الخمر و ذلك الماء. أي حقيقة ذلك الماء هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. و كذلك مدلول أسمائه و صفاته التي يختص بها و التي هي حقيقته لا يعلمها إلا الله. معنى هذا أننا نفهم معاني الأسماء و معاني الصفات. كما نعلم معنى ماء و عسل و خمر. و تجهل حقيقة أسماء

-الله تعالى- و كَيْفِيَّتِهَا و حَقِيقَةُ صِفَاتِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- و كَيْفِيَّتِهَا كَمَا بَجْهَلِ حَقِيقَةِ الْمَاءِ وَ حَقِيقَةِ الْعَسَلِ وَ اللَّبَنِ وَ الْحَمْرِ وَ الْحَرِيرِ فِي الْجَنَّةِ. وَإِذَا كُنَّا بَجْهَلِ وَ لَا نَتَرَدَّدُ فِي جَهْلِنَا لِحَقِيقَةِ مَوْجُودَاتِ الْجَنَّةِ وَ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَرَدَّدُ فِي جَهْلِنَا وَ عَجَزْنَا عَنْ إِدْرَاكِ حَقَائِقِ الصِّفَاتِ وَ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَ حَقِيقَةِ الذَّاتِ.

يقول الشيخ رحمه -الله تعالى- و لهذا كَانَ الْأَيْمَةُ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَ غَيْرِهِ مِنْ أَيْمَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي هَذَا الْبَابِ وَ رَدُّوا عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ. يُنَكِّرُونَ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنَ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. تَأْوِيلُ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ. إِذَا الشَّيْءُ الَّذِي أَنْكَرُوا. تَأْوِيلُ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ. وَ هُوَ التَّحْرِيفُ. التَّأْوِيلُ الْمَذْمُومُ الَّذِي ذَمَّهُ الْأَيْمَةُ وَ أَنْكَرُوا عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَ الْمُعْتَزِلَةِ وَ الْأَشَاعِرَةِ هُوَ تَأْوِيلُهُمْ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ. أَيْ صَرَفُ اللَّفْظِ عَنِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ بِدَلِيلٍ يُدَّعَى. وَ ذَلِكَ الدَّلِيلُ هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ. عِنْدَ الَّذِينَ يَنْفُونَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ وَ الَّذِينَ يَنْفُونَ بَعْضَهَا. أَوْ عِنْدَ الَّذِينَ يَنْفُونَ وَ يَأْوِلُونَ الْأَسْمَاءَ وَ الصِّفَاتِ مُطْلَقًا. الَّذِينَ لَا يُثْبِتُونَ لِلَّهِ -سبحانه و تعالى- إِلَّا الْوُجُودَ الْمُطْلَقَ الذَّهْنِيَّ وَ هُمُ الْجَهْمِيَّةُ. أَوْ الَّذِينَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ يَدَّعُونَ إِثْبَاتَ أَسْمَاءٍ مُجَرَّدَةٍ لَا مَعْنَى لَهَا كَالْأَعْلَامِ هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ. أَوْ الَّذِينَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ صِفَاتِ -الله تعالى- وَ يَتَلَاَعَبُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ. حَيْثُ يَدَّعُونَ إِثْبَاتَ بَعْضِ الصِّفَاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا. الظَّاهِرُ الَّذِي يَلِيقُ بِاللَّهِ -تعالى- ثُمَّ يَدَّعُونَ وُجُوبَ الْبَاقِي. بَاقِي الصِّفَاتِ وَ هُمُ الْأَشَاعِرَةُ وَ الْمَاتَرِيْدِيَّةُ. فَسَمُّوا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ نَصُوصَ الصِّفَاتِ إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يَحِبُّ إِمْرَأَةً وَ إِجْرَائُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا كَمَا يَلِيقُ بِاللَّهِ -تعالى- مِنْ ذَلِكَ الصِّفَاتِ السَّبْعُ. الَّتِي تَدَّعِي الْأَشَاعِرَةُ أَوْ تُسَمِّي صِفَاتِ الْمَعَانِي. هَذِهِ الصِّفَاتُ كَالْقُدْرَةِ وَ الْإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْحَيَاةِ وَ الْكَلَامِ مَعَ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْكَلَامِ الطَّوِيلِ وَ التَّفْصِيلِ كَمَا تَعْلَمُونَ. يَدَّعُونَ يَحِبُّ إِجْرَاءَ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَوْ نُصُوصَ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا. وَ لَا يَجُوزُ تَأْوِيلُهَا وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَيْ ظَاهِرٍ هَذَا قَالُوا الظَّاهِرُ الَّذِي يَلِيقُ بِاللَّهِ. وَ إِذَا جَاءَ ذِكْرُ الْوَجْهِ وَ الْيَدَيْنِ وَ ذِكْرُ الْإِسْتِوَاءِ وَ الْحَيِّ وَ النَّزُولِ قَالُوا يَحِبُّ تَأْوِيلُهَا وَجُوبًا. مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟ لِمَاذَا فَرَّقْتُمْ بَيْنَ مَا جَمَعَ اللَّهُ؟ مَا

الذي أذن لكم في هذا التفريق؟ قالوا الإستحالة العقلية!. كما قالت الجهمية من قبل.
 الإستحالة العقلية هي التي أوجبَت نفيَ الاسماء و الصفات معاً. و قالت المعتزلة: الإستحالة
 العقلية هي التي أوجبَت نفيَ الصفات دونَ الاسماء. زعمت الاشعرية إنَّ الإستحالة العقلية
 هي التي أوجبَت هذا التفريق. يستحيل عقلاً إثبات الوجه و اليدين مثلاً لله. و يحب عقلاً
 إثبات القدرة و الإرادة و السمع و البصر إلى آخر الصفات. إذا العمدَةُ الدليلُ العقلي. و
 أعرضوا جميعاً عن النصوص. بهذا إختلفوا و تضاربوا و ردَّ أهل السنة على الجميع. على
 الجهمية و المعتزلة و الأشاعرة و دعوى الأشاعرة الى يومنا هذا أنَّهم من أهل السنة و
 الجماعة تناقض. أهل السنة و الجماعة لا يتناقضون و لا يجزؤون على كتاب -الله تعالى-
 بهذا التلاعب.

كما قال الإمام أحمد في كتابه الذي صنّفه في الرد على الزنادقة و الجهمية في ما شكّت
 فيه من مُتشابه القرآن و تأويلته على غير تأويله. ردَّ عليهم ردّاً و ناقشهم مناقشةً عقليةً و
 سمعيةً. من راجع الكتاب يدرك أن سلفنا يجيدون المناقشة العقلية كما يجيدون المناقشة بالأدلة
 النقلية. و دعوى المتأخرين بأنَّ السلف لا يستعملون الأدلة العقلية. يسردون النصوص
 سرداً. هذا اتهام باطل. و إنما دمههم الإمام و في بعض العبارات أو في بعض النسخ "و إنما
 دموهم الأئمة لكونهم تأولوه" تأولوا القرآن على غير تأويله. و ذكر في ذلك ما يشتهه عليهم
 معناه. وإن كان لا يشتهه على غيرهم. هذا يُعتبر المتشابه النسي. مُتشابه بالنسبة لمن يفهم و
 اشتبه عليه الأمر. و مُحكم بالنسبة لغيرهم. و دموهم أو دمههم على أنَّهم تأولوه على غير
 تأويله و لم ينفي مطلق التأويل. و لم ينفي الإمام أحمد أو لم ينفي الأئمة مطلق التأويل كما
 تقدّم. من أن لفظ التأويل يُراد به التفسير المبيّن لمُراد الله -تعالى-. هذا الذي يحب أن
 يفهمه طلاب العلم و يحفظوه: معاني التأويل , من عرف إطلاق التأويل و معاني التأويل لا
 يشتهه عليه الأمر. التأويل المذموم الذي ذمه الأئمة و أنكروا على الجهمية و المعتزلة و
 الأشاعرة هو التأويل الذي يُعرّفه الأصوليون اليوم "صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى
 الاحتمال المرجوح". أي التحريف. بأن يقولوا (الرحمن على العرش استوى) معناه استولى!.

الإستواء بمعنى الإستيلاء و بمعنى السلطان و بمعنى الملك و معنى الهيمنة. بمعنى واحد. هذه الألفاظ كلها تؤدي معنى واحد. نفى استواء الله - تعالى - بذاته على عرشه. لماذا؟ لأن العقل يحيل ذلك. و القرآن أثبت. قالوا لا. ما أثبتة القرآن لا بد من عرضه على العقل. لذلك قال قائلهم "وكل نص أوهم التشبيه أوله أو فوض و رُم تنزيهاً" و كل نص أوهم التشبيه. عندهم النص يثبت بأنه قد يوهم التشبيه. قد ينزل الله في الكتاب في زعمهم نصاً يوهم تشبيه - الله تعالى - بخلقه. أي نصاً يدل على ما لا يليق بالله. و من الذين يصححون هذه النصوص؟ علماء الكلام! و متى نشأ الكلام في الإسلام؟ في عهد العبّاسيين. الصحابة و الذين عاشوا في عهد الأمويين لا يعلمون لهذا معنى و لم يذكر لديهم شيء. بمعنى إن المسلمين من العهد الأول إلى عهد العبّاسيين بل إلى عهد الخليفة السابع "المأمون". إلى هذا العهد ما كانوا يفهمون هذه المعاني التي صاحت بها الأشاعرة و من معهم. معاني هذه النصوص , لأن استوى في زعمهم لو أثبت على ظاهرة. الإستواء لا يخلو من أحد الإحتمالات الثلاث: المستوي على الشيء، إما يكون مثل ذلك الشيء أو يكون أكبر منه أو أصغر منه. هذه الإحتمالات كلها باطلة. و ما يؤدي إلى الباطل فهو باطل. إذا إبقاء (الرحمن على العرش استوى) على ظاهره باطل عندهم! وهل هذا يفسر بأنهم يؤمنون بهذا القرآن ؟ لا , نصوص الصفات لا يؤمنون بها الإيمان المطلوب. بل بعد تأويلها إلى المعاني التي يريدونها. بعد ذلك يثبتون لا لأن النصوص أثبتت ما أثبتوا. بل لأن الدليل العقلي أثبت. أي عندما ثبت الأشاعرة العلم مثلاً لم يثبتوا العلم بالكتاب و السنة و كذلك بقية صفات المعاني و لكن أثبتوها لأن الدليل العقلي يثبت ذلك. ثم نفو و أولوا الصفات الأخرى لأن الدليل العقلي يستحيل أو يحيل ذلك. هكذا تصرفوا في هذه النصوص. لذلك يقول الشيخ إنما أنكروا و إنما دمهم لكونهم تأولوه على غير تأويله أي بهذا التحريف الذي أشرنا إليه و مثلنا بالاستواء. و ذكر في ذلك ما يشتهه عليهم معناه و إن كان لا يشتهه على غيرهم. نصوص الصفات (الرحمن على العرش استوى) (وجاء ربك) (أأمنتم من في السماء) إلى غير ذلك. هذه النصوص ليست من المتشابهة عند أهل السنة و الجماعة من حيث المعنى. الإشتباه هنا من

حيث الحقيقة والكُنْه. و إلا من حيث المعنى مُحْكَم. لأنَّ الفعل استوى و الفعل جاء و يصعد و ينزل. هذه المعاني معلومة من وضع الكلمة و لا تحتاج إلى تفسير. لذلك من يسأل ما معنى استوى و ما معنى جاء و ما معنى ينزل. كيف تُفسر له؟ تقول: النزول ضد الصعود. فقط تُفسر المعنى بضده. بذكر ضده. و إلا لا تستطيع أن تُفسر هذه المعان. هذا مثل الذي يسأل ما هو الماء؟ الماء هو الماء. و النزول هو النزول. و المحيى هو المحيى. ليس هناك تفسير آخر. و لكن إنما لو سُئِلت ما حقيقة استوى أو كيف استوى؟ كيف يحيى؟ كيف ينزل؟ كيف علمه؟ هذا السؤال الذي ورد على الإمام مالك فأجاب. فيجب أن يُجيب بما أجاب به الإمام مالك اليوم. و بعد اليوم. الاستواء معلوم و النزول معلوم و المحيى معلوم و الكيف مجهول و السؤال عن كيفية هذه الصفات بدعة. فينبغي أن يُنكر على من يأتي بهذه البدعة. و لم ينفي مطلق التأويل. التفي لمطلق التأويل يُوقعك في التناقض. و من قال لا يعرف لهذه الصفات تأويل. من يقول مثلاً اليد لا تأويل لها. الوجه لا تأويل له. واستوى لا تأويل له. أي لا معنى له. إن كان يُريد لا تأويل له: لا معنى له. تناقض , بعد أن ادّعت أنه لا معنى له. قولك يبقى على ظاهرة. أي ظاهرة؟ و أنت نفيت المعنى. هذا تناقض. و الاستدلال على هذا الخطأ بقوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) تناقض آخر. نفيت المعنى. و ما هو هذا التأويل المنفي عندك بقوله -تعالى- (وما يعلم تأويله إلا الله)؟ إذا أثبت المعنى ثم أثبت أن هناك تأويلاً آخر غير المعنى لا يعلمه إلا الله. أثبت بأنك تعلم معنى استوى. و تعلم معنى جاء و معنى نزل إلى غير ذلك. ثم تنفي جهلك حقيقة الاستواء و حقيقة المحيى و حقيقة النزول و أن هذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. و على هذا كما تقدم. التأويل يأتي بمعنى التفسير. التفسير المبيّن لمُرَاد الله -تعالى- و هو الذي يعلمه (و الراسخون) و هو المراد عند المفسرين إذا قالوا تأويل الآية الفلانية كذا و كذا. و تأويل بمعنى الحقيقة. هذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله -سبحانه و تعالى-. التأويل بمعنى التفسير. و بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام. أما التأويل الثالث و هو المذموم بمعنى التحريف. كلما ذُكر التأويل في معرض الذم. المراد به هذا , و لا يجوز للإنسان أن يقول في بعض النصوص: لا تأويل لها أو لا معنى

هنا.

وَ يُرَادُ التَّفْسِيرُ الْمَحْيِيُّ لِمُرَادِ -الله تعالى- به. فلذلك لَا يُعَابُ التَّفْسِيرُ بَلْ يُحْمَدُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ. لَا يُعَابُ التَّأْوِيلُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ. وَ يُرَادُ بِالتَّأْوِيلِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهَا فَذَاكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ كَمَا مَثَّلْنَا. يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله- وَ قَدْ بَسَطْنَا هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. بَسَطَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ. وَ كُتِبَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَكْثَرُهَا فِي الرَّدِّ عَلَى الْإِسْأَعِرَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَهَذِهِ الرَّسَالَةِ وَ الْوَاسِطِيَّةِ وَ الْحَمَوِيَّةِ وَ دَرَى التَّعَارُضُ وَ غَيْرَ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله- وَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا التَّفْصِيلَ اضْطَرَّتْ أَقْوَالُهُ. مِثْلُ طَائِفَةٍ يَقُولُونَ إِنَّ التَّأْوِيلَ بَاطِلٌ. وَ يُطْلَقُونَ هَذَا الْإِطْلَاقَ. هَذَا خَطَأً. مَنْ قَالَ إِنَّ التَّأْوِيلَ بَاطِلٌ فَأُطْلِقَ فَقَدْ أَحْطَأَ. إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى التَّأْوِيلِ بِأَنَّهُ بَاطِلٌ. يَجِبُ أَنْ يُبَيِّنَ مُرَادَهُ بِهَذَا التَّأْوِيلِ الْبَاطِلِ. التَّأْوِيلُ الْبَاطِلُ هُوَ الَّذِي بِمَعْنَى التَّحْرِيفِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَ إِنَّهُ يَجِبُ إِجْرَاءُ اللَّفْظِ عَلَى ظَاهِرِهِ. إِذَا كَانَ التَّأْوِيلُ بَاطِلًا فَأُطْلِقَتْ ثُمَّ قُلْتُ يَجِبُ إِجْرَاءُ اللَّفْظِ عَلَى ظَاهِرِهِ. مَا مَعْنَى هَذَا؟ هَذَا تَنَاقُضٌ. أَيُّ ظَاهِرٍ نَعْنِي؟ الظَّاهِرُ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- هَذَا صَحٌّ وَ لَكِنْ التَّعْبِيرُ خَطَأً. وَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِالظَّاهِرِ. وَ يَجِبُ إِجْرَاءُ اللَّفْظِ عَلَى ظَاهِرِهِ. هَذَا يَقُولُهُ مَنْ يُثْبِتُ التَّأْوِيلَ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ وَ بِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ. يَقُولُ يَجِبُ إِجْرَاءُ اللَّفْظِ عَلَى ظَاهِرِهِ أَيُّ الظَّاهِرِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى-. الظَّاهِرُ. اللَّفْظُ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي تَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- , وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ تَوْجِدَ أَلْفَاظٍ تَدُلُّ عَلَى ظَاهِرٍ لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- حَتَّى يُؤَوَّلَ يُصَحِّحَ وَ هَذَا بَاطِلٌ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي اسْتَشْهَدْنَا بِهِ لِلْإِسْأَعِرَةِ "وَكُلُّ نَصٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ أَوْ فَوَّضَ وَ زُمَ تَنْزِيهًا" التَّفْوِيضُ الْمَذْمُومُ هُوَ تَفْوِيضُ الْمَعْنَى مَعَ الْحَقِيقَةِ وَ هُوَ التَّفْوِيضُ الْمَطْلُوقُ. مَنْ يَقُولُ إِنَّ مَعْنَى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) يُفَوِّضُ إِلَى اللَّهِ. فَأُطْلِقُ هَكَذَا فَقَدْ أَحْطَأَ. الْمَعْنَى لَا تُفَوِّضُ. مَعْلُومَةٌ. لَأَنَّا أَمَرْنَا بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ. وَلَكِنْ الْمَفْهُومُ الْحَقِيقَةُ وَ الْكُنْهَ.

وَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا التَّفْصِيلَ اضْطَرَّتْ أَقْوَالُهُ مِثْلُ طَائِفَةٍ يَقُولُونَ إِنَّ التَّأْوِيلَ بَاطِلٌ وَ إِنَّهُ

يَجِبُ إِجْرَاءُ اللَّفْظِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَ يَحْتَجُونَ بِقَوْلِهِ -تعالى- (وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) وَ يَحْتَجُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ مُطْلَقًا. وَ هَذَا خَطَأً. خَطَأً بَيِّنٌ. إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى نَفْيِ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَ هُوَ الْحَقِيقَةُ. حَقِيقَةُ الذَّاتِ وَ حَقِيقَةُ الْأَسْمَاءِ وَ حَقِيقَةُ الصِّفَاتِ. وَ هَذَا تَنَاقُضٌ مِنْهُمْ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَقْتَضِي أَنْ هُنَاكَ تَأْوِيلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. وَ هُمْ يَنْفُونَ التَّأْوِيلَ مُطْلَقًا. الْآيَةُ تُثَبِّتُ التَّأْوِيلَ إِلَّا أَنَّهَا تَنْفِي أَنْ ذَلِكَ التَّأْوِيلَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. أَيُّ هُنَاكَ حَقِيقَةُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَ لَكِنَّ التَّفْسِيرَ كَمَا تَقَدَّمَ مَعْلُومٌ لَدَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّأْوِيلُ الْمَذْمُومُ الَّذِي هُوَ التَّحْرِيفُ. فَلَنَكْتَفِي بِهَذَا الْمَقْدَارِ .

الدرس رقم : 28

القارئ: "صوت القارئ محذوف من الشريط رقم 28" و حسب سياق كلام الشيخ محمد أمان الجامي أنه كان يشرح من الرسالة التدمرية ما يلي (وجهة الغلط أن التأويل الذي استأثر الله بعلمه هو الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو، وأما التأويل المذموم والباطل فهو تأويل أهل التحريف والبدع، الذين يتأولونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل! ويصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه! فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإن كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفي مثله، وإن كان المنفي باطلاً ممتنعاً كان الثابت مثله، وهؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقاً، ويحتجون بقوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} قد يظنون أننا حوطينا في القرآن بما لا يفهمه أحد، أو بما لا معنى له، أو بما لا يفهم منه شيء. وهذا مع أنه باطل فهو متناقض، لأننا إذا لم نفهم منه شيئاً لم يجوز أن نقول: له تأويل يخالف الظاهر ولا يوافقه، لإمكان أن يكون له معنى صحيح، وذلك المعنى الصحيح لا يخالف الظاهر المعلوم لنا، فإنه لا ظاهر له على قولهم، فلا تكون دلالة على ذلك المعنى دلالة على خلاف الظاهر فلا يكون تأويلاً، ولا يجوز نفي دلالة على معان لا نعرفها على هذا التقدير، فإن تلك المعاني التي دلت عليها قد لا نكون عارفين بها، ولأننا إذا لم نفهم اللفظ ومدلوله المراد فلأن لا نعرف المعاني التي لم يدل عليها اللفظ أول، لأن إشعار اللفظ بما يراد به أقوى من إشعاره بما لا يراد به، فإذا كان اللفظ لا إشعار له بمعنى من المعاني، ولا يفهم منه معنى أصلاً، لم يكن مشعراً بما أريد به، فلأن لا يكون مشعراً بما لم يرد به أولى).

الشيخ: يلزمهم فيما أثبتوه ما قرأوا منه في ما نفوه. مرة أخرى. و يدعون أن في ظاهره. في ظاهر ما نفوه من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم في ما أثبتوه و إن لم يدركوا ذلك أو لم

يَقْتَنِعُوا بِذَلِكَ عَقْلًا. يَلْزَمُهُمْ فِي مَا أَتَبَتُوهُ مِنَ الْمَحْذُورِ نَظِيرُ الَّذِي. يَلْزَمُهُمْ فِي مَا نَفَوْهُ مِنَ الْمَحْذُورِ نَظِيرُ الْمَحْذُورِ الَّذِي - اللَّازِمُ فِي مَا أَتَبَتُوهُ مِنَ الصِّفَاتِ بِالْعَقْلِ عَلَى حَسَبِ مَا فَصَّلْنَا مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْتَزِلَةِ وَالْإِشَاعِرَةِ , وَ يَصْرِفُونَهُ إِلَى مَعَانٍ هِيَ نَظِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي نَفَوْهَا عَنْهُ. تُمَثِّلُ بِصِفَةٍ وَاحِدَةٍ لِيُظْهَرَ. وَ يَصْرِفُونَهُ. يَصْرِفُونَ الْعُضْبَ مِثْلًا وَ الرِّضَى وَ الْحُبَّةَ إِلَى مَعَانٍ إِلَى الْإِرَادَةِ. هِيَ نَظِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي نَفَوْهَا عَنْهُ. نَفَوُ الْعُضْبِ وَ الْحُبَّةَ وَ الرِّضَى بِدَعْوَى أَنَّهُمَا إِنْفِعَالَتَا نَفْسِيَّةٍ. وَ أَنَّ الْعُضْبَ عَلَيَّانُ دَمِ الْقَلْبِ عِنْدَ ارَادَةِ الْإِنْتِقَامِ. هَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا فَسَرَوْهَا بِصِفَةٍ وَاحِدَةٍ. الْعُضْبُ إِرَادَةُ الْإِنْتِقَامِ. الْحُبَّةُ وَ الرِّضَى إِرَادَةُ الْإِحْسَانِ أَوْ إِرَادَةُ الْعَطَاءِ. حَوَّلُوا هَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا إِلَى صِفَةٍ وَاحِدَةٍ وَ هِيَ الْإِرَادَةُ. (يُقَالُ لَهُمْ: - وَ يَصْرِفُونَهُ إِلَى مَعَانٍ هِيَ نَظِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي نَفَوْهَا عَنْهُ). الْإِرَادَةُ إِذَا فُسِّرَتْ بِالتَّفْسِيرِ الَّذِي يُرِيدُونَ. الْإِرَادَةُ مَيْلُ الْقَلْبِ. وَ هَلْ تُبَيِّنُونَ لِلَّهِ مَيْلَ الْقَلْبِ ؟ لَا , كَمَا لَمْ تُبَيِّنُوا لِلَّهِ عَلَيَّانُ دَمِ الْقَلْبِ عِنْدَ ارَادَةِ الْإِنْتِقَامِ. أَنْتُمْ لَا تُبَيِّنُونَ الْمَيْلَ. إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. فَرَزْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَوَقَعْتُمْ فِي مِثْلِهِ تَمَامًا وَ هُوَ إِثْبَاتُ هَذَا الْمَيْلِ وَ لَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ. وَ الْمَيْلُ يُسَمَّى إِرَادَةً. فَيَكُونُ مَا نَفَوْهُ مِنْ جِنْسٍ مَا أَتَبَتُوهُ. مَا نَفَوْهُ مِنْ صِفَةِ الْعُضْبِ وَ الرِّضَى وَ الْحُبَّةَ مِنْ جِنْسٍ مَا أَتَبَتُوهُ مِنَ الْإِرَادَةِ وَ الْقُدْرَةِ وَ غَيْرِهَا. لِأَنَّهَا كُلُّهَا إِذَا فُسِّرَتْ بِمَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ. الْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ مَعَ مَا نَفَوْهُ أَوْ مُتَّحِدٌ مَعَهُ. فَإِنْ كَانَ الثَّابِتُ حَقًّا. إِنْ كَانَ الثَّابِتُ مِنَ الْإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْقُدْرَةِ وَ غَيْرِهَا حَقًّا مُمَكِّنًا كَانَ الْمُنْفِي كَالرِّضَى وَ الْعُضْبِ وَ الْحُبَّةَ مِثْلُهُ. وَ إِنْ كَانَ الْمُنْفِي بَاطِلًا. إِنْ كَانَ الْعُضْبُ وَ الْحُبَّةُ وَ الرِّضَى بَاطِلَةً مِثْلًا مُتَّبِعَةً كَانَ الثَّابِتُ مِثْلُهُ. الْإِرَادَةُ وَ الْقُدْرَةُ وَ السَّمْعُ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يُؤْمِنُونَ بِهَا. مِثْلُهُ إِذْ لَا فَارِقَ بَيْنَهُمَا. هَذِهِ صِفَاتٌ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ تِلْكَ الصِّفَاتُ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ لَا مُبَرَّرَ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا .

يقول الشيخ رحمه -الله تعالى- . أرجوا أن يكون هذا الكلام مفهوماً. و هؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقاً و يقولون التأويل باطلٌ , ثم يحتجون بقوله تعالى (و ما يعلم تأويله إلا الله) قَدْ يَظُنُّونَ أَنَّنَا خَوَّطَبْنَا فِي الْقُرْآنِ بِمَا لَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ. لَا الَّذِي نَزَلَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . جبرائيل. وَ لَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ - و لا أصحابه و مَنْ بعدهم مِنْ

بَابِ أَوَّلِي. يظنون أننا خوطبنا في القرآن بما لا يفهمه أحد. أي نُصُوصُ الصفات لَزِمُ كلامِهِمْ لَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ. وَ أَحَدٌ نَكِرَةٌ. لَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ أَي لَا مَلِكٌ وَ لَا نَبِيٌّ وَ لَا مَنْ بَعْدَهُ , أَوْ بِمَا لَا مَعْنَى لَهُ. لَيْسَ الْفَهْمُ فَقَطْ بَلْ خُوطِبْنَا بِمَا لَا مَعْنَى لَهُ أَصْلًا. أَنَّ نُصُوصَ الصِّفَاتِ لَا مَعْنَى لَهَا. جَاءَ وَ نَزَلَ وَ اسْتَوَى. هَذِهِ الصِّفَاتُ أَوْ هَذِهِ النُّصُوصُ لَا مَعْنَى لَهَا أَصْلًا. أَوْ بِمَا لَا يَفْهَمُ مِنْهُ شَيْءٌ. هَذِهِ النُّصُوصُ تُتْلَى لَكِنْ لَا يَفْهَمُ مِنْهُ أَيُّ شَيْءٍ. لَا حَقٌّ وَ لَا بَاطِلٌ وَ لَا دَلَالَةٌ لَهَا , وَ هَذَا مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ كَمَا يَظْهَرُ جَلِيًّا لِكُلِّ عَاقِلٍ فَهُوَ مُتَنَاقِضٌ, وَجْهٌ ذَلِكَ لِأَنَّنَا إِذَا لَمْ نَفْهَمْ مِنْهُ شَيْئًا. إِذَا لَمْ نَفْهَمْ مِنْ نُّصُوصِ الصِّفَاتِ شَيْئًا. (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلِكُ صَفًا صَفًا) "يَنْزِلُ رَبَّنَا". النُّصُوصُ تَشْمَلُ الْكِتَابَ وَ السُّنَّةَ. لِأَنَّنَا إِذَا لَمْ نَفْهَمْ مِنْهُ شَيْئًا مِنْ نُّصُوصِ الصِّفَاتِ. إِذَا لَمْ نَفْهَمْ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ أَنْ نَقُولَ لَهُ تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ وَ لَا يُؤَافِقُهُ. ذِكْرُ التَّأْوِيلِ كَلَامٌ لَاغٍ. لِأَنَّ النُّصُوصَ إِمَّا لَا مَعْنَى لَهَا أَوْ لَا يَفْهَمُ مِنْهَا شَيْءٌ أَوْ لَا يَفْهَمُهَا أَحَدٌ. إِذَا كَيْفَ يُقَالُ بَعْدَ ذَلِكَ لَهُ تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ؟ أَوْ لَهُ تَأْوِيلٌ يُؤَافِقُ الظَّاهِرَ؟! كَلَامٌ لَا مَعْنَى لَهُ , لِإِمْكَانِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى صَحِيحٌ وَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الصَّحِيحُ لَا يُخَالِفُ الظَّاهِرَ الْمَعْلُومَ لَنَا. الْمَعْلُومَ لَنَا الْمُوَافِقَ لِمَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى-. فَإِنَّهُ عَلَى كَلَامِهِمْ لَا ظَاهِرَ لَهُ عَلَى قَوْلِهِمْ. فَلَا تَكُونُ دَلَالَتُهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى دَلَالَةً عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ. لِأَنَّ النُّصُوصَ حَكَمْنَا عَلَيْهَا أَوْ حَكَمُوا عَلَيْهَا لَا مَعْنَى لَهَا أَوْ لَا يَفْهَمُ مِنْهَا شَيْءٌ أَوْ لَا تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ. فَلَا يَكُونُ تَأْوِيلًا وَ لَا يَجُوزُ نَفْيُ دَلَالَتِهِ عَلَى مَعَانٍ لَا نَعْرِفُهَا. إِذْ لَا مَعْنَى لَهَا وَ لَا دَلَالَةٌ لَهَا عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ. فَإِنَّ تِلْكَ الْمَعَانِي الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا قَدْ لَا تَكُونُ عَارِفِينَ بِهَا. الْمَعَانِي الَّتِي لَمْ تُدْرِكْهَا وَ لَمْ نَعْرِفْهَا لَا تُسَمِّيْهَا عَلَى الظَّاهِرِ أَوْ عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ لِأَنَّنَا لَا نَعْرِفُهَا. وَ لِأَنَّنَا إِذَا لَمْ نَفْهَمْ اللَّفْظَ وَ مَدْلُولَهُ. إِذَا لَمْ نَفْهَمْ مَعْنَى جَاءَ. إِذَا لَمْ نَفْهَمْ لَفْظًا. لِأَنَّنَا إِذَا لَمْ نَفْهَمْ اللَّفْظَ وَ هُوَ جَاءَ مَثَلًا (وَ جَاءَ رَبُّكَ) أَوْ اسْتَوَى. وَ مَدْلُولُهُ الْمُرَادُ لِلَّهِ -تَعَالَى- فَلَا لِأَنَّ نَعْرِفَ الْمَعَانِي الَّتِي لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهَا اللَّفْظُ إِلَّا بِتَأْوِيلٍ وَ تَكَلُّفٍ أَوَّلِي. إِذَا كَانَ الْمَعْنَى الظَّاهِرُ مِنَ اللَّفْظِ غَيْرُ مَفْهُومٍ لَنَا وَ لَا نَعْرِفُ وَ لِأَنَّ نَعْرِفَ الْمَعَانِي الَّتِي لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهَا اللَّفْظُ بَلْ يُصَارُ إِلَيْهِ بِالتَّكَلُّفِ وَ بِالتَّحْرِيفِ أَوَّلِي. لِأَنَّ إِشْعَارَ اللَّفْظِ. الْفِعْلُ جَاءَ أَوْ اسْتَوَى

مثلاً. بما يُراد منه و هو المعنى الذي وُضع من أجله أقوى من إشعاره بما لا يُراد منه و هو التأويل بمجئ الأمر أو بمجئ الملك أو أن الاستواء بمعنى السلطان و الملك. فإن كان اللفظ لا إشعار له بمعنى من المعاني أصلاً. و لا يفهم منه معنى أصلاً. لم يكن مشعراً بما أُريد به و هو المجيء و الاستواء. فلألا يكون مشعراً بما لم يُرد به و هو مجئ الأمر أو مجئ الملك أو الإستواء بمعنى الملك أولى .

هكذا يتناقضون و هذا التناقض الذي يحكي الشيخ من القوم أكثر من يقع فيه الأشاعرة كما تدل على ذلك كتبهم الموجودة بين أيدينا. فكتاب يدرسه شبائنا في كثير من المعاهد الدينية و الكليات. كليات الدعوة. "جوهره التوحيد" يقول صاحب جوهره التوحيد متناقضاً "و تابع السنة ممن سلف" أثبت أن اتباع السلف هو السنة. "و جانب البدعة ممن خلف" أثبت أن البدعة عند الخلف. "وكن كما كان خيار الخلق حليف علم تابعاً للحق" أثبت أن الحق ينحصر في اتباع السلف. و ينصح أن يكون كل إنسان كالسلف. لكن ما اعتقاده في السلف ؟ إعتقاده في السلف أنهم قوم يتلون النصوص و لا يفهمون معانيها. هذا دم بما يشبه المدخ. و يقول "وكل خير في اتباع من سلف و كل شر في ابتداع من خلف" لو عرفتم مراده. إتباع من سلف. عدم التعرض لمعاني النصوص و تفويضها و إمرازها كما جاءت مع دعوى عدم معرفة معانيها. و هل هذا مدخ للسلف أو دم لهم؟ هذا دم بما يشبه المدخ. ثم يقول متناقضاً "وكل نص أوهم التشبيه أوله أو فوض و رم تنزيهاً" هذه طريقة الخلف. الخلف. السلف لا يعينون المعاني. يسردون النصوص و يتركونها و لا يفهمون. إن كان هذا مدخاً , و الخلف يقفون إحدى موقفين : إما يؤولون و هو الأولى و لذلك قدم في البيت "وكل نص أوهم التشبيه أوله" هذه هي الطريقة المثلى. هذه من طرق أو من طريق الخلف. "أو فوض و رم تنزيهاً" أو على الأصح : التأويل و تعيين المعنى و تعيين مراد الله بالدعوى. بأن الله أراد بها كذا. هذه طريقة الخلف. و أما التفويض المطلق الذي لا معنى و لا حقيقة. طريقة السلف في زعمهم. و لم يفهم طريقة السلف. لذلك يقول شيخ الاسلام في الفتوى الحموية "سبب ضلالهم تصويهم خطأ الخلف و جهلهم لمنهج السلف"

منهج السلف لم يفهم أو لم يعرف عند هؤلاء. ليس من منهج السلف التفويض المطلق. منهج السلف فهم المعاني. يفهمون معنى استوى و جاء و نزل و غضب و يحب و يرضى. يفهمون المعاني لهذه النصوص كلها. يفوضون شيئاً واحداً: الحقيقة و الكنه. كيفية استواء الرب - سبحانه - و كيفية نزوله و كيفية مجيئه و كيفية رضاه و محبته و كيفية السمع و البصر. جميع الصفات. إذا الشيء الذي يفوض السلف أمر واحد و هو الحقيقة التي لا يعلمها إلا الله و المعاني معروفة من وضع الكلمة. هكذا يتخبطون و يتناقضون و لا يزال شبايبنا في كثير من الجامعات يدرسون هذا التخبط و هذا التناقض و يسمون عقيدة أهل السنة و الجماعة , و هي بعيدة جداً كل البعد من عقيدة أهل السنة و الجماعة , و لكن من حيث إثباتهم أو من حيث إثباتهم لبعض الصفات كالصفات السبع و الصفات المعاني السبع. و المعنويات السبع على اصطلاحهم. و الصفات السلبية الحمس , و صفة النفسية الواحدة , و أضدادها , لإثباتهم هذه الصفات شهد لهم شيخ الاسلام أنهم أقرب طوائف الكلام إلى منهج السنة و الجماعة أي الاشاعة مع ربييتهم الماتريديّة. هم أقرب طوائف أهل الكلام إلى منهج أهل السنة و الجماعة مع هذا البعد. و هذا القرب قرب نسبي أي بالنسبة للجهمية و المعتزلة و إلا هم بعيدون كما ترون لأنهم لم يفهموا حتى الفهم منهج السلف. فضلاً من أن يكونوا من أهل السنة و الجماعة. إنهم لم يفهموه و لم يتصوروه التصور الصحيح حتى يكونوا منهم. و لكن هذا القرب الذي شهد به شيخ الاسلام هؤلاء قرب نسبي جداً بالنسبة لغيرهم. فليفهم هذا جيداً لئلا نتخدعوا بمثل هذا الكلام لأن كتبهم موجودة بين أيدي شبايبنا و في أيدينا أيضاً. فليتبّه و هي فتنة منتشرة لا يدرك كثير من الناس بأنها فتنة. لأنها تشكك في كتاب الله - تعالى - و تحط من قيمة القرآن لأنهم يعلنون أن الأدلة الثقلية ظنية غير يقينية و لا يعتمد عليها في باب العقيدة , و الاعتماد على الدليل العقلي. و تذكر الأدلة الثقلية من باب الإعتضاد بها و الإستيناس بها لا من باب الاعتماد عليها. إذا كان لا يعتمد على كلام - الله - و كلام رسول الله عليه الصلاة و السلام في باب معرفة - الله تعالى - على أي شيء يعتمد؟ على العقل !! و العقول اختلفت. أين العقل

الحاكم الذي يحكم بين هذه العُقُول؟ هذا سبب ضلال علماء الكلام مُطلقاً. أي أقرُّهُمْ و أبعدهم .

قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- مرّة أخرى. و هؤلاء الذين ينفون التاويل مطلقاً و يُطلقون بأن التاويل باطلٌ لنصوص الصفات و يحتجّون بقوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) قد يظنون أننا حوطينا. عَفْوًا¹: "لَا عَلَيْهِ الْمَكْرُرُ أَحْلَى". قد يظنون أننا حوطينا في القرآن بما لا يفهمه أحد. أي جميع نصوص الصفات , أو بما لا معنى له أصلاً. أي إنّ الله أنزل نصوص الصفات و هي لا معنى لها أصلاً. ألفاظٌ مجرّدة جوفاء. أو بما لا يفهم منه شيء. حوطينا بما لا يفهم منه شيء. المعاني مُتقاربة لهذه الألفاظ الثلاثة. إمّا أننا لا نفهم أي هي في الاصل لها معنى لكنّه لا نفهم , أو بما لا معنى له أصلاً أو بما لا يفهم منه شيء. العبارتان الأخريتان معناهما مُتقاربتان , وهذا مع أنه باطل فهو متناقض كما ترون , لأننا إذا لم نفهم منه شيئاً لم يجوز أن نقول له تاويل يخالف الظاهر ولا يوافقه، قد شرحنا كل هذا؟

الطالب : إيه نعم. إلى آخر الصفحة .

الشيخ : عَفْوًا , فَلَا يَجُوزُ إِذَا أَنْ يُقَالَ إِنَّ هَذَا اللَّفْظَ إِسْتَوَى مَثَلًا وَ نَزَلَ وَ جَاءَ مُتَأَوِّلًا. عَلَى تَفْصِيلٍ مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّنَاقُضِ. لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ هَذَا اللَّفْظَ مُتَأَوِّلٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ مَصْرُوفٌ عَنِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ فَضْلاً عَنْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. إِذَا كَانَ التَّأْوِيلُ بَاطِلاً أَوْ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ لَا مَعْنَى لَهُ أَوْ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ شَيْءٌ. أَوْ نَحْنُ لَا نَفْهَمُ مِنْهُ شَيْءٌ. كَيْفَ يُقَالَ هَذَا اللَّفْظُ مُتَأَوِّلٌ؟! بِمَعْنَى أَنَّهُ مَصْرُوفٌ عَنِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ. هَذَا التَّعْبِيرُ يُدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْكَلِمَةِ أَوْ لِلْفَرْقِ مَعْنَى. مَعْنَى الرَّاجِحِ وَ مَعْنَى الْمَرْجُوحِ. وَ هَذَا يَجِبُ أَنْ يَسْبِقَ إِثْبَاتُ الْمَعْنَى لَهُدِهِ الْأَلْفَافِ. مَعْنَى مَفْهُومَةٍ. يَفْهَمُهَا التَّالِي

¹ الشيخ يعتذر عن خطأ في رقم الصفحة ثم يبدأ في قلب أوراق كتابه , و هكذا غالباً ما تكون كلمة (عفوًا) عند الشيخ في هذا الكتاب تعبيرٌ عن خطأ ما , فانتبه عزيزي القارئ لهذا و امثاله .

ليُخْرِجَ بِهَا عَنِ الرَّاجِحِ إِلَى الْمَرْجُوحِ. لَكِنْ إِذَا كَانَ لَا مَعْنَى لَهَا أَوْ التَّالِي لَا يَفْهَمُ. كَيْفَ يَقُولُ مُثْلُ¹ عَلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ دُونَ الرَّاجِحِ؟! وَ كَيْفَ يُقَالُ إِنَّ تَأْوِيلَهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ؟ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى إِبْتِاثِ الْمَعْنَى. لَوْ أَثْبَتْنَا الْمَعْنَى كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ. قُلْنَا لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُرَادَ بِالتَّأْوِيلِ مَا يُخَالِفُ الظَّاهِرَ الْمُخْتَصَّ بِالْمَخْلُوقِ. إِلَّا أَنْ يُرَادَ بِالتَّأْوِيلِ مَا يُخَالِفُ الظَّاهِرَ الْمُخْتَصَّ بِالْمَخْلُوقِ فَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ بِالظَّاهِرِ هَذَا فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ. الظَّاهِرُ يَخْتَلِفُ عِنْدَهُمْ، أحياناً يُرَادُ بِالظَّاهِرِ "الظَّاهِرُ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى-" وَ هُوَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النَّصُوصُ وَ أحياناً يُرَادُ بِالظَّاهِرِ الظَّاهِرُ الَّذِي يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ. وَ النَّصُوصُ مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَدُلَّ عَلَى الظَّاهِرِ الَّذِي يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ لِأَنَّ النَّصُوصَ كُلَّهُا إِنَّمَا تَتَحَدَّثُ عَنِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- أَيْ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ وَ عَنِ النَّزُولِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ وَ الْمَجِيئِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ وَ الْعُضْبِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ إِلَى آخِرِهِ. أَمَّا كَوْنُهَا تَدُلُّ عَلَى الظَّاهِرِ الَّذِي يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ ثُمَّ يَضْطَرُّ الْعِبَادُ لِيُؤْوِلُوا هَذِهِ النَّصُوصَ وَ يُبَيِّنُوا مُرَادَ اللَّهِ مِنْهَا وَ أَنَّ مُرَادَ اللَّهِ قَبْلَ بَيَانِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ وَ إِنَّمَا يُبَيِّنُ مُرَادَ اللَّهِ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ وَ أَمَّا قَبْلَ نَشْأَةِ عِلْمِ الْكَلَامِ السَّلَفُ لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ النَّصُوصِ. هَذَا تَعَدَّى عَلَى النَّصُوصِ وَ عَلَى السَّلَفِ مَعًا. وَ دَعَايَ الْمَعْرِفَةِ الْخَاصَّةِ بِالنَّسَبَةِ لِلْخَلْفِ. لَكِنْ إِذَا قَالَ هَؤُلَاءِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهَا تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ أَوْ إِنَّهَا تَجْرِي عَلَى الْمَعَانِي الظَّاهِرَةِ مِنْهَا. كَانُوا مُتَنَاقِضِينَ. لَكِنْ إِذَا قَالَ هَؤُلَاءِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهَا تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ هَذَا الظَّاهِرَ. مَاذَا يُرِيدُونَ بِالظَّاهِرِ؟ هَلْ يُرِيدُونَ الظَّاهِرَ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ أَوْ يُرِيدُونَ الظَّاهِرَ الَّذِي يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ؟. الْقَرَأَيْنِ هِيَ الَّتِي تُبَيِّنُ. إِذَا قَالَ الْأَشْعَرِيُّ تَجْرِي هَذِهِ النَّصُوصُ عَلَى الظَّاهِرِ الَّذِي يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى بِالنَّسَبَةِ لِلصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ كَالصِّفَاتِ السَّبْعِ. يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ النَّصُوصَ مَعَانِيهَا مَفْهُومَةٌ وَ مُرَادُ اللَّهِ مِنْهَا مَفْهُومٌ وَ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ عَلَى ظَاهِرِهَا. هَذَا الْكَلَامُ حَقٌّ. أَوْ إِنَّهَا تَجْرِي عَلَى الْمَعَانِي الظَّاهِرَةِ مِنْهَا وَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى يَقُولُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَجْرِيَ عَلَى ظَاهِرِهَا. وَ لَا يَجُوزُ بَقَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا لِأَنَّهُمْ فَهَمُوا مِنْ

¹ الأقرب للصواب: "مُثَرِّ"

هذا الصنف الظاهر الذي يليق بالمخلوق. إذا الظاهر عندهم إنقسم إلى قسمين: بالنسبة للصفات التي أثبتوها؟ الظاهر هو الظاهر الذي يليق بالله و كلامهم صحيح في هذا الصنف. وإذا قالوا بالنسبة للصفات التي يوجبون تأويلها. لا يجوز بقاؤها على ظاهرها و لا تجري على ظاهرها. يريدون بالظاهر الظاهر الذي يليق بالمخلوق و بأن هذه النصوص لم تدل أبداً على الظاهر الذي يليق بالله - تعالى - و لكنها دلت على الظاهر الذي يليق بالمخلوق لذلك يجب تأويلها. و كلها من كلام الله - تعالى - . هذا هو التناقض. مرة أخرى . لكن إذا قال هؤلاء إنه ليس لها تأويل يخالف الظاهر بالنسبة للصنف الأول. أو إنها تجري على المعاني الظاهرة منها كذلك. هذا تكرار و تفصيل. كانوا متناقضين لأنهم هناك من النصوص أوجبوا تأويلها و لا يجوز إجراؤها على ظاهرها. و إن أرادوا بالظاهر هنا معنى و هناك معنى في سياق واحد من غير بيان كان تلبساً. إذا قلتم النصوص التي تدل على الإرادة و القدرة و السمع و البصر مثلاً تجري على ظاهرها. أردتم بالظاهر هنا معنى و قلتم النصوص التي تدل على الوجه و اليدين و العصب و الرضى والنزول و الجيئ و الإستواء. لها ظاهر و لا يجوز بقاؤها على الظاهر. أردتم هنا ظاهراً غير ذلك الظاهر. هذا هو تلبس على الناس. الذي لا يعرف اصطلاحكم لا يستطيع أن يفهم مرادكم لأنكم قسمتم الظاهر إلى قسمين: ظاهر يليق بالله و ظاهر لا يليق بالله. و جعلتم بعض النصوص تدل على هذا الظاهر و نصوصاً أخرى تدل على ذاك الظاهر و هذا هو التلبس. مرة أخرى : و إن أرادوا بالظاهر هنا مثلاً في صفات المعاني معنى و هنا في الصفات الحبرية معنى. في سياق واحد. لأن النصوص كلها سيقت سياقاً واحداً و هو الإثبات. إثبات صفات -الله تعالى- من غير بيان. من الذي بين لنا أن الظاهر ينقسم إلى قسمين و أن بعض النصوص تبقى على ظاهرها و بعضها يجب تأويلها. أين البيان؟ البيان هذا لا يأتي إلا من الله أو من رسول -الله- عليه الصلاة و السلام. إذا لم يكن هناك شيء كما هو الواقع كان هذا التصرف تلبساً على الناس , لذلك الأشاعرة أشد الناس تلبساً على الناس أكثر من المعتزلة الذين هم أبعد منهم. أضرب لكم لذلك مثلاً في كلام الله -تعالى- أي في القرآن. المعتزلة صرحاء. قالوا هذا القرآن مخلوق.

مَعْنَى اللَّهِ مُتَكَلِّمٌ أَيْ خَالِقٌ لِلْكَلَامِ. لَيْسَ لَهُ كَلَامٌ إِلَّا الْكَلَامُ الْمَخْلُوقُ كَأَيِّ خَلْقٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِ -الله تعالى-. كَلَامٌ ظَاهِرٌ. تَسْتَطِيعُ أَنْ تُنَاقِشَهُ وَ تُنَاطِرُهُ عَلَى ضَوْءِ هَذِهِ الصَّرَاحَةِ. لَكِنْ يَأْتِي الْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ كَلَامُ اللَّهِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ إِذَا أُطْلِقْنَا عَلَى الْقُرْآنِ كَلَامُ اللَّهِ إِنَّمَا نَعْنِي بِحَازِلٍ بِحَازِلٍ لَيْسَ بِحَقِيقِي. فِي الْوَاقِعِ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَيْسَ بِكَلَامِ اللَّهِ حَقِيقَةً وَ لَكِنْ نَقُولُ فِي مَجْلِسِ التَّلْعِيمِ لِلتَّلَامِيذِ كَلَامُ اللَّهِ. نَهْمِسُ فِي آذَانِهِمْ. لِأَلَّا يَسْمَعَ النَّاسُ. لِأَلَّا يُسْتَحَفَّ بِهَذَا الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ الْحَقِيقِيِّ وَ إِلَّا هُوَ لَيْسَ بِكَلَامِ اللَّهِ. الْمُعْتَزِّلَةُ عَلَى الْحَقِّ فِي قَوْلِهِمْ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ. لَكِنْ نَحْنُ لَسْنَا مِثْلَهُمْ أَغْبِيَاءُ نُصَرِّحُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ. لَا , فِي مَجَالِسِ الْعِلْمِ نُعَلِّمُ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ. أَمَامَ النَّاسِ نَقُولُ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ -تعالى- وَ يَقْرَأُ آيَةً. قَالَ لِأَجْلِ سُنِّي. هَكَذَا لَبَسُوا عَلَى النَّاسِ. الَّذِي لَا يَعْرِفُ طَرِيقَهُمْ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَمْشِي مَعَهُمْ. لِأَنَّ فِي الْقُرْآنِ هُمْ تَصَرَّفٌ غَرِيبٌ. مَخْلُوقٌ فِي الْحَقِيقَةِ لَكِنْ لَا يُطْلَقُ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ فِي كُلِّ مَقَالٍ. لِذَلِكَ يَقُولُ الْإِنْجِي مِنْ كِبَارِ عُلَمَائِهِمْ "الْفَرْقُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْمُعْتَزِّلَةِ إِثْبَاتُ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ وَ عَدَمُ إِثْبَاتِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ" أَيْ الْمُعْتَزِّلَةُ لَا يُثْبِتُونَ الْكَلَامَ النَّفْسِي الَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ وَ لَا صَوْتٌ. بَلْ هَذَا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَ لَكِنَّهُ مَخْلُوقٌ. وَ الْأَشَاعِرَةُ يُوَافِقُونَهُمْ فِي أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ اللَّفْظِي مَخْلُوقٌ لَكِنْ يُثْبِتُونَ الْكَلَامَ النَّفْسِي الَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ وَ لَا صَوْتٌ. هَكَذَا هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ تَلْبِيسًا عَلَى النَّاسِ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- وَ إِنْ أَرَادُوا بِالظَّاهِرِ مُجَرَّدَ اللَّفْظِ أَيْ تَجَرِي الْأَلْفَاظِ أَوْ تَجَرِي النَّصُوصِ عَلَى مُجَرَّدِ اللَّفْظِ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ غَيْرِ فَهَمَّ لِمَعْنَاهَا. مَعْنَى الظَّاهِرِ: الْأَلْفَاظُ مُجَرَّدَةٌ ثُمَّ كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ فَهَمَّ لِمَعْنَاهَا. كَانَ إِبْطَالُهُمْ لِلتَّأْوِيلِ أَوْ إِثْبَاتُهُ تَنَاقُضًا. لَا مَعْنَى لِلْإِثْبَاتِ وَ لَا لِلنَّفْيِ. هَذَا كَلَامٌ يُعْتَبَرُ مُكَرَّرٌ مَعَ السَّابِقِ وَ الْمَكْرَرُ أَحْلَى.

لَأَنَّ مَنْ أَثْبَتَ تَأْوِيلًا أَوْ نَفَاهُ فَقَدْ فَهَمَ مِنْهُ مَعْنَى. كُلُّ مَنْ يَقُولُ إِنَّ التَّأْوِيلَ ثَابِتٌ أَوْ مَنْفِي. يَدُلُّ كَلَامُهُ هَذَا أَنَّهُ فَهَمَ الْمَعْنَى. فَهَمَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي وَ بِهَذَا التَّقْسِيمِ يَتَبَيَّنُ تَنَاقُضُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ نَفَاةِ الصِّفَاتِ وَ مُشَبِّهَاتِهَا فِي هَذَا الْبَابِ. نَفَاهُ الصِّفَاتِ الْجَهْمِيَّةِ وَ الْمُعْتَزِّلَةِ , وَ مُشَبِّهَاتِهَا بِالنِّسْبَةِ لِبَعْضِهَا وَ هُمْ الْأَشَاعِرَةُ وَ الْمَاتَرِيْدِيَّةُ. الْمُعْتَزِّلَةُ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ مَوْقِفُهُمْ

صريح، لكن استطاعت الأشاعرة أن تكسب القاباً. إن نظرت إليهم من حيث نفى بعض الصفات أي تأويلها تأويلاً يؤدي إلى النفي كالعلو والاستواء والكلام فهم من النفاة. ومن حيث إثباتهم بعض الصفات فهم من المثبتة. إذا فهم مثبتة ونفاة ومعطلة وجهمية وأقرئهم إلى أهل السنة والجماعة. هذه القاب الأشاعرة. فليرضوا بهذا. فليعالجوا أنفسهم. إلى هنا نكتفي هذا اليوم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

الدرس رقم : 29

القارئ : "صوت القارئ محذوف من الشريط رقم 29" و حسب سياق كلام الشيخ محمد أمان الجامي أنه كان يشرح من الرسالة التدمرية ما يلي (القاعدة السادسة - أن لقائل أن يقول: لا بدّ في هذا الباب من ضابط يُعرف به ما يجوز على الله - سبحانه وتعالى - مما لا يجوز في النفي والإثبات، إذ الاعتماد في هذا الباب على مجرد نفي التشبيه أو مطلق الإثبات من غير تشبيه ليس بسديد، وذلك أنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك وقدر مميّز ، فالنافي إن اعتمد فيما ينفيه على أن هذا تشبيه، قيل له: إن أردت أنه مماثل له من كل وجه فهذا باطل، وإن أردت أنه مشابه له من وجه دون وجه، أو مشارك له في الاسم، لزمك هذا في سائر ما تثبته، وأنتم إنما أقمت الدليل على إبطال التشبيه والتماثل، الذي فسرتموه بأنه يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، ويجب له ما يجب له ، ومعلوم أن إثبات التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما يقول، فإنه يعلم بضرورة العقل امتناعه، ولا يلزم من نفي هذا نفي التشابه من بعض الوجوه، كما في الأسماء والصفات المتواطئة ، ولكن من الناس من يجعل التشبيه مفسراً بمعنى من المعاني، ثم إن كل من أثبت ذلك المعنى قالوا: إنه مشبّه. ومنازعهم يقول: ذلك المعنى ليس هو من التشبيه.)

الشيخ: الحمد لله رب العالمين و صلاة الله و سلامه و رحمته و بركاته على هذا النبي الكريم نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين , و بعد , قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - في رسالة التدمرية. القاعدة السادسة. هذه القاعدة فيه ذكر الضابط الذي يُعرف به أو تُعرف به الطرق الصحيحة من الطرق الباطلة في النفي و الإثبات. قال شيخ الاسلام رحمه الله - إن لقائل أن يقول لا بدّ في هذا الباب من ضابط يُعرف به ما يجوز على الله - سبحانه وتعالى - مما لا يجوز. في هذا الباب أي في باب الأسماء و الصفات. هذا الباب الذي كثر فيه الخلط و الخطب بين علماء الكلام لا بدّ من معرفة ضابط يُعرف به ما

يُثَبِّتُ اللَّهُ وَ مَا يُنْفَى. مَا يَجُوزُ عَلَى -الله سبحانه و تعالى- مِمَّا لَا يَجُوزُ فِي النَّفْيِ وَ الْإِثْبَاتِ. إِذِ الْإِعْتِمَادُ. أَيْ لَأَنَّ الْإِعْتِمَادَ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. أَوْ مُطْلَقِ الْإِثْبَاتِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ. لَيْسَ بِسَدِيدٍ , إِذِ الْإِعْتِمَادُ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. لَوْ نَفَى إِنْسَانٌ صِفَةً مِنَ الصِّفَاتِ أَوْ إِسْمًا مِنَ الْأَسْمَاءِ فَقِيلَ لَهُ مَا الضَّابِطُ وَ مَا السَّبَبُ؟ يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ. يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ فِي نَظَرِهِ هُوَ. قَدْ تَكُونُ الصِّفَةُ ثَابِتَةً بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ يَنْفِي عَالَمٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ هَذِهِ الصِّفَةَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ. إِذَا مَا هُوَ الضَّابِطُ؟ أَوْ مُطْلَقُ الْإِثْبَاتِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ. يُثَبِّتُ صِفَةً مِنَ الصِّفَاتِ غَيْرَ وَارِدَةٍ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ فَيَقُولُ تُثَبِّتُ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى-. تُثَبِّتُهَا مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ. عَلَى أَيْ أُسَاسٍ أَثَبَّتْ؟ وَ النَّفْيُ وَ الْإِثْبَاتُ فِي هَذَا الْبَابِ تَوْقِيفِي. لَا يَجُوزُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَتَجَرَّعَ وَ يَنْفِي أَوْ يُثَبِّتَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ. لِذَلِكَ يَقُولُ الشَّيْخُ هَذَا لَيْسَ بِسَدِيدٍ. إِذَا لَا بُدَّ مِنْ ضَابِطٍ؟ مَا هُوَ الضَّابِطُ؟ ضَابِطُ النَّفْيِ وَ الْإِثْبَاتِ. أَوَّلًا ضَابِطُ إِبْرَاهِيمَ. ثُبُوتُ الصِّفَةِ بِالْوَحْيِ. هَذَا هُوَ الضَّابِطُ. ضَابِطُ الْإِثْبَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ: ثُبُوتُ تِلْكَ الصِّفَةِ بِالْوَحْيِ. الْمُرَادُ بِالْوَحْيِ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ. وَ إِنَّمَا اخْتَرْنَا الْوَحْيَ لِيَشْمَلَ الْكِتَابَ وَ السُّنَّةَ الصَّحِيحَةَ. السُّنَّةُ غَيْرُ الصَّحِيحَةِ لَا تُقْبَلُ. لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ السُّنَّةُ صَحِيحَةً. إِذَا بَدَلًا مِنْ أَنْ نَقُولَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ. إِذَا قُلْنَا بِالْوَحْيِ كَفَى , الضَّابِطُ ثُبُوتُ تِلْكَ الصِّفَةِ بِالْوَحْيِ وَ عَدَمُ الثَّبُوتِ. مَا ثَبَتَ بِالْوَحْيِ أَثَبَّنَا وَ مَا لَمْ يَثْبُتْ لَا تُثَبِّتْ. وَ لَوْ ادَّعَى مَا ادَّعَى بِأَنَّنَا نُثَبِّتُهَا مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ. الْأَسَاسُ الثَّبُوتُ. وَ دَعَا إِبْرَاهِيمَ صِفَةً ثُمَّ الْقَوْلُ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- هَذَا غَيْرُ ثَابِتٍ. وَ لَيْسَ هُنَا ضَابِطٌ لِهَذَا تَتَّفِقُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ. كَمَا قَالَ بَعْضُ مَنْ قَدَّمَ تَقْدِيرَ اللَّهِ -سبحانه و تعالى- حَقَّ قَدْرِهِ. يُثَبِّتُ لَهُ الْبُكَاءَ. يَقُولُ يَنْكِى عَلَى مَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ!! وَ هَذَا بَاطِلٌ. الْبُكَاءُ نَقْصٌ لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ. وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا يَتَسَاهَلُ فِيهِ وَ يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ. فَهُوَ مَعَنَا فِي الْأَرْضِ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِهِ! بَاطِلٌ , لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تعالى- بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ خَلْقِهِ مُتَرَجِّحًا وَ مُخْتَلِطًا بِخَلْقِهِ. بَلْ لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -سبحانه و تعالى- أَنْ يَكُونَ فِي جَوْفِ السَّمَاوَاتِ أَوْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ أَيْ مَخْلُوقٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ. كَيْفَ يُحِيطُ الْمَخْلُوقُ بِالْخَالِقِ؟! فَهُوَ أَعْظَمُ وَ أَجَلُ مِنْ ذَلِكَ , الْقَوْلُ. وَ هَذَا

مُنتَشَرٌ فِي هَذِهِ الْآوَنَةِ. الْقَوْلُ بِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- مَعَنَا فِي الْأَرْضِ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ قَوْلٌ بَاطِلٌ. وَ ذَلِكَ أَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءَيْنِ إِذَا اعْتَمَدْنَا عَلَى نَفْيِ الْمِشَابَهَةِ. مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا وَ بَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ وَ قَدْرٌ مُمَيَّزٌ. مَا مِنْ شَيْئَيْنِ مَوْجُودَيْنِ سِوَاءِ كَانَ الوجودُ الوجودَ الواجبَ أَوْ الوجودَ الجائِزَ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ. قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ فِي الْإِسْمِ وَ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ. وَ الْمَعْنَى الْعَامُ الَّذِي لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الدَّهْنِ وَ لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ، أَمَّا مَا فِي الْخَارِجِ لَا اشْتِرَاكَ فِيهِ أَيْ إِذَا اخْتَصَّتْ صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى بِاللَّهِ وَ صِفَاتُ الْمَخْلُوقِ بِالْمَخْلُوقِ لَا إِشْتِرَاكَ هُنَا. لَكِنْ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ الْمَطْلُوقِ الثَّابِتِ فِي الدَّهْنِ لَا بُدَّ مِنَ الْمِشَارَكَةِ وَ بِذَلِكَ مُمَيَّزٌ بَيْنَ الصِّفَاتِ. بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَ الْإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ مَثَلًا. وَ بَيْنَ وُجُودِ الْخَالِقِ وَ وُجُودِ الْمَخْلُوقِ. فَالْتَّائِي إِنْ اعْتَمَدَ فِي مَا يَنْفِيهِ عَلَى أَنَّ هَذَا تَشْبِيهُ. قِيلَ لَهُ إِنْ أَرَدْتَ أَنَّهُ مُمَثَّلٌ لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَهَذَا بَاطِلٌ. لَا يَقُولُ عَاقِلٌ بِهَذَا. إِنْ أَرَدْتَ أَنَّ إِثْبَاتَ السَّمْعِ مَثَلًا أَوْ إِثْبَاتَ الْبَصَرِ أَوْ إِثْبَاتَ الْإِسْتِوَاءِ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ أَيْ إِلَى الْمِمَّاثَلَةِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ الْمَخْلُوقِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَهَذَا بَاطِلٌ لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ. وَ إِنْ أَرَدْتَ أَنَّهُ مُشَابَهَةٌ لَهُ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ أَيْ يَخْصُلُ الْإِشْتِرَاكُ أَوْ الْمِشَارَكَةُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ الْمَخْلُوقِ فِي السَّمْعِ الْعَامِ قَبْلَ الْإِضَافَةِ وَ فِي الْإِسْتِوَاءِ الْعَامِ وَ فِي الْمَجِيئِ الْعَامِ وَ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي فِي الدَّهْنِ. الَّذِي لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ. إِنْ أَرَدْتَ بِهَذَا لَزِمَكَ هَذَا فِي سَائِرِ مَا تُثَبِّتُهُ. هَذَا مَثَلًا تُلْزِمُ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ الْأَشْعَرِيَّ الَّذِي يُثَبِّتُ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ فَتَقُولُ لَهُ عَلَى أَيْ وَجْهِ أَثْبَتَ؟ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ. وَ لِمَاذَا نَفَيْتَ الْإِسْتِوَاءَ وَ النَّزُولَ؟ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْمِشَابَهَةِ! أَيْ مُشَابَهَةِ؟ الْمِشَابَهَةُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ بَاطِلٌ. الْمِشَارَكَةُ فِي وَجْهِ دُونَ وَجْهِ؟ نَعَمْ، إِذَا يَلْزَمَكَ فِي السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ فِي مَا أَثْبَتَ مِنَ الصِّفَاتِ السَّبْعِ مَا فَرَزْتَ مِنْهُ فِي إِثْبَاتِ الْإِسْتِوَاءِ وَ الْمَجِيئِ وَ نَفَيْتَ مِنْ أَجْلِهِ. لَا فَرْقَ. لِأَنَّ الْإِشْتِرَاكَ وَقَعَ فِي السَّمْعِ الْعَامِ. وَ الْإِرَادَةُ الْعَامَةُ أَيْ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ لِلْإِرَادَةِ وَ الْمَعْنَى الْعَامِ لِلْسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ أَيْ فِي ذَلِكَ الَّذِي يَقَعُ فِي الدَّهْنِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ فِي الْخَارِجِ. لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا أَثْبَتَ وَ بَيْنَ مَا نَفَيْتَ. إِنْ نَفَيْتَ فِرَارًا مِنْ هَذِهِ الْمِشَارَكَةِ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ وَ هَذَا ثَابِتٌ فِي مَا أَثْبَتَ. إِذَا تَقَعُ فِي التَّنَاقُضِ. وَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ. التَّنَاقُضُ كَمَا قُلْنَا قَاعِدَةٌ عَامَّةٌ لِكُلِّ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَ السُّنَّةَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَنَاقَضَ. مَرَّةً

أخرى فالنافي إن اعتمد في ما ينفيه كالإستواء و النزول و الوجه و اليد. على أن هذا تشبيه. قيل له إن أردت أنه مماثل له من كل وجه فهذا باطل. لا يقوله أحد , و إن أردت أنه مشابه. مشابه له من وجه دون وجه أو مشارك له في الاسم العام لزمك هذا في سائر ما أثبتته. كما مثلنا من نفى الصفات الخبرية لأنها تؤدي إلى التشبيه و هو يثبت الصفات العقلية هكذا يلزم و هكذا يتناقض , و أنتم إنما أقمتُم الدليل على إبطال التشبيه و التماثل. الذي فسرتوه بأنه يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر و يمتنع عليه ما يمتنع على الآخر و يجب له ما يجب له. أي التشابه من كل وجه في ما يجوز. في ما يمتنع و فيما يجوز. مثل هذا التشابه كما قلنا لا يقوله عاقل. و إن أرادوا التشابه من وجه دون وجه و هذا ثابت كما قلنا غير مرة. و معلوم أن إثبات التشبيه بهذا التفسير. أي يجوز عليه ما يجوز على الآخر و يمتنع عليه ما يمتنع عليه و يجب له ما يجب له. هذا التفسير الذي يعنيه. و معلوم أن إثبات التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما يقول. فإنه يعلم بضرورة العقل إمتناع ذلك. المشاركة المطلقة بين الخالق و المخلوق بحيث يجوز له ما يجوز على المخلوق و يمتنع عليه ما يمتنع على المخلوق و يجب له ما يجب على المخلوق و بالعكس ممنوع بضرورة العقل. و لا يلزم من نفي هذا نفي التشابه من بعض الوجوه. إذا نفينا المشاركة من كل وجه. لا يلزم من نفي هذا نفي التشابه من بعض الوجوه كما قلنا. كما في الأسماء و الصفات المتواطئة. ما هي الأسماء و الصفات المتواطئة؟ التي تشترك في اللفظ و تختلف في الحقيقة و المعنى كالعلم مع العلم و القدرة مع القدرة و السمع مع السمع إلى آخر الصفات. و الاشتراك من وجه دون وجه لابد فيه. في الأسماء المتواطئة و الصفات المتواطئة. أي الاشتراك في الاسم و المعنى العام الذي يسمى عند علماء الكلام المطلق الكلي. و لكن من الناس من يجعل التشبيه مفسراً بمعنى من المعاني. الجهمية يفسرون التشبيه بمعنى من المعاني و كذلك المعتزلة في تفسيرهم الخاص. و الأشاعرة و الماتريدية في تفسيرهم الخاص. ثم إن كل من أثبت ذلك المعنى قالوا إنه مشبهة. عند الجهمية حتى المعتزلة مشبهة لأنهم يثبتون الأسماء. و عند المعتزلة الإشاعرة و جميع المثبتة مشبهة. لأنهم يثبتون الأسماء و الصفات. و منازعهم يقول

ذلك المعنى ليس هو من التشبيه. أي إثبات الصفات وإثبات الأسماء. إثبات الصفات الخبرية كإثبات الصفات العقلية ليس بتشبيه و لكن التشبيه الممتنع أن يحب له ما يحب له و يمتنع عليه ما يمتنع عليه و يجوز عليه ما يجوز عليه كما تقدم. هذا ممتنع , نعم . تفضل .

القارئ: (وقد يفرق بين لفظ «التشبيه» و «التمثيل» ، وذلك أن المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات يقولون: كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه ممثل، فمن قال: إن الله علما قديماً، أو قدرة قديمة، كان عندهم مشبهًا ممثلًا، لأن «القدم» عند جمهورهم هو أخص وصف الإله، فمن أثبت لله صفة قديمة فقد أثبت له مثلًا قديمًا¹ ، ويسمونه ممثلًا بهذا الاعتبار. ومثبة الصفات لا يوافقونهم على هذا، بل يقولون: أخص وصفه حقيقة ما لا يتصف به غيره، مثل كونه رب العالمين، وأنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه إله واحد، ونحو ذلك، والصفة لا توصف بشيء من ذلك)

الشيخ: إنبهوا لهذه النقطة مهمة جدًا. وقد يفرق بين لفظ «التشبيه» و «التمثيل». قد هنا فيه نوع من الإشكال. فيه نظر. لأن السياق يدل على أنها للتقليد. و الواقع خلاف ذلك. و يفرق بين لفظ التشبيه و التمثيل. لابد من التفريق بينهما. التمثيل يكون من كل وجه و التشبيه لا يلزم منه أن يكون من كل وجه. لو قيل مثلًا للرجل الشجاع: زيد كالأسد. فهل هو مثل الأسد من كل وجه؟ لا ، إنما شابه الأسد في صفة واحدة "الشجاعة و الإقدام" و إلا إن زيدًا ليس حيوانًا مفترسًا يمشي على أربع و له شعر كثير و ناب قوي. هذا

¹ في نسخة رسالة التدمرية التي عند الشيخ الجامي رحمه الله تعالى - : "و مُثَلًّا قَدِيمًا" .

الأسد. وَ هَلْ زَيْدٌ شَابَهُ أَسَدًا فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا؟ لَا , إِنَّمَا شَابَهُ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ. لذلِكَ يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ زَيْدٌ كَالْأَسَدِ. بَلْ بِالتَّشْبِيهِ الْمِثَالِ فِيهِ: زَيْدٌ أَسَدٌ. جَائِزٌ , وَ لَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا الْمِثَالَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. إِذَا لَا بَدَّ مِنَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ لَفْظِ التَّشْبِيهِ وَ لَفْظِ التَّمثِيلِ. هَذَا لَيْسَ أَحْيَانًا أَوْ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ بَلْ مُطْلَقًا لَعَنَهُ هَكَذَا , هَذَا هُوَ الَّذِي جَعَلْنَا نَقُولُ لَفْظَةً "قَدْ" فِيهِ نَظَرٌ. وَ ذلِكَ أَنَّ الْمُعْتَزَلَةَ وَ نَحْوَهُمْ أَيْ مَنْ يُؤَوِّفُهُمْ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ مِنْهُمْ الْجَهْمِيَّةُ. فَهُمْ أَبْلَغُ مِنْهُمْ فِي النَّفْيِ مِنْ نُفَاتِ الصِّفَاتِ يَقُولُونَ: كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً قَدِيمَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ مُثَلٌّ!. فَهَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ. كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً قَدِيمَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ مُثَلٌّ. عَلَى هَذَا حَتَّى الْأَشَاعِرَةُ يُعْتَبَرُونَ مِنَ الْمِثْبُتِينَ الْمِثْلِينَ فِي نَظَرِ الْجَهْمِيَّةِ وَ الْمُعْتَزَلَةِ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ السَّبْعَ. وَ الصِّفَاتِ السَّبْعَ قَدِيمَةً لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- قَائِمَةً بِذَاتِهِ. كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ صِفَةً قَدِيمَةً مِنَ الصِّفَاتِيَّةِ. "الصِّفَاتِيَّةُ" تَشْمَلُ الْمُثْبِتِينَ لِجَمِيعِ الصِّفَاتِ وَ هُمْ السَّلَفُ وَ أَتْبَاعُ السَّلَفِ وَ تَشْمَلُ هَذِهِ الصِّفَةَ الْأَشَاعِرَةَ أَيْضًا فِي هَذِهِ النِّقْطَةِ. أَيْ إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ يُشَارِكُونَ أَتْبَاعَ السَّلَفِ مِنَ الْمُثْبِتِينَ لِجَمِيعِ الصِّفَاتِ. يُشَارِكُونَهُمْ فِي وَصْفِ الصِّفَاتِيَّةِ فِي نَظَرِ الْمُعْتَزَلَةِ وَ الْجَهْمِيَّةِ لِأَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ بَعْضَ الصِّفَاتِ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تَعَالَى- وَ هِيَ الصِّفَاتُ الْخَبَرِيَّةُ¹. الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَهُمْ صِفَاتِ الْمَعَانِي وَ الصِّفَاتِ وَ هِيَ الصِّفَةُ الْعَقْلِيَّةُ عَفْوًا لَيْسَتْ الْخَبَرِيَّةُ. أَيْ إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ. مَعْنَى الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ: الصِّفَاتُ الَّتِي تَثْبُتُ بِالشَّرْعِ وَ الْعَقْلِ مَعًا. أَيْ بِالنَّعْلِ وَ الْعَقْلِ مَعًا. هِيَ الَّتِي حَتَّى لَوْ لَا وُجُودُ الشَّرْعِ. لَوْ لَا وُجُودُ السَّمْعِ لَأَدْرَكَ الْعَقْلُ اثْبَاتَهَا. هَذِهِ الصِّفَاتُ الْعَقْلِيَّةُ. أَيْ فِي إِمْكَانِ الْإِنْسَانِ أَنْ يُثْبِتَ لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- الْقُدْرَةَ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ شَيْئًا مِنَ النَّصُوصِ. إِسْتِدْلَالًا بِالْأَدِلَّةِ الْكُونِيَّةِ الْمَشَاهِدَةِ. هَذَا الْإِبْدَاعُ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ دَلِيلٌ عَلَى الْقُدْرَةِ. دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ. وَ التَّخْصِيصُ دَلِيلٌ عَلَى الْإِرَادَةِ. خَصَّ هَذَا بِالْعِلْمِ وَ ذَاكَ بِالْجَهْلِ وَ ذَاكَ بِالْفَقْرِ وَ ذَاكَ بِالْغِنَى وَ هَكَذَا. هَذَا يُسَمَّى تَخْصِيصٌ , وَ هَذَا التَّخْصِيصُ يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ إِلَى آخِرِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ. تُسَمَّى الصِّفَاتُ الْعَقْلِيَّةُ لِأَنَّهَا تَثْبُتُ بِالْأَدِلَّةِ

¹ سبق لسان من الشيخ و الصواب : "الصفات العقلية" و ليس "الصفات الخبرية" كما سيبيّن الشيخ ذلك بعد قليل.

العقلي و النقلي معاً. و هل توجد صفات عقلية محضة تثبت بالدليل العقلي فقط و لا تثبت بالدليل النقلي؟ لا وجود لها , ربما يفهم بعض الناس إذا قيل الصفات العقلية أنها توجد صفات تثبت بالعقل فقط و لم يرد بها نص لا من الكتاب و لا من السنة. هذا غير صحيح و يجب أن يصحح هذا المفهوم. و إنما أطلق على بعض الصفات أنها صفات عقلية لأن العقل يشترك مع النقل في إثبات هذه الصفات كما مثلنا بالقدرة و الإرادة. كذلك العلم. كذلك السمع. و كذلك البصر. إلى آخره .

أما "الصفات الخبرية" تسمى الصفات النقلية و تسمى الصفات السمعية. هي الصفات التي لا مجال للعقل في إثباتها لو لا ورود النص. لو لم يرد نص من الكتاب و السنة لا يجزئ أحد أن يقول إن الله مستور على عرشه و أنه ينزل آخر كل ليلة. و أنه يأتي يوم القيامة لفصل القضاء. هذه صفات خبرية محضة. و يقال لها الصفات السمعية و يقال لها الصفات النقلية. أي لو لم يرد نص لا تثبت هذه الصفات بالعقل. لا مجال للعقل إلى إدراكها. يجب أن يفرق بين الصفات السمعية و العقلية بهذا التفصيل.

نعوذ فنقول فإن المعتزلة و من وافقهم من نفات الصفات و هم الجهمية. يقولون كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه مائل. الصفاتية على الحقيقة الذين يثبتون جميع الصفات و كذلك الأشاعرة. فمن قال مثلاً إن لله علماً قديماً أو قدرة قديمة كان عندهم. عند الجهمية و المعتزلة مشبهاً مائلاً. و الأشاعرة هنا يوافقون أهل السنة فيثبتون علماً قديماً و قدرة قديمة. إذا هم من المشبهة الممثلة في نظر الجهمية و المعتزلة. لأن القدم عند جمهورهم جمهور المعتزلة و الجهمية هو من أحص وصف الإله. هذا في نظرهم و في اصطلاحهم و هو اصطلاح باطل كما سيأتي. فمن أثبت لله صفة قديمة فقد أثبت له مثلاً. أو مثلاً أو مثلاً قديماً فيسمونه مائلاً بهذا الاعتبار. كما قلنا ينطبق هذا على أهل السنة و الجماعة و على الأشاعرة الذين وافقوا أهل السنة و الجماعة في هذه النقطة أو في بعض النقاط. ليتضح المقام: إن الأشاعرة كثيراً ما يوافقون أهل السنة و الجماعة في بعض الصفات و في بعض المواقف و في بعض العقائد و لكن يخالفون في بعض المواقف الخطيرة جداً. لذلك يكفي أن

يُقَالُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَ لَا يُقَالُ لَهُمْ إِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. أَوْ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. أَوْ يُقَالُ إِنَّهُمْ أَهْلُ الْحَقِّ كَمَا يَخْلُو لِبَعْضِهِمْ هَذِهِ الْأَيَّامُ. يُسَمَّوْنَ الْأَشَاعِرَةَ أَهْلَ الْحَقِّ. أَيْنَ الْحَقُّ فِي مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ وَ لَيْسَ بِكَلَامِ اللَّهِ حَقِيقَةً؟! هَذَا مَا تَقُولُهُ الْأَشَاعِرَةُ. مُشَارِكِينَ أَوْ مُوَافِقِينَ لِلْمُعْتَرِلةِ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي فِيهَا تَكْذِيبُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي قَالَ فِي كِتَابِهِ (وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي ثَلَاثُهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَ غَيْرِ الْمُشْرِكِينَ وَ سَمِعُوا مِنْهُ هُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي بَيْنَ دَفْتَيْ الْمَصْحَفِ. هَذَا الْقُرْآنُ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ مَخْلُوقٌ. فِإِطْلَاقُ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِطْلَاقٌ بِحَازِي. هَذِهِ النِّقْطَةُ نُكِّرُ فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ يُوجِدُونَ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمَعَاصِرِ الْآنَ وَجُودًا جَمَاعِيًّا وَ قَدْ يَسْتَنْكِرُونَ عِنْدَمَا نَقُولُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَ لَا بَدَّ مِنْ دَلِيلٍ يُثَبِّتُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. هَذِهِ الصِّفَةُ الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ الْخَطِيرَةُ الَّتِي وَافَقَتْ الْأَشَاعِرَةَ فِيهَا جَمِيعُ النَّفَاقَةِ مِنَ الْمُعْتَرِلةِ وَ الْجَهْمِيَّةِ "نَفْيُ الْعُلُوِّ" وَ "نَفْيُ الْإِسْتِوَاءِ". لَعَلَّكُمْ تُفَرِّقُونَ بَيْنَ صِفَةِ الْعُلُوِّ وَ صِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ؟ صِفَةُ الْعُلُوِّ. عُلُوُّ اللَّهِ -تعالى- صِفَةُ قَدِيمَةٍ عَقْلِيَّةٍ سَمْعِيَّةٍ ثَابِتَةٌ بِالْعَقْلِ وَ السَّمْعِ وَ الْإِجْمَاعِ وَ الْفِطْرَةِ. صِفَةُ الْعُلُوِّ. كَوْنُ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- يُدْعَى مِنْ فَوْقٍ لَا مِنْ أَسْفَلٍ. صِفَةُ عَقْلِيَّةٍ سَمْعِيَّةٍ ثَبَّتَتْ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ ثَبَّتَتْ بِالْعَقْلِ السَّلِيمِ. هَذِهِ الصِّفَةُ وَ ثَبَّتَتْ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ وَ ثَبَّتَتْ بِالْفِطْرَةِ. كُلُّ مَنْ سَلِمَ فِي فِطْرَتِهِ وَ عَقْلِهِ يَعْتَقِدُ عُلُوَّ اللَّهِ -سبحانه و تعالى- لَذَلِكَ كُلُّ دَاعٍ عَرَبِيٍّ أَوْ أَعْجَمِيٍّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ عِنْدَ الدَّعَاءِ. بَلْ إِذَا قَالَ "يَا اللَّهُ" اِلْتَفَتَ ضَمِيرُهُ إِلَى الْعُلُوِّ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ. هَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ فِطْرِيٌّ. يُؤَيِّدُ هَذَا بِالْفِعْلِ سَوَالُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه و سلم- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ تِلْكَ الْجَارِيَةُ الْأَعْجَمِيَّةُ رَاعِيَةُ الْعَنْمِ الَّتِي أَرَادَ مَوْلَاهَا فِي بَعْضِ الْمُنَاسَبَاتِ أَنْ يَعْتَقَهَا. فَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ إِيْمَانِهَا فَطَلَبَهَا فَسَأَلَهَا السَّوَالُ الْآتِي: أَيْنَ اللَّهُ؟ وَ كَلِمَةُ "أَيْنَ اللَّهُ" عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ الْآنَ. السَّوَالُ بِأَيْنَ عَنِ اللَّهِ. يَعْتَبِرُونَهُ جَرِيمَةً! لِنُدْرِكَ وَ نُثَبِّتَ بِهَذَا مُحَالَةَ الْأَشَاعِرَةَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. فِي كُتُبِهِمْ لَا يُسْأَلُ عَنِ اللَّهِ بِأَيْنَ!. وَ الَّذِي سَأَلَ بِأَيْنَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهَذَا الدِّينِ.

يقول للجارية العامية أين الله؟ فقالت: في السماء. أي في العلو. من أين علمت؟ علمت
بديل الفطرة. ثم قال لها من أنا؟ قالت أنت رسول الله. فشهد لها بالإيمان. قال فاعتقها فإنها
مؤمنة. بهذا تدركون إن صفة علو الله - تعالى - و أنه فوق جميع المخلوقات مستو على عرشه
بائن من خلقه. ليس في ذاته شيء من مخلوقاته و لا في مخلوقاته شيء من ذاته. إيمان فطري
عقلي شرعي و ثبت بالإجماع كما قلنا.

أما صفة "الإستواء على العرش" صفة فعلية لأن الله أخبر أنه إستوى على عرشه بعد أن
خلق السماوات و الأرض في ستة أيام. هذا علو خاص بالعرش و يسمى "صفة الإستواء" ,
صفة العلو في إمكان الإنسان أن يدرك ذلك بعقله و فطرته إن سلم له عقله و فطرته من
لؤثة أهل الكلام. و أما كونه حص العرش بالإستواء. لا يعلم هذا إلا بديل سمعي من الكتاب
و السنة , و في الكتاب آيات كثيرة تدل على الاستواء و في السنة قوله صلى الله عليه و
سلم (إن الله لما خلق الخلق كتب عنده كتابا و هو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت
غصبي) أو (علبت غصبي) أشير في كل مناسبة هذه الإشارة ردا على الأشاعرة أيضا لأن
الأشاعرة يرون هذه الإشارة غير جائزة قد تؤدي إلى الكفر عندهم. لو أشار المؤشر هكذا
معتقدا بأن الله في العلو بذاته يكفرونه. و إن أشار دون اعتقاد يفسقون. و يجهلون أو
يتجاهلون على الأصح. إنهم يجهلون السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة و
السلام تلك الإشارة العظيمة من النبي العظيم عليه الصلاة و السلام في اليوم العظيم في ذلك
الاجتماع العظيم في يوم عرفة عندما سأل أصحابه في آخر الخطبة: أنتم مسؤولون عني ماذا
أنتم قائلون؟ قالوا نشهد بأنك نصحت و بلغت أو كما قالوا. قال النبي عليه الصلاة و
السلام: اللهم اشهد اللهم ثلاث مرات يرفع إصبعه إلى الله و يكبها عليهم و يشهد
الله عليهم بأنهم شهدوا له بأنه بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح لأمتيه. و نحن نشهد
معهم هذه الشهادة. و الحمد لله على ذلك.

قال الشيخ رحمه - الله تعالى - و مثبتة الصفات لا يوافقونهم على هذا. لا يوافقون على
أن كل من أثبت صفة قديمة لله - تعالى - فهو مشبهة أو ممثل. بل يقولون. بل لا يوافقون على

أَنَّ أَحْصَ وَصَفِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- الْقِدَمَ. بَلْ يَقُولُونَ أَحْصَ وَصْفِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ غَيْرُهُ. أَحْصَ أَوْصَافِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ غَيْرُهُ. مِثْلُهُ. مِثْلُ كَوْنِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ. لَا أَحَدَ يُوصَفُ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ غَيْرَ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ. إِذَا هَذَا مِنْ أَحْصَ صِفَاتِ الرَّبِّ سَبْحَانَهُ وَ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. الْوَصْفُ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ خَاصٌّ بِاللَّهِ. اللَّهُ مَنَحَ الْعِبَادَ الْعِلْمَ وَ لَكِنْ وَصَفَ عِلْمَهُمْ بِأَنَّهُ قَلِيلٌ (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) أَمَّا الْعِلْمُ الْمَحِيطُ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ فَهُوَ عِلْمُ الرَّبِّ وَحْدَهُ -سبحانه- , وَ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الْعَبْدُ لَهُ قُدْرَةٌ. اللَّهُ مَنَحَهُ عِلْمًا وَ قُدْرَةً وَ إِرَادَةً وَ اخْتِيَارًا. هَلْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؟ لَا , قُدْرَةٌ مَحْدُودَةٌ. وَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ أَنَّهُ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ. لَوْ كَانَ التَّعْبِيرُ بِالتَّعْرِيفِ لَكَانَ أَوَّلَى. وَ أَنَّهُ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ. لِأَنَّ لَفْظَةَ إِلَهٍ قَبْلَ التَّعْرِيفِ تُطْلَقُ عَلَى الْمَعْبُودِ بِالْحَقِّ وَ الْمَعْبُودِ بِالْبَاطِلِ. الْإِلَهَةُ كَثِيرَةٌ. سَابِقًا وَ حَاضِرًا. الْمُسْتَقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ. الَّذِينَ يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْجَمَادَاتِ وَ الْعُقُلَاءِ كَثُرَ قَدِيمًا وَ حَدِيثًا , لَكِنَّ الْإِلَهَ الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ, وَ لَفْظَةُ إِلَهٍ تُطْلَقُ عَلَى الْمَعْبُودِ بِحَقِّهِ وَ الْمَعْبُودِ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنَّ لَفْظَةَ -الله- لَفْظُ الْجَلَالَةِ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الْمَعْبُودِ بِحَقِّهِ وَ هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ. الْإِلَهُ: إِذَا عَرَفْنَاهُ هَكَذَا يَكُونُ إِسْمًا لِلَّهِ -سبحانه و تعالى- وَ نَحْوِ ذَلِكَ وَ الصِّفَةُ لَا تُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. لَا يُقَالُ فِي الصِّفَاتِ إِنَّ الْقُدْرَةَ "رَبُّ الْعَالَمِينَ" وَ لَا يُقَالُ فِي الْقُدْرَةِ مَثَلًا: إِنَّ الْقُدْرَةَ عَلِيمَةٌ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. إِذَا هَذَا أَحْصَ صِفَاتِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- هَذِهِ الصِّفَاتُ وَ مَا فِي مَعْنَاهَا. ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الصِّفَاتِيَّةِ. نَعَمْ .

الْقَارِئُ: (ثم من هؤلاء الصفاتية من لا يقول في الصفات: إنها قديمة، بل يقول: الرب بصفاته قديم , ومنهم من يقول: هو قديم وصفته قديمة، ولا يقول: هو وصفاته قديمان , ومنهم من يقول: هو وصفاته قديمان، ولكن يقول: ذلك لا يقتضي مشاركة الصفة له في شيء من خصائصه، فإن القدم ليس من خصائص الذات المجردة، بل هو من خصائص الذات الموصوفة بصفات، وإلا فالذات المجردة لا وجود لها عندهم، فضلاً عن أن تختص

بالقدم، وقد يقولون: الذات مُتَّصِفَةٌ بالقدم والصفات مُتَّصِفَةٌ بالقدم وليست الصفات إلهًا ولا ربًّا، كما أن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ مُخَدَّث و صفاته محدثة، وليست صفاته نبيا.)

الشيخ: انتبه، يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- في بيان الاختلاف بين الصفاتية و غير الصفاتية. تقدّم أن عرفنا المراد بالصفاتية. أهل السنة و الجماعة و تشترك الأشاعرة في هذا الوصف أنهم من الصفاتية لإثباتهم بعض الصفات كما تقدّم. من هؤلاء الصفاتية من لا يقول في الصفات إنها قديمة. بل يقولون: الرب بصفاته قديم. أي لا يفصلون الصفة من الذات. فيصِفُونَهَا بِأَنَّهَا قَدِيمَةٌ , بل يقولون الرب بصفاته قديم أو الرب قديم بأسمائه و صفاته. هذا هو الصحيح. و منهم من يقول هو قديم و صفاته قديمة و إن كان التعبير الأول أدق. لكن هذا ليس فيه محذور , ولا يقول هو و صفاته قديمَان. بالتثنية , و منهم من يقول هو و صفاته قديمَان أي إن الصفاتية يختلفون في التعبير , و هذا الاختلاف التنوع لا يضُر , و لكن يقول ذلك لا يقتضي بعد أن يثبت القدم للصفة وللذات. لكنه يقول ذلك لا يقتضي مشاركة الصفة له - سبحانه و تعالى - في شيء من خصائصه كالذي تقدّم. كونه سبحانه و تعالى رب العالمين وأنه بكل شيء عليم إلى آخره. فإن القدم ليس من خصائص الذات المجردة عن الصفات بل من خصائص الموصوفة بصفات الكمال. هذه مهمة. ينبغي أن نفهم إن. فإن القدم ليس من خصائص الذات المجردة لأن الذات المجردة عن الصفات لا وجود لها إلا في الذهن. بل هو من خصائص الذات الموصوفة بصفات الكمال , وإلا فالذات المجردة لا وجود لها عندهم أي عند الصفاتية جميعًا فضلًا من أن تختص بالقدم. هذا واضح , هل الصفة غير الموصوف أو عين الموصوف؟ بحث معروف عند أهل الكلام ثم انتقل هذا البحث إلى الصفاتية من أهل السنة و الجماعة. لأنه اصطلاح ينبغي أن يعرف. لا يقال الصفة غير الذات بالإطلاق و لا يقال الصفة عين الذات بالإطلاق و لكن لا بد من تفصيل. الصفة عين الذات باعتبار عدم الانفصال بين الذات و بين الصفة. أي لا

تُوجَدُ ذاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ وَ لَا تُوجَدُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا مُجَرَّدَةٌ عَنِ الدَّاتِ. بِهَذَا
 الْإِعْتِبَارِ الصِّفَةُ عَيْنُ الدَّاتِ. وَ بَاعْتِبَارِ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى لِكُلِّ مِنَ الصِّفَةِ وَالذَّاتِ: الصِّفَةُ غَيْرُ
 الدَّاتِ , لِلْقُدْرَةِ مَفْهُومًا وَ لِلْقَادِرِ مَفْهُومًا. لِلْعِلْمِ مَفْهُومٌ وَ لِلْعَالَمِ مَفْهُومٌ. بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ
 الصِّفَاتُ غَيْرُ الدَّاتِ , لَا بُدَّ مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ , وَ إِلَّا فَالذَّاتُ الْمَجَرَّدَةُ لَا وُجُودَ لَهَا عِنْدَهُمْ
 أَيْ عِنْدَ الصِّفَاتِيَّةِ فَضْلًا مِنْ أَنْ تَخْتَصَّ بِالْقَدَمِ وَ قَدْ يَقُولُونَ الدَّاتُ مُتَّصِفَةٌ بِالْقَدَمِ وَ الصِّفَاتُ
 مُتَّصِفَةٌ بِالْقَدَمِ. هَذَا صَحِيحٌ. الدَّاتُ - اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - مُتَّصِفٌ بِالْقَدَمِ وَ قُدْرَتُهُ وَ
 سَمْعُهُ وَ بَصَرُهُ وَ جَمِيعُ الصِّفَاتِ الدَّاتِيَّةِ مَوْصُوفَةٌ بِالْقَدَمِ. صِفَاتُ اللَّهِ الدَّاتِيَّةِ غَيْرُ الْفِعْلِيَّةِ.
 مُتَّصِفَةٌ بِالْقَدَمِ أَمَّا الصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ فَتَتَجَدَّدُ حَسَبَ مَشِيئَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - وَ إِرَادَتِهِ
 بِقُدْرَتِهِ. وَ لَيْسَتْ الصِّفَاتُ إِلَّا أَيْ إِذَا قِيلَ الدَّاتُ مُتَّصِفَةٌ بِالْقَدَمِ وَ الصِّفَاتُ مُتَّصِفَةٌ بِالْقَدَمِ.
 لَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ تَكُونَ الصِّفَاتُ إِلَّا وَ لَا رَبًّا. كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى - اللَّهُ - عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ
 غَيْرُهُ مُحَدَّثٌ وَ صِفَاتُهُ مُحَدَّثَةٌ , وَ لَيْسَ صِفَاتُهُ نَبِيًّا كَالْكَرَمِ وَ الشَّجَاعَةِ. هَذِهِ الصِّفَاتُ مِنْ
 صِفَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى - اللَّهُ - عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَيْسَتْ هِيَ النَّبِيِّ. بَلْ صِفَاتُ النَّبِيِّ . فَلَنَكْتَفِي بِهَذَا
 الْمَقْدَارِ وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ .

الدرس رقم : 30

القارئ: قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (فهؤلاء إذا أطلقوا على الصفاتية اسم «التشبيه» و «التمثيل» ، كان هذا بحسب اعتقادهم الذي ينازعهم فيه أولئك، ثم تقول لهم أولئك: هب أن هذا المعنى قد يسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيهاً، فهذا المعنى لم ينفه عقل ولا سمع، وإنما الواجب نفي ما نفته الأدلة الشرعية والعقلية ، والقرآن قد نفى مسمى «المثل» و «الكفاء» و «النّد» ونحو ذلك، ولكن يقولون: الصفة في لغة العرب ليست مثل الموصوف ولا كفأه ولا نده، فلا تدخل في النص، وأما العقل فلم ينف مسمى «التشبيه» في اصطلاح المعتزلة ، وكذلك أيضاً يقولون: إن الصفات لا تقوم إلا بجسم متحيز، والأجسام متماثلة، فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلاً لسائر الأجسام، وهذا هو التشبيه ، وكذلك يقول هذا كثير من الصفاتية الذين يشبّتون الصفات وينفون علوه على العرش وقيام الأفعال الاختيارية به ونحو ذلك، ويقولون: الصفات قد تقوم بما ليس بجسم، وأما العلو على العالم فلا يصح إلا إذا كان جسمًا، فلو أثبتنا علوه للزم أن يكون جسمًا، وحينئذ فالأجسام متماثلة فيلزم التشبيه ، فلهذا تجد هؤلاء يسمّون من أثبت العلو ونحوه مشبّهًا، ولا يسمّون من أثبت السمع والبصر والكلام ونحوه مشبّهًا، كما يقوله صاحب «الإرشاد» وأمثاله ، وكذلك قد يوافقهم على القول بتماثل الأجسام القاضي أبو يعلى وأمثاله من مثبتة الصفات والعلو، لكن هؤلاء قد يجعلون العلو صفة خبرية، كما هو أول قولي القاضي أبي يعلى، فيكون الكلام فيه كالكلام في الوجه، وقد يقولون: إن ما يشبّونه لا ينافي الجسم، كما يقولونه في سائر الصفات. والعاقل إذا تأمل وجد الأمر فيما نفوه كالأمر فيما أثبتوه لا فرق).

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- . فهو يُوردُ شبهة المعتزلة و الردّ عليهم. فهؤلاء أي المعتزلة و من يوافقهم إذا أطلقوا على

الصفاتي اسم التشبيه. فبعد أن عرفنا الصفاتية من هم. الصفاتية هم مثبتة الصفات كلها كل الصفات. الصفات و الأسماء معاً. أي الذين يثبتون لله - سبحانه و تعالى - ما أثبتت لنفسه و ما أثبت له رسوله صلى الله عليه و سلم من صفات الكمال كما تشمل هذه اللفظة أو هذا الإصطلاح أحياناً الأشاعرة لإثباتهم بعض الصفات كما تقدم التفصيل. تطلق المعتزلة و من وافقهم على من يثبت الصفات كلها أو بعض الصفات من الصفاتية إسم "التشبيه" , أي من يثبت الصفات فهو مشبه. سواء أثبت الصفات كلها أو بعضها. و يقال له إنه مُمثل. سبق أن فرقنا بين التشبيه و بين التمثيل. من حيث اللغة بين التمثيل و بين التشبيه فرق كبير. التشبيه قد يطلق على أمرين يتشابهان من بعض الوجوه و يختلفان من بعض الوجوه. لكن التمثيل هو أن يكون الأمر و أن يكون الشيء مثلاً لما يشبهه و لا فرق بينه. بين المشبه و المشبه به بالنسبة للتمثيل أو بين الممثل و الممثل به. كان هذا الإطلاق بحسب اعتقادهم الذي يَنازِعُهُمْ فِيهِ أَوْلَائِكَ. "أولائك" إسم الإشارة للصفاتية. كان هذا الإطلاق بحسب اعتقاد المعتزلة الذي يَنازِعُهُمْ فِيهِ الصفاتية لأن الصفاتية لا يثبتون و لا يؤفقون أن كل من أثبت صفة من صفات -الله تعالى- بأنه مشبه أو مُمثل. ثم يقول هم "أولائك" أي الصفاتية. و يقولون للمعتزلة هب افرض أن هذا المعنى قد يُسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيهاً. "في اصطلاح بعض الناس" هم المعتزلة و من وافقهم. فهذا المعنى لم ينفى عقل و لا سمع. أي إثبات تسمية مثبتة الصفات. تسميته مشبهاً أو ممثلاً أو إثبات الصفات. لم ينفى عقل و لا سمع. بل ورد السمع بإثبات الصفات فوافق العقل السليم إثبات الصفات و إنما الواجب نفى ما نفته الأدلة الشرعية و العقلية. هذا راجع لما تقدم من ذكر الضوابط. الضابط الصحيح نفى ما نفته النصوص و إثبات ما أثبتته النصوص من الكتاب و السنة. و إنما الواجب نفى ما نفته الأدلة الشرعية و الأدلة العقلية. و الأدلة العقلية تابعة للأدلة الشرعية. الأصل عندنا "الأدلة الشرعية" و تُسمى الأدلة العقلية كما تقدم و تُسمى الأدلة العقلية و الأدلة الخبرية. الواجب إثبات ما أثبتته الأدلة الشرعية فوافقت الأدلة العقلية السليمة الصريحة. هذا هو الواجب. بل هذا هو الضابط. لذلك يقول الشيخ: و القرآن قد نفى

مُسَمَّى المِثْلَ وَ مُسَمَّى الكُفُّ وَ النِّدْ. سَمَّى المِثْلَ: قَالَ اللهُ -سبحانه و تعالى- (فلا تجعلوا لله) أي سَمَّى. عَفْوًا: نَفَى المِثْلَ حَيْثُ قَالَ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) هَكَذَا نَفَى المِثْلَ. وَ نَفَى "الكُفُّ" (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ). وَ نَفَى "النِّدْ" (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الْأَنْدَادُ جَمْعُ النِّدْ. نَفَى الْقُرْآنُ المِثْلَ وَ نَفَى الكُفُّ وَ نَفَى النِّدْ. الْوَاجِبُ نَفَى مَا نَفَاهُ الْقُرْآنُ. وَ لَكِنْ يَقُولُونَ الصِّفَاتِيَّةُ وَ لَفْظُهُ لَكِنْ. الْإِسْتِدْرَاكُ لَيْسَ بِوَاضِحٍ. نُعِيدُ الْعِبَارَةَ: وَ الْقُرْآنُ قَدْ نَفَى مُسَمَّى المِثْلِ وَ الكُفِّ وَ النِّدِّ وَ نَحْوَ ذَلِكَ. وَ يَقُولُونَ "الصِّفَاتِيَّةُ". أَوْ فَيَقُولُونَ الصِّفَاتِيَّةُ: الصِّفَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لَيْسَتْ مِثْلَ الْمَوْصُوفِ وَ لَا كُفُوُهُ وَ لَا نِدَّهُ. فَلَا تَدْخُلُ فِي النَّصِّ. لَا تَدْخُلُ فِي النَّصِّ الْمَتَقَدِّمِ (فلا تضربوا لله الأمثال) أي وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) لَا تَدْخُلُ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ. وَ أَمَّا الْعَقْلُ فَلَمْ يَنْفِ مُسَمَّى التَّشْبِيهِ فِي اصطلاح المعترلة. التَّشْبِيهُ فِي اصطلاح المعترلة إثبات الصفات. الْعَقْلُ لَا يَنْفِي مُسَمَّى التَّشْبِيهِ أَيْ لَا يَنْفِي إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ لِلَّهِ -تعالى- الَّذِي يُسَمَّى تَشْبِيهًا فِي اصطلاح المعترلة. إِذَا عَلَى أَيْ أَسَاسٍ نَنْفِي مَا نَنْفِي؟ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي يُنْفَى بِنَاءً عَلَى مَا نَفَتْهُ النُّصُوصُ مِنْ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ مَا نُثَبِّتُهُ كَذَلِكَ بِنَاءً عَلَى مَا أَثَبَّتْهُ النُّصُوصُ مِنْ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ. وَ كَذَلِكَ أَيْضًا يَقُولُونَ هَذِهِ شُبْهَةٌ أُخْرَى قَرِيبَةٌ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا عِنْدَ الْمُعْتَرِلَةِ. يَقُولُونَ إِنَّ الصِّفَاتِ تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ مُتَحَيِّزٍ. إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يُؤَدِّي إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ وَ أَنَّهُ مُتَحَيِّزٌ. وَ سَيَأْتِي التَّفْصِيلُ فِي الْجِسْمِ. هَلِ الْجِسْمُ مَا يُشَارُ إِلَيْهِ؟ هَلِ الْجِسْمُ مَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ؟ هَلِ الْجِسْمُ مُرَكَّبٌ؟ يَأْتِي هَذَا التَّفْسِيرُ. وَ الْمُتَمَيِّزُ الَّذِي يَتَّخِذُ حَيِّزًا مُعَيَّنًا. وَ يَعْتَبِرُونَ إِثْبَاتَ الْعُلُوِّ أَنَّهُ مُتَحَيِّزٌ. كُلُّ هَذِهِ اصطلاحاتٌ لَمْ يَرِدْ بِهَا كِتَابٌ وَ لَا سُنَّةٌ وَ لَمْ يَسْتَعْمِلْهَا السَّلَفُ. لَذَلِكَ كَلِمَةٌ مُتَحَيِّزٌ وَ الْجِسْمُ وَ الْجَوْهَرُ وَ عَرَضٌ. هَذِهِ الْأَلْفَاظُ لَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهَا فِي حَقِّ -اللَّهِ تَعَالَى- لَا نَفْيًا وَ لَا إِثْبَاتًا. لِمَا فِيهَا مِنَ الْإِجْمَالِ. لِأَنَّ الْجِسْمَ قَدْ يُطْلَقُ وَ يُرَادُ بِهِ الذَّاتُ. فَيُطْلَقُ وَ يُرَادُ مَا يُشَارُ إِلَيْهِ. مَا يَقْبَلُ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ. بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ مُمَكِّنٌ لَوْ لَا عَدَمُ الْوُجُودِ إِطْلَاقُهُ عَلَى اللَّهِ -سبحانه و تعالى- لِأَنَّ الْإِشَارَةَ إِلَى اللَّهِ وَارِدَةٌ وَ لِأَنَّ اللَّهَ -سبحانه و

تعالى - ذات. إذا بهذا الاعتبار مُمكن إطلاق الجسم لكنّ يحتمل الجسم معنى آخر و هو المركب إما من الجواهر الفردة أو من الجواهر المطلقة. بهذا الاعتبار لا يصح. ما دام فيه هذا الإجمال لا ينبغي استعمال الجسم في حق -الله تعالى-. لا يقال إنّ الله جسم و لا يقال إنّ الله ليس بجسم. بل نستعمل الألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب و السنة. كذلك المتحيز لأنّ المتحيز يحتمل أن يكون بمعنى "البائز من خلقه" و يحتمل أن يكون معنى "الذي يحوزه مكان ما". طالما فيه هذا الأجمال لا يجوز أن يقال إنّ الله متحيز أو إنّ الله غير متحيز. أولاً لعدم ورود. ثانياً لما فيه من الإجمال.

كذلك العرض. "العرض" قد يطلقونه على الصفات. و قد يطلقونه على معانٍ أخرى سيأتي تفصيلها - لا يجوز استعماله , كذلك "الجوهر" هذه الألفاظ كلها يجب تجنبها نفياً أو إثباتاً.

قال الشيخ رحمه -الله تعالى- نقلاً لِكلامهم. قالوا و كذلك أيضاً يقولون أي المعتزلة و من معهم إنّ الصفات لا تقوم إلاّ بجسم. جسم متحيز. و الأجسام مُمَثِّلَة. فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مُمَثِّلاً لِسائر الأجسام و هذا هو التشبيه. هذه شبهة خطيرة بسببها ضلّ كثير من أهل الكلام. و انطلت هذه الشبهة على الأشاعرة إلاّ أنّهم لم يطبقوها في جميع الصفات ولكنّ طبقوا في الصفات الحبرية فنقرو الصفات الحبرية بناءً على هذه الشبهة لأنّ يكون جسماً لو أثبتوا له - سبحانه و تعالى- الاستواء مثلاً و النور و المجيء و غير ذلك من الصفات الحبرية. وكذلك يقول هذا كثير من الصفاتية الذين يثبتون الصفات و ينفون علوه على العرش. بعض الصفاتية أي من مثبته الصفات انطلت عليهم هذه الشبهة. قالوا قول المعتزلة الذين يثبتون الصفات و ينفون علوه على العرش. و قيام الأفعال الاختيارية به. و هم الأشاعرة و من تأثر بهم. الأشاعرة يثبتون بعض الصفات. بل من الصفاتية من يثبت جميع الصفات كما سيأتي في بعض أئمة الأشاعرة الذين سوف يورد الشيخ أسماءهم. يثبتون جميع الصفات إلاّ العلو. و إثبات العلو عندهم يؤدّي إلى التجسيم. بينما يثبتون جميع الصفات. كذلك ينفون العلو و الأفعال الاختيارية. و كلمة "الاختيارية" يقال

هنا "صفة كاشفة". المراد بالأفعال الاختيارية أفعال الرب - سبحانه و تعالى - كالحلق و الرزق و الإحياء و الإماتة. هذه الأفعال المتعدية يثبتونها و ينفون الأفعال اللازمة كالحجى و النزول و الاستواء. كلها تسمى الأفعال الاختيارية. إثبات هذه الأفعال الاختيارية و إثبات العلو لله تعالى يؤدى إلى التشبيه في نظر هؤلاء الصفاتية الذين يثبتون بعض الصفات. و يقولون: الصفات قد تقوم بما ليس بجسم كما يقول أبو يعلى كما سيأتي. الصفات قد تقوم بما ليس بجسم. أي لا يلزم من إثبات الصفات كونه جسمًا. و أما العلو على العالم فلا يصح إلا إذا كان جسمًا. هكذا تضطرب الأقوال و يتناقض الإنسان إذا ترك التقيّد بالنص. هذا باب لا يقبل إلا التوقيف. الواجب كما تقدم إثبات ما أثبت الله. أما كوننا نوزع على عقولنا منهم من ينفي عقله جميع الأسماء و الصفات و منهم من ينفي عقله الصفات مع إثبات الأسماء و منهم من يفرق بين الصفات فيثبت الصفات العقلية و ينفي الصفات الحبرية و صفات الأفعال. و أبو يعلى كما سيأتي ذكره من كبار أئمة الحنابلة الذين تأثروا بهذه الفكرة فكرة المعتزلة. اضطرب. أحيانًا يثبت جميع الصفات و ينفي العلو و أحيانًا يثبت العلو و لكن يرى إن العلو صفة حبرية و ليست بعقلية. و تقدم البحث في هذه الصفة. أن صفة العلو صفة ثابتة بالعقل بالأدلة العقلية و الأدلة النقلية و الفطرية و الإجماع. فأبوا يعلى بعد أن تأثر بعلماء الكلام اضطرب اضطرابًا خطيرًا جدًا. أحيانًا ينفي الصفات إلا الصفات العقلية على طريقة الأشاعرة و أحيانًا يثبتها كلها إلا العلو. و أحيانًا يثبت العلو و يرى إن العلو صفة عقلية أو صفة نقلية حبرية سمعية و العقل لا يثبت ذلك. هكذا اضطرب. فلو أثبتنا على هذا القول لو أثبتنا علوه للزم أن يكون جسمًا و حينئذ فالأجسام متماثلة فيلزم التشبيه. و لعنا سبق أن تكلمنا كون الأجسام متماثلة و هذا باطل. هذه القاعدة باطلة و الأجسام ليست متماثلة. حتى أجسام المخلوقات غير متماثلة. هل الفيل مثل الغنم؟ و هل الغنم مثل الأرنب؟ و هكذا. و هل هو مثل بني آدم؟ الأجسام متفاوتة و كون الأجسام متماثلة قاعدة باطلة غير مقبولة.

يقول الشيخ فلهذا تجد هؤلاء يسمون من أثبت العلو و نحوه كالحجى و النزول أي من

الأفعال الإختيارية. وَ صِفَةُ الْعُلُوِّ مُشَبَّهًا. وَ لَا يُسَمَّوْنَ مَنْ أَثَبَّتَ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْكَلَامَ وَ نَحْوَهُ مُشَبَّهًا كَمَا يَقُولُهُ صَاحِبُ الْإِرْشَادِ الَّذِي هُوَ الْجَوْنِي وَ أَمْثَالُهُ كَالْبَاقِلَانِي. وَالْأَشْعَرِي فِي مَذْهَبِهِمُ الْوَسْطُ فِي مَذْهَبِهِمْ أَوْ فِي الطَّوْرِ الثَّانِي. فَلِهَذَا تَجِدُ هَؤُلَاءِ يُسَمَّوْنَ مَنْ أَثَبَّتَ الْعُلُوَّ وَ نَحْوَهُ كَالِاسْتِوَاءِ مُشَبَّهًا. وَ لَا يُسَمَّوْنَ مَنْ أَثَبَّتَ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْكَلَامَ وَ نَحْوَهُ مُشَبَّهًا. الْأَشَاعِرَةُ الَّذِينَ يُسَمَّوْنَ أَتْبَاعَ السَّلَفِ بِأَنَّهُمْ مُشَبَّهُونَ وَ مُثَلَّوْنَ لِإِتْبَاعِهِمْ جَمِيعَ الصِّفَاتِ. يُثَبِّتُونَ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْحَيَاةَ وَ الْكَلَامَ وَ الْعِلْمَ وَ لَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى التَّشْبِيهِ. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَا أَثَبَّتُمْ وَ بَيْنَ مَا نَفَيْتُمْ؟ قَالُوا الَّذِي أَثَبَّتْنَاهُ أَثَبَّتْنَاهُ بِالْعَقْلِ. وَ الصِّفَاتُ الَّتِي يُمَكِّنُ إِثْبَاتُهَا بِالْعَقْلِ لَا تُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ وَ التَّحْسِيمِ. وَ لَكِنَّ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ وَ التَّحْسِيمِ وَ التَّمْثِيلِ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَى إِثْبَاتِهَا إِلَّا الْخَبَرُ وَ إِلَّا النَّقْلُ وَ إِلَّا السَّمْعُ. وَ هَذَا تَصَرَّفَ وَ تَلَاعَبَ بِكِتَابِ اللَّهِ -تعالى- وَ تَفْرِيقُ بَيْنَ مَا جَمَعَ اللَّهُ. الصِّفَاتُ الَّتِي أَطْلَقُوا عَلَى مُشَبَّهَاتِهَا بِأَنَّهُمْ مُحْسَمَةٌ وَ مُثَلَّةٌ كَاثِبَاتِ الْوَجْهِ وَ إِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ وَ إِثْبَاتِ الْقَدَمِ وَ إِثْبَاتِ الْأَصَابِعِ وَ إِثْبَاتِ الْعُلُوِّ وَ النَّزُولِ. هَذِهِ الصِّفَاتُ جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ وَ السَّنَةِ كَمَا جَاءَ السَّمْعُ وَ الْبَصَرُ وَ الْعِلْمُ وَ الْكَلَامُ فِي الْكِتَابِ وَ السَّنَةِ. إِذَا حَتَّى مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَقْلِيَّةِ هَذَا إِضْطِرَابٌ وَ تَنَاقُضٌ لِأَنَّ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمُثَلِّينَ غَيْرُ جَائِزٍ عَقْلًا. مَا ثَبَتَ لِأَحَدِ الْمُثَلِّينَ ثَبَتَ لِلْآخَرِ. طَالَمَا وَرَدَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِي الْكِتَابِ وَ السَّنَةِ. إِمَّا أَنْ تُنْفَى كُلُّهَا أَوْ أَنْ تُثَبَّتَ كُلُّهَا. وَ كَذَلِكَ يُوَافِقُهُمْ عَلَى الْقَوْلِ بِتَمَائُلِ الْأَجْسَامِ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَ أَمْثَالُهُ كَابِنِ عَقِيلٍ مِنْ بَعْضِ شُيُوخِ الْحَنَابِلَةِ الَّذِينَ تَأَثَّرُوا وَ هُمْ قَلِيلُونَ جَدًّا. بَيْنَمَا أَتْبَاعُ الْأَئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ. كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَأَثَّرُوا بِعِلْمِ الْكَلَامِ فَصَارُوا إِمَّا مُعْتَزِلَةً أَوْ أَشَاعِرَةً أَوْ مَاتُرِيدِيَّةً. وَ أَمَّا أَتْبَاعُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِيهِمْ قَلِيلٌ جَدًّا يُعَدُّونَ عَلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ الَّذِينَ تَأَثَّرُوا بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ أَوْ بِهَذِهِ الْإِصْطِلَاحَاتِ مِنْهُمْ أَبُو يَعْلَى هَذَا وَ ابْنُ عَقِيلٍ. وَ كَذَلِكَ مَنْ يُوَافِقُهُمْ عَلَى الْقَوْلِ بِتَمَائُلِ الْأَجْسَامِ قَدْ يُوَافِقُهُمْ عَلَى الْقَوْلِ بِتَمَائُلِ الْأَجْسَامِ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَ أَمْثَالُهُ مِنْ مُثَبِّتَةِ الصِّفَاتِ وَ الْعُلُوِّ. يُثَبِّتُونَ الصِّفَاتَ وَ الْعُلُوَّ وَ يَعْتَبِرُونَ الْعُلُوَّ صِفَةً خَبَرِيَّةً وَ لَكِنْ يُوَافِقُونَ عُلَمَاءَ الْكَلَامِ فِي تَمَائُلِ الْأَجْسَامِ. وَ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ يَجْعَلُونَ الْعُلُوَّ صِفَةً خَبَرِيَّةً. صِفَةً خَبَرِيَّةً مَخْضَةً , وَ إِذَا جَعَلُوا صِفَةً خَبَرِيَّةً يُؤَدِّي

هذا. إثبات هذه الصفة إلى التجسيم و الأجسام مُثَمَاتِلَة. وَ لَوْ جَعَلُوهَا صِفَةً عَقْلِيَّةً مَا نَفَوْهَا. لَعَلَّ جَعْلَهُمْ. اعْتَبَارَهُمْ أَنَّهَا صِفَةٌ خَبَرِيَّةٌ تَمْهِيدٌ لِنَفْيِ هَذِهِ الصِّفَةِ. لِأَنَّ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ هِيَ الَّتِي يَجِبُ نَفْيُهَا أَوْ تَأْوِيلُهَا عِنْدَهُمْ. وَ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةَ يَجِبُ إِثْبَاتُهَا. لَعَلَّ هَذَا الْبَحْثُ تَقْدِمٌ غَيْرُ مَرَّةٍ وَ بَحْثُنَا الْفَرْقَ بَيْنَ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا أَحْيَانًا سَمْعِيَّةٌ وَ أَحْيَانًا نَقْلِيَّةٌ. نُعِيدُ مَرَّةً أُخْرَى. إِذَا قِيلَ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُرَادُ الصِّفَاتِ الَّتِي تُثْبِتُ بِالْأَدْلَةِ النَّقْلِيَّةِ وَ الْعَقْلِيَّةِ مَعًا أَيُّ بِحَيْثُ لَوْ لَمْ تَرِدِ النَّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ أَدْرَكَ الْعَقْلُ إِثْبَاتَهَا. هَذِهِ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ. وَ لَيْسَ مَعْنَى كَوْنِهَا عَقْلِيَّةً أَنَّهَا قَدْ تُوْجَدُ صِفَاتٌ عَقْلِيَّةٌ مُحَضَّةٌ وَ لَمْ يَرِدِ النَّصُّ بِإثباتها. لَا وَجُودَ لِهَذَا الصَّنِفِ مِنَ الصِّفَاتِ بَلْ الصِّفَاتِ إِمَّا ثَابِتَةٌ بِالْأَدْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ السَّمْعِيَّةِ النَّقْلِيَّةِ وَ تُسَمَّى خَبَرِيَّةً مُحَضَّةً. أَيُّ لَوْ لَمْ يَرِدِ النَّصُّ لَا يَجْزُوْهُ إِنْسَانٌ مَا أَوْ مَخْلُوقٌ مَا عَلَى إِثْبَاتِهَا. لَوْ يَرِدُ خَبَرُ اللَّهِ¹ مِنْ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَوَّرَ أَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ. لَوْ لَمْ يَرِدِ النَّصُّ بِأَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ مَا تَجَرَّأَ أَحَدٌ عَلَى إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ. كَذَلِكَ الْمَجِيئُ. كَذَلِكَ الْوُجْهُ وَكَذَلِكَ الْيَدَيْنِ. جَمِيعُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ. أَمَّا إِثْبَاتُ الْقُدْرَةِ مَثَلًا وَ إِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ وَ إِثْبَاتُ الْعِلْمِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي تُسَمَّى الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ لَوْ لَمْ يَرِدِ النَّصُّ - لَوْ فَرَضْنَا لَمْ يَرِدِ نَصٌّ يُثْبِتُ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّهُ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ وَ أَنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لَوْ لَمْ يَرِدِ النَّصُّ أَدْرَكَ الْعَقْلُ إِثْبَاتَ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَذَا تُسَمَّى الْعَقْلِيَّةَ تَغْلِيْبًا لِجَانِبِ الْعَقْلِ لِأَنَّ الَّذِينَ سَمَوْهَا عَقْلِيَّةً هُمْ أَهْلُ الْكَلَامِ. غَلَّبُوا جَانِبَ الْعَقْلِ فَقَالُوا فِيهَا عَقْلِيَّةٌ وَ هِيَ عَقْلِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ مَعًا. هَكَذَا يَجِبُ أَنْ تُفْهَمَ إِذْ لَا تُوْجَدُ صِفَاتٌ عَقْلِيَّةٌ مُحَضَّةٌ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - وَ لَكِنْ هَؤُلَاءِ أَبُو يَعْلَى وَ أَمْثَالُهُ قَدْ يَجْعَلُونَ الْعُلُوَّ صِفَةً خَبَرِيَّةً كَمَا قُلْنَا تَمْهِيدًا لِنَفْيِهَا أَوْ تَأْوِيلِهَا كَمَا هُوَ أَوَّلُ قَوْلِي الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى. إِذَا أَبُو يَعْلَى لَهُ قَوْلَانُ. نَرْجُوا أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ الْأَخِيرُ هُوَ الَّذِي وَافَقَ فِيهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ. إِمَّا نَفْيُهَا أَوْ إِثْبَاتُهَا وَ اعْتِبَارُهَا أَنَّهَا خَبَرِيَّةٌ. فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِيهِ أَيُّ فِي "الْعُلُو" كَالْكَلَامِ فِي الْوُجْهِ وَ الْيَدَيْنِ

¹ الصَّوَابُ : "لَوْ لَمْ يَرِدْ خَبَرُ اللَّهِ....".

مِنَ الصِّفَاتِ الدَّائِيَةِ الْخَبَرِيَّةِ نُلَاحِظُ هُنَا الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسَمَيْنِ: صِفَاتُ خَبَرِيَّةٍ
فِعْلِيَّةٍ كَالنَّزُولِ وَ الْمَجِيئِ وَ الْإِسْتَوَاءِ صِفَاتُ خَبَرِيَّةٍ وَ لَكِنَّهَا فِعْلِيَّةٌ، مِنْ أَفْعَالِ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ
وَ تَعَالَى - الَّتِي سَمَّاها الشَّيْخُ "الأَفْعَالُ الْإِخْتِيَارِيَّةُ". وَ هُنَاكَ صِفَاتُ خَبَرِيَّةٍ دَائِيَّةٍ. إِنْبَاتُ الْوَجْهِ
لِلَّهِ - تَعَالَى - وَ إِنْبَاتُ الْيَدَيْنِ وَ إِنْبَاتُ الْقَدَمِ وَ إِنْبَاتُ الْأَصَابِعِ صِفَاتُ خَبَرِيَّةٍ دَائِيَّةٍ مُحَضَّةٌ.
لِذَلِكَ قَالَ فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي الْوَجْهِ وَ قَدْ يَقُولُونَ إِنَّ مَا يُثْبِتُونَهُ لَا يُنَافِي الْجِسْمَ.
إِنَّ مَا يُثْبِتُونَهُ لَا يُنَافِي الْجِسْمَ كَمَا يَقُولُونَهُ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ. وَ الْعَاقِلُ إِذَا تَأَمَّلَ وَجَدَ الْأَمْرَ
فِي مَا نَفَوْهُ كَالْأَمْرِ فِي مَا أَثْبَتُوهُ لَا فَرْقَ. إِذْ كُلُّهَا وَارِدَةٌ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ
يُؤَافِقُ عَلَى إِبْتَاهَا. إِذَا مَا هِيَ الشَّبْهَةُ الَّتِي جَعَلْتَهُمْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ
الْعَقْلِيَّةِ. كَوْنُ الْعَقْلِ لَا يُدْرِكُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَ قَدْ قَرَّرُوا فِي قَوَاعِدِهِمْ أَنَّ الْعَقْلَ هُوَ الْعُمْدَةُ فِي
هَذَا الْبَابِ وَ أَنَّ الْأَدِلَّةَ التَّقْلِيَّةَ ظَنِّيَّةٌ لَا تُقْبَلُ إِلَّا إِذَا وَافَقَتْ الْعَقْلَ. إِذَا الْقَاعِدَةُ الَّتِي قَعَّدَهَا
الْمُعْتَرِزُ وَ وَافَقَ عَلَى بَعْضِهَا الْأَشَاعِرَةَ. هَذِهِ الْقَاعِدَةُ هِيَ الَّتِي ضَيَعْتَهُمْ. وَ هِيَ الْعُمْدَةُ فِي هَذَا
الْبَابِ: الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ لَا الدَّلِيلُ التَّقْلِي. لِأَنَّ الدَّلِيلَ التَّقْلِيَّ عُزُضَةٌ لِلنَّسْخِ وَ التَّحْصِصِ وَ
التَّقْيِيدِ. يَكُونُ مَنْسُوخًا وَ يَكُونُ مُقَيَّدًا فَأَمَّا الْعَقْلُ "الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ" لَا نَسْخَ فِيهِ. مَا أَشْبَهَ
اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ. سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْعِلْمِ: نُوقِشَ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الصَّلَاةِ
وَرَدَتْ فِيهَا النَّصُوصُ. سُئِلَ هَذَا الشَّيْخُ: هَلْ تَرَى الْعَمَلَ بِالْحَدِيثِ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ "صِفَةُ مِنْ
صِفَاتِ صَلَاةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ" ؟ قَالَ: الْحَدِيثُ وَرَدَ وَ لَكِنَّ الرِّجَالَ. بَعْضُ الرِّجَالِ
خَالَتُوا فُلَانًا وَ فُلَانًا وَ فُلَانًا وَ عَدَّدَ. فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ تُعَارِضُ الْحَدِيثَ بِأَقْوَالِ الرِّجَالِ؟ قَالَ:
إِنَّ الرِّجَالَ أَقْوَى مِنَ الْحَدِيثِ. مَا السَّبَبُ؟ لِأَنَّ الْحَدِيثَ قَدْ يُنْسَخُ وَ الرِّجَالُ لَا يُنْسَخُونَ. إِذَا
كُنَّا نَحْكِي هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَ مَنْ يَقُولُ هَذِهِ الْقَوْلَةَ الْأَخِيرَةَ مَوْجُودُ الْآنَ بَيْنَنَا. فِي هَذَا
الْوَقْتُ بَلْ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الرِّجَالَ أَقْوَى مِنَ الْحَدِيثِ. لِأَنَّ الْحَدِيثَ قَدْ يُنْسَخُ وَ
الرِّجَالُ لَا يُنْسَخُونَ. وَ فَاتَ هَذَا الْمَسْكِينُ بَأَنَّ الرِّجَالَ لَا يُقَالُ لَهُمْ إِنَّهُمْ رِجَالٌ إِلَّا إِذَا آمَنُوا
بُنُصُوصِ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ إِلَّا هُمْ لَيَسُوءُوا بِشَيْءٍ وَ لَيَسُوءُوا بِنَاسٍ. النَّاسُ الَّذِينَ يُفْتَدَى بِهِمْ هُمْ
الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ فَتَسْأَلُ اللَّهُ لَنَا وَ لَكُمْ الْعَافِيَةَ. هَذِهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَ مِنْ

الشبهة التي يُدللون بها صِغَارِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِمْ فَيَهْمِسُونَ فِي آذَانِهِمْ مِثْلَ هَذِهِ
الْهَمَسَاتِ الْحَبِثَةِ تَنْفِيرًا لِلنَّاسِ مِنَ السَّنَةِ وَ تَضْيِيعًا لِلسَّنَةِ وَ دَعْوَةً إِلَى التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى .
يَقُولُ الشَّيْخُ مَرَّةً أُخْرَى: وَ أَصْلُ كَلَامِ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ إِبْثَاتِ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ
التَّشْبِيهَ , نَعَمْ .

القارئ: قَالَ رَحْمَةُ -الله- تَعَالَى - (وأصل كلام هؤلاء كلهم على أن إثبات الصفات
يستلزم التجسيم، والأجسام متماثلة. والمثبتون يجيبون عن هذا تارة بمنع المقدمة الأولى، وتارة
بمنع المقدمة الثانية، وتارة بمنع كلتا المقدمتين، وتارة بالاستفصال , ولا ريب أن قولهم بتمائل
الأجسام قول باطل، سواء فسروا الجسم بما يشار إليه، أو بالقائم بنفسه، أو بالموجود، أو
بالمركب من الهولي والصورة، ونحو ذلك. فأما إذا فسروه بالمركب من الجواهر المفردة على أنها
متماثلة، فهذا يُبنى على صحة ذلك , وَ عَلَى إِبْثَاتِ الجواهر المفردة وعلى أنها متماثلة.
وجهور العقلاء يخالفونهم في ذلك.)

الشَّيْخُ: بَسْ , قَالَ الشَّيْخُ رَحْمَةُ -الله- تَعَالَى - وَأَصْلُ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَزِلَةُ وَ مَنْ نَحَى
نَحْوَهُمْ. وَأَصْلُ كَلَامِ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ إِبْثَاتِ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ. وَ لَكِنْ إِبْثَاتُ
الْأَسْمَاءِ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ. أَنْظَرُوا إِلَى هَذَا التَّنَاقُضِ. يَعْنِي مَنْ قَالَ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
سَمِعَ بَصِيرٌ لَا يَسْتَلْزِمُهُ التَّشْبِيهُ. وَ مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ سَمِعًا وَ بَصَرًا وَ بِقُدْرَةٍ وَ إِرَادَةٍ هَذَا مُجَسِّمٌ. مَا
الْفَرْقُ بَيْنَ إِبْثَاتِ الصِّفَةِ وَ إِبْثَاتِ الْإِسْمِ؟! الصِّفَاتُ مِنْ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ. عَلِيمٌ يَدُلُّ عَلَى
الْعِلْمِ. سَمِعَ يَدُلُّ عَلَى السَّمْعِ. بَصِيرٌ يَدُلُّ عَلَى الْبَصَرِ. التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَ بَيْنَ الصِّفَاتِ
تَفْرِيقٌ بَيْنَ الدَّالِّ وَ الْمَدْبُولِ. لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ تَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ الصِّفَاتُ. وَ الْأَجْسَامُ
مُتَمَاثِلَةٌ , وَ الْمُثَبِّتُونَ. الْمُثَبِّتُونَ لِلصِّفَاتِ كُلِّهَا مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَ الْجَمَاعَةِ أَوْ الْمُثَبِّتُونَ لِبَعْضِ
الصِّفَاتِ كَالْأَشَاعِرَةِ يُجِيبُونَ عَنْ هَذَا وَ إِنَّ كَانَ إِجَابَةُ الْأَشَاعِرَةِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ. تَارَةً بِمَنْعِ
الْمَقْدَمَةِ الْأُولَى. مَا هِيَ الْمَقْدَمَةُ الْأُولَى: إِبْثَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ. يَمْنَعُونَ هَذَا - هَذِهِ

المقدمة لأنها باطلة أو و تارة بمنع المقدمة الثانية. إن الصفات. إثبات الصفات يستلزم التشبيه المقدمة الأولى. و الأجسام متماثلة المقدمة الثانية. و تارة بمنع كلتا المقدمتين. هذا هو الصحيح. هذا هو الذي يقطع الخصم. تمنع المقدمة الأولى و الثانية لأنك لو سلمت الأولى قد يلزمك جدلاً المقدمة الثانية. و تارة بمنع كلتا المقدمتين هذا هو الصحيح. و تارة بالإستفصال. و الإستفصال يأتي في الفقرة الثانية.

يقول الشيخ و لا ريب أن قوهم بتماثل الأجسام قول باطل و مخالف للواقع سواء فسروا الجسم بما يُشار إليه. إن فسروا الجسم بما يُشار إليه يشمل هذا حتى الذات الإلهية لأن الله - سبحانه و تعالى - يُشار إليه عند أهل السنة و الجماعة. و إن منعت الأشاعرة , أو "بالقائم بنفسه" يصل هذا كذلك. يُطلق على الله لأن الله - سبحانه و تعالى - قائم بنفسه أي غني عن سواه. معنى "القائم بنفسه" في وجوده هو الغني عن سواه. الذي لا يحتاج وجوده إلى وجود شيء آخر كالصفات. الصفات ليست قائمة بنفسها و لكنها قائمة بغيرها. أو بالوجود أو فسروا الجسم بالوجود. فيصح إطلاقه بهذا المعنى - سبحانه و تعالى - فهو واجب الوجود. و لكن كما قلنا يكره السلف استعمال هذا اللفظ مطلقاً. لهذا الإجمال و لعدم الوجود أو المركب من الهوى و الصورة أي من الأصل و الصورة. الهوى ليست لفظه عربية هي في الأصل يونانية لكن بمعنى الأصل. المركب من الأصل و الصورة و نحو ذلك. فأما إذا فسروه بالمركب من الجواهر المفردة على أنها متماثلة فهذا يُبنى على صحة ذلك. على وجود الجواهر المفردة. و على أنها متماثلة و على إثبات الجواهر المفردة نفسها و على أنها متماثلة و جمهور العقلاء يُخالفونهم في ذلك. فنسأل الله لنا و لكم الثبات و يُبقينا في عقديتنا , نكتفي بهذا المقدار .

الدرس رقم : 31

القارئ: "صوت القارئ محذوف من الشريط رقم 31" و حسب سياق كلام الشيخ محمد أمان الجامي أنه كان يشرح من الرسالة التدمرية ما يلي (والمقصود أنهم يطلقون التشبيه على ما يعتقدونه تجسيمًا بناء على تماثل الأجسام، والمثبتون ينازعونهم في اعتقادهم، كإطلاق الرافضة «لنصب» على من تولى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، بناء على أن من أحبهما فقد أبغض عليا رضي الله عنه، ومن أبغضه فهو ناصبي؛ وأهل السنة ينازعونهم في المقدمة الأولى، ولهذا يقول هؤلاء: إن الشيعين لا يشبهان من وجه ويختلفان من وجه. وأكثر العقلاء على خلاف ذلك، وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع، وبيننا فيه حجج من يقول بتماثل الأجسام وحجج من نفى ذلك، وبيننا فساد قول من يقول بتماثلها، وأيضًا، فالاعتماد بهذا الطريق على نفي التشبيه اعتماد باطل، وذلك أنه إذا أثبت تماثل الأجسام فهم لا ينفون ذلك إلا بالحجة التي ينفون بها الجسم، وإذا ثبت أن هذا يستلزم الجسم، وثبت امتناع الجسم، كان هذا وحده كافيًا في نفي ذلك، لا يحتاج نفي ذلك إلى نفي مسمى «التشبيه»، لكن نفي الجسم يكون مبنياً على نفي هذا التشبيه، بأن يقال: لو ثبت له كذا وكذا لكان جسمًا، ثم يقال: والأجسام متماثلة، فيجب اشتراكها فيما يجب ويجوز ويمتنع، وهذا ممتنع عليه. لكن حينئذ يكون من سلك هذا المسلك معتمدًا في نفي التشبيه على نفي التجسيم، فيكون أصل نفيه نفي الجسم، وهذا مسلك آخر سنتكلم عليه إن شاء الله تعالى).

الشيخ: الحمد لله رب العالمين و صلاة الله و سلامه و رحمته و بركاته على هذا النبي الكريم و الرسول الأمين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين و بعد ، لا يزال الشيخ يواصل الإجابة على شبهة النفاة. تلك الشبهة العظيمة التي أوردوها بأن قالوا أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم و الأجسام متماثلة. هذه الشبهة هي التي يحاول الشيخ الإجابة

عَلَيْهَا بِأَسَالِيبٍ مُخْتَلِفَةٍ. وَ قَدْ أَجَابَ عَلَيْهَا فِي مَا تَقَدَّمَ بِمَنْعِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ. الْمُقَدِّمَةُ الْأُولَى أَنَّ
إثبات الصفات يستلزم التجسيم و هذه المقدمة باطلة. المقدمة الثانية: و الأجسام متماثلة.
و هذه أيضاً باطلة. سواءً فسرنا الجسم بالموجود أو بما يُشار إليه أو بما يقوم بنفسه و
الأجساد و الأجسام لا تتماثل. كُلُّ جِسْمٍ يُخَالِفُ الْجِسْمَ الْآخَرَ وَ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ وَ هُوَ
المعقول. إِذَا كَانَتِ الْمُقَدِّمَةُ الْأُولَى بَاطِلَةً: إثبات الصفات يستلزم التجسيم. و هذا على
زعمهم و إلاّ إثبات الصفات. إِذَا عَيْنِنَا بِالصِّفَاتِ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ "صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى" لَا
يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ أَوْ بَعْبَارَةٍ أَذَقَ إِنَّ اسْتِعْمَالَ الْجِسْمِ هُنَا مُتَمَنِّعٌ فِي حَقِّ -اللَّهِ تَعَالَى- لَا نَفْيًا وَ
لَا إِثْبَاتًا. إِذَا قَرَرْنَا هَذِهِ الْقَاعِدَةَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ. اسْتِعْمَالَ الْجِسْمِ مُتَمَنِّعٌ لَا يُقَالُ إِنَّ
إثبات الصفات يستلزم التجسيم لأننا لا نُطْلِقُ التَّجْسِيمَ فِي حَقِّ -اللَّهِ تَعَالَى- لَا نَفْيًا وَ لَا
إِثْبَاتًا. وَ عَلَى فَرَضِ أَنَّ جَدَلًا سَلَّمْنَا اسْتِعْمَالَ الْجِسْمِ مُرَادًا بِهِ الدَّاتِ الْقَائِمَةُ بِنَفْسِهَا وَ
مُرَادًا بِهَا الْمَوْجُودُ وَ مُرَادًا بِهَا أَيْ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ غَنِيٌّ عَنِ غَيْرِهِ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ إِذَا
سَلَّمْنَا اسْتِعْمَالَ الْجِسْمِ بَعْدَ الْإِسْتِنْفَاسِ. نَنْتَقِلُ إِلَى الْمُقَدِّمَةِ الثَّانِيَةِ: كَوْنُ الْأَجْسَامِ مُتَمَثِّلَةً وَ
هَذَا بَاطِلٌ قَطْعًا لِأَنَّهُ خِلَافُ الْوَاقِعِ. حَتَّى الْأَجْسَامُ الْمَخْلُوقَةُ غَيْرُ مُتَمَثِّلَةٍ. جِسْمُ الْفِيلِ غَيْرُ
جِسْمِ النَّمْلِ وَ جِسْمُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ جِسْمِ الْحَمَلِ وَ هَكَذَا سَائِرُ الْأَجْسَامِ. إِذَا الْأَجْسَامُ غَيْرُ
مُتَمَثِّلَةٍ. فَالْقَاعِدَةُ بَاطِلَةٌ. إِذَا بَطَلَتِ الْأُولَى وَ بَطَلَتِ الثَّانِيَةُ النَّاتِجَةُ أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ لَا
يُؤَدِّي إِلَى التَّجْسِيمِ وَ لَا إِلَى التَّشْبِيهِ. هَكَذَا نَاقَشَ الشَّيْخُ فِي الْفَقْرَةِ الْأُولَى ثُمَّ قَالَ وَ الْمَقْصُودُ
أَنَّهُمْ يَطْلُقُونَ التَّشْبِيهِ عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَهُ تَجْسِيمًا بِنَاءً عَلَى تَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ. يُطْلِقُونَ التَّشْبِيهِ
عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَهُ تَجْسِيمًا أَيْ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ. أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ بِنَاءً
عَلَى تَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ فِي زَعْمِهِمْ. فَالْمُشْتَبَهَ يُنَازَعُونَهُمْ فِي اعْتِقَادِهِمْ. هَذَا الْإِعْتِقَادُ بَاطِلٌ.
إِعْتِقَادُ أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يُؤَدِّي إِلَى التَّجْسِيمِ وَ أَنَّ التَّجْسِيمَ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ. يُنَازَعُونَهُمْ
فِي هَذَا. أَرَادَ الشَّيْخُ أَنْ يُقَرِّبَ بِالْمِثَالِ وَ مُنَازَعَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ لِأَهْلِ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَوْ
فِي هَذِهِ الشُّبْهَةِ كَمُنَازَعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ لِلرَّافِضِ. الرَّافِضِيُّ عِنْدَهُ النَّصَبُ. إِطْلَاقُ النَّصَبِ عَلَى
مَنْ تَوَلَّى أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ. عِنْدَ الرَّافِضِيِّ مَنْ تَوَلَّى أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ فَهُوَ نَاصِبِيٌّ أَيْ نَصَبَ

العِدَاءُ لآلِ الْبَيْتِ. نَصَبَ الْعِدَاءُ لِعَلِيٍّ وَ آلِ الْبَيْتِ. مَتَى يَتَخَلَّصُ مِنَ النَّصَبِ؟ إِذَا لَمْ يُحِبَّ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرُ. أَيُّ لَابُدَّ مِنَ الْبَرَاءَةِ وَ الْوَلَاءِ عِنْدَهُمْ. لَا بُدَّ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشَّيْخَيْنِ لِيُبَيَّنَ الْوَلَاءُ لِعَلِيٍّ وَ آلِ الْبَيْتِ. وَ أَهْلُ السَّنَةِ يُنَازِعُونَ فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْبَاطِلَةِ. إِذْ لَا تَرَابُطَ بَيْنَ وَلَاءِ عَلِيٍّ وَ بُغْضِ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ. بَلِ الْوَاجِبُ مَحَبَّةُ الْجَمِيعِ. أَهْلُ السَّنَةِ وَ الْجَمَاعَةُ صُدُورُهُمْ تَسَعٌ لِمَحَبَّةِ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ سَوَاءً كَانُوا مِنْ آلِ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ وَ الْقَاعِدَةُ الَّتِي تَقُولُ لَا وَلَاءَ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ. قَاعِدَةٌ بَاطِلَةٌ أَيُّ لَا وَلَاءَ لآلِ الْبَيْتِ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الشَّيْخَيْنِ وَ غَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ. قَاعِدَةٌ بَاطِلَةٌ لَا يُسَلِّمُهَا أَهْلُ السَّنَةِ وَ هِيَ خِلَافُ مَا عَلَيْهِ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ غَيْرِ الرَّوَافِضِ. بِنَاءً عَلَى أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا وَ الْقَاعِدَةُ الْأُولَى بَاطِلَةٌ. وَ مَنْ أَبْغَضَهُ فَهُوَ نَاصِيٌّ. وَ الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ بَاطِلَةٌ تَبَعًا لِلْقَاعِدَةِ الْأُولَى. الْمُقَدِّمَةُ الْأُولَى: مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا مُقَدِّمَةً بَاطِلَةً. فَخِلَافُ الْوَاقِعِ. خِلَافُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السَّنَةِ وَ الْجَمَاعَةُ. فَإِذَا بَطَلَتِ الْمُقَدِّمَةُ الْأُولَى. الْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ بَابِ أُولَى بَاطِلَةٌ. وَ مَنْ أَبْغَضَهُ فَهُوَ نَاصِيٌّ أَيُّ مَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَهُوَ نَاصِيٌّ. لَيْسَ هُنَاكَ فِي أَهْلِ السَّنَةِ وَ الْجَمَاعَةِ أَوْ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ نَاصِيٌّ عَلَى هَذَا التَّعْرِيفِ. إِذْ لَا يُوجَدُ فِي أَهْلِ السَّنَةِ وَ الْجَمَاعَةِ مَنْ يُبْغِضُ عَلِيًّا وَ أَوْلَادَهُ وَ جَمِيعَ آلِ الْبَيْتِ بَلْ يَرَوْنَ أَنَّ مَحَبَّتَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ. مَحَبَّةُ آلِ الْبَيْتِ وَ مَحَبَّةُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْإِيمَانِ لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. فَمَنْ أَحَبَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ يَلْزِمُهُ أَنْ يُحِبَّ أَصْحَابَهُ لِأَنَّهُمْ تُحِبُّهُ إِحْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَتِهِ. مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ آلِ الْبَيْتِ يُحِبُّ لِأَمْرَيْنِ إِنْتَيْنِ: الْأَمْرُ الْأَوَّلُ الصُّحْبَةُ. وَ الْأَمْرُ الثَّانِي كَوْنُهُ مِنْ آلِ الْبَيْتِ. وَ مَنْ لَا: يُحِبُّ لِكَوْنِهِ صَحَابِيًّا , ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ أَجْمَعُوا عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ آلِ الْبَيْتِ وَ أَنَّهُ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الْأَطْلَاقِ. ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عَلِيٌّ. ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ. وَ الْإِخْتِلَافُ جَارٍ بَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَ عَلِيٍّ وَإِنْ كَانَ أَجْمَعُوا عَلَى الْخِلَافَةِ عَلَى التَّرْتِيبِ. أَفْطَنُوا لِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ. أَوْ لِهَذِهِ الْفَائِدَةِ. الْإِجْمَاعُ إِنْ عَقِدَ عَلَى الْآتِي: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ هَذَا مِنْ حَيْثُ الْخِلَافَةُ , وَ مِنْ حَيْثُ الْفَضْلُ إِنْ عَقِدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى تَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ وَ اخْتَلَفُوا فِي مَا بَيْنَ عَلِيٍّ وَ عُثْمَانَ أَيُّهُمَا الْأَفْضَلُ. إِذَا

هناك فرق بين التفضيل و بين الخلافة. من حيث الخلافة: الخلافة على هذا الترتيب الواقع الموجود محل إجماع. و الفضل محل إجماع بالنسبة لأي بكر و عمر أما بالنسبة في ما بين عثمان و علي ليس محل اتفاق حتى بين أهل السنة و هناك خلاف. و على كل إعتبار أنه لا يتم الولاء لعلني إلا ببعض الشيخين. هذه مقدمة باطلة أجمع عليها المسلمون إذا استثنينا الروافض. و لهذا يقول هلاء¹ "نفاة الصفات" الإشارة إلى نفاة الصفات: إن الشيعيين لا يشتبهان من وجه و يختلفان من وجه. و هذه القاعدة باطلة لذلك أكثر العقلاء على خلاف ذلك. ما من شيئين موجودين إلا و بينهما اشتراك و افتراق. شيان موجودان وجوداً خارجياً لأبد أن يكون بينهما اتفاق و اختلاف. الاتفاق في الاسم و في المعنى العام الذهني. سواء كان وجود الخالق أو وجود المخلوق. بين وجود الخالق و بين وجود المخلوق. بين علم الخالق و علم المخلوق و بين قدرة الخالق و قدرة المخلوق اتفاق و اختلاف. اشتراك و اختلاف. يشتركان في الاسم: القدرة مع القدرة. العلم مع العلم. الوجود مع الوجود. هذا اشتراك في الاسم لا ينكره عاقل. ثم يشتركان في المعنى العام. المعنى العام قبل إضافة صفات الله - تعالى - إلى الله. و قبل إضافة صفات المخلوق إلى المخلوق. إذا أطلقنا سماع. هكذا سمع منكّر. هذا السمع لمن؟ ليس لأحد. هذا يسمى "المطلق العام" و هو المعنى الذهني. يحصل الاشتراك بين الخالق و بين المخلوق في هذا المعنى العام و في هذا المطلق الكلي الذهني الذي لا وجود له في خارج الذهن. أزوجوا أن يفهم هذا لأنها قاعدة مهمة جداً و جهلها يؤدي إما إلى التشبيه أو إلى التعطيل. لأبد من فهمها. الاشتراك في الاسم و في المعنى العام الذهني الذي لا وجود له في خارج الذهن أمر ضروري لتصوير هذه المعاني بعد إضافتها. أما في المعاني الخاص. في الخصائص. في خصائص صفات الرب - سبحانه و تعالى - لا اشتراك. صفات الله المختصة به سبحانه التي اختصت به بالإضافة "سمع الله" "بصر الله" "علم الله" "إستواء الله" "بحي الله" سواء كانت الصفات الذاتية كالعلم

¹ هذه الكلمة لم تكن واضحة , و من أراد التأكد فليرجع للشريط .

وَالْقُدْرَةُ وَالْإِزَادَةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ. أَوْ فِعْلِيَّةٌ كَالنَّزُولِ وَالْمَجِيئِ وَالْإِسْتِوَاءِ. هَذِهِ الصِّفَاتُ بَعْدَ إِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَشْرَكَ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَوْ أَنْ يُشَارَكَ اللَّهَ فِي حَقَائِقِ هَذِهِ الصِّفَاتِ. أَيْ أَحَدٌ يُشَارِكُ اللَّهَ فِي الْعِلْمِ الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ الْمُخْتَصُّ بِهِ وَفِي السَّمْعِ الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ الْمُخْتَصُّ بِهِ. السَّمْعُ الَّذِي يُحِيطُ بِجَمِيعِ الْمَسْمُوعَاتِ. السَّمْعُ الْقَدِيمُ قَدَمَ الذَّاتِ. السَّمْعُ الَّذِي لَا يَزُولُ. لَا أَحَدٌ يُشَارِكُ اللَّهَ فِي خَصَائِصِ هَذِهِ الصِّفَاتِ. هَكَذَا فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ. كَذَلِكَ يُنَزَّهُ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يُشَارَكَ الْمَخْلُوقُ فِي خَصَائِصِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ. عِلْمُ زَيْدٍ قُدْرَةُ زَيْدٍ وَ سَمْعُ زَيْدٍ إِلَى آخِرِهِ. هَذِهِ الصِّفَاتُ حَقِيقِيَّةٌ لَكِنْ هَلْ سَمِعَ زَيْدٌ قَدِيمٌ قَدَمَ سَمْعِ اللَّهِ؟ لَا ، هَلْ سَمِعَ زَيْدٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَسْمُوعَاتِ؟ لَا ، سَمِعَ زَيْدٌ حَدِثٌ كَحَدُوثِهِ هُوَ. ثُمَّ إِنَّهُ غَيْرُ مُحِيطٍ بِجَمِيعِ الْمَسْمُوعَاتِ ثُمَّ إِنَّهُ زَائِلٌ. إِذَا قَالَ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُنَزَّهُ أَنْ يُشَارَكَ عَبْدُهُ فِي خَصَائِصِ صِفَاتِهِ. هَكَذَا هَذَا مَعْنَى الْإِشْتِرَاقِ مِنْ وَجْهِهِ وَ الْإِشْتِرَاقِ مِنْ وَجْهِهِ .

يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَبَيَّنَّا فِيهِ حُجَجَ مَنْ يَقُولُ بِتَمَاطُلِ الْأَجْسَامِ وَحُجَجَ مَنْ نَفَى ذَلِكَ، وَبَيَّنَّا فُسَادَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ بِتَمَاطُلِهَا. تَسْمِيَةُ الشَّيْخِ شُبَهَهُمْ بِالْحُجَجِ فِيهِ تَسَامُحٌ وَ إِلَّا هِيَ كَمَا قَالَ الْخَطَّابِيُّ "شُبَهَةٌ تَهَافَّتْ كَالزَّجَاجِ تَخَالُفًا حُجَجًا وَ كُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ" ، مَا يَسُوْقُهُ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ لَا تُسَمَّى حُجَجَ. إِنْ أُطْلِقَ عَلَيْهَا حُجَجٌ فَمِنْ بَابِ التَّسَامُحِ. وَ إِلَّا هِيَ شُبَهَةٌ. شُبَهَةٌ تَهَافَّتْ كَالزَّجَاجِ. إِذَا ضَرَبْتَ الزَّجَاجَ بِالزَّجَاجِ الْكُلُّ كَاسِرٌ مَكْسُورٌ. "شُبَهَةٌ تَهَافَّتْ كَالزَّجَاجِ تَخَالُفًا حُجَجًا وَ كُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ" ، بَيَّنَّ الشَّيْخُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ "دَرَّةُ التَّعَارُضِ" وَ سَيَأْتِي أَمَامَنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ أَيْضًا إِبْطَالُ هَذِهِ الشَّبَهَةِ الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا تَسَامُحًا هُنَا أَنَّهَا حُجَجٌ. قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ- وَ أَيْضًا فَالْإِعْتِمَادُ بِهَذَا الطَّرِيقِ أَيْ نَفْيِ الصِّفَاتِ عَلَى نَفْيِ التَّشْبِيهِ اعْتِمَادَ بَاطِلٍ. مَنْ يَنْفِي الصِّفَاتِ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى التَّشْبِيهِ. الْإِعْتِمَادُ فِي النَّفْيِ عَلَى نَفْيِ التَّشْبِيهِ إِعْتِمَادٌ بَاطِلٌ. وَ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ فِي رَعْمِهِمْ. لَا بُدَّ مِنْ هَذَا الْقَيْدِ هُنَا: إِذَا ثَبَتَ فِي رَعْمِهِمْ تَمَاطُلُ الْأَجْسَامِ فَهُمْ لَا يَنْفُونَ ذَلِكَ أَيْ "الصِّفَاتِ" إِلَّا بِالْحُجَّةِ الَّتِي يَنْفُونَ بِهَا الْجِسْمَ ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ هَذَا

يستلزم الجسم "إثبات الصفات" وثبت امتناع الجسم، كان هذا وحده كافياً في نفي ذلك أي "الصفات" لا يحتاج نفي ذلك إلى نفي مسمى «التشبيه» إنما تطويل للطريق. لكم أن تجعلوا العلة في نفي الصفات التجسيم لا التشبيه. لأنكم سوف تصلون إلى التشبيه بالتدرج. و لكن جعل العلة أو الإعتداد على التشبيه في نفي الصفات طريق باطل حتى في قاعدتهم. أزعجوا أن يكون مفهوماً. و الشيخ اليوم يناقش القوم بلغتهم.

ثم قال الشيخ رحمه -الله تعالى- لكن نفي الجسم يكون مبنياً على نفي هذا التشبيه. أراد الشيخ أن يقرب بالمثال فقال: بأن يقال: لو ثبت له. لو ثبت له سمع أو بصر مثلاً لكان جسماً عند من؟

الطالب:

الشيخ: جميع النفاة؟

الطالب: عند المعتزلة .

الشيخ: عند المعتزلة و الجهمية. لو ثبت له كذا وكذا لكان جسماً. الأشعري ماذا يقول؟ لو ثبت له الإستواء و النزول لكان جسماً. هكذا كل يؤزغ. يؤزغ على مذاهبهم. لو ثبت له كذا وكذا كالسمع و البصر مثلاً عند الجهمية و المعتزلة لكان جسماً. و الأشعري لا يسلم هنا. إثبات السمع و البصر لا يجعله جسماً. لأنه يثبت. الأشعري يثبت السمع و البصر على ما يليق بالله -تعالى- موافقاً لأهل السنة في هذه النقطة كما قلنا غير مرة. و إن كان طريق الإثبات يختلف. أهل السنة يثبتون بالكتاب و السنة بالأدلة الثقلية هي العمدة و الأشعري يثبت بالدليل العقلي. الدليل العقلي هو العمدة عنده. لكن النتيجة هي: إثبات الصفات , نحن نتسامح كما يتسامح شيخ الإسلام. ثم يقال: الأجسام متماثلة. المعتزلي و الجهمي يقولوا: الأجسام متماثلة إذا أثبتنا السمع و البصر صار جسماً و الأجسام متماثلة صار كغيره. و أدى ذلك إلى التشبيه و الأشعري يقول: لو أثبتنا. لو قلنا هو الذي ينزل ليس أمره و لا الملك. لو قلنا هو الذي يأتي يوم القيامة لفصل القضاء لا الأمر و لا الملك أدى ذلك إلى التجسيم و الأجسام متماثلة و يؤدي ذلك إلى التشبيه و كل ما يؤدي إلى التشبيه

فَهُوَ مُسْتَحِيلٌ. إِذَا بَحِثْتُهُ مُسْتَحِيلٌ! هَكَذَا يُقَرَّرُ. وَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ بُطْلَانَ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ قَدْ يَنْخَدِعُ بِهَذِهِ التَّرْتِيزَةِ الطَّوِيلَةِ.

فَيَقُولُ الشَّيْخُ وَالْأَجْسَامُ مِثَالَةٌ فَيَجِبُ اشْتِرَاكُهَا. فِي تَقْرِيرِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ يَشْتَرِكُ الْجَمِيعُ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ مَا يَنْفَوْنَهُ يَخْتَلِفُ. فَيَجِبُ اشْتِرَاكُهَا فِيمَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ وَهَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَى اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى-. لَكِنْ حِينَئِذٍ يَكُونُ مِنْ سَلَكِ هَذَا الْمَسْلَكِ. الْمَسْلَكِ الطَّوِيلِ. كَوْنُهُ يَجْعَلُ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ وَ يَتْرُكُ التَّجْسِيمَ فِي الْوَسْطِ. مُعْتَمِدًا فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ عَلَى نَفْيِ التَّجْسِيمِ فَيَكُونُ أَصْلُ نَفْيِهِ نَفْيُ الْجِسْمِ. أَصْلُ نَفْيِهِ أَنْ يَقُولَ: إِثْبَاتُ الصِّفَةِ يُؤَدِّي إِلَى التَّجْسِيمِ وَ التَّجْسِيمُ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ. وَ هَذَا مَسْلَكٌ آخَرُ سَتَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي صَفْحَةِ 132 أَمَامَنَا فِي الْفَصْلِ الْآتِي. ثُمَّ أَنْ نَتْرِكَ هَذَا الْخَطَّ وَ الْخَطُّ لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ الْحَقَّ فِي هَذَا الْبَابِ. أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةُ فِي هَذَا الْبَابِ هُمْ قَوَاعِدُ. قَوَاعِدُ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ. الْقَاعِدَةُ الْأُولَى: تَقْدِيمُ النَّقْلِ عَلَى الْعَقْلِ مَعَ عَدَمِ إِهْدَارِ الْعَقْلِ. لَا يَجْعَلُونَ الْعَقْلَ لَا قِيَمَةً لَهُ وَ لَكِنْ الْعَقْلَ لَهُ حُدُودٌ إِلَّا أَنْ الْأَصْلَ. الْقَاعِدَةُ فِي إِثْبَاتِ مَا يَثْبُتُ لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- النَّقْلُ. مَا هُوَ النَّقْلُ؟ أَدْلُهُ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ وَ تُسَمَّى أَدْلَةً سَمْعِيَّةً وَ تُسَمَّى أَدْلَةً خَبَرِيَّةً. هَذَا الْأَسَاسُ. أَيُّ نَصِيفُ اللَّهِ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ إِذْ لَا يَصِفُ اللَّهُ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ وَ نَصِيفُ اللَّهِ بِمَا وَصَفَ بِهِ رَسُولُهُ الْأَمِينُ إِذْ لَا يَصِفُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَعْلَمُ مِنْ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. إِذَا الْقَاعِدَةُ الْأُولَى تَقْدِيمُ النَّقْلِ.

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَّةُ: رَفْضُ التَّأْوِيلِ. عَدَمُ تَأْوِيلِ النَّصُوصِ. أَيُّ التَّأْوِيلِ؟ التَّأْوِيلُ الَّذِي بِمَعْنَى التَّحْرِيفِ. أَمَّا التَّأْوِيلُ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ هَذَا مَقْبُولٌ وَ مَعْمُولٌ بِهِ. يَسْتَخْدِمُهُ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ. أَمَّا التَّأْوِيلُ الَّذِي بِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي تَوُورُ إِلَيْهَا الْأُمُورُ هَذَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. إِذَا التَّأْوِيلُ إِمَّا بِمَعْنَى التَّحْرِيفِ. هَذَا هُوَ الْمَذْمُومُ الَّذِي يَجِبُ رَفْضُهُ. أَمَّا التَّأْوِيلُ الَّذِي بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ هَذَا مَقْبُولٌ. وَ التَّأْوِيلُ الثَّالِثُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. حَقَائِقُ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ حَقَائِقُ مَوْجُودَاتِهِ: الْجَنَّةُ كَمَا تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ.

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ قَرَرْنَا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ. هُنَاكَ أُسُسٌ. هَذِهِ الْأُسُسُ لَا بُدَّ مِنْ مُلَاحَظَتِهَا. الْأُسُسُ

إثبات ما أثبتته الله لنفسه دون تردّد. إثبات ما أثبتته الله لنفسه. سواء كان الصفة الذاتية كالوجه و اليدين و القدرة و الإرادة و السمع و البصر. أو صفات فعلية كالنزل و المجيء و الإستواء. إثبات ما أثبتته الله - سبحانه و تعالى - لنفسه على ما يليق به. هذا أساس.

الثاني: إثبات ما أثبت له رسوله عليه الصلاة و السلام لأنه أمينة على وحيه. ثم قطع الطمع عن إدراك الحقيقة. إذا أثبت هذه الصفات. إقطع الطمع عن إدراك الحقائق. لأن العقل له حدود. و العقل لا يكشف لك شيئاً معدوماً. العقل عبارة عن النور الكشاف. إذا سلطت الكشاف على - ماذا يظهر لك؟ هل يوجد المعدوم؟! لا , يظهر الموجود. فيكبره. و العقل لا يوجد لك شيئاً معدوماً. و لكن العقل جهاز. آلة. تستخدمه في فهم كلام الله و كلام رسوله عليه الصلاة و السلام. لذلك محاولة إدراك حقائق الصفات و الأسماء كأنك كما يقولون تضرب في الحديد البارد. لذلك يقال: و للعقول حدود لا تجاوزها " و للعقول حدود لا تجاوزها و العجز عن الإدراك إدراك" . العجز عن الإدراك إدراك. من أدرك عجزه عن إدراك حقيقة ذات الرب و حقائق أسمائه و صفاته فهو المدرك و هو المؤمن. يجب أن يقف الإنسان عند هذا الحد (و ما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً) . نعم . و إنما المقصود...

القارئ: قال رحمه الله تعالى - (وإنما المقصود هنا أن مجرد الاعتماد في نفي ما ينفي على مجرد نفي التشبيه لا يفيد، إذ ما من شيئين إلا ويشبهان من وجه ويفترقان من وجه، بخلاف الاعتماد على نفي النقص والعيب، ونحو ذلك مما هو - سبحانه وتعالى - مقدس عنه، فإن هذه طريقة صحيحة , وكذلك إذا أثبت له صفات الكمال، ونفي مماثلة غيره له فيها، فإن هذا نفي المماثلة فيما هو مستحق له، وهذا حقيقة التوحيد، وهو أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه. وكل صفة من صفات الكمال فهو متصف بها على وجه لا يماثله فيه أحد، ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف به نفسه من الصفات، ونفي مماثلته لشيء من المخلوقات.)

الشيخ: قَالَ الشَّيْخُ رَحْمَهُ -الله تعالى- مُبَيِّنًا الطَّرِيقَةَ الصَّحِيحَةَ فِي بَابِ النَّفْيِ. وَ هُوَ نَفْيُ النَّقْصِ وَ نَفْيُ الْمُثَلِّ. بَعْدَ اثْبَاتِ مَا أُثْبِتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ كَمَا قُلْنَا وَ أَمَّا الْمَقْصُودُ هُنَا. أَيْ الطَّرِيقَةُ الصَّحِيحَةُ أَنَّ مُجَرَّدَ الْإِعْتِمَادِ عَلَى نَفْيِ مَا يُنْفَى. عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَا يُفِيدُ. لِأَنَّ النَّاسَ تَتَفَاوَتْ. مَا يَرَاهُ الْجَهْمِيُّ وَ الْمُعْتَزِّلِي تَشْبِيهًا لَا يَرَاهُ الْأَشْعَرِيُّ تَشْبِيهًا. وَ مَا يَرَاهُ الْأَشْعَرِيُّ تَشْبِيهًا لَا يَرَاهُ السُّنِّي تَشْبِيهًا. إِذَا مَا هُوَ الضَّابِطُ؟ إِذَا مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا وَ يَشْتَبِهَانِ مِنْ وَجْهِ وَ يَفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهِ - أَوْضَحْنَا ذَلِكَ بِالْأَمْثَلَةِ قَبْلَ قَلِيلٍ. بِخِلَافِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى نَفْيِ النَّقْصِ وَ الْعَيْبِ. الْوَاجِبُ فِي مَا يُنْفَى عَنِ اللَّهِ الْإِعْتِمَادُ عَلَى نَفْيِ النَّقْصِ وَ الْعَيْبِ. "كُلُّ كَمَالٍ يَتَصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ وَ لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ" هَذِهِ قَاعِدَةٌ , كُلُّ كَمَالٍ يَتَصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ وَ لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ لِأَنَّ مُعْطِي أَوْلَى بِالْكَمَالِ. الَّذِي أُعْطِيَ الْمَخْلُوقُ هَذَا الْكَمَالُ: الْعِلْمُ وَ الْحَيَاةُ وَ السَّمْعُ وَ الْبَصَرُ مَنْ هُوَ؟ اللَّهُ. فَاللَّهُ أَوْلَى بِهَذَا الْكَمَالِ وَإِنَّمَا قُلْنَا وَ لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ. فَقَدْ يُوجَدُ مَا يُعْتَبَرُ كَمَالًا فِي الْمَخْلُوقِ فَهُوَ فِي حَقِّ الْخَالِقِ نَقْصٌ لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ. وَجُودُ الصَّاحِبَةِ وَ الْوَلَدُ وَ الْمَعِينُ وَ الْوَزِيرُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ كَمَالٌ. لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ نَاقِصٌ. لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَاحِبَةٍ. لَا بُدَّ لَهُ مِنْ وَلَدٍ. لَا بُدَّ لَهُ مِنْ شَرِيكَ لِيَكْمُلَ بِذَلِكَ. أَمَّا الْعَيْنُ. أَمَّا الْكَامِلُ كَمَالًا ذَاتِيًا الَّذِي الْكَمَالُ وَصْفٌ ذَاتِيٌّ لَهُ وَ الْعَيْنُ وَصْفٌ ذَاتِيٌّ لَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَ تُعْتَبَرُ فِي حَقِّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- نَقْصًا. لَا بُدَّ مِنْ فَهْمِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ وَ لِذَلِكَ يَقُولُ الشَّيْخُ بِخِلَافِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى نَفْيِ النَّقْصِ وَ الْعَيْبِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- مُقَدَّسٌ عَنْهُ. فَإِنَّ هَذِهِ طَرِيقَةُ صَحِيحَةٌ بِأَن تَقُولَ: نَصِفُهُ بِالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْكَلَامِ وَ النَّزُولِ وَ الْمَجِيئِ. تَصَدِيقًا لِحَبْرِ اللَّهِ وَ خَبَرِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تَعَالَى- لَا عَلَى مَا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ. مَا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ نَقْصٌ كَمَا تَقَدَّمَ. وَكَذَلِكَ إِذَا أُثْبِتَ لَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ كَالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ نُفْيِ. وَ كَذَلِكَ إِذَا أُثْبِتَ لَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ وَ نُفْيِ مُثَآثِلَةٍ غَيْرِهِ لَهُ فِيهَا فَإِنَّ هَذَا نَفْيُ الْمِثَالَةِ

¹ مقصود الشيخ: "أنَّ مُعْطِيَ الْكَمَالِ أَوْلَى بِالْكَمَالِ".

فيما هو مُسْتَحَقُّ لَهُ "لَيْسَ مُسْتَحَقُّ". فيما هو مُسْتَحَقُّ لَهُ إِذَا وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِالسَّمْعِ وَ
 البَصَرِ - القُدْرَةِ وَ الإِرَادَةِ وَ المَحْيِئِ وَ النُّزُولِ. وَصَفَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ أَوْ وَصَفَهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَ السَّلَامُ. نَنفِي فِي هَذَا الْمِمَّاثَلَةِ فَقَطْ أَيُّ ثُبُتٍ مَا أَتَيْتَ لِنَفْسِهِ وَ مَا أَتَيْتَ لَهُ رَسُولُهُ وَ نَنفِي
 فِي ذَلِكَ الْمِمَّاثَلَةِ. أَوْضَحْ دَلِيلٌ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)
 (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ): نَفَى الْمِمَّاثَلَةَ , (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ): فَأَتَيْتَ لَهُ الْكَمَالَ. إِذَا النَّفْيُ
 الصَّحِيحُ وَ التَّنْزِيهُ الصَّحِيحُ أَنْ تُثَبِّتَ لَهُ مَا أَتَيْتَ لِنَفْسِهِ -سبحانه- وَ مَا أَتَيْتَ لَهُ رَسُولُهُ
 عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ تَنفِي الْمِمَّاثَلَةِ بِذَلِكَ. لِأَنَّ مَا أَتَيْتَ لِنَفْسِهِ صِفَاتُ كَمَالٍ. فَصِفَاتُ
 -الله تَعَالَى- كُلُّهَا كَمَالٌ. ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تَعَالَى- فَإِنْ هَذَا نَفْيُ الْمِمَّاثَلَةِ فِيمَا هُوَ
 مُسْتَحَقُّ لَهُ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ. حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ "الاسْتِسْلَامُ". حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ يَتَّفَقَ
 مُرَادُكَ مَعَ مُرَادِ رَبِّكَ سُبْحَانَهُ. إِذَا اتَّفَقَ مُرَادُ الْمُحِبِّ مَعَ مُرَادِ الْمُحِبُّوبِ. هَذَا هُوَ تَحْقِيقُ
 التَّوْحِيدِ. يَجِبُ أَنْ تَقِفَ عِنْدَ مَرْضَاةِ اللَّهِ -تَعَالَى- لَا تُكَذِّبُهُ فِي مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَ لَا
 تُكَذِّبُ نَبِيَّهُ الْأَمِينَ فِي مَا وَصَفَ بِهِ رَبَّهُ -سبحانه وَ تَعَالَى- بِذَلِكَ تَكُونُ حَقَّقْتَ التَّوْحِيدَ. مَا
 هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ؟ أَلَا يَشْرِكُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي مَا هُوَ مَشْنُ خَصَائِصِهِ. هَذَا تَفْسِيرُ
 لِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ. إِلَّا يَشْرِكُ اللَّهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ. أَيُّ بَعْدَ إِضَافَةِ
 صِفَاتِ اللَّهِ -تَعَالَى- إِلَى اللَّهِ كَمَا تَقَدَّمَ. أَمَّا الْإِشْتِرَاكُ فِي الْإِسْمِ كَقَدِيرٍ مَعَ قَدِيرٍ. وَ الْقُدْرَةُ
 مَعَ الْقُدْرَةِ وَ أَمَّا الْإِشْتِرَاكُ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ الْمَطْلُوقِ الدَّهْنِيِّ لَا يَضُرُّ هَذَا تَوْحِيدَكَ. بَلْ هَذَا أَمْرٌ
 لَا بُدَّ مِنْهُ. وَ كُلُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا عَلَى وَجْهِ لَا يُمَازِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ
 خَلْقِهِ. وَ هَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ. وَ لِهَذَا كَانَ مَذْهَبُ السَّلَفِ أَوْ كَانَ مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَ أَيْمَنُهَا
 كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَ غَيْرِهِمْ وَ مَنْ فِي طَبَقَتِهِمْ إِبْنَاتُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَ نَفَى
 مُمَازِلَتِهِ لِشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. مِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ أَنَّ الْأَئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي الْفُرُوعِ
 الْفِقْهِيَّةِ مُتَّفِقُونَ وَ مُتَّحِدُونَ فِي هَذَا الْبَابِ. الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ عِنْدَهُ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ
 مُسْتَوِيًّا عَلَى عَرْشِهِ فَهُوَ كَافِرٌ لِأَنَّهُ كَذَّبَ كَلَامَ اللَّهِ. وَ لَوْ قَالَ: فَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ لَكِنْ لَا
 أَدْرِي أَيْنَ الْعَرْشُ فَهُوَ كَافِرٌ لِأَنَّهُ نَفَى الْعُلُوَّ. وَ هَكَذَا تَعْرِفُونَ مَوْقِفَ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَ تَعْرِفُونَ

محنة الإمام أحمد في ما عُدِّبَ وَ تَعْرِفُونَ حُكْمَ الإمام الشافعي عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ: "حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَ الْقَبَائِلِ وَ يُحْمَلُوا عَلَى الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَ يُضْرَبُوا بِالنَّعَالِ فَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ كِتَابَ اللَّهِ وَ اشْتَغَلَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ". هَذَا الَّذِي جَعَلَ الْقَوْسَرِي¹ يُعَادِي الإمام الشافعي أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ أَصْدَرَ عَلَيْهِ هَذَا الْحُكْمَ وَ الْحُكْمُ يَتَنَاوَلُ الْكَوْتَرِي. وَ لِذَلِكَ لَهُ عِدَاءٌ خَاصٌّ وَ مَوْقِفٌ خَاصٌّ يَعْرِفُهُ طُلَّابُ الْعِلْمِ مِنَ الإمام الشافعي دُونَ غَيْرِهِ. وَ الْكَلَامُ ذُو شُجُونٍ. وَ بَعْدَ فَلْنَكْتَفِي الْيَوْمَ بِهَذَا الْمَقْدَارِ .

¹ قلت : لست متأكد هل قال الشيخ الجامي : الْقَوْسَرِي , أَوْ قَالَ : الْكَوْتَرِي . فانتبه .

الدرس رقم : 32

القارئ: يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (فإن قيل: إن الشيء إذا شابه غيره من وجه جاز عليه ما يجوز عليه من ذلك الوجه، ووجب له ما وجب له، وامتنع عليه ما امتنع عليه، قيل: هب أن الأمر كذلك، ولكن إذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم إثبات ما يمتنع على الرب -سبحانه وتعالى-، ولا نفى ما يستحقه لم يكن ممتنعاً، كما إذا قيل: إنه موجود حي عليم سميع بصير وقد سمى بعض المخلوقات حياً عليمًا سميعًا بصيرًا، فإذا قيل: يلزم أن يجوز عليه ما يجوز على ذلك من جهة كونه موجودًا حياً عليمًا سميعًا بصيرًا. قيل لازم هذا القدر المشترك ليس ممتنعاً على الرب -تعالى-، فإن ذلك لا يقتضي حدوثاً، ولا إمكاناً، ولا نقصاً، ولا شيئاً مما ينافي صفات الربوبية، وذلك أن القدر المشترك هو مسمى «الوجود» أو «الموجود»، أو «الحياة» أو «الحي»، أو «العلم» أو «العليم»، أو «السمع» و «البصر» أو «السميع» و «البصير»، أو «القدرة» أو «القدير»، والقدر المشترك مطلق كلي لا يختص بأحدهما دون الآخر، فلم يقع بينهما اشتراك لا فيما يختص بالممكن المحدث، ولا فيما يختص بالواجب القديم، فإن ما يختص به أحدهما يمتنع اشتراكهما فيه، فإذا كان القدر المشترك الذي اشتركا فيه صفة كمال: كالوجود والحياة والعلم والقدرة، ولم يكن في ذلك ما يدل على شيء من خصائص المخلوقين، كما لا يدل على شيء من خصائص الخالق - لم يكن في إثبات هذا محذور أصلاً، بل إثبات هذا من لوازم الوجود، فكل موجودين لا بدّ بينهما من مثل هذا، ومن نفى هذا لزم تعطيل وجود كل موجود، ولهذا لما اطلع الأئمة على أن هذا حقيقة قول الجهمية سموهم معطلّة، وكان جهم يُنكر أن يسمّى الله شيئاً، وربما قالت الجهمية: هو شيء لا كالأشياء، فإذا نفى القدر المشترك مطلقاً لزم التعطيل التام، والمعاني التي يوصف بها الرب سبحانه وتعالى، كالحياة والعلم والقدرة، بل الوجود والثبوت والحقيقة ونحو ذلك، تجب له لوازمها؛ فإن ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم، وخصائص المخلوق التي يجب تنزيه الرب عنها ليست من لوازم ذلك أصلاً، بل تلك من

لوازم ما يختص بال مخلوق من وجود وحياة وعلم ونحو ذلك، والله سبحانه وتعالى منزّه عن خصائص المخلوق وملزومات خصائصه).

الشيخ: الحمد لله ربّ العالمين وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ على أشرف المرسلين وَ خاتم النبيين نبيّنا محمدٍ وَ على آله وَ صحبه أجمعين ، مِنْ بَابِ رَنْطِ الدَّرْسِ نُعِيدُ مُلَخَّصَ مَا تَقَدَّمَ: الطَّرِيقَةُ الصَّحِيحَةُ فِي النَّفْيِ تَتَنَاوَلُ أَمْرَيْنِ: الْأَمْرُ الْأَوَّلُ نَفْيُ النَّقْصِ. الْأَمْرُ الثَّانِي نَفْيُ الْمِثْلِ فِي صِفَاتِ الْكَمَالِ. لَا بُدَّ مِنْ ضَبْطِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ أَوْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ. لِذَلِكَ يَقُولُ الشَّيْخُ رَحْمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ مُجَرَّدَ الْإِعْتِمَادِ فِي نَفْيِ مَا يُنْفَى عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَا يُفِيدُ شَيْئًا. إِذْ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا وَ يَشْتَبِهَانِ مِنْ وَجْهِ وَ يَفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهِ. هَذَا وَاضِحٌ بِخِلَافِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى نَفْيِ النَّقْصِ وَ الْعَيْبِ. هَذَا الَّذِي يَجِبُ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ - سبحانه وَ تَعَالَى - مُنَزَّهٌ وَ مُقَدَّسٌ عَنْهُ. فَإِنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ صَحِيحَةٌ. إِذَا الطَّرِيقَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي يَجِبُ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهَا: نَفْيُ النَّقْصِ وَ الْعَيْبِ عَنِ -اللّهِ- سبحانه وَ تَعَالَى.. كَذَلِكَ إِذَا أُثْبِتَ لَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ وَ نُفِي مُمَائِلُهُ غَيْرُهُ لَهُ فِيهَا فَإِنَّ هَذَا نَفْيُ الْمِمَائِلَةِ فِي مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ لَهُ - سبحانه وَ تَعَالَى -. هَذَانِ الْأَمْرَانِ: نَفْيُ النَّقْصِ وَ الْعَيْبِ وَ نَفْيُ الْمِمَائِلَةِ فِي الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ لِلّهِ - سبحانه وَ تَعَالَى - .

قَالَ الشَّيْخُ وَ هَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أَيْ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ. لَا بُدَّ مِنْ هَذَا الْقَيْدِ. هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا نَفْيُ النَّقْصِ وَ الْعَيْبِ وَ نَفْيُ الْمِمَائِلَةِ فِي خَصَائِصِ الرَّبِّ - سبحانه وَ تَعَالَى - فِي صِفَاتِ الْكَمَالِ. هَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ. وَ مَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ فِي بَابِ الْعِبَادَةِ؟ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ فِي بَابِ الْعِبَادَةِ فِي اتِّحَادِ مُرَادِ الْمَحَبِّ مَعَ مُرَادِ الْمَحْبُوبِ. هَذِهِ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ فِي بَابِ الْعِبَادَةِ وَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا سَمِعْتُمْ هُوَ نَقْصُ الْعَيْبِ - وَالنَّقْصُ عَنِ اللَّهِ - سبحانه وَ تَعَالَى - وَ نَفْيُ الْمِمَائِلَةِ فِي الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ لَهُ. بِهَذَا تُحَقَّقُ التَّوْحِيدُ فِي هَذَا الْبَابِ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحْمَهُ -اللّهِ- تَعَالَى - مُفَسِّرًا حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ فِي هَذَا الْبَابِ وَ هُوَ أَلَّا يَشْرَكَهُ

شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ. لَأَنْ يَدْخُلَ الْإِشْتِرَاكُ فِي الْأَسْمِ الْعَامِ وَالْمَعْنَى الْعَامِ
وَكُلُّ صِفَةٍ مِنَ صِفَاتِ الْكَمَالِ. وَكُلُّ صِفَةٍ مِنَ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا عَلَى وَجْهِ
لَا يُمَانِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ. هَذِهِ أَيْضًا كَأَنَّهَا قَاعِدَةٌ: "كُلُّ صِفَةٍ مِنَ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَ
تَعَالَى- مُتَّصِفٌ بِهَا عَلَى وَجْهِ لَا يُمَانِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ". مُتَّصِفٌ بِالسَّمْعِ الَّذِي لَا يُمَانِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ وَ
بِالْعِلْمِ الَّذِي لَا يُمَانِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ وَ بِالْمَجِيئِ الَّذِي لَا يُمَانِلُهُ أَحَدٌ وَ بِالْوَجْهِ الَّذِي لَا يُمَانِلُهُ فِيهِ
أَحَدٌ وَ هَكَذَا. وَ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ نَفْيُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَنِ الْمَخْلُوقِ. لَا , إِنَّمَا
إِبْتَاهُ ذَلِكَ الْإِثْبَاتَ الْعَامَ. الْإِشْتِرَاكُ فِي الْأَسْمِ الْعَامِ وَالْمَعْنَى الْعَامِ. أَمَّا بَعْدَ الْإِحْتِصَاصِ لَا
يُشَارِكُ اللَّهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي خَصَائِصِ صِفَاتِهِ. وَ لِهَذَا كَانَ مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَ
أُيُمَّتُهَا. سَلَفُ الْأُمَّةِ: الصَّحَابَةُ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى ثُمَّ التَّابِعُونَ "تَلَامِيذُ الصَّحَابَةِ" ثُمَّ تَابِعُوا
التَّابِعِينَ وَ فِي مُقَدِّمَةِ تَابِعِي التَّابِعِينَ أُيْمَةُ الْهُدَى الْمُشْهُودُ لَهُمْ بِالْإِمَامَةِ كَالْأَيِّمَةِ الْأَرْبَعَةِ وَ مَنْ
فِي طَبَقَتِهِمْ. هَؤُلَاءِ هُمْ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ أُيُمَّتُهَا. وَ لِهَذَا كَانَ مَذْهَبُهُمْ إِبْتَاهُ مَا وَصَفَ بِهِ
نَفْسَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَ نَفْيُ مُمَانِلَتِهِ لَشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. أَيْضًا إِعْتَبَرَهَا قَاعِدَةٌ. مَذْهَبُ السَّلَفِ
إِبْتَاهُ مَا وَصَفَ بِهِ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- نَفْسَهُ. إِذْ لَا يَصِفُ اللَّهُ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ وَ نَفْيُ
مُمَانِلَتِهِ لَشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. إِذَا أُثْبِتَ لَهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ تَنْفِي الْمِمَانِلَةِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ -
تَعَالَى- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الصَّحِيحَةُ. إِذَا سَلَكَتَ
هَذِهِ الطَّرِيقَةَ لَا يَضُرُّكَ قَوْلٌ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ إِبْتَاهَ الصِّفَاتِ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ أَوْ إِلَى التَّمْثِيلِ.
أَوْ إِنَّ ذَلِكَ تَجْسِيمٌ. كُلُّ هَذَا لَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ. طَالَمَا أَنْتَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ الَّذِي
هُوَ إِبْتَاهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَ إِبْتَاهُ مَا وَصَفَ بِهِ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ ثُمَّ نَفْيُ
الْمِمَانِلَةِ فِي مَا أُثْبِتَ. إِذَا سَلَكَتَ هَذَا الْمَسْلَكَ لَا تَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ إِنَّ إِبْتَاهَ
الصِّفَاتِ تَشْبِيهُ أَوْ تَجْسِيمٌ أَوْ تَمْثِيلٌ. لَذَلِكَ يَقُولُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ بَعْدَ أَنْ تَعَبَ مِنْهُمْ: "إِنْ
كَانَ تَجْسِيمًا إِبْتَاهُ اسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ إِنِّي إِذَا لِمُجَسِّمٌ". لَا تُبَالِي. يَجِبُ أَنْ تُعْلِنَ
هَكَذَا. تَتُبْتُ عَلَى عَقِيدَتِكَ وَ لَا يَضُرُّكَ قَوْلٌ مَنْ يَقُولُ. وَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ لَمَّا تَعَبَ مِنْ
خُصُومِهِ. أُثِّمَ بَأَنَّهُ رَافِضِي فَقَالَ فِي آخِرِ أَبْيَاتِ قَالَهَا: "وَ إِنْ كَانَ رَفُضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ

فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي" هكذا يَكُونُ الْإِنْسَانُ. أَوَّلًا يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ فِي عَقِيدَتِهِ. لَا يَكُونُ مُدْبَذِبًا. فَإِذَا ثَبَتَ وَتَجَاوَزَ دَرَجَةَ الْإِمْعَةِ الَّذِي يَصْلُحُ إِذَا صَلَحَ النَّاسُ وَ يَفْسُدُ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ. هَذِهِ طَرِيقَةُ الْمُدْبَذِبِينَ قَرِيبَةٌ مِنَ النِّفَاقِ. إِذَا تَجَاوَزَ الْإِنْسَانُ هَذِهِ الْمَرَحَلَةَ فَوَصَلَ إِلَى مَرَحَلَةِ الْيَقِينِ. لَا يَضُرُّهُ كُلُّ مَا يُقَالُ فِيهِ بَلْ يَقُولُ كَمَا سَمِعْتُمْ "إِنْ كَانَ تَحْسِيْمًا إِبْتِثَاتُ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ إِنِّي إِذَا لَمْ حَسِّمْ" هكذا يُعْلِنُ ثُبُوتَهُ عَلَى عَقِيدَتِهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَا يُقَالُ فِيهِ. الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ وَ الشَّيْخُ كَانَا يَعِيشَانِ عَلَى هَذَا الْمُنْهَجِ. حَيْثُ لَا تُوجَدُ لِلْعَقِيدَةِ دَوْلَةٌ تُدَافِعُ عَنْهَا. كَانُوا فِي وَخْشَةٍ وَ فِي غُرْبَةٍ. النَّاسُ يُعَادُونَهُمْ وَ عُلَمَاءُ السَّوْءِ يُعَادُونَهُمْ وَ إِنْ كَانَ السَّلَاطِينُ يُقَدِّرُونَهُمْ لِمَا يَرَوْنَ فِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ الثَّبَاتِ وَ الشَّجَاعَةِ وَ خُصُوصًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ. لَكِنْ عَدَمُ وُجُودِ دَوْلَةٍ تُدَافِعُ عَنِ الْعَقِيدَةِ وَ تَتَبَنَّاها. هَذَا الَّذِي جَعَلَهُمْ يَعِيشُونَ تِلْكَ الْحَيَاةَ الْغَرِيبَةَ وَ يُصَرِّحُونَ بِمِثْلِ هَذَا التَّصْرِيحِ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فَإِنْ قِيلَ إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا شَابَهُ غَيْرُهُ مِنْ وَجْهِ جَازَ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ. وَ وَجَبَ لَهُ مَا وَجَبَ لَهُ أَيْ لِذَلِكَ الشَّيْءِ وَ امْتَنَعَ عَلَيْهِ مَا امْتَنَعَ عَلَيْهِ. هَذَا إِعْتِرَاضٌ. الْجَوَابُ عَلَى هَذَا الْإِعْتِرَاضِ: فَلْنَفْتَرِضْ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا شَابَهُ شَيْئًا جَازَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ كُلُّ مَا يَجُوزُ عَلَى الْآخَرِ وَ يَجِبُ لَهُ وَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ. فَلْيَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَيْ مِنْ بَابِ التَّسْلِيمِ جَدَلًا. وَ لَكِنْ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ. إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ الْمَشْتَرِكُ لَا يَسْتَلْزِمُ إِبْتِثَاتَ مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - وَ لَا نَفْيَ مَا يَسْتَحِقُّهُ لَمْ يَكُنْ مُمْتَنِعًا. لِمَاذَا؟ لِأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا وُجُودِيًّا فِي الْخَارِجِ إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ ذِهْنِي. لَا يَلْحَقُ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - مَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَوْ يُنْفَى عَنْهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ خَاصًّا بِهِ وَ لَا بِالْمَخْلُوقِ. لِأَنَّ الْقَدْرَ الْمَشْتَرَكُ كَمَا سَيَأْتِي مُطْلَقٌ كُلِّي ذِهْنِي. مَعْنَى ثَابِتٌ فِي الذَّهْنِ فَقَطُّ. كَمَا إِذَا قِيلَ إِنَّهُ مَوْجُودٌ حَيٌّ عَلِيمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. وَ قَدْ سَمِيَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ بَلْ أَكْثَرَ الْمَخْلُوقَاتِ تَتَّصِفُ بِالْحَيَاةِ وَ الْعِلْمِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ. فَإِذَا قِيلَ يَلْزَمُ أَنْ يَجُوزَ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ مَوْجُودًا حَيًّا عَلِيمًا سَمِيعًا بَصِيرًا. قِيلَ: لَا زِمَ هَذَا الْقَدْرُ الْمَشْتَرِكُ لَيْسَ مُمْتَنِعًا عَلَى الرَّبِّ - تَعَالَى - لِمَا ذَكَرْنَا. لِأَنَّهُ أَمْرٌ ذِهْنِي لَيْسَ أَمْرًا وُجُودِيًّا فِي الْخَارِجِ. فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي حَدُوثًا وَ لَا

إمكانًا و لا نقصًا ولا شيئًا من ما يُنَافِي صفات الرب. إِنَّمَا يَكُونُ الأمرُ كذلك لَوْ شَارَكَهُ أَحَدٌ فِي مَا يَخْتَصُّ بِالرَّبِّ - سبحانه و تعالى - وَ لَكِنَّ هَذَا الْإِشْتِرَاكَ الَّذِي وَقَعَ فِي الْمَعْنَى الْكُلِّيَّةِ الدَّهْنِيَّةِ الَّذِي لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ. لذلك يقول الشيخ رحمه -الله تعالى- و ذلك أن القدر المشترك هو مسمى «الوجود» أو مُسَمَّى الموجود أو مُسَمَّى الحياة أو مُسَمَّى الحي. يَعْنِي الصِّفَةُ أو الإِسْمُ. أو مُسَمَّى الْعِلْمِ أو مُسَمَّى الْعِلْمِ. الْمُسَمَّى الْعَامُّ لِلْعِلْمِ أو الْمُسَمَّى الْعَامُّ لِلْعِلْمِ. أو السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ السَّمِيعِ وَ الْبَصِيرِ. أو الْقُدْرَةِ أو الْقَدِيرِ. يَأْتِي مِثَالًا لِلصِّفَةِ وَ مِثَالًا لِلْإِسْمِ. وَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ. هَذَا بَيْنَ الْقَصِيدِ: وَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ مُطْلَقٌ كُلِّي. لَا يَخْتَصُّ بِأَحَدِهِمَا. لَا بِالْخَالِقِ وَ لَا بِالْمَخْلُوقِ. لِأَنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُ كَمَا قُلْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ. لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الدَّهْنِ. مَعْنَى ثَابِتٌ فِي الدَّهْنِ فَقَطْ. لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ. لَا يَخْتَصُّ بِأَحَدِهِمَا: لَا بِالْخَالِقِ وَ لَا بِالْمَخْلُوقِ دُونَ الْآخَرِ. فَلَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمَا إِشْتِرَاكَ لَا فِي مَا يَخْتَصُّ بِالْمُمْكِنِ الْمُحْدَثِ الَّذِي هُوَ الْمَخْلُوقُ وَ لَا فِي مَا يَخْتَصُّ بِالْوَاجِبِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ اللَّهُ - سبحانه و تعالى -. الْوَاجِبُ مُقَابِلُ الْمُمْكِنِ. الْقَدِيمُ مُقَابِلُ الْمُحْدَثِ. وَ الْقَدِيمُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ -الله تعالى- وَ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ تُسْتَعْمَلُ فِي بَابِ الْإِحْبَارِ. بَابُ الْإِحْبَارِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ. لَا الْقَدِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ -تعالى- وَ لَا الْمُتَكَلِّمُ وَ لَا الْمُرِيدُ وَ لَا الصَّانِعُ لَكِنَّ يَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْمَعْنَى صَحِيحٌ. وَ يُخْبِرُونَ عَنِ اللَّهِ - سبحانه و تعالى - بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لَا أَنَّهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رحمه -الله تعالى- شَيْخُ الْإِسْلَام: فَإِنَّ مَا يَخْتَصُّ بِهِ أَحَدُهُمَا الْخَالِقُ أَوْ الْمَخْلُوقُ يَمْتَنِعُ اشْتِرَاكُهُمَا فِيهِ. يَمْتَنِعُ اشْتِرَاكَ الرَّبِّ - سبحانه و تعالى - مَعَ خَلْقِهِ فِي مَا يَخْتَصُّ بِالرَّبِّ. ضَرَبْنَا الْمِثَالَ غَيْرَ مَرَّةٍ فَلْنُكْرِّرْ. يَمْتَنِعُ إِشْتِرَاكَ الرَّبِّ - سبحانه و تعالى - وَ الْعَبْدِ فِي الْعِلْمِ الْخَاصِّ بِاللَّهِ. فِي الْعِلْمِ الْمُخْتَصِّ بِاللَّهِ. فِي السَّمْعِ الْمُخْتَصِّ بِاللَّهِ. وَ الْبَصَرِ الْمُخْتَصِّ بِاللَّهِ وَ الْإِسْتِوَاءِ الْمُخْتَصِّ بِاللَّهِ وَ النَّزُولِ وَ الْمَجِيئِ الْمُخْتَصِّ بِاللَّهِ -تعالى-. مُسْتَحِيلٌ، كَذَلِكَ اللَّهُ يُنَزِّهُ أَنْ يُشَارَكَ الْعَبْدُ الْمَخْلُوقُ فِي نُزُولِهِ الْمُخْتَصِّ بِالْمَخْلُوقِ فِي اسْتِوَاءِهِ الْمُخْتَصِّ بِالْمَخْلُوقِ كَاسْتِوَاءِي هَذَا. إِسْتِوَاءِي هَذَا لَهُ كَيْفِيَّةٌ مَعْلُومَةٌ وَ إِذَا نَزَلْتُ نُزُولِي لَهُ كَيْفِيَّةٌ مَعْلُومَةٌ. فَاللَّهُ -

سبحانه و تعالى - مُنَزَّةٌ أَنْ يُشَارِكَ الْعَبْدُ فِي اسْتِوَائِهِ الْمُخْتَصِّ بِالْعَبْدِ وَ فِي نُزُولِهِ الْمُخْتَصِّ بِالْعَبْدِ وَ فِي قُدْرَتِهِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْعَبْدِ وَ فِي عِلْمِهِ الْمُخْتَصِّ بِالْعَبْدِ. مُسْتَحِيلٌ , لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتُ مُحَدَّثَةٌ. لِأَنَّ الْعَبْدَ نَفْسَهُ مُحَدَّثٌ وَ صِفَاتُهُ مُحَدَّثَةٌ. الْعَبْدُ نَاقِصٌ وَ صِفَاتُهُ نَاقِصَةٌ. إِذَا كَيْفَ يُشَارِكُ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- عَبْدَهُ النَّاقِصَ فِي صِفَاتِهِ النَّاقِصَةِ. مُسْتَحِيلٌ. كَذَلِكَ اللَّهُ يُنَزِّهُ مِنْ أَنْ يُشَارِكَ الْعَبْدُ اللَّهُ. مِنْ أَنْ يُشَارِكَ الْعَبْدُ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي خَصَائِصِ صِفَاتِهِ. فِي عِلْمِهِ الْقَدِيمِ الْمَحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ. الَّذِي لَمْ يُسَبِّقْ بِجَهْلٍ. فِي اسْتِوَائِهِ الْخَاصِ بِهِ الَّذِي لَا نَعْلَمُ كُنْهَهُ وَ كَيْفِيَّتَهُ. هَكَذَا إِذَا حَصَلَ التَّخْصِيسُ: صِفَاتُ الْمَخْلُوقِ بِالْمَخْلُوقِ وَ صِفَاتُ الْخَالِقِ بِالْخَالِقِ. لَا يَحْصُلُ بَيْنَهُمَا الْإِشْتِرَاكُ أَبَدًا.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- وَ كَانَ الْقَدْرُ الْمَشْتَرِكُ الَّذِي اشْتَرَكَا فِيهِ صِفَةً كَمَالٍ: كَالْوُجُودِ. الْمَخْلُوقُ مَوْجُودٌ فَالْخَالِقُ مَوْجُودٌ. الْمَخْلُوقُ يُوصَفُ بِالْوُجُودِ فَالْخَالِقُ يُوصَفُ بِالْوُجُودِ. لَكِنْ وَجُودُ اللَّهِ وَجُودٌ يَلِيْقُ بِهِ وَ وَجُودُ الْعَبْدِ وَجُودٌ يُنَاسِبُهُ. يُوصَفُ الْعَبْدُ بِالْحَيَاةِ. فَالرَّبُّ بِالْحَيَاةِ أَيْضًا. حَيَاةُ اللَّهِ -تعالى- صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَلِيْقُ بِهِ. وَ حَيَاةُ الْمَخْلُوقِ صِفَةٌ حَادِثَةٌ حَدُوثَ الْمَخْلُوقِ تُنَاسِبُهُ. وَ كَذَلِكَ الْعِلْمُ وَ كَذَلِكَ الْقُدْرَةُ وَ قِسْ عَلَى ذَلِكَ سَائِرِ الصِّفَاتِ. وَ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ. الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ وَ الْحَيَاةُ الْمَطْلُوقَةُ وَ الْعِلْمُ الْمَطْلُوقُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى الْإِشْتِرَاكِ وَ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ كَمَا لَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الْخَالِقِ. أَيْ لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى الْإِشْتِرَاكِ إِذَا حَصَلَ الْإِشْتِرَاكُ فِي الْعِلْمِ الْعَامِّ الْمَطْلُوقِ وَ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ الْمَطْلُوقَةِ وَ الْاِسْتِوَاءِ الْعَامِّ الْمَطْلُوقِ قَبْلَ تَخْصِيسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِاللَّهِ أَوْ بِالْمَخْلُوقِ لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى الْإِشْتِرَاكِ وَ لَكِنْ الْإِشْتِرَاكُ فِي الْمَعْنَى الْعَامِّ فِي الْعِلْمِ الْعَامِّ وَ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ وَ الْقُدْرَةِ الْعَامَّةِ لَا يَضُرُّ بَلْ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- كَمَا لَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الْخَالِقِ لَمْ يَكُنْ فِي إِثْبَاتِ هَذَا مَحْذُورٌ أَصْلًا. لَمْ يَكُنْ فِي إِثْبَاتِ الْإِشْتِرَاكِ فِي الْمَعْنَى الْعَامِّ فِي الْإِسْمِ الْعَامِّ فِي الْمَطْلُوقِ الْكُلِّيِّ -لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَحْذُورٌ أَصْلًا أَيْ فِي إِثْبَاتِ الْإِشْتِرَاكِ فِي هَذَا الْمَعْنَى الْعَامِّ. بَلْ إِثْبَاتُ

هذا مِنْ لَوَازِمِ الْوُجُودِ. فَكُلُّ مَوْجُودِينَ لَا بُدَّ بَيْنَهُمَا مِنْ مِثْلِ هَذَا. كُلُّ مَوْجُودِينَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَكُلُّ مَوْجُودِينَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ لَا بُدَّ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ فِي هَذَا الْمَعْنَى الْعَامِّ لِأَنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَ الْعَبْدُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ. اللَّهُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ وَ الْعَبْدُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ وَ حَلِيمٌ وَ قَدْ وَصَفَ -اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- رَسُولُهُ بِأَنَّهُ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. هَذَا الْإِشْتِرَاكُ فِي الْمَعْنَى الْعَامِّ الْكُلِّيِّ قَبْلَ التَّخْصِيسِ وَ بَعْدَ أَنْ خُصِّصَتِ الرَّحْمَةُ وَ الرَّأْفَةُ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ فَاللَّهُ لَا يُشَارِكُ النَّبِيَّ فِي رَحْمَتِهِ الْخَاصَّةِ بِالنَّبِيِّ وَ فِي الرَّأْفَةِ الْخَاصَّةِ بِالنَّبِيِّ لِأَنَّ رَحْمَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ مَخْلُوقَةٌ كَمَا هُوَ مَخْلُوقٌ. مُحَدَّثَةٌ كَمَا هُوَ مُحَدَّثٌ. كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ لَا يُشَارِكُ اللَّهَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَ فِي قُدْرَتِهِ وَ فِي عِلْمِهِ كَمَا تَقَدَّمَتِ الْأَمْثَلَةُ غَيْرَ مَرَّةٍ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحْمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَهَذَا لَمَّا أَطْلَعَ الْأُئِمَّةُ. أُئِمَّةُ السَّلَفِ بِمَا فِيهِمُ الْأُئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ نُكِرَ هُنَا: الْأُئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى مَذْهَبٍ وَاحِدٍ مُوَحَّدٍ فِي الْعَقِيدَةِ. لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ قَطُّ. الْإِخْتِلَافُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَ غَيْرِهِمْ. أُئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ لَيْسُوا بِأَرْبَعَةٍ. أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ كُلُّهُمْ قَدْ يَتَّفِقُوا وَ قَدْ يَخْتَلِفُوا فِي الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَطْرُحُ الْجَاهِدِ وَلَكِنْ بِحَمْدِ اللَّهِ -تَعَالَى- لَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ إِخْتِلَافٌ قَطُّ مِنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِهِمْ لَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ إِخْتِلَافٌ قَطُّ فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ. لَا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ لَا فِي بَابِ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ وَ لَا فِي بَابِ تَوْحِيدِ الْحَاكِمِيَّةِ. لَا إِخْتِلَافَ بَيْنَ أُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَ حَدِيثًا أَبَدًا. هَذَا أَمْرٌ مُوَحَّدٌ بِحَمْدِ -اللَّهُ تَعَالَى- وَحْدَةً كَامِلَةً يَتِمَّتَعُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ قَدِيمِ عَهْدِهِمْ إِلَى وَقْتٍ قَرِيبٍ مِنْ هَذَا الَّذِي حَصَلَ فِيهِ التَّفَرُّقُ. لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ إِخْتِلَافٌ أَبَدًا. وَ هَذَا الْإِخْتِلَافُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ الَّتِي تَتَطَارَرُ وَ تَتَنَاحَرُ فِي الْإِخْتِلَافِ فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ إِنَّمَا حَدَّثَتْ كُلُّ ذَلِكَ بَعْدَ نَشْأَةِ عِلْمِ الْكَلَامِ. فَعِلْمُ الْكَلَامِ لَمْ يَنْشَأْ إِلَّا فِي عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ. مَا قَبْلَ عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْمُسْلِمُونَ يَتِمَّتَعُونَ بِالْوَحْدَةِ الْكَامِلَةِ فِي عَقِيدَتِهِمْ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ أَيْ فِي مَا يَعْتَقِدُونَ نَحْوَ رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ فِي مَا يَخُصُّ نَبِيَّهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ فِي بَابِ الْعِبَادَةِ وَ فِي تَحْكِيمِ شَرِيعَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- مَا

بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- فَإِذَا كَانَ الْقَدْرُ الْمَشْتَرَكُ الَّذِي اشْتَرَكَا فِيهِ صِفَةً كَمَالٍ كَالْوُجُودِ وَ الْحَيَاةِ وَ الْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ وَ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ المَخْلُوقِينَ كَمَا لَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الخَالِقِ لَمْ يَكُنْ فِي إثْبَاتِ هَذَا مَحْذُورٌ أَصْلًا بَلْ إثْبَاتُ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْوُجُودِ. مِنْ لَوَازِمِ الْوُجُودِ لِلْجَمِيعِ. مِنْ لَوَازِمِ وُجُودِ الخَالِقِ وَ لَوَازِمِ وُجُودِ المَخْلُوقِ. لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَصَوَّرَ الْمَوْجُودَ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ إِلَّا وَ تَتَصَوَّرُ الْإِشْتِرَاكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى الْعَامِ. فَكُلُّ مَوْجُودَيْنِ إِثْنَيْنِ لَا بُدَّ بَيْنَهُمَا مِنْ مِثْلِ هَذَا. اللهُ مَوْجُودٌ وَ المَخْلُوقُ مَوْجُودٌ. لَا بُدَّ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ فِي هَذَا الْقَدْرِ الْمَشْتَرَكِ أَيْ فِي الْإِسْمِ الْعَامِ وَ الْمَعْنَى الْعَامِ. وَ مَنْ نَقَى هَذَا لَرِمَهُ تَعْطِيلُ وُجُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ. مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ الْإِشْتِرَاكُ فِي الْمَطْلَقِ الْكُلِّيِّ يَلْزِمُهُ تَعْطِيلُ وُجُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ. وُجُودِ الخَالِقِ أَوْ وُجُودِ الخَالِقِ¹ مَعًا. وَ هَذَا هُوَ الْجَهْلُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الثُّقَاةُ وَ لَمْ يَتَصَوَّرُوا هَذَا التَّصَوُّرَ الدَّقِيقَ. لِذَلِكَ آلَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا التَّشْبِيهِ وَ إِمَّا التَّعْطِيلَ , التَّشْبِيهِ كَأَن يَزْعُمُ بَأَنَّنَا إِنَّمَا خَوِطَبْنَا بِمَا نَعْقِلُ. لَا نَعْقِلُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا كَمَا نَعْقِلُ عِلْمَنَا وَ لَا نَعْقِلُ مِنَ السَّمْعِ إِلَّا كَمَا نَعْقِلُ سَمْعَنَا. وَ لَا نَعْقِلُ مِنَ الْإِسْتِوَاءِ وَ النَّزُولِ وَ الْمَجِيئِ إِلَّا كَمَا نَعْقِلُ ذَلِكَ فِي صِفَاتِنَا إِذَا صِفَاتُهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- كَصِفَاتِنَا لِأَنَّنَا لَمْ نَخَاطَبْ إِلَّا بِمَا نَعْقِلُ وَ وَقَعُوا فِي التَّشْبِيهِ. وَ الطَّرْفُ الثَّانِي قَالُوا: لَا- مُرَادُ اللهِ خِلَافَ هَذَا الظَّاهِرِ وَ هَذَا الظَّاهِرُ لَيْسَ مُرَادًا لَلهِ!. عِنْدَمَا أَخْبَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ وَ أَنَّهُ يَنْزِلُ فِي آخِرِ كُلِّ لَيْلَةٍ وَ أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِالْوَجْهِ الْكَرِيمِ وَ الْيَدَيْنِ الْمِسْطُوطَتَيْنِ. قَالُوا مُرَادُ اللهِ خِلَافَ هَذَا الظَّاهِرِ! مَا هُوَ ذَلِكَ الْمُرَادُ؟! هُمُ الَّذِينَ يُعَيَّنُونَ!. الْمُرَادُ بِالْمَجِيئِ: بِجِيئِ الْأَمْرِ أَوْ بِجِيئِ الْمَلِكِ!. وَ الْمُرَادُ بِالنَّزُولِ كَذَلِكَ. الْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الدَّاتِ!. الْمُرَادُ بِالْيَدِ النِّعْمَةِ أَوْ الْقُدْرَةِ! هَكَذَا تَحَرَّوْا أَنْ يُبَيِّنُوا مُرَادَ -الله تعالى- قَبْلَ أَنْ يَسْأَلُوا اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ: هَلْ أَنْتَ أَرَدْتَ هَذَا؟ وَ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلُوا رَسُولَهُ الْأَمِينَ الَّذِي كُتِّفَ بِالْبَيَانِ. مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ إِنْقِرَاضِ

¹ يبدو أن الشَّيْخَ الجَامِي رَحِمَهُ -الله تعالى- يقصد : "...أو وُجُودِ الخَالِقِ وَ المَخْلُوقِ مَعًا".

القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية بعد إنقراض الصحابة و التابعين في عهد تابعي التابعين بدأ هذا التحبط و الحبط و الخلط فتجزؤوا على التصرف في كتاب -الله تعالى- من عند أنفسهم. هذا ما آل إليه أمر أهل الكلام إما التشبيه و إما التعطيل.

قال الشيخ رحمه الله تعالى - و لهذا لما اطلع الأئمة على أن هذا حقيقة قول الجهمية أي التعطيل. نفى الأسماء و الصفات معاً و عدم إثبات الوجود الحقيقي لله -تعالى- بالنسبة للجهمية الحقيقية "الجهمية الأولى" , و بالنسبة للجهمية المعتزلة نفى الصفات مع دعوى إثبات الأسماء, و مع الجهمية الأخيرة "الأشاعرة" التفريق بين الصفات الخيرية و الصفات العقلية. كل هؤلاء يطلقون عليهم "معطلة". الجهمية معطلة صرفة لأنهم يعطلون كل شيء. لا يثبتون لله -سبحانه و تعالى- إلا الوجود المطلق و يختلفون هل يسمى موجوداً أم لا. و هل يسمى شيئاً أم لا . من قال إن الله ليس بشيء معناه إن الله ليس بوجود. هذه المعطلة الصرفة. المعطلة التي تعطل الصفات مع دعوى إثبات الأسماء هم المعتزلة. ليعلم الجميع إن هذه العقائد كلها موجودة اليوم في عالمنا المعاصر و خصوصاً المعتزلة و الأشاعرة. و الأشاعرة هم الذين هم الوجود¹ الجماعي بين المسلمين اليوم و تليهم المعتزلة. و الجهمية توحيد عقيدتهم مؤزعة بين الأشاعرة و بين المعتزلة. و كان جهنم رئيسهم جهنم بن صفوان السمرقندي كان ينكر أن يسمى الله شيئاً. من عند نفسه هكذا بهواه. و ربما قالت الجهمية أي بعض أتباعه هو "شيئ لا كالأشياء" فإذا نفى القدر المشترك الذي كثرنا غير مرة. - أرحوا أنه محفوظ إن شاء الله- فإذا نفى القدر المشترك مطلقاً و هو الاشتراك في المطلق الذمّي الذي لا وجود له في الخارج لزم التعطيل التام كتعطيل الجهمية. و المعاني التي يوصف بها الرب -سبحانه و تعالى- كالحياة و العلم و القدرة بل الوجود و الثبوت و الحقيقة و نحو ذلك تجب له لوازمتها. لوازمت الحياة و لوازمت العلم بلعنتنا: "مواصفاتها" مواصفات العلم: "لوازمتها" , علم الله -تعالى- علم قديم قدم الذات. غير مسبوق بجهل. لا يطرأ عليه

¹ كلمة "الوجود" أنا فُمت بإضافتها و إلا فإنها غير موجودة بالشرط .

النسيان. +إسأل العلم سائر الصفات¹. يجب إثبات هذه اللوازم فإن ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم. ثبوت العلم يقتضي ثبوت اللازم أي لازم صفات -الله تعالى- من القدم و الثبات و عدم الزوال و عدم النقص و عدم العيب. يقتضي ثبوت اللازم , و خصائص المخلوق. و خصائص المخلوق التي يجب تنزيه الرب - سبحانه و تعالى- عنها ليست من لوازم ذلك أصلاً. خصائص صفات المخلوق النقص في العلم النقص في الحياة و النقص في القدرة إلى آخر ما مثلنا. ليس من لوازم صفات الخالق. و بالجملة يقال لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق و كذلك العكس. بل تلك من لوازم ما يختص بالمخلوق من وجود محدث. و حياة ناقصة غير كاملة و علم قليل ناقص غير محيط و نحو ذلك , و الله - سبحانه و تعالى- منزه من خصائص المخلوق و ملزومات خصائصه. منزه من العلم الناقص الحادث الزائل الذي لا يحيط بجميع المعلومات و هكذا إلى آخر تلك الصفات. صفات الكمال , نكتفي بهذا المقدار و صلى الله و سلم و بارك على نبينا محمد و آله و صحبه .

¹ هكذا سمعت ما بين علامتي + , طبعاً هي جملة غامضة و من أراد التأكد يرجع إلى الشريط .

الدرس رقم : 33

القارئ: يقول شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- في رسالة التدمرية (والمعاني التي يوصف بها الرب - سبحانه وتعالى-، كالحياة والعلم والقدرة، بل الوجود والثبوت والحقيقة ونحو ذلك، تجب له لوازمها؛ فإن ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم، وخصائص المخلوق التي يجب تنزيه الرب عنها ليست من لوازم ذلك أصلا، بل تلك من لوازم ما يختص بالمخلوق من وجود وحياة وعلم ونحو ذلك، والله سبحانه وتعالى منزّه عن خصائص المخلوق وملزومات خصائصه ، وهذا الموضع من فهمه فهما جيدا وتدبره، زالت عنه عامة الشبهات، وانكشف له غلط كثير من الأذكياء في هذا المقام، وقد بسط هذا في مواضع كثيرة، وبُيّن فيها أن القدر المشترك الكلي لا يوجد في الخارج إلا معيّنًا مقيدًا، وأن معنى اشتراك الموجودات في أمر من الأمور هو تشابها من ذلك الوجه، وأن ذلك المعنى العام يطلق على هذا وهذا، لا أن الموجودات في الخارج يشارك أحدهما الآخر في شيء موجود فيه، بل كل موجود متميّز عن غيره بذاته وصفاته وأفعاله).

الشيخ: بَسْنِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَ بَعْدُ ، نُوَاصِلُ دَرْسَنَا. وَ إجابات شيخ الإسلام على شُبْهَةِ النِّقَاةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ صِفَاتِ -اللَّهِ تَعَالَى- بِدَعْوَى أَنَّ إِبْتَاهَا يُؤَدِّي إِلَى التَّجْسِيمِ وَ أَنَّ التَّجْسِيمَ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ وَ لَا يَتِمُّ التَّنْزِيهُ إِلَّا بِنَفْيِ الصِّفَاتِ. نُكْرِرُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ: كُلُّ الَّذِينَ نَفَوْا صِفَاتِ اللَّهِ -تَعَالَى- . صِفَاتِ اللَّهِ كُلَّهَا. الصِّفَاتُ وَ الْأَسْمَاءُ مَعًا كَالْجَهْمِيَّةِ. لَمْ يَقْصِدُوا فِي ¹ كَذَلِكَ الَّذِينَ نَفَوْا الصِّفَاتِ مَعَ إِبْتَاهِهِمْ لِلْأَسْمَاءِ كَالْمُعْتَرِلةِ. زَعَمَهُمُ التَّنْزِيهِ. وَ مِنْ بَابِ أَوَّلَى الْأَشَاعِرَةِ ² قَصْدُهُمُ التَّنْزِيهِ. أَيْ لَيْسَ غَرَضُهُمُ الْخُرُوجُ عَلَى اللَّهِ. عَلَى خَبَرِ اللَّهِ وَ خَبَرِ رَسُولِهِ صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَوْ الْإِسَاءَةَ إِلَى

¹ (تشويش للصوت بالشريط)

² كأنه انقطاع للصوت بالشريط .

الله. لَمْ يَقْصِدُوا هَذَا كَمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ. الْقَوْمُ يُرِيدُونَ التَّنْزِيهَ لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ يُرِيدُ الْحَيَرَ يُوقِّقُ لِفِعْلِ الْحَيَرِ. أَرَادُوا التَّنْزِيهَ فَلَمْ يُوقِّقُوا فِي التَّنْزِيهِ. وَ التَّنْزِيهُ أَمْرُهُ سَهْلٌ جِدًّا وَ مَيْسُورٌ لِمَنْ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ. مَنْ فَهِمَ قَوْلَهُ تَعَالَى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) عَرَفَ التَّنْزِيهَ وَ الْإِثْبَاتَ مَعًا. التَّنْزِيهُ يَسْبِقُهُ الْإِثْبَاتُ. إِبْتِثَاتٌ مَا أُثْبِتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَ إِبْتِثَاتٌ مَا أُثْبِتَ لَهُ رَسُولُهُ الْأَمِينُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ مِنَ الصِّفَاتِ ثُمَّ تَنْفِي الْمِمَّاثَلَةِ فِي مَا أُثْبِتَ. هَذَا هُوَ التَّنْزِيهِ. وَ لَكِنَّ الْقَوْمَ ضَلُّوا حَيْثُ أَعْرَضُوا عَنِ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ حَاوَلُوا أَنْ يُنْزِلُوا رَبَّ الْعَالَمِينَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ وَ أَنْ يَصِفُوهُ بِعُقُولِهِمْ. ضَلُّوا فَتَفَرَّقُوا. فَبَقِيَ عَلَى الْخَطِّ اتِّبَاعُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ الَّذِينَ سَلَكَوا مَنَهْجَ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ بِمَا فِي ذَلِكَ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا.

يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَالْمَعَانِي الَّتِي يوصف بها الرب -سبحانه وتعالى- كالحياة والعلم والقدرة , بَلِ الْوُجُودِ وَالثَّبُوتِ وَالْحَقِيقَةِ. إِنَّمَا أَضْرَبَ هَذَا الْإِضْرَابَ الْإِنْتِقَالِي لِأَنَّ الْوُجُودَ حَتَّى الْجَهْمِيَّةُ تُثْبِتُ بِالْجُمْلَةِ كَذَلِكَ , الثَّبُوتُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا وَ يُثْبِتُ اللَّهُ -سبحانه و تعالى- بَأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَ بَأَنَّهُ ثَابِتٌ وَ يُثْبِتُ بَأَنَّهُ الْحَقُّ وَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحَقُّ -سبحانه و تعالى-. تَجِبُ لَهُ لَوَازِمُهَا. كُلُّ ذَلِكَ تَجِبُ لَهُ لَوَازِمُهَا. لَوَازِمُ الْحَيَاةِ وَ لَوَازِمُ الْعِلْمِ وَ لَوَازِمُ الْقُدْرَةِ وَ لَوَازِمُ الْوُجُودِ. مِنْ لَوَازِمِ الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ أَنَّ حَيَاةَ -اللَّهُ- لَا نَقْصَ فِيهَا. حَيَاةٌ قَدِيمَةٌ قَدَمَ الدَّاتِ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ. الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا. الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ وَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. لَوَازِمُهَا هَذِهِ الْمَعَانِي وَ لَوَازِمُ الْعِلْمِ كَمَا عَلِمْنَا عِلْمٌ قَدِيمٌ قَدَمَ الدَّاتِ. عِلْمٌ لَمْ يُسْبَقْ بِجَهْلٍ. عِلْمٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ إِلَى آخِرِ لَوَازِمِ الصِّفَاتِ الَّتِي كَرَّرْنَاهَا غَيْرَ مَرَّةٍ. فَإِنَّ ثُبُوتَ الْمَزْمُومِ يَقْتَضِي ثُبُوتَ اللَّازِمِ. ثُبُوتُ الصِّفَاتِ يَقْتَضِي ثُبُوتَ اللَّازِمِ. لِأَزِمِ الصِّفَاتِ. إِذَا أُثْبِتَ الْحَيَاةُ يَلْزَمُكَ أَنْ تُثْبِتَ لَوَازِمَ الْعِلْمِ. إِذَا أُثْبِتَ الْعِلْمُ يَلْزَمُكَ أَنْ تُثْبِتَ لَوَازِمَ الْعِلْمِ. وَ خَصَائِصَ الْمَخْلُوقِ الَّتِي يَجِبُ تَنْزِيهُهُ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- عَنْهَا لَيْسَتْ مِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ أَصْلًا. خَصَائِصُ الْمَخْلُوقِ: الْعِلْمُ النَّاقِصُ وَ الْحَيَاةُ النَّاقِصَةُ. الْعِلْمُ الرَّائِلُ وَ السَّمْعُ الرَّائِلُ

خصائص المخلوق التي يحب تنزيه الرب عنها ليست من لوازم ذلك أصلاً. ليست من لوازم حياة الله و من لوازم علم الله إلى آخره. بل تلك من لوازم ما يختص بالمخلوق. نقص العلم و نقص الحياة و زوال ذلك في ما بعد. كل ذلك من ما يختص بالمخلوق من وجود و حياة و علم ونحو ذلك. بمعنى المخلوق يوصف بالوجود و يوصف بالحياة و يوصف بالعلم و يوصف بالقدرة. هذه الصفات لها خصائصها و لوازمها. خصائص هذه الصفات لا تلزم صفات الرب - سبحانه و تعالى - و لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق - عز و جل - و الله - سبحانه و تعالى - منزّه عن خصائص المخلوق. و ليس معنى ذلك نفى الاشتراك العام كما تقدّم. إذا الاشتراك ثبت الآن في العلم العام و القدرة العامة و في الأسماء العامة. في المعنى المطلق. لكن ينزّه الرب - سبحانه و تعالى - عن خصائص المخلوق. خصائص المخلوق مرة أخرى: حياة المخلوق خصائص. حياة حادثة ناقصة و زائلة. علم المخلوق له خصائص: علم حادث حدوث العالم هذا الذي هو المخلوق و علم ناقص و غير محيط و علم يطرو عليه النسيان و العفلة و الجهل و أخيراً بالذهاب. و ملزوماته. و الرب - سبحانه و تعالى - منزّه عن خصائص المخلوق و ملزومات خصائصه التي أعددناها الآن.

و بعد يقول شيخ الاسلام: و هذا الموضوع الذي نحن فيه من فهمه فهماً جيداً و تدبره زالت عنه عامة الشبهات التي شغلت علماء الكلام و أبعثتهم عن فهم كتاب الله و سنة رسوله عليه الصلاة و السلام و ظنوا أنهم على شيء و ليسوا على شيء و انكشف له غلط كثير من الأدكياء في هذا المقام. شيخ الاسلام من إنصافه يثبت لهم الذكاء. هم الذكاء لكن ليست لهم زكاء. ليس لهم طهارة و نزاهة لكن لديهم ذكاء و هذا الذكاء إن لم يهدب بالمفهوم الصحيح مفهوم السلف الصالح يضرب. ذكاء الإنسان و فطنته إن لم يوفق الإنسان الذكي و الفطن. إن لم يوفق من الله - سبحانه و تعالى - "التوفيق" فهو يضيع. ذكاؤه يكون وبالأعلى عليه. هذا ما وقع فيه كثير من فطاحل علماء الكلام الذين كان يناقشهم شيخ الاسلام في كتبهم مثل أبي الجويني المعالي إمام الحرمين و آلد إمام الحرمين و مثل الشهرستاني و مثل الرازي و مثل القاضي أبو يعلى و القاضي أبو بكر هؤلاء كلهم أدكياء و علماء و

كِبَار. لَكِنْ أخطأوا أخطاءً سيئة جداً سَوْفَ نَعْرِضُ أخطاءَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَ نَذْكُرُ كَلَامَ شَيْخِ
الاسلام فِيهِمْ كَيْفَ أَنْصَفَ لَأَنَّ النَّاسَ تَفَرَّقَتْ فِي هَؤُلَاءِ الْأَيَّامِ الَّذِينَ أخطأُوا. مِنْهُمْ مَنْ
دَمَّهُمْ فَوَقَفَ عِنْدَ الدَّمِّ فَقَطَّ وَ مِنْهُمْ مَنْ عَظَّمَهُمْ وَ بَالَعَ فِي تَعْظِيمِهِمْ وَ وَقَفَ عِنْدَ التَّعْظِيمِ
فَقَطَّ وَ لَكِنَّ الْإِنْصَافَ أَنْ يُذَكَّرَ مَا لَهُمْ وَ مَا عَلَيْهِمْ. وَ لَا يَنْبَغِي إِنْصَافُهُمْ بِالْمُبْتَدِعَةِ الَّذِينَ
تَصِلُ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْكُفْرِ. وَ لَا يَنْبَغِي الْقَوْلُ بِعَدَمِ التَّرْحُمِ وَ الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَ هَذَا غَلَطٌ
فَاحِشٌ وَ مَنْ يَمْنَعُ التَّرْحُمَ عَلَى أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَ الْإِسْتِغْفَارَ لَهُمْ كَأَنَّهُ يُلْحِقُهُمْ بِالْكَفَّارِ. لَأَنَّ
الْكَفَّارَ وَ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ تُهِنَا عَنْ الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَ التَّرْحُمِ عَلَيْهِمْ. هَؤُلَاءِ نَذْكُرُ أخطاءَهُمْ
وَ نَذْكُرُ مُحَاسِنَهُمْ. إِذَا ذَكَّرْنَا أخطاءَهُمْ إِسْتَعْفَرْنَا اللَّهَ لَهُمْ وَ أَنْ يَعْفُوا عَنْهُمْ وَ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ
الْأخطاءُ مَعْمُورَةً فِي بَحْرِ عِلْمِهِمْ وَ خِدْمَتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَ الْمُسْلِمِينَ وَ خِدْمَتِهِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ وَ
سُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. هَذَا هُوَ مَوْقِفُ الْإِنْصَافِ وَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَكْثَرِ
النَّاسِ خِبْرَةً لِهَؤُلَاءِ لِأَنَّهُ عَاشَرَهُمْ وَ نَاطَرَهُمْ وَ أَفْحَمَ كَثِيرًا مِنْهُمْ وَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ إِنْصَافِهِ لَا
يَجْعَلُ عِلْمَهُمْ وَ خِدْمَتَهُمْ ضَائِعَةً. كَثِيرًا مَا يَذْكُرُ كِتَابُ الْإِحْيَاءِ عُلُومَ الدِّينِ لِلْعَزَالِيِّ وَ يَصِفُهُ
بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ. كِتَابٌ فِيهِ عِلْمٌ كَثِيرٌ وَ يُثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ يُبَيِّنُ مَا فِيهِ مِنَ الْأخطاءِ: أخطاءُ
التَّصَوُّفِ. أخطاءُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ. يُنْصَفُ فَيُبَيِّنُ مَا فِي الْكِتَابِ مِنَ الْأخطاءِ وَ مَا فِيهِ مِنَ
الْعِلْمِ. ثُمَّ يَذْكُرُ الرَّجُلَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ وَ الْعِلْمِ وَ مَا فِيهِ مِنَ الْأخطاءِ. هَذَا هُوَ الْإِنْصَافُ وَ
الْإِنْصَافُ مِنَ الْإِيمَانِ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -اللهُ تَعَالَى- وَ قَدْ بَسِطَ هَذَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ. هَكَذَا تَحْوِيلُ
شَيْخِ الْإِسْلَامِ. مِنْ فَوَائِدِ هَذَا التَّحْوِيلِ الْعَامِ يَجْعَلُ طَالِبُ الْعِلْمِ يَبْحَثُ. لَا يَقُولُ لَهُ إِرْجِعْ إِلَى
الْكِتَابِ الْفُلَانِيِّ. الْمَجْلَدِ الْفُلَانِيِّ وَ الصَّفْحَةِ الْفُلَانِيَّةِ. هَذَا يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْكَسَلِ. دَائِمًا مَا
يُرِيدُ كُلَّ شَيْءٍ جَاهِزًا. لَكِنْ عِنْدَمَا يُحِيلُكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مِثْلَ هَذِهِ الْحَوَالَاتِ تَبْحَثُ فِي كُتُبِهِ
الكَثِيرَةِ. فِي أَثْنَاءِ الْبَحْثِ تَسْتَفِيدُ مَسَائِلَ أُخْرَى. هَذِهِ مِنْ فَوَائِدِ هَذَا التَّحْوِيلِ الْعَامِ.

فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَ بُيِّنَ فِيهَا أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ الْكُلِّيَّ لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ. هَذِهِ
إِصْطِلَاحَاتٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْضِمَهَا وَ يَفْهَمَهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ. هَذِهِ الْمَعَانِي الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ

الصفات. بَيْنَ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ. وَ يُقَالُ لَهُ "المَطْلُوقُ الكُلِّي" "المِشْتَرَكُ الكُلِّي" لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ. مَعْنَى الْخَارِجِ أَيُّ خَارِجِ الدَّهْنِ. وَ لَا يُوجَدُ مَعَيْنًا مُقَيَّدًا بَلْ هُوَ دَائِمًا عَامٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ. لَا لِلْخَالِقِ وَ لَا لِلْمَخْلُوقِ. الْعِلْمُ إِذَا أُطْلِقَ هَكَذَا وَ السَّمْعُ وَ الْبَصَرُ وَ الْإِسْتِوَاءُ. إِسْتِوَاءُ مَنْ؟ عِلْمُ مَنْ؟ قُدْرَةُ مَنْ؟ لَيْسَ لِأَحَدٍ. إِذَا كَانَ لَيْسَ لِأَحَدٍ. لَيْسَ مُضَافًا إِلَى أَحَدٍ لَا إِلَى الْخَالِقِ وَ لَا إِلَى الْمَخْلُوقِ إِذَا لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ. فِي خَارِجِ الدَّهْنِ. إِنَّمَا مَعْنَى ثَابِتٍ فِي الدَّهْنِ. وَ الْإِشْتِرَاكُ فِي هَذَا الْمَعْنَى الثَّابِتِ فِي الدَّهْنِ أَمْرٌ ضَرْوَرِي وَ مَنْ نَقَى هَذَا يَنْفِي وُجُودَ الْخَالِقِ وَ وُجُودَ الْمَخْلُوقِ مَعًا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ.

يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- أَنَّ الْقَدَرَ الْمِشْتَرَكُ الكُلِّي لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ إِلَّا مُعَيْنًا وَ مُقَيَّدًا. إِذَا وُجِدَ فِي الْخَارِجِ فَهُوَ مُحْتَصٌّ وَ هُوَ مُعَيَّنٌ فَهُوَ مُقَيَّدٌ. وَ أَنَّ مَعْنَى إِشْتِرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ. الْمَوْجُودَاتِ. الْمَخْلُوقَاتِ وَ كَذَلِكَ الْمَوْجُودُ الْحَقُّ هُوَ -الله سبحانه و تعالى- فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ وَ هُوَ تَشَابُهَا فِي ذَلِكَ الْوَجْهَةِ. الْعِلْمُ مَعَ الْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةُ مَعَ الْقُدْرَةِ. قَبْلَ الْإِضَافَةِ كَمَا قُلْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْعَامَّ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا وَ هَذَا. الْعِلْمُ الْمَطْلُوقُ يَصِلُهُ بَعْدَ الْإِضَافَةِ لِلَّهِ وَ يَصِلُهُ بَعْدَ الْإِضَافَةِ لِلْمَخْلُوقِ. لَا أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْخَارِجِ يُشَارِكُ أَحَدَهَا الْآخَرَ. لَا , الْعِلْمُ الْمَوْجُودُ فِي الْخَارِجِ عِلْمُ اللَّهِ الْمُخْتَصُّ بِهِ وَ عِلْمُ الْمَخْلُوقِ الْمَوْجُودُ فِي الْخَارِجِ الْمُخْتَصُّ بِالْمَخْلُوقِ لَا مُشَارَكَةً بَيْنَهُمَا. وَجُودُ اللَّهِ وَ وُجُودُ الْمَخْلُوقِ لَا مُشَارَكَةً بَيْنَهُمَا بَعْدَ التَّخْصِيسِ. وَجُودُ اللَّهِ بِاللَّهِ الْإِضَافَةُ وَ وُجُودُ الْمَخْلُوقِ بِالْمَخْلُوقِ بِالْإِضَافَةِ. لَا مُشَارَكَةً أَصْلًا. مَرَّةً أُخْرَى: وَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْعَامَّ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا وَ عَلَى هَذَا - لَا أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْخَارِجِ "خَارِجِ الدَّهْنِ" يُشَارِكُ أَحَدَهَا الْآخَرَ فِي شَيْءٍ مَوْجُودٍ فِيهِ. بَلْ كُلُّ مَوْجُودٍ مُتَمَيِّزٌ عَنْ غَيْرِهِ بِذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ أَفْعَالِهِ. اللَّهُ مَوْجُودٌ مُتَمَيِّزٌ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُوصُوفَةِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ. الْمُسَمَّى بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى. الْمَوْجُودُ الْمَخْلُوقُ "المَوْجُودُ" مُتَمَيِّزٌ بِوُجُودِهِ النَّاقِصِ. بِوُجُودِهِ الْحَادِثِ النَّاقِصِ وَ بِعِلْمِهِ الْحَادِثِ النَّاقِصِ الزَّائِلِ. إِذَا كُلُّ مُتَمَيِّزٍ. بَلْ الْمَخْلُوقُ الْمَعْيَنُ مُتَمَيِّزٌ عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ مُعَيَّنٌ. عِلْمُ زَيْدٍ لَيْسَ مِثْلَ عِلْمِ عَمْرٍ وَ إِنْ كَانَ الْكُلُّ عَالِمٌ لَكِنَّ النَّاسَ تَتَفَاوَتْ فِي الْعِلْمِ وَ تَتَفَاوَتْ فِي قُوَّةِ الْبَصَرِ وَ تَتَفَاوَتْ فِي قُوَّةِ السَّمْعِ. التَّفَاوُتُ وَ التَّمْيِيزُ حَاصِلٌ حَتَّى بَيْنَ الْمَخْلُوقِينَ.

نُوجِزُ الْيَوْمَ. نَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ إِذْ لَدَيَّ سُؤَالٌ مُهِمٌّ جَدًّا. وَ هَذَا السُّؤَالُ يَهُمُّ الْجَمِيعَ. قَدْ يَأْخُذُ الْكَلَامَ عَلَيْهِ وَقْتًا. فَلْنَكْتَفِ بِهَذَا الْمُقْدَارِ وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ .

سَائِلٌ يَسْأَلُ فَيَقُولُ: السُّؤَالُ يَحْتَاجُ إِلَى تَأْنِيٍّ. إِنَّ مِنْ أَحَدِ الْإِخْوَةِ كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ وَ يَجْمَعُهُمْ أَوْ يَجْتَمِعُ بِهِمْ فِي سِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ وَ قَالَ لَهُ بَعْضُ مَشَايخِ أَهْلِ الْمِنْطِقَةِ. يَبْدُوا أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْمِنْطِقَةِ. هَلْ عِنْدَكُمْ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ السِّرِّيَّةِ فِي هَذَا الْاجْتِمَاعِ الْخَاصِ السِّرِّيِّ؟ قَالَ: لَا يُوجَدُ أَيُّ سِرِّيَّةٍ وَ بَعْدَ مُدَّةٍ قَالَ لِإِخْوَانِهِ: نَحْنُ نُرِيدُ السِّرِّيَّةَ. فَمَا رَأَيْتُكَ فِي السِّرِّيَّةِ؟ مَا إِسْمُ تِلْكَ الْفِرْقَةِ الَّتِي تُرِيدُ السِّرِّيَّةَ؟¹ أَمَّا الْفِرْقَةُ فَلَا تَسْأَلُنِي عَنْهَا. الْجَوَابُ: الْعَمَلُ الْإِسْلَامِيُّ وَالدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ نَتَسَاءَلُ فِي مَا بَيْنَنَا. الْآنَ اجْتَمَعْنَا مِنْ مَنَاطِقٍ عِدَّةٍ. هَلْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى السِّرِّيَّةِ لِنَعْمَلَ الْإِسْلَامَ؟ هَلْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَدْعُوا إِلَى اللَّهِ لِتَكُونَ دَعْوَتُنَا بِتِلْكَ السِّرِّيَّةِ وَ نَحْنُ مُسْلِمُونَ وَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ خُصُوصًا فِي هَذَا الْبَلَدِ. بَلْ فِي أَيِّ بَلَدٍ إِسْلَامِيٍّ. لَا حَاجَةَ إِلَى الْعَمَلِ السِّرِّيِّ إِنْ كَانَ الْعَمَلُ عَمَلُ إِسْلَامِيٍّ. إِنْ كَانَتِ الدَّعْوَةُ دَعْوَةً إِلَى الْإِسْلَامِ لَا حَاجَةَ إِلَى السِّرِّيَّةِ. إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْإِسْلَامُ الَّذِي يُرِيدُهُ أَهْلُ السِّرِّيَّةِ إِسْلَامًا غَيْرَ هَذَا الْإِسْلَامِ. إِسْلَامٌ لَهُ مَفْهُومٌ غَيْرَ هَذَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ. وَ نَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ جَمِيعًا لِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ. وَ إِسْلَامُنَا عَلَيْنَا وَ دَعْوَتُنَا عَلَيْنَا لَيْسَ فِي دَاخِلِ الْبَلَدِ فَقَطْ. فِي كُلِّ بَلَدٍ. دُعَاتُنَا الَّذِينَ فِي الْخَارِجِ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ عَلَنًا. يُدْرِسُونَ هَذَا الْمَنْهَجَ وَ يَنْشُرُونَ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ عَلَنًا. أَقُولُ تَحَدُّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَ قَدْ زُرْتُ الدَّعَاةَ مِنْ تَلَامِيذِنَا الَّذِينَ انْتَشَرُوا فِي الْخَارِجِ فِي نَحْوِ عِشْرِينَ دَوْلَةً يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ عَلَنًا هَكَذَا. إِذَا مَا مَعْنَى جَمَاعَةٍ تَعْمَلُ عَمَلُ سِرِّيٍّ وَ تَدْعُوا دَعْوَى سِرِّيَّةٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَلَدِ؟ هَذَا مَحَلٌّ رِيَّةٍ. إِذَا يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ مَا مُرَادُ هَذِهِ السِّرِّيَّةِ وَ إِلَى مَا يَهْدِفُونَ. أَخَشَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الدَّعْوَةُ مُسَيَّسَةً. دَخَلَتْهَا السِّيَاسَةُ. الْأَحْقَادُ السِّيَاسِيَّةُ وَ الْحَسَدُ السِّيَاسِيُّ وَ الْمَنَافَسَةُ السِّيَاسِيَّةُ. هَذَا الَّذِي نَخْشَى عَلَى أَصْحَابِ السِّرِّيَّةِ وَ إِلَّا لَوْ كَانَتِ الدَّعْوَةُ دَعْوَةً إِسْلَامِيَّةً

¹ من هنا يبدأ جواب الشيخ الجامي رحمه -الله تعالى- .

صَرِيحَةً وَاضِحَةً كَالَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا بِحَمْدِ اللَّهِ لَا حَاجَةَ إِلَى السِّرِّيَّةِ. كُلُّنَا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ. أُمَّةٌ
إِسْلَامِيَّةٌ. دِينُنَا وَاحِدٌ. مِنْهَجُنَا وَاحِدٌ. عَلَى مَنْ؟ عَلَى مَا السِّرِّيَّةِ؟ لِمَاذَا تَدْعُوا الْجَمَاعَةَ
الْقِلَانِيَّةَ بِالسِرِّ وَ الْجَمَاعَةَ الْأُخْرَى سِرِّيَّةً وَ الْأُخْرَى سِرِّيَّةً وَ هَكَذَا نَتَفَرَّقُ. اللَّهُ -سبحانه و
تعالى- يَنْهَانَا عَنْ هَذَا التَّفَرُّقِ (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) وَ الدَّعَوَاتُ السِّرِّيَّةُ إِنَّمَا
تَدْعُوا إِلَى التَّفَرُّقِ وَ التَّحَرُّبِ وَ التَّعَادِي. تَتَنَاقَى مَعَ رُوحِ الْإِسْلَامِ. الْإِسْلَامُ يَدْعُوا إِلَى
التَّحَابِّ. إِلَى التَّقَارُبِ. إِلَى التَّعَاوُنِ. وَ أَمَّا هَذِهِ الدَّعَوَاتُ الَّتِي يُقَالُ عَنْهَا "هَآ سِرِّيَّةٌ". "هَآ
شُرُوطٌ" تُمَلَى عَلَى مَنْ سَمَّوْهُ بِالْمُتَنَزِّمِينَ وَ أَنَا أُسَمِّيهِمُ الْمَخْدُوعِينَ. شُرُوطٌ تُمَلَى عَلَيْهِمْ مِنْ ضَمَنِ
تِلْكَ الشُّرُوطِ "السِّرِّيَّةُ التَّامَّةُ". فَلْيَعْلَمْ الْمَخْدُوعُ الْمُتَنَزِّمُ أَنَّ الطَّرِيقَ طَوِيلٌ. الطَّرِيقُ إِلَى مَنْ؟ إِلَى
أَيِّ شَيْءٍ؟ إِلَى الْإِسْلَامِ؟ هَذَا الْإِسْلَامُ , إِلَى أَيِّ شَيْءٍ هَذَا الطَّرِيقُ الْإِسْلَامِيُّ يُوصِلُ إِلَى أَيِّ
شَيْءٍ؟ لَا طَرِيقَ يُوصِلُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا طَرِيقَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. الطَّرِيقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ.
لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ وَ إِلَى مَرْضَاتِهِ وَ دَارِ كَرَامَتِهِ إِلَّا إِذَا سَلَكَ وَ نَهَجَ مِنْهَجَ
سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ وَرَثُوا هَذَا الدِّينَ وَ أَخَذُوهُ غَضًا طَرِيقًا مِنْ فِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ
السَّلَامُ. أَمَّا نُوْهُهُمْ شَبَابَنَا أَنَّ الطَّرِيقَ طَوِيلٌ وَ لَا بُدَّ مِنَ السِّرِّيَّةِ وَ نُوْهُهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّنَا نَعْمَلُ
لِلْإِسْلَامِ. أَنَا أَعْتَقِدُ هَذَا تَلْبِيسٌ وَ تَضْلِيلٌ. لَا يَجُوزُ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ وَ لِمَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الدَّعْوَةِ
أَنْ يُضَلِّلَ النَّاسَ وَ يُلَبِّسَ عَلَى النَّاسِ. الدَّعْوَةُ وَاضِحَةٌ وَ عَلَنِيَّةٌ لِذَلِكَ هَذَا الْمَعْنَى فِي نَظَرِي
خَطِيرٌ جَدًّا لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ وَ لَيْسَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ وَ لَكِنَّهُ
عَمَلٌ كَمَا وَصَفُوا "عَمَلٌ سِرِّيٌّ" لَا نُدْرِكُ مَدَاهُ. فَلْيَنْتَبِهْ أَصْحَابُ السِّرِّيَّةِ لِلْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي
تَلَحُّقُهَا أَمَامَ اللَّهِ لِقَاءَ هَذَا التَّلْبِيسِ وَ التَّشْوِيشِ عَلَى الشَّبَابِ وَ تَهْيِيجِ الشَّبَابِ تَهْيِيجًا
سِيَاسِيًّا يَشْغَلُهُمْ عَنِ الْإِشْتِعَالِ بِالْعِلْمِ. الْوَاجِبُ أَنْ نَنْصَحَ لِشَبَابِنَا وَ نُخَتِّمُهُمْ عَلَى التَّحْصِيلِ.
عَلَى الدَّرَاسَةِ لَيْلَ نَهَارٍ وَ عَلَى حِفْظِ الْمُتُونِ وَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ -تعالى- وَ عَلَى أَنْ يَلْتَقُوا
حَوْلَ عُلَمَائِنَا الْكِبَارِ الَّذِينَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُمْ. هَذَا هُوَ وَاجِبُ النُّصْحِ لِشَبَابِنَا. فَأَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَ
لَكُمْ التَّوْفِيقَ. أَكْتَفِي بِهَذَا الْمَقْدَارِ بِالْإِخْتِصَارِ وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ
عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ .

الدرس رقم : 34

القارئ: قال شيخ الاسلام رحمه -الله تعالى- (ولما كان الأمر كذلك كان كثير من الناس يتناقض في هذا المقام، فتارة يظن أن إثبات القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل، فيجعل ذلك له حجة فيما يظن نفيه من الصفات، حذرًا من ملزومات التشبيه، وتارة يتفطن أنه لا بد من إثبات هذا على كل تقدير، فيجيب به فيما يثبته من الصفات لمن احتج به من النفاة، ولكثرة الاشتباه في هذا المقام وقعت الشبهة في أن وجود الرب هل هو عين ماهيته، أو زائد على ماهيته، وهل لفظ «الوجود» مقول بالاشتراك اللفظي، أو بالتواطىء، أو التشكيك، كما وقع الاشتباه في إثبات الأحوال ونفيها، وفي أن المعدوم هل هو شيء أم لا؟، وفي وجود الموجودات هل هو زائد على ماهيتها أم لا؟. وقد كثر من أئمة النظائر الاضطراب والتناقض في هذه المقامات، فتارة يقول أحدهم القولين المتناقضين، ويحكى عن الناس مقالات ما قالوها، وتارة يبقى في الشك والتحير، وقد بسطنا من الكلام في هذه المقامات، وما وقع من الاشتباه والغلط والحيرة فيها لأئمة الكلام والفلسفة، ما لا تتسع له هذه الجمل المختصرة، وبينا أن الصواب هو أن وجود كل شيء في الخارج و ماهيته الموجودة في الخارج، بخلاف الماهية التي في الذهن فإنها مغايرة للموجود في الخارج، وأن لفظ «الوجود» كلفظ «الذات» و «الشيء» و «الماهية» و «الحقيقة» ونحو ذلك، وهذه الألفاظ كلها متواطئة، وإذا قيل: إنها مشككة، لتفاضل معانيها، فالمشكك نوع من المتواطىء العام الذي يراعى فيه دلالة اللفظ على القدر المشترك، سواء كان المعنى متفاضلا في موارده، أو متماثلاً. وبينا أن المعدوم شيء أيضاً في العلم والذهن، لا في الخارج، فلا فرق بين الثبوت والوجود، لكن الفرق ثابت بين الوجود العلمي والعيني، مع أن ما في العلم ليس هو الحقيقة الموجودة، ولكن هو العلم التابع للعالم القائم به.)

الشيخ: بَسْنِ , الحمد لله رب العالمين و صلاة -الله- و سلامه و رحمته و بركاته على

هذا النبي الكريم و على آله و أصحابه و أزواجه امهات المؤمنين و أهل بيته الطيبين الطاهرين و بعد ، مبحث هذا اليوم أستعمل فيه أسلوب أهل الكلام لذلك قد يستصعب بعض الناس هضم هذا الأسلوب و لكنّه أسلوب خاص بطلاب العلم و الآخرون يصبرون معنا حتى¹ نخرج من هذه القطعة إلى الكلام المفهوم الذي يفهمه الجميع.

يقول شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- و هو يناقش أولائك الذين يرون أنّ الموجودات في الخارج يُشارِكُ أحدها الآخر في شيء موجود فيه و هو يُردُّ هذا. يقول: بل كلُّ موجودٍ مُتميّزٌ عن غيره بذاته و صفاته و أفعاله. كلُّ موجودٍ. الموجود. واجب الوجود الذي هو الله - سبحانه و تعالى-، و الموجود الذي هو الجائز الوجود و هو الممكن و هو المحلوقات. مُتميّزٌ عن غيره بذاته و بصفاته و أفعاله. -الله سبحانه و تعالى- ليس كمثله شيء. مُتميّزٌ عن جميع الموجودات بذاته. بذاته المقدسة. ليس كمثله شيء في ذاته. و مُتميّزٌ بصفاته. فصافته تابعة لذاته. ما يُقال في الذات يُقال في الصفات. لذلك يُقال: الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات يحدّوا حدّوه. أي إذا آمن المسلم بأن الله - سبحانه و تعالى- ليس كمثله شيء في ذاته. و أنّ ذاته المقدسة لا تُشبه الدّوات. يجب أن يؤمن بما أخبر عن نفسه من صفات الكمال و ما أثبت له رسوله الأمين عليه الصّلاة و السّلام. ثم يقول صفاته ليست كصفات خلقه. و كذلك أفعاله. أفعال الربّ - سبحانه و تعالى- لا تُشبه أفعال العباد إلّا في المطلق الكلّي الذي تقدّم البيان .

ثم قال شيخ الإسلام: لمّا كان الأمر كذلك كان كثيرٌ من الناس يتناقض في هذا المقام. فتارةً يظنّ أنّ إثبات القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل فيجعل ذلك له حجة في ما يظنّ نفيه من الصفات. أي في ما يرى. في ما يظنّ أي في ما يرى نفيه من الصفات. حدراً من ملزومات التشبيه كأن يقول إنّ إثبات الاستواء لله - تعالى- و إثبات جبره لفصل القضاء ويوم القيامة و إثبات نزوله في آخر كلِّ ليلة و إثبات الوجه له - سبحانه و تعالى- و اليدّين

¹ قلت : كلمة "حتى" من إضافتي .

يُؤَدِّي إِلَى الْإِشْتِرَاكِ وَ إِلَى التَّجْسِيمِ. وَ حَدَرًا مِنْ هَذَا مِنْهُمْ مَنْ يَنْفِي وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤَوِّلُ. أَمَّا الْمُعْتَرِزُ فَيَنْفَعُونَ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا وَ غَيْرَهَا وَ أَمَّا الْأَشَاعِرَةُ فَيَدْعُونَ التَّأْوِيلَ إِلَّا أَنْ تَأْوِيلَ الْأَشَاعِرَةِ يُؤَوِّلُ إِلَى النَّفْيِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ وَ خُصُوصًا فِي صِفَةِ الْعُلُوِّ وَ صِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى عَرْشِهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ هُمْ نَفَاةٌ وَ لَيْسُوا بِمُؤَوِّلَةٍ. وَ إِنْ كَانُوا مُؤَوِّلَةً فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ لَكِنْ فِي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ وَ فِي صِفَةِ الْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ الْأَشَاعِرَةُ نَفَاةٌ وَ لَيْسُوا مِنَ الْمُؤَوِّلَةِ. وَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ أَنََّّهُمْ كَمَا قُلْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ. أَوْ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ قَبْلَنَا: هُمْ أَقْرَبُ إِلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ وَ لَيْسُوا مِنْهُمْ. يُؤَوِّلُونَ وَ يَنْفَعُونَ هَذِهِ الصِّفَاتِ حَدَرًا مِنْ مَلَزُمَاتِ التَّشْبِيهِ. فِي زَعْمِهِمْ مَثَلًا لَوْ أُثْبِتُوا الْإِسْتِوَاءُ يَلْزَمُ مِنَ الْإِسْتِوَاءِ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَوِي أَصْعَرُ مِمَّا اسْتَوَى عَلَيْهِ أَوْ أَكْبَرُ مِنْهُ أَوْ مُسَاوِيًا لَهُ. وَ هَذِهِ مِنْ لَوَازِمِ اسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ. وَ يَزْعُمُونَ أَنَّ إِثْبَاتَ الْإِسْتِوَاءِ يُؤَدِّي إِلَى هَذِهِ اللَّوَازِمِ فَيَنْفَعُونَ. وَ يَزْعُمُونَ مَثَلًا فِي صِفَةِ الْكَلَامِ. لَوْ أُثْبِتُوا لَهُ كَلَامًا لَفْظِيًّا لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ إِثْبَاتُ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ كَالشَّفَتَيْنِ وَ اللِّسَانِ وَ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ وَ كُلُّ مَا يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ فَهُوَ مُسْتَحِيلٌ. فَإِثْبَاتُ الْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ لِلَّهِ -تَعَالَى- مُسْتَحِيلٌ. هَكَذَا يَنْفَعُونَ. وَ أَنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِتَأْوِيلٍ وَ لَكِنَّهُ نَفْيٌ مُحْضٌ. نَفْيٌ لِكَلَامِ اللَّهِ اللَّفْظِيِّ وَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْقُرْآنِ عِنْدَهُمْ إِطْلَاقٌ بِحَازِي وَ لَيْسَ بِحَقِيقِي.

ثُمَّ يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- وَ تَارَةً يَتَفَقَّطُ أَنََّّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ هَذَا عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ. لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ مَا أُثْبِتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَ يُجِيبُ بِهِ فِي مَا يُثْبِتُهُ مِنَ الصِّفَاتِ لِمَنْ احْتَجَّ مِنَ النَّفَاةِ. يُثْبِتُ الصِّفَاتِ الَّتِي تُسَمَّى صِفَاتِ الْمَعَانِي. وَ يَقُولُ لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِهَا وَ إِثْبَاتِهَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ -تَعَالَى- لَا كَمَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ. أَيْ يُثْبِتُونَ قُدْرَةً تَلِيقُ بِاللَّهِ وَ إِرَادَةً تَلِيقُ بِاللَّهِ وَ عِلْمًا يَلِيقُ بِاللَّهِ إِلَى آخِرِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ الَّتِي سَمَّوْهَا صِفَاتِ الْمَعَانِي وَ يَحْتَجُّونَ بِهَذَا عَلَى مَنْ يَنْفِي. وَ يَقُولُونَ: هَذَا الْإِثْبَاتُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ كَصِفَاتِ خَلْقِهِ. هَذَا هُوَ التَّنَاقُضُ. وَ كَيْفَ لَزِمَ مِنْ إِثْبَاتِ الْإِسْتِوَاءِ وَ النَّزُولِ وَ الْمَجِيئِ وَ الْوُجْهِ وَ الْيَدَيْنِ التَّشْبِيهِ أَوْ التَّجْسِيمَ وَ لَمْ يَلْزَمَ مِنْ إِثْبَاتِ الْقُدْرَةِ وَ الْإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْعِلْمِ التَّشْبِيهِ وَ لَا التَّجْسِيمَ! ؟ هَكَذَا يَتَنَاقَضُونَ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- لِيَضْرِبَ أَمِثْلَهُ لِذَلِكَ وَ لِكَثْرَةِ الإِشْتِبَاهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَقَعَتِ الشُّبْهَةُ. وَقَعَتِ الشُّبْهَةُ فِي أَنَّ وُجُودَ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى-. هَلْ هُوَ عَيْنُ مَا هَيْتِهِ أَوْ زَائِدٌ عَلَى مَا هَيْتِهِ؟ مَا هَيْتُهُ الشَّيْءُ: حَقِيقَتُهُ ، أَيُّ هَلْ وُجُودُ الرَّبِّ شَيْءٌ زَائِدٌ عَلَى حَقِيقَتِهِ أَوْ هُوَ عَيْنُ حَقِيقَتِهِ؟ هَكَذَا. لِأَنَّ الْمَاهِيَةَ بِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ. وَ هَلْ لَفْظُ الْوُجُودِ مَقُولٌ بِالإِشْتِرَاكِ اللَّفْظِيِّ أَوْ بِالتَّوَاطُّئِ أَوْ التَّشْكِيكِ ؟ تَقَدَّمَ الْبَحْثُ فِي هَذَا أَنَّ التَّوَاطُّئَ إِذَا كَانَتْ الْمَعَانِي مُتَسَاوِيَةً وَأَنَّ التَّشْكِيكَ إِذَا كَانَتْ الْمَعَانِي مُتَفَاوِتَةً. وَ هَلْ وُجُودُ اللَّهِ -تعالى- كَوُجُودِ خَلْقِهِ يُشَارِكُ وُجُودَ الْخَلْقِ وَ يَتَّفِقُ مَعَهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِّئَةِ أَوْ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَشْكُوكَةِ؟ كَمَا قُلْنَا هَذَا أَسْلُوبٌ يَخْصُ طُلَّابَ الْعِلْمِ. كَمَا وَقَعَ فِي الإِشْتِبَاهِ فِي إِبْتَاتِ الْأَحْوَالِ وَ نَفْيِهَا. الْأَحْوَالُ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَشَاعِرَةِ هِيَ الصِّفَاتُ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ. سَبْعُ صِفَاتٍ سَمَّوْهَا صِفَاتِ الْمَعَانِي وَ هِيَ وَاضِحَةٌ. ثُمَّ سَمَّوْ سَبْعَ صِفَاتٍ تُؤْخَذُ مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِي. سَمَّوْهَا الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَ أَبِي هَاشِمٍ الْجَبَّائِي "الْأَحْوَالُ". كَوْنُهُ قَادِرًا. كَوْنُهُ مُرِيدًا. كَوْنُهُ عَالِمًا. كَوْنُهُ سَمِيعًا إِلَى آخِرَةٍ. وَجْهَ ذَلِكَ: الْمَعْتَزِلَةُ لَا يُثْبِتُونَ أَيَّ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ. وَ الْجَبَّائِي عِنْدَمَا يُثْبِتُ هَذِهِ الْكَوْنَةَ وَ هُوَ يَنْفِي الصِّفَاتِ لَا يُثْبِتُ إِلَّا الْأَسْمَاءَ. كَيْفَ يَفْهَمُ مَنْ يَعْرِفُ مَذْهَبَهُ: هَلْ هُوَ يُثْبِتُ الصِّفَاتِ؟ هَلْ هَذِهِ الصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ؟ هَلْ هِيَ صِفَاتُ مَعْقُولَةٍ أَوْ غَيْرُ مَعْقُولَةٍ؟ لَا يُدْرَى. وَ هُوَ مِنْ مُسْتَحِيلَاتِ الْكَلَامِ. وَ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ الْأَمْرُ هَيْئًا لِأَنَّهُمْ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ فَأَخَذُوا مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِي الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ. لَوْ كَانَ أَبُو هَاشِمٍ الْجَبَّائِي يُثْبِتُ صِفَاتِ الْمَعَانِي كَالْأَشَاعِرَةِ لَا يُعَدُّ هَذَا الْكَلَامُ إِضْطِرَابًا وَ لَا يُرَدُّ تَنَاقُضًا بَلْ لَا يُعَدُّ مِنْ مُسْتَحِيلَاتِ الْكَلَامِ وَ لَكِنَّ الْآنَ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِ: إِبْتَاتُ الْأَحْوَالِ يُعْتَبَرُ عِنْدَهُ مِنْ مُسْتَحِيلَاتِ الْكَلَامِ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- كَمَا وَقَعَ الإِشْتِبَاهُ فِي إِبْتَاتِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يُثْبِتُهَا مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ: أَبُو هَاشِمٍ الْجَبَّائِي فَقَطَّ وَ نَفْيِهَا. أَمَّا حُذَافُهُمْ فَيَنْفُونَ. الْمَعْتَزِلَةُ. وَفِي أَنَّ الْمَعْدُومَ هَلْ هُوَ شَيْءٌ أَمْ لَا ؟!! قَوْمٌ فَارِعُونَ. إِيخْتَلَفُوا هَلْ الْمَعْدُومُ شَيْءٌ أَوْ لَيْسَ بِشَيْءٍ! وَ فِي وُجُودِ الْمَوْجُودَاتِ هَلْ هِيَ زَائِدَةٌ عَلَى مَا هَيْتِهَا أَمْ لَا ؟ وَجُودُ أَيِّ مَوْجُودٍ. وَجُودُ إِنْسَانٍ. وَجُودُ

الحَيَّوان. هل هذا الوجود زائد على ماهيته - على حقيقته أم لا ؟ .

يَقُولُ الشَّيْخُ وَ قَدْ كَثُرَ مِنْ أَيْمَةِ النُّظَّارِ الإِضْطِرَابُ وَ التَّنَاقُضُ فِي هَذَا. أَيْمَةُ النُّظَّارِ الْكِبَارِ مِنْ كِبَارِ الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ مِنْهُمْ الشَّهْرَسْتَانِي الَّذِي يَقُولُ بَعْدَ الْخَيْرَةِ الطَّوِيلَةِ "لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا وَ سَيَّرْتُ طَرَفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ فَلَمْ أَرَى إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى دَقَنِ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ" وَصَلَ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ بَعْدَ أَنْ خَاصُوا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ خَوْضًا طَوِيلًا جُلَّ أَعْمَارِهِمْ إِنْتَهَوْا إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ "فَلَمْ أَرَى إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى دَقَنِ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ" وَ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَيِّ نَتِيجَةٍ وَ إِلَى أَيِّ حَقِيقَةٍ. يَدْخُلُ تَلْمِيزٌ عَلَى شَيْخِهِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَ الشَّيْخُ فِي خَيْرَةٍ فَيَقُولُ لِتَلْمِيزِهِ هَلْ أَنْتَ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ؟ فَيَقُولُ الطَّالِبُ: نَعَمْ أَنَا عَلَى يَقِينٍ. يَقُولُ: إِمْحَدُ رَبَّكَ . بِثُ الْبَارِحَةِ طُولَ اللَّيْلِ أَقْرَعُ الدَّلِيلَ بِالْدَّلِيلِ وَ لَمْ أَصِلْ إِلَى حَقِيقَةٍ أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ حَقِيقَةً فِي هَذَا الْكَوْنِ !! هَلْ هُوَ دَاخِلُ الْعَالَمِ أَوْ خَارِجُ الْعَالَمِ ؟ هَلْ هُوَ مُتَّصِلٌ أَوْ مُنْفَصِلٌ؟ هَذَا الْبَحْثُ الَّذِي قَضُوا فِيهِ أَعْمَارَهُمْ. وَ يَقُولُ الرَّازِي وَ هُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الشَّهْرَسْتَانِي "نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ وَ أَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ". الْعَالَمِينَ أَيُّ مِنْ عَالَمٍ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ لَيْسَ جَمِيعُ الْعَالَمِ. نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ. فِي النَّهَايَةِ. وَ أَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ. وَ أَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا فَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثٍ. وَ حَاصِلُ دُنْيَانَا أَدَى وَ وَبَالَ. هَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الرَّازِي وَ نَقَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ كَلَامَ هَؤُلَاءِ وَ غَيْرِهِمْ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ فِي النَّهَايَةِ نَدِمُوا وَ النَّدَمُ نَوْعٌ مِنَ التَّوْبَةِ. يَظْهَرُ أَنَّهُمْ أَظْهَرُوا التَّوْبَةَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِمْ وَ فِي مُقَدِّمَتِهِمْ الْجَوْنِي. أَبُو الْمَعَالِي إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ. مِنْ كِبَارِ أَيْمَةِ الشَّافِعِيَّةِ الَّذِي يُبَالِغُ فِيهِ الشَّافِعِيُّونَ الْمُتَأَخِّرُونَ فَيَقُولُونَ: لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ لَكَانَ الْجَوْنِي! وَ الْجَوْنِي يَقُولُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ "لَقَدْ خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ وَ تَرَكْتُ عُلُومَ الْإِسْلَامِ وَ خُضْتُ فِي الَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ فَإِنْ لَمْ يَتَذَكَّرَنِي رَبِّي بِرَحْمَتِهِ فَالْوَيْلُ لِلْجَوْنِي. فَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقَائِدِ نَيْسَابُورٍ. عَلَى عَقَائِدِ عَجَائِزِ نَيْسَابُورٍ عَفْوًا. وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقَائِدِ عَجَائِزِ نَيْسَابُورٍ. مَا عَقِيدَتُهُمْ؟ عَقِيدَةُ الْفِطْرَةِ. عَقِيدَةُ الْجَارِيَةِ الَّتِي عَرَفْتُمُوهَا أَيُّ الْإِعْتِرَافِ بِعُلُوِّ -اللَّهِ تَعَالَى- تَارِكًا كُلَّ مَا دَرَسَ فِي حَيَاتِهِ.

يَرْجِعُ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِعُلُوِّ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- وَ أَنَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بَائِتٌ مِنْ خَلْقِهِ. هَذِهِ عَقِيدَةُ الْفِطْرَةِ وَ عَقِيدَةُ الْعَجَائِزِ وَ عَقِيدَةُ كُلِّ مَنْ بَقِيَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَ لَمْ يَجْلِسْ بَيْنَ يَدَيِ مُدَرِّسٍ أَشْعَرِيٍّ أَوْ مُعْتَزَلِيٍّ. هَكَذَا نَدِمُوا. هَؤُلَاءِ هُمُ النَّظَّارُ الَّذِينَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِقَوْلِهِ: وَقَدْ كَثُرَ مِنْ أَيْمَةِ النَّظَّارِ الَّذِينَ كَانُوا مَعْرُوفِينَ بِالْمِنَاطَرَةِ وَ الْجِدَالِ. كَثُرَ مِنْهُمْ الْإِضْطِرَابُ وَ التَّنَاقُضُ كَمَا سَمِعْتُمْ. فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ. فَتَارَةً يَقُولُ أَحَدُهُمُ الْقَوْلَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ. كَأَن يَقُولُ الْأَحْوَالُ لَيْسَتْ مَعْلُومَةٌ وَ لَيْسَتْ بَجَهْلَةٍ وَ لَيْسَتْ مَوْجُودَةٌ وَ لَيْسَتْ مَعْدُومَةٌ. لَا يُفْهَمُ هَذَا الْكَلَامُ. وَ يَحْكِي عَنِ النَّاسِ مَقَالَاتٍ مَا قَالُوهَا ظَنًّا وَ تَحْمِينًا. وَ تَارَةً يَبْقَى فِي شَكٍّ. فِي الشَّكِّ وَ التَّحْذِيرِ كَمَا سَمِعْتُمْ مِنَ الشَّهْرَسْتَانِي وَ الرَّازِي وَ الْجَوْنِي.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ: وَ قَدْ بَسَطْنَا مِنَ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ وَ مَا وَقَعَ مِنَ الْإِشْتِبَاهِ وَ الْعَلَطِ وَ الْحَيْرَةِ. وَ الْحَيْرَةُ فِيهَا لِأَيْمَةِ الْكَلَامِ وَ الْفَلَسَفَةِ مَا لَا تَتَّسِعُ لَهُ هَذِهِ الْجُمْلُ الْمُحْتَصِرَةُ. وَ بَيَّنَّا أَنَّ الصَّوَابَ هُوَ أَنَّ وُجُودَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْخَارِجِ هُوَ مَا هَيْئَتُهُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْخَارِجِ. أَيْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْوُجُودِ وَ بَيْنَ الْمَاهِيَةِ فِي الْخَارِجِ أَيْ فِي خَارِجِ الذَّهْنِ وَ إِنَّ كَانَتِ الْمَاهِيَةُ الَّتِي فِي الذَّهْنِ. تِلْكَ. مَعْنَى ظَنِّيٍّ أَوْ مَعْنَى ذِهْنِيٍّ وَ لَكِنْ وُجُودَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْخَارِجِ هُوَ مَا هَيْئَتُهُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْخَارِجِ. لَيْسَ وُجُودُ اللَّهِ فَقَطْ بَلْ وُجُودُ كُلِّ مَوْجُودٍ. بِخِلَافِ الْمَاهِيَةِ الَّتِي فِي الذَّهْنِ فَإِنَّهَا مُعَايَرَةٌ لِلْمَوْجُودِ فِي الْخَارِجِ لِأَنَّ الْمَوْجُودَ فِي الْخَارِجِ خَاصٌّ: مُحْتَصَصٌ. وَ الَّذِي فِي الذَّهْنِ عَامٌ. مَعْنَى عَامٌ لَيْسَ مُحْتَصَصًا بِمَوْجُودٍ مُعَيَّنٍ. لَا بِوَاجِبِ الْوُجُودِ وَ لَا بِجَائِزِ الْوُجُودِ. مَرَّةً أُخْرَى. وَ بَيَّنَّا أَنَّ الصَّوَابَ وَ أَنَّ وُجُودَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْخَارِجِ وَ مَا هَيْئَتُهُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْخَارِجِ. سَوَاءٌ كَانَ وُجُودَ وَاجِبِ الْوُجُودِ أَوْ وُجُودَ جَائِزِ الْوُجُودِ. بِخِلَافِ الْمَاهِيَةِ الَّتِي فِي الذَّهْنِ فَإِنَّهَا مُعَايَرَةٌ لِلْمَوْجُودِ فِي الْخَارِجِ لِأَنَّ الْمَوْجُودَ فِي الْخَارِجِ مُعَيَّنٌ وَ مُقَيَّدٌ وَ مُحْتَصَصٌ. أَمَّا الَّذِي فِي الذَّهْنِ لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الذَّهْنِ. وَ أَنَّ لَفْظَ الْوُجُودِ كَلَفِظِ الدَّاتِ وَ الشَّيْءِ وَ الْمَاهِيَةِ وَ الْحَقِيقَةِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ وَ هَذِهِ الْأَلْفَافُ كُلُّهَا مُتَوَاطِئَةٌ. وَ إِذَا قِيلَ إِنَّهَا مُشَكَّكَةٌ لِتَفَاضُلِ مَعَانِيهَا وَ الْمَشَكِّكُ نَوْعٌ مِنَ الْمُتَوَاطِئِ الْعَامِ الَّذِي يُرَاعَى فِيهِ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْقَدْرِ الْمِشْتَرَكِ. تَقَدَّمَ الْبَحْثُ. وَ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْمُتَوَاطِئِ وَ بَيْنَ الْمَشَكِّكِ. إِذَا كَانَتِ الْمَعَانِي مُتَسَاوِيَةً كإِطْلَاقِ الْإِنْسَانِ عَلَى زَيْدٍ وَ عَمَرٍ أَوْ رَجُلٍ عَلَى

زَيْدٍ وَ عَمْرٌ هَذَا مُتَوَاطِئٌ. وَ إِذَا كَانَ هُنَاكَ تَفَاوُتٌ يُسَمَّى مُتَشَكِّكٌ كإِطْلَاقِ النُّورِ عَلَى الشَّمْسِ وَ عَلَى الْفَتِيلَةِ مَثَلًا وَ السَّرَاجِ. مَا تَقَدَّمَ هَذِهِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتِ الطُّلَّابِ وَ مَا سَيَأْتِي مِنْ مَسْئُولِيَّاتِ الْمُدَرِّسِ. يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظُوا هَذَا. فَالْمُشَكِّكُ نَوْعٌ مِنَ الْمُتَوَاطِئِ الْعَامِ الَّذِي يُرَاعَى فِيهِ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ. سَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَى مُتَفَاضِلًا فِي مَوَارِدِهِ أَوْ مُتَمَاثِلًا. إِنْ كَانَ مُتَمَاثِلٌ فَهُوَ مُتَوَاطِئٌ. إِنْ كَانَ مُتَفَاضِلٌ فَهُوَ مُشَكِّكٌ. نَعَمْ .

القارئ: قَالَ رَحِمَهُ -الله تعالى- (وبيننا أن المعلوم شيء أيضًا في العلم والذهن، لا في الخارج، فلا فرق بين الثبوت والوجود، لكن الفرق ثابت بين الوجود العلمي والعيني، مع أن ما في العلم ليس هو الحقيقة الموجودة، ولكن هو العلم التابع للعالم القائم به ، وكذلك الأحوال التي تتمثل فيها الموجودات وتختلف، لها وجود في الأذهان، وليس في الأعيان إلا الأعيان الموجودة، وصفاتها القائمة بها المعينة، فتتشابه بذلك وتختلف به ، وأما هذه الجمل المختصة فإن المقصود بها التنبيه على جُمْلٍ مختصرة جامعة، من فهمها عِلْمٌ قدر نفعها، وانفتح له باب الهدى، وإمكان إغلاق باب الضلال، ثم بسطها وشرحها له مقام آخر، إذ لكل مقام مقال).

الشيخ: بَسَنَ , قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- وَ بَيَّنَّا أَنَّ الْمَعْدُومَ شَيْءٌ أَيْضًا فِي الْعِلْمِ وَ الدِّهْنِ. الْمَعْدُومُ أَيًّا كَانَ. لَوْ سُئِلْتُ: هَلِ الْمَعْدُومُ شَيْءٌ أَمْ لَا ؟ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ بِنَعَمْ أَوْ بِلَا , لَا بُدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ. الْمَعْدُومُ شَيْءٌ فِي الْعِلْمِ وَ الدِّهْنِ. وَ لَيْسَ بِشَيْءٍ فِي الْخَارِجِ. الْمَعْدُومُ لَيْسَ بِشَيْءٍ فِي الْخَارِجِ " فِي خَارِجِ الدِّهْنِ " إِذْ لَا وُجُودَ لَهُ. لِأَنَّ الَّذِي¹ فِي الْخَارِجِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُعَيَّنًا وَ مُقَيَّدًا وَ مُحْتَصًّا. وَ الْمَعْدُومُ لَا يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ. إِذَا الْمَعْدُومُ شَيْءٌ فِي الْعِلْمِ وَ الدِّهْنِ لَا فِي الْخَارِجِ. فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الثَّبُوتِ وَ الْوُجُودِ. الثَّبُوتُ وَ الْوُجُودُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

¹ كَأَنَّهُ انْقِطَاعٌ لِلصَّوْتِ بِالشَّرْطِ .

"إصطلاحات". هذا شَيْءٌ مَوْجُودٌ وَ هَذَا شَيْءٌ ثَابِتٌ. المعنى وَاحِدٌ , لَكِنَّ الْفَرْقَ ثَابِتٌ بَيْنَ الْوُجُودِ الْعِلْمِيِّ وَ الْوُجُودِ الْعَيْنِيِّ. الْوُجُودُ الْعِلْمِيُّ الَّذِي فِي الدَّهْنِ، وَ الْوُجُودُ الْعَيْنِيُّ الَّذِي فِي الْخَارِجِ الْمَعْيَنِ. مَعَ أَنَّ مَا فِي الْعِلْمِ لَيْسَ هُوَ الْحَقِيقَةُ الْمَوْجُودَةُ. الَّذِي فِي الْعِلْمِ أَيْ الَّذِي فِي الدَّهْنِ لَيْسَ هُوَ الْحَقِيقَةُ الْمَوْجُودَةُ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا وُجُودَ لَهُ أَصْلًا وَ لَكِنَّ هُوَ الْعِلْمُ التَّابِعُ لِلْعَالَمِ الْقَائِمِ بِهِ. وَ كَذَلِكَ الْأَحْوَالُ الَّتِي تَتِمَّائِلُ فِيهَا الْمَوْجُودَاتُ وَ تَخْتَلِفُ. أَشْرْنَا إِلَى الْأَحْوَالِ وَ مَنْ أَرَادَ الْبَسْطَ يَرْجِعُ إِلَى "دَرْءِ التَّعَارُضِ" وَ إِلَى "المَقَالَاتِ" "مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ" لِأَيِّ الْحَسَنِ وَ إِلَى "الْمَلَلِ وَ النَّحْلِ" هَذِهِ الَّتِي بَسَطْتُ الْأَحْوَالَ وَ أَنَّهَا مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ وَ أَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ طَفَرَةَ النِّظَامِ وَ كَسَبَ الْأَشْعَرِي وَ قَالُوا ثَلَاثَةً مِنَ مُسْتَحِيلَاتِ الْكَلَامِ لَا وُجُودَ لَهَا: كَسَبَ الْأَشْعَرِي وَ طَفَرَةَ النِّظَامِ وَ أَحْوَالَ أَبِي هَاشِمٍ. وَ لَيْسَ ذَلِكَ يَرْجِعُ طَالِبُ الْعِلْمِ إِلَى الْمَرَاكِعِ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللهُ تَعَالَى- وَ كَذَلِكَ الْأَحْوَالُ الَّتِي تَتِمَّائِلُ فِيهَا الْمَوْجُودَاتُ وَ تَخْتَلِفُ لَهَا وُجُودٌ فِي الْأَذْهَانِ وَ لَيْسَ فِي الْأَعْيَانِ إِلَّا الْأَعْيَانُ. إَعْتَبِرُوا هَذِهِ قَاعِدَةً: "لَيْسَ فِي الْأَعْيَانِ إِلَّا الْأَعْيَانُ الْمَوْجُودَةُ" كُلُّ مَا فِي الْأَعْيَانِ أَيْ فِي خَارِجِ الدَّهْنِ: أَعْيَانٌ مَوْجُودَةٌ مُحْتَصَّةٌ. وَ مَا فِي الدَّهْنِ لَيْسَ بِأَعْيَانٍ وَ لَكِنَّ مَعَانِي ثَابِتَةً فِي الْأَذْهَانِ. وَ الصِّفَاتُ وَ الْقَائِمَةُ بِهَا الْمَعْيَنَةُ حَتَّى تَتَشَابَهَ بِذَلِكَ وَ تَخْتَلِفُ. ثُمَّ يَقُولُ وَ أَمَّا هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمُخْتَصَرَةُ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا "التَّدْمِيرُ" وَ مَا فِي مَعْنَاهَا. وَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَا التَّنْبِيهُ عَلَى جُمْلٍ مُخْتَصَرَةٍ جَامِعَةٍ. مَنْ فَهَمَهَا عِلِمَ قَدَرُ نَفْعِهَا وَ انْفَتَحَ لَهُ بَابُ الْهُدَى. لِأَنَّ بِذَلِكَ تَزُولُ الشُّبْهَةُ. مُنْذُ بَدَأْنَا نَحْنُ فِي رَدِّ الشُّبْهِةِ. وَ بَيَانِ الشُّبْهَةِ كَيْفَ تُرَدُّ. لِذَلِكَ مِثْلُ هَذَا الْمُخْتَصَرِ وَ قَبْلَ ذَلِكَ "الْفَتْوَى الْحَمَوِيَّةُ". دِرَاسَةُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَوْ مَنْ فَتَحَ -اللهُ- عَلَيْهِ وَ فَهَمَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الشُّبْهِةِ وَ الشُّبْهَةُ كَثِيرَةٌ لِمَنْ يَنْظُرُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ . مَنْ فَهَمَهَا عِلِمَ قَدَرُ نَفْعِهَا وَ انْفَتَحَ لَهُ بَابُ الْهُدَى وَ إِمْكَانَ إِغْلَاقِ بَابِ الضَّلَالِ - يُمَكِّنُ ذَلِكَ ثُمَّ بَسَطُهَا وَ شَرَحَهَا لَهُ مَقَامٌ آخَرُ. إِذْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ.

الدرس رقم : 35

القارئ: قَالَ شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (والمقصود هنا أن الاعتماد على مثل هذه الحجة فيما يُنفى عن الرب، وينزّه عنه - كما يفعله كثير من المصنفين - خطأ لمن تدبر ذلك، وهذا من طرق النفي الباطلة).

فصل : وأفسد من ذلك ما يسلكه نفاة الصفات أو بعضها، إذا أرادوا أن ينزهوه عما يجب تنزيهه عنه مما هو من أعظم الكفر، مثل أن يريدوا تنزيهه عن الحزن والبكاء ونحو ذلك، ويريدون الرد على اليهود الذين يقولون: إنه بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة، والذين يقولون بإلهية بعض البشر، وأنه الله ، فإن كثيراً من الناس يحتج على هؤلاء بنفي التجسيم أو التحيز ونحو ذلك، ويقولون: لو اتصف بهذه النقائص والآفات لكان جسمًا أو متحيزًا، وذلك ممتنع ، وبسلوكهم مثل هذه الطريق استظهر عليهم الملاحدة، نفاة الأسماء والصفات، فإن هذه الطريق لا يحصل بها المقصود لوجوه:

أحدها - أن وصف الله -تعالى- بهذه النقائص والآفات أظهر فسادًا في العقل والدين من نفي التحيز والتجسيم، فإن هذا فيه من الاشتباه والنزاع والخفاء ما ليس في ذلك، وكُفر صاحب ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام، والدليل معرّف للمدلول، ومبين له، فلا يجوز أن يُستدل على الأظهر الأبين بالأخفى، كما لا يُفعل مثل ذلك في الحدود.

الوجه الثاني - أن هؤلاء الذين يصفونه بهذه الآفات يمكنهم أن يقولوا: نحن لا نقول بالتجسيم والتحيز، كما يقوله من يثبت الصفات وينفي التجسيم، فيصير نزاعهم مثلاً نزاع مثبتة صفات الكمال، فيصير كلام من وصف الله بصفات الكمال وصفات النقص واحداً، ويبقى رد النفاة على الطائفتين بطريق واحد، وهذا في غاية الفساد.

الثالث - أن هؤلاء ينفون صفات الكمال بمثل هذه الطريقة، واتصافه بصفات الكمال واجب، ثابت بالعقل والسمع، فيكون ذلك دليلاً على فساد هذه الطريقة.)

الشيخ: بَسْ , الحمد لله وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَ بَعْدُ , قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رحمه -الله تعالى- : وَ الْمُقْصُودُ هُنَا فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ أَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ . أَيُّ نَفْيِ صِفَاتِ الْكَمَالِ حَدَرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي التَّجْسِيمِ . هَذِهِ الْحُجَّةُ . وَ الْمُقْصُودُ هُنَا أَنَّ الْإِعْتِمَادَ أَيُّ إِعْتِمَادِ النُّفَاةِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ عَلَى نَفْيِ صِفَاتِ الْكَمَالِ حَدَرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي التَّجْسِيمِ . فِي مَا يُنْفَى عَنِ الرَّبِّ -سبحانه وَ تعالى- وَ يُنَزَّ عَنْهُ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْمُحْصِنِينَ . بَعْضُ الْمُحْصِنِينَ مِنَ النُّفَاةِ . النُّفَاةُ الَّذِينَ يَنْفُونَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ أَوْ النُّفَاةُ الَّذِينَ يَنْفُونَ بَعْضَ الصِّفَاتِ بِدَعْوَى التَّأْوِيلِ . أَنَّ ذَلِكَ خَطِئٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ ذَلِكَ وَ هَذَا مِنْ طُرُقِ النَّفْيِ الْبَاطِلَةِ . إِذَا كَانَ هَذَا مِنْ طُرُقِ النَّفْيِ الْبَاطِلَةِ مَا هِيَ الطَّرِيقَةُ الصَّحِيحَةُ فِي النَّفْيِ؟ نَفْيِ الْعَيْبِ وَ النَّقَائِصِ , فَإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَ نَفْيِ الْمِمَّاثِلَةِ . هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الصَّحِيحَةُ , نَفْيِ الْعَيْبِ وَ النَّقْصِ عَنِ الرَّبِّ -سبحانه وَ تعالى- وَ إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ ثُمَّ نَفْيِ الْمِمَّاثِلَةِ فِي مَا أُثْبِتَ . عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ -تعالى- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رحمه -الله تعالى- فِي الْإِحْتِجَاجِ عَلَى نَفْيِ النَّقَائِصِ بِنَفْيِ التَّجْسِيمِ أَوْ التَّحْيِيزِ . هَذَا أَمْرٌ لَا يُحْصَلُ الْمُقْصُودُ بِهِ . لِذَلِكَ قَالَ: وَ أَفْسَدُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَسْلُكُهُ نُفَاةُ الصِّفَاتِ أَوْ بَعْضُهَا . نُفَاةُ الصِّفَاتِ كُلِّهَا وَ هُمُ الْجَهْمِيَّةُ وَ الْمُعْتَرِلَةُ . أَوْ بَعْضُهَا وَ هُمُ الْأَشَاعِرَةُ . قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ لَيْسُوا مِنَ النُّفَاةِ بَلْ مِنَ الْمُؤَوَّلَةِ . الْجَوَابُ: إِنَّهُمْ مُؤَوَّلَةٌ فِي أَكْثَرِ الصِّفَاتِ وَ لَكِنَّهُمْ نُفَاةٌ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ . وَ مُثَبَّتَةٌ لِبَعْضِ الصِّفَاتِ . فِيهِمْ هَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا . الْأَشَاعِرَةُ مُثَبَّتَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِلصِّفَاتِ الْعُقْلِيَّةِ الَّتِي سَمَّوْهَا صِفَاتِ الْمَعَانِي وَ الصِّفَاتِ الْمُعْنَوِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ وَ الصِّفَةِ النَّفْسِيَّةِ . بِالنِّسْبَةِ لَهُذِهِ الصِّفَاتِ أَيُّ بِاعْتِبَارِ إِثْبَاتِهِمْ لَهُذِهِ الصِّفَاتِ يُقَالُ لَهُمْ "الْمُثَبَّتَةُ" . سَيَأْتِي فِي كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَسْمِيَّتُهُمْ مُثَبَّتَةً عِدَّةَ مَرَّاتٍ . وَ يُقَالُ لَهُمْ مُؤَوَّلَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِبَعْضِ الصِّفَاتِ الَّتِي أَوَّلُوهَا بِالْأَزْمَةِ كَالْعُضْبِ وَ الْمَحَبَّةِ وَ الرَّحْمَةِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ . لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَمْ يَتْرَكُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَ لَمْ يَنْفُوهَا نَفْيًا مُطْلَقًا وَ لَكِنْ فَسَّرُوهَا بِالْأَزْمَةِ . فَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ الصِّفَةَ وَ لَا زِمَهَا . لَا زِمَ الْعُضْبُ: الْإِنْتِقَامُ , لَا زِمَ الْمَحَبَّةُ: الْإِحْسَانُ , فَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ الصِّفَةَ وَ لَا زِمَهَا وَ هُمْ يُؤَوَّلُونَ الصِّفَةَ بِالْأَزْمَةِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ وَ

هُم مُؤَوَّلَةٌ. وَ أَمَّا بِالنَّسَبَةِ لِبَعْضِ الصِّفَاتِ فَهُمْ نُفَاةٌ وَ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ كَنَفِيهِمْ صِفَةً كَلَامٍ -
 اللَّهُ تَعَالَى - "الْكَلَامُ اللَّفْظِي" . وَ نَفِيهِمْ لِعُلُوِّ -اللَّهُ تَعَالَى- فَوْقَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ وَ نَفِيهِمْ
 لِإِسْتَوَاءِ -اللَّهُ تَعَالَى- عَلَى عَرْشِهِ. فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ يُعْتَبَرُونَ نُفَاةً , إِذَا أَرَادُوا جَمِيعًا "نُفَاةُ
 الصِّفَاتِ". إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُنَزِّهُوا رَبَّ الْعَالَمِينَ عَمَّا يَجِبُ تَنْزِيهُهُ عَنْهُ بِمَا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرِ
 مِثْلُ أَنْ يُرِيدُوا تَنْزِيْهُهُ عَنِ الْحُزْنِ وَ الْبُكَاءِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ كَاللُّغُوبِ وَ الْإِسْتِرَاحَةِ كَمَا قَالُوا: وَ
 يُرِيدُونَ الرَّدَّ عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُ بَكَى عَلَى الطَّوْفَانِ. عَلَى طُوفَانِ نُوحٍ حَتَّى رَمَدَتْ
 عَيْنَاهُ وَ عَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ!! -سبحانَ الله- !! هَكَذَا مِنْ فَقْدِ الْحَيَاءِ . إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ
 مَا شِئْتَ. لَا يُسْتَعْرَبُ مِنَ الْيَهُودِ لَأَنَّهُمْ كُفَّارٌ. لَا ذَنْبَ بَعْدَ الْكُفْرِ , وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِإِلَهِيَّةِ
 بَعْضِ الْبَشَرِ كَالنَّصَارَى الَّذِينَ زَعَمُوا إِلَهِيَّةَ عِيسَى وَ كَعَلَاةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ زَعَمُوا إِلَهِيَّةَ عَلِيِّ
 رَضِيِّ -اللَّهُ- عَنْهُ وَ أَنَّهُ اللَّهُ. فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَحْتَجُّ عَلَى هَؤُلَاءِ. عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقْعُونَ
 فِي هَذَا الْكُفْرِ بِنَفْيِ التَّجْسِيمِ أَوْ التَّحْيِيزِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ كَالْتَرَكِيبِ وَ التَّشْبِيهِ وَ التَّمْثِيلِ. وَ
 يَقُولُونَ لَوْ أَنَّصَفَ بِهَذِهِ النَّقَائِصِ كَالْحُزْنِ وَ الْبُكَاءِ وَ الْآفَاتِ لَكَانَ جِسْمًا أَوْ مُتَحَيِّرًا وَ ذَلِكَ
 مُمْتَنِعٌ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مِنْ أَسْلُوبِ الْمُنَاقَشَةِ وَ الْأَحْذِ وَ الرَّدِّ إِلَّا الْجِسْمَ وَ التَّحْيِيزَ وَ التَّرَكِيبَ وَ
 التَّشْبِيهِ وَ التَّمْثِيلِ. كَأَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ مُسَجَّلَةٌ عِنْدَهُمْ. كَيْفَ يُنَاقِشُونَ الْكُفَّارَ بِمِثْلِ هَذِهِ
 الْأَسَالِيبِ وَ هَذَا الْأَسْلُوبِ مُمَكِّنٌ أَنْ يُنَاقَشَ بِهِ الْمُجْتَبَةِ كَمَا تَعَوَّدُوا. لَكِنْ بِالنَّسَبَةِ لِمَنْ كَفَرَ
 الْكُفْرَ الْبَوَاحَ وَ هُمْ مِنْ قَبْلُ كُفَّارٌ وَ أَسَاؤُوا هَذِهِ الْإِسَاءَةَ فَوَصَفُوا رَبَّ الْعَالَمِينَ بِالْبُكَاءِ وَ
 الْحُزْنِ. مَا وَجَدْتُمْ لَهُمْ جَوَابًا إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ يُوقِعُهُمْ فِي التَّجْسِيمِ وَ التَّحْيِيزِ. أَمْرٌ غَرِيبٌ!! وَ لِذَلِكَ
 يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَ يَسْأَلُوكِهِمْ مِثْلَ هَذِهِ الطَّرِيقِ اسْتَظْهَرَ عَلَيْهِمُ الْمَلَا حِدَةَ فَعَلَبُواهُمْ فَضَحِكُوا
 عَلَيْهِمْ. نُفَاةُ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ هُمْ الْجَهْمِيَّةُ وَ الْفَلَسِيفَةُ. فَإِنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَ لَا يَخْصُلُ بِهَا
 الْمَقْصُودُ. الْمَقْصُودُ الَّذِي هُوَ التَّنْزِيْهُ لَا يَخْصُلُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. أَيْ مُنَاقَشَةِ مَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ
 بِإِثْبَاتِ مِثْلِ هَذِهِ الْعُيُوبِ وَ الْآفَاتِ. مُنَاقَشَتُهُمْ بِنَفْيِ التَّجْسِيمِ وَ التَّحْيِيزِ. لَا يَخْصُلُ بِهِ
 الْمَقْصُودُ أَبَدًا لِلْوُجُوهِ الْآتِيَةِ:

الوجه الأول: أَنَّ وَصَفَ -اللَّهُ تَعَالَى- بِهَذِهِ النَّقَائِصِ وَ الْآفَاتِ كَالْحُزْنِ وَ الْبُكَاءِ أَظْهَرَ

فَسَادًا فِي الْعَقْلِ وَ الدِّينِ. كُلُّ مَنْ لَدَيْهِ عَقْلٌ سَلِيمٌ وَ مَنْ لَدَيْهِ الدِّينُ يُدْرِكُ أَنَّ هَذَا وَصَفٌ بَاطِلٌ. أَظْهَرَ فَسَادًا فِي الْعَقْلِ وَ الدِّينِ مِنْ نَفْيِ التَّحْيِزِ وَ التَّجْسِيمِ. فَإِنَّ هَذَا أَيْ نَفْيِ التَّحْيِزِ وَ التَّجْسِيمِ فِيهِ مِنَ الْإِشْتِبَاهِ وَ النَّزَاعِ وَ الْحَقَاءِ مَا لَيْسَ فِي ذَلِكَ. مَا لَيْسَ فِي وَصْفِهِ بِالْحُزْنِ وَ الْبُكَاءِ. وَ كُفْرٌ صَاحِبِ ذَلِكَ: الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِالنَّقَائِصِ مَعْلُومٌ بِالصَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ. هُوَ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ. الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعُهُ عَنْ نَفْسِكَ لَوْ حَاوَلْتَ. لَوْ حَاوَلَ الْإِنْسَانُ كُلُّ الْمَحَاوَلَةِ لِيُرَدَّ عَنْ نَفْسِهِ مَعْرِفَةً كَوْنِ هَذَا كُفْرًا وَ الْخَادِ. لَنْ يَسْتَطِيعَ , هَذَا مَعْنَى الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ. وَ الدَّلِيلُ عَادَةً مُعَرَّفٌ لِلْمَذْلُومِ وَ مُبَيَّنٌّ لَهُ. وَ هَلْ نَفْيِ التَّجْسِيمِ وَ نَفْيِ التَّحْيِزِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْعَيْبِ وَ نَفْيِ الْحُزْنِ وَ الْبُكَاءِ؟ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ عَلَى الْأَظْهَرِ الَّذِي هُوَ الْكُفْرُ. كُفْرُ الْيَهُودِ حَيْثُ وَصَفُوا -اللهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- بِالْحُزْنِ وَ الْبُكَاءِ. لَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَظْهَرِ الْأَبْيَنِّ بِالْأَخْفَى , الْأَخْفَى: "التَّحْيِزُ وَ التَّجْسِيمُ" , لَا يُسْتَدَلُّ بِنَفْيِ التَّحْيِزِ وَ التَّجْسِيمِ عَلَى مَا هُوَ أَظْهَرُ وَ أَبْيَنُ كُفْرًا وَ هُوَ وَصَفُ -اللهِ تَعَالَى- بِالْحُزْنِ وَ الْبُكَاءِ. كَمَا لَا يُفْعَلُ مِثْلُ ذَلِكَ بِالْحُدُودِ. الْحُدُودُ دَائِمًا وَ التَّعْرِيفَاتُ هِيَ ثُبُتُ الْأُمُورِ. إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعَرِّفَ الْعِبَادَةَ: إِسْمٌ جَامِعٌ لِمَا يُحِبُّهُ -اللهُ- وَ يَرْضَاهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ وَ الْبَاطِنَةِ. مِنَ الْأَفْعَالِ وَ الْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَ الْبَاطِنَةِ. وَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعَرِّفَ الْكَلَامَ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ تَقُولُ: الْكَلَامُ هُوَ اللَّفْظُ الْمَرْكَبُ الْمَفِيدُ بِالْوَضْعِ أَوْ كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَأَسْتَقِمُّ. هَكَذَا بِهِدِ الْحُدُودِ تُوضَّحُ وَ تُعَرَّفُ مَا تُرِيدُ تَعْرِيفَهُ. وَ أَمَّا كَوْنُكَ تَسْتَدِلُّ وَ ثُبُتُ بُطْلَانٍ مَنْ يَصِفُ اللهُ بِالْحُزْنِ وَ الْبُكَاءِ. ثُبُتُ بُطْلَانَهُ بِنَفْيِ التَّحْيِزِ وَ التَّجْسِيمِ. هَذَا أَمْرٌ غَيْرُ لَائِقٍ عَقْلًا. وَ بِهِدِ الْمُنَاسَبَةِ تَعْرِيفَاتُ النُّحَاةِ لِـ "الْكَلَامِ" بِأَنَّهُ اللَّفْظُ الْمَرْكَبُ الْمَفِيدُ بِالْوَضْعِ عَلَى اخْتِلَافِ تَعْبِيرَاتِهِمْ فِيهِ رَدٌّ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ. مَا وَجْهُ ذَلِكَ؟ مَنْ يُدْرِكُ؟

الطَّالِبُ:

الشيخ: فِيهِ رَدٌّ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ فِي صِفَةِ الْكَلَامِ . آه

الطالب: ... اللفظ.....

الشيخ: أي نعم , الكلام هو اللفظ , اللفظ الملقوظ و المنطوق. حديث النفس ليس بكلام . لا بالتعريف اللغوي و لا شرعاً. لذلك هنا الأشاعرة إبتدعوا بدعة غلبوا بها حتى المعتزلة لأن المعتزلة لم يثبتوا الكلام النفسي و لكنهم وقفوا عند باطلهم بأن معنى كون -الله تعالى- متكلّم: خالق للكلام , لم يريدوا على هذا , شاركت الاشاعرة المعتزلة في هذا و زادوا إثبات الكلام النفسي و هو باطل .

الوجه الثاني: أن هؤلاء الذين يصفونه بهذه الآفات كالحزن و البكاء يمكنهم أن يقولوا للنفاة نحن لا نقول بالتجسيم و التحيز. نصفه بهذه النقائص لكننا لا نقول بالتجسيم و التحيز كما يقول من ثبت الصفات و ينفي التجسيم. فيصير نزاعهم مثل نزاع مثبتة صفات الكمال. من ثبت صفات الكمال يقول للنفاة: نحن ثبت صفات الكمال كالسمع و البصر و النزول و المجيء و مع ذلك ننفي التجسيم و التحيز. لا نقول بالتحيز و التجسيم. على هذا يصير نزاعهم. نزاع النفاة مع هؤلاء الذين يصفون الله بالنقائص مثل نزاع مثبتة صفات الكمال. كما ينازعون مثبتة صفات الكمال في إثباتهم صفات الكمال. يقولون لهم إثباتكم للسمع و البصر و المجيء و النزول مثلاً يؤدي إلى التجسيم. كذلك يقولون لليهود قولكم إنه موصوف بالحزن و البكاء يؤدي إلى التجسيم. ما أفسد هذا النزاع , فيصير كلام من وصف الله بصفات الكمال و هم المبتتة و صفات النقص و هم اليهود واحداً عندهم. أي عند النفاة! , و يبقى بعد ذلك رد النفاة على الطائفتين. طالما خاطبواهم: واحد . يبقى رد النفاة على الطائفتين. على مثبتة الصفات و على الذين وصفوا -الله تعالى- بالنقائص بطريق واحد. و هذا في غاية الفساد كما ترون. واضح ؟ .

الثالث: أن هؤلاء ينفون صفات الكمال بمثل هذه الطريقة. أن هؤلاء النفاة ينفون صفات الكمال بمثل هذه الطريقة بدعوى التجسيم و التحيز. و اتصافه تعالى بصفات

الكمال واجب شرعاً و عقلاً و ثابت بالعقل و السمع. المفروض بالسمع و العقل لكن الواو لا تقتضي الترتيب. الأصل السمع و العقل تابع. فيكون ذلك دليلاً على فساد هذه الطريقة. أي إنهم ينقون صفات الكمال الثابتة بالأدلة السمعية و الدليل العقلي. ينقون بهذه الطريقة بدعوى أن إثباتها يؤدي إلى التجسيم و إلى التحيز و هذا باطل لأن نفي ما ثبت بالسمع و العقل. بهذه الطريقة السقيمة باطل. نعم .

القارئ: ثم قال رحمه الله تعالى - (الرابع - أن سالكي هذه الطريقة متناقضون، فكل من أثبت شيئاً منهم ألزمه الآخر بما يوافقه فيه من الإثبات، كما أن كل من نفى شيئاً منهم ألزمه الآخر بما يوافقه فيه من النفي، فمثبتة الصفات كالحياة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، إذا قالت لهم النفاة كالمعتزلة: هذا تجسيم، لأن هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلا بالجسم، فإننا لا نعرف موصوفاً بالصفات إلا جسمًا - قالت لهم المثبتة: وأنتم قد قلتم: إنه حي عليم قدير، وقلتم: ليس بجسم، وأنتم لا تعلمون موجوداً حياً عالماً قادراً إلا جسمًا، فقد أثبتموه على خلاف ما علمتم، فكذلك نحن، فقالوا لهم: أنتم أثبتتم حياً عالماً قادراً، بلا حياة ولا علم ولا قدرة، وهذا تناقض يُعلم بضرورة العقل، ثم هؤلاء المثبتة إذا قالوا لمن أثبت أنه يرضى ويغضب ويحب ويغض، أو من وصفه بالاستواء والنزول والإتيان والمجيء، أو بالوجه واليد ونحو ذلك - إذا قالوا: هذا يقتضي التجسيم، لأننا لا نعرف ما يوصف بذلك إلا ما هو جسم، قالت لهم المثبتة: فأنتم قد وصفتموه بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام، وهذا هكذا، فإن كان هذا لا يوصف به إلا الجسم فالآخر كذلك، وإن أمكن أن يوصف بأحدهما ما ليس بجسم فالآخر كذلك، فالتفريق بينهما تفريق بين المتماثلين، ولهذا لما كان الرد على من وصف الله تعالى - بالنقائص بهذه الطريق طريقاً فاسداً - لم يسلكه أحد من السلف والأئمة، فلم ينطق أحد منهم في حق الله تعالى بالجسم لا نفياً ولا إثباتاً، ولا بالجوهر والتحيز ونحو ذلك؛ لأنها عبارات مجملة لا تحقق حقاً ولا تبطل باطلاً، ولهذا لم يذكر الله في كتابه فيما أنكره على اليهود وغيرهم من الكفار، ما هو من هذا

النوع، بل هذا هو من الكلام المبتدع، الذي أنكره السلف والأئمة.)

الشيخ: قَالَ شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- الوجه الرابع أَنَّ سَالِكِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَهُمْ النَّفَاةُ. سَوَاءٌ كَانُوا كَمَا قُلْنَا نَفَاهًا لِجَمِيعِ الصِّفَاتِ أَوْ لِبَعْضِهَا مُتَنَاقِضُونَ . فَيَبْدَأُ الْحِوَارُ الْآنَ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ وَ بَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ. فَكُلُّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنْهُمْ مِنَ النَّفَاةِ. أَلْزَمَهُ الْآخَرُ لَدِي لَا يُثْبِتُ ذَلِكَ الشَّيْءَ بِمَا يُؤَافِقُهُ فِيهِ مِنَ الْإِتْبَاتِ. كَمَا أَنَّ كُلَّ مَنْ نَفَى شَيْئًا مِنْهُمْ أَلْزَمَهُ الْآخَرُ بِمَا يُؤَافِقُهُ فِيهِ مِنَ النَّفْيِ. الْأُمْتِلَةُ: فَمُثِبَةُ الصِّفَاتِ. أَكْتُبُ عِنْدَكَ أَيُّ "الْأَشَاعِرَةِ". فَمُثِبَةُ الصِّفَاتِ أَيُّ الْأَشَاعِرَةِ. كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ. وَ "الْكَلَامُ" بِالْجُمْلَةِ كَمَا تَعْلَمُونَ التَّفْصِيلَ لِأَنَّهُمْ اسْتَعْمَلُوا أَسْلُوبًا أَشْبَهَ مَا يَكُونُ كَمَا يَقُولُونَ "أَسْلُوبُ دِبلوماسي" بِصِفَةِ الْكَلَامِ. يُطْلَقُونَ الْكَلَامَ لِيُوهِمُوا النَّاسَ بِأَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ صِفَةَ الْكَلَامِ وَ فِي وَاقِعِهِمْ لَا يُثْبِتُونَ الْكَلَامَ الْحَقِيقِي وَ لَكِنْ يُثْبِتُونَ الْكَلَامَ النَّفْسِي. وَ أَهْلُ السُّنَّةِ لَا يُشَارِكُونَهُمْ فِي ذَلِكَ وَ لَا الْمُعْتَزِلَةُ يُشَارِكُونَهُمْ فِي ذَلِكَ وَ هُمْ "بَيْنَ بَيْنَ" أَيُّ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ بَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ. إِذَا قَالَتْ لَهُمُ النَّفَاةُ كَالْمُعْتَزِلَةِ. -صَرَخَ هُنَا-. إِذَا قَالَتْ الْمُعْتَزِلَةُ لِلْأَشَاعِرَةِ هَذَا تَجْسِيمٌ , إِبْتِائُكُمْ لِلْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ إِلَى آخِرِهِ تَجْسِيمٌ , لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ: الْعِلْمُ وَالْحَيَاةُ وَالْقُدْرَةُ وَ الْكَلَامُ أَعْرَاضٌ , وَ الْعَرَضُ مَا يَقُومُ بِغَيْرِهِ وَ لَا يَتَحَقَّقُ وُجُودُهُ إِلَّا بِوَاسِطَةِ غَيْرِهِ. هَذَا هُوَ الْعَرَضُ , هُمْ يُسَمُّونَ الصِّفَاتِ "أَعْرَاضٌ" , وَ الْعَرَضُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالْجِسْمِ. فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ مَوْصُوفًا بِالصِّفَاتِ إِلَّا الْجِسْمَ. يَقُولُ الْمُعْتَزِلِي لِلْأَشْعَرِيِّ إِنَّنَا لَا نَعْرِفُ مَوْصُوفًا بِالصِّفَاتِ إِلَّا جِسْمًا. فَإِذَا وَصَفْتُمُ اللَّهَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ جَعَلْتُمُوهُ جِسْمًا. قَالَتْ لَهُمُ الْمُثَبِّتَةُ وَ هُمْ الْأَشَاعِرَةُ. وَ أَنْتُمْ أَتَيْتُمُ الْمُعْتَزِلَةَ قَدْ قُلْتُمْ إِنَّهُ حَيٌّ بِلَا حَيَاةٍ. عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ. قَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ. وَ قُلْتُمْ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَوْجُودًا حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا إِلَّا جِسْمًا أَيْضًا كَمَا قُلْتُمْ فِي حَقِّهَا. فَقَدْ أَثْبَتْتُمُوهُ عَلَى خِلَافِ مَا عَلِمْتُمْ. أَثْبَتْتُمْ مَوْصُوفًا بِالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ عَلَى خِلَافِ مَا عَلِمْتُمْ لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ إِلَّا جِسْمًا فَكَذَلِكَ نَحْنُ. أَيُّ نَشْتَرِكُ مَعَكُمْ فِي هَذَا التَّنَاقُضِ. وَ قَالُوا لَهُمْ. قَالَتْ الْأَشَاعِرَةُ لِلْمُعْتَزِلَةِ أَنْتُمْ أَثْبَتْتُمْ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا بِلَا حَيَاةٍ وَ لَا عِلْمٍ وَ لَا قُدْرَةٍ وَ هَذَا

تَنَافُضٌ مِنْكُمْ. هُنَا اسْتَظْهَرَتِ الْأَشَاعِرَةُ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ. أَنْتُمْ أَنْبِئْتُمْ أَيُّهَا الْمُعْتَزَلَةُ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا
بِلَا حَيَاةٍ وَ لَا عِلْمٍ وَ لَا قُدْرَةٍ. لِأَنَّهُمْ خَالَفُوا فِي هَذَا. الْأَشَاعِرَةُ كَمَا تَعْلَمُونَ وَافَقُوا أَهْلَ
السُّنَّةِ هُنَا. أَنْبِئُوا الْإِسْمَ وَ الصِّفَةَ مَعًا. وَ الْمُعْتَزَلَةُ نَفَوُ الصِّفَاتِ وَ أَنْبِئُوا الْأَسْمَاءَ وَ هَذَا تَنَافُضٌ
يُعْلَمُ بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ. هَكَذَا بَجَدَ شُبُهًا كَمَا قَالَ الْخَطَّابِيُّ "شُبُهَةٌ تَهَافُتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا
وَ كُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ" , هَذَا الْبَيِّنُ يَصْدُقُ عَلَى هَذَا الْحِوَارِ الَّذِي سَمِعْتُمْ الْآنَ .

ثُمَّ هَؤُلَاءِ الْمُشَبَّهَةُ أَيُّ الْأَشَاعِرَةِ. إِذَا قَالُوا لِمَنْ أَثَبَّتَ أَيُّ لِلْمُشَبَّهَةِ الْحَقِيقِيِّينَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ
جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ. ثُمَّ هَؤُلَاءِ الْمُشَبَّهَةُ لِبَعْضِ الصِّفَاتِ وَ هُمْ
الْأَشَاعِرَةُ إِذَا قَالُوا لِمَنْ أَثَبَّتَ أَنَّهُ -تَعَالَى- يَرْضَى وَ يَعْضَبُ وَ يُحِبُّ وَ يُبْغِضُ أَوْ مَنْ وَصَفَهُ
بِالْإِسْتِوَاءِ وَ النَّزُولِ وَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ أَيْضًا. لِذَلِكَ هَذَا الْعَطْفُ لَيْسَ بِوَاضِحٍ. إِذَا قَالُوا لِمَنْ
أَثَبَّتَ أَنَّهُ يَرْضَى وَ يَعْضَبُ وَ يُحِبُّ وَ يُبْغِضُ وَ يُثَبِّتُ إِسْتِوَاءَهُ وَ نُزُولَهُ وَ الْإِثْيَانَ وَ الْمَجِيئَ. لَوْ
عَطَفَ هَكَذَا بِدُونِ "أَوْ مَنْ يَصِفُهُ" لَكَانَ أَوَّلَى , لِأَنَّهُمْ هُمْ جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَ
الْجَمَاعَةِ لِأَنَّ "أَوْ". التَّعْيِيرُ بِأَوْ يُفِيدُ بِأَنَّ هَذِهِ جَمَاعَةٌ وَ تِلْكَ جَمَاعَةٌ وَ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. وَ مَنْ
يَصِفُهُ بِالْإِسْتِوَاءِ وَ النَّزُولِ وَ الْإِثْيَانِ وَ الْمَجِيئِ أَوْ بِالْوَجْهِ وَ الْيَدِ وَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ
الَّذِينَ نَهَجُوا مِنْهَجَ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ. إِذَا قَالُوا هَذَا يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ. إِنْثَابُكُمْ
لِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ. هَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا خَبَرِيَّةٌ. الَّتِي ذَكَرُوا الْآنَ وَ خَالَفَتِ الْأَشَاعِرَةُ فِيهَا
أَهْلَ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ كُلُّهَا خَبَرِيَّةٌ سَوَاءٌ كَانَتْ فِعْلِيَّةً أَوْ ذَاتِيَّةً. الذَّاتِيَّةُ كَالْوَجْهِ وَ الْيَدِ. "صِفَاتُ
ذَاتِيَّةٌ" , وَ الْبَاقِي كُلُّهَا صِفَاتُ فِعْلِيَّةٍ. إِذَا قَالُوا هَذَا يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ لِأَنَّا لَا نَعْرِفُ مَا
يُوصَفُ بِذَلِكَ أَيُّ بِالْعَضَبِ وَ الْمَحَبَّةِ وَ الرِّضَى إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ. قَالَتْ هُمْ الْمُشَبَّهَةُ. هُنَا الْمُشَبَّهَةُ
أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ. قَالَتْ هُمْ الْمُشَبَّهَةُ لِجَمِيعِ الصِّفَاتِ وَ الْأَسْمَاءِ وَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَ
الْجَمَاعَةِ. فَأَنْتُمْ قَدْ وَصَفْتُمُوهُ أَيُّهَا الْأَشَاعِرَةُ بِالْحَيَاةِ وَ الْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ
الْكَلَامِ وَ فِي الْكَلَامِ كَلَامٌ كَمَا تَقَدَّمَ. وَ هَذَا هَكَذَا , لَا فَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَ ذَاكَ , مَا ثَبَتَ
لِأَهْلِ الْمُثَلِّينَ ثَبَتَ لِلْآخَرِ. فَإِنْ كَانَ هَذَا لَا يُوصَفُ بِهِ. إِنْ كَانَ هَذَا أَيُّ مَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ
الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ لَا يُوصَفُ بِهِ إِلَّا الْجِسْمُ فَالْآخَرُ كَذَلِكَ أَيُّ مَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ الصِّفَاتِ

العقلية. و إن أمكن أن يوصف بأحدهما ما ليس بجسم فالآخر كذلك. فالتفريق بينهما تفريق بين المتماثلين كما قيل "ما ثبت لأحد المتماثلين ثبت للآخر". و التفريق بين ما جمع الله - سبحانه و تعالى - في كتابه و ما جمعه رسولُه عليه الصلاة و السلام في سنته. التفريق بينهما بالعقل. بأن يثبت البعض و ينفي البعض الآخر إفتيات على الشارع و جزأه جريئة على كتاب - الله تعالى - و سنة رسولِه عليه الصلاة و السلام .

يقول شيخ الإسلام و لهذا لما كان الرد على من وصف - الله تعالى - بالنقائص كالحزن و العيب. كالحزن و البكاء. بهذه الطريق طريقاً فاسداً. عقوا. لما كان الرد على من وصف - الله تعالى - بالنقائص بنفي التجسيم و التحيز. لما كان الرد على من وصف - الله تعالى - بالنقائص بهذه الطريق أي بدعوى نفي التحيز و التجسيم طريقاً فاسداً لما كان الأمر كذلك لم يسئل أحد من السلف و الأئمة. كثيراً ما يعطف شيخ الإسلام. يعطف شيخ الإسلام الأئمة على السلف غالباً كما لاحظتم. لم يسئل أحد من السلف. يفسر السلف هنا بالصحابة. و الإمامة. الأئمة الأربعة و من في طبقتهم. لأن من الأئمة الأربعة من هو تابعي و هو الإمام أبو حنيفة و الآخرون من تابعي التابعين. كلهم متفقون على هذا المسلك و على هذا المنهج و مع الصحابة. أي إجماع بين الصحابة و التابعين و تابعي التابعين مع وجود الأدلة السمعية و العقل السليم و الفطرة السليمة. لا يوجد شيء أكد من هذا و أثبت. صفات ثبتت بكتاب الله و بالسنة الصحيحة و بإجماع الصحابة و إجماع التابعين و علماء تابعي التابعين , و ثبتت هذه الصفات بالعقل السليم و الفطرة السليمة. نفي ما ثبت بهذه الأدلة. بهذه الدرجة أو تأويلها إنما يعتبر إفتيائاً على الشارع و جزأه على - الله - و على رسولِه عليه الصلاة و السلام و مخالفة لسبيل المؤمنين.

قال الشيخ رحمه - الله تعالى - لم يسئل أحد من السلف و الإمامة. فلم ينطق أحد منهم قط في حق - الله تعالى - بالجسم لا نفياً و لا إثباتاً. لا يقولون بأن - الله - جسم أو إن الله ليس بجسم. بل لا يتلفظون بهذه الكلمة مع ذكر - الله تعالى - حياء منه و تعظيماً لرَبِّ العالمين و ذلك من قوة إيمانهم , و لا بالجوهر و لا التحيز. الجسم و الجوهر تقريباً

مُتَقَارِب. أَيُّ مَا يُشَارُ إِلَيْهِ أَوْ مَا هُوَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ. وَ التَّحْيِيزُ. كُلُّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ كَمَا سَيَأْتِي فِيهَا إِجْمَالٌ. وَ هَذَا الْإِجْمَالُ سَبَقَ بَيَانُهُ وَ سَيَأْتِي مَرَّةً أُخْرَى أَيْضًا. لِأَنَّهَا عِبَارَاتٌ مُجْمَلَةٌ. الْجِسْمُ وَ الْجَوْهَرُ وَ التَّحْيِيزُ وَ الْعَرَضُ كُلُّهَا عِبَارَاتٌ مُجْمَلَةٌ لَا تُحَقِّقُ حَقًّا وَ لَا تُبْطِلُ بَاطِلًا. إِذَا لَا تُسْتَعْمَلُ فِي حَقِّ -الله تعالى- إِنَّمَا يُكْتَفَى بِالْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ فِي حَقِّ -الله تعالى- يَجِبُ الْإِكْتِفَاءُ بِالْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ. وَ لِهَذَا لَمْ يَذْكُرِ -الله سبحانه و تعالى- فِي كِتَابِهِ فِي مَا أَنْكَرَهُ عَلَى الْيَهُودِ وَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ مَا هُوَ مِنْ هَذَا النَّوعِ أَيُّ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْدَثَةِ. بَلْ هَذَا هُوَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُتَدَعِ الَّذِي أَنْكَرَهُ السَّلَفُ وَ الْأَئِمَّةُ. أَنْكَرَهُ السَّلَفُ وَ الْأَئِمَّةُ كَمَا تَقَدَّمَ. هَذَا هُوَ الْحَقُّ , فَتَسْأَلُ -الله تعالى- أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى هَذَا الْحَقِّ وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ .

لَدَيْ سَوْأَلٍ مُهِمٍّ جَدًّا وَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ شُبْهَةٍ أَرَى الْإِجَابَةَ عَلَيْهِ بِتَوْفِيقِ -الله تعالى- وَ هُوَ سَأَلَنِي سَائِلٌ قَبْلَ أَيَّامٍ. أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَأَخَّرَ الْجَوَابُ إِلَى هَذِهِ الْجُلُوسَةِ. يَقُولُ بَعْضُ مَنْ يُلْقِي الشُّبْهَةَ عَلَى الشُّبَابِ: مَاذَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ -تعالى- (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) , وَ شَرَحَ صَاحِبُ الشُّبْهَةِ مُرَادَهُ أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِثْبَاتٌ بِأَنَّ الَّذِي يَبْقَى الْوَجْهَ فَقَطْ !. كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ بِمَا فِي ذَلِكَ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ وَ جَمِيعِ صِفَاتِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- إِلَّا الْوَجْهَ !. الْوَجْهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَبْقَى !. الَّذِي يَظْهَرُ إِنَّ صَاحِبَ الشُّبْهَةِ إِذَا إِنْسَانٌ يَسْخَرُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى تَقْدِيرٍ لِعَظَمَةِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- وَ وُجُودِهِ الْحَقِّ لِذَلِكَ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ هَالِكٌ وَ جَمِيعُ الصِّفَاتِ إِلَّا الْوَجْهَ. وَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَقْلِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ لَوْ قَالَ قَائِلٌ "يَبْقَى وَجْهَ اللَّهِ". سَمِعَ هَذَا الْإِنْسَانُ هَذَا الْجَوَابَ أَوْ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ عَلَى الْفِطْرَةِ. لَمْ تَلَوْتُ فِطْرَتُهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ وَ سَمِعَ "الْبَاقِي وَجْهَ اللَّهِ". مَاذَا يَفْهَمُ؟ أَنَّ الْبَاقِي هُوَ اللَّهُ بِوَجْهِهِ وَ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ. لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَبَادَرَ إِلَى ذِهْنٍ عَاقِلٍ مُؤْمِنٍ وَ سَلِيمٍ الْعَقْلُ بِأَنَّ الْوَجْهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَبْقَى -الله غيرُ بَاقٍ وَ جَمِيعُ صِفَاتِهِ- , فَإِذَا كَانَ أُبْتُلِيتَ بِمِثْلِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ. اِعْتَبِرْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَ تَحُلْ هَذِهِ الْمَشْكَلَةَ بِالْكَلامِ الْمُفَسَّرِ الْمَيَّنِّ الَّذِي لَا لَبْسَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ -سبحانه و تعالى- "هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ

شَيْءٌ وَهُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَهُوَ الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ".¹ مِنْ أَسْمَائِهِ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ. وَ مِنْ أَسْمَائِهِ -سبحانه و تعالى- الباقي. الوارث الباقي. البقاء وَصَفَ ذَاتِي
لِلَّهِ -سبحانه و تعالى- بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ. لَيْسَ هُنَاكَ بَاقٍ غَيْرُ اللَّهِ. إِلَّا مَا يُبْقِيهِ -الله
سبحانه و تعالى- إِبْقَاءًا غَيْرَ ذَاتِي. فَبَقَاءُ اللَّهِ -تعالى- ذَاتِي ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ
الْإِجْمَاعِ وَ الْفِطْرَةِ. فَبَقَاءُ غَيْرِهِ كَالْجَنَّةِ وَ أَهْلِهَا وَ النَّارِ وَ أَهْلِهَا بَقَاءٌ عَارِضٌ جَائِزٌ غَيْرٌ وَاجِبٌ
أَيُّ يَبْقَى ذَلِكَ بِإِبْقَاءِ -الله تعالى-. عَلَى هَذَا اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ وَ فُطِرَتِ النَّاسُ عَلَى اعْتِقَادِ
بِأَنَّ -الله سبحانه و تعالى- وَحْدَهُ هُوَ الْبَاقِي بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ. وَ أَمَّا مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ وَجْهِ -
الله الكريم- وَ أَنَّ الْوَجْهَ يَبْقَى وَحْدَهُ. كَلَامٌ لَا يُعْقَلُ. لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ فَضْلاً مِنْ أَنْ يَكُونَ
مُؤْمِناً. هَذَا الْقَائِلُ إِمَّا مُلْحِدٌ يُرِيدُ أَنْ يُلَبِّسَ عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ وَ أَمْرَ دِينِهِمْ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ
ذَلِكَ بَعْضُ الْيَهُودِ الَّذِينَ اعْتَنَفُوا الْإِسْلَامَ لِيُلَبِّسُوا عَلَى النَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ لَا يُسْتَبْعَدُ أَنْ يُوَحَّدَ
فِي هَذَا الْوَقْتُ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ بَلْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْعِلْمِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُلَبِّسَ عَلَى النَّاسِ
أَمْرَ دِينِهِمْ وَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا السُّؤَالِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْمَعُهُ سَلَفُنَا , سَلَفُنَا مِثْلُ هَذَا السُّؤَالِ مَاذَا
يَكُونُ مَوْقِفُهُمْ؟ لَا يَكُونُ مَوْقِفُهُمْ مَوْقِعًا عَادِيًّا كَمَوْقِفِنَا هَذَا. هَذَا أَمْرٌ آخَرُ. عِنْدَمَا سَمِعَ الْإِمَامُ
مَالِكُ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كَيْفَ اسْتَوَى؟ كَيْفَ كَانَ مَوْقِفُهُ؟ إِنْ دَهَشَ. فَأَطْرَقَ وَ
أَخَذَتْهُ الرُّحْضَاءُ -رَشَحَ- حَيَاءً مِنْ -الله- وَ تَعْظِيمًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَ
الْكَيْفُ مَجْهُولٌ وَ الْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَ السُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ. سَأَلَ سَائِلًا عَنْ كَيْفِيَةِ الْإِسْتِوَاءِ فَمَا
بِالْكُفِّ الْإِمَامُ مَالِكُ هَذَا الْمُلْحِدِ الَّذِي يَقُولُ لَا يَبْقَى إِلَّا وَجْهُ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- أَيُّ
لَا يَبْقَى مِنْ -الله- إِلَّا وَجْهُهُ !! مَاذَا يَكُونُ جَوَابُهُ وَ كَيْفَ يَكُونُ مَوْقِفُهُ وَ لَكِنَّا نَعُودُنَا مِثْلُ
هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الْمُلْحِدَةِ. تَكَرَّرَتْ لَدَيْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَسْمَعُ سَمَاعًا عَادِيًّا. مِثْلُ هَذَا السُّؤَالِ الْمُلْحِدِ
الْكَافِرِ. لِذَلِكَ عَلَى شَبَابِنَا أَنْ يَدْرُسُوا بِاهْتِمَامٍ بَابَ الْعَقِيدَةِ وَ يَطْلِعُوا عَلَى أَقْوَالِ الْفِرْقِ فِرْقِ
الْكَلَامِ لِيَعْرِفُوا طَرِيقَ الْمُؤْمِنِينَ وَ طَرِيقَ الْمُجْرِمِينَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ, يَقُولُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ:

¹ حديث صحيح .

أَكْمَلُ النَّاسِ مَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَتَيْنِ. طَرِيقَةُ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَبِيلِ الْمَجْرِمِينَ . وَ ضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلًا بِالصَّحَابَةِ. الصَّحَابَةُ عَرَفُوا طَرِيقَ الْمَجْرِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ مَارَسُوهُ ثُمَّ أَنْقَذَهُمُ -اللَّهُ- بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. فَعَرَفُوا طَرِيقَ الْمُؤْمِنِينَ وَ قَارَنُوا بَيْنَهُمَا. بَيْنَ السَّبِيلَيْنِ. فَصَارَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ فَرَحُوا بِسَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ. لِذَلِكَ لَا يُلَبَّسُ عَلَيْهِمْ هَذَا التَّلْبِيسُ. مِثْلُ هَذَا التَّلْبِيسِ وَ لَكِنْ مَنْ عَرَفَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَطْ وَ هُوَ خَلُوهُ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ سَبِيلِ الْمَجْرِمِينَ. يُلَبَّسُ عَلَيْهِ. هَذَا مَعْنَى قَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ -اللَّهُ- عَنْهُ "إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةُ عُرْوَةٍ إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ" هَذَا مَا يُعَانِيهِ شَبَابُنَا , نَشُؤُوا فِي الْإِسْلَامِ وَ فِي الْخَيْرِ وَ فِي التَّوْحِيدِ وَ رَضَعُوا الْعَقِيدَةَ مَعَ لَبَنِ النَّدِيِّ. لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَهَا. لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْخَيْرَ. وَ لَكِنْ جَاءَهُمُ الشَّرُّ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ وَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِنْتِمَاءَاتِ. دَخَلَ عَلَيْهِمُ الشَّرُّ فُجْأَةً وَ دُفْعَةً وَاحِدَةً. فَشَبَابُنَا فِي خَيْرَةٍ , فَسَأَلُ -اللَّهُ- لَنَا وَ لَهُمُ الثَّبَاتُ , وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ .

الدرس رقم : 36

القارئ: "صوت القارئ محذوف من الشريط رقم 36" و حسب سياق كلام الشيخ محمد أمان الجامي أنه كان يشرح من الرسالة التدمرية ما يلي (وأما في طرق الإثبات فمعلوم أيضاً أن المثبت لا يكفي في إثباته مجرد نفي التشبيه، إذ لو كفى في إثباته مجرد نفي التشبيه لجاز أن يوصف الله - سبحانه وتعالى - من الأعضاء والأفعال بما لا يكاد يحصى مما هو ممتنع عليه مع نفي التشبيه، وأن يوصف بالنقائص التي لا تجوز عليه مع نفي التشبيه، كما لو وصفه مفتر عليه بالبكاء والحزن والجوع والعطش مع نفي التشبيه، وكما لو قال المفتر: يأكل لا كأكل العباد، ويشرب لا كشربهم، ويبكي ويحزن لا كبكائهم ولا حزنهم، كما يقال: يضحك لا كضحكهم، ويفرح لا كفرحهم، ويتكلم لا ككلامهم، ولجاز أن يقال: له أعضاء كثيرة لا كأعضائهم، كما قيل: له وجه لا كوجوههم، ويدان لا كأيديهم، حتى يذكر المعدة والأمعاء والذكر، وغير ذلك مما يتعالى الله - عز وجل - عنه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فإنه يقال لمن نفى ذلك مع إثبات الصفات الخبرية وغيرها من الصفات: ما الفرق بين هذا وبين ما أثبتته، إذا نفيت التشبيه، وجعلت مجرد نفي التشبيه كافياً في الإثبات، فلا بد من إثبات فرق في نفس الأمر، فإن قال: العمدة في الفرق هو السمع، فما جاء السمع به أثبتته، دون ما لم يجيء به السمع.

قيل له: أولاً السمع هو خبر الصادق عما هو الأمر عليه في نفسه، فما أخبر به الصادق فهو حق من نفي أو إثبات، والخبر دليل على المخبر عنه، والدليل لا ينعكس، فلا يلزم من عدمه عدم المدلول عليه، فما لم يرد به السمع يجوز أن يكون ثابتاً في نفس الأمر، وإن لم يرد به السمع، إذا لم يكن قد نفاه، ومعلوم أن السمع لم ينف كل هذه الأمور بأسمائها الخاصة، فلا بد من ذكر ما ينفيها من السمع، وإلا فلا يجوز حينئذ نفيها، كما لا يجوز إثباتها. وأيضاً، فلا بد في نفس الأمر من فرق بين ما يثبت له وينفى عنه، فإن الأمور المتماثلة في الجواز والوجوب والامتناع يمتنع اختصاص بعضها دون بعض بالجواز والوجوب والامتناع، فلا

بد من اختصاص المنفي عن المثبت بما يخصه بالنفي، ولا بد من اختصاص الثابت عن المنفي بما يخصه بالثبوت. وقد يعبر عن ذلك بأن يقال: لا بد من أمر يوجب نفي ما يجب نفيه عن الله - تعالى - ، كما أنه لا بد من أمر يُثبت له ما هو ثابت، وإن كان السمع كافيًا كان مخبرًا عما هو الأمر عليه في نفسه، فما الفرق في نفس الأمر بين هذا وهذا؟)

الشيخ: الحمد لله رب العالمين و صلاة -الله- و سلامه و رحمته على هذا النبي الكريم و رسوله الأمين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين و بعد , تَقَدَّمَ أَنَّ أُثْبِتَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الضَّابِطُ فِي إثْبَاتِ الصِّفَاتِ , الضَّابِطُ هُنَاكَ وَرُودُ الصِّفَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَيْ إِبْثَاتُ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ مَعَ نَفْيِ الْمِمَّاثِلَةِ , هَذَا هُوَ الضَّابِطُ. إِبْثَاتُ مَا أُثْبِتَهُ الْوَحْيُ مَعَ نَفْيِ الْمِمَّاثِلَةِ فِي مَا أُثْبِتَ أَيْ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْ فِي حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ لَا فِي الْإِسْمِ الْعَامِّ وَ لَا فِي الْمَطْلَقِ الْعَامِّ. فِي ضَوْءِ قَوْلِهِ تَعَالَى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فَفِي هَذَا الْفَصْلِ وَ مَا بَعْدَهُ يَبْحَثُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -الله- تَعَالَى - ضَابِطَ النَّفْيِ. وَ لَا يَنْبَغِي الْإِكْتِفَاءُ فِي النَّفْيِ أَوْ فِي الْإِبْثَاتِ بِمُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ فِي مَا يُثْبِتُ. إِذَا أُثْبِتَ شَيْءٌ وَ ادَّعِيَ. إِنَّمَا أُثْبِتَ مَا أُثْبِتَ لِأَنَّكَ نَفَيْتَ التَّشْبِيهِ فِي مَا أُثْبِتَ. دُونَ أَنْ تَتَقَيَّدَ فِي الْإِبْثَاتِ بِالْوَارِدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ النَّفْيُ إِلَّا إِعْتِمَادًا عَلَى إِبْثَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ. فَصِفَاتُ الْكَمَالِ أَضْدَادُهَا مِنْفِيَةِ فَصِفَاتِ الْكَمَالِ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ. لَا تَثْبُتُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْلِ. أَوْ الْإِسْتِحْسَانِ , هَذَا هُوَ الْمَوْضُوعُ الَّذِي يَبْحَثُ فِيهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فَيَقُولُ. وَ أَمَّا فِي طُرُقِ الْإِبْثَاتِ فَمَعْلُومٌ أَيْضًا كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّ الْمُثْبِتَ لَا يَكْفِي فِي إِبْثَاتِهِ مُجَرَّدُ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. لَا يَكْفِي أَنْ يُثْبِتَ الْإِنْسَانُ مَا يَشَاءُ أَنْ يُثْبِتَهُ بِمُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. إِذْ لَوْ كَفَى هَذَا. لَوْ كَفَى فِي إِبْثَاتِهِ فِي إِبْثَاتِ الْمُثْبِتِ. مُجَرَّدُ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لِحَازَ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- مِنْ الْأَعْضَاءِ وَ الْأَفْعَالِ بِمَا لَا يَكَادُ يُحْصَى. إِذَا جَعَلْنَا الضَّابِطَ أَنْ يُثْبِتَ الْإِنْسَانُ ثُمَّ يَنْفِي التَّشْبِيهِ. إِذَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يُثْبِتَ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَ الْأَفْعَالِ وَ يَدَّعِي نَفْيَ التَّشْبِيهِ , بِمَا هُوَ مُتَمَتِّعٌ عَلَيْهِ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. وَ لَوْ نَفْيَ التَّشْبِيهِ. تِلْكَ النَّقَائِصُ الَّتِي يَأْتِي ذِكْرُهَا كَأَمْثَلَةٍ هِيَ مُتَمَتِّعَةٌ عَلَى اللَّهِ

- سبحانه و تعالى - فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. وَ لَجَزَ أَنْ يُوصَفَ الرَّبُّ - سبحانه و تعالى - بِالنَّقَائِصِ التي لَا تَجُوزُ عَلَيْهِ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. لَوْ فُتِحَ هَذَا الْبَابُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَصِفَ اللَّهَ بِالنَّقَائِصِ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. مِثَالُ ذَلِكَ: كَمَا لَوْ وَصَفَهُ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ. الَّذِي يَفْتَرِي عَلَى - اللَّهِ سبحانه و تعالى - وَ لَا يُقَدِّرُهُ حَقٌّ قَدْرَهُ يُثَبِّتُ لَهُ الْبُكَاءَ وَ الْحُزْنَ وَ الْجُوعَ وَ الْعَطَشَ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. وَ كَمَا لَوْ قَالَ الْمُفْتَرِي أَيْضًا: يَأْكُلُ لَا كَأَكْلِنَا أَوْ لَا كَأَكْلِ الْعِبَادِ وَ يَشْرَبُ لَا كَشَرْبِ الْعِبَادِ وَ يَبْكِي وَ يَحْزَنُ لَا كَبُكَائِهِمْ وَ لَا حُزْنِهِمْ. هَذِهِ عِبَارَاتٌ يَضْطَرُّ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا وَ يَحْكِيهَا مِنْ بَابِ "حَاكِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِكَافِرٍ" وَ إِلَّا هِيَ مِنَ الْعِبَارَاتِ الصَّعْبَةِ. تَلَفُّظُهَا مَعَ اسْمِ - اللَّهِ سبحانه و تعالى - وَ لَكِنْ لَمَّا وَجَدَ مَنْ افْتَرَى وَ تَجَرَّأَ عَلَى - اللَّهِ - فَوَصَفَ - اللَّهِ - بِهَذِهِ النَّقَائِصِ بِدَعْوَى نَفْيِ التَّشْبِيهِ فِيهَا. وَجَبَ عَلَى دُعَاةِ الْحَقِّ الَّذِينَ هُمْ مَسْئُولُونَ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْعَقِيدَةِ وَ عَنْ دَفْعِ الشُّبُهَةِ وَ إِبْطَالِ الْبَاطِلِ. يَضْطَرُّونَ إِلَى حِكَايَةِ هَذِهِ الْأَلْفَافِ الصَّعْبَةِ الَّتِي يَصْغُبُ ذِكْرُهَا مِنْ بَابِ كَمَا قُلْتُ: حَاكِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِكَافِرٍ. وَ إِلَّا الْعِبَارَاتِ. وَ صَفَّ اللَّهُ بِهَذِهِ الْعِبَارَاتِ لَا إِشْكَالَ فِيهِ. لَكِنْ لَوْ أُثْبِتَتْ بِمَنْ هَذَا مَذْهَبُهُ وَ هَذِهِ عَقِيدَتُهُ كَيْفَ تَرُدُّ؟ هَذَا هُوَ السِّرُّ فِي إِيرَادِ مِثْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ. يَقُولُ الْمُفْتَرِي عَلَى - اللَّهِ تعالى -: - اللَّهِ سبحانه و تعالى - يَأْكُلُ لَا كَأَكْلِ الْعِبَادِ وَ يَشْرَبُ لَا كَشَرْبِ الْعِبَادِ وَ يَبْكِي وَ يَحْزَنُ لَا كَبُكَائِهِمْ وَ لَا حُزْنِهِمْ. يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ إِنَّكُمْ قُلْتُمْ إِنَّ - اللَّهِ سبحانه و تعالى - يَضْحَكُ لَيْسَ ضِحْكُهُ كَضِحِكِ الْعِبَادِ. وَ يَفْرَحُ لَيْسَ فَرَحُهُ كَفَرَحِ الْعِبَادِ. وَ يَتَكَلَّمُ لَيْسَ كَلَامُهُ كَكَلَامِ الْعِبَادِ. وَ يُوصَفُ بِالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ إِلَى آخِرِ الصِّفَاتِ. طَالَمَا أُثْبِتُمْ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَ قُلْتُمْ فِيهَا إِنَّ - اللَّهِ - "يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فَيَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ كِلَيْهِمَا". كَافِرٌ يَقْتُلُ مُسْلِمًا ثُمَّ يَمُنُّ - اللَّهِ - عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ. بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحُ ثُمَّ بِالشَّهَادَةِ. فَيَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ. يَضْحَكُ - اللَّهِ سبحانه و تعالى - إِلَيْهِمَا. هَذَا فِي صِفَةِ الضَّحِكِ. أَيْ أُثْبِتْنَا صِفَةَ الضَّحِكِ لَوُرُودِهَا فِي حَدِيثٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ وَ فِي الْفَرَحِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى - اللَّهِ - عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ (لَا إِلَهَ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ صَاحِبِ النَّاقَةِ) الَّتِي حَمَلَ عَلَيْهَا كُلَّ مَا يَمْلِكُ مِنْ طَعَامٍ وَ شَرَابٍ وَ مَتَاعٍ فَسَافَرَ بِهَا فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَعَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَعَلَّقَ النَّاقَةَ أَيْ زَمَامَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ فَنَامَ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ لَمْ

يَجِدُهَا. فَقَدْ ذَهَبَتْ. فَبَحَثَ عَنْهَا هُنَا وَ هُنَاكَ فَلَمْ يَجِدْهَا وَ اسْتَسْلَمَ لِلْمَوْتِ فَرَجَعَ إِلَى الشَّجَرَةِ نَفْسَهَا. فَقَالَ تَحْتَهَا أَيْ نَامَ تَحْتَهَا مُنْتَظِرًا لِلْمَوْتِ. فَلَمْ يَمُتْ بَلِ اسْتَيْقَظَ فَإِذَا النَّاقَةُ وَاقِفَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا شَرَابُهُ وَ طَعَامُهُ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَ أَنَا رُكْتُكَ , يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ. يَقُولُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ: لَا اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَابَ إِلَيْهِ مِنْ فَرَحِ صَاحِبِ النَّاقَةِ الَّتِي سِعَعْتُمْ وَصَفَهَا. إِذَا إِذَا أَتَبْنَا الْفَرَحَ لَمْ نُثَبِّتْهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا. بَلْ أَتَبْتَ الْفَرَحَ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - أَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ. ثُمَّ إِنَّ الْفَرَحَ وَ الضَّحِكَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ. لَيْسَ مِنَ النَّقَائِصِ. كَوْنُ الْمُفْتَرِي يَقِيسُ عَلَى هَذَا فَيُثَبِّتُ الْعَطَشَ وَ الْجُوعَ وَ الْبُكَاءَ وَ الْحُزْنَ. هَذِهِ فِرْيَةٌ وَ افْتِيَاتٌ عَلَى اللَّهِ وَ عَلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ عَدَمُ تَقْدِيرِ اللَّهِ حَقَّ قَدْرِهِ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - إِذَا الْمُفْتَرِي لَوْ فُتِحَ هَذَا الْبَابُ. لَوْ قِيلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يُثَبِّتَ لِلَّهِ مَا يَشَاءُ مِنَ النَّقَائِصِ وَ الْأَعْضَاءِ وَ الْأَجْزَاءِ وَ الْأَبْعَاضِ بِالنِّسْبَةِ لِنَبِيِّ آدَمَ. ثُمَّ يَدَّعِي نَفْيَ التَّشْبِيهِ فِي ذَلِكَ. يَقُولُ: "كَمَا يَلِيْقُ بِهِ" مِنْ بَابِ التَّثْرِيْبِ بِالْمِثَالِ مَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ أَحْيَانًا مُرْتَبِكِينَ فِي صِفَةِ الْمَعِيَةِ. بَأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا بِذَاتِهِ فِي الْأَرْضِ هُنَا كَمَا يَلِيْقُ بِهِ. وَ هَذَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ بَأَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ مَعَنَا بِذَاتِهِ لِأَنَّ فِي هَذَا نَفْيَ لِعُلُوِّ اللَّهِ - تَعَالَى - . فَعُلُوُّ اللَّهِ تَعَالَى صِفَةُ ذَاتٍ لَا تَنفَكُ عَنِ الذَّاتِ. كَمَا أَنَّ الْقُدْرَةَ وَ الْإِرَادَةَ وَ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْحَيَاةَ. هَذِهِ صِفَاتُ ذَاتٍ. فَصِفَاتُ الذَّاتِ لَا تَنفَكُ عَنِ الذَّاتِ. فَعُلُوُّ - اللَّهِ تَعَالَى - فَوْقَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ صِفَةُ ذَاتٍ. الْقَوْلُ بَأَنَّ اللَّهَ بِذَاتِهِ مَعَنَا فِي الْأَرْضِ يَتَنَاقَى مَعَ صِفَةِ الْعُلُوِّ. ثُمَّ إِنَّ السُّقُولَ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ. لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ. ثُمَّ دَعَاوَ إِحْتِلَاطَ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - بِخَلْقِهِ وَ كَيْفَ تَسْعُهُ أَرْضُهُ وَ سَمَاوَاتُهُ وَ هُوَ خَالِقُهَا - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - كُلَّهَا. هَذِهِ الْمَعَانِي غَابَتْ عَنِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ بَأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ثُمَّ يَقُولُ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ. لَا يُفِيدُهُ أَبَدًا قَوْلُهُ 'كَمَا يَلِيْقُ بِهِ'. هَذَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.

ثُمَّ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ - اللَّهُ تَعَالَى - إِذَا. أَيْضًا لِلْمُفْتَرِي أَنْ يُثَبِّتَ لَهُ أَعْضَاءَ

كثيرة. فيقول ليس كأعضائهم. كما قيل: له وجه لا كوجوههم. و يدان لا كأيديهم. و هذا قياس مع الفارق. نحن إنما أثبتنا الوجه - لله سبحانه و تعالى - لأنه أثبت لنفسه و أثبتنا له اليدين لأنه أثبت لنفسه. إذا لم نقل على الله - سبحانه و تعالى - من عند أنفسنا. فإذا قلنا له وجه كريم لا كوجوهنا. لأن الله أثبت الوجه لنفسه , فليحذر ذلك الذي يزعم عند قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) بأن الله يهلك بجميع أسمائه و صفاته و يفنى و يذهب و لا يبقى إلا الوجه. ما أجراً هذه العبارة و صاحبها. هي كالإفتراء الذي تقدم تماماً لأن هذا يتنافى مع الإيمان بأن الله هو الأول الذي ليس قبله شيء و هو الآخر الذي ليس بعده شيء و هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء و هو الباطن الذي ليس دونه شيء. الله باقٍ بقاءً ذاتياً بأسمائه و صفاته كما أن القدرة كما قلنا صفة ذات. البقاء أيضاً صفة ذات. بقاء الله - تعالى - صفة ذات و هو وحده الذي يبقى و كل شيء يفنى. لا يبقى إلا وجهه الله. لا يبقى إلا الله بوجهه و يديه و أسمائه و صفاته و الباقي وحده. و لا يبقى بعد انتهاء هذه الدار. في الدار الآخرة إلا ما يبقيه الله - سبحانه و تعالى - و يريد الإبقاء عليه كالجنة و أهلها و نعيمها. و النار و عذابها و أهلها. هذه الأشياء تبقى و بقاؤها ليس بقاءً ذاتياً بل بإبقاء الله إياها و إلا الباقي وحده هو الله - سبحانه و تعالى - و من أسمائه تعالى "الوارث الباقي" , لذلك نكرر في كل مناسبة الرد على هذه الشبهة الجريئة لئلا يعتر و ينخدع بعض الناس بمثل هذا التأويل الباطل. و هذا الذي يثبت - لله سبحانه و تعالى - أعضاء كثيرة من عند نفسه. يثبت له كل شيء حتى المعدة و الأمعاء ثم - تعالى الله - عن ذلك علواً كبيراً فإنه يقال لأمثال هؤلاء: فإنه يقال أي يقول المفتري. - إنتهوها من هنا يبدء الحوار - . حوار بين المفتري و بين النافي. فإنه يقال لمن نفى تلك النقائص و تلك الأعضاء التي افتراها المفتري. يقال له. يقال لمن +¹ ذلك مع إثبات الصفات الحبرية. الصفات الحبرية التي تقدم ذكر بعضها كالضحك و الفرح و الوجه و اليدين. هذه كلها صفات حبرية. لاحظوا إن الصفات الحبرية

¹ المفروض أن يقول الشيخ كلمة هنا لئلا يناسب سياق الكلام , و من أراد التأكد يرجع إلى الشريط .

قَدْ تَكُونُ صِفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ كَالْوَجْهِ وَ الْيَدَيْنِ وَ قَدْ تَكُونُ صِفَاتٍ فِعْلِيَّةٌ كَالنَّزُولِ وَ الْحَيِّ. كُلُّهَا خَبَرِيَّةٌ أَيْ لَا طَرِيقَ إِلَى إِبْتَاهَا إِلَّا الْخَبَرُ. وَ كَمَا تَقَدَّمَ تُسَمَّى الصِّفَاتُ النَّفْلِيَّةُ وَ الصِّفَاتُ الْخَبَرِيَّةُ وَ الصِّفَاتُ السَّمْعِيَّةُ الْمَعْنَى وَاحِدًا. أَيْ لَا تَثْبُتُ هَذِهِ الصِّفَاتُ إِلَّا بِخَبَرٍ مَسْمُوعٍ مَقُولٍ عَنِ -اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ عَنْ رَسُولِهِ الْأَمِينِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. إِذَا نَفَيْتَ مَا افْتَرَاهُ بِهِ مَعَ إِبْتَاتِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَ غَيْرَهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ. الصِّفَاتُ الْعَقْلِيَّةُ: الصِّفَاتُ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِي إِبْتَاهَا الْعَقْلُ وَ النَّقْلُ كَالصِّفَاتِ السَّبْعِ الَّتِي تُثَبِّتُهَا الْأَشَاعِرَةُ. هُمْ يُثَبِّتُونَ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَ نَحْنُ نُثَبِّتُهَا بِالْأَدِلَّةِ النَّفْلِيَّةِ وَ الْعَقْلِيَّةِ مَعًا. أَيْ قُدْرَةُ اللَّهِ -تَعَالَى- وَ إِرَادَتُهُ وَ سَمْعُهُ وَ بَصَرُهُ وَ حَيَاتُهُ وَ كَلَامُهُ. هَذِهِ تُسَمَّى الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ بِمَعْنَى لَوْ لَمْ يَرِدِ النَّقْلُ يُمَكِّنُ أَنْ يُدْرِكَ الْعَقْلُ إِبْتَاتَ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِسْتِدْلَالًا بِالْأَدِلَّةِ الْكَوْنِيَّةِ وَ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ. إِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْكَوْنِ وَ هَذَا الْكَوْنُ الْبَدِيعُ يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ. ثُمَّ تَخْصِصُ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ وَ السَّمْعِ. يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. هَذِهِ يُقَالُ لَهَا الصِّفَاتُ الْعَقْلِيَّةُ وَ لَكِنْ الَّذِي يَحِبُّ التَّنْبِيْهُ عَلَيْهِ: لَا تُوجَدُ صِفَاتٌ عَقْلِيَّةٌ مَحْضَةٌ. أَيْ صِفَاتٌ تَثْبُتُ بِالْعَقْلِ فَقَطْ وَ لَا تَثْبُتُ بِالنَّقْلِ. لَا . لَا وَجُودَ لَهَا. لِأَنَّ الْأَصْلَ النَّقْلُ. وَ الْعَقْلُ تَابِعٌ لِلنَّقْلِ.

يَقُولُ: فَإِنَّهُ يُقَالُ لِمَنْ نَفَى ذَلِكَ مَعَ إِبْتَاتِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا أُثْبِتُهُ؟ بَيْنَ هَذَا الَّذِي نَفَيْتَ وَ بَيْنَ مَا أُثْبِتُهُ إِذَا نَفَيْتَ التَّشْبِيْهَ. يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَ بَيْنَ مَا أُثْبِتُهُ *أَنَا* . يَقُولُ الْمُفْتَرِي: إِذَا نَفَيْتَ التَّشْبِيْهَ. بَلِ الْأَوَّلَى: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَ بَيْنَ مَا أُثْبِتُهُ إِذَا نَفَيْتَ التَّشْبِيْهَ وَ جَعَلْتَ مُجَرَّدَ نَفْيِ التَّشْبِيْهِ كَافِيًا فِي الْإِبْتَاتِ. فَلَا بُدَّ مِنْ إِبْتَاتِ فَرْقٍ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؟. يَقُولُ الْمُفْتَرِي: أَنْتَ أَثْبِتَ صِفَاتٍ وَ أَنَا أَثْبِتُ صِفَاتٍ. وَ أَنْتَ نَفَيْتَ وَ أَنَا أَثْبِتُ. لَكِنْ أَثْبِتْنَا فِي مَا أَثْبِتْنَا مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيْهَ. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَا أَثْبِتَ أَنْتَ وَ نَفَيْتُ أَنَا؟ أَوْ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَا نَفَيْتُ أَنَا وَ أَثْبِتَ أَنْتَ؟ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ. وَ بَيْنَ مَا أَثْبِتَ أَنَا مِنَ النَّقَائِصِ وَ نَفَيْتَ أَنْتَ؟ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَ ذَا؟ فَإِنْ قَالَ: الْعُمْدَةُ فِي الْفَرْقِ هُوَ السَّمْعُ. يَقُولُ النَّافِي لِلنَّقَائِصِ وَ تِلْكَ الْأَعْضَاءِ الْكَثِيرَةِ. يَقُولُ: الْعُمْدَةُ فِي

الفرق هو "السمع" أي الأدلة السمعية. فما جاء السمع به أثبتته دون ما لم يجيء به السمع. هذا جواب مختصر من الثاني، العمدة السمع. يقول المفتري: قيل له: أولاً السمع هو خبر الصادق. كلنا نصدق. خبر الصادق عما هو الأمر به. في نفسه أي خبر الصادق الذي يخبر عن الواقع. ولكن لا يخبر عن خلاف الواقع إنما يخبر عن الواقع كالسمع والبصر والوجه واليدين وغير ذلك. فما أخبر به الصادق فهو حق. مع نفي من نفي أو إثبات. من نفي أو إثبات لأن الخبر الصادق قد يأتي بالنفي (لم يلد ولم يولد) (ليس كمثله شيء) هذا نفي. والخبر دليل على المخبر عنه لا يزيد عليه. إنما يدل على المخبر عنه. ثم والدليل لا ينعكس. إنته: جملة "والدليل لا ينعكس" يفسرها ما بعدها. فلا يلزم من عدمه عدم المدلول عليه. لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول عليه. قد يأتي دليل يدل على صفة معينة و لم ينفي الصفات الأخرى يحتمل أنها موجودة. فما لم يرد به السمع يجوز أن يكون ثابتاً في نفس الأمر وإن لم يرد به السمع. هذا الكلام في الجملة قد يؤخذ. لأن كمالات الله - تعالى - لا حصر لها. ونحن إنما نثبت بالتفصيل ما جاء به السمع. وإلا فكلمات الله - تعالى - لا حصر لها. لا تخصيها. "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك". الصفات التي تدل عليها تلك الأسماء التي استأثر الله بها لا نعلمها. "أو استأثرت به في علم الغيب عندك". لذلك هذا الكلام بالجملة مأخوذ. نعيد مرة أخرى: فما لم يرد به السمع يجوز أن يكون ثابتاً في نفس الأمر وإن لم يرد به السمع. إذا لم يكن قد نفاه. ومعلوم أن السمع لم ينفي كل هذه الأمور بأسمائها الخاصة. السمع نفى بالجملة (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) لكن هل نفى هذه الأمور بأسمائها كالبكاء والحزن مثلاً؟ فلا بد من ذكر ما ينفيها من السمع. إذا نفيتهم وإلا فلا يجوز حينئذ نفيتها. هكذا يقول المفتري. كما لا يجوز إثباتها. هذا يقال في أثناء المناظرة. قد يتناقض المناظر وهذا نوع من التناقض من المفتري وإلا فلا يجوز حينئذ نفيتها كما نفيتهم أنتم. كما لا يجوز إثباتها. لكن أنتم أثبتتم وأيضاً مرة أخرى فلا بد في نفس الأمر من فرق بين ما يثبت له وينفى عنه. هذا أهم شيء. لا بد في نفس الأمر

مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ مَا يُثَبِّتُ اللَّهُ وَ مَا يُنْقَى عَنِ اللَّهِ فَإِنَّ الْأُمُورَ الْمُتَمَائِلَةَ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا إِنْفِعَالَاتٌ نَفْسِيَّةٌ. الضَّحِكُ مَثَلًا وَ الْفَرْحُ وَ الْحُزْنُ وَ الْبُكَاءُ. هَذِهِ يُسَمُّونَ "الْأُمُورَ الْمُتَمَائِلَةَ" لِأَنَّهَا كُلُّهَا فِي حَقِّ الْإِنْسَانِ إِنْفِعَالَاتٌ نَفْسِيَّةٌ. الْفَرْحُ إِنْفِعَالٌ وَ الضَّحِكُ إِنْفِعَالٌ فِي حَقِّكَ كَذَلِكَ الْحُزْنُ وَ كَذَلِكَ الْبُكَاءُ. إِذَا لَا بُدَّ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ مَا يُثَبِّتُ وَ بَيْنَ مَا يُنْقَى. فَإِنَّ الْأُمُورَ الْمُتَمَائِلَةَ فِي الْجَوَازِ وَ الْوُجُوبِ وَ الْإِمْتِنَاعِ يَمْتَنِعُ إِيخْتِصَاصُ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ بِالْجَوَازِ وَ الْوُجُوبِ وَ الْإِمْتِنَاعِ. كَوْنُكُمْ تُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْفَرْحِ وَ الضَّحِكِ تُثَبِّتُ. وَ تَنْقُوعُ الْبُكَاءِ وَ الْحُزْنِ فَهِيَ أُمُورٌ مُتَمَائِلَةٌ. مَا الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ هَذَا وَ ذَاكَ؟ إِنْتِبَهْ سَيَأْتِيكَ الْجَوَابُ. لَا تَنْزَعِجْ. فَلَا بُدَّ مِنَ إِيخْتِصَاصِ الْمُنْفِيِّ عَنِ الْمُثَبَّتِ بِمَا يَخْصُهُ بِالنَّقْيِ. وَ وَجُودِ النَّقْصِ. وَ لَا بُدَّ مِنَ الْإِيخْتِصَاصِ الثَّابِتِ. عَنِ الْمُنْفِيِّ بِمَا يَخْصُهُ بِالثَّبُوتِ كَوْنُهُ وَارِدٌ وَ كَوْنُهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَا نَقْصَ فِيهِ. وَ قَدْ يُعَبَّرُ عَنْ ذَلِكَ. يَعْنِي كَمَا نَقُولُ مَثَلًا بِعِبَارَةٍ أُخْرَى بِأَنْ يُقَالَ لَا بُدَّ مِنْ أَمْرٍ يُوجِبُ نَقْيَ مَا يَحِبُّ نَقْيُهُ عَنِ -اللهِ سبحانه و تعالى- أَيْ لَا بُدَّ مِنْ ضَابِطٍ. إِذَا نَقِيتَ شَيْئًا لَا بُدَّ أَنْ تُثَبِّتَ الضَّابِطَ فِي مَا نَقِيتَ عَنِ اللَّهِ. كَمَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَمْرٍ يُثَبِّتُ لَهُ. يُثَبِّتُ لَهُ مَا هُوَ ثَابِتٌ. لَا بُدَّ مِنْ ضَابِطٍ تُثَبِّتُ لَهُ مَا هُوَ ثَابِتٌ وَ إِذَا كَانَ السَّمْعُ كَافِيًا كَانَ مُحْبِرًا عَنْ مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ نَفْسِهِ أَيْ كَانَ مُحْبِرًا عَنِ الْوَاقِعِ فَقَطُّ. ثُمَّ الْفَرْقُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَيْنَ هَذَا وَ ذَا. مَا الْفَرْقُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؟ إِذَا كَانَ السَّمْعُ إِمَّا يُثَبِّتُ الْأُمُورَ الْوَاقِعَةَ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا النَّصُّ. وَ هُنَاكَ أُمُورٌ مُتَشَابِهَةٌ كَالضَّحِكِ وَ الْفَرْحِ وَ الْبُكَاءِ وَ الْحُزْنِ. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَ هَذَا؟ هُنَا هَذَا الْإِسْتِفْهَامُ يُجِيبُ عَلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْآنَ. تَفَضَّلْ .

القارئ: قَالَ رَحِمَهُ -الله تعالى- (فيقال: كل ما نافي صفات الكمال الثابتة لله فهو منزله عنه، فإن ثبوت أحد الضدين يستلزم نفي الآخر، فإذا علم أنه موجود واجب الوجود بنفسه، وأنه قديم واجب القدم - علم امتناع العدم والحدوث عليه، وعلم أنه غني عما سواه، فالمفتقر إلى ما سواه في بعض ما يحتاج إليه نفسه ليس هو موجودًا بنفسه، بل بنفسه وبذلك الآخر الذي أعطاه ما تحتاج إليه نفسه، فلا يوجد إلا به، وهو -سبحانه وتعالى- غني عن كل ما

سواه، فكل ما نافي غناه فهو منزّه عنه، وهو سبحانه وتعالى قدير قوي فكل ما نافي قدرته وقوته فهو منزّه عنه، وهو سبحانه حيّ قيوم فكل ما نافي حياته وقيوميته فهو منزّه عنه.

الشيخ: بَسَنَ , قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رحمه -الله تعالى- مُجِيبًا عَلَى ذَلِكَ الْحِوَارِ مِنَ الْمُفْتَرِي. فَيُقَالُ: كُلُّ مَا نَافَى صِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لِلَّهِ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ. هَذَا ضَابِطٌ , كُلُّ مَا يَتَنَافَى مَعَ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَوْ يَنْفِي صِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لِلَّهِ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ. فَالرَّبُّ -سبحانه و تعالى- مُنَزَّهٌ عَنِ ذَلِكَ. وَ ذَلِكَ فَإِنَّ ثُبُوتَ أَحَدِ الضِّدَّيْنِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْآخَرِ. إِذَا أَثْبَتَ صِفَةً الْكَمَالِ .فَصِفَةُ الْكَمَالِ ضِدُّ صِفَةِ النَّقْصِ. الضِّدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ. الضِّدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ. بِخِلَافِ النَّقِیْضَيْنِ. النَّقِیْضَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَقَدْ يَرْتَفِعَانِ. الضِّدَّانِ مَثَلًا كَهَذَا اللَّوْنِ وَ ذَاكَ اللَّوْنِ. النَّقِیْضُ. هَذَا اللَّوْنُ أَبْيَضُ وَ هَذَا لَوْنٌ أَخْضَرُ. لَا يَجْتَمِعُ الْأَخْضَرُ مَعَ الْأَبْيَضِ وَ لَكِنْ قَدْ يَرْتَفِعَانِ. وَ يَحُلُّ مَحَلَّهُمَا لَوْنٌ آخَرٌ كَالْأَحْمَرِ وَ الْأَصْفَرِ وَ الْأَسْوَدِ. وَ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يُقَالُ لَهُ نَقِیْضَيْنِ. مَا - لَا. إِنْثَانٍ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ مَعًا. هَذَا ضِدُّ. الْوُجُودِ وَ الْعَدَمِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ. إِمَّا وُجُودٌ وَ إِمَّا عَدَمٌ. صِفَاتُ الْكَمَالِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْوُجُودِ. لَا يَجْتَمِعُ الْوُجُودُ وَ الْعَدَمُ. إِذَا اثْبَاتُ الْوُجُودِ لِلَّهِ -تعالى- يَنْفِي الْعَدَمَ. مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْحَيَاةِ. حَيَاةُ اللَّهِ -سبحانه و تعالى- الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ كَذَلِكَ كَوْنُهُ الْقَيُومُ وَ قَيُومِيَّتُهُ. هَذِهِ صِفَاتُ الْكَمَالِ. وَ مَا يُضَادُّهَا مَنْفِيٌّ. إِذَا كُلُّ مَا يُنَافِي صِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لِلَّهِ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ -سبحانه و تعالى-. مُنَزَّهٌ عَنِ الْعَدَمِ. مُنَزَّهٌ عَنِ الْحُدُوثِ. مُنَزَّهٌ عَنِ الْهَلَاكِ. مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَوْتِ. مُنَزَّهٌ عَنِ النَّوْمِ وَ السَّنَةِ وَ الْجُوعِ وَ الْعَطَشِ. كُلُّ ذَلِكَ لِأَنَّهَا صِفَاتُ نَقْصٍ. تَتَنَافَى مَعَ الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ وَ الْقَيُومِيَّةِ الْكَامِلَةِ. فَإِنَّ ثُبُوتَ أَحَدِ الضِّدَّيْنِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْآخَرِ. وَاضِحٌ؟ فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ -سبحانه و تعالى- مَوْجُودٌ وَاجِبُ الْوُجُودِ. وَاجِبُ الْوُجُودِ بِنَفْسِهِ. وَاجِبُ الْوُجُودِ الَّذِي لَمْ يُسْبَقْ بِعَدَمٍ. وَجُودٌ لَمْ يُسْبَقْ بِعَدَمٍ. وَجُودٌ لَمْ يَتَوَلَّى إِيجَادَهُ غَيْرُهُ. مَوْجُودٌ وَجُودًا ذَاتِيًا بِغَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُوجِدُهُ. لِأَنَّ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يُوجِدُهُ مَنْ يُوجِدُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ. فَاللَّهُ -سبحانه و تعالى- كَمَا تَقَدَّمَ (هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ

شَيْئٌ إِذَا فَهُوَ وَاجِبُ الوجودِ وَ لَيْسَ جَائِزُ الوجودِ وَ كُلُّ مَا عَدَى اللهَ بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ جَائِزُ الوجودِ. وَ وجودنا جائز. لأننا وجدنا بعد أن لم نكن. وَ يُقَالُ فِينَا جَائِزٌ وَ مُمَكِّنٌ وَ مُحَدَّثٌ وَ حَادِثٌ. كُلُّ هَذِهِ مِنْ صِفَاتِنَا. فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ -تَعَالَى- مَوْجُودٌ وَاجِبُ الوجودِ بِنَفْسِهِ وَ أَنَّهُ قَدِيمٌ وَاجِبُ الْقَدَمِ. الْقَدَمُ كَمَا تَقَدَّمَ إِنَّمَا يُفَسِّرُونَ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ أَوْ يُفَسِّرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ (هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ) وَ إِلَّا الْقَدَمُ أَوْ الْقَدِيمُ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ -اللهِ تَعَالَى-. لَكِنْ عِنْدَ الْإِخْبَارِ. بَابُ الْإِخْبَارِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ. يُخْبِرُ عَنِ -اللهِ تَعَالَى- بِأَنَّهُ قَدِيمٌ وَ بِأَنَّهُ صَانِعُ هَذَا الْكَوْنِ. وَ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَ بِأَنَّهُ مُرِيدٌ. هَذِهِ كُلُّهَا مِنْ بَابِ الْأَخْبَارِ لَيْسَتْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى. وَ أَنَّهُ قَدِيمٌ وَاجِبُ الْقَدَمِ. إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ. عَلِمَ إِفْتِنَاعَ الْعَدَمِ لِأَنَّ الْعَدَمَ ضِدُّ الوجودِ. وَ الْحُدُوثُ عَلَيْهِ كَذَلِكَ. وَ عَلِمَ أَنَّهُ غَيٌّ عَمَّا سِوَاهُ. فَالْمُقْتَرِرُ إِلَى مَا سِوَاهُ فِي بَعْضٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. فِي بَعْضٍ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ. كُلُّكُمْ عِنْدَكُمْ: يَحْتَاجُ أَوْ تَحْتَاجُ ؟

الطَّلَبَةُ:

الشيخ: فَالْمُقْتَرِرُ إِلَى مَا سِوَاهُ فِي بَعْضٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ. يَجُوزُ التَّذَكُّيرُ لِوُجُودِ الْفَاصِلِ. لَيْسَ هُوَ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ. بَلْ بِنَفْسِهِ وَ بِذَلِكَ الْآخَرُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. الَّذِي أَعْطَاهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ أَوْ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ. فَلَا يُوجَدُ إِلَّا بِهِ وَ هُوَ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى-. الْإِنْسَانُ حَيْثُ إِنَّهُ لَيْسَ بِصِفَةٍ وَ لَا هُوَ عَرَضٌ. يُقَالُ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ. لَكِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ يُقِيمُهُ. لَيْسَ قَائِمًا بِذَاتِهِ. قَائِمًا بِنَفْسِهِ ذَاتِيًّا. قَائِمٌ بِنَفْسِهِ بِإِقَامَةِ غَيْرِهِ. اللهُ هُوَ الَّذِي أَقَامَهُ بِنَفْسِهِ وَ هُوَ الْمُقِيمُ عَلَيْهِ. لِذَلِكَ كَوْنُ الْإِنْسَانِ قَائِمًا بِنَفْسِهِ. لَيْسَ قِيَامُهُ بِنَفْسِهِ كَقِيَامِ -اللهِ تَعَالَى- بِنَفْسِهِ. نُعِيدُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ: فَالْمُقْتَرِرُ إِلَى مَا سِوَاهُ. "مَا" تَصْلُحُ لِلْجَمِيعِ. خِلَافِ الْأَصْلِ الْغَيْرِ الْعَاقِلِ. فَالْمُقْتَرِرُ إِلَى مَا سِوَاهُ فِي بَعْضٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ أَوْ فِي بَعْضٍ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ لَيْسَ هُوَ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ كَحَالَتِنَا مَثَلًا. بَلْ بِنَفْسِهِ وَ بِذَلِكَ الْغَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ. فَلَا يُوجَدُ إِلَّا

به. الله هو الذي يُوجدُهُ. وَهُوَ -سبحانه و تعالى- غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ. الْغِنَى وَصَفٌ ذَاتِيٌّ
لِلَّهِ -تعالى- كَمَا أَنَّ الْفَقْرَ وَصَفٌ ذَاتِيٌّ لَنَا. فَكُلُّ مَا نَأَى غِنَاهُ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ -سبحانه و
تعالى- كَالنَّوْمِ وَ السَّنَةِ وَ الْعَجْزِ يَتَنَاقَى مَعَ غِنَاهُ. وَهُوَ -سبحانه و تعالى- قَدِيرٌ قَوِيٌّ. فَكُلُّ
مَا نَأَى قُدْرَتَهُ وَ قُوَّتَهُ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ. فَهُوَ -سبحانه و تعالى- حَيٌّ قَيُّومٌ. فَكُلُّ مَا نَأَى حَيَاتَهُ
الْكَامِلَةَ وَ قَيُّومِيَّتَهُ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ -سبحانه و تعالى- , نَعَمْ , وَ بِالْجُمْلَةِ .

القارئ: قَالَ رَحْمَهُ -الله تعالى- (وبالجملة فالسمع قد أثبت له من الأسماء الحسنى
وصفات الكمال ما قد ورد، فكل ما ضاد ذلك فالسمع ينفيه، كما ينفي عنه المثل والكفو،
فإن إثبات الشيء نفي لخصه ولما يستلزم ضده، والعقل يعرف نفي ذلك، كما يعرف إثبات
ضده، فإثبات أحد الضدين نفي للآخر ولما يستلزمه.)

الشيخ: بَسْ , قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحْمَهُ -الله تعالى-. فِي الْفَقْرَةِ الْأُولَى أَثَبْتُ أَنَّ السَّمْعَ وَ
الْعَقْلَ يُثَبَّتَانِ لِلَّهِ -سبحانه و تعالى- صِفَاتِ الْكَمَالِ. وَ يَنْفِيَانِ عَنْهُ مَا يُضَادُّ صِفَاتِ
الْكَمَالِ. ثُمَّ يَنْفِيَانِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ أَوْ كُفُوٌ فِي مَخْلُوقَاتِهِ. لِذَلِكَ قَالَ وَبِالْجُمْلَةِ فَالسَّمْعُ.
السَّمْعُ الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ. قَدْ أَثَبْتُ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِ الْكَمَالِ مَا قَدْ
وَرَدَ. فَنَحْنُ نُثَبِّتُ كُلَّ مَا وَرَدَ ثُمَّ نَقُولُ كُلُّ كَمَالٍ فِي الْمَخْلُوقِ لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ
فَالْخَالِقِ أَوَّلَى بِهِ. هَذَا بَعْدَ أَنْ تُثَبِّتَ الْوَارِدُ. نَحْتِمُ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ الْعَامَّةِ. "فَكُلُّ كَمَالٍ ثَبَتَ
لِلْمَخْلُوقِ لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ فَالْخَالِقِ أَوَّلَى بِهِ. لِأَنَّ مُعْطِيَ الْكَمَالِ أَوَّلَى
بِالْكَمَالِ." أَعْطَاكَ الْعِلْمَ وَ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْحَيَاةَ. اللَّهُ أَوَّلَى بِذَلِكَ , لَكِنْ قَدْ يُوجَدُ فِي
الْمَخْلُوقِ كَمَالٌ وَ لَيْسَ فِي حَقِّ -الله تعالى- كَمَالٌ. لِذَلِكَ إِحْتَرَزْنَا بِقَوْلِنَا فَكُلُّ كَمَالٍ فِي
الْمَخْلُوقِ لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ فَالْخَالِقِ أَوَّلَى بِهِ. لَكِنْ لَوْ وُجِدَ فِي الْمَخْلُوقِ مَا يُعْتَبَرُ
كَمَالاً فِي الْمَخْلُوقِ وَ فِي حَقِّ الْخَالِقِ نَقْصاً فَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ. الصَّاحِبَةُ كَمَالٌ فِي الْمَخْلُوقِ وَ
الْوَلَدُ كَمَالٌ فِي الْمَخْلُوقِ وَ الْمَعِينُ وَ الْوَزِيرُ كَمَالٌ فِي الْمَخْلُوقِ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ نَاقِصٌ.

يَحْتَاجُ إِلَى الصَّاحِبَةِ. يَحْتَاجُ إِلَى الْوَلَدِ. يَحْتَاجُ إِلَى الْوَزِيرِ. يَحْتَاجُ إِلَى الْمَعِينِ. أَمَّا الْعَيْ غِنَى مُطْلَقًا بِكُلِّ وَجْهٍ وَ بِجَمِيعِ مَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ: "الْعَيْ". لَا يَحْتَاجُ إِلَى هَذَا بَلْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي حَقِّهِ نَقْصٌ. لِذَلِكَ يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- فَبِالْجُمْلَةِ فَالَسَّمْعُ قَدْ أُثْبِتَ لَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَا قَدْ وَرَدَ. فَكُلُّ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ فَالَسَّمْعُ يَنْفِيهِ. السَّمْعُ أُثْبِتَ لَهُ الْحَيَاةُ وَ يَنْفِي الْمَوْتَ وَ الْعَدَمَ وَ الْخُدُوثَ. فَالَسَّمْعُ أُثْبِتَ لَهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- الْعُلُوُّ وَ يَنْفِي السُّفُولَ. كَمَا يَنْفِي عَنْهُ الْمِثْلَ وَ الْكُفُوَ. لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ وَ لَا كُفُوٌ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ. فَإِنَّ إِثْبَاتَ الشَّيْءِ نَفْيٌ لِضِدِّهِ كَمَا تَقَدَّمَ لِأَنَّ الضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَ مَا يَسْتَلْزِمُهُ ضِدُّهُ. وَ الْعَقْلُ يَعْرِفُ نَفْيَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَقْلَ السَّلِيمَ الصَّرِيحَ لَا يُخَالِفُ النَّصَّ الصَّحِيحَ. هَذِهِ قَاعِدَةٌ مُسَلَّمَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ. أَلَّفَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ كِتَابًا كَبِيرًا فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ "دَرْءُ التَّعَارُضِ". الْعَقْلُ الصَّحِيحُ. الْعَقْلُ الصَّرِيحُ السَّلِيمُ لَا يُعَارِضُ وَ لَا يُخَالِفُ النَّقْلَ الصَّحِيحَ. لَوْ حَصَلَ مَا ظَاهَرُهُ التَّعَارُضُ بَيْنَ الْعَقْلِ وَ بَيْنَ السَّمْعِ إِمَّا بِأَنَّ السَّمْعَ غَيْرُ صَحِيحٍ. حَدِيثٌ غَيْرُ صَحِيحٍ مَثَلًا أَوْ إِنَّ الْعَقْلَ لَمْ يَبْقَ سَلِيمًا. مُشَوَّشٌ بِآرَاءِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَ الشُّبْهَةِ. وَ الْعَقْلُ يَعْرِفُ نَفْيَ ذَلِكَ كَمَا يَعْرِفُ إِثْبَاتَ ضِدِّهِ. تَابِعًا لِلنَّقْلِ طَبْعًا. فَإِثْبَاتُ أَحَدِ الضِدَّيْنِ نَفْيٌ لِلْآخَرِ وَ مَا يَسْتَلْزِمُهُ , وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَ صَلَّى اللَّهُ وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ .

الدرس رقم : 37

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله رب العالمين و الصلّاة و السلام على رسول الله و على صحبه أجمعين , يُقُولُ شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (فطرق العلم بنفي ما ينزه الرب عنه متسعة، لا يُحتاج فيها إلى الاختصار على مجرد نفي التشبيه والتجسيم كما فعله أهل القصور والتقصير، الذين تناقضوا في ذلك وفرّقوا بين المتماثلين، حتى إن كل من أثبت شيئاً احتج عليه من نفاه بأنه يستلزم التشبيه , وكذلك احتج القرامطة على نفي جميع الأمور حتى نفوا النفي، فقالوا: لا يقال موجود ولا ليس بموجود، ولا حي ولا ليس بحي، لأن ذلك تشبيه بالموجود أو المعدوم. فلزم نفي النقيضين، وهو أظهر الأشياء امتناعاً، ثم إن هؤلاء يلزمهم من تشبيهه بالمعدومات والممتنعات والجمادات أعظم ممّا فروا منه من التشبيه بالأحياء الكاملين، فطرق تنزيهه وتقديسه عمّا هو منزّه عنه متسعة لا تحتاج إلى هذا , وقد تقدم أن ما يُنفى عنه سبحانه وتعالى - يُنفى لتضمن النفي الإثبات، إذ مجرد النفي لا مدح فيه ولا كمال، فإن المعدوم يوصف بالنفي، والمعدوم لا يشبه الموجود، وليس هذا مدحاً له، لأن مشابهة الناقص في صفات النقص نقص مطلق، كما أن مماثلة المخلوق في شيء من الصفات تمثيل وتشبيه، ينزه عنه الرب -تبارك وتعالى-).

الشيخ: بَسْن , الحمد لله و الصلّاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و بعد. قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- في رسالته التدمرية. في آخر القاعدة السادسة: فَطَرَقُ الْعِلْمِ بِنَفْيِ مَا يُنْزَهُ الرَّبُّ عَنْهُ -سبحانه و تعالى- مُتَّسِعَةٌ. لَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى الْإِقْتِصَارِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ وَ التَّجْسِيمِ كَمَا فَعَلَهُ أَهْلُ الْقُصُورِ وَ التَّقْصِيرِ. أَهْلُ الْقُصُورِ الَّذِينَ فِي عِلْمِهِمْ أَصُولٌ وَ نَقْصٌ. وَ التَّقْصِيرُ عَطْفٌ مُتَرَادِفٌ , لَعَلَّهُ يُرِيدُ الشَّيْخُ رَحْمَهُ -الله تعالى- بِكَوْنِ هَذِهِ الطَّرِيقِ مُتَّسِعَةً بِأَنَّ تِلْكَ الطَّرِيقَ مَعْرُوفَةٌ بِالسَّمْعِ وَ الْعَقْلِ وَ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ. يُجَبِّتُ -الله سبحانه و تعالى- مَا أُثْبِتَ لِنَفْسِهِ أَوْ أُثْبِتَهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى -الله- عليه و سلم

المعصوم. مع نفى المماثلة بصفة المخلوقين. و تُنفى عنه النقائص و العيوب. هذه ضوابط للنفي و الإثبات.

ثم قال الشيخ رحمه -الله تعالى- كما يفعلُه أهلُ المصور و التقصير الذين تناقضوا في ذلك. إختلفوا و تناقضوا و فرّقوا بين المماثلين. بأن أثبتوا بعض الصفات و نفوا البعض الآخر. هذا بالنسبة للأشاعرة. أو أثبتوا الأسماء و نفوا الصفات كما فعلت المعتزلة. هاتان الطائفتان أقرب ما يضرب بهم المثل و إلا فإن الجهمية لم يثبتوا شيئاً. اللهم إلا الوجود المطلق. و لكن الذين فرّقوا بين المماثلين في الدرجة الأولى "الأشاعرة". إذ أثبتوا الصفات العقلية الذاتية و أولوا أو نفوا الصفات الحسنية. أولوا في الغالب الكثير و نفوا أحياناً كصفة العلو و الاستواء و صفة الكلام بالكلام اللفظي. حتى إن كل من أثبت شيئاً كالأشاعرة مثلاً. احتج عليهم من نقاه بأنه يستلزم التشبيه. إذا أثبتت الأشاعرة الصفات المعروفة عندهم كصفات المعاني و المعنوية و السلبيّة و الصفة النفسية. احتجت عليهم المعتزلة فاعتبروهم مشبهة. و إن أثبتت المعتزلة الأسماء. احتجت عليهم الجهمية فاعتبروهم مشبهة و هكذا يتناقضون. شبه تناقض. الذي لا يعلم يحسبها حجباً. شبه تهافت كالزجاج تحالها حقاً و كل كاسر مكسور. شبه المعتزلة و شبه الأشاعرة و شبه الجهمية كلها كاسر مكسور. و كذلك احتج القرامطة و هم أسوء حالاً على نفى جميع الأمور. القرامطة فرقة من الفلاسفة. يطول شرحهم و من أراد الإطلاع من طلاب العلم. على تفاصيل تاريخ و حقيقة القرامطة عليه أن يرجع إلى كتب الفرق كالمقالات لأبي الحسن الأشعري و الفرق بين الفرق للبغدادى و الملل و النحل. تجدون هناك تفاصيل القرامطة و هم طائفة من الفلاسفة. احتجت القرامطة على نفى جميع الأمور بمثل ما احتجت به الأشاعرة و المعتزلة و الجهمية، حتى نفوا النفي. فقالوا: لا يقال موجود و لا ليس بموجود. هكذا يتحدثون عن -الله سبحانه و تعالى- بجهل. لا يقال في حق -الله تعالى- بأنه موجود لأنه لو قيل موجود. في ذلك تشبيه للموجودات. و لا يقول ليس بموجود أي عدم لئلا يلزم تشبيهه بالمعدومات. أين الفرار؟ لو هداهم -الله- المفر إلى النصوص إلى الوحي. و لكنهم ابتعدوا كثيراً. قالوا و

لَا حَيَّ وَلَا لَيْسَ بِحَيٍّ. لَا يُوصَفُ بِحَيَاةٍ وَلَا بِعَدَمِ الْحَيَاةِ. لِأَنَّ ذَلِكَ تَشْبِيهُ بِالْمَوْجُودِ. إِنْ أَتَبْنَا بِأَنَّهُ فِي زَعْمِهِمْ شَبَّهُهُ بِالْمَوْجُودِ. وَ إِنْ قَالُوا مَعْدُومٌ. شَبَّهُهُ بِالْمَعْدُومِ. إِذَا يَنْفُونَ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ مَعًا. فَيُلْزِمُهُمْ نَفْيُ النَّقِیْضَيْنِ. وَ هُوَ أَظْهَرُ الْأَشْيَاءِ امْتِنَاعًا. رَفَعَ النَّقِیْضَيْنِ مَعًا أَوْ الضَّادَيْنِ مَعًا مِنْ أَظْهَرِ الْأَشْيَاءِ امْتِنَاعًا فِي الْعَقْلِ. ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَرَامِطَةَ وَ غَيْرَهُمْ مِنْ فِرَقِ الْفَلَسِيفَةِ يُلْزِمُهُمْ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَعْدُومَاتِ وَ الْمُجْتَنِبَاتِ وَ الْجَمَادَاتِ أَعْظَمُ مِمَّا قَرُّوا مِنْهُ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْأَحْيَاءِ الْكَامِلِينَ. مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَوْ أَثْبَتَ اللَّهُ وُجُودًا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَشْبِيهِهِ بِالْمَوْجُودَاتِ وَ قَرَّ إِلَى نَفْيِ النَّقِیْضَيْنِ وَقَعَ فِي تَشْبِيهِهِ -اللَّهُ تَعَالَى- بِالْمَعْدُومَاتِ وَ الْمُجْتَنِبَاتِ وَ الْجَمَادَاتِ. وَ تَشْبِيهِهُ بِالْمُجْتَنِبَاتِ أَعْظَمُ وَ أَفْظَعُ. فَطُرُقُ تَنْزِيهِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ تَقْدِيسِهِ عَمَّا هُوَ مُنَزَّاهٌ عَنْهُ مُتَّسِعَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى هَذَا. قَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ بِأَنْ يُثَبَّتَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ وَ مَا أَثْبَتَ لَهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ أَنَّ ذَلِكَ يَتَنَاقَى مَعَ أَضْدَادِهَا وَ يَكْفِي هَكَذَا. وَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي خُدُودِ صَفْحَةِ خَمْسِينَ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَا يُنْفَى عَنْهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- يُنْفَى لِتَضَمُّنِ النَّفْيِ "الْإِثْبَاتِ" , أَيْ النَّفْيِ فِي حَقِّ -اللَّهُ تَعَالَى- يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الْكَمَالَاتِ. وَ لَيْسَ مُجَرَّدُ النَّفْيِ مَدْحًا. لِذَلِكَ كُلُّ نَفْيٍ وَ سَلْبٍ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ هُوَ إِنَّمَا يَتَضَمَّنُ الْكَمَالَ (لَيْسَ كَمَثَلَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) كُلُّ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ ضِدِّ هَذَا الْمُنْفِي. النَّفْيُ الْمُحْضُ لَا يَكُونُ مَدْحًا. مَرَّةً أُخْرَى وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَا يُنْفَى عَنْهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- إِنَّمَا يُنْفَى لِتَضَمُّنِ النَّفْيِ الْإِثْبَاتِ. النَّفْيُ الَّذِي لَا يَتَضَمَّنُ الْإِثْبَاتَ لَيْسَ بِمَدْحٍ. إِذْ مُجَرَّدُ النَّفْيِ لَا مَدْحَ فِيهِ وَ لَا كَمَالَ. هَذَا مَا وَقَعَتْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ فِرَقِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ الَّذِينَ وَصَفُوا -اللَّهُ تَعَالَى- بِالسُّلُوبِ الْمُحْضِ. كَأَنَّ قَالُوا: لَيْسَ فِي دَاخِلِ الْعَالَمِ وَ لَا خَارِجِ الْعَالَمِ وَ لَا مُتَّصِلٍ وَ لَا مُنْفَصِلٍ وَ لَا بِذِي طُولٍ أَوْ قِصَرٍ وَ لَا بِذِي دَمٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السُّلُوبِ الَّتِي يُفْشَعِرُ جِلْدَ الْمُؤَخِّدِ عِنْدَمَا يُعَدِّدُهَا. رَاجِعْ مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ تَجِدُ الْعَرَائِبَ هُنَاكَ. نَفْيٌ مُحْضٌ لَيْسَ فِيهِ صِفَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْإِثْبَاتِ, وَ مِثْلُ هَذَا حَتَّى الْمَخْلُوقُ لَا يَتَحَمَّلُ. لَوْ وَقَفَ الْإِنْسَانُ أَمَامَ سُلْطَانٍ مَا فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ لَسْتَ جَزَّارٍ وَ لَا حَدَّادٍ وَ لَا سَبَّاكٍ وَ لَا زَبَّالٍ. هَلْ مَدَحَهُ؟ هَلْ يَتَحَمَّلُ؟ لَا , إِنَّمَا انْتَقَصَهُ. لَكِنْ لَوْ قِيلَ لَهُ: لَسْتَ

أَنْتَ كَأَحَدٍ رَعَيْتِكَ. أَنْتَ خَيْرُهُمْ وَأَفْظَلُهُمْ. أَجْمَلَ فِي النَّفْيِ وَ الْمَدْحِ وَ مَنْ أَجْمَلَ فِي النَّفْيِ وَ السَّلْبِ فَقَدْ أَجْمَلَ فِي الْمَدْحِ. وَ مَنْ بَالَعَ فِي النَّفْيِ وَ السَّلْبِ أَسَاءَ , مَا وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ إِسَاءَةٌ وَ لَيْسَ بِمَدْحٍ. وَصَفَ -الله تعالى- بِأَشْيَاءَ لَا تَخْطُرُ بِبَالِ الْمُؤَحِّدِينَ. لَيْسَ بِذِي دَمٍ وَ لَا لَحْمٍ!! مَا مَعْنَى هَذَا؟! هَلْ مَدَحَهُ؟ إِذَا النَّفْيُ الْمَحْضُ كَهَذَا لَا مَدْحَ فِيهِ وَ النَّفْيُ الَّذِي وَرَدَ فِي كِتَابِ -الله تعالى- لَيْسَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. إِذْ مُجَرَّدُ نَفْيٍ لَا مَدْحَ فِيهِ وَ لَا كَمَالَ. فَإِنَّ الْمَعْدُومَ يُوصَفُ بِالنَّفْيِ. لَوْ قِيلَ لَكَ صِفْ لَنَا مَعْدُومًا , مَاذَا تَقُولُ؟ الْمَعْدُومَ هُوَ الَّذِي لَيْسَ فِي دَاخِلِ هَذَا الْعَالَمِ وَ لَا فِي خَارِجِهِ وَ لَا مُتَصِلًا بِهَذَا الْعَالَمِ وَ لَا مُنْفَصِلًا عَنْهُ. هَذَا هُوَ الْمَعْدُومُ لِأَنَّهُ غَيْرٌ مَوْجُودٌ لَا فِي الدَّاحِلِ وَ لَا فِي الْخَارِجِ. إِذَا فَإِنَّ الْمَعْدُومَ يُوصَفُ بِالنَّفْيِ. وَ الْمَعْدُومُ لَا يُشَبَّهِ الْمَوْجُودَ لِأَنَّهُ مَعْدُومٌ عَلَى اسْمِهِ. كَيْفَ يُشَبَّهِ الْمَوْجُودُ وَ لَيْسَ هَذَا مَدْحٌ لَهُ وَ لَا مُشَابَهَةٌ. وَ لَيْسَ هَذَا مَدْحًا لَهُ , لِأَنَّ مُشَابَهَةَ النَّاقِصِ فِي صِفَاتِ النَّقْصِ نَقْصٌ مُطْلَقٌ. مُشَابَهَةُ النَّاقِصِ سَوَاءٌ كَانَ مَوْجُودًا أَوْ مَعْدُومًا فِي صِفَاتِ النَّقْصِ. صِفَاتِ الْمَوْجُودَاتِ. الْمُمَكِّنَاتِ كُلَّهَا صِفَاتُ نَقْصٍ , نَقْصٌ مُطْلَقٌ , تَشْبِيهُ -الله تعالى- بِالْمَعْدُومِ أَوْ بِالْمَوْجُودِ أَوْ بِالْجَمَادَاتِ نَقْصٌ مُطْلَقٌ وَ تَشْبِيهُ صِفَاتِ -الله تعالى- بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ نَقْصٌ مُطْلَقٌ لِأَنَّ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ كُلَّهَا نَاقِصَةٌ. لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ صِفَةٌ كَامِلَةٌ. عِلْمُ الْمَخْلُوقِ نَاقِصٌ وَ قُدْرَتُهُ نَاقِصَةٌ وَ سَمْعُهُ وَ بَصَرُهُ وَ مَنْ شَبَّهَ صِفَاتِ -الله تعالى- بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ قَدْ شَبَّهَهُ بِنَقْصٍ وَ ذَلِكَ نَقْصٌ مُطْلَقٌ. كَمَا أَنَّ مُثَالَّةَ الْمَخْلُوقِ فِي شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ تَمْثِيلٌ وَ تَشْبِيهٌُ يَنْزِعُهُ عَنْهُ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- , مُثَالَّةُ الْمَخْلُوقِ فِي شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ أَيْ فِي حَقَائِقِ الصِّفَاتِ. لَا نَنْسَى الْإِشْتِرَاكَ فِي الْمَطْلُوقِ الْكُلِّيِّ وَ لَكِنَّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي وَ لَا يَجُوزُ تَشْبِيهُ صِفَاتِ الْخَالِقِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ فِي حَقَائِقِهَا. إِمَّا أَنْ يُلْحَقَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ بِصِفَاتِ الْخَالِقِ فِي الْكَمَالِ أَوْ يُلْحَقَ صِفَاتِ الْخَالِقِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ فِي النَّقْصِ. هَذَا الَّذِي لَا يَجُوزُ , نَعَمْ , وَ النَّقْصُ .

الْقَارِئُ: ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ -الله تعالى- (والنقص ضد الكمال، وذلك مثل أنه قد علم أنه

حيي والموت ضد ذلك فهو منزه عنه، وكذلك النوم والسنة ضد كمال الحياة، فإن النوم أخو الموت، كذلك اللغوب نقص في القدرة والقوة، والأكل والشرب ونحو ذلك من الأمور فيه افتقار إلى موجود غيره، كما أن الاستعانة بالغير والاعتضاد به ونحو ذلك يتضمن الافتقار إليه والاحتياج إليه، وكل من يحتاج إلى من يحمله أو يعينه على قيام ذاته أو أفعاله فهو مفتقر إليه ليس مستغنياً بنفسه، فكيف من يأكل ويشرب، والأكل والشارب أجوف، والمصمّد الصمد أكمل من الأكل والشارب، ولهذا كانت الملائكة صمداً لا تأكل ولا تشرب، وقد تقدم أن كل كمال ثبت لمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أولى بتنزيهه عن ذلك. والسمع قد نفى ذلك في غير موضع كقوله: {اللَّهُ الصَّمَدُ} والصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب. وهذه السورة هي نَسَبُ الرحمن، وهي الأصل في هذا الباب. وقال في حق المسيح وأمه: {مَا الْمَسِيحُ بِنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} فجعل ذلك دليلاً على نفي الألوهية، فدل ذلك على تنزيهه عن ذلك بطريق الأولى والأحرى، والكبد والطحال ونحو ذلك هي أعضاء الأكل والشرب، فالغني المنزه عن ذلك منزه عن آلات ذلك، بخلاف اليد فإنها للعمل والفعل، وهو - سبحانه وتعالى - موصوف بالعمل والفعل، إذ ذلك من صفات الكمال، فمن يقدر أن يفعل أكمل ممن لا يقدر على الفعل.

الشيخ: بس، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -الله تعالى- والنقص ضد الكمال. هَذَا مَعْرُوفٌ شَرْعاً وَ عَقْلاً وَ فِطْرَةً. وَذَلِكَ مِثْلُ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ -تعالى- حيي والموت ضد ذلك. إِذَا فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَوْتِ. مَنْ أَثْبَتَ لَهُ الْحَيَاةَ الْكَامِلَةَ نَفَى عَنْهُ ضِدَّ الْحَيَاةِ وَ هُوَ الْمَوْتُ وَ الْعَدَمُ وَ الْهَلَاكُ وَ كَذَلِكَ النَّوْمُ وَ السَّنَةُ ضِدُّ كَمَالِ الْحَيَاةِ. الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ تَتَنَافَى مَعَ الْمَوْتِ وَ الْعَدَمِ وَ الْهَلَاكِ وَ النَّوْمِ وَ السَّنَةِ. هَذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ حَيَاةُ -الله- وَحْدَهُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَمْلِكُ مِثْلَ هَذِهِ الْحَيَاةِ أَوْ يُوصَفُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحَيَاةِ. الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ الَّتِي يَسْتَحِيلُ عَلَى صَاحِبِهَا الْمَوْتُ وَ الْعَدَمُ وَ الْهَلَاكُ وَ النَّوْمُ وَ السَّنَةُ. فَإِنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ وَكَذَلِكَ اللَّغُوبُ نَقْصٌ فِي الْقُدْرَةِ وَ الْقُوَّةِ. قَالَهُ

- سبحانه و تعالى - ذو القُدرة الباهرة. لا يَلْحَقُهُ اللُّغُوبُ وَ الْأَكْلُ وَ الشُّرْبُ وَ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي فِيهِ افْتِقَارٌ إِلَى مَوْجُودٍ غَيْرِهِ. كَمَا أَنَّ الْإِسْتِعَانَةَ بِالْغَيْرِ وَ الْإِعْتِضَادَ بِهِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ كَالْإِنْتِصَارِ بِهِ يَتَضَمَّنُ الْإِفْتِقَارَ إِلَيْهِ وَ الْإِحْتِيَاجَ إِلَيْهِ وَ كُلُّ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَحْمِلُهُ أَوْ يُعِينُهُ عَلَى قِيَامِهِ بِذَاتِهِ يَجْعَلُهُ قَائِمًا بِذَاتِهِ أَوْ فِي أَعْمَالِهِ فَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ لَيْسَ مُسْتَعِينًا بِنَفْسِهِ. كُلُّ هَذَا يَتَنَافَى مَعَ غِنَى الرَّبِّ - سبحانه و تعالى - لِأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ الْغِنَى الْمَطْلَقُ. الْغِنَى وَصَفٌ ذَاتِيٌّ لِلَّهِ - سبحانه و تعالى - كَمَا أَنَّ كُلَّ مَا عَدَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ فَقَرًا ذَاتِيًّا. فَكَيْفَ مَنْ يَأْكُلُ وَ يَشْرَبُ وَ الْأَكْلُ وَ الشَّارِبُ أَجُوفٌ. وَ الْمُصَمِّدُ الصَّمَدُ أَكْمَلُ مِنَ الْأَكْلِ الشَّارِبِ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْأَكْلِ وَ لَا يَقْصِدُ إِلَى الْأَكْلِ وَ لَا يَقْصِدُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ , بَلِ الصَّمَدُ الْمُقْصُودُ الَّذِي يَقْصِدُهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ لَا يَقْصِدُ هُوَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ. هَذَا هُوَ الْكَمَالُ. وَ لِهَذَا كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ صَمَدًا. أَيِ لَا يَأْكُلُونَ وَ لَا يَشْرَبُونَ وَ هُمْ أَكْمَلُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ. إِنْتَبَهُوا إِلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ. وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ. عَدَمُ الْأَكْلِ وَ عَدَمُ الشُّرْبِ كَمَالٌ فِي بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْمَلَائِكَةِ. أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ مَا فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِذَلِكَ الْكَمَالِ لِأَنَّهُ مُعْطِي الْكَمَالِ وَ مُعْطِي الْكَمَالِ أَوْلَى بِالْكَمَالِ وَ كُلُّ نَقْصٍ تَنَزَّ عَنْهُ مَخْلُوقٌ. الْأَكْلُ وَ الشُّرْبُ نَقْصٌ فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ , كُلُّ نَقْصٍ تَنَزَّ عَنْهُ مَخْلُوقٌ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِتَنْزِيهِهِ عَنْ ذَلِكَ. تَقَدَّمَ أَنَّ نَبَهْنَا هُنَا عَلَى قَيْدٍ لَا بُدَّ مِنْهُ: كُلُّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ وَ لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ. هَذَا الْقَيْدُ لَا بُدَّ مِنْهُ. كُلُّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ مَا وَ لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ. وَ لَوْ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ كَمَالٌ وَ هَذَا الْكَمَالُ فِيهِ نَقْصٌ. فِيهِ مَعْنَى الْحَاجَةِ. فِيهِ مَعْنَى الْعِجْزِ. فَالْخَالِقُ لَا يَتَّصِفُ بِذَلِكَ. فَالْمَخْلُوقُ نَاقِصٌ لَا يَكْمُلُ إِلَّا بِوُجُودِ مُعِينٍ أَوْ وَزِيرٍ أَوْ وَجُودٍ وَلَدٍ أَوْ وَجُودِ وَالِدٍ أَوْ وَجُودِ الصَّاحِبَةِ. فَاللَّهُ - سبحانه و تعالى - غَنِيٌّ غِنًى مُطْلَقًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ كَمَالًا فِي الْمَخْلُوقِ لِكَوْنِ الْمَخْلُوقِ نَاقِصًا وَ لَكِنَّ الرَّبَّ - سبحانه و تعالى - مُنَزَّ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْكَمَالِ الَّذِي هُوَ كَمَالٌ فِي الْمَخْلُوقِ وَ نَقْصٌ فِي الْخَالِقِ. أَرْجُوا أَنْ يَكُونَ هَذَا مَفْهُومًا دَائِمًا. عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ فَالْخَالِقُ أَوْلَى

به. بالقيّد الذي ذكرنا و كلُّ نقصٍ تنزّه عنه مخلوق فالحالُّ أولى بتنزيهه عنه. بتنزيهه عن ذلك. و هذا يتفاوت بالنسبة للملائكة مثلاً الأكل و الشرب نقص و بالنسبة لسائر المخلوقات عدم البصر و عدم السمع نقص و عدم الكلام نقص. يُنزّه عن ذلك. إذا قاله - سبحانه و تعالى - أولى بأن يُنزّه من هذه العيوب و النقائص. و السمع قد نفى ذلك في غير موضع. أي الدليل السمعي من الكتاب و السنة و الدليل النقلي و الدليل الخبري. نُكرّر هذا في كلِّ مناسبة ليحفظ و هذه الألقاب بمعنى واحد. و الدليل السمعي و الدليل الخبري و الدليل النقلي نفى ذلك في غير موضع. كقوله - تعالى - (الله الصّمد) الصّمد الذي يصمّد إليه كلُّ شيء. يقصّد إليه كلُّ شيء. يحتاج إليه كلُّ مخلوق في كلِّ لحظة في كلِّ ثانية و الصّمد الذي لا خوف له و لا يأكل و لا يشرب. هذا تفسيرٌ بجزء المعنى. بعض التفسير يُقال لها تفسيرٌ بجزء المعنى لا بكلِّ المعنى. إذا أردنا أن نُفسّر بكلِّ المعنى: الصّمد الذي يصمّد إليه أي يقصّد إليه كلُّ شيء و يحتاج إليه كلُّ مخلوق فهو لا يحتاج إلى أي شيء.

ثم قال رحمه - الله تعالى - و هذه السورة هي نسب الرحمن. نسب الرحمن. الكفار ليُصور فهمهم و عقولهم يعرفون الإنسان بالنسب: فلان بن فلان من القبيلة الفلانية. قالوا يا محمد إن نسب لنا ربك. بيّن لنا نسب ربك. نحن لا نعرف إلا بالنسب. فأنزل - الله - هذه السورة (قل هو الله أحد , الله الصّمد , لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد) لذلك قيل لهذه السورة إنها نسب الرحمن. بيّنت بأن - الله سبحانه و تعالى - ليس بمحتاجٍ لا إلى أصل و لا إلى فرع و لا إلى صاحبة و لا معين و لا وزير. بل هو الغني غني مطلقاً. (الأول الذي ليس قبله شيء و الآخر الذي ليس بعده شيء و الظاهر الذي ليس فوقه شيء و الباطن الذي ليس دونه شيء).

ثم قال الشيخ رحمه - الله تعالى - و هي الأصل في هذا الباب. في باب تنزيه الرب - سبحانه و تعالى - من النقائص و العيوب و إثبات الكمالات. و قال في حق المسيح و أمه عليهما السلام (ما المسيح ابن مريم) الذي عبده النصارى (إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل) ليس بمعبود. لا هو و لا الرسل الذين قبله (و أمه صديقة كانا يأكلان الطعام) من

علامة أنَّهَما لَيْسا مِنَ الآلهَةِ أَنَّهَما يَأْكُلانِ الطَّعامَ. فَجَعَلَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى نَفْيِ الألوهيةَ لِأَنَّ
الإلهَ الحَقَّ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ. فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَنْزِيهِهِ -سبحانه و تعالى- عَنْ ذَلِكَ.
عَنِ الأَكْلِ وَ الشُّرْبِ بِطَرِيقِ الأَوَّلَى وَ الأُخْرَى. وَ الكَبْدُ وَ الطَّحَالُ وَ نَحْوُ ذَلِكَ مِنَ
الأَعْضاءِ. مِنْ أَعْضاءِ الأَكْلِ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يُثَبِّتَ الْمُفْتَرِي الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُثَبِّتَ لِلَّهِ كُلَّ شَيْءٍ مَعَ
دَعْوَى نَفْيِ التَّشْبِيهِ. فَالْعَنِيُّ الْمُنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ مُنَزَّهٌ عَنْ آلَاتِ ذَلِكَ بِخِلَافِ اليَدِ. لَا تَقَسُّ ذَلِكَ
عَلَى اليَدِ لِأَنَّ إثباتَ اليَدِ صِفَةُ كَمالٍ. لِأَنَّ اليَدَ لِلْعَمَلِ وَ الفِعْلِ. -اللهُ سبحانه و تعالى-
فَعَالَ (فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ) وَ هُوَ -سبحانه- مَوْصُوفٌ بِالْعَمَلِ وَ الفِعْلِ. إِذْ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ
الْكَمالِ. مَا أُثْبِتَ -اللهُ- لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا أَنَّهَا كُلُّهَا مِنْ صِفَاتِ
الْكَمالِ. سَوَاءٌ كَانَتْ صِفَةً ذاتٍ أَوْ صِفَةً فِعْلٍ وَ سَوَاءٌ كَانَتْ صِفَاتُ خَبَرِيَّةٍ أَوْ صِفَاتُ عَقْلِيَّةٍ.
فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ أَكْمَلَ مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الفِعْلِ حَتَّى فِي المَخْلُوقِ. الإنسانُ الَّذِي مَنَحَهُ
-اللهُ- القُدْرَةَ عَلَى الفِعْلِ وَ العَمَلِ أَكْمَلَ مِنَ العاجِزِ الَّذِي لَا يَفْعَلُ وَ لَا يَعْمَلُ. فَكَيْفَ
الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- ؟ , نَعَمْ .

القارئ: ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ -اللهُ تعالى- (وهو سبحانه منزّه عن الصاحبة والولد وعن آلات
ذلك وأسبابه، وكذلك البكاء والحزن هو مستلزم للضعف والعجز، الذي ينزه الله عنه،
بخلاف الفرح والغضب فإنه من صفات الكمال، فكما يوصف بالقدرة دون العجز، وبالعلم
دون الجهل، وبالحياة دون الموت، وبالسَّمع دون الصمم، وبالبصر دون العمى، وبالكلام
دون البكم - فكذلك يوصف بالفرح دون الحزن، وبالضحك دون البكاء، ونحو ذلك ,
وأيضًا فقد ثبت بالعقل ما أثبتته السَّمع من أنه -سبحانه و تعالى- لا كفؤ له، ولا سمي له،
وليس كمثله شيء، فلا يجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيء من المخلوقات، ولا حقيقة
شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات، فيعلم قطعًا أنه ليس من جنس
المخلوقات، لا الملائكة ولا السموات ولا الكواكب، ولا الهواء ولا الماء ولا الأرض، ولا
الآدميين ولا أبدانهم ولا أنفسهم، ولا غير ذلك، بل يُعلم أن حقيقته عن مماثلة شيء من

الموجودات أبعد من سائر الحقائق، وأن مماثلته لشيء منها أبعد من مماثلة حقيقة شيء من المخلوقات لحقيقة مخلوق آخر).

الشيخ: بَسْ , قَالَ الشَّيْخُ رَحْمَهُ -الله تعالى- وَ هُوَ -سبحانه- مُنَزَّةٌ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَ الْوَلَدِ وَ عَنْ آلَاتِ ذَلِكَ وَ أَسْبَابِهِ وَ هَذَا شَيْءٌ وَاضِحٌ وَ كَذَلِكَ الْبُكَاءُ وَ الْحُزْنُ وَ مُسْتَلَزِمٌ لِلضَّعْفِ "الْبُكَاءُ وَ الْحُزْنُ وَ الْعَجْزُ". الَّذِي يُنَزِّهُ الرَّبُّ -سبحانه وَ تعالى- عَنْهُ بِخِلَافِ الْفَرَحِ وَ الْعُضْبِ فَإِنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ. هَذِهِ الْمُنَاقَشَةُ تُوجِّهُ إِلَى الَّذِينَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَبْرِيَّةِ. الْأَشَاعِرَةِ مَثَلًا يَتَفَقَّهُونَ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ فِي عَدَمِ وَصْفِ -الله تعالى- بِالْبُكَاءِ وَ الْحُزْنِ. وَ لَكِنْ يُخَالِفُونَهُمْ فِي وَصْفِهِ بِالْفَرَحِ وَ الْعُضْبِ. فَيَجْعَلُونَ الْفَرَحَ وَ الْعُضْبَ مِنْ جِنْسِ الْبُكَاءِ وَ الْحُزْنِ وَ هَذَا مِنْ جَهْلِهِمْ أَوْ تَجَاهُلِهِمْ أَوْ تَأَثُّرِهِمْ بِآرَاءِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ النَّصِّ وَ عَدَمِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ. لِأَنَّ الْفَرَحَ لَيْسَ كَالْحُزْنِ. وَ الْعُضْبُ وَ الضَّحِكُ. هَذِهِ صِفَاتٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ. مَا أَثْبَتَ -الله- لِنَفْسِهِ لَا نَقْصَ فِيهِ أَبَدًا. فَإِنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ. الْفَرَحُ وَ الْعُضْبُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ. فَكَمَا يُوصَفُ الرَّبُّ -سبحانه وَ تعالى- بِالْقُدْرَةِ دُونَ الْعَجْزِ. وَ أَنْتُمْ تُثْبِتُونَ الْقُدْرَةَ لِلَّهِ -تعالى-. وَ يُوصَفُ بِالْعِلْمِ دُونَ الْجَهْلِ وَ أَنْتُمْ تُثْبِتُونَ لِلَّهِ -تعالى- الْعِلْمَ أَيُّهَا الْأَشَاعِرَةُ وَ بِالْحَيَاةِ دُونَ الْمَوْتِ وَ أَنْتُمْ تُثْبِتُونَ الْحَيَاةَ أَيْضًا. وَ بِالسَّمْعِ دُونَ الصَّمَمِ وَ بِالْبَصَرِ دُونَ الْعَمَى وَ بِالْكَلَامِ دُونَ الْبَكَمِ. يُثْبِتُونَ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا بِالْجُمْلَةِ. وَ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ لَا بِالْأَدِلَّةِ النَّقْلِيَّةِ. مَعَ ملاحظة مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ التَّخَبُّطِ وَ التَّنَاقُضِ فِي صِفَةِ الْكَلَامِ. حَيْثُ نَقَوْا الْكَلَامَ اللَّفْظِي وَ أَثْبَتُوا الْكَلَامَ النَّفْسِي الَّذِي لَا أَصْلَ لَهُ. إِصْطِلَاحٌ جَدِيدٌ لَا أَصْلَ لَهُ. مُخَالَفٌ لِلْعَقْلِ وَ الشَّرْعِ وَ اللَّعَةِ. فَكَذَلِكَ يُقَالُ لَهُمْ: كَمَا أَثْبَتْنَا الْقُدْرَةَ وَ الْعِلْمَ وَ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ كَذَلِكَ يُوصَفُ بِالْفَرَحِ دُونَ الْحُزْنِ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ وَارِدٌ , بِالنِّسْبَةِ لَنَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا ثَبَتَ بِالسُّنَّةِ وَ مَا ثَبَتَ بِالْقُرْآنِ. الْفَرَحُ مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي ثَبَتَتْ بِالسُّنَّةِ. السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ يُعْمَلُ بِهَا كَمَا يُعْمَلُ بِالْقُرْآنِ تَمَامًا. هَذَا الَّذِي دَرَجَ عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ. مَا كَانُوا يُفَرِّقُونَ

بَيِّنَ الْكِتَابَ وَ السُّنَّةَ . بَلْ مِنْ قَوَاعِدِهِمْ عَدَمُ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ . بَلْ مِنْ قَوَاعِدِهِمْ
أَيْضًا عَدَمُ إِشْتِرَاطِ التَّوَاتُرِ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ . لَا فَرْقَ
بَيْنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا فِي الْفُرُوعِ وَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا فِي الْأَصُولِ . الْمَذَارُ عَلَى
الْتِبُوتِ , إِذَا ثَبَّتَتِ السُّنَّةُ جَازَ الْإِسْتِدْلَالُ بِهَا فِي الْأَصُولِ . فِي صِفَاتِ -اللَّهِ تَعَالَى- فِي
النُّبُوتِ وَ فِي الْمَعَادِ كَمَا يَجُوزُ الْإِسْتِدْلَالُ بِهَا فِي الْفُرُوعِ . أَمَّا تَصْنِيفُ الْأَحَادِيثِ إِلَى مُتَوَاتِرٍ
يُسْتَدَلُّ بِهَا فِي الْأَصُولِ وَ الْفُرُوعِ مَعًا وَ آحَادٍ لَا يُسْتَدَلُّ بِهَا إِلَّا فِي الْفُرُوعِ . هَذَا التَّفْسِيرُ لَيْسَ
تَفْسِيرُ أَهْلِ الْحَدِيثِ . هَذَا تَفْسِيرُ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَ لَكِنْ تَأَثَّرَ بِهَذَا بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمُصْطَلَحِ وَ
عُلَمَاءِ أَصُولِ الْفِقْهِ . إِنِطَلَّتْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ وَ يُفَرِّقُونَ ذَلِكَ الْآنَ
فِي كُتُبِهِمْ . هَذَا غَلَطٌ , إِشْتِرَاطُ التَّوَاتُرِ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ
الصِّفَاتِ وَ فِي الْأَصُولِ جَمِيعًا لَا أَصْلَ لِهَذَا , وَ أَبُو الْأَصُولِ الْمَعْرُوفُ بِأَنَّهُ أَبُو الْأَصُولِ : "الْإِمَامُ
الشَّافِعِيُّ" يُفَرِّقُ هَذَا . أَنَّ الْآحَادَ يُسْتَدَلُّ بِهَا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ كَمَا يُسْتَدَلُّ بِهَا فِي
جَمِيعِ الْأَحْكَامِ . يَنْبَغِي أَنْ يُفْطَنَ لِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ . خُصُوصًا طُلَّابُ الْعِلْمِ الْجَامِعِيُّونَ الَّذِينَ
يَذَرُسُونَ الْمُصْطَلَحَ وَ أَصُولَ الْفِقْهِ . يَنْبَغِي أَلَّا يَنْخَدِعُوا إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِمْ مِثْلُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ فِي
أَصُولِ الْفِقْهِ وَ هِيَ لِعُلَمَاءِ الْكَلَامِ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- فَكَذَلِكَ يُوصَفُ بِالْفَرَحِ دُونَ الْحُزْنِ لِثُبُوتِ ذَلِكَ مِنْ
الْمُعْصُومِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ الَّذِي جَعَلَهُ -اللَّهُ- أَمِينًا عَلَى وَحْيِهِ وَ لُبِّيْنًا لِلنَّاسِ دِينَ اللَّهِ ,
وَ الضَّحِكُ دُونَ الْبُكَاءِ لِثُبُوتِ ذَلِكَ أَيْضًا مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَى , وَ اللَّهُ أَعْلَمُ .

الدرس رقم : 38

القارئ: ...أما بعد , فيقول شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (وأيضاً فقد ثبت بالعقل ما أثبتته السمع من أنه سبحانه لا كفؤ له، ولا سمي له، وليس كمثل شيء، فلا يجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيء من المخلوقات، ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات، فيعلم قطعاً أنه ليس من جنس المخلوقات، لا الملائكة ولا السماوات ولا الكواكب، ولا الهواء ولا الماء ولا الأرض، ولا الآدميين ولا أبدانهم ولا أنفسهم، ولا غير ذلك، بل يُعلم أن حقيقته عن مماثلة شيء من الموجودات أبعد من سائر الحقائق، وأن مماثلته لشيء منها أبعد من مماثلة حقيقة شيء من المخلوقات لحقيقة مخلوق آخر , فإن الحقيقتين إذا تماثلتا جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى، ووجب لها ما وجب لها، وامتنع عليها ما امتنع عليها فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق من العدم والحاجة، وأن يثبت لهذا ما يثبت لذاك من الوجوب والغنى، فيكون الشيء الواحد واجباً بنفسه غير واجب بنفسه، موجوداً معدوماً، وذلك جمع بين النقيضين , وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة الذين يقولون: بصّر كبصري، ويدّ كيدي ونحو ذلك، -تعالى- الله عن قولهم علواً كبيراً.

وليس المقصود هنا استيفاء ما يثبت له، وما ينزه عنه، واستيفاء طرق ذلك، لأن هذا مبسوط في غير هذا الموضع، وإنما المقصود هنا التنبيه على جوامع ذلك وطرقه، وما سكت عنه السمع نفياً وإثباتاً، ولم يكن في العقل ما يُثبت ولا يُنفيه سكتنا عنه فلا تُثبت ولا ننفيه، فثبت ما علمنا ثبوته، وننفي ما علمنا نفيه، ونسكت عما لا نعلم نفيه ولا إثباته، والله سبحانه وتعالى أعلم.)

الشيخ: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه -الله تعالى- في

آخِرِ الْقَاعِدَةِ السَّادِسَةِ. وَ هُوَ -سبحانه و تعالى- مُنَزَّةٌ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَ الْوَلَدِ وَ عَنْ آلَاتِ ذَلِكَ وَ أَسْبَابِهِ. وَ كَذَلِكَ الْبُكَاءُ وَ الْحُزْنُ وَ هُم مُسْتَلَزِمٌ لِلضَّعْفِ وَ الْعَجْزِ. الَّذِي يُنَزِّهُ اللَّهُ عَنْهُ -سبحانه و تعالى- بِخِلَافِ الْفَرْحِ وَ الْعَضْبِ. أَعَدْتُ هَذِهِ الْقِطْعَةَ لِلْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الصِّفَاتِ الْحَبْرِيَّةِ الَّتِي ثَبَّتَتْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَ هُنَاكَ مَا أَثْبَتَهُ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ. كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْقِيَاسَ عَلَى الْفَرْحِ وَ الْعَضْبِ فِي إِنْبَاتِهِمُ الْبُكَاءَ وَ الْحُزْنَ مَثَلًا. الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَوَّلًا: الْفَرْحُ وَ الْعَضْبُ وَ الْمَحَبَّةُ وَ الرِّضَى وَ الضَّحِكُ هَذِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ. ثَانِيًا كُلُّهَا ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ مِنْهَا مَا ثَبَّتَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ مَعًا وَ مِنْهَا مَا ثَبَّتَ بِالسُّنَّةِ كَالْفَرْحِ. وَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ عَلَى هَذَا مَا لَمْ يَرِدْ بِهِ النَّصُّ. لَا مِنَ الْكِتَابِ وَ مِنَ السُّنَّةِ كَالْبُكَاءِ وَ الْحُزْنِ. أَوَّلًا لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ تَذُلُّ عَلَى الضَّعْفِ وَ الْعَجْزِ. ثَانِيًا لِإِدْمَاقِ الْوُزُوْدِ. أَمَّا الْفَرْحُ وَ الْعَضْبُ وَ مَا فِي مَعْنَاهُمَا مِنْ الصِّفَاتِ الْحَبْرِيَّةِ الْمُحَضَّةِ الَّتِي ثَبَّتَ بَعْضُهَا بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ الْبَعْضُ الْآخَرُ بِالسُّنَّةِ. فَإِنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ. فَكَمَا يُوصَفُ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- بِالْقُدْرَةِ دُونَ الْعَجْزِ وَ بِالْعِلْمِ دُونَ الْجَهْلِ وَ بِالْحَيَاةِ دُونَ الْمَوْتِ وَ بِالسَّمْعِ دُونَ الصَّمَمِ وَ بِالْبَصَرِ دُونَ الْعَمَى وَ بِالْكَلَامِ دُونَ الْبَكَمِ. بِالْكَلَامِ: بِالْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ -الله تعالى- الَّذِي مِنْهُ بَدَأَ وَ إِلَيْهِ يَعُودُ. بِمَا فِي ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمِ. فَكَذَلِكَ يُوصَفُ بِالْفَرْحِ دُونَ الْحُزْنِ وَ بِالضَّحِكِ دُونَ الْبُكَاءِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ. وَ يُوصَفُ الرَّبُّ -سبحانه و تعالى- بِالْعَضْبِ وَ الرِّضَى. هَذِهِ الصِّفَاتُ كَمَا ذَكَرْنَا هِيَ صِفَاتُ كَمَالٍ وَ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ نَحْنُ سَائِرُونَ عَلَى مَنْهَجِنَا وَ هُوَ إِنْبَاتُ مَا أَثْبَتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَ مَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. وَ أَيْضًا فَقَدْ ثَبَّتَ بِالْعَقْلِ مَا أَثْبَتَهُ السَّمْعُ. السَّمْعُ هُوَ الْأَصْلُ. الْمُرَادُ بِالسَّمْعِ: الْأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ. وَ كَمَا نَبَّهْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ وَ يُقَالُ لَهَا الْأَدِلَّةُ الْحَبْرِيَّةُ وَ يُقَالُ لَهَا الْأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ. الْأَصْلُ هَذِهِ الْأَدِلَّةُ وَ الْعَقْلُ السَّلِيمُ الصَّرِيحُ لَا يُخَالِفُ النَّقْلَ الصَّحِيحَ فَهُوَ تَابِعٌ لِلسَّمْعِ.

لِذَلِكَ قَالَ: وَ أَيْضًا فَقَدْ ثَبَّتَ بِالْعَقْلِ مَا أَثْبَتَهُ السَّمْعُ أَوْ مَا بَيَّنَّهُ السَّمْعُ. الْمَعْنَى وَاحِدٌ , مِنْ أَنَّهُ -سبحانه و تعالى- لَا كُفْرَ لَهُ وَ لَا سَمِيَ لَهُ وَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ

البصير. هذا ثابت بالسمع والعقل. العقل السليم يدرك بأن -الله سبحانه وتعالى- لا كفؤ له ولا سمي له ولا ليس كمثله شيء. لا يقع في التشبيه إلا العقل الملوث بأراء أهل الكلام والفلاسفة. ولا يقع في التعطيل أيضا إلا العقل الذي استولى عليه آراء أهل الكلام. فلا يجوز أن تكون حقيقته -سبحانه وتعالى- أي حقيقته ذاته. كحقيقة شيء من المخلوقات. حقيقة ذات الرب -سبحانه وتعالى- ونحن نثبت لله الذات لوجود ذلك بالسنة في قصة إبراهيم¹ كما تعلمون وغير ذلك. فلا يجوز أن تكون حقيقته ذاته كحقيقة شيء من المخلوقات. أي كحقائق ذوات المخلوقات. لا يجوز ذلك لا عقلا ولا شرعا. ولا حقيقة شيء من صفاته كالسمع والبصر والنزول والمجيئ والفرح والضحك كحقيقة شيء من صفات المخلوقات. بل لصفات المخلوقات حقائق و لصفات الخالق حقائق وليست الحقيقة كالحقيقة. لا يقال صفات المخلوقات مجاز و صفات الرب -سبحانه وتعالى- حقيقة , كلها حقيقة , سمعك سمع حقيقي و علمك و بصرك و قدرتك و إرادتك كل ذلك حقيقة لأن المجاز ما يجوز نفيه ولا يجوز أن ينفي عنك العلم والسمع والبصر لأن هذا خلاف الواقع وخلاف المحسوس وخلاف المعقول. لكن ليست الحقيقة كالحقيقة. و الحقائق حتى بالنسبة للمخلوقات تختلف. قوة الفيل وقوة الحمل وقوة الثور وقوة الإنسان وقوة النملة هذه كلها حقائق. و هل هي متفقة؟ متفاوتة , تفاوتنا عظيما لكن كلها حقائق , إذا كانت الحقائق تختلف بالنسبة للمخلوق فما بال الحقيقة. حقيقة صفات الله -تعالى- بالنسبة لخصائص صفات المخلوقين. فمن باب أولى , فيعلم قطعا أنه -سبحانه وتعالى- كلما يذكر الضمير هكذا "أنه" ينبغي أن يكتب ما يشعر بأن الضمير -الله سبحانه وتعالى- وإن كان يعلم من السياق. لكن من باب الكمالات. فيعلم قطعا أنه -سبحانه- ليس من جنس المخلوقات. أن الله -سبحانه وتعالى- ليس من جنس المخلوقات. يعلم ذلك بالشرع و

¹ الشيخ رحمه -الله تعالى- يقصد حديث أبي هريرة رضي -الله- عنه الذي فيه اثبات الذات المقدسة لله -عز وجل- حيث قال (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا) الى آخر الحديث .

بالعقل و بالفطرة السليمة. لا الملائكة و لا السماوات و لا الكواكب و لا الهواء و لا الماء و لا الأرض و لا الآدميين و لا أبدانهم و لا أنفسهم. هذه السُّلُوبُ هُنا لَيْسَتْ كَالسُّلُوبِ المذمومةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الكَلَامِ لَأَنَّهَا سُلُوبٌ تَتَضَمَّنُ الكَمَالَ. لَأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ -تعالى- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) إِنَّمَا السُّلُوبُ المذمومة: السُّلُوبُ الَّتِي لَا تَتَضَمَّنُ الكَمَالَ كَمَا تَقَدَّمَ الأمثلة. وَ لَا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُعْلَمُ أَنَّ حَقِيقَتَهُ -سبحانه و تعالى- عَنْ مُثَالَةٍ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ كَائِنًا مَا كَانَ أَبْعَدَ مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ مُثَالَةٍ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَ أَنَّ مُثَالَتَهُ -سبحانه و تعالى- لِشَيْءٍ مِنْهَا أَيْ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَ الْمَخْلُوقَاتِ أَبْعَدَ مِنْ مُثَالَةٍ حَقِيقَةٍ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لِحَقِيقَةِ مَخْلُوقٍ آخَرَ كَمَا تَقَدَّمَ الْحَقَائِقُ كُلُّهَا مُخْتَلِفَةٌ وَ مُتَفَاوِتَةٌ. لَيْسَتْ مُتَّحِدَةٌ , تَقُولُ: رَأْسُ الْجَمَلِ وَ رَأْسُ الْجَبَلِ وَ رَأْسُ الْإِنْسَانِ. رَأْسُ الْإِبْرَةِ وَ رَأْسُ الْقَلَمِ. هَذِهِ الرُّؤُوسُ كُلُّهَا حَقَائِقُ. لَكِنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ وَ لَيْسَتْ مُتَّحِدَةٌ. فَاللَّهُ -سبحانه و تعالى- إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْحَقَائِقُ مُخْتَلِفَةً فَحَقِيقَتُهُ. أَنَّ مُثَالَتَهُ لِشَيْءٍ مِنْهَا أَبْعَدَ مِنْ مُثَالَةٍ حَقِيقَةٍ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لِحَقِيقَةِ مَخْلُوقٍ آخَرَ. ذَلِكَ فَإِنَّ الْحَقِيقَتَيْنِ لَوْ اتَّحَدَتْ حَقِيقَةُ -الله- وَ حَقِيقَةُ المخلوق. أَوْ حَقِيقَةُ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَ حَقِيقَةُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ. فَإِنَّ الْحَقِيقَتَيْنِ إِذَا تَمَثَّلَتَا جَاَزَ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْحَقِيقَتَيْنِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْآخَرَى. وَ وَجَبَ لَهَا لِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ مَا وَجَبَ لَهَا , وَ امْتَنَعَ عَلَيْهَا مَا امْتَنَعَ عَلَيْهَا , فَيَلْزَمُ. "الْقَاءُ" فَأَيْ الْفَصِيحَةِ. إِذَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ يَجُوزَ عَلَى الْخَالِقِ الْقَدِيمِ الْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْمَخْدُودِ الْمَخْلُوقِ. عِنْدَ التَّمَثُّلِ لَوْ تَمَثَّلَتِ الْحَقَائِقُ.

قَوْلُهُ فَيَلْزَمُ أَنَّ يَجُوزَ عَلَى الْخَالِقِ الْقَدِيمِ. الْقَدِيمُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ -اللهِ تعالى- وَ لَكِنْ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ. نَبَّهْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ. أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ قَرَرُوا أَنَّ بَابَ الْإِخْبَارِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ , يُقَالُ: اللَّهُ -سبحانه و تعالى- صَانِعُ هَذَا الْكَوْنِ وَ الصَّانِعُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ -اللهِ تعالى- , فَيُقَالُ اللَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَ مُتَكَلِّمٌ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى , فَيُقَالُ اللَّهُ قَدِيمٌ وَ الْقَدِيمُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لَكِنْ الْمَعَانِي صَحِيحَةٌ. صَانِعٌ بِمَعْنَى الْخَالِقِ. قَدِيمٌ يُرِيدُونَ بِهِ الْأَوَّلَ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ. إِذَا هَذَا مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ. يُسْتَعْمَلُ

دَائِمًا , الْوَاجِبُ بِنَفْسِهِ الَّذِي لَيْسَ بِحَاجَةٍ فِي وُجُودِهِ إِلَى غَيْرِهِ وَ فِي قِيَامِهِ بِنَفْسِهِ. هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الْغَنِيُّ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ. هَذَا الْوَاجِبُ بِنَفْسِهِ , مَا يَجُوزُ عَلَى الْمَحْدَثِ الْمَخْلُوقِ الْمُمْكِنِ. هَذَا الْكَوْنُ كُلُّهُ يُقَالُ لَهُ مُحْدَثٌ وَ يُقَالُ لَهُ مَخْلُوقٌ وَ يُقَالُ لَهُ مُمَكِّنٌ لِأَنَّ الْمُمْكِنَ مَا وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ , هَذَا الْكَوْنُ وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ. وَ يُقَالُ لَهُ مُمَكِّنٌ. وَ يُقَالُ لَهُ جَائِزٌ أَيْ لَيْسَ بِوَاجِبٍ. الْوَاجِبُ هُنَا بِمَعْنَى الثُّبُوتِ , مَا يَجُوزُ عَلَى الْمَحْدَثِ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْعَدَمِ وَ الْحَاجَةِ وَ أَنْ يَثْبُتَ لِهَذَا مَا يَثْبُتُ لِذَاكَ مِنَ الْوُجُوبِ أَيْ مِنَ الثُّبُوتِ وَ الْغَنَى فَيَكُونُ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ وَاجِبًا بِنَفْسِهِ غَيْرَ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ. مَوْجُودًا مَعْدُومًا وَ ذَلِكَ جَمْعٌ بَيْنَ النَّفِيزَيْنِ وَ هُوَ مُسْتَحِيلٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- وَ هَذَا الَّذِي قَرَّرْنَاهُ مِمَّا يُعْلَمُ بِهِ بِطُلَانٍ قَوْلِ الْمَشَبَّهَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: بَصَرٌ كَبَصَرِي وَ يَدٌ كَيْدِي , الْمَشَبَّهَةُ لَا تُوجَدُ الْآنَ فِرْقَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا يُقَالُ لَهَا مُشَبَّهَةٌ. وَ إِنْ كَانَ عَقِيدَتُهُمْ مَوْجُودَةٌ فِي بُطُونِ الْكُتُبِ وَ قَدْ يُوْجَدُ مَنْ يَصِلُ بِهِ الْحَالُ إِلَى هَذَا التَّشْبِيهِ وَ لَكِنْ طَائِفَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا كَالْجَهْمِيَّةِ وَ الْمُعْتَرِلةِ يُقَالُ لَهُ "الْمَشَبَّهَةُ" غَيْرُ مَوْجُودَةٍ الْآنَ بِحَمْدِ -الله تعالى- , الَّذِينَ يَقُولُونَ بَصَرٌ كَبَصَرِي وَ يَدٌ كَيْدِي. يَقُولُونَ اللهُ خَاطَبَنَا بِمَا نَعْقِلُ. لَا نَعْقِلُ مِنَ الْبَصَرِ إِلَّا كَبَصَرِنَا. وَ لَا مِنَ السَّمْعِ إِلَّا كَسَمْعِنَا وَ لَا مِنَ الْيَدِ إِلَّا كَيْدِنَا. إِنْ أَثْبَتْنَا ثُبُتَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا خَبَرِيَّةٌ كَانَتْ أَوْ عَقْلِيَّةٌ. ذَاتِيَّةٌ أَوْ فِعْلِيَّةٌ أَنَّهَا كَصِفَاتِنَا , وَ هَذَا كُفْرٌ , كَفَرَ السَّلَفُ وَ أَتْبَاعُ السَّلَفِ الْمَشَبَّهَةِ. مَنْ شَبَّهَ اللهُ بِخَلْقِهِ فَهُوَ كَافِرٌ. لِأَنَّهُ يُنَاقِضُ قَوْلَهُ -تعالى- وَ يَرُدُّهُ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) لِذَلِكَ رُبَّمَا تُعْرَضُ شُبُهَةٌ مُفْتَنَةٌ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ كَانَ يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: اللهُ -سبحانه و تعالى- عَلَى صُورَةِ شَابٍ حَسَنِ الْوَجْهِ وَ عَلَى صُورَةِ شَابٍ أَمْرَدٍ وَ عَلَى صُورَةِ شَابٍ كَذَا وَ كَذَا , وَ رُبَّمَا رَكَّبَ لِهَذَا حَدِيثًا. رَوَى حَدِيثًا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ. يُرَكَّبُ لِهَذَا الْبَاطِلِ سَنَدًا صَحِيحًا. طَالِبُ عِلْمٍ هُوَ عَلَى يَقِينٍ فِي مَنْهَجِهِ لَا يَغْتَرُّ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَسَانِيدِ. هَذِهِ الْأَسَانِيدُ مُصْطَنَعَةٌ , لَوْ رُكِّبَتْ أَحَادِيثُ. أَسَانِيدٌ صَحِيحَةٌ لِلْحَدِيثِ يَقُولُ إِنَّ اللهَ عَلَى صُورَةِ كَذَا وَ مِثْلُ كَذَا فَهُوَ بَاطِلٌ. مِمَّا يُعْرَفُ بِهِ وَضْعُ الْحَدِيثِ أَنْ يَأْتِيَ مُحَالِمًا لِنُصُوصِ

الكِتَابَ وَ مَا صَحَّ مِنَ السُّنَّةِ وَ أَنْ يَأْتِيَ مُخَالِفًا لِلْقَاعِدَةِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا وَ لِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ. وَ مِثْلُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُرَوَّى هَذِهِ الْأَيَّامَ مُخَالِفَةً لِلكِتَابِ وَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَ إِجْمَاعِ السَّلَفِ وَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ وَ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ. لِذَلِكَ لَوْ رُوِيَ بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ يَجِبُ أَنْ تُدَمَّرَ تِلْكَ الْأَسَانِيدُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ). تُدَمَّرُ تِلْكَ الْأَسَانِيدُ لِأَنَّهَا مُصْطَنَعَةٌ بِمِثْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ. فَيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَصِلَ مِنَ الْيَقِينِ فِي عَقِيدَتِهِ بِحَيْثُ لَا يَنْطَلِي عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا. لَوْ رُوِيَ أَحَادِيثُ أَوْ نُسِبَ إِلَى بَعْضِ السَّلَفِ كَلَامٌ كَهَذَا يَجِبُ دَفْعُهُ وَ رُدُّهُ بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ. وَ هُوَ كَقَوْلِ هَذَا الْمَشَبِّهَةِ بِصَرِّ كَبَصَرِي وَ يَدِّ كَيْدِي وَ نَحْوِ ذَلِكَ. تَعَالَى -الله- عَنْ قَوْلِهِمْ غُلُوا كَبِيرًا.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله- تَعَالَى - وَ هُوَ يَحْتِمُ الْقَاعِدَةَ: وَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا اسْتِيفَاءُ مَا يَثْبُتُ لَهُ -سُبْحَانَهُ- وَ مَا يُنَزَّ عَنْهُ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ اسْتِيفَاءُ طُرُقِ ذَلِكَ. لَمْ نَقْصِدْ فِي هَذِهِ الْقَوَاعِدِ اسْتِيفَاءَ كُلِّ مَا يَثْبُتُ لِلَّهِ. وَ كُلُّ مَا يُنَزَّ عَنْهُ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ اسْتِيفَاءُ طُرُقِ ذَلِكَ. لِأَنَّ هَذَا مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. هَذِهِ الْحَوَالَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَجْعَلُ طُلَّابَ الْعِلْمِ يَرْجِعُ إِلَى مَوْسُوعَاتٍ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ كَهَذِهِ الْفَتَاوِي الْعَظِيمَةِ وَ دَرَى التَّعَارُضَ وَ غَيْرَ ذَلِكَ لِيَبْحَثَ وَ يَقِفَ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ دُونَ أَنْ يُقَالَ لَهُ فِي الْمَجْلَدِ الْفُلَانِي فِي الصَّفْحَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَ هَذِهِ طَرِيقَةٌ تُورِثُ الْإِنْسَانَ الْكَسَلَ كَمَا هُوَ وَاقِعُنَا الْيَوْمَ. لَكِنْ مَنْ أَحَالَكَ عَلَى كِتَابٍ أَوْ أَجْمَلَ ذَلِكَ الْكِتَابَ فَتَحَ لَكَ بَابَ الْبَحْثِ , لِتَبْحَثَ بِنَفْسِكَ وَ مَا بَحَثَ عَنْهُ بِنَفْسِكَ وَ وَقَفْتَ عَلَيْهِ سَوْفَ لَا تَنْسَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ , أَمَّا مَا وَقَفْتَ عَلَيْهِ بِكُلِّ سُهُولَةٍ. أَنْظِرْ الْكِتَابَ الْفُلَانِي الْمَجْلَدَ الْفُلَانِي. صَفْحَةٌ كَذَا. السَّطْرُ الْحَادِي عَشَرَ مَثَلًا كَمَا هُوَ الْمَتَّبِعُ الْآنَ عِنْدَنَا. هَذِهِ طَرِيقَةُ الْكَسَالِ. وَ مِثْلُ هَذَا الْعِلْمِ لَا يَثْبُتُ. سَوْفَ يُنْسَى حَالًا , وَ إِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا التَّنْبِيهُ عَلَى جَوَامِعِ ذَلِكَ وَ طُرُقِهِ لِيَبْحَثَ طُلَّابُ الْعِلْمِ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ وَ يَقِفُوا عَلَى هَذِهِ الْجَوَامِعِ .

ثُمَّ قَالَ لِيُقَعَّدَ قَاعِدَةٌ عَامَّةٌ فِي آخِرِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ: وَمَا سَكَتَ عَنْهُ السَّمْعُ أَيْ الدَّلِيلُ السَّمْعِي الْخَبْرِي النَّقْلِي نَفْيًا وَ إثْبَاتًا وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَقْلِ مَا يُثْبِتُهُ وَ لَا يَنْفِيهِ سَكَتُنَا عَنْهُ. أَمَّا

يَكْفِي لَوْ قَالَ: وَ مَا سَكَتَ عَنْهُ السَّمْعُ نَفِيًّا وَ إِنْبَاءًا سَكَنَّا عَنْهُ كَانَ يَكْفِي , وَ لَكِنْ إِنَّمَا
أَتَّبَعَ ذَلِكَ كَمَا أَلْفَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا كَمَا تَعْلَمُونَ "دَرَّةُ التَّعَارُضِ". لِأَنَّ الْعَقْلَ السَّلِيمَ الصَّرِيحَ
سَوْفَ لَا يُخَالِفُ السَّمْعَ إِشَارَةً إِلَى هَذَا. لَا لِأَنَّ الْعَقْلَ لَهُ إِعْتِبَارٌ خَاصٌ دُونَ السَّمْعِ. لِذَلِكَ
الْعِبَارَةُ يَنْبَغِي أَنْ تُفْهَمَ هَكَذَا وَ مَا سَكَتَ عَنْهُ السَّمْعُ نَفِيًّا وَ إِنْبَاءًا كَأَنْ يَكْفِي لَوْ قَالَ سَكَنَّا
عَنْهُ فَلَا نُشَبِّهُهُ وَ لَا نَنْفِيهِ وَ لَكِنَّهُ قَالَ إِشَارَةً إِلَى مَا ذَكَرْنَا وَ مَا سَكَتَ عَنْهُ النَّفْيُ نَفِيًّا وَ إِنْبَاءًا
وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَقْلِ مَا يُشَبِّهُهُ وَ لَا يَنْفِيهِ. يُقَالُ لِمِثْلِ هَذَا "صِفَةٌ كَاشِفَةٌ" لَا مَفْهُومَ لَهَا أَيْ
قَوْلُهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَقْلِ مَا يُشَبِّهُهُ وَ لَا يَنْفِيهِ. لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ لَوْ وَجَدَ فِي الْعَقْلِ مَا يُشَبِّهُهُ أَوْ
يَنْفِيهِ وَ إِنْ لَمْ يَرِدْ بِهِ النَّصُّ أَنَّنَا نَتَّبِعُهُ, لَا , هَذِهِ صِفَةٌ كَاشِفَةٌ لَا مَفْهُومَ لَهَا. هَذِهِ قَاعِدَةٌ مِنْ
عِنْدِ قَوْلِهِ وَ مَا سَكَتَ عَنْهُ السَّمْعُ نَفِيًّا وَ إِنْبَاءًا إِلَى قَوْلِهِ وَ نَسَكْتُ عَمَّا لَا نَعْلَمُ نَفِيهِ وَ لَا
إِنْبَاءَهُ. هَذِهِ الْقَوَاعِدُ يَحِبُّ حِفْظُهَا عَلَى طُلَّابِ الْعِلْمِ. بِهَذَا تُرَدُّ جَمِيعُ الشُّبُهَةِ. شُبُهَةُ الْمَشَبَّهَةِ وَ
شُبُهَةُ الْمُعْطَلَّةِ كُلُّهَا وَ تَكُونُ هَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ إِنْبَاءً مَا أَثْبَتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَ أَثْبَتَ لَهُ رَسُولُهُ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ أَنْ يُنْفَى عَنْهُ بِالتَّفْصِيلِ. مَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ أَوْ نَفَى عَنْهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ مَا لَمْ نَعْلَمْ سَكَنَّا مَعَ اعْتِقَادِنَا أَنَّ كَمَا لَاتِ -اللَّهُ تَعَالَى- لَا حَصَرَ لَهَا
لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ فِي الدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ إِسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ
أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ.
الصِّفَاتُ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ , جَمِيعُ الصِّفَاتِ مَعَانٍ لِأَسْمَاءِ -اللَّهُ- الْحُسْنَى , إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ أَسْمَاءُ
إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهَا لَمْ نَعْلَمْهَا إِذَا الصِّفَاتُ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا تِلْكَ الْأَسْمَاءُ لَمْ نَعْلَمْهَا. نَسَكْتُ عَمَّا
سَكَتَ عَنْهُ السَّمْعُ. فَلَنَكْتَفِي بِهَذَا الْمِقْدَارِ .

الدرس رقم : 39

القارئ: يقول شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (ثم إنهم قد يتنازعون في الأصول التي يتوقف إثبات النبوة عليها: فطائفة تزعم أن تحسين العقل وتقييحه داخل في هذه الأصول، وأنه لا يمكن إثبات النبوة بدون ذلك، ويجعلون التّكذيب بالقدر مما ينفيه العقل، وطائفة تزعم أن حدوث العالم من هذه الأصول، وأن العلم بالصانع لا يمكن إلا بإثبات حدوثه، وإثبات حدوثه لا يمكن إلا بحدوث الأجسام، وحدوثها يعلم إما بحدوث الصفات، وإما بحدوث الأفعال القائمة بها، فيجعلون نفي أفعال الرب، ونفي صفاته من الأصول التي لا يمكن إثبات النبوة إلا بها، ثم هؤلاء لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة على نقيض قولهم، لظنهم أن العقل عارض السمع - وهو أصله - فيجب تقديمه عليه، والسمع إما أن يؤوّل، وإما أن يفوّض، وهم أيضا عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة على وفق قولهم، لما تقدم).

الشيخ: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول -الله- وعلى آله وصحبه وبعده، يقول شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- في تعداد فصائل أو تعداد فساد دلائل المتكلمين. هذه القطعة بيان فساد دلائل المتكلمين. والمتكلمون يشمل هذا اللفظ الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن إليهم. المتكلمون الذين اشتغلوا بعلم الكلام. الذين شغلهم علم الكلام عن كتاب -الله تعالى- وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. المتكلمون هم الذين حكم عليهم أن الإمام الشافعي رحمه -الله تعالى- حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يحملوا على الحمر الأهلية ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويضربوا بالجريد والنعال فيقال هذا جزاء من ترك كتاب الله واشتغل بعلم الكلام. لتعلموا إن الاشتغال بعلم الكلام مذموم دمه جميع الأئمة. أئمة السلف والأئمة المشهود لهم بالإمامة. كلهم يذمون علم الكلام. وعلم الكلام قد يدرس الآن باسم العقيدة الأشعرية أو باسم العقيدة الماتريدية وهو علم الكلام. ليعلم

أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ شَيْئٌ آخَرُ غَيْرِ الْعَقِيدَةِ وَ غَيْرِ التَّوْحِيدِ. مَنْ يَظُنُّ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ هُوَ التَّوْحِيدُ مُحْطٌ. عِلْمُ الْكَلَامِ لَيْسَ هُوَ التَّوْحِيدُ وَ لَيْسَ هُوَ الْعَقِيدَةُ. بَلْ ضِدُّ الْعَقِيدَةِ وَ ضِدُّ التَّوْحِيدِ. ضِدُّ تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ التَّوْحِيدِ الَّذِي عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ هُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ. وَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يَكُنْ مَحَلَّ نِزَاعٍ فَطُبِقَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ أُمَّمِهِمْ وَ بَيْنَ الْمُصْلِحِينَ وَ أَقْوَامِهِمْ. تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يَكُنْ مَحَلَّ نِزَاعٍ وَ إِنْ حَصَلَ مِنْ بَعْضِ الطَّوَائِفِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْمُتَصَوِّفَةِ. الْوُقُوعُ فِي الشَّرْكَ فِي بَابِ الرُّبُوبِيَّةِ جَهْلًا مِنْهُمْ لِأَنَّ الْمُتَصَوِّفَةَ مِنْ أَتْرَازِ صِفَاتِهِمْ الْجَهْلُ. لِذَلِكَ قَدْ يَقْعُونَ فِي الشَّرْكَ الَّذِي لَمْ يَقَعْ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ وَ إِلَّا فَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ تَوْحِيدٌ فَطَرِي يَعْلَمُهُ كُلُّ مَخْلُوقٍ أَوْ جَمِيعِ الْعِبَادَةِ. مُسْلِمُهُمْ وَ كَافِرُهُمْ ، وَ إِنَّمَا النِّزَاعُ دَائِمًا فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ وَ تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ مِنْ قَبِيلِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ. إِمَّا لَا نِزَاعَ فِيهِ وَإِنْ حَصَلَ فِيهِ نِزَاعٌ فَقَلِيلٌ. وَ لَكِنَّ تَوْحِيدَ الْعِبَادَةِ هُوَ مَحَلُّ النِّزَاعِ وَ مِمَّا تَجَدَّدَ فِي هَذِهِ الْآوَنَةِ انْكَارُ هَذَا التَّقْسِيمِ. عَجَبًا لِمَنْ يُنْكِرُ تَقْسِيمَ التَّوْحِيدِ إِلَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَ تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ. لِيَكْشِفَ عَنْ جَهْلِهِ. يَكْشِفُ بِذَلِكَ عَنْ جَهْلِهِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ. لِأَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ تَقْسِيمٌ اسْتِفْرَاجِي. مِنْ اسْتِفْرَاجِ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ ثَبَتَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ تَقْسِيمُ التَّوْحِيدِ إِلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ وَ لِهَذَا الْبَحْثِ مَوْضِعٌ آخَرُ إِنْ شَاءَ -الله- .

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -الله- تَعَالَى - وَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ يُسَمِّي هَذِهِ "الْمَطَالِبَ الْإِلَهِيَّةَ" الْأَصُولَ الْعَقْلِيَّةَ. لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهَا لَا تُعْلَمُ إِلَّا بِالْعَقْلِ. وَ هَذَا خَطِئٌ مِنْهُمْ بَلْ جَهْلٌ مِنْهُمْ لِلْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ. فَإِنَّ السَّمْعَ عِنْدَهُمْ هُوَ مُجَرَّدُ أَخْبَارِ الصَّادِقِ. وَ هُوَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَ السَّلَامُ. وَ خَبَرُ الصَّادِقِ عِنْدَهُمْ لَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِهَذِهِ الْأَصُولِ بِالْعَقْلِ. أَيْ خَبَرُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالْعَقْلِ فَيَكُونُ الْعَقْلُ هُوَ الْأَصْلُ وَ هُوَ الْأَسَاسُ. وَ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ تَابِعَةٌ لِلأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ.

ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُمْ قَدْ يَتَنَازَعُونَ فِي الْأَصُولِ الَّتِي يُتَوَقَّفُ اثْبَاتُ النُّبُوَّةِ عَلَيْهَا. هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ يُؤْمِنُونَ بِالنُّبُوَّةِ وَ يُثَبِّتُونَ النُّبُوَّةَ كَالْمُعْتَزَلَةِ وَ الْأَشَاعِرَةِ هَؤُلَاءِ يُثَبِّتُونَ النُّبُوَّةَ وَ لَكِنْ مَا هِيَ

الأصول التي تُثبت بها النبوة؟ ما هي؟ يحتلفون في ذلك بعد إعراضهم عن الكتاب و السنة كما تقدّم. فطائفة منهم تزعم أن تحسين العقل و تفيحه داخل في هذه الأصول. أي من أصول الدين عندهم التحسين العقلي و التفييح العقلي. هذه من الأصول. و هذه لا تكون من الفروع فضلاً أن تكون من الأصول. الأصول تؤخذ من الكتاب و السنة رأساً. النصوص التي تدل على صفات -الله تعالى- و أسمائه الحسنى. النصوص التي تدل على القضاء و القدر. النصوص التي تتحدث عن المعاد. هذه هي أصول الدين. إذا قيل "أصول الدين". النصوص من الكتاب و السنة في المطالب الإلهية. أي في توحيد الأسماء و الصفات و في توحيد الربوبية و في توحيد العبادة. و النصوص التي في النبوات و النصوص التي في المعاد. هذه هي أصول الدين. و هو الفقه الأكبر كما سمى الإمام أبو حنيفة رحمه -الله- ذلك الكتيب الصغير بالفقه الأكبر لأنه يتحدث في هذه الأصول. أما تسميته ما كتبه و ما فعّده "أصول الدين" هذا خطأ. إفتيات على الشارع و إدخال التحسين تحسين العقل و التفييح العقلي في الأصول أيضاً من هذا القبيل. إفتيات على الشارع. و العقل لا يكون أصلاً و لكنّه يكون تابعا للنقل إن كان سليماً. و أنّه لا يمكن إثبات النبوة بدون ذلك. بدون التحسين العقلي و التفييح العقلي من هذه التي سموها أصول. و يجعلون التّكذيب بالقدر ممّا يقتضيه العقل أو يثبتّه , هنا نقطة مهمّة ينبغي أن يفهمها طلاب العلم: المعترلة كما نفى الأسماء. كما نفى الصفات ينفون القدر. هم قدرية أي من نفاة القدر. و يزعمون أن نفي القدر إمّا هو ممّا يقتضيه العقل و ممّا يثبتّه العقل. إذا كان العقل ينفي القدر. الإيمان بالقدر. أصلاً من أصول الدين. كيف يسمّى التحسين و التفييح الذي ينفي أصلاً من أصول الدين و زكنا من أركان الإيمان يسمّى أصلاً من أصول الدين عندهم ! يكفي هذا فساداً لهذه التسمية. و يجعلون التّكذيب بالقدر أي لو قيل لهم لماذا كذبتم القدر؟ إنكار العلم السابق و الكتاب السابق و المشيئة العامة. هذا هو إنكار القدر. و أن الأمر مستأنف. و أن العباد هم الذين يخلقون أفعال أنفسهم الاختيارية. هم الذين إن شاؤوا اهتدوا و إن شاؤوا ضلّوا و ليس لله - سبحانه و تعالى - تدخّل في أفعالهم الاختيارية. هذه

هِيَ الْقَدَرِيَّةُ. وَ يَرَوْنَ أَنَّ تَكْذِيبَ الْقَدَرِ مِمَّا يَفْتَضِيهِ الْعَقْلُ أَوْ يُثْبِتُهُ.

وَ طَائِفَةٌ تَزْعُمُ أَنَّ حُدُوثَ الْعَالَمِ مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ. إِذَا كَانَ قَصْدُهُمْ مَعْرِفَةَ حُدُوثِ الْعَالَمِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ. هَذَا يُمَكِّنُ إِدْخَالَهُ فِي أُصُولِ الدِّينِ بِالِاسْتِنْبَاطِ أَيْ بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ أُصُولُ الدِّينِ. النَّصُوصُ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ وَ الْعَالَمُ كُلُّ مَا سَوَى اللَّهِ. وَ هَلْ يُرِيدُونَ هَذَا؟ لِنَرَى: وَ طَائِفَةٌ تَزْعُمُ أَنَّ حُدُوثَ الْعَالَمِ مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ وَ أَنَّ الْعِلْمَ بِالصَّانِعِ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا بِإِثْبَاتِ حُدُوثِهِ وَ إِنْثَبَاتِ حُدُوثِهِ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا بِحُدُوثِ الْأَجْسَامِ. وَ الْمُقَدِّمَاتِ فِي النَّهَايَةِ تَنْتَهِي إِلَى الْبَاطِلِ. وَ أَنَّ الْعِلْمَ بِالصَّانِعِ أَيْ بِالْحَالِقِ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا بِإِثْبَاتِ حُدُوثِ الْعَالَمِ. وَ كَوْنُ حُدُوثِ الْعَالَمِ يَدُلُّ عَلَى قَدَمِ الصَّانِعِ صَحِيحٌ. وَ إِنْثَبَاتِ حُدُوثِهِ إِنْثَبَاتِ حُدُوثِ الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا بِحُدُوثِ الْأَجْسَامِ وَ هُنَا يُرِيدُونَ بِهَذِهِ النُّقْطَةِ الْإِسْتِدْلَالَ بِحُدُوثِ الْأَجْسَامِ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ. وَ هَذَا مَا يُدْنِدُونُ حَوْلَهُ. وَ حُدُوثُهَا. حُدُوثُ الْأَجْسَامِ يُعْلَمُ إِمَّا بِحُدُوثِ الصِّفَاتِ الَّتِي تَقُومُ بِهَذِهِ الْأَجْسَامِ وَ إِمَّا بِحُدُوثِ الْأَفْعَالِ الْقَائِمَةِ بِالْأَجْسَامِ. إِذَا يُرِيدُونَ هَذَا نَفْيِ صِفَاتِ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - لِأَنَّ تَكُونَ قَائِمَةً بِالْأَجْسَامِ لِأَنَّ الْأَجْسَامَ حَادِثَةٌ فَيَجْعَلُونَ نَفْيِ أَفْعَالِ الرَّبِّ وَ نَفْيِ صِفَاتِهِ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ إِنْثَبَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا بِهَا. هَذِهِ النُّقْطَةُ فِي غَايَةِ الْعُمُوضِ فَيَجْعَلُونَ نَفْيِ أَفْعَالِ الرَّبِّ - تَعَالَى - أَفْعَالِ الرَّبِّ عِنْدَهُمْ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: الْأَفْعَالُ الْمُتَعَدِّيَّةُ يُثْبِتُونَهَا كَالْخَلْقِ. خَلَقَ اللَّهُ الْكَوْنَ وَ رَزَقَهُمْ. يُثْبِتُونَ هَذَا وَ لَكِنْ يَنْفُونَ الْأَفْعَالُ اللَّازِمَةَ كَالنُّزُولِ وَ الْإِسْتِوَاءِ. هَذِهِ أَفْعَالٌ لَازِمَةٌ يَنْفُونَهَا. وَ هَذَا مِنْ تَصَرُّفِ الْأَشَاعِرَةِ. كَمَا فَرَّقُوا بَيْنَ الصِّفَاتِ فَرَّقُوا بَيْنَ الْأَفْعَالِ. وَ نَفْيِ صِفَاتِهِ وَ نَفْيِ الصِّفَاتِ كَمَا تَعَلَّمُونَ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْجَهْمِيَّةُ وَ الْمُعْتَزَلَةُ وَ الْأَشَاعِرَةُ أحياناً. يَجْعَلُونَ ذَلِكَ مِنَ الْأُصُولِ. مِنْ أُصُولِ الدِّينِ مَعْرِفَةُ أَوْ الْإِيمَانُ بِأَنَّ إِنْثَبَاتِ الصِّفَاتِ لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ - تَعَالَى - أَوْ إِنْثَبَاتِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ مَعًا، أَوْ إِنْثَبَاتِ بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالْأَشَاعِرَةِ. هَذِهِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ. لَكِنْ كَوْنُ هَذِهِ الْأُصُولِ وَ نَفْيِ صِفَاتِهِ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ إِنْثَبَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا بِهَا. إِجْعَلْ هَذَا إِسْتِنْفَاهُ "؟" أَمَامَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ إِنْثَبَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا بِهَا. فِيهَا عُمُوضٌ لِأَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ جَعَلُوا هَذِهِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ يُثْبِتُونَ النُّبُوَّةَ ، الْأَشَاعِرَةُ يُثْبِتُونَ النُّبُوَّةَ لَكِنْ فِي إِمْكَانِ الْإِنْسَانِ الْقَاهِمِ

لِمَذْهَبِهِمْ أَنْ يَجْعَلَهُمْ يَنْفُونَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ. ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَنْفُونَ الْحِكْمَةَ فِي أَفْعَالِ
الرَّبِّ - سبحانه و تعالى - يَقُولُونَ لَا يُقَالُ فِي -الله تعالى- إِنَّهُ يَفْعَلُ كَذَا لِكَذَا. وَ لَأُمِ الْعِلَّةِ
عِنْدَهُمْ مَنْفِيَةٌ. وَ الْحِكْمَةُ غَيْرُ ثَابِتَةٍ فِي أَفْعَالِ الرَّبِّ. إِذَا النُّبُوَّةُ بِمَا تَثْبُتُ؟ بِالْآيَاتِ , الْآيَاتِ فِي
لُغَةِ الْقُرْآنِ وَ الْمُعْجَزَاتِ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ. إِنْ ثَبَتَتْ النُّبُوَّةُ بِالْمُعْجَزَاتِ وَ الْمُعْجَزَاتِ فِي لُغَةِ أَهْلِ
الْكَلَامِ إِنْ ثَبَتَتْ النُّبُوَّةُ بِالْمُعْجَزَاتِ وَ لَيْسَ مِنْ أَصُولِهِمْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ الْمُعْجَزَةَ الْفُلَانِيَّةَ
لِثَبَاتِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ الْفُلَانِيِّ وَ هَذَا عِنْدَهُمْ غَيْرُ جَائِزٍ. لِأَنَّ فِي هَذَا تَعْلِيلًا لِفِعْلِ الرَّبِّ - سبحانه
و تعالى. وَ أَفْعَالُ الرَّبِّ عِنْدَهُمْ لَا تُعَلَّلُ. إِذَا لَزِمَ عَقِيدَتِهِمْ فِي بَابِ أَفْعَالِ -الله تعالى- وَ فِي
بَابِ الْحِكْمَةِ نَفْيُ النُّبُوَّةِ وَ عَدَمُ إِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ. وَ مَعَ ذَلِكَ تَنَاقَضُوا فَأَثْبَتُوا النُّبُوَّةَ وَ أَثْبَتُوا
الْمُعْجَزَاتِ مُتَنَاقِضِينَ لِأَصْلِهِمْ. وَ أَمَّا الْمُعْتَرِزَةُ يُثْبِتُونَ الْمُعْجَزَاتِ وَ يَنْفُونَ الْكَرَامَاتِ. وَ الْأَشَاعِرَةُ
يُؤَافِقُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ النُّقْطَةِ مَعَ تَنَاقُضِهِمْ يُثْبِتُونَ الْمُعْجَزَاتِ وَ يُثْبِتُونَ الْكَرَامَاتِ. كُلٌّ
ذَلِكَ عَلَى خِلَافِ مَذْهَبِهِمْ وَ خِلَافِ قَاعِدَتِهِمْ فِي بَابِ الْأَفْعَالِ لِأَنَّ أَفْعَالَ -الله تعالى- لَا
تُعَلَّلُ عِنْدَهُمْ. وَ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ لِلْعِبَادَةِ وَ يَجْعَلُونَ اللَّامَ فِي فِي قَوْلِهِ -تعالى- (و
مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) يَقُولُونَ لَأُمِ السَّيْرُورَةِ وَ لَيْسَتْ لَأُمِ الْعِلَّةِ. وَ لَا لَأُمِ
الْحِكْمَةِ. أَيْ خَلَقَهُمْ هَكَذَا مِنْ بَابِ مُوَافَقَةِ الْإِرَادَةِ. تَعَلَّقَتْ إِرَادَةُ -الله تعالى- بِخَلْقِهِمْ ثُمَّ
صَارَ الْأَمْرُ أَخِيرًا بَعْدَ خَلْقِهِمْ إِلَى عِبَادَتِهِ - سبحانه و تعالى-. هَكَذَا يَتَصَرَّفُونَ فِي كَلَامِ الرَّبِّ
-تعالى- بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ. إِنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَ النُّبُوَّةَ وَ الْوَلَايَةَ وَ لَكِنْ أَثْبَتُوا مُتَنَاقِضِينَ وَ
مُخَالِفِينَ لِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ وَ هِيَ عَدَمُ إِثْبَاتِ الْحِكْمَةِ لِفِعْلِ الرَّبِّ -تعالى-. لَسْتُ أَدْرِي هَلْ هَذَا
الْكَلَامُ مَفْهُومٌ أَوْ لَا ؟ وَ عَلَى كُلِّ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ الْقَوْمِ. "إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ فَجَاوِزُهُ
إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ". وَ بَعْدُ: ثُمَّ هَؤُلَاءِ لَا يَقْبَلُونَ الْإِسْتِدْلَالَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ. لَا يَقْبَلُونَ
الْإِسْتِدْلَالَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ عَلَى نَقِيضِ قَوْلِهِمْ. عَلَى مَا يُخَالِفُ قَوْلَهُمْ وَ هَلْ هَذَا يَشْمَلُ حَتَّى
الْأَشَاعِرَةَ؟ لِنَرَى الْآنَ: لِظَنِّهِمْ أَنَّ الْعَقْلَ عَارِضٌ عَرِضٌ لِلسَّمْعِ أَيْ يُعَارِضُ السَّمْعَ وَ هُوَ
أَصْلُهُ. الْعَقْلُ أَصْلٌ لِلسَّمْعِ. فَيَجِبُ تَقْدِيمُهُ. تَقْدِيمُ الْعَقْلِ عَلَى السَّمْعِ. وَ السَّمْعُ إِمَّا يُؤَوَّلُ وَ
إِمَّا يُفَوَّضُ. هَكَذَا تَقَعُ الْأَشَاعِرَةُ مَعَهُمْ تَمَامًا. يَقُولُ قَائِلُهُمْ: وَ كُلُّ نَصٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ أَوْ

فَوْضَ وَ رُمَ تَنْزِيهَاً. هَذَا أَشْعَرِي. صَاحِبُ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَمْثَلِ الْمُتَوَنِّينَ الَّتِي يَحْفَظُهَا الشَّبَابُ. شَبَابُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ "جَوْهَرُ التَّوْحِيدِ". يَقُولُ صَاحِبُ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ: وَ كُلُّ نَصٍ مِنَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ. مَاذَا تَفْعَلُ بِهِ؟ أَوَّلُهُ. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ وَ هُوَ الْمُقَدَّمُ عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ قَدَّمَ التَّأْوِيلَ قَبْلَ التَّفْوِيضِ. أَيُّ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ التَّأْوِيلُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّفْوِيضِ. أَوْ فَوْضَ وَ رُمَ تَنْزِيهَاً فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ. فَلْيَكُنْ فَصْدُكَ التَّنْزِيهِ حِينَ التَّأْوِيلِ وَ حِينَ التَّفْوِيضِ. قَبْلَ هَذَا كُلُّهُ هَلْ يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يُوجَدُ فِي كِتَابِ -اللهِ تعالى- تَوْجِدٌ فِي كِتَابِ -اللهِ- آيَةٌ وَاحِدَةٌ تُوهِمُ التَّشْبِيهِ؟! التَّشْبِيهِ كُفْرٌ , كَيْفَ نَتَصَوَّرُ وُجُودَ آيَةٍ فِي كِتَابِ -اللهِ تعالى- وَ هُوَ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ-آيَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْكُفْرِ!! وَ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ -اللهِ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ!! وَ كُتِّفَ النَّبِيُّ بِالْبَيَانِ (وَ نَزَّلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) وَ هَلْ يَلِيْقُ بِاللَّهِ أَنْ يُنْزَلَ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْكُفْرِ وَ عَلَى التَّشْبِيهِ؟! حَاشَى , ثُمَّ رَسُولُ -اللهِ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ لَمْ يُبَيِّنْ ذَلِكَ! بَقِيَتْ الْآيَةُ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ وَ فِي إِيْهَامِهِ لِلْكَفْرِ وَ التَّشْبِيهِ. فَمَضَى عَهْدُ النُّبُوَّةِ وَ عَهْدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَ عَهْدُ الصَّحَابَةِ وَ مَضَى عَهْدُ الْأُمَوِيِّينَ ثُمَّ نَشَأَ عِلْمُ الْكَلَامِ فِي عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ فَزَعَمُوا هَذَا الزَّعْمَ. إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى التَّشْبِيهِ وَ تَدُلُّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْفُوا أَحَدَ الْمُوقِفَيْنِ: إمَّا أَنْ يُؤَوَّلُوا تِلْكَ الْآيَاتَ تَأْوِيلًا مَعْنَاهُ التَّحْرِيفُ. الْخُرُوجُ بِهَا عَنْ الْمَعْنَى الرَّاجِحِ إِلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ. هَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ. الْخُرُوجُ بِاللَّفْظِ مِنَ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ الْوَاضِحِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ بِوَضْعِهِ إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ بِدَلِيلٍ يُدْعَى. مَا هُوَ الدَّلِيلُ الْمَدْعَى الَّذِي يَجِبُ مِنْ أَجْلِهِ تَأْوِيلُ الْآيَةِ؟ "الِاسْتِحَالَةُ الْعَقْلِيَّةُ" ! , يَسْتَحِيلُ عَقْلًا أَنْ يُوصَفَ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- بِالِاسْتِثْوَاءِ عَلَى عَرْشِهِ وَ يَسْتَحِيلُ عَقْلًا أَنْ يُوصَفَ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- بِأَنَّهُ يَحْيَى لِأَنَّ الْمَحْيَى يَسْتَلْزِمُ الْحَرَكَةَ وَ الْإِنْتِقَالَ. هَذِهِ مِنْ لَوَازِمِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ. إِذَا -اللهِ- لَمْ يُرِدْ ظَاهِرَ هَذَا الْمَعْنَى. يَجِبُ تَأْوِيلُهُ وَجُوبًا! مَنْ الَّذِي أَوْجَبَ؟ يَجِبُ تَأْوِيلُهُ , لَمْ يُوجِبِ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ لَا النَّبِيُّ الَّذِي كُتِّفَ بِالْبَيَانِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ الْقُرُونُ الْمُفَضَّلَةُ. بَلْ وَجِبَ هَذَا الْوُجُوبُ بِدَعْوَى مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ فِي عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ بَعْدَ الْخِلَافَةِ السَّابِعَةِ!. هَلْ

هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ؟! وَ هَلْ هَذَا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ هَلْ هَذَا مَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ. إِذَا رَاجَعْنَا الْقَوْمَ. إِنَّ إِيْمَانَهُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ إِيْمَانٌ شَكْلِي. لِأَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامِ اللَّهِ حَقِيقَةً. لِذَلِكَ يَجُوزُ التَّصَرُّفُ فِيهِ. كَلَامُ اللَّهِ الْحَقِيقِي لَيْسَ بِحَرْفٍ وَ لَا صَوْتٍ. مَعْنَى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ , وَ هَذَا الْكَلَامُ إِنَّمَا يُحْتَرَمُ لِذِلَالَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ الْحَقِيقِي وَ لَيْسَ لَهُ إِحْتِرَامٌ ذَاتِي. عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ لَيْسَ لِلْقُرْآنِ إِحْتِرَامٌ ذَاتِي وَ لَكِنْ إِحْتِرَامٌ تَابِعٌ لِلْكَلامِ الْحَقِيقِي النَّفْسِي الَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ وَ لَا صَوْتٍ. هَذِهِ هِيَ الْعَرَائِبُ الَّتِي يَدْرُسُهَا شَبَابُنَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَاهِدِ الَّتِي تُسَمَّى الْمَعَاهِدَ الدِّينِيَّةَ الَّتِي تُحْفَظُ فِيهَا السُّنُونِيَّةُ وَ جَوْهَرَةُ التَّوْحِيدِ. وَ مَنْ يَدْرُسُ التَّوْحِيدَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَيْفَ يَفْهَمُ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ؟ مُسْتَحِيلٌ , هَذَا الْكَلَامُ يَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَ بَيْنَ فَهْمِ حَقِيقَةِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. إِذَا نَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى كَلَامِ الشَّيْخِ فَيَقُولُ: ثُمَّ هَؤُلَاءِ لَا يَقْبَلُونَ الْإِسْتِدْلَالَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ عَلَى نَقِيضِ قَوْلِهِمْ. قَوْلُهُمْ كَمَا عَلِمْتُمْ وَجُوبُ التَّأْوِيلِ أَوْ التَّفْوِيضُ بِالنِّسْبَةِ لِلنُّصُوصِ الَّتِي تُؤْهِمُ التَّشْبِيهَ فِي زَعْمِهِمْ. التَّفْوِيضُ كَأَن يَدَّعِي الْإِنْسَانُ إِنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَعْنَى "جَاءَ"!! هَلْ هَذَا مِنَ الْعَقْلِ!! عَرَبِي يَقُولُ أَنَا لَا أَفْهَمُ مَعْنَى "جَاءَ" أَوْ مَعْنَى "اسْتَوَى" أَوْ مَعْنَى "نَزَلَ" ! لَا أَفْهَمُ الْمَعْنَى !! كَيْفَ تُفْهَمُ؟ مَنْ يَقُولُ أَنَا لَا أَفْهَمُ هَذَا الْمَاءَ أَنَّهُ مَاءٌ! كَيْفَ تُفْهَمُ أَنَّهُ مَاءٌ!! تَعْجَزُ , هَكَذَا هَذَا هُوَ التَّفْوِيضُ مَعْنَاهُ التَّجَاهُلُ. أَن تَتَجَاهَلَ مَعَانِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ! بَيْنَمَا لَوْ جَاءَ الْفِعْلُ "جَاءَ" فِي غَيْرِ صِفَاتِ -اللَّهِ تَعَالَى- يَفْهَمُ مَعْنَاهُ , لَوْ جَاءَ الْفِعْلُ اسْتَوَى أَوْ نَزَلَ فِي غَيْرِ نُصُوصِ الصِّفَاتِ يَفْهَمُ مَعْنَاهُ. وَ إِذَا جَاءَتْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهَا!! هَذَا هُوَ التَّفْوِيضُ.

قَالُوا: لَيْسَمَعَ الْجَمِيعَ لِظَنِّهِمْ أَنَّ الْعَقْلَ يُعَارِضُ السَّمْعَ. أَنَّ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ يُعَارِضُ الدَّلِيلَ السَّمْعِيَّ وَ هُوَ أَصْلُهُ وَ أَنَّ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ هُوَ الْأَصْلُ. لَوْ كَانَ الدَّلِيلُ الْعَقْلِيَّ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي تَنَبُّهُ بِهِ الْهِدَايَةُ لِلْعِبَادِ. لِمَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْكُتُبَ وَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ؟ مَاذَا اسْتَفَادَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَ إِنْزَالِ الْكُتُبِ إِذَا كَانَ الْأَصْلُ مَوْجُودٌ عِنْدَهُمْ وَ هُوَ الدَّلِيلُ الْعَقْلِيَّ!! إِنَّمَا تَعْبُوا فِي حِفْظِ النُّصُوصِ وَ إِلَّا الْأَصْلُ عِنْدَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ هُوَ الدَّلِيلُ الْعَقْلِيَّ. فَيَجِبُ تَقْدِيمُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ

التَّعَارُضُ! وَإِنْ وَافَقَ الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ قُبِلَ لِأَنَّهُ وَافَقَ الْأَصْلَ!! وَ إِنْ تَوَقَّفَ مُتَوَقَّفٌ هَلْ هُوَ مُوَافِقٌ أَوْ مُخَالِفٌ وَجِبَ التَّوَقُّفُ! وَ عِنْدَ التَّعَارُضِ وَجِبَ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ. هَذَا هُوَ أَصُولُ الدِّينِ عِنْدَهُمْ! وَ هُمْ أَيْضًا مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ التَّحْقِيقِ لَا يَقْبَلُونَ الْإِسْتِدْلَالَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ عَلَى وَفْقِ قَوْلِهِمْ لِمَا تَقَدَّمَ فِي الصَّفْحَةِ سَبْعَةَ وَأَرْبَعِينَ 47 عِنْدَ قَوْلِهِ "فَإِنَّ السَّمْعَ هُوَ مُجَرَّدُ أَخْبَارِ الصَّادِقِ وَ خَبَرِ الصَّادِقِ الَّذِي هُوَ النَّبِيُّ لَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ" بِهَذِهِ الْأَصُولِ. بِالْعَقْلِ. مَعْنَى ذَلِكَ حَتَّى لَوْ وَافَقَتِ الْأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ لَيْسَتْ هِيَ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا. إِنَّمَا تُذَكَّرُ مِنْ بَابِ الْإِسْتِثْنَاءِ بِهَا وَ الْإِعْتِضَادِ بِهَا لَا مِنْ بَابِ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا. الْإِعْتِمَادُ عَلَى الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ. ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى-. نَعَمْ إِفْرَأ .

القَارِئُ: ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ -الله تعالى- (وهؤلاء يضلون من وجوه: منها ظنهم أن السمع بطريق الخبر تارة).

الشَّيْخُ: الصَّحِيحُ بِطَرِيقِ الْخَبَرِ الْمَجَرَّدِ بَدَلُ تَارَةٍ , بِطَرِيقِ الْخَبَرِ الْمَجَرَّدِ . لِأَنَّهُمْ أَنَّ السَّمْعَ بِطَرِيقِ الْخَبَرِ الْمَجَرَّدِ , نَعَمْ .

القَارِئُ: (منها ظنهم أن السمع بطريق الخبر المجرد , وليس الأمر كذلك، بل القرآن بين من الدلائل العقلية التي تعلم بها المطالب الدينية ما لا يوجد مثله في كلام أئمة النظر، فتكون هذه المطالب شرعية عقلية).

الشَّيْخُ: بَسْ , قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- وَ هَؤُلَاءِ يَضِلُّونَ مِنْ وَجْهِهِ. ضَلُّوا مِنْ وَجْهِهِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا ظَنُّهُمْ أَنَّ السَّمْعَ بِطَرِيقِ الْخَبَرِ الْمَجَرَّدِ. أَنَّ السَّمْعَ إِنَّمَا هُوَ بِطَرِيقِ الْخَبَرِ الْمَجَرَّدِ. الْأَخْبَارُ الْمَجَرَّدَةُ الَّتِي تُسَرَّدُ وَ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا. يُؤْمَنُ بِهَا. وَ لَا يُكَذَّبُ بِهَا لِأَنَّ التَّكْذِيبَ كُفْرٌ وَ هُمْ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ. أَخْبَارٌ مُجَرَّدَةٌ تُسَرَّدُ. إِنْ كَانَ قُرْآنًا لِلتَّبَرُّكِ بِهِ وَ إِنْ كَانَ سُنَّةً. إِنْ كَانَ فِي

الصَّحِيحِينَ كَذَلِكَ يُتَبَرَّكُ بِهِ. هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ يَحْتَمُونَ الصَّحِيحِينَ فِي بُيُوتِهِمْ تَبَرُّكًا؟ وَ لَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ شَيْءٌ! لَا لِ التَّعَبُّدِ بِهِمَا وَ أَخَذِ الْأَحْكَامِ وَ الْعَقِيدَةِ مِنْهُمَا وَ لَكِنْ لِمُجَرَّدِ التَّبَرُّكِ. كَمَا يَتَبَرَّكُونَ بِالْقُرْآنِ. الْقُرْآنُ عِنْدَهُمْ لِمُجَرَّدِ التَّبَرُّكِ! لَا يَجْرُؤُونَ عَلَى تَكْذِيبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ يَسْتَحْيُونَ وَ يَجْتَنُونَ مِنْ تَكْذِيبِهَا بِالْفِعْلِ لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ الْمَعْنَى هُمْ مُكَذِّبُونَ. إِذَا كَانَتْ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ لِمُجَرَّدِ سَرْدِ الْأَخْبَارِ وَ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. يَقُولُ الشَّيْخُ: بَلِ الْقُرْآنُ بَيَّنَّ مِنْ دَلَالَةٍ مِنَ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تُعْلَمُ بِهَا الْمَطَالِبُ الدِّينِيَّةِ، الْقُرْآنُ لَيْسَ مُجَرَّدَ نُصُوصٍ تُسَرَّدُ وَ تُتْلَى بَلْ هُوَ تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ. الْقُرْآنُ بَيَّنَّ مِنْ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تُعْلَمُ بِهَا الْمَطَالِبُ الدِّينِيَّةِ. لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ نُصُوصٍ بَلْ نُصُوصٌ تُفَسَّرُ وَ تُفْهَمُ وَ السَّلَفُ يَفْهَمُونَ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَحْتَئِ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَ إِنْ لَمْ تَكُنْ الْأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ هِيَ الْأَسَاسُ. لَكِنْ لَمْ يُهْمَلِ الْقُرْآنُ الْأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ. بَلِ الْقُرْآنُ بَيَّنَّ مِنَ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تُعْلَمُ بِهَا الْمَطَالِبُ الدِّينِيَّةِ. تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْمَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ مِنْهَا الْمَطَالِبُ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي مِنْهَا تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ تَوْحِيدُ الرُّتُوبِيَّةِ وَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا النُّبُوتُ وَ الَّتِي مِنْهَا الْمَعَادُ. هَذِهِ الْمَطَالِبُ الدِّينِيَّةِ. يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ فِي كَلَامِ أَيْمَةِ النَّظَرِ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ يُقَالُ لَهُمْ "أَيْمَةُ النَّظَرِ" الَّذِينَ يَنْظُرُونَ فَيَفَكِّرُونَ وَ يَعْقِلُونَ فِي زَعْمِهِمْ. فَتَكُونُ هَذِهِ الْمَطَالِبُ شَرْعِيَّةً عَقْلِيَّةً أَيْ أَتْبَاعُ السَّلَفِ لَا يَدَّعُونَ أَنَّ الْمَطَالِبَ الدِّينِيَّةَ نَفْلِيَّةٌ مُحْضَةٌ بَلْ نَفْلِيَّةٌ وَ عَقْلِيَّةٌ أَيْ إِنَّ الْعَقْلَ يُدْرِكُ الْمَطَالِبَ الدِّينِيَّةَ وَ مَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ فِي هَذَا بِالتَّفْصِيلِ عَلَيْهِ بِكِتَابِ "النُّبُوتِ" كَمَا قُلْنَا. "النُّبُوتُ" لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ , هَكَذَا نَكْتَفِي بِهَذَا الْمَقْدَارِ كَمَا قِيلَ: الْقَلِيلُ الْمَفْهُومُ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الْغَيْرِ مَفْهُومٍ , فَلْيُفْهَمْ هَذَا الدَّرْسُ وَ لِيُهْتَمَّ بِهِ , وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

الدرس رقم : 40

القارئ: يَقُولُ شيخُ الاسلام رحمه -الله تعالى- (ومنها ظنهم أن الرسول لا يعلم صدقه إلا بالطريق المعينة التي سلكوها، وهم مخطئون قطعاً في انحصار طريق تصديقه فيما ذكره، فإن طرق العلم بصدق الرسول كثيرة، كما قد بسط في غير هذا الموضع ، ومنها ظنهم أن تلك الطريق التي سلكوها صحيحة، وقد تكون باطلة ، ومنها ظنهم أن ما عارضوا به السمع معلوم بالعقل ، ويكونون غالطين في ذلك، فإنه إذا وزن بالميزان الصحيح وجد ما يعارض الكتاب والسنة من المجهولات لا من المعقولات، وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع ، والمقصود هنا أن من صفات الله -تعالى- ما قد يعلم بالعقل، كما يعلم أنه عالم، وأنه قادر، وأنه حي، كما أرشد إلى ذلك قوله: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} .

وقد اتفق النُّظَّار من مثبته الصفات على أنه يعلم بالعقل - عند المحققين - أنه حي عليم قدير مريد، وكذلك السمع والبصر والكلام يثبت بالعقل عند المحققين منهم ، بل وكذلك الحب والرضا والغضب يمكن إثباته بالعقل ، وكذلك علوه على المخلوقات ومباينته لها مما يعلم بالعقل، كما أثبتته بذلك الأئمة مثل أحمد بن حنبل وغيره، ومثل عبد العزيز المكي وعبد الله بن سعيد بن كلاب ، بل وكذلك إمكان الرؤية يثبت بالعقل، لكن منهم من أثبتها بأن كل موجود تصح رؤيته، ومنهم من أثبتها بأن كل قائم بنفسه تمكن رؤيته، وهذه الطريق أصح من تلك ، وقد يمكن إثبات الرؤية بغير هذين الطريقين، بتقسيم دائر بين النفي والإثبات، كما يقال: إن الرؤية لا تتوقف إلا على أمور وجودية، فإن ما لا يتوقف إلا على أمور وجودية يكون الموجود الواجب القديم أحق به من الممكن المحدث. والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع.)

الشيخ: بِسْمِ , الحمدُ لله ربِّ العالمينَ وَ صَلَوةُ اللهِ وَ سلامُهُ وَ رحمَتُهُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَ الرَّسُولِ الْأَمِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ أَجْمَعِينَ , قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ

تَيْمِيَّةَ رَحْمَهُ -الله تعالى- وَ هُمْ أَيْضًا عِنْدَ التَّحْقِيقِ لَا يَقْبَلُونَ الْإِسْتِدْلَالَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ عَلَى وَفْقِ قَوْلِهِمْ لِمَا تَقَدَّمَ. وَ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ إِنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ لَا يَقْبَلُونَ الْإِسْتِدْلَالَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ حَتَّى عَلَى وَفْقِ قَوْلِهِمْ أَيْ إِلَّا إِذَا تَوَافَقَ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ الْأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ , وَ كَمَا تَقَدَّمَ لَأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ هِيَ الْأَصْلُ , وَ الْأَدِلَّةُ النَّفْلِيَّةُ تَابِعَةٌ. مَعْنَى ذَلِكَ الْإِسْتِدْلَالَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ إِسْتِدْلَالٌ تَابِعٌ لِلْعَقْلِ وَ لَيْسَ اسْتِدْلَالًا إِسْتِغْلَالِيًّا.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحْمَهُ -الله تعالى- وَ هَؤُلَاءِ يَضِلُّونَ مِنْ وُجُوهِ ضَلَالِهِمْ ظَنُّهُمْ أَنَّ السَّمْعَ إِنَّمَا هُوَ بِطَرِيقِ الْخَبَرِ الْمَجْرَدِ فَقَطْ. سَرَدُ الْأَخْبَارِ الْمَجْرَدَةِ الَّتِي لَا تُفِيدُ وَحْدَهَا عَلَى اسْتِغْلَالٍ وَ هُوَ تَابِعٌ لِلْكَلامِ السَّابِقِ وَ تَفْسِيرٌ لَهُ. وَ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. بَلِ الْقُرْآنُ بَيِّنٌ مِنَ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تُعْلَمُ بِهَا الْمَطَالِبُ الدِّينِيَّةُ. أَيْ إِنَّ الْقُرْآنَ يُبَيِّنُهُ هُوَ نَفْسُهُ مِنَ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تُعْلَمُ بِهَا الْمَطَالِبُ الدِّينِيَّةُ بِمَا لَا يُوْجَدُ مِثْلُهُ فِي كَلَامِ أَيْمَةِ النَّظَرِ. أَيْمَةُ النَّظَرِ أَيْ أَيْمَةُ الْكَلَامِ. عُلَمَاءُ الْكَلَامِ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى النَّظَرِ وَ التَّأَمُّلِ وَ التَّعَقُّلِ فِي زَعْمِهِمْ وَ الْإِسْتِدْلَالَ بِالنَّظَرِ. الْكِتَابُ يَحْتُثُّ عَلَى النَّظَرِ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يُبَيِّنُ بِأَنَّ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةَ دَالَّةٌ عَلَى وُجُودِ -الله تعالى- ثُمَّ قَالَ وَ مِنْهَا أَيْ مِنْ وُجُوهِ ضَلَالِهِمْ ظَنُّهُمْ أَنَّ الرَّسُولَ لَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ إِلَّا بِالطَّرِيقِ الْمَعْيَنَةِ الَّتِي سَلَكَوْهَا. عَلَى تَنَاقُضٍ فِي ذَلِكَ فِي مَا بَيْنَهُمْ. أَيْ أَنَّ الرَّسُولَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالْمُعْجَزَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. هَذِهِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي سَلَكَوْهَا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ يُثْبِتُ النُّبُوَّةَ كَالْمُعْتَرِزَةِ وَ الْأَشَاعِرَةِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا سَابِقًا مِنْ التَّنَاقُضِ فِي ذَلِكَ. وَ هُمْ يُعْلِنُونَ فِي كُتُبِهِمْ إِبْثَاتِ النُّبُوَّةِ بِالْمُعْجَزَاتِ أَيْ بِالْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. وَ لَا يَنْحَصِرُ مَعْرِفَةُ النُّبُوَّةِ فِي هَذَا. بِالْمُعْجَزَاتِ أَيْ بِالْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. وَ لَا يَنْحَصِرُ مَعْرِفَةُ النُّبُوَّةِ فِي هَذَا. ظَنُّهُمْ أَنَّ الرَّسُولَ لَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ إِلَّا بِالطَّرِيقَةِ الْمَعْيَنَةِ الَّتِي سَلَكَوْهَا وَ هُمْ مُحْطَوُونَ قَطْعًا فِي ذَلِكَ. فِي انْخِصَارِ طَرِيقِ تَصَدِيقِهِ فِي مَا ذَكَرُوهُ. طَرِيقُ تَصَدِيقِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ لَا يَنْحَصِرُ فِي الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةُ يُؤْمِنُونَ بِالْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ لِتَكُونَ عَلَامَةً وَ آيَةً لَصِدْقِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ غَيْرِهِمْ مِنَ الرُّسُلِ. إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ حَصَرَ الطَّرِيقِ لِمَعْرِفَةِ صِدْقِ الرَّسُولِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ. وَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى ثَبَاتِ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ عِنْدَ أَهْلِ

السُّنَّةِ دُونَ تَنَافُضٍ وَ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ وَ الْمُعْتَزَلَةِ مَعَ التَّنَافُضِ. وَ التَّنَافُضُ الْبَيِّنُ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ لَا يُشْتَبَوْنَ الْحِكْمَةَ فِي أَفْعَالِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى-. أَي لَا يُشْتَبَوْنَ بِأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ لِشَيْءٍ. إِذَا أُثْبِتُوا الْمُعْجَزَةُ. أُثْبِتُوا بِأَنَّ -الله- فَعَلَ شَيْئًا لِشَيْءٍ. أَي أَظْهَرَ نَاقَةً صَالِحَةً مَثَلًا لِتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ دَعْوَاهُ بِالرَّسَالَةِ وَ هَذَا تَغْلِيلٌ لِفِعْلِ الرَّبِّ -سبحانه و تعالى- وَ قَسْنِ عَلَى ذَلِكَ سَائِرِ الْمُعْجَزَاتِ. وَ هَذَا غَيْرُ ثَابِتٍ عَلَى أَصْلِهِمْ وَ مَعَ ذَلِكَ أُثْبِتُوا وَ لَمَّا أُثْبِتُوا حَصَرُوا طَرِيقَ مَعْرِفَتِهِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. وَ هَذَا خَطَأٌ وَ وَجْهُ خَطِئِهِ أَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَرَفُوا صِدْقَ رِسَالَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ بِدُونِ مَعْرِفَةٍ أَوْ بِدُونِ إِطْلَاعٍ عَلَى الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلٍ لَمْ يَعْرِفْ نُبُوَّةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ بِالْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ وَ النَّجَاشِيُّ لَمْ يَعْرِفْ صِدْقَ رِسَالَتِهِ بِالْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ بَلْ اعْتَبَرُوا. اعْتَبَرُوا بِالرُّسُلِ الْأَوَّلِينَ وَ قَاسُوا عَلَى ذَلِكَ. بَلْ صِدْقُ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ مَعْلُومٌ عِنْدَ قَوْمِهِ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَدَّعِيَ الرَّسَالَةَ. قَبْلَ أَنْ يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ. كَانُوا يَعْرِفُونَ إِنَّهُ الصَّادِقُ وَ إِنَّهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ. وَ قَدْ أَظْهَرَ -الله- سبحانه و تعالى- صِدْقَهُ وَ أَمَانَتَهُ فِي صِبَاهٍ. كَانَ يَتَجَنَّبُ بِجَالِسِ شَبَابٍ فُرْشٍ وَ لَا يَخْضُرُ مَعَهُمْ بِجَالِسِ اللَّعِبِ وَ اللَّهْوِ وَ كَانَ يَتَرَفَّعُ. وَكَانَ مَعْرُوفٌ بِالصِّدْقِ. بِصِدْقِ اللَّهْجَةِ وَ الْقَوْمُ كَانُوا يَعْرِفُونَ صِدْقَهُ إِلَّا أَنَّ الرَّسَالَةَ لَمَّا جَاءَتْ مُحَالِفَةً لِهَوَاهُمْ وَ لَمَّا هَاجَمَ آلِهَتَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ كَفَرُوا بِهِ. وَ بِالْأَخْتِصَارِ طُرُقُ مَعْرِفَةِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ صِدْقَهُ وَ صِدْقَ الرُّسُلِ قَبْلَهُ لَا تَنْحَصِرُ فِي الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. هَذِهِ هِيَ النُّقْطَةُ الَّتِي يُنَاقِشُ فِيهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَ تَوَسَّعَ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ "النُّبُوتَاتُ" فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ. لِذَلِكَ قَالَ فَإِنَّ طُرُقَ الْعِلْمِ بِصِدْقِ الرُّسُولِ كَثِيرَةٌ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَ هُوَ الْكِتَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ كَمَا تَرَوْنَ فِي التَّعْلِيقِ.

وَ مِنْهَا. مِنْ طُرُقِ ضَلَالِهِمْ ظَنُّهُمْ أَنَّ تِلْكَ الطَّرِيقَ الَّتِي سَلَكَوْهَا صَحِيحَةٌ وَ قَدْ تَكُونُ بَاطِلَةً. أَمَّا الْبُطْلَانُ فِي مَا يَظْهَرُ لَنَا حَصْرُ مَعْرِفَتِهِ أَوْ مَعْرِفَةِ نُبُوَّتِهِ فِي ذَلِكَ. هَذَا وَجْهُ الْبُطْلَانِ. وَ إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ وَجُوهٌ أُخْرَى لِلْبُطْلَانِ بَيْنَهَا الشَّيْخُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ وَ مِنْهَا ظَنُّهُمْ أَنَّ مَا عَارَضُوا بِهِ السَّمْعَ مَعْلُومٌ بِالْعَقْلِ. وَ يَكُونُونَ عَالِطِينَ فِي ذَلِكَ. إِذَا ظَنُّوا أَنَّ مَا

عَارِضُوا بِهِ الْأَدِلَّةَ السَّمْعِيَّةَ مِنْ عُقُولِهِمْ وَ اسْتَحْسَنَاتِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ بِالْعَقْلِ. يَكُونُونَ غَالِطِينَ فِي ذَلِكَ. وَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا وُزِنَ بِالْمِيزَانِ الصَّحِيحِ وَجَدَ مَا يُعَارِضُ الْكِتَابَ وَ السُّنَّةَ مِنَ الْمَجْهُولَاتِ لَا مِنَ الْمَعْقُولَاتِ. وَ هُمْ ظَنُّوا أَوْ زَعَمُوا أَنَّ مَا بَنَوْ عَلَيْهِ أَصُولَ دِينِهِمْ مِنَ الْمَعْقُولَاتِ. أَصُولَ الدِّينِ الَّتِي تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا. ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْقُولَاتِ وَ الشَّيْخُ يَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَجْهُولَاتِ لَا مِنَ الْمَعْقُولَاتِ. وَ قَدْ بَسِطَ الْكَلَامَ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. الْكِتَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ وَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فِي "دَرَّةِ التَّعَارُضِ" وَ كِتَابِ "الْمُنْهَاجِ". هُنَاكَ الْبَسِطُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَوَسَّعَ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- وَ الْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ مِنْ صِفَاتِ -الله تعالى- مَا قَدْ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ عَالِمٌ وَ أَنَّهُ قَادِرٌ. أَيُّ إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَخْصِرِ الْأَدِلَّةَ فِي الْأَدِلَّةِ النَّقْلِيَّةِ بَلِ الْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ لِمَعْرِفَةِ -الله تعالى- وَ مَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ. مِنْ ذَلِكَ يُعْلَمُ أَنَّهُ -سبحانه و تعالى- عَالِمٌ وَ أَنَّهُ قَادِرٌ وَ أَنَّهُ حَيٌّ. هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَ الصِّفَاتُ تُعْلَمُ بِالْعَقْلِ. كَمَا أُرْشِدَ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ -تعالى- (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) . قَدْ يُسْتَدَلُّ بِأَسْمَاءِ -الله تعالى- وَ صِفَاتِهِ عَلَى -الله- وَ هَذِهِ طَرِيقَةُ الْخَوَاصِّ , الْإِسْتِدْلَالُ عَلَى اللهِ بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ أَنَّ ذَلِكَ يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ كَمَا يُدْرِكُ بِالنَّقْلِ طَرِيقَةُ خَاصَّةٌ يَمْتَنِزُ بِهَا خَاصَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْعَقْلِ وَ النَّقْلِ مِنْهُمْ الْمُؤَلَّفُ -رحمه الله تعالى- وَ قَدْ اتَّفَقَ النُّظَّارُ مِنْ مُثَبِّتَةِ الصِّفَاتِ. مِنْ مُثَبِّتَةِ الصِّفَاتِ سَوَاءً كَانُوا يُثَبِّتُونَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ وَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ أَوْ يُثَبِّتُونَ بَعْضَهَا وَ يُؤَوَّلُونَ وَ يَنْفُونَ الْآخَرَ كَالْأَشَاعِرَةِ. الْأَشَاعِرَةُ يَدْخُلُونَ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْمُثَبِّتَةِ هُنَا , وَ قَدْ اتَّفَقَ النُّظَّارُ مِنْ مُثَبِّتَةِ الصِّفَاتِ عَلَى أَنَّهُ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ مُرِيدٌ. بَلْ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ الدَّلِيلُ الْأَسَاسِيُّ أَوْ الدَّلِيلُ الرَّئِيسِيُّ هُنَا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ , فِي مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ حَيٌّ وَ أَنَّهُ عَلِيمٌ وَ أَنَّهُ قَدِيرٌ مُرِيدٌ. وَ كَذَلِكَ السَّمْعُ وَ الْبَصَرُ وَ الْكَلَامُ يَثْبُتُ بِالْعَقْلِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهُمْ وَ هُمْ الْأَشَاعِرَةُ الَّذِينَ يُشَارِكُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى. وَ أَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ كَمَا نَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَا يُثَبِّتُونَ إِلَّا الْأَسْمَاءَ وَ الصِّفَاتِ يَنْفُونَهَا. وَ هَلِ الْأَسْمَاءُ أَثْبَتُوهَا بِالْأَدِلَّةِ النَّقْلِيَّةِ؟ لَا , بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ إِذَا. الْمُعْتَزِلَةُ يُشَارِكُونَ فِي

هَذَا بِالنَّسَبَةِ لِلْأَسْمَاءِ الْمَجْرَدَةِ الَّتِي لَا تَدُلُّ عَلَى الصِّفَاتِ. وَ لَكِنْ لَا يَدْخُلُونَ فِي عُمُومِ الْمُثَبِّتَةِ
 كَمَا تَدْخُلُ الْأَشَاعِرَةُ. بَلْ وَ كَذَلِكَ الْحُبُّ وَ الرِّضَى وَ الْعُضْبُ. يُمَكِّنُ إِبْتِئَانَهُ بِالْعَقْلِ. هَذَا عِنْدَ
 أَهْلِ السُّنَّةِ فَقَطْ. لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ لَا يُثَبِّتُونَ الْحُبَّ وَ الرِّضَى وَ الْعُضْبُ وَ الْكَرَاهَةَ وَ الْفَرْحَ وَ
 الضَّحْكَ. هَذِهِ الصِّفَاتُ الْأَشَاعِرَةُ لَا يُثَبِّتُونَهَا. لِأَنَّهَا صِفَاتٌ سَمْعِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ نَفْلِيَّةٌ مُحْضَةٌ. وَ هُمْ
 لَا يُثَبِّتُونَ مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا مَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْعَقْلُ. وَ هِيَ الصِّفَاتُ الَّتِي تُسَمَّى الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ
 وَ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَهُمْ صِفَاتِ الْمَعَانِي وَ الصِّفَاتِ الْمُعْنَوِيَّةِ وَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ وَ الصِّفَةُ
 النَّفْسِيَّةِ الَّتِي هِيَ صِفَةُ الْوُجُودِ , هَذِهِ يُثَبِّتُونَهَا كُلُّهَا بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ لَا بِالْأَدِلَّةِ النَّفْلِيَّةِ. إِذَا قُلْنَا
 إِنَّهُمْ يُشَارِكُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي إِبْتِئَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ. أَيْ فِي مُجَرَّدِ الْإِبْتِئَاتِ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ
 طَرِيقِ الْإِبْتِئَاتِ. طَرِيقُ الْإِبْتِئَاتِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْأَدِلَّةِ النَّفْلِيَّةِ وَ الْعَقْلِيَّةِ مَعًا. مَعَ الْإِيمَانِ بِأَنَّ
 الْأَدِلَّةَ النَّفْلِيَّةَ هِيَ الْأَصْلُ. وَ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ يُثَبِّتُونَ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَيَجْعَلُونَ الْأَدِلَّةَ النَّفْلِيَّةَ
 يُسْتَأْنَسُ بِهَا وَ لَا يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى اسْتِقْلَالٍ كَمَا تَقَدَّمَ. قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -اللهُ تَعَالَى- بَلْ هُوَ
 كَذَلِكَ الْحُبُّ وَ الرِّضَى وَ الْعُضْبُ يُمَكِّنُ إِبْتِئَانَهُ بِالْعَقْلِ وَ كَذَلِكَ عُلوُّهُ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ وَ
 مُبَايَنَتُهُ لَهَا بِمَا يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ. لِأَنَّ الْعَقْلَ السَّلِيمَ يُنَزِّهُ الرَّبَّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- بِمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ.
 مَعَ إِبْتِئَاتِ مَا أَثَبَّتَ لِنَفْسِهِ أَوْ أَثَبَّتَ لَهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. وَ مَعْنَى إِبْتِئَاتِهَا بِالْعَقْلِ
 بِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُخَالِفُ النَّقْلَ. هَذِهِ نُقْطَةٌ مُهِمَّةٌ يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَهَا. لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ يَسْتَقِلُّ
 الْعَقْلُ فِي الْإِدْرَاكِ وَ الْإِسْتِدْلَالِ بِهِ وَ لَكِنَّهُ تَابِعٌ لِلنَّقْلِ وَ مُوَافِقٌ لِلنَّقْلِ. وَ كَذَلِكَ عُلوُّهُ عَلَى
 الْمَخْلُوقَاتِ وَ مُبَايَنَتُهُ لَهَا. الْمَخْلُوقَاتُ بِمَا يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ كَمَا أَثَبَّتَهُ بِذَلِكَ الْأَيْمَةُ مِثْلُ أَحْمَدَ بْنِ
 حَنْبَلٍ وَ غَيْرِهِ أَوْ وَغَيْرِهِ مِثْلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَكِّيِّ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ كُلاَّبٍ. هَذِهِ النُّقْطَةُ
 تَحْتَاجُ وَقْفَةً. أَوَّلًا صِفَةُ الْعُلُوِّ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ تُدْرِكُ بِالْعَقْلِ وَ بِالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ وَ ثَابِتَةٌ بِالنَّقْلِ. وَ
 ثَابِتَةٌ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ. عُلُوُّ -اللهِ تَعَالَى- فَوْقَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ وَ مُبَايَنَتُهُ لِحَلْقِهِ. مَعْنَى الْمُبَايَنَةِ:
 "عَدَمُ الْإِخْتِلَاطِ" , عَدَمُ مُحَاظَتِهِ لِحَلْقِهِ وَ أَنَّهُ بَائِنٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ. ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ
 الصَّحِيحَةِ وَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ الصَّرِيحِ وَ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ وَ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ. إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَ
 التَّابِعِينَ. وَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ هُوَ الْعُمْدَةُ وَ هُوَ مَحَلُّ الْإِجْمَاعِ فِي أَنَّهُ حُجَّةٌ. وَ إِجْمَاعُ غَيْرِ

الصَّحَابَةُ لَيْسَ مَحَلَّ اتِّفَاقٍ بِأَنَّهُ حُجَّةٌ. إِذَا هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي هِيَ صِفَةُ الْعُلُوِّ ثَبَّتَتْ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ. وَ هُنَاكَ صِفَةٌ وَ هِيَ عُلوُّ خَاصٍ "صِفَةُ الْإِسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ". إِسْتَوَاءُ اللَّهِ -تعالى- عَلَى عَرْشِهِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ خِلَافَ صِفَةِ الْعُلُوِّ. اسْتَوَاءُ -اللَّهُ تعالى- صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ أَيْ صِفَةٌ تَجَدَّدَتْ لِأَنَّ -اللَّهُ سبحانه و تعالى- أَخْبَرَ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. إِذَا فِعْلٌ تَجَدَّدَ كَمَا يَتَجَدَّدُ التَّنْزِيلُ وَ كَمَا يَتَجَدَّدُ الْمَجِيئُ وَ كَمَا يَتَجَدَّدُ الْعَضْبُ "إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَ لَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ" هَذَا كَلَامٌ قَالَهُ الْإِنْبِيَاءُ. أَوْ سَيَقُولُ الْأَنْبِيَاءُ يَوْمَ الشِّفَاعَةِ الْعُظْمَى عِنْدَ الْإِعْتِزَالِ. هَذِهِ صِفَاتٌ تَتَجَدَّدُ. التَّجَدُّدُ وَ الْحُدُوثُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْخَلْقُ. إِذَا قُلْنَا الصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ مُتَجَدِّدَةٌ وَ تَحْدُثُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ. لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِأَنَّ الْحُدُوثَ خِلَافُ الْخَلْقِ. كَلَامٌ -اللَّهُ تعالى- بِاعْتِبَارِ مُفْرَدَاتِهِ يَتَجَدَّدُ وَ يَحْدُثُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ. كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ خَاطَبَ آدَمَ وَ نُوحًا وَ مُوسَى وَ كَلَّمَ نَبِيَّهُ وَ خَاتَمَ رُسُلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَ الْمِعْرَاجِ وَ هَذَا الْقُرْآنُ كَلَامُهُ وَ قَبْلَهُ الْقُرْآنُ وَ الْإِنْجِيلُ وَ الزَّبُورُ. كَلَامٌ -اللَّهُ- يَتَجَدَّدُ بِاعْتِبَارِ مُفْرَدَاتِ الْكَلَامِ وَ إِذَا قِيلَ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ بِأَنَّهُ مُحْدَثٌ أَيْ أَحْدَثُهُ -اللَّهُ- بِالتَّكْلُمِ وَ الْخِطَابِ وَ الْإِنْزَالِ وَ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْخَلْقِ. هَذِهِ نُقْطَةٌ مُهِمَّةٌ يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ. النُّقْطَةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهَا. جَمَعَ الشَّيْخُ هُنَا رَحِمَهُ -اللَّهُ- بَيْنَ ذِكْرِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَكِّيِّ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ كُلاَّبٍ. وَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنْ أَيْمَةِ الْإِثْبَاتِ كَمَا أَثْبَتَهُ بِذَلِكَ الْأَيْمَةُ. بِالنِّسْبَةِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ وَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَكِّيِّ لَا إِشْكَالَ. لَكِنْ ذِكْرُ بْنُ كُلاَّبٍ مَعَهُمَا. هَذَا هُوَ مَحَلُّ الْإِشْكَالِ. وَ إِنَّمَا ذَكَرَهُ مَعَهُمَا لِأَنَّهُ مِنْ مُثَبَّتَةِ الصِّفَاتِ بِالنِّسْبَةِ لِبَعْضِ الصِّفَاتِ. الطَّرِيقَةُ الْمَعْرُوفَةُ الْآنَ بِالطَّرِيقَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ هِيَ طَرِيقَةُ بْنُ كُلاَّبٍ هَذَا. الْعَقِيدَةُ الْأَشْعَرِيَّةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الْيَوْمَ عَقِيدَةُ كُلاَّبِيَّةٌ أَخَذَهَا الْأَشْعَرِيُّ عَنِ بْنِ كُلاَّبٍ. بَعْدَ أَنْ رَجَعَ عَنِ الْإِعْتِزَالِ. إِذَا يُعْتَبَرُ إِمَامًا مِنْ أَيْمَةِ الْمُثَبَّتَةِ بِالنِّسْبَةِ لِإِثْبَاتِهِ لِبَعْضِ الصِّفَاتِ وَ مُشَارَكَتِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِ بَعْضِ الصِّفَاتِ وَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ. إِذَا لَا غَرَابَةَ فِي ذِكْرِ أَنَّهُ مِنَ الْأَيْمَةِ فَهُوَ إِمَامٌ فِي بَابِهِ وَ فِي عَقِيدَتِهِ وَ لَا يَنْفِي كَوْنُهُ مَثَلًا مِنْ

المؤولة و من النفاة أحياناً بالنسبة لصيغة العلو و صيغة الإستواء و صيغة الكلام. لا ينفي إمامته في ما هو فيه. في ما فهم و في ما سلك. إذا إمام بالنسبة لمذهبه و إمام لأتباعه. و ليست إمامته إمامة على الإطلاق كالإمام المكي و الإمام أحمد بن حنبل و الإمام الشافعي و الإمام مالك و الإمام أبي حنيفة و غيرهم من أئمة الهدى المشهود لهم بالإمامة و ليس منهم و لكنه إمام لقومه و في مذهبه و عقيدته. بل و كذلك إمكان الرؤية. يثبت بالعقل. لكن منهم أي في طريقة الإنبات اختلقوا. إتفقوا أنه يمكن إثبات الرؤية بالعقل. كيف ذلك؟ لكن منهم من أثبتها بأن كل موجود تصح رؤيته. هذه كيفية إثبات الرؤية بالعقل. كل موجود تصح رؤيته. فالله - سبحانه و تعالى - موجود. إذا رؤيته صحيحة. تصح رؤيته , رؤيته في الدار الآخرة. في عرصات القيامة و في الجنة و أما في الدنيا فقد أخبر النبي عليه الصلاة و السلام في حديث صحيح. في صحيح مسلم (إنكم لن ترو ربكم حتى تموتوا) في هذه الحياة لا تثبت الرؤية و إن كان الناس يحتلفون بالنسبة للرؤية في المنام. الرؤية في المنام إن ثبتت إنما تثبت لرسول - الله - عليه الصلاة و السلام خاصة. لأن القاعدة إذا اختلف القول و الفعل. القول للأمة و الفعل للنبي عليه الصلاة و السلام. إذا أخبر النبي عليه الصلاة و السلام أنه رأى ربه. ثم قال للأمة (إنكم لن ترو ربكم حتى تموتوا) تكون الرؤية خاصة له في المنام في هذه الدنيا و بالنسبة للأمة لا يرون حتى يموتون. لذلك لأن القوة البشرية في هذه الدار لا تقوى لتثبت أمام التحلي. إذا كان الجبل لم يثبت. تدكدك أمام التحلي. فقوى البشر من باب أولى. إلا أن - الله - يمنح عباده المؤمنين فيكرمهم بأن يثبتوا أمام التحلي في دار الآخرة و خصوصاً في الجنة في دار الكرامة.

الرؤية في عرصات القيامة. هل هي خاصة بالمؤمنين أو عامة يرونها جميعاً الكفار و المنافقون و المؤمنون جميعاً ثم يحتجب عن الكفار و المنافقين. هذا قول لبعض أهل العلم. و يرجح الحافظ ابن حجر أن الرؤية في عرصات القيامة أيضاً خاصة بالمؤمنين لأن الله قادر أن يحتجب الآخرين كما منعهم من السجود حيث تكون ظهورهم طبعاً واحداً إذا أرادوا أن يسجدوا و لا يطيقون السجود إلا المؤمنين. كذلك غير المؤمنين لا يتمكنون من رؤيته -

سبحانه و تعالى- . هَذَا قَوْلٌ آخَرُ يُؤَيِّدُهُ وَ يُرَجِّحُهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ. الشَّاهِدُ: الرُّؤْيَةُ الْمَذْكُورَةُ هُنَا هِيَ الرُّؤْيَةُ فِي دَارِ الْآخِرَةِ. لَكِنْ مِنْهُمْ مَنْ أَتْبَهَهَا بِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ تَصِحُّ رُؤْيَتُهُ. مُسَلَّمَةٌ. قَاعِدَةٌ مُسَلَّمَةٌ. وَ مِنْهُمْ مَنْ أَتْبَهَهَا بِأَنَّ كُلَّ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ مُمَكِّنُ رُؤْيَتِهِ. الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ عَنْ غَيْرِهِ. لَا يَخْتَاجُ فِي تَحَقُّقِ وُجُودِهِ إِلَى الْقِيَامِ بِغَيْرِهِ. الدَّوَاتُ كُلُّهَا قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا إِلَّا أَنَّ قِيَامَ اللَّهِ -تعالى- بِنَفْسِهِ غَيْرَ قِيَامِ الدَّوَاتِ الْآخَرَى بِنَفْسِهَا. لِأَنَّ اللَّهَ - سبحانه و تعالى- هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. بِهَذَا الْمَعْنَى لَا أَحَدٌ يُشَارِكُ -الله- سبحانه و تعالى- فِي أَنَّهُ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ. وَ إِنْ كَانَتِ الدَّوَاتُ كُلُّهَا غَيْرَ الصِّفَاتِ. غَيْرِ الْأَعْرَاضِ. يُقَالُ لَهَا قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا فِي تَحَقُّقِ وُجُودِهَا. إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ بِإِقَامَةِ -الله- إِيَّاهَا. اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُقِيمُهَا.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله- تعالى- وَ هَذِهِ الطَّرِيقُ أَصَحُّ مِنْ تِلْكَ. الْأَوَّلَى أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ تَصِحُّ رُؤْيَتُهُ. هَذِهِ تَقْبَلُ النَّقَاشَ وَ الْكُلُّ مَوْجُودٌ وَ لَوْ كَانَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا يُمَكِّنُ رُؤْيَتَهُ. هَذَا مَحَلُّ نَظَرٍ. وَ لَكِنْ كُلُّ مَوْجُودٍ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ. يَتَحَقَّقُ وُجُودُهُ بِنَفْسِهِ. هَذَا يُمَكِّنُ , وَ لِذَلِكَ الطَّرِيقَةُ الثَّانِيَّةُ لَا تَقْبَلُ الْجَدَلَ لِذَلِكَ رَجَّحَ الْإِمَامُ بِقَوْلِهِ وَ هَذِهِ الطَّرِيقُ أَصَحُّ مِنْ تِلْكَ.

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ رَحِمَهُ -الله- تعالى- وَ قَدْ يُمَكِّنُ إِبْثَابُ الرُّؤْيَةِ بِغَيْرِ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ. كُلُّ مَوْجُودٍ تَصِحُّ رُؤْيَتُهُ. كُلُّ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ مُمَكِّنُ رُؤْيَتِهِ. هَاتَيْنِ الطَّرِيقَتَيْنِ. بِتَقْسِيمِ دَائِرِ بَيْنِ النَّفْيِ وَ الْإِبْثَابِ كَانَ يُقَالُ إِنَّ الرُّؤْيَةَ لَا تَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وُجُودِيَّةٍ أَيْ لَا تَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وُجُودِيَّةٍ. أَيْ لَا تَتَصَوَّرُ. إِنْ الرُّؤْيَةُ لَا تَتَصَوَّرُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وُجُودِيَّةٍ. فَإِنَّ مَا لَا يَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وُجُودِيَّةٍ أَيْ مَا لَا يَتَصَوَّرُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وُجُودِيَّةٍ يُمَكِّنُ. يَكُونُ الْمَوْجُودُ الْوَاجِبُ الْقَدِيمُ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْمُمْكِنِ الْمَحْدَثِ. وَ لَعَلَّ الطَّرِيقَةَ الْأَوَّلَى. الطَّرِيقَتَيْنِ. خُصُوصًا الثَّانِيَّةُ أَوْضَحَ مِنْ هَذِهِ وَ لَكِنْ وَ لَكِنْ كُلُّهَا مَقْبُولَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَقْلًا. بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ فَهَمَ. مُمَكِّنُ أَنْ نُعِيدَ وَقَدْ يُمَكِّنُ إِبْثَابُ الرُّؤْيَةِ بِغَيْرِ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ. بِتَقْسِيمِ دَائِرِ بَيْنِ النَّفْيِ وَ الْإِبْثَابِ. كَانَ يُقَالُ: إِنَّ الرُّؤْيَةَ لَا تَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وُجُودِيَّةٍ لَا تَتَصَوَّرُ إِلَّا عَنْ أُمُورٍ وُجُودِيَّةٍ. فَإِنَّ مَا لَا

يَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وَجُودِيَّةٍ أَيْ مَا لَا يَتَصَوَّرُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وَجُودِيَّةٍ يَكُونُ الْمَوْجُودُ الْوَاجِبُ الْقَدِيمُ أَحَقُّ بِهِ لَأَنَّ وَجُودَهُ أَظْهَرَ مِنْ وَجُودِ غَيْرِهِ. وَجُودٌ وَاجِبُ الْوُجُودِ الْقَدِيمِ أَظْهَرُ مِنْ وَجُودِ غَيْرِهِ إِذْ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ غَيْرَهُ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْمُمْكِنِ الْمَحْدَثِ. مَا عَدَا -اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَوْجُودٌ. لَكِنَّهُ مُمَكِّنٌ. وَ لَكِنَّهُ مُحَدَّثٌ. الْمَحْدَثُ وَالْمُمْكِنُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. كُلُّ مَا وَجَدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يُقَالُ لَهُ مُحَدَّثٌ وَ يُقَالُ مُمَكِّنٌ. إِذَا كَانَ تَصَوُّرُ الرُّؤْيَا يَتَوَقَّفُ عَلَى أُمُورٍ وَجُودِيَّةٍ. فَوُجُودُ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَحَقُّ وَأَظْهَرُ. إِذَا اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَوَّلَى بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَيْ بِأَنْ يَكُونَ مَرْتَبًا. وَ الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. وَ الْمَوْضِعُ هُوَ الْمَوَاضِعُ الَّتِي أُشِيرَ إِلَيْهَا "دَرْءُ التَّعَارُضِ" وَ كِتَابُ "الْمَنْهَاجِ" وَ أَهَمُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ النُّقْطَةِ "كِتَابُ النُّبُوتِ" , نَعَمْ .

القارئ: ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- (والمقصود هنا أن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نُظَّار السنة في هذا الباب - أنه لو لم يكن موصوفا بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والخرس والبكم. وطرده ذلك أنه لو لم يوصف بأنه مبين للعالم لكان داخلا فيه، فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى، وتلك صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات فتنبه الخالق عنها أولى.)

الشيخ: بَسْ , خُذُوا الْبَيْتَيْنِ الْآتِيَيْنِ. نَحْنُ الْآنَ نَدْخُلُ فِي الْمَتَقَابِلَاتِ. الْمَتَقَابِلَاتُ هَذِهِ أَسْلُوبٌ جَدِيدٌ. أَكْتُبُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ: "وَالْمُمْكِنَاتُ الْمَتَقَابِلَاتُ وَجُودُنَا - وَ الْعَدَمُ الصِّفَاتُ. أَرْمَنَةُ أُمُكِنَةُ جِهَاتٍ - كَذَا الْمُقَادِيرُ رَوَى الثَّقَاتُ" , تَأَمَّلُوا فِي الْبَيْتَيْنِ إِلَى عَدِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ , وَ صَلَّ -اللَّهُ- وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ.

القارئ: يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَام رَحْمَةُ -الله تعالى- (والمقصود هنا أن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نُظَّار السنة في هذا الباب - أنه لو لم يكن موصوفا بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والخرس والبكم، وطرُد ذلك أنه لو لم يوصف بأنه مباين للعالم لكان داخلا فيه، فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى، وتلك صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات فتنزيه الخالق عنها أولى، وهذه الطريق غير قولنا: إن هذه صفات كمال يتصف بها المخلوق فالخالق أولى، فإن طريق إثبات صفات الكمال بأنفسها مغاير لطريق إثباتها بنفي ما يناقضها، وقد اعترض طائفة من النفاة على هذه الطريقة باعتراض مشهور لبسوا به على الناس، حتى صار كثير من أهل الإثبات يظن صحته ويُضعف الإثبات به، مثل ما فعل من فعل ذلك من النظائر حتى الآمدي وأمثالُهُ، مع أنه أصل قول القرامطة الباطنية وأمثالهم من الجهمية، فقالوا: «القول بأنه لو لم يكن متصفا بهذه الصفات، كالسمع والبصر والكلام، مع كونه حيًّا لكان متصفا بما يقابلها - فالتحقيق فيه متوقف على بيان حقيقة المتقابلين وبيان أقسامهما، فنقول: أما المتقابلان فَمَا لَا يَجْتَمِعَانِ فِي شَيْءٍ..»

الشيخ: فَلَا يَجْتَمِعَانِ، أَتَرُكُ "مَا". فَلَا يَجْتَمِعَانِ.

القارئ: (فَنَقُولُ: أما المتقابلان فَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي شَيْءٍ واحد من جهة واحدة، وهو إما أن لا يصح اجتماعهما في الصدق ولا في الكذب، أو يصح ذلك في أحد الطرفين، فالأول هما المتقابلان بالسلب والإيجاب...)

الشيخ: فَالْأَوَّلَانِ هُمَا الْمُتَقَابِلَانِ..

القارئ: (فَالْأَوَّلَانِ هُمَا الْمُتَقَابِلَانِ بِالسُّلْبِ وَالْإِيجَابِ، وَهُوَ تَقَابُلُ التَّنَاقُضِ، وَالتَّنَاقُضُ هُوَ اخْتِلَافُ الْقَضِيَّتَيْنِ بِالسُّلْبِ وَالْإِيجَابِ عَلَى وَجْهِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي الصِّدْقِ وَلَا فِي الْكَذِبِ لِذَاتِيهِمَا كَقَوْلِنَا: زَيْدٌ حَيَوَانٌ، زَيْدٌ لَيْسَ بِحَيَوَانٍ، وَمِنْ خَاصِيَّتِهِ اسْتِحَالَةُ اجْتِمَاعِ طَرَفِيهِ فِي الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَأَنَّهُ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَلَا اسْتِحَالَةَ لِأَحَدِ الطَّرَفَيْنِ إِلَى الْآخَرِ).

الشيخ: بَسْمِ , الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَ بَعْدُ. فَلْنَفْهَمْ مَعْنَى الْبَيْتَيْنِ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ نَدْخُلَ فِي الْمَقَابِلَاتِ , عِنْدَكُمْ: "الْمُمَكِّنَاتُ الْمُتَقَابِلَاتُ وَجُودُنَا. وَ الْعَدَمُ الصِّفَاتُ". الْوُجُودُ وَ الْعَدَمُ مُتَقَابِلَانِ. الْوُجُودُ وَ الْعَدَمُ مُتَقَابِلَانِ تَقَابُلُ الْمَلَكَةِ وَ الْعَدَمِ. وَ هُمَا النَّقِيضَانِ. لَا يَجْتَمِعَانِ لَا فِي الصِّدْقِ وَ لَا فِي الْكَذِبِ. بِمَعْنَى هُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ وَ لَا يَرْتَفِعَانِ. الْوُجُودُ وَ الْعَدَمُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَنَاقِضَةِ. الْمُتَنَاقِضَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَ لَا يَرْتَفِعَانِ. هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ لَا يَجْتَمِعَانِ لَا فِي الصِّدْقِ. أَيْ فِي الْإِثْبَاتِ. وَ لَا فِي الْكَذِبِ أَيْ فِي النِّفْيِ. الْمُرَادُ بِالْكَذِبِ هُنَا النِّفْيُ , إِذَا فِي الْبَيْتِ "الْمُمَكِّنَاتُ الْمُتَقَابِلَاتُ وَجُودُنَا وَ الْعَدَمُ الصِّفَاتُ". قَبْلَ الصِّفَاتِ الْوُجُودُ وَ الْعَدَمُ تَقَابُلُهُمَا مُتَقَابِلَانِ تَقَابُلُ الْمَلَكَةِ وَ الْعَدَمِ. اللَّذَانِ يَتَقَابِلَانِ تَقَابُلُ الْمَلَكَةِ وَ الْعَدَمِ هُمَا النَّقِيضَانِ اللَّذَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ لَا فِي الصِّدْقِ وَ لَا فِي الْكَذِبِ. لَا يَجْتَمِعَانِ وَ لَا يَرْتَفِعَانِ. ثُمَّ يُوجَدُ أَحَدُهُمَا دُونَ الْآخَرِ. وَ أَمَّا الصِّفَاتُ: فَتَقَابُلُ الصِّفَتَيْنِ الْمُعَيَّنَتَيْنِ تَقَابُلُ الضِّدَّيْنِ. الصِّفَاتُ كَالْأَلْوَانِ وَ الْعِلْمُ وَ الْجَهْلُ. تَقَابُلُ الصِّفَاتِ "تَقَابُلُ النَّقِيضَيْنِ". تَقَابُلُ الصِّفَتَيْنِ الْمُعَيَّنَتَيْنِ. تَقَابُلُهُمَا -عَفْوًا- "تَقَابُلُ الضِّدَّيْنِ". أَيْ إِنَّهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ فِي الصِّدْقِ وَ يَجْتَمِعَانِ فِي الْكَذِبِ. الْمُرَادُ بِالْكَذِبِ النِّفْيِ. الضِّدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَ قَدْ يَرْتَفِعَانِ. مَثَلًا الْبَيَاضُ وَ السَّوَادُ لَا يَجْتَمِعَانِ وَ قَدْ يَرْتَفِعَانِ لِوُجُودِ الْوَاسِطَةِ كَالْحُمْرَةِ وَ الصُّفْرَةِ مَثَلًا. أَمَّا الْأَزْمَنَةُ: زَمَانٌ مُعَيَّنَانِ كَاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ تَقَابُلُهُمَا تَقَابُلُ النَّقِيضَيْنِ. إِذْ لَا يَجْتَمِعَانِ وَ لَا يَرْتَفِعَانِ. وَ الْأُمُكِنَةُ كَالْأَرْضِ وَ السَّمَاءِ كَذَلِكَ. وَ أَمَّا الْجِهَاتُ مِثْلُ فَوْقَ وَ تَحْتَ مِنْ الْمُتَضَافَاتِ. الْمُتَضَافَتَانِ هُمَا اللَّذَانِ يَتَوَقَّفُ تَصَوُّرُ أَحَدِهِمَا عَلَى تَصَوُّرِ الْآخَرِ. أَيْ لَا تَتَصَوَّرُ التَّحْتِيَّةُ إِلَّا بِتَصَوُّرِ الْفَوْقِيَّةِ. مِثْلُ الْأُبُوَّةِ وَ الْبُنُوَّةِ. وَ أَمَّا الْمَقَادِيرُ: كَالطُّولِ وَ الْقَصَرِ. هُمَا لَا

يَجْتَمِعَانِ وَ قَدْ يَرْتَفِعَانِ بِوُجُودِ الْوَاسِطَةِ.

فَلَنُشْرَحَ الْآنَ فِي الشَّرْحِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الاصْطِلَاحَاتِ. يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -الله- تعالى - وَ الْمُقْصُودُ هُنَا فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنَّ مِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا الْأَئِمَّةُ. إِذَا قَالَ الْأَئِمَّةُ وَ هُمُ الْأَئِمَّةُ الْمَشْهُودُ لَهُمْ. أَيْمَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ وَ مَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ نُظَّارِ السُّنَّةِ فِي هَذَا فِي الْبَابِ. مِنْ نُظَّارِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ فِي هَذَا الْبَابِ كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَ غَيْرِهِمْ. أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنِ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- مَوْصُوفًا بِأَحَدَى الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ لِلزِّمِّ اتِّصَافُهُ بِالْأُخْرَى. هَذِهِ طَرِيقَةٌ مِنْ طُرُقِ إِبْتِهَاتِ الصِّفَاتِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ. سَبَقَ أَنْ قُلْنَا إِنَّ الْكِتَابَ وَ السُّنَّةَ لَا يُنْفَرَانِ كَمَا يَزْعُمُ الزَّاعِمُونَ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ. بَلْ هُمَا يَخْتَانِ وَ يَدُلَّانِ عَلَى كَيْفِيَّةِ الْإِسْتِدْلَالِ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ. وَ مِنْ ذَلِكَ هَذَا الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ الْآنَ. أَنَّهُ -تَعَالَى- لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْصُوفًا بِأَحَدَى الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ كَالْوُجُودِ وَ الْعَدَمِ لَلزِمَ اتِّصَافُهُ بِالْأُخْرَى. فَمَثَلُ فَقَالَ قُلُوْا لَمْ يُوصَفِ الرَّبُّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- بِالْحَيَاةِ. الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي لَا نَقْصَ فِيهَا وَ لَا بَدَايَةَ لَهَا وَ لَا نِهَايَةَ لَوْصِفَ بِالْمَوْتِ. وَ الْوُصْفُ بِالْمَوْتِ نَقْصٌ. إِذَا يَجِبُ شَرْعًا وَ عَقْلًا أَنْ يَنْصِفَ بِالْحَيَاةِ. بِالْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي لَا يُشَارِكُ اللهُ فِيهَا أَحَدًا. نُكْرِرُ هُنَا: إِلَّا فِي الْإِسْمِ وَ إِلَّا فِي الْمَعْنَى الْعَامِ. حَيَاةُ -الله- تعالى - الْخَاصَّةُ بِهِ -سُبْحَانَهُ- لَا يُشَارِكُ اللهُ أَحَدًا فِيهَا. وَ الْمِشَارَكَةُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ فِي الْحَيَاةِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْإِسْمِ: حَيَاةٌ وَ حَيَاةٌ , ثُمَّ فِي الْمَعْنَى الْعَامِ الْمَطْلُوقِ قَبْلَ أَنْ تُضَافَ حَيَاةُ -الله- إِلَى اللهِ. وَ حَيَاةُ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْمَخْلُوقِ. وَ بَعْدَ إِضَافَةِ حَيَاةِ -الله- إِلَى اللهِ فَحَيَاةٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- لَا يُشَارِكُ اللهُ أَحَدًا فِيهَا وَ قَسَ عَلَى ذَلِكَ سَائِرِ الصِّفَاتِ. وَ لَوْ لَمْ يُوصَفِ بِالْقُدْرَةِ. بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ -سُبْحَانَهُ- لَوْصِفَ بِالْعِزِّ. وَ لَوْ لَمْ يُوصَفِ بِالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْكَلَامِ لَوْصِفَ بِالصَّمَمِ وَ الْخَرَسِ وَ الْبُكْمِ وَ الْعَمَى. زِدْ بَعْدَهَا الْعَمَى لِأَنَّهُ حَذَفَ. نُسَخَةٌ فِيهَا سَقَطَ كَثِيرٌ. وَ طَرُدَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُوصَفِ بِأَنَّهُ مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ مَعْنَى "الطَّرْدُ" , يُقَالُ طَرُدَ الْبَابُ. مَعْنَى ذَلِكَ سَوَقُ الْبَابِ سِيَاقًا وَاحِدًا وَ أَنْ يَكُونَ اللَّاحِقُ كَالسَّابِقِ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِالْقِيَاسِ. وَ طَرُدَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُوصَفِ بِأَنَّهُ مُبَايِنٌ لِخَلْقِهِ. بِأَنَّهُ لَيْسَ مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ لَكَانَ دَاخِلًا فِيهِ. إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا. إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مُبَايِنًا

للعالم أي فوق جميع العالم. مُبَيِّنٌ للعالم و ليس في شَيْءٍ مِنَ المخلوقات و ليس في ذاته شَيْءٌ مِنَ المخلوقات أيضًا. لو لم يكن كذلك كان داخلًا فيه. في العالم. فسلب إحدَى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى. إما أن يكون مُبَيِّنًا و إما أن يكون داخلًا في العالم. إذ من اعتقد بأنه داخل في العالم سلب عنه صفة العلو. فصفة العلو صفة ذاتية دائمة ملازمة للذات كملازمة القدرة و الإرادة و السمع و البصر تمامًا. كما أن من نفى عن - الله - السمع و البصر وصفه بأضداد ذلك. كذلك من وصف الله بأنه داخل العالم و أنه مع المخلوقات في أرضه أو في سماواته سلب عنه صفة العلو و صفة مُبَيِّنَةِ الخلق. و تلك صفة نقص. و صف - الله تعالى - بأنه داخل العالم معناه وصفه بالسُّفُول. و السُّفُول صفة نقص و وصفه بالمخالطة بخلقه و وجوده في كل مكان حتى في بعض الأماكن التي يستحي الإنسان من ذكرها. الذين يقولون بأن الله في كل مكان لو فكروا قليلًا لاستحي الإنسان من أن يتلفظ هذه اللفظة. لأنه يُنزّه حتى المخلوق الذي له مكانته عنده. يُنزّهه أن يكون في كل مكان. بل يكون مكان مُتَنَازِل يُلِيقُ بِهِ. فكيف يَرْضَى لِرَبِّهِ - سبحانه و تعالى - أن يكون في كل مكان. مُنَافِيًا بِذَلِكَ بَلْ مُكَذِّبًا لِحَبْرِهِ (الرحمن على العرش استوى) (أأمنتم من في السماء) (اليه يصعد الكلم الطيب) و مُكَذِّبًا لِحَبْرِ رَسُول - الله - عليه الصلاة و السلام "إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا وَ هُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ" كُلُّ هَذَا يُعَرِّضُ عَنْهُ فَيُقَالُ لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ - سبحانه و تعالى - أن يُقَالَ إِنَّهُ فَوْقَ وَ يُشَارُ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ الْحِسِّيَّة. بَلْ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ! هَذَا جَهْلٌ بِاللَّهِ - سبحانه و تعالى - وَ مِنْ هَذِهِ عَقِيدَتُهُ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهُ. مَعْرِفَةُ اللَّهِ - تعالى - بِأَنْ تَعْتَقِدَ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِخَلْقِهِ بَلْ مُبَيِّنٌ مِنْ خَلْقِهِ - سبحانه و تعالى - , لِأَنَّ الْمُدَاخَلَةَ وَ الْمِمَازَجَةَ تَقْتَضِي الْمِمَازَجَةَ وَ تَقْتَضِي أَوْ تَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْعُلُوِّ وَ إِثْبَاتَ السُّفُولِ. كُلُّ ذَلِكَ نَقْصٌ لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ - تعالى - . هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ رَحِمَهُ - الله - مَرَّةً أُخْرَى وَ طَرُدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُوصَفْ بِأَنَّهُ مُبَيِّنٌ لِلْعَالَمِ لَكَانَ دَاخِلًا فِيهِ فِي الْعَالَمِ. فَسَلْبُ إِحْدَى الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ عَنْهُ يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الْأُخْرَى. وَ تِلْكَ صِفَةُ نَقْصٍ. يُنَزَّهَ عَنْهَا الْكَامِلُ مِنَ الْمَخْلُوقات. الْكَامِلُ الْكَمَالِ النَّسْبِي. الْكَامِلُ بِالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ. لَكِنَّ الْمَخْلُوقَ لَهُ كَمَالٌ. كَمَالٌ بَشَرِي نِسْبِي

محدود. حتى هذا الذي له هذا الكمال يُنزه بأن يُقال إنه مختلط بكل شيء. فالخالق أولى بالتنزيه. و تلك صفة نقص يُنزه عنها الكامل من المخلوقات. فتنزيه الخالق عنها أولى. هذه طريقة , طريقة إثبات صفة من صفات -الله تعالى- أو بعض صفاته بالدليل العقلي.

طريقة أخرى: و هذه الطريق غير قولنا إن هذه صفات كمال كالحياة و السمع و البصر مثلاً يتصف بها المخلوق فالخالق أولى بها. الحياة صفة كمال. السمع صفة كمال و البصر صفة كمال و العلم صفة كمال. فالمخلوق موصوف بهذه الصفات فالخالق أولى بها , لأن مُعطي الكمال أولى بالكمال. علماً بأن كمال حياة المخلوق و كمال علمه و كمال سمعه و بصره كمال محدود. إذا كان المخلوق يُوصف بهذه الصفات و هذه الصفات في المخلوق كمال فالخالق أولى بها. هذه طريقة أخرى لإثبات الصفات بالدليل العقلي.¹ المخلوق فالخالق أولى بها. طريقتان , فإن طريق إثبات صفات الكمال بنفسها هي الطريقة الثانية معيار لطريق إثباتها بنفي ما يناقضها هي الطريقة الأولى. أرحوا أن يكون مفهوماً.

و بعد , و قد اعترض أو قد اعترضت طائفة من النفاة على هذه الطريقة. على طريق إثبات الصفات بالدليل العقلي و هي الطريقة الأولى. سلب إحدى الصفتين المتقابلتين يستلزم ثبوت الأخرى , هذه هي محل الإعتراض. و قد اعترضت طائفة من النفاة على هذه الطريقة باعتراض مشهور لبسوا به على الناس حتى صار كثير من أهل الإثبات يظن صحته. صحة هذا الإعتراض و يُضعف الإثبات به أي بهذه الطريقة التي تقدم ذكرها مثل ما فعل من فعل ذلك من النظار حتى الأميدي و أمثاله. المراد هنا بالمعتزين هم الأشاعرة و خصوصاً كبار مشايخهم كالأميدي مع أن هذا: طريقة الإعتراض أصل قول الفرامطة الباطنية و أمثالهم من الجهمية. فقالوا في الإعتراض: القول بأنه لو لم يكن متصفاً بهذه الصفات كالحياة و السمع و البصر كما تقدم. -عقوا: و قد مثل كالسمع و البصر و الكلام مع كونه حياً لكان متصفاً بما يُقابلها. القول بأنه لو لم يكن متصفاً بهذه الصفات و هي

¹ انقطاع للصوت بالشرط .

الطريقة الأولى من الطريقتين المتقدمتين. كالسمع والبصر والكلام مع كونه حياً لكان متصفاً بما يُقابِلُها. فالتحقيق فيه مُتَوَقَّفٌ على بيان حقيقة المتقابلتين وبيان أقساميهما. المتقابلتين وبيان أقساميهما. مُتَوَقَّفٌ على هذا، فنشرع الآن في المتقابلات. هي سفسطة لا نتيجة وراءها. مجرد مناظرة وحوار لا يخرج طالب علم بنتيجة علمية إلا من باب معرفة الإصطلاحات فقط. فنقول: أما المتقابلات فلا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة. وهو إما ألا يصح اجتماعهما في الصدق ولا في الكذب. المراد بالصدق الإثبات. والمراد بالكذب النفي. أو يصح ذلك في أحد الطرفين. أي. هما إما ضدان وإما نقيضان. المتقابلان إما ضدان وإما نقيضان. ولكن جاء بأسلوب آخر. إما أن يجتمعا في شيء واحد من جهة واحدة وهو إما ألا يصح اجتماعهما في الصدق ولا في الكذب. على أساس ما تقدم من الشرح. ما هما هذا؟ هما النقيضان اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان. لا يجتمعان في الصدق أي في الإثبات ولا في الكذب أي في النفي. أو يصح ذلك في أحد الطرفين. إما أن يجتمعا في الكذب أو يجتمعا في الصدق. و يكونون من قبيل الضدان. أو من قبيل الضدين. فالأولان هما المتقابلان بالسلب والإيجاب. وهو تقابل التناقض والتناقض هو اختلاف القضيتين بالسلب والإيجاب. السلب هو النفي والإيجاب هو الإثبات وهو الذي عبر عنه في المرة الأولى بالصدق والكذب. على وجه لا يجتمعان في الصدق ولا في الكذب أي لا يجتمعان أصلاً لذاتهما كقولنا زيد حيوان وزيد ليس بحيوان. هل يتصور هذا؟ إما يكون حيواناً أو ليس بحيوان. أما كونه حيواناً وفي الوقت نفسه ليس بحيوان لا يجتمعان. إذا هذا نقيضان. ومن خاصيته استحالة اجتماع طرفيه في الصدق والكذب. يستحيل أن يجتمع طرفاه لا في الصدق ولا في الكذب. أي لا في حيوانيته أو في عدم حيوانيته. وأنه لا واسطة بين الطرفين ولا استحالة أحد الطرفين إلى الآخر. هذه الجملة الأخيرة يظهر فيها سفسط. الشاهد: هذا من قبيل المتناقضين اللذين تقدم شرحهما، فلنكتفي بهذا المقدار لنواصل في الجلسة القادمة إن شاء الله، أرجوا أن تراجع هذا و يفهم فهمًا جيداً. لست أدري لو كنتم تستطيعون الرجوع إلى "الرد على المنطقيين" هناك بحثه، لكنه بالنسبة لهم أشبه

مَا يَكُونُ بِالرُّطَانَةِ. قَدْ لَا يُفْهَمُ ذَلِكَ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ , وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

الدرس رقم : 41

الشيخ: وَ اللهُ أَعْلَمُ , تَتِمَّةٌ لِلْقَاعِدَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الرَّسَالَةِ التَّدْمِرِيَّةِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ -الله- تَعَالَى - وَ أَجْزَلَ -الله- لَهُ الْمُثَبَّةُ. نُلَخِّصُ مَا يَأْتِي. وَ الْقَاعِدَةُ كُتِبَتْ بِأَسْلُوبٍ مَنْطِقِيٍّ غَامِضٍ. مَعَ مَا يُلَاحَظُ مِنْ كَثْرَةِ السَّقَطِ فِي بَعْضِ الْجُمَلِ مِمَّا يَحْوِلُ دُونَ فَهْمِ الْمَرَادِ. لِذَلِكَ رَأَيْتُ تُلْخِصَ الْقَاعِدَةَ الْمَذْكُورَةَ بَدْءً مِنْ وَسَطِ صَفْحَةٍ 151 إِلَى نِهَآيَةِ الْإِعْتِرَاضِ فِي صَفْحَةٍ 164 وَ الْبَحْثُ الَّذِي فِي الصَّفَحَاتِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا عِبَارَةٌ عَنْ إِعْتِرَاضَاتٍ عَلَى إِبْنَاتِ صِفَاتِ -الله- تَعَالَى - بِالطَّرِيقِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي مِنْهَا أَنْ يُقَالَ لَوْ لَمْ يَكُنِ اللهُ -تَعَالَى- مَوْصُوفًا بِإِحْدَى الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ لِلزَّمِ اتَّصَافُهُ بِالْأُخْرَى الْمُقَابِلَةِ. فَمَثَلًا لَوْ لَمْ يُوصَفَ بِالْحَيَاةِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ -تَعَالَى- لَوْصِفَ بِالْمَوْتِ. وَ لَوْ لَمْ يُوصَفَ بِالْقُدْرَةِ لَوْصِفَ بِالْعَجْزِ وَ هَكَذَا دَوَالِيكَ. وَ هِيَ طَرِيقَةُ إِبْنَاتِ الصِّفَاتِ بِنَفْيِ مَا يُنَاقِضُهَا وَ هُنَاكَ طَرِيقَةُ أُخْرَى وَ هِيَ: إِنَّ هَذِهِ صِفَاتٍ كَمَالٍ يَتَّصِفُ بِهَا الْمَخْلُوقُ فَالْخَالِقُ أَوَّلَى بِأَنْ يُوصَفَ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ. إِذْ مُعْطِي الْكَمَالِ أَوَّلَى بِالْكَمَالِ. هَذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ إِبْنَاتِ صِفَاتِ -الله- تَعَالَى - بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ "الْإِعْتِرَاضِ" , إِعْتَرَضْتُ طَائِفَةً مِنَ الثَّقَاةِ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ. طَرِيقَةُ الْإِسْتِدْلَالِ بِأَنْ سَلَبَ إِحْدَى الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ عَنْهُ تَعَالَى يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الْأُخْرَى. وَ فِي مُقَدِّمَةِ مَنْ اعْتَرَضَ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ سَيَفُ الدِّينِ الْأَمْدِي وَ هُوَ مِنْ كِبَارِ مَشَايِخِ الْأَشَاعِرَةِ وَ إِنْ كَانَتْ الْقَاعِدَةُ فِي الْأَصْلِ لِلْفَلَّاسِفَةِ. وَ لَكِنَّهَا انْطَلَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْجُهَمِيَّةِ وَ الْأَشَاعِرَةِ وَ هِيَ فِي حَقِيقَتِهَا: مُنَاقَشَتُهُمْ لَفُطْيَةٍ سَفْسَطَائِيَّةٍ لَا نَتِيجَةَ لَهَا. أَوْ إِصْطِلَاحَاتٍ فَارِعَةً عَنِ الْعِلْمِ وَ الْمَعْرِفَةِ النَّافِعَةِ. وَ خُلَاصَةُ إِعْتِرَاضِهِمْ أَنَّ الْمُتَقَابِلَاتِ سَوَاءٌ كَانَ التَّقَابُلُ بِالتَّضَادِّ أَوْ بِالتَّنَاقُضِ أَوْ الْعَدَمِ وَ الْمَلَكَةِ أَوْ بِالتَّضَايُفِ. إِنَّمَا يَتَصَوَّرُ ذَلِكَ فِي مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَقْبَلَ الْإِتِّصَافُ بِالصِّفَاتِ كَالْإِنْسَانِ مَثَلًا. وَ أَمَّا مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ الْإِتِّصَافُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَالْجِدَارِ مَثَلًا فَلَا يُقَالُ فِيهِ بِصِيرٌ أَوْ أَعْمَى. سَمِيعٌ أَوْ أَصَمٌّ. وَ يُرِيدُ الْقَوْمُ أَنَّ يَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِالْبَصَرِ وَ لَا بِضِدِّهِ. لَا بِالْعِلْمِ وَ لَا بِالْجَهْلِ. وَ قَدْ فَرُّوا مِنَ التَّشْبِيهِ بِمَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافُ بِالصِّفَاتِ وَ شَبَّهُوهُ بِمَا لَا يَقْبَلُ

الإِتِّصَافَ فِي زَعْمِهِمْ بِأَيَّةِ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ كَالْجَمَادَاتِ. عِلْمًا بِأَنَّ الَّذِي يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ
بِالصِّفَاتِ أَكْمَلُ مِنَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ وَ مَعَ ذَلِكَ إِنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَحِيلٍ أَنْ تُوصَفَ
الْجَمَادَاتُ بِبَعْضِ تِلْكَ الصِّفَاتِ كَالْحَيَاةِ وَ الْكَلَامِ وَ السَّمْعِ وَ الْعِلْمِ. لِأَنَّ -الله- قَادِرٌ أَنْ
يَخْلُقَ فِي الْجَمَادَاتِ كُلِّ هَذِهِ الصِّفَاتِ. كَمَا جَعَلَ اللهُ الْحَجَرَ يَتَكَلَّمُ وَ يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى -
الله- عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ "إِنِّي لَأَعْلَمُ حَجْرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ
بِمَكَّةَ" بَلْ قَدْ أَخْبَرَ اللهُ -تعالى- أَنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ تُسَبِّحُ اللهُ -تعالى- فِي قَوْلِهِ - سبحانه و
تعالى- (يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ
لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) وَ قَوْلُهُ -تعالى- (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) دَلِيلٌ أَنَّ ذَلِكَ
التَّسْبِيحَ بِلِسَانِ الْمُقَالِ لَا بِلِسَانِ الْحَالِ. كَمَا يُجَاوِلُ بَعْضُ النَّاسِ ذَلِكَ. لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ التَّسْبِيحُ
بِلِسَانِ الْحَالِ لَا حَاجَةَ إِلَى نَفْيِ الْفَهْمِ وَ الْفِئهِ مِنَّا. لِأَنَّ ذَلِكَ مُجَرَّدُ دَلَالَةٍ وَ قَدْ جَعَلَ اللهُ أَيْضًا
عَصَى مُوسَى حَيَّةً تَبْتَلِعُ الْحَيَالَ وَ الْعِصِي. وَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ ثَابِتَةً لِلْحَيَوَانَاتِ وَ
الْجَمَادَاتِ فَنَفْيُهَا عَنِ اللهِ -تعالى- تَشْبِيهُ لَهُ - سبحانه- بِالْعَدَمِ الَّذِي لَيْسَ بِشَيْءٍ إِلَّا فِي
الدُّهْنِ. هَكَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ تِلْكَ الْمُنَاقَشَةَ السُّفْطَائِيَّةَ إِنَّمَا تَزِمِي إِلَى نَفْيِ صِفَاتِ الْكَمَالِ عَنِ -
الله- تعالى- وَ صِفَاتِهِ تَعَالَى كُلُّهَا كَمَالٌ , وَ ذَلِكَ يَعْنِي وَصْفُهُ تَعَالَى بِالْعَدَمِ الْمُخْضِ كَمَا
تَقَدَّمَ. تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَ سَلَامٌ عَلَى
الرُّسُلِينَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) , هَذَا آخِرُ مَا تَيْسَّرَ تَلْخِيصُهُ مِنْ وَسَطِ الْقَاعِدَةِ السَّابِعَةِ
إِلَى آخِرِهَا. لِنَنْتَقِلَ إِلَى مَبْحَثِ الْأَصْلِ الثَّانِي وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

الدرس رقم : 42

القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، أَمَّا بَعْدُ فَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ -اللَّهُ تَعَالَى- (وَأَمَّا الأصل الثاني، وهو التوحيد في العبادات، المتضمن للإيمان بالشرع والقدر جميعاً - فنقول: إنه لا بدّ من الإيمان بخلق الله وأمره، فيجب الإيمان بأن الله خالق كل شيء وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، وأنه على كل شيء قدير، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وقد عَلِمَ ما سيكون قبل أن يكون، وقَدَّرَ المقادير وكتبها حيث شاء، كما قال تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله قَدَّرَ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ، ويجب الإيمان بأن الله تعالى أمر بعبادته وحده لا شريك له، كما خلق الجن والإنس لعبادته، وبذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه ، وعبادته تتضمن كمال الدّل له والحب له، وذلك يتضمن كمال طاعته، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله، وقد قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} ، وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} ، وقد قال تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} ، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} ، وقال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} ، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ • وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} ، فأمر الرسل بإقامة الدين وأن لا يتفرقوا فيه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (إنّا معاشر الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء إخوة لعلات، وأنا أولى الناس بابن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي) .

الشيخ: بَسْنِ , الحمد لله وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ -الله- وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَ
 بَعْدُ: الأَصْلُ الثَّانِي مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي يَبْحَثُهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ "تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ"
 الْوَاجِبُ فِي شَرْعِ -اللهِ تَعَالَى- وَ قَدَرِهِ إِعْتِقَادًا. الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: كَانَ الْبَحْثُ فِي تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ
 وَ الصِّفَاتِ وَ أَمَّا الْأَصْلُ الثَّانِي وَ هُوَ التَّوْحِيدُ فِي الْعِبَادَاتِ. الْمُتَضَمِّنُ لِلإِيمَانِ بِالشَّرْعِ وَ الْقَدَرِ
 جَمِيعًا. يَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ وَ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِالشَّرْعِ بِحَيْثُ لَا يُعَارِضُ الْقَدَرُ بِالشَّرْعِ وَ لَا الشَّرْعُ
 بِالْقَدَرِ. الشَّرْعُ مَا شَرَعَهُ -اللهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ وَ أَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ وَ أَمَرَ
 الْعِبَادَ بِالتَّزَامِ هَذَا الشَّرْعِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَ النَّوَاهِي. هَذَا هُوَ الشَّرْعُ. وَ هُنَاكَ "قَدَرٌ" هَذَا الْقَدَرُ
 يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْقَدَرِ. بِالْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ مَعًا , وَ لَكِنْ إِيْمَانًا إِجْمَالِيًّا لَا تَفْصِيلِيًّا.
 إِيْمَانًا لَا خَوْضَ فِيهِ. لِأَنَّ لِلْقَدَرِ سِرًّا وَ ذَلِكَ السِّرُّ لَا يُبْحَثُ عَنْهُ. يَجِبُ أَنْ يَقِفَ عِلْمُ الْعِبَادِ
 وَ مَعْرِفَتُهُمْ دُونَ سِرِّ الْقَدَرِ. الْقَضَاءُ وَ الْقَدَرُ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ أُيُّهُمَا الْأَسْبَقُ. هَلْ الْقَدَرُ
 هُوَ الْأَسْبَقُ أَوْ الْقَضَاءُ هُوَ الْأَسْبَقُ؟ وَ الْإِخْتِلَافُ اخْتِلَافٌ لَفْظِي. يَرَى بَعْضُهُمُ الْقَدَرُ بِمَعْنَى
 التَّقْدِيرِ. الْقَدَرُ إِمَّا مَصْدَرٌ لِقَدَرٍ أَوْ إِسْمٌ مَصْدَرٍ لِقَدَرٍ. الْفِعْلُ قَدَرَ مَصْدَرُهُ تَقْدِيرٌ. قَدَرَ يُقَدِّرُ
 تَقْدِيرًا. هَذَا الْمَصْدَرُ , وَ الْقَدَرُ إِسْمٌ مَصْدَرٍ لِقَدَرٍ. أَوْ مَصْدَرٌ لِقَدَرٍ. وَ عَلَى كُلِّ يُشَبَّهُ بَعْضُهُمْ
 أَوْ يُقَرَّبُ بَيَانُ الْقَدَرِ بِعَمَلِ الْحَيَاطِ عِنْدَمَا يُقَدَّرُ الْقُمَاشُ لِيَعْرِفَ طُولَهُ وَ عَرْضُهُ ثُمَّ إِذَا انْتَهَى
 مِنْ هَذَا التَّقْدِيرِ بِمَعْرِفَةِ طُولِهِ وَ عَرْضِهِ قَطَعَ وَ هَذَا التَّقْطِيعُ وَ هَذَا التَّفْصِيلُ بِمِثَابَةِ الْقَضَاءِ. أَيْ
 يُقَدَّرُ أَوَّلًا ثُمَّ يَقْضَى بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْقَدَرِ الْمَطْلُوبِ وَ اللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى. -اللهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى-
 قَدَرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ. عَلِمَ ذَلِكَ وَ كَتَبَ عِنْدَهُ ثُمَّ شَاءَ
 اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَفُوعَ هَذِهِ الْأُمُورِ الْمُقَدَّرَةِ عَلَى مَا قَدَرَ ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ وَ خَلَقَ وَ نَقَدَ ,
 وَ هَلْ هَذَا التَّنْفِيزُ هُوَ الْقَضَاءُ وَ الْقَدَرُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْعِلْمِ وَ الْكِتَابَةِ أَوْ الْعَكْسُ؟ بَحْثٌ يَقْبَلُ
 الْإِجْتِهَادَ لِأَنَّهُ بَحْثٌ فِي مَعْرِفَةِ مَعَانِي هَذِهِ الْأَلْفَافِ وَ لَكِنَّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي الْخَوْضُ فِيهِ بَعْدَ
 مَعْرِفَةِ مَرَاتِبِ الْقَدَرِ. مَرَاتِبُ الْقَدَرِ أَرْبَعٌ: "الْعِلْمُ" يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنَ الْعَبْدُ. إِنْتِهَاهَا هَذَا الْعِلْمُ وَ
 هَذَا الْبَحْثُ لَيْسَ خَاصًّا بِطُلَّابِ الْعِلْمِ. هَذَا عِلْمٌ وَ بَحْثٌ كُلٌّ مُسْلِمٌ وَ مُسْلِمَةٌ. لِأَنَّ الْإِيمَانَ

بِالْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ. وَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ. إِذَا يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ مَا مَعْنَى
 الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ. أَنْ يُؤْمِنَ الْعَبْدُ بِأَنَّ اللَّهَ عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ وَ سَيَكُونُ. وَ لَا يَقَعُ فِي
 مَمْلَكَتِهِ إِلَّا مَا عَلِمَ وَ ذَلِكَ الَّذِي عَلِمَهُ كَتَبَهُ عِنْدَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. إِذَا كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ
 مَعْلُومٌ وَ مَكْتُوبٌ. كُلُّ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْكَوْنِ مِنْ إِيْمَانٍ وَ كُفْرٍ طَاعَةٍ وَ مَعْصِيَةٍ وَ بَلَاءٍ وَ
 نِعْمَةٍ وَ مَرَضٍ وَ صِحَّةٍ وَ فَقْرٍ وَ غِنَى. كُلُّ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْكَوْنِ عَلِمَهُ اللَّهُ وَ كَتَبَهُ عِنْدَهُ.
 هَاتَانِ مَرْتَبَتَانِ: الْعِلْمُ وَ الْكِتَابَةُ. ثُمَّ لَا يَقَعُ فِي مَمْلَكَتِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ. لَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ يُكْرِهُهُ وَ
 يُكَلِّفُهُ لِيَفْعَلَ. بَلْ يَقَعُ كُلُّ شَيْءٍ بِمَشِيئَتِهِ الْعَامَّةِ. الَّذِي يَقَعُ بِمَشِيئَتِهِ الْعَامَّةِ يَشْمَلُ الْخَيْرَ وَ
 الشَّرَّ. مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ وَ خَلَقَ عَلَى مَا عَلِمَ وَ كَتَبَ وَ
 قَدَّرَ. هَذِهِ هِيَ الْمَرَاتِبُ بِمَعْنَى أَنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ مُسْتَأْنَفَةً مِنْ جَدِيدٍ وَ لَيْسَ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّ
 يَزْعُمُونَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ الْأُمُورَ إِلَّا بَعْدَ وُجُودِهَا!! إِفْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ. مِنَ الَّذِي
 أَوْجَدَهَا؟ (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) عَلِمَ وَ كَتَبَ وَ قَضَى وَ شَاءَ وَ خَلَقَ وَ أَوْجَدَ. هَذَا مَعْنَى مَا
 شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. كَانَ هُنَا نَامَةٌ. أَيُّ تَكْتَفِي بِمَرْفُوعِهَا وَ لَا تَطْلُبُ مَنْصُوبًا.
 كَانَ مَا شَاءَ -الله- كَانَ أَيُّ وَقَعَ وَ حَصَلَ وَ وُجِدَ. مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.
 كَانَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ -الله- لَهُ أَبْيَاتٌ. يُقَالُ يَتَرْتَّمُ بِهَا فِي وَسْطِ اللَّيْلِ أَوْ فِي آخِرِ اللَّيْلِ.
 مُحَاطِبًا رَبَّهُ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- وَ مُرَاقِبًا لَهُ. "مَا شِئْتُ كَانَ وَ إِنْ لَمْ أَشَأْ وَ مَا شِئْتُ إِنْ لَمْ
 تَشَأْ لَمْ يَكُنْ". "خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ. فَبِالْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتْى وَ الْمُسْنُ". "عَلَى ذَا
 مَنَنْتَ وَ هَذَا خَدَلْتُ وَ هَذَا أَعَنْتَ وَ ذَا لَمْ تُعِنْ. وَ هَذَا شَقِيٌّ وَ هَذَا سَعِيدٌ وَ هَذَا فَبِيحٌ وَ
 هَذَا حَسَنٌ. كُلُّ ذَلِكَ يَجِبُ الْإِيمَانُ هَكَذَا. إِيْمَانًا عَامًّا إِيْمَانًا. الَّذِي لَا يَجُوزُ التَّسَاؤُلُ لِمَاذَا
 فَعَلَ كَذَا وَ كَذَا؟ لِمَاذَا وَسَّعَ عَلَى فُلَانٍ وَ ضَيَّقَ عَلَى فُلَانٍ؟ لِمَاذَا أَحْيَا وَ لِمَاذَا أَمَاتَ؟ يُمَيِّتُ
 طِفْلًا رَضِيْعًا وَ الشَّائِبَ الْهَرِمَ يَمْشِي عَلَى عُكَّازَتِهِ! لِمَاذَا فَعَلَ هَذَا؟ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَسْأَلَ هَذَا
 أَبَدًا. يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ. فَلْتَعْلَمْ بِأَنَّهُ لَا يَخْلُقُ وَ لَا
 يَرْزُقُ وَ لَا يُعْطِي وَ لَا يَمْنَعُ وَ لَا يُشَرِّعُ تَشْرِيْعًا إِلَّا لِحِكْمَةٍ. مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. وَ
 نَفِي الْحِكْمَةِ مِنْ فِعْلِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- كَمَا تَوَرَّطَتْ فِي ذَلِكَ الْأَشَاعِرَةِ جَرِيْمَةٌ. لِأَنَّ

ذَلِكَ اتَّهَامُ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - بِالْعَبَثِ. اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لَا يَفْعَلُ فِعْلاً إِلَّا لِحِكْمَةٍ. وَ لَيْسَ بِالْإِزْمِ أَنْ يُدْرِكَ الْعِبَادَ حِكْمَةَ الرَّبِّ فِي تَشْرِيعِهِ فِي خَلْقِهِ فِي عَطَائِهِ فِي مَنْعِهِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ. لَيْسَ بِالْإِزْمِ وَ مَنْ يُحَاوِلُ ذَلِكَ يُحَاوِلُ الْإِحَاطَةَ (وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً). إِفْتِنِيعٌ بِهَذَا. لَا تَسْأَلُ وَ لَا تَخْضُ فِي سِرِّ الْقَدَرِ. وَ قَدْ صَحَّ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ - اللَّهُ - عَنْهُ وَ غَيْرِهِ الْقَوْلُ "الْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ فَلَا نَكْشِفُهُ" أَيُّ لَا تُحَاوِلُ كَشْفَهُ. وَ لَوْ حَاوَلْتَ مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكْشِفَهُ. لَكِنْ لَا تُحَاوِلُ إِلَّا أَنْ تَنْزِلُقَ. لَا تُحَاوِلُ أَنْ تَكْشِفَ سِرَّ الْقَدَرِ. قِفْ عِنْدَ حَدِّ عِلْمِكَ. عِلْمُكَ أَنْ تَعْلَمَ حَدُّكَ أَنْ تَعْلَمَ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَ مَا أَصَابَكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يُخْطِئُكَ أَبَداً. وَ مَا أَخْطَأَكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَنْ يُصِيبَكَ أَبَداً. هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ.

يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ - اللَّهُ - تَعَالَى - الْأَصْلُ الثَّانِي وَ هُوَ التَّوْحِيدُ فِي الْعِبَادَاتِ الْمُتَضَمِّنُ لِلْإِيمَانِ بِالشَّرْعِ وَ الْقَدَرِ جَمِيعاً مَعاً وَ عَدَمُ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا. فَتَقُولُ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِخَلْقِ اللَّهِ وَ أَمْرِهِ. اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ. فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَحْدَهُ. وَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ مَلِكُهُ. لَا أَحَدٌ يُشَارِكُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - فِي خَلْقِهِ. هَذَا تَوْحِيدُ الرَّبُّوبِيَّةِ فِي الْأَصْلِ هُوَ مَحَلُّ اتِّفَاقٍ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ تَوْحِيدَهُمْ فِطْرِي. وَ لَكِنْ قَدْ يَطْرُقُ أحياناً عَلَى بَعْضِ مَنْ سَاءَتْ تَرْبِيَّتُهُ وَ تَرَبَّى فِي أَحْضَانِ الْمُرْتَزِقَةِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ تَسْخِيرَ أَتْبَاعِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ حَيْثُ يُوهَمُونَ بِأَنَّ فِي إِمْكَانِهِمْ أَنْ يَتَصَرَّفُوا مَعَ اللَّهِ فِي هَذَا الْكَوْنِ بِالْعَطَاءِ وَ الْمَنْعِ. حَتَّى يُحْسِنَ الْحَاقِمَةُ وَ سُوءُ الْحَاقِمَةِ. لِذَلِكَ الْمَرِيدُ وَ الدَّرَوِيشُ عِنْدَمَا يَجْلِسُ أَمَامَ الشَّيْخِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى قَلْبِهِ لِأَلَّا يَطَّلَعَ الشَّيْخُ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِهِ فَيَصَابَ بِسُوءِ الْحَاقِمَةِ. أَوْ بِمُصِيبَةٍ مَا. أَيُّ يَصِلُ أَتْبَاعُ الْمُتَصَوِّفَةِ إِلَى اعْتِقَادِ أَنَّ الشَّيْخَ يَتَصَرَّفُ فَيُعْطِي فَيَمْنَعُ فَيَضُرُّهُ وَ يَنْفَعُ. هَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ فِي تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ جَرَّهُمْ إِلَى الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ. دَعَوْتُهُمْ وَ الْإِسْتِعَاثَةُ بِهِمْ وَ الدَّبْحُ لَهُمْ وَ النَّذْرُ لَهُمْ. وَ لَا بُدَّ فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى هَذِهِ النُّقْطَةِ لِأَنَّ هَذَا وَقَعُ جُمْهُورُ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ حَتَّى عَلَى أَفْعَالِ الْعِبَادِ رَدًّا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ. أَفْعَالُ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ - تعالى - لَيْسَ كَمَا تَزْعُمُ الْقَدَرِيَّةُ بِأَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ غَيْرُ دَاخِلَةٍ تَحْتَ قُدْرَةِ -الله تعالى - بَلْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَ أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. كَمَا قُلْنَا "كَانَ" هُنَا تَامَّةٌ , فَيَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ لَوْ كَانَتْ نَاقِصَةً تَطْلُبُ مَنْصُوبًا: كَانَ زَيْدٌ فِي الدَّارِ . "كَانَ زَيْدٌ" لَا يَتِمُّ الْمَعْنَى لَوْ وَقَفْتَ عِنْدَ قَوْلِكَ كَانَ زَيْدٌ وَ أَنْتَ تُخْبِرُ عَنْ وُجُودِهِ فِي الدَّارِ. لِأَنَّ الْمُسْتَمَعَ يَنْتَظِرُ مِنْكَ خَبْرًا. كَانَ زَيْدٌ فِي الدَّارِ . لَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ بِالْخَبَرِ حَتَّى يَتِمَّ الْكَلَامُ. الْخَبَرُ الْجُزْءُ الْمُتِمُّ الْفَائِدَةُ. سَوَاءٌ كَانَ خَبَرُ الْمُتَبَدِّأِ أَوْ كَانَ خَبَرُ كَانَ نَاقِصَةً وَ أَحْوَاتَهَا. وَ فِي مِثْلِ هَذَا لَا تَنْتَظِرُ مَنْصُوبًا. وَ أَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ أَيْ وَجَدَ وَ وَقَعَ وَ حَصَلَ. وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. فَلَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. لَا حَوْلَ لِلْعِبَادِ وَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ لِيَتَرَكُوا الْمَعَاصِيَ وَ يَهْتَدُوا وَ لَا قُوَّةَ لَهُمْ إِلَّا بِتَوْفِيقِ -الله تعالى - وَ إِنْ كَانَتْ لَدَيْهِمْ قُدْرَةٌ وَ إِرَادَةٌ وَ اخْتِيَارٌ. لَكِنْ هُنَاكَ التَّوْفِيقُ. يُوَفِّقُ -الله سبحانه و تعالى - مَنْ شَاءَ إِلَى طَاعَتِهِ وَ يَحُولُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَعْصِيَتِهِ. وَ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ -سبحانه و تعالى - مَا سَيَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ. أَيْ فِي هَذَا رَدٌّ عَلَى الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِهَا! كَلَامٌ فَاسِدٌ . وَ قَدْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ وَ قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ وَ كَتَبَهَا حَيْثُ شَاءَ وَ لَعَلَّ هُنَا حِينَ أَنْسَبَ وَ قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ وَ كَتَبَهَا حِينَ شَاءَ. كَمَا قَالَ تَعَالَى (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ) إِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ. مَكْتُوبٌ , جَمَعَ هُنَا. أَوْ أَتَى بِدَلِيلِ الْمُرْتَبِتَيْنِ: الْعِلْمُ وَ الْكِتَابَةُ. (إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ) إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. وَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ "إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ". الْأَمْرُ مَفْرُوعٌ مِنْهُ لَيْسَ بِؤُفٍّ. لَيْسَ بِمُسْتَأْنَفٍ. وَ لَمَّا سَمِعَ الصَّحَابَةُ هَذَا النَّصَّ وَ أَمْثَالَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابِ. فِيمَا الْعَمَلُ؟ طَالَمَا الْأُمُورُ كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ وَ مَكْتُوبَةٌ وَ مُقَدَّرَةٌ؟ فِيمَا الْعَمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا؟ قَالَ لَهُمْ: لَا. إِعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ. "أَنْتَ لَا تَدْرِي مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَ مَا الَّذِي كُتِبَ لَكَ. لَا تَعْلَمُ. وَ لَكِنَّ السَّعِيدَ يُعْرِفُ بِأَنْ يُوَفَّقَ لِأَعْمَالِ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيَعْمَلَهَا فَيُخْتَمَ لَهُ بِأَعْمَالِ أَهْلِ السَّعَادَةِ. لِذَلِكَ

الإنسان في أول حياته لا يدري عن مستقبله. قد يعيش المرء في أول حياته يعمل بأعمال أهل الجنة و لكن قد سبق عليه الكتاب فينقلب و ينتكس. و العكس حاصل. إذا لا معنى للإعتماد لأنك لا تعلم و لكن تسأل ربك التوفيق. الدعاء مطلوب مع ذلك كله لا بد من الدعاء. لأن الله هو الذي يوفق و يجعلك سعيداً لتعمل بأعمال أهل السعادة و يحتم لك بذلك. و هو الذي إن شاء يخذل من يشاء و يوفق من يشاء. لا يسأل عما يفعل. لا تعرض على الله. سلم لتسلم. و يحب الإيمان بأن الله - تعالى - أمر عباده بعبادته و خذله لا شريك له. هذا هو الشرع. إذا علمت هذه المقادير و مراتب القدر يجب أن تؤمن بأن - الله - تعالى - أمر بعبادته و خذله لا شريك له. أمر الجميع. و أحب من الجميع و رضي من الجميع. لكن هنا سر قد يأمر الجميع و أنت لا ترى إن الجميع يمثل. منهم من يمثل و منهم من لا يمثل. هذه هي الإرادة الشرعية الدينية. أراد الله و أمر و أحب من الجميع الطاعة. لكن يوفق من يشاء لعمل بمرضاته و يمثل أمره. و يخذل من يشاء: لا يمثل. العبد المؤمن الذي يمثل تجتمع فيه الإرادة الكونية و الإرادة الشرعية معاً. أراد الله أولاً و علم و كتب أن زيداً من الناس يؤمن فيطيع. فأنزل كتابه فأمره و أرسل رسوله و هداه و امتثل و عمل بأعمال أهل السعادة. اجتمعت فيه الإرادة الكونية و الإرادة الشرعية معاً. هذه هي السعادة. من ختم له بهذا فهو السعيد. فلنكتفي بهذا المقدار .

الدّرس رقم : 43

القارئ: قَالَ شيخ الإسلام رحمه -الله تعالى- (ويجب الإيمان بأن الله تعالى أمر بعبادته وحده لا شريك له، كما خلق الجن والإنس لعبادته، وبذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه ، وعبادته تتضمن كمال الدّل له والحب له، وذلك يتضمن كمال طاعته، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله، وقد قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} ، وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} ، وقد قال تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} ، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} ، وقال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} ، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ • وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} ، فأمر الرسل بإقامة الدين وأن لا ينفرقوا فيه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (إنّا معاشر الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء إخوة لعلات، وأنا أولى الناس بابن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي) ، وهذا الدين هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله ديناً غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، قال تعالى عن نوح: {وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ • فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ، وقال عن إبراهيم: {وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ • إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ • وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} ، وقال عن موسى: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ

بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } ، وقال في خبر المسيح: { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } ، وقال فيمن تقدم من الأنبياء: { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا } ، وقال عن بلقيس أنها قالت: { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .

الشيخ: بَسْ ، الحمد لله رب العالمين وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى أَمِّ النَّبِيِّينَ وَ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، وَ نَحْنُ فِي الْأَصْلِ الثَّانِي الَّذِي هُوَ تَوْحِيدٌ فِي الْعِبَادَاتِ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الْأَصْلِ. وَ يَحِبُّ الْإِيمَانُ بِأَنَّ -الله تعالى- أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. أَمَرَ الْجَمِيعَ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا اللَّهُ. كَمَا خَلَقَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ لِعِبَادَتِهِ. وَ بِذَلِكَ أُرْسِلَ رُسُلُهُ وَ أُنْزِلَ كُتُبُهُ. أُرْسِلَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَ أُنْزِلَ الْكُتُبُ بِالْإِسْلَامِ (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) وَ لَكِنْ أَحْيَاءُ أَصْبَحَ إِسْمُ الْإِسْلَامِ عَلَمًا بِالْعَلْبَةِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ إِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ إِسْمٌ لَجَمِيعٍ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ الرُّسُلُ. وَ ذَلِكَ هُوَ أَصْلٌ يَتَّفِقُ عَلَيْهِ الْجَمِيعُ. وَ لَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ الْآنَ الْإِسْلَامُ إِنَّمَا يُنْصَرَفُ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ لِأَنَّهَا رِسَالَةٌ مُهَيِّمَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ. وَ عِبَادَتُهُ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ الدَّلِّ لَهُ وَ الْحُبَّ لَهُ. هَذَا تَعْرِيفٌ دَقِيقٌ جَدًّا لِلْعِبَادَةِ ، حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ كَمَالُ الدَّلِّ وَ كَمَالُ الْحُبِّ مَعَ التَّعْظِيمِ. كَمَالُ الدَّلِّ لِلخَالِقِ -سبحانه وَحده- وَ كَمَالُ الْحُبِّ لَهُ. الدَّلُّ بِدُونِ حُبٍّ لَا يَكُونُ عِبَادَةً. وَ الدَّلُّ بِدُونِ حُبٍّ لَا يَكُونُ عِبَادَةً وَ الْعَكْسُ كَذَلِكَ. وَ أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ التَّعْظِيمِ. هَذِهِ حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ. أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِ الْعَبْدِ التَّذَلُّ لِرَبِّهِ -سبحانه وَ تعالى- وَ عَدَمُ التَّكَبُّرِ عَنْ عِبَادَتِهِ. يَسْتَسْلِمُ لَهُ وَ عِنْدَ الْإِسْتِسْلَامِ مَعَ الْحُبِّ وَ التَّقْدِيرِ وَ التَّعْظِيمِ. هَذِهِ حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ. لِذَلِكَ لَوْ صُرِفَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي: التَّذَلُّ وَ الْحُبُّ الْكَامِلُ وَ التَّعْظِيمُ الْكَامِلُ لِعَبْدٍ -الله تعالى- يُعْتَبَرُ ذَلِكَ شَرَكًا أَكْبَرَ. وَ لَا يَشْفَعُ لِمَنْ وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ صَلَاتُهُ وَ صِيَامُهُ. لَوْ حَصَلَ لَدَى الْإِنْسَانِ تَذَلُّلٌ كَامِلٌ وَ اسْتِسْلَامٌ. وَ حُبٌّ كَامِلٌ وَ تَعْظِيمٌ لِمَخْلُوقٍ مَا كَانَتْ مَا كَانَتْ. وَ كَانَتْ مَا كَانَتْ عَبْدَهُ. وَ بِذَلِكَ أَصْبَحَ مُتَمَرِّدًا

على -الله سبحانه و تعالى- وَ غَيْرِ مُسْتَسْلِمٍ. وَ أَمَّا إِنْ عَبْدَ اللَّهِ بِتَذُلِّ وَ حُبِّ وَ تَقْدِيرِ وَ
تَعْظِيمِ وَ صَرَفَ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ. يُعْتَبَرُ هَذَا شَرْكَاً أَكْبَرُ. وَ فِي الصُّورَةِ الْأُولَى كُفْرٌ أَكْبَرُ.
أَيُّ إِذَا صَرَفَ كُلَّ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ -تعالى- مُعْرِضاً عَنِ اللَّهِ. يُعْتَبَرُ كُفْراً وَ فِي الصُّورَةِ الثَّانِيَةِ
يُعْتَبَرُ شَرْكَاً. وَ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ طَاعَتِهِ. بِمَا نَعْرِفُ الْحُبَّ وَ الذَّلَّ وَ التَّقْدِيرَ؟ الطَّاعَةُ ,
الطَّاعَةُ دَلِيلٌ. كَمَالَ الطَّاعَةِ بِامْتِثَالِ الْمَأْمُورَاتِ وَ اجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ. هَذِهِ الْأَعْمَالُ دَلِيلٌ. لِأَنَّ
الْحُبَّ وَ الذَّلَّ وَ التَّعْظِيمَ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ وَ هِيَ أَعْمَالُ عَظِيمَةٍ. لَكِنْ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ بِحَاجَةٍ
إِلَى الدَّلِيلِ. الدَّلِيلُ: الطَّاعَةُ , لِذَلِكَ قَالَ: وَ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ طَاعَتِهِ. الْكَمَالُ الْبَشَرِيُّ وَ
لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ الْعِصْمَةِ. أَنْ يَكُونَ لَدَى الْإِنْسَانِ كَمَالُ الطَّاعَةِ. يَجْتَهِدُ فِي طَاعَةِ -الله-
تعالى- بِامْتِثَالِ الْمَأْمُورَاتِ وَ اجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ. وَ إِنْ هَفَى هَفْوَةً بَادَرَ بِالتَّوْبَةِ. لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ الَّذِينَ يُكْثِرُونَ مِنَ التَّوْبَةِ. كَلِمَةُ التَّوَّابِينَ تَذُلُّ عَلَى وَفُوعِ الْمَعَاصِي بَلْ عَلَى
تَكَرُّرِهَا. شَرِيطَةُ عَدَمِ الْإِصْرَارِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الَّذِي إِذَا أَحْسَنَ سِرَّتَهُ حَسَنَتُهُ وَ إِذَا أَسَاءَ أَسَاءَتُهُ
سَيِّئَتُهُ فَبَادَرَ بِالتَّوْبَةِ. هَذَا هُوَ الْمُؤْمِنُ. لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِيمَانِ الْعِصْمَةِ. لَا عِصْمَةَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ.
(وَ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ). الطَّاعَةُ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ. وَ لِرَسُولِهِ الطَّاعَةُ الْمُطْلَقَةُ. طَاعَةُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ بِمَعْنَى يَحِبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَمْتَثِلَ أَمْرَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ نَهْيَهُ. وَ يُصَدِّقَ خَبْرَهُ دُونَ أَنْ يَسْأَلَ فِي مَا أَمَرَ. هَلْ
هَذَا الْمَأْمُورُ بِهِ مَوْجُودٌ فِي الْكِتَابِ أَمْ لَا . وَ إِذَا نَهَى دُونَ أَنْ يَسْأَلَ هَلْ هَذَا الْمَنْهِيُّ مَوْجُودٌ فِي
الْكِتَابِ أَمْ لَا. إِذْ لَهُ الطَّاعَةُ الْمُطْلَقَةُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. اللَّهُ مَنَحَهُ الطَّاعَةَ الْمُطْلَقَةَ (أَطِيعُوا
اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) نَبَّهْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ نَفْلاً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِعَادَةُ الْفِعْلِ هُنَا
يَذُلُّ عَلَى الطَّاعَةِ الْمُطْلَقَةِ. (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ) لِذَلِكَ لَمْ يُعِدْ مَعَ طَاعَةِ أُولِيَ الْأَمْرِ.
لِأَنَّ أُولِيَ الْأَمْرِ لَيْسَتْ لَهُمْ مُطْلَقَةٌ. طَاعَةُ مُقَيَّدَةٌ مَا أَطَاعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ
السَّلَامُ. وَ قَدْ قَالَ -تعالى- (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) مَا هُوَ هَذَا الْإِذْنُ؟
الْإِذْنُ الشَّرْعِيُّ , الْإِذْنُ الشَّرْعِيُّ الَّذِي بِمَعْنَى التَّوْفِيقِ. (وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ
اللَّهِ) وَلَوْ هَذَا الْإِذْنُ إِذْناً كَوْنِيّاً مَا بَقِيَ عَاصٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. أَمَرَ اللَّهُ النَّاسَ جَمِيعاً بِطَاعَةِ

الرُّسُلُ مِنْهُمْ مَنْ وَقَّعَهُ وَ امْتَثَلَ أَمْرَ -الله- فَأَطَاعَ. أَطَاعَ الرُّسُلُ بِإِذْنِ اللَّهِ الشَّرْعِيِّ وَ بِأَمْرِهِ وَ بِتَوْفِيقِهِ. وَ مَنْ لَمْ يَصْدُقْ فِي عِلْمِ اللَّهِ -تعالى- بِأَنَّهُ يُطِيعُ لَا يُطِيعُ. لِأَنَّ مَضْمُونُ الْإِذْنِ الشَّرْعِيِّ وَهُوَ الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ. قَدْ يَتَحَقَّقُ وَ قَدْ لَا يَتَحَقَّقُ وَ لَكِنْ مُرَادُ الْإِرَادَةِ الْكُونِيَّةُ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ ذَلِكَ كَوْنًا لَا يَتَخَلَّفُ أَبَدًا. هَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ الْكُونِيَّةِ وَ الْإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَ الْإِذْنُ هُنَا بِهَذَا الْمَعْنَى: بِالْإِذْنِ الشَّرْعِيِّ. سَبَقَ أَنْ أَشْرْنَا لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْإِرَادَتَيْنِ. الْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ وَ الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ. التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا أَمْرٌ مُهِمٌّ جَدًّا. قَدْ تَجَمَّعَانِ الْإِرَادَتَانِ فِي شَخْصٍ. تَجَمَّعَ الْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ وَ الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ فِي إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِ وَ طَاعَةِ الْمُطِيعِ. أَرَادَ اللَّهُ أَزْلًا أَنْ أَبِي بَكْرٍ يُؤْمِنَ رَضِيَ -الله- عَنْهُ فَأَمَرَهُ وَ أَحَبَّ مِنْهُ فَأَمَّنْ. اجْتَمَعَتْ فِيهِ الْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ وَ الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ. إِيْمَانُهُ مُرَادُ اللَّهِ -تعالى- أَزْلًا عِلْمَ ذَلِكَ وَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَأَمَرَهُ ثُمَّ وَقَّعَهُ فَأَمَّنْ فَأَحَبَّ اللَّهُ إِيْمَانَهُ. فَاجْتَمَعَتْ فِيهِ الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ وَ الْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ. عِلْمَ اللَّهِ أَزْلًا بِأَنَّ أَبِي جَهْلٍ لَا يُؤْمِنُ فَيَبْقَى عَلَى كُفْرِهِ فَيَمُوتُ كَافِرًا. انْفَرَدَتْ فِيهِ الْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ أَيْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ مَا وَقَعَ وَ هُوَ الْكُفْرُ وَ الْبَقَاءُ عَلَى الْكُفْرِ وَ الْمَوْتُ عَلَى الْكُفْرِ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ وَ هُوَ مَأْمُورٌ شَرْعًا بِأَنْ يُؤْمِنَ لَكِنْ تَحَقَّقَتْ فِيهِ الْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ وَحْدَهَا. هَذَا فِي كُفْرِ الْكَافِرِ وَ مَعْصِيَةِ الْعَاصِي. فَهَلْ تَنْفَرِدُ الْإِرَادَةُ الدِّينِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ. فِي إِيْمَانِ الْكَافِرِ وَ طَاعَةِ الْعَاصِي. لِأَنَّ إِيْمَانَ أَبِي جَهْلٍ لَوْ حَصَلَ إِيْمَانٌ مَأْمُورٌ بِهِ وَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ لَكِنَّهُ لَمْ يَقَعْ. فِي هَذِهِ الصُّورَةِ الْفَرْدِيَّةِ تَنْفَرِدُ الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

وَ قَالَ اللَّهُ -سبحانه و تعالى-. الْبَحْثُ الْآنَ فِي بَيَانِ الْعِبَادَةِ وَ أَنَّهَا الطَّاعَةُ وَ الْإِسْلَامُ. (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ). وَ قَالَ -تعالى- (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) لَا، "إِسْتَفْهَامُ إِنْكَارِي": لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ. لَا يَسْتَحِقُّونَ الْعِبَادَةَ الرُّسُلُ. وَهُمْ عِبِيدُ -الله- تعالى-. وَ الْعَبْدُ لَا يُعْبَدُ. هُمْ عِبِيدُ وَ رُسُلُ. عِبِيدٌ لَا يُعْبَدُونَ وَ رُسُلٌ يُطَاعُونَ وَ لَا يُعْصَوْنَ. (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) جَمِيعُ الرُّسُلِ دَعَا بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ. دَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ. (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى) مَا

هُوَ ذَلِكَ؟ (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) كُلُّهُمْ أُرْسِلُوا بِهَذِهِ الرَّسَالَةِ وَ بِهَذِهِ الدَّعْوَةُ. إِقَامَةُ الدِّينِ وَ عَدَمُ التَّفَرُّقِ بِالدِّينِ. إِذَا التَّفَرُّقُ بِالدِّينِ يُخَالِفُ دِينَ الرُّسُلِ جَمِيعًا لِأَنَّ دِينَهُمْ وَاحِدٌ. دِينُهُمْ فِي الْأَصْلِ وَاحِدٌ وَ إِنْ كَانَتْ الشَّرَائِعُ قَدْ تَخْتَلِفُ. إِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- حِكْمَةً مِنْهُ جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ شَرْعَةً وَ مِنْهَاجًا وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَرْعَةً وَ مِنْهَاجٌ يَسِيرُونَ عَلَيْهِ. الشَّرَائِعُ -الْفُرُوعُ تَخْتَلِفُ حَتَّى فِي شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ. كَانَ التَّوَجُّهُ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ بِالصَّلَاةِ عِبَادَةً وَ دِينٌ وَ شَرْعٌ. نُسِخَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ بِشَرِيعَةٍ أُخْرَى. إِذَا كَانَ فِي مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَ فِي دِينٍ وَاحِدٍ قَدْ تَخْتَلِفُ الشَّرَائِعُ. إختلافُهَا بَيْنَ الرُّسُلِ أَمْرٌ وَاضِحٌ لِكِنَّ الْأَصْلَ وَاحِدٌ. بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ قَوْلُهُ -تَعَالَى- (وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) يَنْبَغِي الْوُقُوفُ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ التَّفَرُّقَ مِنْهُي عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْمَلَلِ فِي كُلِّ دِينٍ. الْوَحْدَةُ مَأْمُورٌ بِهَا فِي كُلِّ دِينٍ. الْوَحْدَةُ وَ التَّوْحِيدُ وَ سَلَامَةُ الْعَقِيدَةِ. وَ الطَّاعَةُ الْمُطْلَقَةُ لِلَّهِ -تَعَالَى- وَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَدَمُ التَّفَرُّقِ. لِأَنَّ التَّفَرُّقَ فِتْنَةٌ وَ ضَعْفٌ. الْإِجْتِمَاعُ وَ الْوَحْدَةُ قُوَّةٌ وَ رَحْمَةٌ. (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) . (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) • وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) أَنَا وَحْدِي رَبُّكُمْ كُلُّكُمْ لَا يُوجَدُ رَبٌّ سِوَايَ يَقُولُ -اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَرْبُوبُونَ: الْأَنْبِيَاءُ وَ أُمَّتُهُمْ. رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ. إِقَامَةُ الدِّينِ. فَأَمَرَ الرُّسُلَ -عَفْوًا- أَمَرَ الرُّسُلَ بِإِقَامَةِ الدِّينِ. دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ وَ هُوَ الْإِسْلَامُ -الْإِسْتِسْلَامُ. الْإِسْتِسْلَامُ الَّذِي يَتَنَاقَى مَعَ الْإِسْتِكْبَارِ وَ الْإِسْتِسْلَامُ الَّذِي يَتَنَاقَى مَعَ الْإِشْرَاقِ. مَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ كُلِّيًّا لِلَّهِ فَهُوَ مُسْتَكْبِرٌ. وَ مَنْ إِسْتَسْلَمَ إِسْتِسْلَامًا جُزْئِيًّا بِأَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ فِي هَذَا الْإِسْتِسْلَامِ فَهُوَ مُشْرِكٌ. إِذَا الْمُسْلِمُ مَنْ هُوَ؟ الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْإِسْتِكْبَارِ وَ مِنَ الْإِشْرَاقِ مَعًا. هَذَا هُوَ الْمُسْلِمُ. فَأَمَرَ الرُّسُلَ بِإِقَامَةِ الدِّينِ وَ أَلَّا يَتَفَرَّقُوا فِيهِ. وَ لِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ "إِنَّ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ". أَصْلُ الدِّينِ وَاحِدٌ. لِذَلِكَ الْإِخْتِلَافُ الْمَذْمُومُ فِي أَصْلِ الدِّينِ لَا فِي الْفُرُوعِ. إختلافُ أَهْلِ الْعِلْمِ. إختلافُ وَجْهَاتِ نَظَرِهِمْ فِي الْمَسَائِلِ الْفَرْعِيَّةِ الْفَقْهِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَطْرُحُ الْإِجْتِهَادِ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ. وَ لَكِنَّ الْإِخْتِلَافَ الْمَذْمُومَ إختلافٌ فِي أَصْلِ الدِّينِ. "دِينُنَا وَاحِدٌ وَ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ

لِعَلَّاتْ". "وَأَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْنِ مَرْيَمَ" لَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ. "وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتْ" بِمَعْنَى شَبَهَهُمْ بِأَبْنَاءِ لَصْرَّاتٍ وَطَبَائِنِ. الْأُمَمَاتُ مُخْتَلِفَةٌ وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ. الْوَلَدُ إِنَّمَا يَنْتَسِبُ إِلَى الْأَبِّ لَا إِلَى الْأُمِّ. قَدْ تَكَثَّرَ الْأُمَمَاتُ وَالْأَبُّ وَاحِدٌ. أَيُّ أَصْلُ الدِّينِ وَاحِدٌ وَالْفُرُوعُ قَدْ تَخْتَلَفَ. الْإِخْتِلَافُ فِي الْفُرُوعِ غَيْرُ ضَارٍ طَالَمَا الْأَصْلُ الثَّابِتُ مَحْفُوظٌ. وَهَذَا الدِّينُ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ دِينًا غَيْرَهُ. لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الْإِسْلَامَ الْكَامِلَ لَا مِنْ الْأَوَّلِينَ وَلَا مِنَ الْآخِرِينَ. فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا تَقَدَّمَ. قَالَ -تعالى- عَنْ نُوحٍ (وَأَنُلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ) فَعَلَى اللَّهِ وَخَدَهُ تَوَكَّلْتُ (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) تَحَدَّ عَظِيمٌ لَأَنَّهُ وَاثِقٌ فِي -اللهِ سبحانه وتعالى- (لَا تُنْظِرُونَ) بِدُونِ انْتِظَارٍ وَبِدُونِ مُهْلَةٍ. افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ. هَكَذَا الْإِيمَانُ وَهَكَذَا الثِّقَةُ وَهَكَذَا التَّوَكُّلُ عَلَى -اللهِ سبحانه-. (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) لِتَعْرِفُوا مَكَانَةَ الْإِسْلَامِ. نُوحٍ يَقُولُ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُسْتَسْلِمِينَ إِسْتِسْلَامًا كَامِلًا. وَبِمَا أُمِرْتُ بِهِ أُمِرْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا. أَمْرُكُمْ بِمَا أُمِرْتُ بِهِ وَهُوَ الْإِسْتِسْلَامُ (وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ). مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا جَمِيعُ الرُّسُلِ. (وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الْإِسْلَامُ وَالصَّلَاحُ هَذِهِ صِفَاتُ تُلَاحِظُونَ إِنَّ اللَّهَ يَصِفُ الْأَنْبِيَاءَ بِالْإِسْلَامِ وَالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى. صِفَاتُ عَظِيمَةٍ لَوْ كَانَتْ هُنَاكَ صِفَاتُ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَوَصَفَ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ. (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) إِسْتَسْلَمْتُ لَهُ وَ أَنْقَدْتُ إِنْقِيَادًا كَامِلًا. وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَ يَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ (وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ). الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ. لِأَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ. وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنْ قَالَ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا) دَعْوَةُ الْإِيمَانِ لَيْسَتْ بِإِيمَانٍ. إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فِعْلًا وَ حَقًّا فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا. قَدَّمَ الْفِعْلَ (فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا). (إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ حَقًّا تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ. مِنْ صِفَاتِ

الْمُؤْمِنِينَ وَ مِنْ صِفَاتِ الْمُسْلِمِينَ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ إِعْتِمَادًا كَلِّيًّا. لَا يُقَالُ تَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ. تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَيْكَ. لَا , تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ. "ثُمَّ" هُنَا لَا تَأْتِي. التَّوَكُّلُ وَ هُوَ الْإِعْتِمَادُ الْقَلْبِي لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ. وَ قَالَ فِي خَبَرِ الْمَسِيحِ (وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ) الْأَنْصَارُ. أَنْصَارُهُ (أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ). تَرَوْنَ الْآيَاتِ كُلَّهَا حَوْلَ الْإِسْلَامِ. لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ مَعْنَى الْإِسْلَامِ وَ نُطَبِّقَ الْإِسْلَامَ وَ لَا نَكْتَفِي بِالِدَّعْوَةِ. دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ شَيْءٌ وَ الْإِسْلَامُ شَيْءٌ آخَرٌ. الْإِسْلَامُ الْمَوْجُودُ حَالِيًّا بَيْنَ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ "إِسْلَامٌ رَسْمِيٌّ". وَ الْإِسْلَامُ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الْقُرْآنُ غَيْرَ هَذَا الْإِسْلَامِ الرَّسْمِيِّ. الْإِسْلَامُ الرَّسْمِيُّ تَكْفِي فِيهِ الْبِطَاقَةُ وَ الْهَوِيَّةُ. لَكِنَّ الْإِسْلَامَ الْحَقِيقِي: لَا , مَا تُفِيدُ هَذِهِ الْهَوِيَّاتُ الَّتِي نَحْمِلُهَا فِي جُيُوبِنَا. وَ لَكِنَّ الْإِسْلَامَ الْحَقِيقِي: الْإِسْتِسْلَامُ الْكَامِلُ لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- مَعَ التَّوَكُّلِ وَ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ وَ الْحُبِّ الصَّادِقِ وَ الدُّلِّ الْحَقِيقِيِّ وَالتَّذَلُّلِ الْحَقِيقِيِّ لِلَّهِ -تَعَالَى- وَ تَعْظِيمِهِ. مِنْ تَعْظِيمِ -اللَّهُ تَعَالَى- تَعْظِيمُ شَرْعِهِ. هَذَا الشَّرْعُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيْنَا لِنَسِيرَ عَلَيْهِ إِلَيْهِ. نَسِيرُ عَلَى الشَّرِيعَةِ إِلَى اللَّهِ. عَلَى مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ فَهْمُهُ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ. تَعْظِيمُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَ فَهْمُهَا وَ السَّيْرُ عَلَيْهَا هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ الْحَقِيقِي. وَ قَالَ فِي مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا) أَسْلَمُوا (الَّذِينَ أَسْلَمُوا) لَأَحْظُوا الْإِسْلَامَ كَمْ تَكَرَّرَ هُنَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ؟ , وَ قَالَ عَنْ بَلْقَيْسٍ أَنَّهَا قَالَتْ (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) هَكَذَا الْإِسْلَامُ يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ الْإِسْلَامُ بِهَذَا الْمَفْهُومِ. نَعَمْ .

القارئ: ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ -اللَّهُ- (فَالْإِسْلَامُ يَتَضَمَّنُ الْإِسْتِسْلَامَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ اسْتَسْلَمَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ كَانَ مُشْرِكًا، وَمَنْ لَمْ يَسْتَسْلَمْ لَهُ كَانَ مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَتِهِ، وَالْمُشْرِكُ بِهِ وَالْمُسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ كَافِرٌ، وَالْإِسْتِسْلَامُ لَهُ وَحْدَهُ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَحْدَهُ وَطَاعَتَهُ وَحْدَهُ , وَهَذَا دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَنْ يَطَاعَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِفَعْلٍ مَا أَمَرَ بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَإِذَا أَمَرَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِاسْتِقْبَالِ الصَّخْرَةِ، ثُمَّ أَمَرَ ثَانِيًا بِاسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ، كَانَ كُلُّ مَنْ

الفاعلين حين أمر به داخلا في دين الإسلام، فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين، وإنما تنوع بعض صور الفعل وهو وجهة المصلي، فكذلك الرسل دينهم واحد، وإن تنوعت الشريعة والمنهاج والوجهة والمنسك، فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحدا، كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد.)

الشيخ: قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- مُوضِّحًا مَا تَقَدَّمَ أَوْ مُلَخِّصًا لِذَلِكَ "مَعْنَى الْإِسْلَامَ" هَذَا عُنْوَانٌ لِهَذَا الْمُقْطَعِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا "مَعْنَى الْإِسْلَامَ". فَالْإِسْلَامُ يَتَضَمَّنُ الْإِسْتِسْلَامَ لِلَّهِ وَحْدَهُ. فَمَنْ اسْتَسْلَمَ لَهُ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَ لِعَيْرِهِ مَعَا كَانَ مُشْرِكًا. يَعْبُدُ اللَّهَ وَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ. يُعَظَّمُ اللَّهُ وَ يُعَظَّمُ غَيْرُ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ. وَ لَوْ فَسَّرَ ذَلِكَ التَّعْظِيمَ بِأَيِّ تَفْسِيرٍ. إِنَّمَا عَظَّمْ فَلَانًا لِأَنَّهُ مِنْ آلِ الْبَيْتِ. إِنَّمَا عَظَّمْ فَلَانًا لِأَنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. تَعْظِيمُ الصَّالِحِينَ مِنَ التَّوَسُّلِ بِهِمْ وَ مِنَ التَّبَرُّكِ بِهِمْ. كُلُّ هَذِهِ التَّفَاسِيرُ لَا تُجْدِي. طَالَمَا اسْتَسْلَمَ لِعَيْرِ اللَّهِ وَ عَبْدَ غَيْرِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ. يَحِبُّ أَنْ نَفْهَمَ مَعْنَى عَبْدَ غَيْرِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ. رُبَّمَا بَعْضُ النَّاسِ يَحْسِبُونَ يُصَلِّي لِعَيْرِ اللَّهِ كَمَا يُصَلِّي لِلَّهِ. لَا , تَقَدَّمَ بَيَانُ مَعْنَى الْعِبَادَةِ: تَذَلُّ لِعَيْرِ اللَّهِ وَ عَظَّمْ غَيْرَ اللَّهِ. وَ أَحَبَّ غَيْرَ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ. هَذِهِ هِيَ الْمَشْكَلَةُ الْوَاقِعَةُ الْآنَ عِنْدَ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَنَسِّبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ "مَحَبَّةُ غَيْرِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ". لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَ الْحُبِّ مَعَ اللَّهِ. بَيْنَهُمَا فَرْقٌ عَظِيمٌ. الْحُبُّ فِي اللَّهِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ وَ عَمَلٌ عَظِيمٌ. عَمَلٌ يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ وَ يَرْجُوا أَنْ يَخْشُرَ اللَّهَ مَعَ مَنْ أَحَبَّهُ تَحْتَ ضِلَّةِ يَوْمٍ لَا ضِلَّ إِلَّا ضِلُّهُ. الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَ لِلَّهِ. إِذَا أَحَبَّ شَخْصًا فِي اللَّهِ. لِمَا يَطُنُّ فِيهِ الْخَيْرَ وَ الصَّلَاحَ وَ التَّقْوَى. أَحَبَّهُ لِطَنِّهِ بِأَنَّ هَذَا الشَّخْصَ يُحِبُّ اللَّهَ. تَرْجِعُ الْمَحَبَّةُ لِلَّهِ -تَعَالَى- فِي هَذِهِ الصُّورَةِ. فَرْقٌ بَيْنَ هَذَا وَ بَيْنَ مَنْ يُحِبُّ شَخْصًا كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ. وَ يُعَظَّمُهُ كَمَا يُعَظَّمُ اللَّهُ وَ يَرْجُوهُ كَمَا يَرْجُوا اللَّهُ. يَرْجُوهُ فِي دُنْيَاهُ وَ فِي آخِرَتِهِ. يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي شَفَاعَتِهِ أَنَّهُ سَوْفَ يَشْفَعُ لَهُ. بَلْ يَرْجُوهُ مُلِمَّةً وَ فِي كُلِّ مُصِيبَةٍ يَدْعُوهُ. يُجِبُّهُ وَ يُعَظَّمُهُ وَ يَتَذَلَّلُ لَهُ. وَ رُبَّمَا وَصَلَ إِلَى دَرَجَةٍ إِعْتِقَادِ عِلْمِ الْغَيْبِ فِيهِ. خُصُوصًا إِذَا كَانَ تَابِعًا لَهُ فِي طَرِيقَتِهِ. لِأَنَّ صَاحِبَ الطَّرِيقَةِ يَعْتَقِدُ فِي شَيْخِ الطَّرِيقَةِ إِنَّهُ

يَعْلَمُ الْعَيْبُ. لَيْسَ الْعَيْبُ الْعَامُ. يَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ الْمُرِيدِينَ. وَ لَعَلَّ كَثِيرًا مِنْ إِخْوَانِنَا الطَّيِّبِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْمُرِيدِينَ؟ مِنَ الْمُرِيدُونَ؟ الْمُرِيدُونَ طُلَّابٌ. طُلَّابُ مَشَايخِ الطُّرُقِ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَهُمْ كَيْفَ يَعْبُدُونَ الْمَشَايخَ. وَ كَيْفَ يَتَذَلَّلُونَ لَهُمْ. وَ كَيْفَ يَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِمْ فِي شَفَاعَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. هَؤُلَاءِ يُقَالُ لَهُمُ الْمُرِيدُونَ. إِنْ كَانُوا طُلَّابٌ صَعَارَ يُقَالُ لَهُمْ "دَرَاوِشَةٌ" دَرَوِيش. إِنْ تَرَفَّقَ يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْمُرِيدِ ثُمَّ الْحَلِيفَةُ ثُمَّ يَتَخَرَّجُ فَيَصِيرُ شَيْخًا لَهُ أَتْبَاعُ كَشِيخِهِ. وَ التَّخَرُّجُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ عَزِيزٌ لَيْسَ بِسَهْلٍ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- فَمَنْ اسْتَسْلَمَ لَهُ -سُبْحَانَهُ- وَ لَعِيْرِهِ كَانَ مُشْرِكًا , وَ مَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لَهُ كَانَ مُسْتَكْبِرًا. إِكْتَفَى مِنَ الْإِسْلَامِ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ -تعالى- بِالْهُوِيَّةِ كَمَا قُلْنَا. بِالْإِسْلَامِ الرَّسْمِيِّ. لَا يَعْبُدُهُ بِشَيْءٍ. لَا يَفْعَلُ شَيْئًا لِلَّهِ -تعالى-. وَ لَكِنَّ الْعِبَادَةَ كُلَّهَا وَ الرَّجَاءَ وَ التَّوَكُّلَ وَ الدَّعَاءَ وَ الْإِسْتِعَاثَةَ وَ الدَّبْحَ وَ النَّذْرَ لِعَيْرِ اللَّهِ. مَا الَّذِي لِلَّهِ؟ الْإِنْسَابُ إِلَى دِينِهِ. مُجَرَّدَ إِنْسَابٍ , يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ -الله تعالى- وَ مَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لَهُ كَانَ مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَتِهِ وَ الْمَشْرِكُ بِهِ وَ الْمُسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ كَافِرٌ. الْمَشْرِكُ بِهِ الشَّرِكُ الْأَكْبَرُ كَمَا تَقَدَّمَ بِالتَّذَلُّلِ وَ التَّعْظِيمِ وَ الدَّبْحِ وَ النَّذْرِ وَ الْإِسْتِعَاثَةَ وَ عَيْرَ ذَلِكَ بِخِلَافِ الشَّرِكِ الْأَصْغَرِ. الْمَشْرِكُ بِالشَّرِكِ الْأَصْغَرِ إِذَا أُطْلِقَ الْكُفْرُ لَا يَدْخُلُ فِيهِ. لِأَنَّ كُفْرَهُ كُفْرٌ عَمَلِيٌّ. كُفْرٌ عَمَلِيٌّ لَيْسَ إِعْتِقَادِيٌّ. وَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ. فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ إِذَا قِيلَ: فَمَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لَهُ كَانَ مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَتِهِ. فَالْمَشْرِكُ بِهِ وَ الْمُسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ كَافِرٌ. الْمَرَادُ بِهِ "الشَّرِكُ الْأَكْبَرُ". إِنْتَبَهُوا لِهَذَا: الشَّرِكُ الْأَصْغَرُ كَيْسِيرُ الرِّبَاءِ وَ الْحَلِفِ بِعَيْرِ اللَّهِ مَا لَمْ تَقْتَرِنْ بِالْحَلِفِ عِلَامَاتٍ تَرْفَعُهُ إِلَى دَرَجَةِ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ. هَذِهِ الْأُمُورُ مِنَ الشَّرِكِ الْأَصْغَرِ. يَجِبُ دِرَاسَةُ كِتَابِ "التَّوْحِيدِ" لِتَحْقِيقِ هَذَا الْمَقَامِ. وَ الْإِسْتِسْلَامُ لَهُ وَحْدَهُ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَحْدَهُ. وَ طَاعَتَهُ وَحْدَهُ. هَذَا مَعْنَى الْإِسْلَامِ وَ مَعْنَى الْإِسْتِسْلَامِ لِلَّهِ -تعالى- وَحْدَهُ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَحْدَهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا وَ طَاعَتَهُ وَحْدَهُ إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ وَ جَعَلَ طَاعَتَهُ مِنْ طَاعَتِهِ وَ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ -الله- -صَلَّى- -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَحْدَهُ. لَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ طَاعَتُهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ -تعالى- إِلَّا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. وَ هَذَا دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ. وَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَنْ يُطَاعَ

الرَّبُّ - سبحانه و تعالى - فِي كُلِّ وَقْتٍ بِفِعْلٍ مَا أَمَرَ بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ يَنْتَهِي. لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ وَ قَبْلَ أَنْ يُنْسَخَ يَعْبُدُ الْعَبْدُ رَبَّهُ بِذَلِكَ الْفِعْلِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. عِبَادَةً وَ إِسْلَامًا , فَإِذَا أَمَرَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِاسْتِقْبَالِ الصَّخْرَةِ. إِسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ. ثُمَّ أَمَرَ ثَانِيًا بِاسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ. كَانَ كُلُّ مَنْ الْفَعْلَيْنِ. كُلُّ مَنْ الْإِسْتِقْبَالَيْنِ حِينَ أَمَرَ بِهِ دَاخِلًا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ. لِأَنَّهُ إِذَا اسْتَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ لِأَنَّهُ إِسْلَامٌ. مُسْتَسْلِمِينَ لِلَّهِ. وَ لَمَّا حَوَّاهُمْ إِلَى الْكَعْبَةِ اسْتَقْبَلُوا مُسْتَسْلِمِينَ لِلَّهِ. إِذَا فَالَّذِينَ هُوَ الطَّاعَةُ. وَ الْقَوْمُ مُطِيعُونَ فِي الْحَالَتَيْنِ. وَ الْمُسْلِمُونَ مُطِيعُونَ فِي الْحَالَتَيْنِ. فَالَّذِينَ هُوَ الطَّاعَةُ وَ الْعِبَادَةُ لَهُ فِي الْفَعْلَيْنِ. فِي الْوَقْتَيْنِ. فِي الْإِسْتِقْبَالَيْنِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مَثَلًا , وَ إِذَا تَنَوَّعَ بَعْضُ صُورِ الْفِعْلِ وَ هُوَ وَجْهُهُ الْمَصْلِيُّ وَ إِلَّا الْعَمَلُ هُوَ هُوَ. لِأَنَّهُ الْإِسْتِسْلَامُ. فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ دِينُهُمْ وَاحِدٌ وَ إِنْ تَنَوَّعَتِ الشَّرِيعَةُ وَ الْمَنَهَاجُ وَ الْوَجْهَةُ وَ الْمَنَسَكُ. فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ وَاحِدًا كَمَا لَمْ يَمْنَعِ ذَلِكَ فِي شَرِيعَةِ الرَّسُولِ الْوَاحِدِ وَ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ كَمَا تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ , وَ اللَّهُ أَعْلَمُ وَ صَلَّ -اللَّهُ- وَ سَلَّمَ وَ بَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ .

الدرس رقم : 44

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله رب العالمين و صلّ اللهم و سلّم و بارك على عبدك و رسولك محمد و آله و صحبه أجمعين. أما بعد. فيقول شيخ الإسلام رحمه - الله تعالى - (والله تعالى جعل من دين الرسل أن أولهم يبشر بآخريهم ويؤمن به، وآخريهم يصدق بأولهم ويؤمن به، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} ، قال ابن عباس رضي - الله - عنهما: لم يبعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمننّ به ولينصرنه. وقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} , وجعل الإيمان بهم متلازما، وكفّر من قال: إنه آمن ببعض وكفر ببعض، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا • أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} ، وقال تعالى {أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} ، وقد قال لنا: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ • فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فأمرنا أن نقول آمنا بهذا كله ونحن له مسلمون، فمن بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلما ولا مؤمنا، بل يكون كافرا، وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن , كما ذكروا أنه لما أنزل الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين} قالت اليهود والنصارى: فنحن مسلمون، فأنزل الله: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} فقالوا: لا نحج، فقال تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} ، فإن الاستسلام لله لا يتم إلا بالإقرار بما له على عباده من حج البيت، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت) ، ولهذا لما وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة أنزل الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} .

الشيخ: بس ، الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و إمام المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: و -الله تعالى- جعل من دين الرسل أن أولهم يُبشر بآخرهم ويؤمن به و آخرهم يُصدق بأولهم ويؤمن به. هذا دين الرسل. جعل الله دين الرسل هكذا لأنهم كما تقدم إخوة لعالات. أصل دينهم واحد و إن اختلفت الفروع و الشرائع. لذلك جعل الرب - سبحانه و تعالى - من دين الرسل. أول الرسل يُبشر بآخرهم و يؤمن به. لأنهم كلهم رسل الله و دين الله واحد. و آخرهم يُصدق بأولهم و يؤمن به. هكذا سلسلة متصلة من مصدر واحد. قال -تعالى- (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي) الإصر في الأصل "الثقل" و المراد هنا العهد. لأن العهد ثَقِيل (قَالُوا أَأَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) يقول ابن عباس في تفسير الآية و هو قول من أقوال أهل العلم في الآية. في الآية أقوال و من أراد الإطلاع على أقوال أهل العلم عليه أن يرجع إلى التفسير. "لم يبعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق" أخذ عليه العهد و الميثاق "لئن بُعث محمد صلّى الله عليه و سلّم وهو حيّ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ" ذلك النبي ، و هذا من ممّا استدلّ به على موت الحضرة. على القول بأنه نبي و لعلّ هو الرَّاجح. لو كان حياً لما وسّعهُ إلا أن يأتي إلى النبي عليه

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ وَ يُؤْمِنُ بِهِ وَ يَتَّبِعُهُ. وَ أَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ أَيْضًا عَلَى أُمَّتِهِ. "لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى -الله- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ هُمْ أَحْيَاءُ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ" هَكَذَا أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ عَلَى أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ لِيُؤْمِنُوا بِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ يَنْصُرُونَهُ. وَ يَتَّبِعُونَ شَرْعَهُ. قَالَ -الله- تَعَالَى - (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُرَادُ بِالْكِتَابِ "الْكُتُبُ". لِأَنَّ "ال" لِلْجِنْسِ. (وَمُهِمِّنَا عَلَيْهِ) الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُهِمِّينَ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ (فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا) هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ -الله-. بَعْدَ أَنْ وَحَّدَ الدِّينَ فِي أَصْلِهِ جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَرْعَةً وَ مِنْهَاجًا. مِنْهَاجًا يُنَاسِبُ حَيَاتَهُمْ وَ عُصُورَهُمْ وَ أَزْمَنَتَهُمْ وَ أُمُكِنَتَهُمْ وَ أَحْوَالَهُمْ. وَ جَعَلَ الْإِيمَانَ. هَذَا بَحْثٌ آخَرٌ. تَلَاوُظُ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ. وَ هِيَ مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ. وَ جَعَلَ -الله- الْإِيمَانَ بِهِمْ مُتَلَاوِظًا. أَيُّ لَوْ كَفَرَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِنَبِيٍّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَرِمَ مِنْ ذَلِكَ كُفْرُهُ بِالْجَمِيعِ. لَا يَنْفَعُهُ إِيْمَانُهُ بِالرُّسُلِ الْآخَرِينَ لَوْ كَفَرَ بِرَسُولٍ وَاحِدٍ. هَذَا مَعْنَى "التَّلَاوُظُ". جَعَلَ الْإِيمَانَ بِهِمْ مُتَلَاوِظًا وَ كَفَرَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ آمَنَ بِبَعْضٍ وَ كَفَرَ بِبَعْضٍ. لَا يُجْدِي. لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْجَمِيعِ. قَالَ -تَعَالَى- (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا • أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) تَأْكِيدٌ لَيْسَ بَعْدَهُ تَأْكِيدٌ. (أُولَئِكَ) فِيهِ حَصْرٌ. (أُولَئِكَ) مُبْتَدَأٌ وَ الصَّمِيرُ الثَّانِي هُوَ الْمُبْتَدَأُ الثَّانِي أَيْضًا عَلَى رَأْيٍ. الْكَافِرُونَ خَبَرٌ لِلْمُبْتَدَأِ الثَّانِي. الْمُبْتَدَأُ الثَّانِي وَ خَبَرُهُ خَبَرٌ لِلْمُبْتَدَأِ الْأَوَّلِ. هَذَا مِنْ أَقْوَى أَسَالِيبِ الْحَصْرِ وَ الْقَصْرِ. أَيُّ تَعْرِيفٍ جُزْئِي الْإِسْنَادُ. أُولَئِكَ الْمُوصُوفُونَ بِمَا تَقَدَّمَ هُمُ الْكَافِرُونَ. كَأَنَّهُ يَقُولُ هُمُ الْكَافِرُونَ وَحْدَهُمْ. كُفَرُوا غَيْرِهِمْ كَلَا شَيْءٌ بِالنِّسْبَةِ لِكُفْرِهِمْ وَ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ "حَقًّا". (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا). حَقًّا تَأْكِيدٌ لِلْحَصْرِ وَ الْقَصْرِ. الْمُسْتَفَادُ مِنْ تَعْرِيفِ جُزْئِي الْإِسْنَادِ. أَيُّ تَعْرِيفِ الْمُبْتَدَأِ وَ الْخَبَرِ. قَالَ -تَعَالَى- (أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى- (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) الْكُفَرُ بِرَسُولٍ وَاحِدٍ يُعْتَبَرُ الْكُفَرُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ. يُسْتَفَادُ مِنَ الْأَسْلُوبِ هَكَذَا. وَ لِدَلِيلِكَ قَالَ (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) ثُمَّ قَالَ (أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)

مَنْ آمَنَ بِكِتَابٍ. مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِكِتَابٍ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ الْأُخْرَى لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ بِالْقُرْآنِ. لَا يَفِيدُهُ الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ. الْكُتُبُ السَّمَاوِيَةُ الْمَعْرُوفَةُ مِنَ التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الزَّبُورِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا وَ أَنَّهَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ -تعالى- وَ مُنْزَلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ صُحُفٌ غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ يُؤْمِنُ بِهَا بِالْجُمْلَةِ. أَمَّا كُلُّ مَا عُرِفَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ -تعالى- يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ. الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ السَّابِقَةِ. الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ لَا يَكْفِي مُجَرَّدُ التَّصَدِيقِ وَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَقَطُّ. لَا , لِأَبَدٍ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ وَ تَطْبِيقِ شَرْعِهِ وَ تَطْبِيقِ عَقِيدَتِهِ وَ اعْتِبَارِهِ كِتَابَ عَقِيدَةٍ وَ شَرِيعَةٍ وَ أَحْكَامٍ وَ سِيَاسَةٍ وَ اقْتِصَادٍ وَ أَخْلَاقٍ. كِتَابٌ كُلُّ شَيْءٍ. بِالنِّسْبَةِ لِلْكِتَابِ السَّابِقَةِ يَكْفِي أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. مَا وَافَقَ مِنْهَا شَرْعَ اللَّهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ آمَنَّا بِهِ وَ عَمِلْنَا بِهِ لِكَوْنِهِ مُوَافِقًا لِشَرْعِنَا الْجَدِيدِ, الْمَهْمِمْ عَلَى تِلْكَ الشَّرَائِعِ وَ إِلَّا فَلَا يَجِبُ الْبَحْثُ عَنْهَا لِلْعَمَلِ بِهَا-الْكِتَابُ السَّمَاوِيَةُ السَّابِقَةُ- وَ إِنْ كَانَتْ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَكِنَّهَا نُسِخَتْ. هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ السَّابِقَةِ. وَ كَذَلِكَ يُقَالُ فِي الرُّسُلِ. الرُّسُلُ يَجِبُ تَصْدِيقُهُمْ كُلُّهُمْ وَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُمْ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ وَ أَنَّهُمْ بَلَّغُوا الرِّسَالَهَ وَ أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ فِي مَا يُبَلِّغُونَ عَنِ -اللَّهِ-. لَكِنْ هَلْ يَجِبُ اتِّبَاعُهُمْ؟ لَا , الْإِتِّبَاعُ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ. هُمْ أَنْفُسُهُمْ لَوْ أَدْرَكُوا هَذَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ لَا يَسْعُهُمْ إِلَّا اتِّبَاعُهُ. "لَوْ كَانَ أَحْيَى مُوسَى حَيًّا لَمَا وَسَعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي". كُلُّ الرُّسُلِ أَوْ كُلُّ الرُّسُلِ لَوْ أَدْرَكُوا هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ لَا يَسْعُهُمْ إِلَّا اتِّبَاعُهُ. إِذَا لَا يَجِبُ عَلَيْنَا اتِّبَاعُهُمْ بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا تَصْدِيقُهُمْ وَ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ. لِذَلِكَ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ السَّابِقِينَ. كَذَلِكَ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ السَّابِقَةِ بِمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ. (أَفْتُوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْذَلُونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) هَذَا الَّذِي أَصَابَ الْيَهُودَ مِنْ الْخِزْيِ لَمَّا كَفَرُوا بِهَذَا الْكِتَابِ. (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وَ مِثْلُ هَذَا الْإِنْدَارُ. إِنْدَارٌ فِيهِ إِبْهَامٌ وَ الْإِبْهَامُ يُدُلُّ عَلَى التَّغْخِيمِ وَ التَّعْظِيمِ. (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لَمْ يَقُلْ أَنَّهُ يُجَازِيهِمْ بِكَذَا وَكَذَا. وَ هَذَا الْإِبْهَامُ

أَسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ تَفْخِيمِ الْعَذَابِ وَ تَفْخِيمِ الْجَزَاءِ وَ تَعْظِيمِهِ. وَ قَدْ قَالَ لَنَا قُولُوا (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) وَ هُوَ الْقُرْآنُ (وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ) أَبِي الْأَنْبِيَاءِ (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) الْأَسْبَاطُ أَحْفَادُ يَعْقُوبَ (وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) مُسْلِمُونَ لِلَّهِ -سبحانه و تعالى- طَالَمَا أَسْلَمْنَا لِلَّهِ وَ اسْتَسْلَمْنَا يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِرُسُلِهِ جَمِيعًا وَ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِكِتَابِهِ جَمِيعًا. (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أُنْجَزَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ هَذَا الْوَعْدَ كَفَاهُمْ شَرَّ بَنِي قُرَيْضَةَ وَ بَنِي النَّظِيرِ وَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ .

الشيخ: كَفَاهُ -اللَّهُ- شَرَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ تَنْفِيدًا لِهَذَا الْوَعْدِ (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) , فَأَمَرْنَا أَنْ نَقُولَ آمَنَّا بِهَذَا كُلِّهِ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ لِلَّهِ -سبحانه و تعالى- , ثُمَّ هُنَا بَحْثٌ آخَرُ. كُفِّرَ مَنْ بَلَغَتْهُ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ لَمْ يُقَرِّ بِهَمَا. وَ لَمْ يُقَرِّ بِهَا. مَنْ بَلَغَتْهُ رِسَالَةُ "مُحَمَّدٍ" يَهُودِيًّا كَانَ أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ مَجُوسِيًّا أَوْ عَلَى أَيِّ مِلَّةٍ كَانَ فَلَمْ يَتَّبِعْهُ لِذَلِكَ قَالَ فَمَنْ بَلَغَتْهُ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَلَمْ يُقَرِّ بِمَا جَاءَ بِهِ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا وَ لَا مُؤْمِنًا. بَلْ يَكُونُ كَافِرًا وَ إِنْ زَعَمَ إِنَّهُ مُسْلِمٌ أَوْ مُؤْمِنٌ. أَيُّ مُجْرَدِ الْإِنْسَابِ لَا يَكْفِي. لِأَبَدٍ مِنْ إِفْرَازِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَ اتِّبَاعِهَا وَ تَجَرِيدِ الْمَتَابَعَةِ لِصَاحِبِهَا. بِهَذَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُسْلِمًا وَ مُؤْمِنًا. سَيَأْتِي التَّفْصِيلُ أَوْ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَ الْإِسْلَامِ هَلْ هُمَا شَيْئٌ وَاحِدٌ أَمْ لَا ؟ سَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ -اللَّهُ تعالى- .

كَمَا ذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا أُنْزِلَ -اللَّهُ تعالى- . إِشَارَةً إِلَى ذِكْرِ سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ). (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ) الْإِسْلَامُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ -اللَّهُ- صَلَّى -اللَّهُ- عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ. لِأَنَّ اتِّبَاعَ هَذَا الْإِسْلَامِ اتِّبَاعُ جَمِيعِ الْإِسْلَامِ. الْإِسْلَامُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ. لِأَنَّهُ مُهَيِّمٌ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ. (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ). لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتْ

اليهود و النصارى فنحن مسلمون , فأنزل -الله تعالى- (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) هذه الآية اختلف أهل العلم في تاريخ نزولها. هل هي في السنة السادسة أو في السنة التاسعة. الذي يرجحه كثير من المحققين أنها نزلت في السنة التاسعة. و لذلك بعث النبي صل -الله- عليه و سلم من يحضر الحج و قدًا إلى الحج. ليظهروا المسجد الحرام و الكعبة. و ليهيئوا جوًا مناسبًا لحجة الوداع. فحج النبي صل -الله- عليه و سلم في السنة العاشرة. (و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا) لما نزلت الآية فقالوا لا نحج! عنادًا منهم. فقال -الله تعالى- و من يكفر فإن الله غني عن العالمين. إن كفرتم برفضكم الحج فإن الله غني عن العالمين ليس بحاجة إليكم و أنتم المحتاجون. -عفوا-: فقالوا لا نحج! فقال -تعالى- (وَمَنْ كَفَرَ) و من كفر برفضه و إنكاره للحج و إن كان اللفظ عامًا لكن المراد بالكفر هنا كما يدل السبب رفضهم للحج و لكن يقال "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" أي من كفر أي كفر و بأي شيء أنزل الله و شرع. (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) فَإِنَّ الإِسْتِسْلَامَ لِلَّهِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِمَا لَهُ عَلَى عِبَادِهِ. أي خضوع -الله تعالى-. أي حق -الله تعالى- على عباده بما في ذلك من الحج و غير الحج. و الحج يدخل دخولًا أوليًا نظرًا لسبب النزول. كما قال النبي صل -الله- عليه و سلم- بُني الإسلام على خمس , شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدًا رسول الله , و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صوم رمضان و حج البيت. هذا بناء الإسلام. بُني الإسلام على هذا و من كفر بأي بنية من بنية الإسلام فهو كافر بجميع الإسلام. أي من جحد وجوب الحج كفر. و لو صلى و صام و هذه البنية كلها لم يرد نص صحيح أن مجرد تركه كفر بعد الشهادتين إلا الصلاة أي إن الصيام و الزكاة و الحج مجرد الترك لا يكون كفرًا إذا كان الإنسان معترفًا بالوجوب و لم يرد التصريح بأن تركه كفر من هذه الأعمال بعد الشهادتين إلا الصلاة. أما الصلاة فقد قال فيها النبي عليه الصلاة و السلام "العهد الذي بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر". كثير من الناس يتساهلون بترك الصلاة و قد يفعلون فعلًا لا يمكن أن يتصوره العاقل بأن مسلمًا يفعله في هذا الوقت. كأن يضبط الشاب الموظف ساعته من

الليل. آخر الليل عندما يأتي للنوم بعد سهر طويل يضبطها على الساعة سبعة "بدائية الدوام" في كل يوم. يتعمد ترك صلاة الصبح. لا يقوم إلا الساعة السابعة. فإذا قام الساعة السابعة فإلى العمل "الدوام". يدوم و يدوم على الدوام و لا يدوم على أداء الصلاة. بما تحكمون على من وصل به الترف و الجهل إلى هذه الدرجة؟ شاب مسلم يضبط ساعته يومياً أو في كل ليلة على هذه الساعة "الساعة السابعة" ليحضر الدوام و لا يتخلف. إذا قام من النوم إن شاء صل و إن شاء ترك فذهب ليصلي مع الظهر!! فهل هذا مسلم!!!؟ فهل هذا العمل كُفر أو إسلام؟ إذا أخذنا بظاهر الحديث "كُفر" كُفر بواح. و لكن هنا مسألة ينبغي التنبيه عليها: إن بعض الفقهاء يرون إن ترك الصلاة بدون جحود "كُفر عملي" كُفر دون كُفر. و ربما شاع هذا بين الناس بين العوام لأنه موافق لهواهم. يعتقدون بأن ترك الصلاة لا يكون كُفرًا ما لم يجحدوا وجوبها. إنما هو كبيرة من الكبائر و كُفر عملي "كُفر دون كُفر". إن نفعته أو شفعته له هذه الشبهة التي استقرت عنده و إلا فهذا العمل كُفر "كُفر بواح". لأنه تعمد و تكرر منه ذلك. لو حصل مرة واحدة الأمر أخف و أيسر لكن كون الإنسان يتخذ هذه عادة يومياً هذا أمر خطير جداً على إيمان من يفعل ذلك. و على كل ترك الصلاة ليس كترك الصيام و لا كترك الزكاة و لا كترك الحج بل أمر خطير جداً عند علماء الحديث-يتفقون أن تركها كُفر و لو لم يجحد وجوبها. و إن كان الجمهور على أن التارك بهذه الصورة كُفر عملي أي كُفر دون كُفر و لا يكون كُفرًا بواحاً و لكن العاقل هل يرضى لنفسه أن يكون إيمانه محل أخذ و رد بين أهل العلم!!! هل زيد من الناس كافراً أو مسلم!!! من الذي يرضى لنفسه هذا الموقف!!! أن يختلف فيك الناس هل أنت مسلم أو كافر!!! إذا ينبغي أن ينصح الإنسان لنفسه قبل كل شيء , فلنكتفي بهذا المقدار لنجيب على بعض الأسئلة المهمة و -بالله التوفيق- . و صل -الله- و سلم وبارك على نبينا محمد و على و آله وصحبه .

انتهى التفرغ .

الفهرس

03	المقدمة
10	المدخل الى التدمرية
23	الدّرس رقم : 01
33	الدّرس رقم : 02
44	الدّرس رقم : 03
56	الدّرس رقم : 04
57	الدّرس رقم : 05
69	الدّرس رقم : 06
73	الدّرس رقم : 07
82	الدّرس رقم : 08
89	الدّرس رقم : 09
100	الدّرس رقم : 10
115	الدّرس رقم : 11
137	الدّرس رقم : 12
148	الدّرس رقم : 13
160	الدّرس رقم : 14
171	الدّرس رقم : 15
183	الدّرس رقم : 16
195	الدّرس رقم : 17
206	الدّرس رقم : 18
214	الدّرس رقم : 19
227	الدّرس رقم : 20

الفهرس

238	الدّرس رقم : 21
246	الدّرس رقم : 22
263	الدّرس رقم : 23
272	الدّرس رقم : 24
282	الدّرس رقم : 25
294	الدّرس رقم : 26
307	الدّرس رقم : 27
316	الدّرس رقم : 28
326	الدّرس رقم : 29
338	الدّرس رقم : 30
348	الدّرس رقم : 31
359	الدّرس رقم : 32
369	الدّرس رقم : 33
376	الدّرس رقم : 34
384	الدّرس رقم : 35
396	الدّرس رقم : 36
408	الدّرس رقم : 73
418	الدّرس رقم : 38
425	الدّرس رقم : 39
434	الدّرس رقم : 40
450	الدّرس رقم : 41

452	الدرس رقم : 42
458	الدرس رقم : 43
468	الدرس رقم : 44
476	الفهرس